جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة إحياء التراث الاسلامي

سبل الهدى والرشاد
في سيرة خير العباد

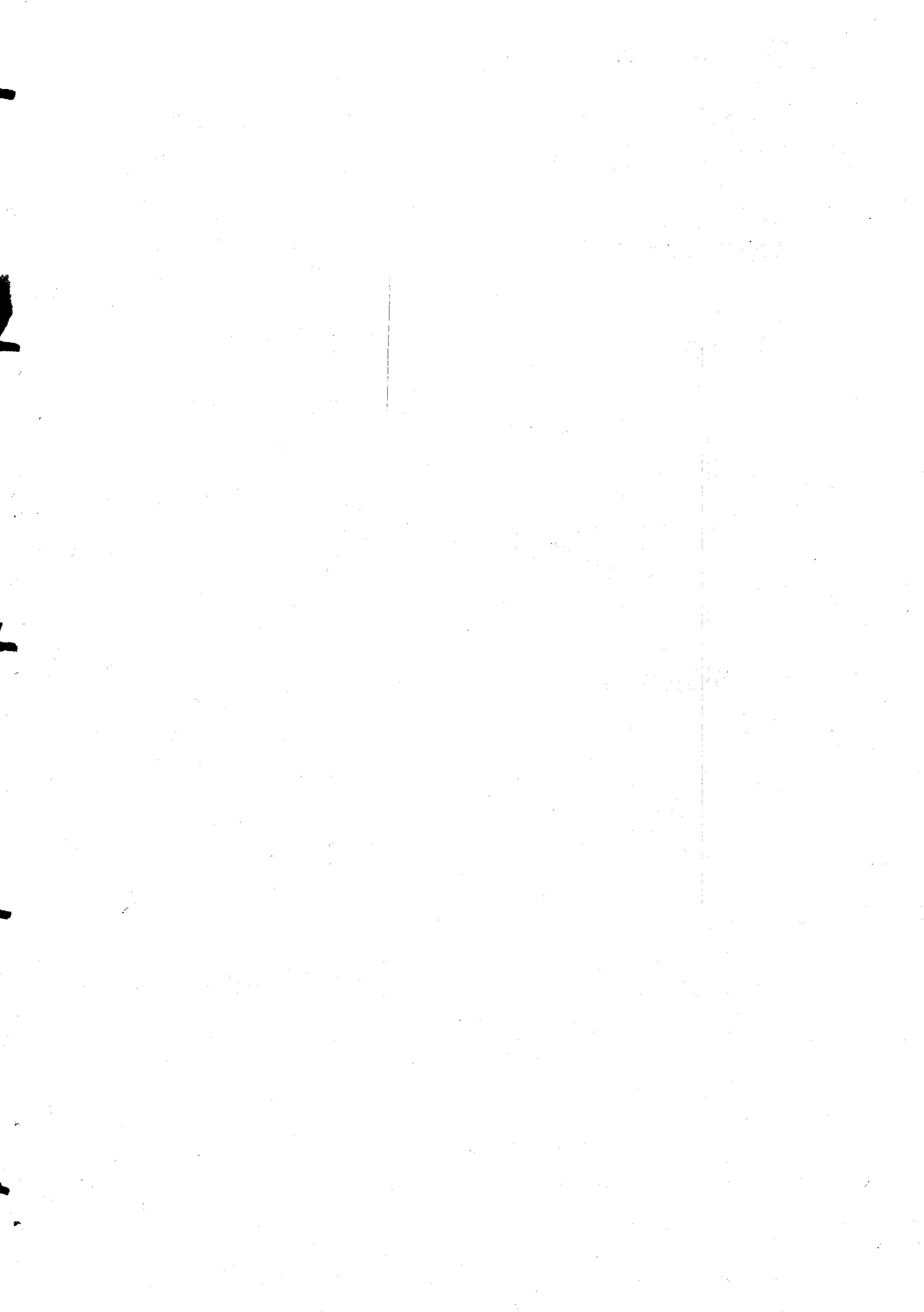
للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى سنة ٩٤٢ هـ

الجزء الخامس

تحقيق

فهيم محمد شلتوت — الدكتور جودة عبد الرحمن هلال

القاهرة
١٤١٣ هـ — ١٩٩٢ م



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم لجنة إحياء التراث الإسلامى

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، ﷺ ، أما بعد : فهذا جزء آخر من أجزاء السيرة النبوية الشريفة ، المسماة : سبل الهدى والرشاد ، فى سيرة خير العباد والمعروفة باسم : « السيرة الشامية » للإمام محمد ابن يوسف الصالحى الشامى ، المتوفى سنة ٩٤٢ هجرية .

وهذا الكتاب المهم فى سيرة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ تكفل المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، بتحقيقه ، ونشره ، فعهدت لجنة إحياء التراث الإسلامى به ، إلى كبار العلماء المحققين ، ليقوموا بتحقيقه ، ومقابلة نسخه المخطوطة ، والرجوع به إلى مصادره ، وتخريج نصوصه ، وضبط كلماته ، بناء على ما ارتضته تلك اللجنة من قواعد التحقيق والنشر .

وقد صدر الجزء الأول من هذه الموسوعة المباركة فى عام ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م ، بتحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد ، ثم صدر الجزء الثانى فى عام ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م بتحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد كذلك ، وبعد ذلك بعام صدر الجزء الثالث بتحقيق الأستاذ عبد العزيز عبد الحق حلمى .

ولظروف طارئة توقفت لجان المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عن العمل ، وبعد فترة أعيد تشكيل تلك اللجان من جديد ، فتابعت لجنة إحياء التراث الإسلامى العمل على نشر هذه السيرة التى جمعها مؤلفها من ثلاثمائة كتاب فجاءت موسوعة عظمى تجمع أطراف السيرة من جميع جوانبها ، وقامت بتوزيع الأجزاء المتبقية منها على كبار المحققين فى مصر ، وأخرجت فى عام ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م الجزء الرابع بتحقيق الأستاذين : إبراهيم الترزى وعبد الكريم العزباوى .

واليوم يسعد اللجنة أن تقدم للعالم الإسلامى الجزء الخامس من هذه الموسوعة وهو استكمال للحديث عن مغازى وسرايا رسول الله ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ بتحقيق الأستاذ فهيم محمد شلتوت ، والدكتور جودة هلال ، وكذلك يسعد اللجنة أن تقدم أيضاً الجزء السادس ، وهو خاص بالحديث عن بعوث ووفود رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتحقيق الأستاذ عبد العزيز عبد الحق حلمى .

ونرجو أن توفق اللجنة إلى نشر الأجزاء المتبقية من هذه الموسوعة فى السيرة النبوية الشريفة ، فى أقرب وقت ممكن ، بمشيئة الله ـ تعالى ـ آملين أن يكون فى ذلك ، تيسير لمعرفة سنة الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحفزاً للهمم ، للاقتداء بها .

والله ولى التوفيق ..

مقرر اللجنة	رئيس اللجنة
د . رمضان عبد التواب	عبد المنعم محمد عمر

قام بتصحيح ومراجعة هذه الطبعة الأستاذ /فهيم محمد شلتوت أحد محققى هذا الجزء .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتى

من مقدمة المؤلف

هذا كتاب اقتضبته من أكثر من ثلاثمائة كتاب ، وتحريت فيه الصواب ، ذكرت فيه قطرات من فضائل سيدنا رسول الله ﷺ من مبدأ خلقه قبل خلق سيدنا آدم صلى الله عليهما وسلم وأعلام نبوته وشمائله وسيرته وأحواله وأفعاله وتقلباته إلى أن نقله الله تعالى إلى أعلى جناته وما أعده له فيها من الإنعام والتعظيم ، عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم . ولم أذكر فيه شيئا من الأحاديث الموضوعات وختمت كل باب بإيضاح ما أشكل فيه وبعض ما اشتمل عليه من النفائس المستجادات مع بيان غريب الألفاظ وضبط المشكلات والجمع بين الأحاديث التى يظن بها أنها من المتناقضات . وإذا ذكرت حديثاً من عند أحد من الأئمة فإنى أجمع بين ألفاظ رواته إذا اتفقوا وإذا عزوته لمخرجين فأكثر فإنى أجمع بين ألفاظهم إذا اتفقوا فلا يعترض على إذا عزوت الحديث للبخارى ومسلم وذكرت معهما غيرهما فإن ذلك لأجل الزيادة التى عند غيرهما غالباً ، وإذا كان الراوى عن النبى صلى الله عليه وسلم صحابياً قلت رضى الله تعالى عنه فإذا كان تابعياً أو من أتباع التابعين قلت رحمه الله تعالى ، وإذا أطلقت الشيخين فالبخارى ومسلم أو قلت متفق عليه فيما روياه ، أو الأربعة فأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه ، أو الستة فالشيخان والأربعة ، أو الخمسة فالستة إلا ابن ماجه أو الثلاثة والأربعة إلا هو ، أو الأئمة فالأمام مالك والإمام الشافعى والإمام أحمد والستة والدار قطنى . ولم أقف على شىء من الأسانيد المخرجة للإمام الأعظم أبى حنيفة رضوان الله تعالى عليه فلذلك لم أذكره ، أو الجماعة فالإمام أحمد والستة ، أو أبا عمر فالحافظ يوسف بن عبد البر ، أو القاضى فأبو الفضل عياض ، أو الأمير فالإمام الحافظ أبو نصر على بن هبة الله الوزيرى البغدادى المعروف بابن ماكولا . أو السهيلى فالإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمى ، أو الروض فالروض الأنف له ، أو أبا الفرج فالحافظ عبد الرحمن بن الجوزى ، أو أبا الخطاب فالحافظ عمر بن الحسن بن دحية ، أو أبا ذر فالحافظ أبو ذر بن محمد بن مسعود الخشنى ، أو الإملاء فما أملاه على سيرة ابن هشام ، أو زاد المعاد فزاد المعاد فى هدى خير العباد للإمام العلامة أبى عبد الله محمد ابن أبى بكر بن القيم ، أو أبا الربيع فالثقة الثبت سليمان بن سالم الكلاعى أو الاكتفاء فكتاب الاكتفاء له ، أو أبا الفتح فالحافظ محمد بن محمد بن سيد الناس ، أو العيون فعيون الأثر له ، أو القطب فالحافظ قطب الدين الحلبى ، أو المورد فالمورد العذب له ، أو الزهر فالزهر الباسم ، أو الإشارة فالإشارة إلى سيرة سيدنا محمد رسول الله ﷺ ، كلاهما للحافظ علاء الدين مغلطاي ، أو الإمتاع فكتاب إمتاع الأسماع للإمام العلامة مؤرخ الديار المصرية الشيخ تقى الدين المقريزى ، أو المصباح فالمصباح المنير للإمام العلامة أبى العباس أحمد بن محمد بن على الفيومى ، أو التقريب

فالتقريب فى علم الغريب لولده محمود الشهير بابن خطيب الدهشة ، أو الحافظ فشيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن على بن حجر ، أو الفتح ففتح البارى له ، أو شرح الدرر فشرحه على ألفية السيرة لشيخه العراقى ، أو النور فنور النبراس للحافظ برهان الدين الحلبى ، أو الغرر فالغرر المضيئة للعلامة محيى الدين بن الإمام العلامة شهاب الدين بن الهائم ، أو السيد فالإمام العلامة شيخ الشافعية بطيبة نور الدين السمهودى ، أو الشيخ أو شيخنا فحافظ الإسلام بقية المجتهدين من الأعلام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى - رحمهم الله تعالى ، وحيث أطلقت الموحدة فهى ثانى الحروف ، أو المثلثة فهى الرابعة ، أو التحتية فهى آخر الحروف .

وسميت هذا الكتاب « سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد » وذكر فضائلةوأعلام نبوته وأفعاله وأحواله فى المبدأ والمعاد ، وإذا تأملت هذا الكتاب علمت أنه نتيجة عمرى وذخيرة دهرى والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يمن على بالنظر إليه فى دار النعيم ، وهو حسبى ونعم الوكيل ، ماشاء الله كان ، ولم يشأ لم يكن ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم .

الباب العشرون

فى غزوة بنى قُرَيْظَة[1]

تقدّم فى غزوة الخنْدق أنّهم ظَاهَرُوا قُرَيْشًا وأعانُوهم على حَرْبِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونَقضُوا العهودَ والمواثيقَ التى كانت بَيْنَهم وبين رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فما أَجْدَى ذلك عنهم شيئاً وبَاءُوا بغضبٍ مِنَ الله ورسوله ، والصَّفْقَة الخاسرَة فى الدنيا والآخرة . قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَرَدَّ اللهُ الَّذينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِم لَمْ يَنالُوا خَيْراً وَكَفَى الله المُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا * وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم -أى أعانوهم- مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ -أى حصونهم- وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِم الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فرِيقاً * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُم وَدِيَارَهُم وَأَمْوَالَهُم وَأَرْضاً لَمْ تَطَئُوهَا وكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديراً[2] ﴾ .

قال محمد بن عمر عن شُيوخه : لما تَفَرَّقَ المشركون عن الخَنْدَق خافت بَنُو قُرَيْظَةَ خوفاً شديدا ، وقالوا : محمد يَزْحَفُ إلينا ، وكان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - لم يَأْمُر[3] بِقتَالِهمْ حتّى جَاءه جِبْرِيل يَأْمُرُه به .

روى الإِمَامُ أَحْمدُ والشَّيْخَانِ - مُخْتَصرًا - والبَيْهَقِىُّ والْحَاكم فى صحيحه[4] مُطَوَّلاً عنْ عَائشَةَ ، وأبو نُعيم ، والْبَيْهَقِىُّ منْ وَجْهٍ آخر عَنْهَا ، وابنُ عائذ عَنْ جابر بن عبد الله، وابنُ سَعْد عَنْ حُمَيْد بْن هلاَل ، وابن جَرِير عن عبد الله بن أَبِى أَوْفَى، والبَيْهَقِىُّ

---

(1) انظر فى أخبار هذه الغزوة : مغازى الواقدى ٢ : ٤٩٦ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ١٩٤ ط الجمالية سنة ١٩١٤ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٢٢٣ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٣٥٤ ونهاية الأرب للنويرى ١٧ : ١٨٦ وشرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٢٦

(2) سورة الأحزاب الآيات من ٢٥ - ٢٧ .

(3) كذا فى ط ، م - وفى ت « لم يؤمر » . وكذلك فى (الواقدى - كتاب المغازى ٢ : ٤٩٧) ط أكسفورد .

(4) فى ت « والحاكم وصححه »

وابنُ سَعْدٍ عن الماجشُون ، والبَيْهَقىُّ عن عُبَيد الله بْن كَعْب بن مالك ، وسعيد بن جُبَيْر وابن سعدٍ عن يزيد بن الأَصَم ، ومحمد بن عمر عن شُيُوخه : أَن رَسُولَ الله – صلَّى الله عليه وسلم – لَمَّا رَجَعَ عن[1] الخَنْدق ، والمسلمون وقَدْ عَضَّهُم الحصَارُ ، فرجعوا مَجْهُودِين ، فوضعوا السِلاحَ ، وَوَضَعَهُ رَسُولُ اللهِ – صَلى الله عليه وسلم – وَدَخَلَ بيتَ عَائشة وَدَعَا بمَاءٍ فأَخذَ يَغْسِل رَأْسه – قَالَ ابن عُقْبة[2] قَدْ رَجَّلَ أَحَد شِقَّيْه . قَالَ محمد بن عمر : غَسَل رَأْسَه واغْتَسَل ، وَدَعَا بالمجْمَرَةِ ليَتَبَخَّر[3]، وَقَدْ صَلَّى الظُّهرَ ، قَالَتْ عَائشةُ : فَسَلَّم عَلَيْنَا رَجُلٌ وَنَحْنُ فى البيت . قَالَ محمد بن عمر : وَقَفَ مَوْضع الْجَنَائز ، فَنادى عَذيرَكَ[4] من محارب ! فَقَامَ رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وَسَلَّم – فزعًا فَوثَبَ وَثْبَةً شَديدةً[5] ، فخرج إليه ، وَقُمْتُ فى أَثره أَنظر من خَلَل الباب ، فَإِذا هُوَ دحْيَةُ الكَلْبىُّ[6] فيما كُنْتُ أَرى – وَهُو يَنْفُضُ الغُبَار عَنْ وَجْهه ، وَهُوَ مُعْتَمٌّ ، وَقَال ابن إسحاق : مُعْتَجرٌ بعمامةٍ ، قَالَ الماجشُون – كما رواه أَبو نعيم عنها ، سَوْدَاء منْ استَبْرَق ، مُرْخٍ منْ عمامته بَيْنَ كتفَيْه ، عَلَى بَغْلةٍ شَهْباء – وفى لفظٍ : فرس – عليها رحَالَة وَعَلَيْهَا قطيفة منْ ديباج – قَالَ الماجشُون : أَحمر – عَلَى ثَنَايَاه أَثر الغُبار ، وفى روايةٍ : قَدْ عَصَّبَ رأْسَه الغبار ، عليه لأْمته ، فاتكأَ رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلم – على عَرْف الدَّابَّة ، فَقَالَ : يَارَسُولَ الله ، مَا أَسْرَعْتُم مَا حللتم ، عَذيرَكَ من مُحَارب ! عَفَا الله عَنْك ، وَفى لفظ غَفَر الله لك ، أَوقدْ وَضَعْتُم السِّلاحَ قَبل أَن نَضَعه ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلم – : « نَعَم قَال : فَوَالله مَا وَضَعْنَاه ، وفى لفظٍ : « مَا وَضَعت

---

(١) وفى البخارى (٣ – ٣٤ ط عيسى الحلبى) عن عائشة – رضى الله عنها – « لما رجع النبى – صلى الله عليه وسلم – من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل – عليه السلام – فقال : قد وضعت السلاح والله ما وضعناه فاخرج اليهم . قال : فإلى أين ؟ قال ههنا وأشار إلى بنى قريظة ، فخرج النبى – صلى الله عليه وسلم – إليهم .

(٢) كذا فى م ، ت ، وفى ط « قال عتبة » .

(٣) جاءفى فى شرح المواهب للزرقانى (٢ : ١٢٧) صرح كعب بن مالك عند الطبرانى وغيره بسند صحيح « أنه اغتسل واستجمر » .

(٤) عذيرك : أى من يعذرك . فعيل بمعنى فاعل . وانظر ما يأتى فى شرح المفردات .

(٥) عبارة السيرة الحلبية (٢ : ٣٥٥) وثب وثبة منكرة » .

(٦) هو دحية بن خليفة بن فروةمن فضالة بن زيد من امرئ القيس من الخزرج صاحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذى أتاه جبريل على صورته (ابن حزم . جمهرة أنساب العرب ٤٥٨) .

الملائكةُ السِّلاح منذُ نَزَلَ بكَ العدوُّ ، وَمَا رَجَعْنَا الآن إلاَّ منْ طلب القوم حتَّى بلغنا حمراء[1] الأَسد – يعنى الأَحزاب – وقَدْ هَزَمَهُم الله تَعالى ، إنَّ الله – تعالى – يأْمُرك بقتَال بنى قُرَيْظَةَ ، وَأَنا عَامدٌ إلَيْهم بِمَنْ مَعى من الملائكة لِأُزَلْزِلَ بِهِم الحصون ، فاخرُجْ بالنَّاس » . قال حُميد بن هلال : فقال رَسُولُ الله – صَلَّى اللهُ عليه وسلم – « فإنَّ فى أَصْحَابى جَهْدًا فَلَوْ أَنْظَرْتَهُم أَيَّاما قال[2] جبريل : انْهَض إليهم ، فَوَالله لأَدُقَّنهم كَدَقِّ البَيْض عَلَى الصَّفَا[3] لأُضعْضعنَّها[4] ، فَأَدْبَرَ جبريلُ وَمَن معه منَ الْمَلَائكة حَتَّى سَطَع الغبارُ فى زُقَاق بَنى غَنْمٍ من الأَنْصَار . قَالَ أَنس – رضى الله عنه – فيما رواه البخارى[5] : كَأَنِّى أَنْظُرُ إلى الغُبار سَاطِعًا فى زُقَاقِ بنى غَنْمٍ – مَوْكِب جبريل حين سارَ إلى بنى قريظة .. انتهى .

قالت عَائشةُ : فَرَجَعْتُ . فَلَمَّا دَخَلَ قُلْتُ يَارَسُولَ الله – مَنْ ذَاكَ الرَّجُل الَّذِى كُنْتَ تكلِّمه ؟ قَالَ : « وَرَأَيْتِهِ » ؟ قُلْتُ نعم ، قَالَ : « لمن تَشَبَّهْتِ[6] » ؟ قُلْت : بِدِحْيَةَ ابن خليفة الكلبى ، قَالَ : « ذاكِ جبريلُ أَمَرَنِى أَنْ أَمضِىَ إلَى بَنِى قُرَيْظَة » .

قال قتادة فيما رواه ابنُ عائِذ : إن رَسُولَ الله – صَلَّى الله عليه وسلم بَعَثَ يومئذ مُنَادياً ينادى « ياخَيْلَ اللهِ ارْكَبِى » وَأَمر رَسُولُ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلم – بِلَالاً فَأَذَّن فى النَّاس : « مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطيعاً[7] فَلاَ يُصَلِّين العَصْرَ إلاَّ ببنى قُرَيْظَة » .

وروى الشيخان عن ابْنِ عُمَر ، والبيهقىُّ عن عَائِشَةَ ، والبيهقىُّ عن الزُّهْرِىِّ وعن ابن عُقْبَة ، والطَّبَرانىّ عن كعب بن مالك : أَنَّ رَسُولَ الله – صَلَّى الله عليه وَسَلَّم – قَالَ

---

(١) حمراء الأسد : موضع على ثمانية أميال من المدينة (ياقوت . معجم البلدان) .

(٢) كذا فى ط . م . وفى ت « فقال »

(٣) الصفا : العريض من الحجارة ، والصفاة صخرة ملساء (اللسان : صفا)

(٤) فى شرح المواهب للزرقانى (٢ : ١٢٧) « وعند ابن سعد من مرسل حميد بن هلال فقال : يارسول الله انهض إليهم فلأضعضعنهم » . وفى السيرة الحلبية (٢ : ٣٥٤) « ولأدخلن فرسى هذا عليهم فى حصونهم لأضعضعنها » . وسيرد المعنى فى غريب المفردات .

(٥) انظر الحديث فى البخارى ٣ : ٣٤ ، وفى ابن كثير : البداية والنهاية ٤ : ١١٧ .

(٦) فى السيرة الحلبية ٢ : ٣٥٥ « لمن تشبهينه »

(٧) كذا فى ت ، م . وفى ط « من كان مطيعاً »

لأَصْحَابه : « عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُصَلُّوا[1] صَلاَةَ الْعَصْر » . وَوَقع فِى مُسْلِم فى حديث ابْنِ عُمرَ صَلاَةَ الظُّهر[2] فأَدرك بَعْضَهُم صَلاَةَ العَصْر ، وفى لَفْظِ الظهر فى الطَّرِيق ، فَقَالَ بَعْضُهم : لاَ نُصَلِّيها حَتَّى نَأْتِى بَنِى قُرَيْظَة ، إِنَّا لَفِى عَزِيْمَةِ رَسُولِ الله ـ صَلَّى الله عليه وسلم ـ وَمَا عَلَيْنَا مِنْ إِثم ، فَصَلَّوْا العصرَ ببنى قُريظة حين وَصَلُوهَا بَعْدَ غروب الشَّمْس / . وَقَالَ بَعْضُهم : بَلْ نُصَلِّى ؛ لَمْ يُرِدْ مِنَّا أَنْ نَدَعَ الصَّلاَةَ ، فَصَلُّوا ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله ـ صَلَّى الله عليه وسلم ـ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحدًا مِنَ الفريقين ، وَدَعَا رَسُولُ الله ـ صَلَّى الله عليه وَسَلَّم ـ عَلِيَّ بْنَ أَبِى طَالب فَدَفَعَ إِلَيْه لوَاءه ، وَكَانَ اللِّوَاءُ عَلَى حَاله لَمْ يُحَلَّ مِنْ مَرْجِعه مِنَ الْخَنْدَق ، فابْتَدَرَهُ النَّاس .

١٤٩ ظ

* * *

ذكر مسيرة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى بنى قريظة

قَالَ مُحَمَّد بن عمر ، وَابنُ سَعْد ، وابن هشام ، والْبَلاَذُرى : فَاسْتَعْمَل رَسُولُ الله ـ صَلَّى الله عليه وَسَلَّم ـ عَلَى المدينة ابنَ أُمِّ مَكْتُوم .

قَالَ محمد بن عمر : خَرَجَ رَسُولُ الله ـ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّم ـ إِلَيْهِم لِسَبْعٍ بقين مِنْ ذِى القعدة ، ولَبِسَ رَسُول الله ـ صَلَّى الله عليه وَسَلَّم ـ السِّلاَحَ والدِّرع[3] وَالمِغْفَرَ وَالْبَيْضَةَ وَأَخَذَ قَنَاةً بِيَدِهِ ، وَتَقَلَّدَ التُّرسَ ، وَرَكِبَ فَرَسه اللُّحيف[4] ، وَحَفَّ به أَصْحَابُه ، قَدْ لَبِسُوا السِّلاح وَرَكِبُوا الْخَيل ، وَكَانت الْخَيْلُ سِتَّةً وثَلاَثين فَرَساً

---

(١) فى ط « أن تصلوا » ومن هنا من ت ، م ويتفق ورواية البخارى ٣ : ٣٤ « لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة » .

(٢) أسهبت كتب السيرة فى ذكر الخلاف حول أى الصلاتين نهى عنها ، الظهر أم العصر وأى الطائفتين – الذين صلوا والذين لم يصلوا – قد أصاب . وقد نقل ابن كثير فى البداية والنهاية (٤ : ١١٨) رأياً عن ابن حزم الأندلسى ملخصه : « وعلم الله أنا لو كنا هناك لم نصل العصر إلا فى بنى قريظة ولو بعد أيام » وانظر وجوه التوفيق فى التنبيهات .

(٣) الدرع : لبوس الحديد ، تذكر وتؤنث ، والجمع فى القليل أدرع وأدراع ، وفى الكثير دروع (اللسان : درع) ويعرف الدرع بأنه قيص من الزرد يكسو معظم الجسم . وجرت العادة بأن تحتفظ الأسرة بقميص الزرد لتتوارثه الذرية المتعاقبة . وانظر (الملابس المملوكية لماير – ترجمة صالح الشيتى ص ٦٦ وما بعدها) .

(٤) اللحيف . بالتصغير كما هنا وفى شرح المفردات . وفى اللسان : لحف « اللحيف اسم فرسه – صلى الله عليه وسلم – فعيل بمعنى فاعل ؛ فإنه يلحف الأرض بذنبه ، وفى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٢٨ « بضم اللام وفتحها كأمير وزبير ، وحاء مهملة ، ويروى بالجيم والخاء المعجمتين » .

وَسَارَ رَسُولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وَسَلَّم – فى أَصْحَابه ، والْخَيْلُ وَالرَّجَّالَة حَوْله قَالَ ابْنُ سَعْد : وَكان مَعَه – صلى الله عليه وسلَّم ثَلاثَة آلاف[1] ، قُلْت : كذا ذكر محمد ابن عمر : أن رَسُولَ الله – صَلَّى اللهُ عليه وسلم . رَكبَ فَرَساً . وَرَوى الطَّبرانى فى الأَوسط بسَنَدٍ رجَالُه ثقَاتٌ عن أَبى رافع ، وابْنُ سعد عن البيهقى وغيره والطبرانىُّ عن ابن عباس: أَنَّ رَسولَ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم – : لَمَّا أَتَى بَنى قريظةَ رَكبَ عَلَى حمَارٍ عُرْى[2] يُقَالُ لَهُ يَعْفُور ، والنَّاس حوله .

وروى الْحَاكمُ ، والبيهقىُّ وَأَبُونُعَيْم عَنْ عائشةَ وابن إسحاق عن ....[3].... ومحمد ابن عمر عن شيوخه : أَنَّ رَسُولَ الله – صَلَّى الله عليه وسلم – مَرَّ بنَفَرٍ منْ بَنى النَّجار بالصَّوْرَيْن فيهم حَارثَة بْنُ النُّعْمَان قد صَفُّوا عليهم السِّلاح فقال : « هَلْ مَرَّ بِكُمْ أَحَد ؟ » قَالُوا : نعَمْ ، دحْيَةُ الكلبى مر على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من استبرق وأمرنا بحمل السلاح فأخذنا سلاَحنَا وصفَفْنا ، وَقَالَ لَنَا : هذا رَسُولُ الله – صَلَّى اللهُ عليه وسلم – يطلع عَلَيْكم الآن ، قالَ حَارثَة بْنُ النُّعْمان : وكنا صفَّين ، فَقَالَ رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وَسَلَّم : « ذَاكَ جبْريلُ بعثَ إِلَى بَنى قُرَيْظَةَ ليُزَلْزلَ بهِمْ حُصُونَهُمْ ويقْذف الرُّعْبَ فِى قُلُوبِهِم » .

وسَبَقَ عَلِىٌّ فى نَفَرٍ منَ الْمُهَاجِرين وَالْأَنْصَار فيهمْ أَبُو قَتَادَة – إِلَى بَنى قُرَيْظَةَ .

روى مُحَمَّدُ بْنُ عمَر عَنْ أَبى قَتَادة قَال : انْتَهَيْنَا إِلَى بنى قُرَيْظَة ، فَلَمَّا رَأَوْنَا أَيْقَنُوا بِالشَّرّ ، وَغرَزَ عَلِىٌّ الرَّايةَ عنْدَ أَصْلِ الْحصْن، فاسْتَقبَلُونَا فى صَيَاصِيهم يَشْتُمون رَسُولَ الله – صَلَّى اللهُ عليه وسلم – وَأَزْوَاجَه . قَالَ أَبُو قَتَادة : وَسَكَتْنَا ، وَقُلْنَا : السَّيفُ بَيْنَنَا وبينكم ، وَانْتَهى رَسُولُ الله – صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم – إِلَى بَنى قُرَيظة ، فَنزَلَ

---

(١) أى جملة الخارجين ، أعم من كونهم معه أو قبله أو بعده (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٢٨) .

(٢) وفى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٢٨ « فإن صحت راوية أنه ركب فرساً ورواية أنه ركب حماراً – فيمكن أنه ركب الفرس بعض الطريق والحمار بعضها » .

(٣) بياض فى الأصول بمقدار كلمتين .

قَرِيباً مِنْ حصْنِهِمْ عَلَى بِئْرِ أُنَّا[1] بِأَسْفَل حَرَّةِ بَنِى قُرَيْظَة ، فَلَمَّا رَآه عَلِىٌّ - رضى الله عنه - رَجَعَ إِلَى رَسُولِ الله - صَلَّى الله عليه وَسَلم - وَأَمَرَنى[2] أَنْ أَلْزَمَ اللِّواءَ ، فلزمته ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْمَعَ رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسلم - / أَذَاهُم وَشَتْمَهم . فَقَالَ لرَسُولِ[3] ١٥٠ و الله - صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم - : « لاَ عَلَيْكَ أَلا تَدْنو مِنْ هَؤُلاءِ الأَخَابيث ؛ فإنَّ الله - تعالى - كَافيك اليهود . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّم : « لمَ تَأْمُرنى بِالرُّجُوع ؟ فكتمه مَا سَمع ، فَقَال : « أَظُنُّكَ سَمِعْتَ مِنْهُم لِى أَذًى » فَقَالَ : نَعَم يَارَسُولَ الله . قَال : « لو رَأَونى لَمْ يَقُولُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا » . فَسَارَ رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - إليهم ، وتَقَدَّمه أُسَيْد بن الحُضَير - فقال[4] : يَا أعداءَ الله : لا نبرَحُ عن حصْنِكِمْ حَتَّى تموتوا جُوعاً ، إنمَا أنتم بِمَنْزِلَةِ ثَعْلَبٍ فى جُحْر ، فقالوا : يابن الحُضَير : نَحْنُ مواليك دون الخَزْرَج ، وخاروا ، فقال : لَا عَهْدَ بيْنِى وبينكم ولا إلاَّ وذمة[5] ، وَدَنَا رسولُ الله - صلّى اللهُ عليه وسلّم . وتَرَّسْنَا عنه ، ونَادَى بِأعلى صَوته نَفَراً مِنْ أَشْرَافهم ، حَتَّى أَسْمَعَهم فَقَال : « أَجِيبُوا يَا إِخْوَةَ الْقِرَدَة والْخَنَازِير وَعَبَدَةَ الطَّاغُوت هَلْ أَخْزَاكُم اللهُ وَأَنْزَلَ بِكُمْ نِقْمَتَه ؟ أَتَشْتُمُونَنى[6] » ؟ ! فَجَعَلُوا يَحلِفُون مَا فَعَلْنَا ، وَيَقُولُون : يا أَبَا الْقَاسِم مَا كُنْتَ جَهُولاً ، وفى لفظٍ مَا كُنْتَ فَاحِشًا . وَاجْتمَع الْمُسْلِمُون عِنْدَ رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - عشاءً ، وَبَعث سعدُ بنُ عبادة - رضى الله عنه - بِأَحْمَال تَمْرٍ لرسُولِ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - والمسلمين . فَكَانَ طَعَامَهُم ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم يومئذ « نِعْمَ الطَّعَامُ التَّمر » .

---

(١) بئر أنا : ورد اللفظان دون همز فى الأصول . وانظر التعريف بها فى شرح غريب ذكر مسيره عليه السلام :

(٢) الآمر هو على - رضى الله عنه - وهو الذى كره أن يسمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أذى اليهود وشتمهم .

(٣) كذا فى ط . وفى م . ت « فقال يا رسول الله لا عليك » .

(٤) أى أسيد بن الحضير .

(٥) فى ت . م « ولا إل ، ودنا رسول إلخ » وما هنا من ط .

(٦) كذا فى ت ، وفى ط ، م « أتشتموننى » .

ذكر محاصرة المسلمين لبنى قريظة

غَدا رَسُولُ اللهِ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ سَحَرا ، وقَدَّم الرماةَ وَعبَّأَ أَصْحَابه فَأَحاطوا بِحُصُون يَهود ، ورموهم[1] بالنَّبْلِ والْحِجَارَة ، وَهُمْ يَرْمُون مِنْ حُصُونِهم حَتَّى أَمْسَوْا، فباتوا حَوْلَ الحُصُون ، وجَعَلَ المسلمون يَعْتَقِبُون ، يَعْقُبُ بَعْضُهم بَعْضًا ، فَمَا بَرِحَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ يُرَاميهم حَتَّى أَيْقَنُوا بالْهَلَكة ، وتَرَكُوا رَمْىَ المسلمين ، وقالوا : دَعُونَا نكلمكم ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم : « نعم » فَأَنْزَلُوا نبَّاش بن قيس[2] ، فكلم رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم على أَن يَنْزِلُوا عَلَى مَا نَزَلَت عليه بَنُو النَّضِير مِنَ الأَمْوَالِ وَالْحلْقَة[3] وتَحْقِنَ دِمَاءنَا ، ونَخْرُجَ مِنْ بِلاَدِكَ بالنِّسَاءِ والذَّرارى ، وَلَنَا مَا حَمَلَتِ الإِبِلُ إلاَّ الحَلْقة ، فَأَبى رسُولُ اللهِ ـ صَلَّى الله عليه وسلم ـ فَقَالَ : تَحْقِنُ دمَاءَنَا وَتُسَلِّمُ لنا النِّسَاءَ والذُّرِيَّةَ وَلَا حَاجَةَ لَنَا فِما حَمَلَتِ الإبل ، فَأَبى رَسُولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلاَّ أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى حكْمِه ، وعاد نَبَّاش إِلَيْهم بذلك .

* * *

ذكر اعتراف كعب بن أسد كبير بنى قريظة وغيره بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

فَلَمَّا عَادَ نَبَّاشٌ إلى قَوْمِهِ ، وَأَخْبَرَهُم الْخبر ، قَالَ كَعْبُ بنُ أَسَد : يَامَعْشَر بَنى قُريظة ، وَاللهِ قَدْ نَزَلَ بِكُم مِنَ الأَمْرِ مَاتَرَوْن وَإِنِّى عَارِضٌ عَلَيْكُم خِلاَلاً ثلاثًا ، فَخُذُوا مَا شئْتُمْ منْهَا ، قَالُوا : وَمَا هى ؟ قَال : نُتَابعُ هَذَا الرَّجُل وَنُصَدِّقُه . فوَاللهِ لَقَدْ تَبَيَّن لكُم أَنَّه نَبِيٌّ مُرسَل ، وَأَنَّهُ الَّذِى تَجِدُونَه فى كِتَابِكُمْ فَتَأْمَنُون بِه عَلَى دِمَائِكم وَأَمْوَالكم وَنِسَائِكُم ، وَاللهِ إنكُم لتَعْلَمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ[4] ، وَمَا مَنَعَنَا مِنَ الدُّخُول مَعَه إلاَّ الحسد

---

(١) كذا فى ط ، وفى ت ، م « وراموهم » .

(٢) نباش بن قيس . كذا فى ط ، وفى ت ، م « بناش من قيس » وما أثبت هو الصواب ويوافقه ما جاء فى (مغازى الواقدى ٢ : ٥٠١) .

(٣) الحلقة : السلاح عامة ، وقيل هى الدروع خاصة (اللسان : حلق)

(٤) جاء فى السيرة الحلبية ٢ : ٣٥٧ « عن ابن عباس – رضي الله عنه – قال : كانت يهود بنى قريظة وبنى النضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبى – صلى الله عليهوسلم – قبل أن يبعث ، وأن دار هجرته المدينة ...» .

١٥٠ ظ للعرب / حَيْثُ[١] لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا منْ بَنى إِسْرَائيل ، فَهُوَ حَيْثُ جَعَلَه الله ، وَلَقَدْ كُنتُ كَارِهًا لنَقْض الْعَهْد والْعَقْد وَلَكنَّ الْبَلَاء والشؤم منْ هَذَا الْجَالِس - يَعْنى حُيَيّ بن أَخْطَب . - وَلَقَد[٢] كان حُيَيُّ بْنُ أَخْطَب دَخَلَ مَعَهم فى حصْنِهم حين رَجَعتْ عَنْهُم قُرَيش وغَطَفَان ، وَفَاءً لكعب بن أَسَد ، بمَا كَانَ عَاهَدَه عَلَيه - أَتَذْكُرُونَ مَا قَالَ لَكُمْ ابن جَوَّاس[٣] حيْن قَدم عليكم : تركت الخَمْرَ والخميرَ والتمير ، وَأُجِئْتُ إلى السَّقَاء والتَّمْرِ والشَّعِير ، قَالُوا : وَمَا ذَاك ؟ قَالَ : إِنَّه يخرج بِهَذِه الْقَرْيَة نَبِيٌّ ، فَإِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا حىٌّ أَتْبَعْه وأَنْصُره ، وَإِنْ خَرَجَ بَعْدِى ، فاياكم أَنْ تُخْدَعوا عنه ، واتَّبِعُوه ، فكونُوا أَنْصارَه وَأَوْلِيَاءَه ، وَقَدْ آمَنْتُم بِالْكتَابَين ، كِلَيْهِمَا الْأَوَّل والآخر[٤] ، وَأَقرِئُوهُ منِّى السَّلَام ، وَأَخبِرُوه أَنِّى مُصَدِّقٌ به . قَالَ كَعْب : فَتَعَالَوْا فلْنُتَابِعْه ونُصَدِّقه ، فَقَالُوا : لَا نُفَارِقُ حُكْمَ التَّوراة أَبَدًا ، وَلَا نَستَبْدِلُ بِه غيْرَه ، قَال : فإذا[٥] أَبَيْتُم عَلَىَّ هَذِه فَهلُمَّ فَلْنَقْتُلْ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا ، ثُمَّ نَخْرُج إلى مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابه رجَالًا[٦] مُصْلتينَ السُّيُوف[٧] وَلَمْ نَتْرُك وَرَاءَنَا ثقلًا[٨] حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وبَيْن محمد ، فَإِنْ نَهْلك نَهْلك ، وَلَمْ نَتْرُك وَرَاءَنَا نَسْلًا نَخْشَى عَلَيْه ، وإِنْ نَظْهر فَلَعَمْرى لَنَجِدنَّ النِّسَاءَ والأَبْنَاءَ . قَالُوا : أَنَقْتُل[٩] هَؤُلاءِ الْمَساكين ؟! فَمَا خَيْرُ الْعَيْش[١٠] بَعْدهُم ؟ قَالَ : فَإِنْ أَبَيْتُمْ عَلَىَّ هذه فإن اللَّيْلَةَ لَيْلَة السَّبْت ، وَإِنَّه عَسَى وَأَنْ يَكُونَ محمدٌ وأَصحابُه قَدْ أَمنُوا فيْهَا فَانْزِلُوا ، لَعَلَّنَا نُصيبُ منْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِه غرَّة ، قَالُوا : نُفْسدُ سَبْتَنَا

---

(١) كذا فى ط ، وفى ت . م « حين » .

(٢) كذا فى ط ، وفى ت، م « وقد كان » .

(٣) جواس : كذا هنا وفى شرح غريب ذكر اعتراف كعب بن أسد وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥٠٢ « ابن خراش » وتوافقه السيرة الحلبية ٢ : ١١٦ .

(٤) أى التوراة و القرآن (السيرة الحلبية ٢ : ٣٥٧) .

(٥) كذا فى ط ، وفى ت ، م « فإذ » .

(٦) أى مشاة (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣١) .

(٧) كذا فى ط ، وفى ت ، م « مصلتين بالسيوف » .

(٨) فى نهاية الأرب للنويرى ١٧ : ١٨٨ « ثقلا » بفتح الثاء و القاف . وفى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣١ بفتح الثاء ويجوز كسرها .

(٩) فى ت ، م « نقتل » على نية الاستفهام المحذوف همزته ، والمثبت عن ط .

(١٠) على سبيل الاستفهام الإنكارى . كما جاء فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣١ .

ونُحْدِثُ[١] فيه ما لم يُحْدثْ فيه مَنْ كَانَ قَبْلَنَا إلاَّ مَن قَدْ عَلِمْتَ فَأَصَابَه مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ مِنَ الْمَسْخِ ! فَقَالَ : ما بَاتَ رَجُلٌ منكم مُنْذُ وَلَدَتْه أُمُّه لَيْلَةً واحِدَةً مِنَ الدّهرِ حَازِمًا ، فَقَال ثَعْلَبَة وأسيد ابْنَا سَعْيَة ، وأَسَدُ بنُ عُبَيْد ابن عمّهم ، وهم نفرٌ من هذيل[٢] لَيْسُوا مِنْ بَنِى قُرَيْظَةَ ، وَلَا النَّضِير ، نَسَبهم فَوْق ذَلِكَ وَهُم بَنُو عَمِّ الْقَوْم : يَا مَعْشَرَ بَنِى قُرَيْظَةَ ، والله إنكم لَتَعْلَمُون أنه رسولُ الله ، وَأَنَّ صِفَتَه عِنْدَنَا ، وَحَدَّثَنَا بِهَا عُلَمَاؤُنا وَعُلَماءُ بَنى النَّضير ، هَذَا أولهم : يَعْنى حُيَّ بْنَ أَخْطَب مع جُبَير بن الْهَيبَان ـ أنه أصدقُ النَّاس عنْدَنا ، هو خَبَّرَنَا بصفَته عنْدَ مَوْته . قَالُوا : لَا نُفَارِقُ التَّوراة . فَلَمَّا رأَى هَؤُلَاءِ النَّفَرُ إبَاءَهُم نَزلُوا تلْكَ الليلة الَّتى فى صبحها نزلت بنو قُرَيْظَة فَأَسلموا وَأَمِنُوا على أنفسهم وَأَهليهم وَأَموالهم .

وقال عمرو بن[٣] سُعْدَى : يَا مَعْشَرَ يَهُود ، إنكم قَدْ حَالَفْتُم[٤] مُحَمَّدًا عَلَى مَا حَالَفْتُمُوه عليه ، فَنَقَضْتُم عَهْدَه الذى كَانَ بينكم وبينه ، فَلَمْ أَدْخُل فيه ، ولَمْ أَشرككم فى غدركم ، فَإِنْ أَبيتم أَن تدخُلوا معه فاثبتوا على اليهودية وأعطوا الجزْيَةَ فَوَالله مَا أَدرى يَقْبلها أَمْ لا ، قَالُوا : فَنَحْن لا نُقرُّ للعربِ بِخرجٍ[٥] فِى رِقَابِنَا يَأْخذونه ، الْقَتْلُ خَيْرٌ مِنْ ذَلِك[٦] ، قَالَ : فَإِنِّى برئٌ منكم . وخَرَجَ فى تِلْكَ اللَّيْلَة مع ابنى

---

(١) كذا فى ط ، وفى ت ، م « وتحدث فيها »

(٢) من هذيل : كذا فى الأصول ، وفى البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢١ « من بنى هدل ، وهم بنو عم القوم » وسيأتى فى شرح الغريب ص « هدل » مخالفاً ما هنا .

(٣) هو عمرو بن سعدى القرظى . ذكره الطبرى والبغوى وابن شاهين وغيرهم فى الصحابة . وهو الذى نزل من حصن بنى قريظة فى الليلة التى فتح حصنهم فيها فلم يدر أين ذهب . (ابن حجر : الإصابة ٢ : ٥٣١) .

(٤) حالفتم : كذا فى الأصول . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥٠٣ – أما فى السيرة الحلبية ٢ : ٣٥٨ فهى «خالفتم» بالخاء المعجمة .

(٥) فى السيرة الحلبية ٢ : ٣٥٨ « لانقر للعرب بخراج » .

(٦) وهناك رواية أخرى جاءت فى السيرة الحلبية ٢ : ٣٥٨ . وفى لفظ أنه قال لهم قبل أن يقوم النبى صلى الله عليه وسلم لحصارهم : يابنى قريظة لقد رأيت عبرا ، رأيت دار إخواننا – يعنى بنى النضير – خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف والرأى الفاضل والعقل ، تركوا أموالهم قد تملكها غيرهم ، وخرجوا خروج ذل ، لا والتوراة ماسلط هذا على قوم قط ولهم بهم حاجة وقد أوقع ببنى قينقاع وكانوا أهل عدة وسلاح ونخوة فلم يخرج أحد منهم رأسه حتى سباهم ، فكلم فيهم فتركهم على إجلائهم من يثرب ، ياقوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعونى وتعالوا نتبع محمداً ، فو الله إنكم لتعلمون أنه نبى وقد بشرنا به علماؤنا ، ثم لازال يخوفهم بالحرب والسبى والجلاء حتى حلت بهم مقدمة جيش النبى صلى الله عليه وسلم .

سَعْيَة ، فَمَرَّ بحَرَسِ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى الله عليه وَسَلَّم – وعليهم محمد بن مَسْلَمَة ، فَقَال محمد : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : عَمْرُو بْنُ سُعْدَى ، قَالَ مُحَمَّد : مُرَّ اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمنِى إِقَالَةَ عَثَرَاتِ الكرام ، وَخَلَّى سبيله ، وَخَرَج حَتَّى أَتى مَسْجد رسول الله – صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم – فَبَاتَ به حَتَّى أَصْبَحَ فلما أصبح غدا فلم يدْر أَنَّى هُوَ حَتَّى السَّاعة / فذكر شأْنه لرسول الله – صلى الله عليه وسلم . فَقَالَ : « ذَاكَ رَجُلٌ نَجَّاه اللهُ بِوَفَائِه » .

١٥١ و

* * *

ذكر طلب يهود أبى لبابة[1] وما وقع له ونزول توبته

قَالَ أَهْلُ المغازى وَجَدَّ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسَلَّم – فِى حِصَارِهِم ، فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِم الْحِصَارُ أَرسَلُوا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسَلَّم – لَيْلَةَ السَّبت أن ٱبعث إِلَيْنَا أَبا لُبَابه بن[2] عبد المنذر فنستشيره فى أَمْرِنا فَأَرسله إليهم رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلم – فلما رَأَوْهُ قَامَ إليه الرِّجال وبَهَش[3] إليه النِّسَاءُ والصِّبْيانُ يَبْكُون فى وَجْهِه ، فرقَّ لَهُم ، فَقَالَ كَعْبُ بْنُ أَسَد : يَا أَبَا لُبَابة ، إِنَّا قَدْ ٱخْتَرْنَاكَ عَلَى غَيْرك ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ أَبَى إِلاَّ أَنْ نَنْزِلَ عَلَى حكمه أفترى أن ننزل على حكمه ؟ قَال نَعم ، وَأَشَارَ بِيَده إِلَى حَلْقه أى أنه الذَّبح . قَالَ أبو لُبَابَة : فَوَالله مَازَالَتْ قَدَمَاى عَنْ مَكَانِهما حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّى قَدْ خُنْتُ اللهَ وَرَسُوله . فَنَدمْتُ وَٱسْتَرْجَعْت فَنَزَلْتُ وَإِنَّ لحْيَتِى لمبْتَلَّةٌ من الدُّموع ، والنَّاس يَنْتَظرُون رُجُوعى إِلَيْهِم حَتَّى أَخَذْتُ منْ وَرَاءِ الْحصْنِ طَرِيْقًا أُخْرَى ، حَتى جِئْتُ إِلَى الْمَسْجِد ، وَلَمْ آت رَسُولَ الله – صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم – فَٱرتَبَطْتُ وَكَانَٱرْتِبَاطى عَلَى الأسطُوانَةِ[4] المخلقة الَّتِى يُقَالُ لَهَا أُسْطوانة التَّوْبَة ، وَقُلْتُ لَا أَبرحُ مِنْ مَكَانِى

---

(١) هو أبو لبابة الانصارى الموق . أحد النقباء . عاش إلى خلافة على رضى الله عنه ، واسمه – فيما صدر به السهيلى – رفاعة ، وقيل : مبشر ، وقيل بشير بن عبد المنذر (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣١ – وجاء فى السيرة الحلبية ٢ : ٣٥٨ لأنه كان من حلفاء الأوس وبنو قريظة منهم ، وفى لفظ وكان أبو لبابة مناصحاً لهم؛لأن ماله وولده وعياله كانت فى بنى قريظة – وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢٠ .

(٢) لفظ « ابن » ساقط من الأصول . والإثبات عن شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣١ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٣٥٨ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢٠ .

(٣) بهش : كذا هنا ، وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥٠٦ ، ومعناها : أسرع . أما فى شرح الغريب ص فالكلمة « جهش » بالجيم وكذلك فى نهاية الأرب للنويرى ١٧ : ١٨٩ ، وشرح المواهب للزرقانى ٢ : ١١١ .

(٤) أى التى طليت بالخلوق – بوزن رسول – وهو مايخلق به من الطيب (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣٢) .

حَتَّى أموت أو يَتُوبَ اللهُ عَلَيَّ مِمَّا صَنَعْت ، وَعَاهَدتُ الله تَعَالى بِأَلا أَطَأَ أَرْضَ بَنِى قُرَيْظَة أَبَدًا وَلَا أُرَى[1] فِى بَلَد خُنْتُ اللهُ تَعَالى ورسوله ـ صَلَّى الله عليه وَسَلَّم ـ فيه أَبدًا ، وَبَلَغَ رَسُولَ الله ـ صَلَّى الله عليه وسلم ـ ذهَابِى وَمَا صنَعْتُ ، فَقَال : « دَعُوه حَتَّى يُحدِثَ الله تَعَالَى ـ فيه مَا شاءَ ، لَوْ كَانَ جَاءَنِى اسْتَغْفَرْتُ له ، فَإِذَا لَم يَأْتِنِى وَذَهَب ، فَدَعُوه » .
وَأَنْزَلَ الله تعالى : ﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُم تَعْلَمُونَ[2] ﴾ قَالَ أَبُو لُبابة : فكُنْتُ فِى أَمْر عَظِيم ، فِى حَرٍّ شَدِيد عدَّة لَيَالٍ لَا آكُلُ فيهِنَّ وَلَا أَشْرَب ، وَقُلْتُ : لَا أَزَالُ هَكَذا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيا ، أَو يَتُوبَ الله عَلَيَّ . وَأَذكُرُ رُؤْيا رَأَيتُهَا فِى النَّوم وَنَحْنُ مُحَاصِرُونَ بنى قُرَيْظَة . كَأَنِّى فى حَمْأَةٍ آسنَة ، فَلَمْ أَخْرُجْ منْها حَتَّى كِدْتُ أَمُوتُ منْ رِيحهَا ، ثُمَّ أَرى نَهْرًا جَارِياً فَأَرَانى اغْتَسَلْتُ فيه حَتَّى اسْتَنْقَيْتُ وَأَرَانِى أَجِدُ رِيحًا طَيِّبَةً فَاسْتَعْبَرتهَا أَبَا بَكْر فَقَالَ : لَتَدْخلَنَّ فِى أَمْرٍ تَغْتَمُّ له ، ثمَّ يُفَرَّجُ[3] عنْدَئذ ، فكنت أَذْكُرُ قَوْلَ أَبِى بَكْرٍ وَأَنَا مُرْتَبِطٌ ، فَأَرْجُو أن يُنْزِلَ اللهُ تَعَالَى ـ تَوْبَتى . قَالَ : فَلَمْ أَزَل كَذَلك حَتَّى مَا أَسْمَعَ الصَّوتَ منَ الْجَهْد ـ وَرَسُولُ الله ـ صلى الله عَلَيْه وسلم ـ يَنْظُرُ إِلَيَّ .

قَالَ ابن هشَام : أَقَامَ مُرْتَبِطًا ستَّ لَيَالٍ تَأْتيه امرأَتهُ كلَّ صَلاَةٍ فَتحلُّه حَتَّى يَتَوضَّأَ ويصلي ثمَّ يَرْتَبِط .

وَقَالَ ابن عُقْبَة : زَعَمُوا أَنَّه ارتبط قَرِيباً منْ عشْرِينَ[4] لَيْلَة . قَالَ فى الْبِدَاية : وَهَذَا أَشْبَهُ الْأَقَاوِيل ، وَقَالَ ابنُ إِسْحَاق : أَقَامَ مُرْتَبِطًا خَمْسًا وَعشْرِين لَيْلَةً .قَالَ أَبُو عمر[5] : روى ابن وهب عَنْ مَالك عَنْ عبْد الله بن أَبي بكر أَن أَبَا لُبَابَة ارْتَبَطَ

---

(١) أرى : بفتح الهمزة كما سيجيء فى شرح المفردات ص . وفى شرح المواهب للزرقانى فى ٢ : ١٣٢ « بضم الهمزة وفتح الراء » .

(٢) الآية ٢٧ من سورة الأنفال .

(٣) كذا فى ط ، م ـ وفى ت « يفرج عنك »

(٤) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢٠ .

(٥) أبو عمر : هو الحافظ أبو عمر بن عبد البر (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣٢) .

بِسلْسِيلَة رَبُوضٍ-والرَّبُوضُ الثَّقيلَةُ - بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَة حَتَّى ذَهَبَ سَمْعُه فَمَا يَكَادُ يَسْمَع ، ويَكَادُ[1] يَذْهَبُ بَصَره . وَكَانَتْ ابنته تَحُلُّهُ إذا حَضَرَت الصَّلاةُ أو أَرَادَ أن يَذْهب لحاجته فإذا فَرَغَ أعَادَت الرباط . والظَّاهر أَنَّ زَوْجَته كَانَت تُبَاشرُ حَلَّهُ مَرَّةً وَابنَته مَرَّة .

وَأَنْزَلَ الله تَعَالى - فى تَوْبَة أَبِي لُبَابة ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى الله أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ[2] ﴾

قَالَ ابنُ إسْحَاق : حَدَّثَنى يزيد بن عبد الله بن قُسَيْط[3] : إن تَوْبَةَ أَبِي لُبَابة نزلت على رَسُولِ الله - صَلَّى الله عليه وَسَلَّم من [السحر][4] وَهُوَ فى بَيْت أمّ سلمة ، قَالَت أمُّ سَلَمَة: فَسمعْتُ رَسُولَ الله - صَلَّى الله عليه وَسَلَّم منَ السَّحر وَهُو يَضْحكُ ، قَالت : فَقُلْتُ : يَارَسُولَ الله مِمَّ تَضْحَكُ ؟ أَضْحَكَ اللهُ سنَّك ؛ قَال : « تيبَ عَلَى أَبِي لبَابَة » قَالَت : قُلْتُ أَفَلاَ أُبَشِّرُهُ يَارَسُولَ الله ؟ قَال : بَلَى إنْ شئْت » قَالَ : فَقَامَت عَلَى بَابِ حُجْرَتها - وَذَلكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهِن الحجاب - فَقَالَتْ : يَا أَبَا لُبَابة ، أَبْشرْ فَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَيْكَ قَالَت : فَسَارَ النَّاس إلَيْه ليُطْلقُوه ، فَقَالَ : لَا وَالله حَتَّى يكونَ رَسُولُ الله - صَلَّى الله عليه وَسَلَّم - هُوَ الَّذى يُطْلقُنى بيده . فَلَمَّا مَرّ عليه خَارِجًا إلى صَلَاة الصُّبح أَطْلَقَه . قَالَ السُّهَيْلِىُّ وَرَوى حَمَّاد بن سلمة عَنْ على بن زيد عن على بن الحسين - رضوان الله عليهم أجمعين - قال : إن فاطمة - رضى اللهُ عنها . جاءَت تَحُلُّه فقال إنِّى حَلَفْتُ أَلا يَحُلَّنى إلا رسول الله - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - فقال النبى - صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّم : « إنَّ فَاطمَة بِضْعَةٌ منِّى » قلت : على بن زيد هو ابن جدعان ضعيف ، وعلى ابن الحسين روايته مرسلة - قَالَ أَبو لُبَابة : يارسولَ الله إنَّ منْ تَوْبَتى أَنْ أَهْجُرَ

---

(١) كذا فى ط ، م . وفى ت « وكاد » .

(٢) الآية ١٠٢ من سورة التوبة .

(٣) يزيد بن عبد الله بن قسيط : بقاف ومهملتين مصغراً - ابن أسامة الليثى أبى عبد الله المدنى الأعرج الثقة توفى سنة ١٢٢ هـ روى عنه الستة (شرح المواهب ٢ : ١٣٢) .

(٤) الإضافة عن السيرة لابن هشام ٢ : ٢٣٧ .

دَارَ قَوْمِى الَّتى أَصَبْتُ فيها الذنب ، وَأن أنخلع منْ مَالى كلِّه صَدَقَةً إلى الله وَإلَى رسوله .

قَالَ : « يجزئك الثُّلث يَا أَبا لُبابة[1] » .

* * *

ذكر نزول بنى قريظة على حكم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ورده الأمر إلى سعد بن معاذ — رضى الله عنه

فَلَمَّا جَهَدهم الْحِصَارُ ، نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُول الله — صلَّى اللهُ عليه وسلَّم — فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ — صَلَّى الله عليه وسلَّم بأَسراهم[2] فكُتِّفوا رِبَاطا ، وَجَعَلَ عَلَى كِتَافِهِم محمد بنَ مَسْلَمة ، وَنُحُّوا نَاحيةً ، وَأَخْرَجُوا النِّسَاءَ والذرية مِنَ الْحُصُون فَكَانوا نَاحية واَسْتَعْمَلَ عليهم عَبْدَ الله بن سَلام ، وَجُمعَتْ أَمتعتُهم وَمَا وُجِدَ فى حُصُونهم مِنَ الْحلْقَة والْأَثَاث وَالثِّيَاب ، وَوَجَدُوا فيها أَلْفًا وخمسمائة سيف وثلاثمائة درع ، وَأَلْفَىْ رُمْح ، وألفاً وخمسمائة تُرْس وحجَفة[3] وَأَثَاثًا كثيرا ، وآنية كثيرة ، وَخَمْراً ، وَجِرَارًا ، وسكرا[4] فَهُرِيقَ ذَلكَ كله . وَلَمْ يُخَمِّسْه وَوَجَدَ مِن الجِمَال النَّوَاضِح عِدَّةَ ، وَمِنَ الْمَاشيةِ شَيْئًا كثيرا ، فجمع هذا كله .

وَتَنَحَّى رسول الله — صلى الله عَلَيْه وَسَلَّم — وَجلَس وَتَوَاثبت[5] الْأَوْس إلى رَسُولِ اللهِ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم — فَقَالوا : يارَسُولَ اللهِ حُلَفَاؤُنَا دُونَ الخزرج ، وَقَدْ رأَيتَ ما صنعتَ بِبَنى قَيْنُقَاع بِالْأَمْس حلفاء ابن أُبَىّ وهبتَ له ثَلاثَمائة حَاسِر ، وأربعمائة دارع . وَقَدْ نَدِمَ حُلَفَاؤُنَا عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَقْضِهِم العهد فَهَبْهُم لَنَا ، ورَسُولُ اللهِ — صَلَّى الله عليه وسلم — سَاكتٌ لَا يَتَكَلَّم حَتَّى أَكْثَرُوا عَلَيْه وأَلحوا وَنَطَقَتْ الْأَوس كلها ، فَقَالَ رَسُولُ الله — صَلَّى الله عليه وَسَلم : « أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يكونَ / الحكمُ فيهم إلى رجل منكم » ؟ قَالُوا : بَلَى . قَالَ : « فَذَلِكَ إلَى سَعْد بن مُعَاذ » . ١٥٢ و

---

(١) كذا فى ط . وفى ت ، م « يجزيك يا أبا لبابة الثلث » .

(٢) كذا فى ط . وفى ت ، م « بأسرائهم » .

(٣) الحجفة : بفتح الحاء والجيم والفاء ، وهى الترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب (الصحاح ص ١٣٤١) .

(٤) فى مغازى الواقدى ٢ : ٥١٠ « وجرار سكر » .

(٥) كذا فى ط ، وفى ت ، م « ودنت » وتوافقهما (مغازى الواقدى ٢ : ٥١٠) .

وَقَالَ ابْنُ عُقْبَة : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : « اخْتَارُوا مَنْ شِئْتم مِنْ أَصْحابي » فَاخْتَارُوا سَعْدَ بْنَ مُعَاذ ، فَرَضِيَ بذَلِك رَسُولُ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلم – وَسَعْدٌ يومئذٍ فى المسجد بِالمدينة ، فى خيمة كُعَيْبَة بنت سُعَيْد – بالتَّصْغير فيهما – الأَسْلَمِيّة[1] ، وكَانَتْ تُدَاوِى الْجَرْحى وتَلُمُّ الشَّعْث ، وتقوم عَلَى الضَّائِع الَّذِى لَا أَحَدَ له ، وَكَانَ لَهَا خيمةٌ فى المسجد ، وَكَانَ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلم – جعل سَعْدَ ابنَ مُعَاذٍ فيها لِيَعُودَه مِنْ قريب فَلَمَّا جَعَلَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلم – الحُكْمَ إلى سَعْدٍ خَرَجَت الأَوْس حَتَّى جاءُوه فَحَمَلُوه عَلَى حِمَارٍ بِأعرابى بشَنَذَة[2] مِنْ ليف وَعَلَى الحمار قطيفة فَوْقَ الشَّنَذَة ، وخطامه مِنْ ليف ، وَكَانَ رجُلاً جَسِيمًا ، فَخَرَجُوا حَوْلَه يَقُولُون : يَا أَبَا عمرو ، إنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلم – قَدْ وَلَّاكَ أَمْرَ مَوَالِيك لِتُحْسِنَ فيهم ، فَأَحْسِنْ فَقَدْ رأيتَ ابنَ أُبَىّ وَمَا صَنَعَ فى حُلَفَائه ، وأكثروا مِنْ هذا وشِبْهِه ، وَهُوَ لَا يَتكلم ، حَتَّى إذا أكثروا عليه قال سعد : قد آنَ لسعدٍ أَلَّا تَأْخُذَه فى الله لومةُ لَائم ، فقال الضَّحّاك بن خليفة بن ثعلبة بن عَدِىّ بن كعب بن عبد الأَشْهَل الأَنْصارِى : وَاقَوْمَاه ! وَقَالَ غيرُهُ منْهُم نَحْوَ ذلك ثُمَّ رَجع الضَّحّاكُ إلى الأَوْسِ فَنَعَى لهم رِجَالَ بنى قُرَيْظَة قَبْلَ أَنْ يَصلَ إِلَيْهِم سعد ؛ عنْ كَلِمَتِهِ الَّتِى سَمِعَ مِنْه ، وأقْبَلَ سعدٌ إلى رسُولِ اللهِ – صَلَّى الله عليه وَسَلَّم والنَّاس حَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى عليه وسلم جُلُوسٌ ، فَلَمَّا طلع سَعْدُ بن مُعَاذ – وفى الصَّحِيحَيْن – فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْمَسْجِد : أى الذى كان فيه رَسُولُ اللهِ – صَلَّى الله عليه وَسَلم – أَعَدَّه بِبَنِى قُرَيْظَة – أيام حِصَارِهِم – للصلاة ، قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلم : « قُومُوا إلى سَيِّدكُم » وفى لفظ « خَيْرِكم » فَأَمَّا المهاجرون مِنْ قريش فَإنَّمَا يقولون[3] : إنَّما أراد الأَنْصار ، وأَمَّا الأَنْصارُ فَيَقُولُون : قَدْ عمَّمَ بها رَسُولُ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلم – المسلمين ، وَعِنْدَ الإمام أحمد « قُومُوا إلَى سَيِّدكم » فَأَنزلوه ، وَكَانَ رجال من بنى عبد الأَشْهل يقولون : قُمْنَا له عَلَى أرجلنا صَفَّيْن ، يُحَيِّيه كُلُّ رجُلٍ منّا حتّى أنتهى إلى رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وَسَلم .

---

(١) عبارة السيرة لابن هشام ٢ : ٢٣٩ « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ فى خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة فى مسجده » .

(٢) الشنذة : شبه إكاف يجعل لمقدمته حنو (النهاية ٢ : ٢٣٨) وهى فى ت ، م « شندة » بدال مهملة .

(٣) كذا فى ط ، وفى ت ، م « فيقولون إنما أراد الأنصار » .

وفى حديث جَابِرٍ – رضى الله عنه : عِنْدَ ابن عايد ، فقال رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم :– احكمْ فيهم يا سعد ، فقال : اللهُ ورسوله أحق بالحكم . قال : « قَد أَمَرَكَ اللهُ أَنْ تَحْكُمَ فيهم » . وَقَالَت الأَوسُ الَذين بَقُوا عند رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلم : يا أبا عمرو : إنَّ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلم – قد وَلاك الحُكْم فى أَمرِ مَوَاليك فَأَحْسِن فيهم ، واْذكر بَلاءهم عنْدَك[1] ، فَقَالَ سَعْد : أَترضَوْن حُكمى لبنى قُرَيْظَة ؟ قالوا : نعم ، قد رضينا بِحُكْمك ، وَأَنْتَ غائبٌ عنا ، اختياراً منا لك ، ورَجَاء أَنْ تمُنَّ علينا كما فعل غيْرُك بِحُلَفَائه بنى قَيْنُقَاع ، وأثرنا عندك أَثرُنا ، وأحوج ما كنا اليوم إلى مُجَازَاتك . فقال سعد : ما آلوكم جهداً ، فقالُوا : مَا يَعْنى بِقَوْلِهِ هَذَا ؟ ثم قال سعد : عليكم عهدُ اللهِ وميثاقُه ؛ أَنَّ الحكم فيهم ما حكَمت ؟ قالوا : نعم ، ثم قَالَ سَعْد لِلنَّاحية الَّتى فيها رسولُ الله – صلَّى اللهُ عَلَيْه وَسلَّم – وهو مُعْرِضٌ عنها[2] إجْلاَلاً لرسولِ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – وَعَلَى مَنْ هاهنا مثل ذلك ؟ / ١٥٢ ظ فقالَ رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – ومنْ معه : « نعم » قَالَ سَعْد : فإنِّى أَحكمُ فيهم أَنْ يُقتَل كلُّ مَنْ جَرَت عَلَيه المُوسَى ، وتُسْبَى النِّسَاءُ والذُّرِّية ، وتُقَسَّم[3] الأَموال وتكون الدِّيارُ للمهاجرين دون الأَنْصار . فقالت الأَنْصار . إخواننا كنَّا معهم ، فَقَالَ : أَحْبَبْتُ أَنْ يَسْتَغْنُوا عنكم » فقال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – : لقد حكَمْتَ فيهم بِحُكْمِ اللهِ الَّذِى حَكَم بِهِ من فوق سَبْع سَموات[4] .

---

(١) أى مناصرتهم ومعاونتهم لك قبل هذا اليوم (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣٤) .

(٢) كذا فى الأصول ، وفى السيرة الحلبية ٢ : ٣٦٢ « وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له » . وفى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣٢ « وهو معرض عنه » .

(٣) تقتل وتسبى وتقسم : بالبناء للمفعول : لأنه جواب لقومه الأنصار ، وقيل بالبناء للفاعل ؛ لأنه جواب لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم احكم فيهم ياسعد (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣٥) .

(٤) فى ت « من فوق سبعة أرقعة » وفى السيرة الحلبية ٢ : ٣٦٢ « من فوق سبعة أرقعة » . والمراد أن شأن هذا الحكم العلو والرفعة » وجاء فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣٥ « سبعة أرقعة – بالقاف جمع رقيع بتذكير العدد على معنى السقف كما قال ابن دريد – إذ السماء مؤنث سماعى فقياسه سبع أرقعة بتأنيث العدد » وفى القاموس الرقيع كأمير : السماء أو السماء الدنيا .

والحديث أخرجه النسائى وهو من رواية محمد بن صالح بن دينار التمار المدنى مولى الأنصار ، صدوق يخطىء . مات سنة ثمان وستين ومائة .

وذكر ابن إسحاق فى غير رِوايَة البَكَّائِى : أَنَّ رسُولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قَالَ فى حُكْمِ سَعْد : « بِذَلِكَ طَرَقَنِى المَلَكُ[١] سَحَرًا ، وَكَانَ سعدُ بنُ مُعَاذ فى الليلة التى فى صبيحتها نَزَلَتْ بنو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ رَسُولِ الله – صَلَّى الله عليه وسلم – قَدْ دَعَا فَقَال : اللَّهُمَّ إنْ كُنْتَ أَبقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فأَبقنى لَهَا فَإِنَّه لَا قَوْمَ أَحَبُّ إِلَىَّ أَن أُقَاتِلَهُم مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَك آذوه وَأَخْرَجُوه ، وَإِنْ كَانَت الحربُ قَدْ وَضَعَتْ أَوْزَارَهَا عَنَّا وَعَنْهُم فَاجْعَلْهَا لى شَهَادَة ، وَلَا تُمتنى حَتَّى تُقر عينى مِنْ بَنِى قُرَيْظَة ، فَأَقَرَّ اللهُ تَعَالَى عَيْنَه منْهُم

* * *

ذكر قتلهم واخذ اموالهم وسبى ذراريهم

فلما حَكَم سعدُ ، بما حَكَمَ ، وَانْصَرَفَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – يوم الخميس لتسعٍ[٢] ليالٍ كما ذكر محمد بن عمر وابن سعد ، وجزم به الدّمياطى ، وقيل لخمسٍ – كما جُزم به فى الإشارة – خَلَوْن من ذى الحجة ، وأَمَرَ بِهم فأُدْخِلُوا المدينة ، وأَمر رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – بالسَّبْى فَسِيقُوا إلى دَار أُسَامَة بْنِ زَيْد ، والنِّساءُ والذُّرِّية إلى دَارِ رَمْلَة[٣] بِنْتِ الْحَارِث ، ويُقَال حُبِسُوا جميعاً فى دار رمْلَة ، وأمر لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بأَحمال تَمْر فنشرت لهم ، فَبَاتُوا يَكْدِمُونَهَا كَدْمَ الحُمُر ، وَأَمَرَ بالسِّلَاح والْأَثَاث والْمتَاع والثياب فحمل إلى دار [ابنة الحارث[٤]] وبالإبل والغنم ترعى هناك فى الشَّجر ، فَلَما أَصبح رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – غَدَا إِلَى السُّوق ، فَأَمَرَ بأُخْدود فخُدَّت[٥] فِى السُّوق مَا بَيْنَ مَوْضِع دَارِ أَبِى الْجَهْمِ العدوى

---

(١) الملك : فى الأصل الملك بكسر اللام كما جاء الضبط أيضا فى شرح الغريب .

(٢) فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣٦ ذكر الروايات المختلفة فى العدد . فروى عن ابن سعد « لسبع » وعن مغلطاى « لخمس » ولكن مؤلفنا يذكر ابن سعد فى القائلين « لتسع » .

(٣) هى رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد زوجة معاذ بن الحارث بن رفاعة (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣٦) ، ويقال إن اسمها نسيبة أو كيسة بنت الحارث بن كريز بن حبيب بن عبد شمس (الروض الأنف ٢ : ١٩٨) .

(٤) بياض بالأصول ، والإضافة عن (مغازى الواقدى ٢ : ٥١٣) .

(٥) كذا فى ت وفى مغازى الواقدى (٢ : ٥١٣) . وفى ط ، م « فخندق »

إِلَى أَحْجَار الزِّيت[1] ، فكان أصحابه هناك يَحْفرون ، وَجَلَسَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومعه علية[2] أصحابه وَدعَا برجَالِ بنى قُرَيْظَة ، فَكَانُوا يخرجُون أَرْسالاً ، تُضْرَبُ أَعْنَاقُهم فى تِلْكَ الْخَنَادِق ، فقالوا لكعب بن أسد – وهم يُذْهَبُ بِهِمْ إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أَرْسَالاً : يَا كَعْبُ ، ما ترى محمدًا يَصْنَع بنا ؟ قال : ما يَسُوءُكُم ، ويلكم ! على كل حالٍ لَا تَعْقِلُون !! أَلَا تَرَوْنَ الدَّاعِى لا ينزِع ، وَأَنَّه مَنْ ذَهَبَ منكم لَا يَرْجع ؟ هو والله السَّيف ، قَدْ دَعَوْتُكُم إلى غَيْرِ هَذَا فَأَبَيْتُم عَلَىَّ قالوا : لَيْسَ هذا بحين عِتَاب ، لولا أَنَّا كَرِهْنَا أن نُزْرى[3] برأيك مَا دخلنا فى نَقْض الْعَهْد الَّذى كان بَيْنَنَا وبَيْنَ مُحَمَّد ، قَالَ حُيَىّ بن أخطب : أتركوا ما تَرَوْنَ من التَّلاَوُم ، فإنه لا يَرُدُّ عنكم شَيْئًا ، واصْبِرُوا للسيف ، وكان الذين يلون قَتْلَهُم علىّ ابن أبى طالب والزبير بن العوام وَجَاءَ سَعْدُ بنُ عُبَادة والحُبَابُ بْنُ الْمُنْذر ، فَقَالا : يا رسول الله ، إن الأَوْس قد كَرِهَتْ قَتْلَ بنى قُرَيْظَةَ لِمَكَانِ حلفهم ، فقال سعدُ بنُ مُعَاذ : ما كرِهَه من الأَوْس أحدٌ فيه خَيْرٌ ، فَمَنْ كَرِهَهُ فَلاَ أرضاه الله . فقام أُسَيْدُ ابن الحُضَيْر – / رضى الله عنه – فَقَالَ : يَارَسُولَ الله : لا تُبْقِينّ[4] دَارًا منْ دُورِ الأَوْس إلاَّ فَرَّقْتَهُم فيها ، فَمَنْ سَخِطَ فلا يُرْغِمُ اللهُ إلاَّ أَنْفَه ، فَابْعَثْ إلى دَارى أَوَّل دورهم ، فَفَرَّقَهُمْ فِى دُورِ الأَوس فَقَتَلُوهم ثُمَّ أُتى بِحُيَىّ بْن أَخْطَب[5] مَجْمُوعَةً يَدَاه إلى عُنُقِه ، عَلَيْه حُلَّة شُقْحِيَّة[6] . وقال ابن إسحاق : فُقَاحِيَّة قَدْ لَبِسها للقتل ، ثُمَّ عمد إليها فشقّها أَنْمُلَةً أَنْمُلَة لِئلاَّ يَسْلُبَه إيَّاها أَحَدٌ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – حين طلع : « أَلَمْ يُمكِّن الله مِنكَ يَا عَدُوَّ الله : قال بلى والله ، أَمَا وَالله مَا لُمْتُ نَفْسِى فِى عَدَاوَتك ، وَلَقَد الْتَمَسْتُ العزَّ فى مكانه فَأَبَى الله إلاَّ أَنْ يُمكّنك . وَلَقَدْ قَلْقَلْتُ

و١٥٣

---

(١) كذا فى ط ، م وفى ت « أحجار الزيت بالسوق » .

(٢) كذا فى ط . وهو المذكور فى شرح المفردات ص أما فى ت ، م ومعه عامة » .

(٣) كذا فى ط ، وفى ت ، م (أن نردى) وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥١٣ (أن نزرى) بضم النون كما أثبتنا .

(٤) كذا فى ت ، م وفى ط « لا تبق دار » .

(٥) هو حيى بن أخطب النضرى ، جاهلى من الأشداء العتاة ، وكان ينعت بسيد الحاضر والبادى ، آذى المسلمين كثيراً (سيرة ابن هشام ٢ : ١٤٨ ، ١٤٩) و (الإعلام للزركلى ٢ : ٣٣١) .

(٦) شقحية : بضم الشين كما سيرد فى شرح المفردات ، وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥١٣ بفتح الشين وسكون القاف . وفسرت فى الهامش بالحلة الحمراء .

كُلَّ مُقَلْقِلٍ ، ولكنه من يَخْذُلِ الله يُخْذَل . ثم أَقْبَلَ على النَّاس فقال : أَيُّها النَّاس ، لَا بَأْسَ بِأَمْرِ الله ، قَدَرٌ وَكِتَابٌ ومَلْحَمَة كتبت على بنى إسرائيل ! ثمَّ جَلَس فضُرِبَتْ عُنُقُه ، وأُتِى بنبَّاش بن قيس وَقَدْ جابذ الذى جاءَ به حَتَّى قَاتَله فدَقَّ الذى جاءَ به أَنفَه فَأَرْعَفَه . فقال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – للذى جَاءَ به « لم صنعتَ هذا به . أَمَا كَانَ فِى السَّيْف كفاية ؟ » فَقَالَ : يَارَسُولَ الله ، جَابَذَنى لأَن يهرب ، فَقَالَ نَبَّاش : كَذَبَ والتَّوراة يَا أَبَا القاسم ، لَوْ خلاَّنى مَا تأخرت عَنْ مَوْطِنٍ قُتِلَ فيه قَوْمِى حَتَّى أَكُونَ كَأَحَدِهِم[1] ، فَقَالَ رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وسَلَّم : « أَحْسِنُوا إِسَارَهُم وَقَيِّلُوهُم وَاسْقُوهُم ، حَتَّى يُبْرِدُوا ، فَتَقْتُلُوا مَنْ بَقِى ، لا تَجْمَعُوا عَلَيْهِم حَرَّ الشَّمْسِ وحَرَّ السِّلاَح » وكَان يَوْمًا صَائِفاً ، فَقَيَّلُوهُم وَسَقَوهُم ، فَلَمَا أَبْرَدُوا رَاحَ رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وَسَلَّم – فقتل مَنْ بقِى ، وأُتِى رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وَسَلَّم – بِكَعْبِ ابْنِ أَسَد ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلم : « كعب » ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِم قَالَ : مَا انْتَفَعْتُمْ بِنُصْح ابْنِ جوَّاس[2] لكُم ، وكَان مُصَدِّقًا بى ، أَمَا أَمَرَكم باتِّباعى ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونى أَنْ تُقْرِئونى منه السَّلاَم » ؟ قال : بَلَى والتَّوراة يا أَبا الْقَاسِم ، ولَوْلاَ أَنْ تُعَيِّرنى يَهُودُ بالجزع من[3] السَّيف لاَتَّبعْتُك ولكنى[4] عَلَى دين يَهُود ، قَالَ رَسُولُ الله – صَلَّى الله عَلَيْه وسَلم – « قَدِّمْه فاضرب عُنُقَه » فَأَمَرَ رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وسَلَّم – بِقَتْلِ كلِّ من أَنْبَتَ منهم .

وروى ابن إسحاق[5] ، والإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذى فى صحيحه ، والنسائى عن عطية القرظِىّ قال : كنْتُ غُلاَماً فَوَجَدُونى لَمْ أُنْبت ، فَخَلُّوا سبيلى .

وروى الطبرانى عَنْ أَسْلم الأَنصارى قَالَ : جَعَلَنى رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسَلَّم –

---

(١) فى ط « أحدهم » وما هنا من ت ، م ومغازى الواقدى ٢ : ٥١٤ .
(٢) جواس . كذا فى الأصول . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥١٦ « خراش » .
(٣) كذا فى ط ، م ومغازى الواقدى ٢ : ١٦٥ . وفى ت « تعيرنى يهود الجزع » .
(٤) فى الأصول « ولكنه على » وما أثبته من مغازى الواقدى ٢ : ٥١٦ .
(٥) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٤٤ .

على أُسَارى قُرَيْظَة ، فكنت أَنْظُر إلى فرج الغلام فَإِنْ رأَيْتُه أَنبَتَ ضربت عنُقَه ، وإِنْ لم أَرَه جعلته فى مغانم الْمُسْلمين .

وَكان رِفاعةُ بن شمْوال[1] القُرَظىُّ رَجلاً قَدْ بَلَغ ، فَلاَذَ بِسَلْمَى بنْتَ قيس أم المنْذر ، أُخت سَليط بن قيس ، وكانت إحدى خَالاَت[2] النبى – صَلَّى الله عليه وسَلم – قَدْ صلَّت الْقِبْلَتَين مَعَ رَسُول الله – صَلَّى الله عليه وَسَلَّم – وَبَايعتْه مع بَيْعة النِّسَاء ، فقالت : يا نبىَّ الله ، بِأَبِى أَنتَ وَأُمِّى ، هَبْ لى رِفَاعة ، فَإِنَّه زَعَمَ أنه سَيُصَلِّى، وَيَأْكلُ لحمَ الجَمَل ، فَوَهَبَهُ لَهَا فاستحيته فَأَسلم بعد .

وَلم يزل ذلك الدأب حتَّى فرغ منهم رسول الله – صَلَّى الله عليه وَسلم – فَقَتَّلُوا إِلى أن غَابَ الشَّفق ، ثُمَّ رَدَّ عليهم التُّراب فى الخندق ، كُلُّ ذَلكَ بِعَيْنِ سَعْد بن مُعَاذ فَاسْتَجابَ اللهُ دَعْوتهُ وَأَقرَّ عيْنَه – رضى اللهُ عنه / ١٥٣ ظ

وَلَم يُقْتَلْ مِن نسائهم إلاَّ امْرَأَةٌ واحدَة منْ بنى النَّضير يُقَالُ لها نُبَاتة[3] تَحْتَ رجل من بَنى قُرَيْظَة يُقَالُ لهُ الْحَكَم ، وَكَان يُحبُّهَا وتُحبُّه ، فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِم الْحِصَارُ بَكَتْ إِلَيْه وقَالَتْ إِنَّك لمُفَارِقى ، فَقَالَ : هو والتَّوراة ، مَا تَرين فَأَنْتِ امرأَةٌ ، فَدَلِّى عَلَيْهِمْ هَذِه الرَّحَى ، فإِنَّا لم نَقْتُلْ مِنهم أَحَداً بعد ، وَأَنْتِ امرأَة ، وَإِنْ يَظْهَرْ محمدٌ عَلَيْنَا فإِنَّه لاَ يَقْتُل النِّسَاء ، وَإِنَّما كَرِهَ أَنْ تُسْبَى ؛ فَأَحبَّ أن تقْتَل ، وكَانت فى حِصْن الزُّبير بن بَاطَا فَدَلَّتْ رَحًى منْ فَوْقِ الْحِصْن ، وَكان الْمُسْلِمُون رُبَّمَا جَلَسُوا تَحتَ الْحِصْنِ يَسْتَظِلُّون فى فَيْئِه ، فَأَطْلَعَتْ الرَّحَى فلَمَّا رَآها الْقَوْمُ انْفَضُّوا ، وَتُدْرِكُ خَلاَّدَ[4] بن سُويد فَتَشْدَخُ رَأْسَه ، فَحَذِرَ المسْلِمُون أَهْلَ الحصن ، فَلَمَّا كَانَ اليومُ

---

(١) شموال : كذا فى الأصول ، وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥١٤ « سموأل » .

(٢) أى إحدى خالات جده عبد المطلب . كما سيأتى فى شرح الغريب ، وانظر السيرة الحلبية ٢ : ٣٧١ .

(٣) نباته : كذا فى مغازى الواقدى ٢ : ١٥٦ ، وفى السيرة الحلبية ٢ : ٣٦٧ ، وفى البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢٦ . وسيرد فى شرح الغريب أن اسمها « بنانه » بموحدة ونون وألف ثم نون – و « ثباته » بالثاء المثلثة فوحدة فألف فثناة من فوق .

(٤) هو خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الخزرجى وانظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٥٤ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢٦ .

الَّذى أَمَرَ بهمْ رَسُول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - أنْ يُقْتَلُوا فيه دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَة - رضى اللهُ عَنْهَا - فَجَعَلَتْ تَضْحَكُ ظَهْرًا لِبَطْن ، وَهِيَ تَقول : سَرَاةُ بَنى قرَيْظَة يُقْتَلُون إذْ سَمِعَتْ صَوْتَ قَائلٍ يا « نباتة » ، قالت أنَا واللهِ الَّتى أُدْعَى ، قالت عَائِشَة وَلِمَ ؟ قَالَتْ : قَتَلَنى زَوْجى ، وَكَانَتْ جَارِيَة حُلْوَةَ [الكلام][1] فَقَالَتْ عَائشةُ : وَكَيْفَ قَتَلك زوجُك؟ قَالت : فى حِصْن الزَّبير بن باطا فَأَمَرَنى فَدَلَّيْتُ رَحَى عَلَى أَصْحَابِ محمد فَشَدَخَتْ رَأْسَ رَجُلٍ منهم فمَات ، وأَنَا أُقْتَلُ به ، فانْطُلِقَ بِهَا ، فَأَمَرَ بِهَا رسُولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّم - فَقُتِلَت ، بِخَلَّاد بن سُويد . فَكَانَتْ عَائشةُ تَقُولُ : لَا أَنْسَى طِيبَ نَفْس نُبَاتَة ، وَكَثْرَة ضَحكهَا ، وَقَدْ عرفتْ أَنَّها تُقْتَل .

وروى أَبُو داود قصَّتها مختصرة .

* * *

ذكر خبر ثابت[2] بن قيس ومَنّ الزبير بن باطا

كَانَ الزَّبِير بنُ باطا منَّ عَلَى ثابت بن قَيْس بن شَمَّاس يَوْمَ بُعاث[3] ، فأَتى ثابتٌ الزَّبيرَ فَقَال : يَا أَبَا عبد الرَّحْمٰن هَلْ تَعْرِفنى ؟ قَال : وَهَلْ يجهلُ مِثْلَكَ مِثْلى ؟ قَالَ ثَابت : إنَّ لَكَ عِنْدِى يَدًا ، وَقَدَرْتُ[4] أن أَجْزِيَكَ بِهَا ، قَالَ الزَّبير : إنَّ الكريم يجزى الكريم وَأَحْوَجُ ما كنتُ إلَيْكَ اليومَ ، فَأَتى ثَابتٌ لِرَسُول الله - صَلَّى الله عليه وَسَلَّم - فَقَال : يَارَسُول الله : إنه كان للزَّبير عندى يَدُ خير [جَزَّ[5]] ناصيتى يَوْم بُعَاث ، فقال : أَذكر هذه النِّعْمَة عندك ، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أجزيه بِهَا ، فهَبْه لى ، فَقَالَ رَسُولُ الله - صَلَّى اللهُ عليه وسلم - : « هو لك » فأَتاه ثابت فَقَال : إنَّ رَسُولَ الله - صَلَّى الله عليه وَسَلَّم - قَدْ وَهَبَكَ لِي ، قَالَ الزَّبير : شَيخ كبير لَا أَهْلَ لى وَلَا مَال بيثرب مَا أَصْنع

(١) الإضافة من مغازى الواقدى ٢ : ٥١٧ .

(٢) هو ثابت بن قيس بن شماس بن زهير ، خطيب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استشهد يوم اليمامة ، وهو ممن شهد له بالجنة (جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٣٧٤) .

(٣) هى الحرب التى كانت بين الأوس والخزرج قبل قدومه - صلى الله عليه وسلم - المدينة ، وكان الظفر فيها للأوس على الخزرج فأخذه الزبير فجز ناصيته ثم خلى سبيله . وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢٥ .

(٤) كذا فى الأصول . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥١٨ « وقد أردت » .

(٥) سقط فى الأصول والإثبات عن مغازى الواقدى ٢ : ٥١٩ .

بالحياة ؟ فَأَتى ثَابِتٌ لِرَسُول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - فَقَالَ يَا رَسُولَ الله : اعْطِنِى مَالَه وأَهْلَه ، فَقَالَ رسولُ اللهِ - صَلَّى الله عليه وسلم : « هو لك » فرجع إلى الزبير ، فَقَالَ : إنَّ رَسُولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قَدْ أَعْطَانى وَلَدَك وأَهلَكَ وَمَالَك ، فَقَالَ الزبير: يا ثابت أَما أَنت فقد كافَأْتنى وَقَدْ قضيتَ الَّذى عَلَيْك يا ثابت : مَافُعِلَ بِالَّذى كَأَن وجهه مرآة صِينيَّةٌ تَتَرَاءَى عَذَارَى الحى فى وجهه ؛ كَعْب بْن أَسَد ؟ قال : قُتِل ، قال : فَمَا فَعَلَ المجلسان ؟ يعنى بنى كَعْب بن قُرَيْظَة وبنى عمرو بن قُرَيْظَة . قَالَ : قُتِلُوا ، قال : يا ثابت : مَا فِى العيش خَيْرٌ بَعْدَ هَؤلاء ، أَرْجِعُ إلى دارٍ قَدْ / كانوا ١٥٤ و حُلُولاً فيها فأَخلد فيها بعدهم ؟ لَا حَاجَةَ لى فى ذلك ، ولكن يَاثَابت انْظُر إلى امرأَتى ووَلدى [فإنهم جزعوا من الموت[1]] فاطلب إلى صَاحبك فيهم أَن يُطلقهم ، وَأَنْ يَرُدَّ أَمْوالَهم ، فَطَلَبَ ثَابت مِنَ النبي - صلى الله عليه وسلم - أَهْلَ الزبير وَمَالَه وولده ، فَرَدَّ رَسُولُ الله - صلى اللهُ عليه وسلم - أَهْلَه وَمَاله إلاَّ السِّلاح . قَالَ الزُّبير : يَاثَابت أَسْأَلك بيدى عِنْدَك إلاَّ أَلْحَقْتَنِى بِالْقَوْم فَمَا أَنَا بِصَائِرٍ لله فَتْلَة دَلْو نَاضِح حَتَّى أَلْقَى الْأَحِبَّة ، قال ابن إسحاق : فقدَّمهُ ثَابت فضُربت عُنُقه ، وقال محمد بن عمر : قَال ثَابت : ما كنتُ لأَقتُلَك ، قَالَ الزَّبير : لَا أُبالى مَنْ قَتَلَنى ، فَقَتَله الزُّبَيْر بنُ العَوَّام . ولَمَّا بَلَغَ أَبَا بكر الصِّديقَ قَوْلُه : « أَلْقَى الأَحِبَّة » قَالَ : يلقاهم وَالله فى نَارِ جَهَنَّم خالدًا مُخَلَّدا !

* * *

ذكر اصطفاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ريحانة بنت زيد النضرية لنفسه

كَانَتْ رَيْحَانة[2] بنت زيد بن عمرو بن خُنَافَة منْ بنى النضير مُتَزَوِّجَةً فى بَنى قُرَيْظَة ، اِصْطَفَاهَا رَسُولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - لنفسه ، وكانت جميلة ، فَعَرَضَ عليها رسُولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - الإِسْلَامَ فَأَبَتْ إلاَّ اليهوديَّة، فَعَزَلَهَا رَسُولُ

(١) الإضافة من مغازى الواقدى ٢ : ٥٢٠ .

(٢) وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢٦ ، وشرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣٧ والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٤٥ ، ومغازى الواقدى ٢ : ٥٢٠ « وقد اختلف فى نسبها وفى اسمها » .

الله ـ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ـ وَوَجدَ فِى نَفْسه فَأَرْسَلَ إلَى ابن سَعِيَّة[1] ، فَذَكَرَ لَهُ ذلك ، فقَال ابْنُ سَعيَّة : فدَاكَ أَبِى وَأُمِّى هى تُسْلم ؟ فَخَرَجَ حَتَّى جَاءَهَا ، فَجَعَلَ يَقُولُ لَهَا : لَا تَتَّبعِى قَوْمَك ، فَقَدْ رأَيْت مَا أَدْخَلَ عَلَيْهِم حُيَيٌّ بنُ أَخطب ، فأَسْلِمى يَصْطَفيك رَسُولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لنفسه ، فأَجابت إلى ذلك ، فبينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أَصْحَابه ، إذ سمع وَقْعَ نَعْلَيْن فقَال : « إنَّ هَاتَيْنِ لنعلى ابن سَعيَّة ليبشرنى بإسلام رَيْحَانة » ، فجاءه ، فقَالَ : يَارَسُولَ الله ، قَدْ أسلمتْ رَيْحَانة ، فَسُرَّ بذَلِك رَسُولُ الله ـ صَلَّى الله عليه وسلم ـ وسَيأتى فى ترجمتها نبذة مِنْ أَخْبَارِهَا وَتَحْرِير نسبها .

* * *

ذكر قسم المغنم وبيعه

لَمَّا اجْتَمَعت المغانم أَمَرَ رَسُولُ الله ـ صَلَّى الله عليه وسلم ـ بالمتاع فبيع فيمن يُرِيدُ ، وبيع السَّبْىُ وقُسِّمت النَّخْلُ أَسْهُمًا ، وَكَانَت الخيلُ ستَّةً وَثَلَاثين فَرَساً ، فَأَسْهَمَ للْفَرَس بسَهْمَيْن ، ولصَاحبه سَهْم ، وَللرَّاجِلِ سَهْم . وَقَاد رَسُولُ الله ـ صَلَّى الله عليه وَسَلَّم ـ ثَلَاثَة أفراسٍ فَلَمْ يَضْرِبْ إلاَّ سَهْمًا وَاحدًا . وَأَسْهَمَ لخلَّاد بن سُوَيْد وَقَدْ قُتل تَحْتَ الْحصْن ، وَأَسْهَمَ لأَبى سِنَان بن مِحْصَن ، مَات وَرسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ يُحاصرهم . وَكَان يُقَاتِلُ مَعَ المسلمين ، وكان الْمُسْلِمُونَ ثلَاثَة آلاف ، وكانت سُهْمَانُ الخيل والرجال على ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهماً ، للفرس سهمان ، ولصاحبه سهم وكان السَّبْى أَلفاً مِنَ النِّسَاء والصِّبيان ، فأَخرج رَسُولُ الله ـ صَلَّى الله عليه وَسَلَّم ـ خُمُسَه قَبْلَ بَيْع الْمَغْنَم ، فَجزَّأَ السَّبْى خمسة أجزاء ، فَأَخذ خُمساً ، وكان يَعْتقُ منه وَيَهب منه ، ويُخْدِم منه مَنْ أَرَادَ وَكَذَلِكَ النخلُ عُزِل خُمسُه ، وَكُلُّ ذلِكَ يُسهم عليه خَمْسَة أجزاء ، ويكتبُ فى سَهْمٍ منها لله ثم يخرج السهم ، فَحَيْثُ صار سهمه أخذه وَلَمْ يَتَخَيَّر ، وَصَارَ الخُمُسُ إلى مَحْمِية بن جَزْء الزُّبَيْدى ، ثم فَضَّ أَرْبَعَة أسهم على الناس وأَحْذى رَسُولُ الله ـ صَلَّى الله عليه وَسَلَّم ـ النِّسَاءَ اللَّاتى حَضَرْن الْقِتَال

---

(١) الضبط عن مغازى الواقدى ٢ : ٥٢٠ ـ وفى سيرة ابن هشام بفتح السين وسكون العين وفتح الياء المخففة .

وَلَمْ يُسْهِم لَهُنَّ ، وَهُنَّ صَفِيةُ[1] بنت عبد المطلب ، وأم عمارة نسيبة ، وأم سَلِيْط ، وأم العلاء الْأَنْصَارِيَّة ، والسُّمَيْراء بنت قيس ، وأم سعد بن معاذ ، وَكَبْشَة[2] بنت رافع

وَلَمَّا بيعت السَّبايا وَالذُّرية ، بَعَثَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلم – بِطائِفة – قال محمد بن عمر – إلى الشَّام مع سعد[3] بن عبادة يبيعهم ويَشْتَرى بِهِمْ سِلاَحًا وَخَيْلاً .

وقال ابنُ إسحاق وَغَيْرُه : بَعَثَ سعد بن زيد الأنْصَارى الْأَشْهَلِى بِسَبايَا مِنْ بَنِى قُرَيْظَة إلى نَجْد ، فَابْتَاعَ لهُم بِهَا خَيْلاً وَسِلاَحًا ، وَاشْتَرَى عُثْمَانُ بن عفان وَعَبْدُالرَّحْمن ابن عوف – رضى اللهُ عنهما – طَائِفَةً فَاقْتسما ، فَسَهَمَه عثمان بِمَالٍ كثير ، وَجَعَلَ عثمان على كل من اشتراه من سبيهم شَيْئًا موفيا[4] ، فَكَانَ يُوجد عِنْدَ الْعَجَائز المالُ وَلَا يُوجَدُ عِنْدَ الشَّوَاب فربح عُثْمَان مَالا كثيراً ، وَذَلِكَ أَنَّ عثمان صَارَ فى سهمه الْعَجَائزْ ، وَيُقَال لَمَّا قَسَّمَ جَعَلَ الشَّوَابَّ عَلَى حِدَةٍ وَالْعَجَائِزَ عَلَى حدَة ، ثُمَّ خَيَّر عبدُ الرحمن عثمانَ ، فَأَخَذَ الْعَجَائِز .

قال ابن أَبِى سَبْرَة : وإنما لم يؤخذ ما جاءت به العجائِز فيكون فى الغنيمة لأنه لم يُوجد مَعَهُن إلا بعد شهر أو شهرين ، فَمن جاء منهن بِالَّذِى وُقِّت لَهُنَّ عُتِق ، فَلَمْ يَتَعَرَّض لهن ، واَشْتَرَى أَبو الشَّحْم اليهودى امرأتين مع كل وَاحِدةٍ مِنْهُنَّ ثَلاَثَة أَطْفَال بِمائةٍ وخمسين دِيْنَارًا ، وَجَعَلَ يَقُول : أَلَسْتُم على دين يهود ؟ فَتَقُولُ الْمَرْأَتَانِ : لَا نُفَارِقُ دين قَوْمِنا حَتَّى نَمُوت عليه ، وَهُنَّ يَبْكِين .

ونهى رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وَسَلَّم – أَنْ يُفرق فى القَسْمِ وَالبَيْع بَيْنَ النِّساء

---

(١) هي عمته – صلى الله عليه وسلم – « السيرة الحلبية ٢ : ٣٦٣ » .

(٢) فى ت « وأم سعد بن معاذ كبشة بنت رافع . وفى مغازى الواقدي ٢ : ٥٢٢ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٣٦٣ « وأم سعد بن معاذ » ولم يذكرا كبشة بنت رافع لا منفردة ولا علماً للكنية التى سبقته .

(٣) مغازى الواقدى ٢ : ٥٢٣ .

(٤) كذا فى ط ، م . وفى مغازي الواقدى ٢ : ٥٢٣ ، وشرحت فى هامشها بأنها الزيادة على الثمن الذى دفعه . أما فى ت فاللفظ « مؤقتاً » .

والذُّرية وَقَالَ : « لا يُفَارقُ[1] بَيْنَ الأُمّ وَوَلَدِها حَتَّى يَبْلغ » . قيل يَارَسُولَ الله وَمَا بلوغه ؟ قال[2] تحيضُ الْجَارِيةُ وَيَحْتَلِم الْغُلاَم » وَكَانَت الأُم وأَولادها الصِّغَارُ تُبَاع مِنَ الْمُشْرِكين منَ الْعَرَب ومن يَهُود . وَإِذَا كَانَ الْوَلَدُ صَغيراً لَيْسَ مَعَه أُمٌّ لم يُبع من المشركين وَلَا منَ الْيَهُود إلاَّ مِنَ المسلمين .

واسْتُشْهدَ يَوْمَ بَنِى قُرَيْظَةَ خَلاَّدُ بنُ سُويد ، ومنذرُ بن محمد .

* * *

ذكر بعض ما قيل من الأشعار فى هذه الغزوة

رَوَى البخارى والنِّسائى عَن البراء بن عَازب – رضى الله عنه – أَنَّ رَسُولَ الله – صَلَّى الله عليه وَسَلَّم – قَالَ لِحَسَّانَ يومَ قُرَيْظَةَ : اهجهم أَوْ هَاجِهِم وَجبْريل مَعَكَ .

وروى ابن مردويه عَنْ جابر – رضى الله عنه ، قَال : لما كان يَوْمُ الأَحْزَاب ، وردَّهُم اللهُ بغيظهم . قَالَ النَّبِىُّ – صَلَّى الله عليه وَسَلم – « مَنْ يَحْمِى أَعْرَاضَ المسلمين ؟ » فَقَامَ كَعْب ، وابنُ رَوَاحة ، وَحسَّان ، فقال لِحَسَّان : « اهجُهُم أَنْتَ فإِنَّه سَيُعينُكَ عليهم رُوحُ القُدُس » ، فَقَالَ حسَّان – رَضِىَ اللهُ عنه :

لَقَدْ لَقِيَتْ قُرِيظةُ ما أَسَاهَا ... وَمَا وَجَدَتْ لِذُلٍّ مِنْ نَصيرِ[3]

أَصَابَهُمُ بَلاَءٌ كَانَ فيه / ... سِوَى مَا قَدْ أَصَابَ بَنِى النَّضِير ١٥٥ و

غَدَاة أَتَاهُمُ يَهْوى إِلَيهم ... رَسُولُ الله كالقَمَر المُنير

له خيْلٌ مُجَنَّبَة تَعَادَى ... بفرسان عليها كالصُّقُور[4]

تَرَكْناهم وَمَا ظَفِروا بِشىءٍ ... دِمَاؤُهُمُ عليهم كالعبير

فَهُم صَرْعَى تَحُومُ الطيْرُ فيهم ... كَذَاكَ يُدانُ ذو العَنَد الفجور

فأَنذِرْ مِثْلَهَا نُصْحًا قُرَيْشًا ... مِنَ الرَّحْمٰن إن قَبِلَتْ نَذِيرى

---

(١) كذا فى ط ، م . وفى ت « لا يفرق » وتوافقها مغازى الواقدى ٢ : ٥٢٤ .

(٢) سقط فى الأصول – والإثبات عن مغازى الواقدى ٢ : ٥٢٤ .

(٣) وانظر هذه القصيدة فى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٢٥٩ ، والبداية والنهاية له ٤ : ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٤) هذا البيت من ت ، م وهو وارد فى المرجعين السابقين وفى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧١ .

وقال أيضاً :

لَقَدْ لقيتْ قُريظَةُ مَا أَسَاهـا ... وَحَلَّ بحِصْنَها ذُلٌّ ذَليـلُ[1]
وَسَعْدٌ كان أَنْذَرَهُم بِنُصْـحٍ ... بِأَنَّ إِلٰهَكُم رَبٌّ جَليـلُ
فَمَا بَرِحُـوا بِنَقْضِ الْعَهْدِ حَتَّى ... فَلاَهُمُ[2] فِى بِلاَدِهِمُ الرَّسُـولُ
أَحَـاطَ بِحِصْنِهِمْ مِنَّا صُفُوفٌ ... لَهُ مِن حَـرٍّ وَقْعَتِهِم صَليـلُ

وَقَال أَيضا :

تَفَاقَدَ[3] معشرٌ نَصَرُوا قُرَيْشًـا ... وَلَيْسَ لَهُم بِبَلْدَتِهِـم نَصيـرُ
هُم أُوتُـوا الكتاب فَضَيَّعُـوهُ ... وَهُم عُمْىٌ عَـن التَّوارة بُـور
كَفَرتُم بالقُـران وَقَـد أُتِيتُمُ ... بِتَصْدِيق الَّذى قَالَ النَّـذير[4]
فَهَانَ عَلَى سَـرَاة بَنى لُـؤَىٍّ ... حَرِيقٌ بِالْبُوَيْرة مُسْتَطِـيرُ

وَقَال أَيْضًا[5]

لقَدْ سَجَمَتْ[6] منْ دمع عينى عَبْرةٌ ... وحُقَّ لعينى أَنْ تَفيضَ عَلَى سَعْد
قَتيلٌ ثَوَى فى مَعْرَكٍ فُجِعَتْ بِـه ... عُيُونٌ ذَوَارِى[7] الدمْع دائمةُ الوَجْد
عَلَى ملَّة الرَّحْمٰن وَارِثُ جَنَّـةٍ ... مَع الشُّهَدَاء وَفْدهَا أَكرمُ الوفْـدِ
فَإِن تكُ قَدْ ودَّعْتَنَا وَتَرَكْتَنَـا ... وَأَمْسَيْتَ فى غَبْراء مُظْلمة اللَّحْد
فَأَنْتَ الَّذى يَاسَعْدُ أُبْتَ بِمَشْهَـدٍ ... كَرِيـمٍ وَأَثْوابِ المَكَارم وَالْحَمْدِ
بِحُكْمِكَ فى حَيَّىْ قُرَيْظَةَ بِالَّـذِى ... قَضَى الله فيهم مَا قَضَيْتَ عَلَى عَمْدِ

---

(١) وانظر هذه القصيدة فى السيرة لابن هشام ٢ : ٢٧٢ .
(٢) فلاهم : فلاه قتله بالسيف ، تقول فليت رأسه إذا ضربته بالسيف (اللسان) .
(٣) انظر القصيدة فى البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٣٦ . وفى السيرة لابن هشام ٢ : ٢٧٢ .
(٤) النذير : المراد به الرسول – صلى الله عليه وسلم – والمعنى أن الله تعالى أخذ عليهم العهد فى التوراة أن يؤمنوا بالرسول إذا بعثه الله تعالى فكفروا بالقرآن ولم يتبعوا حكم التوراة .
(٥) وانظر القصيدة فى السيرة لابن هشام ٢ : ٢٦٩ – والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٣٠ .
(٦) سجمت : فاضت وسالت .
(٧) ذوارى : جمع ذارية وهى السائلة .

فوافق حكمَ اللهِ حُكْمُكَ فيهمُ ... وَلَم تَعْفُ إذْ ذكَّرْتَ مَا كَانَ مِنْ عَهْدِ

فَإنْ كَانَ رَيْبُ الدَّهْرِ أَمْضَاكَ فى الأُلى ... شَرَوْا هَذِه الدُّنْيَا بِجَنَّاتِهَا الْخلْدِ

فَنِعْمَ مصيرُ الصَّادقين إذَا دُعُوا ... إلَى اللهِ يَوْماً لِلْوَجَاهَةِ والْقَصْدِ

وقال أيضاً[1] يبكى سعدَ بنَ معاذ ورجالا من أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم :

أَلاَ يَا لَقَوْمِى هَلْ لِمَا حُمَّ[2] دَافِعُ ... وهَلْ مَا مَضَى من صالح العيش رَاجعُ

تذكرت عَصْراً قد مَضَى فَتهَافَتَتْ ... بَنَاتُ[3] الْحَشَا وَانْهَلَّ منِّى المَدَامعُ

صَبَابَةُ وَجْدٍ ذَكَّرَتْنِى أخوة ... وَقَتْلَى مَضَى فيها طُفَيْلٌ وَرَافعُ

وسعْدٌ فأَصْحَوا فى الْجِنَانِ وَأَوْحَشَتْ ... مَنَازِلُهُم فَالْأَرْضُ منْهُم بَلاَقع[4]

وَفَوْا يَوْمَ بَدْرٍ لِلرَّسُولِ وَفَوْقَهم ... ظلاَلُ الْمَنَايَا وَالسُّيُوفُ اللَّوَامعُ

دَعَا فَأَجَابُوه بحق وَكُلُّهم ... مُطيعٌ لَهُ فى كُلِّ أَمْرٍ وَسَامعُ

فَمَا نَكَلُوا حَتَّى تَوَالَوا[5] جَمَاعَةً ... وَلَا يَقطعُ الآجَالَ إلا المصَارِعُ

لأَنَّهُم يَرْجُون مِنْهُ شَفَاعَةً / ... إذَا لَمْ يكُنْ إلاَّ النَّبِيُّون شافعُ

فَذَلِكَ يَا خَيْرَ الْعِبَادَ بَلَاؤنَا ... إجَابَتُنَا لِلّٰهِ والموتُ نَاقعُ

لَنَا القدَمُ الأُولى إليكَ وَخَلْفنَا ... لأَوَّلنا فى مِلَّةِ اللهِ تَابِعُ

وَنَعْلَمُ أَنَّ المُلْكَ لِلّٰهِ وَحْدَهْ ... وَأَنَّ قَضَاءَ اللهِ لَابُدَّ وَاقعُ

١٥٥ ظ

(١) وانظر القصيدة فى السيرة لابن هشام ٢ : ٢٧٠ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٣٦ .

(٢) حم : بالبناء للمجهول بمعنى قدر .

(٣) بنات الحشا : أراد بها قلبه وما يقرب منه : وذلك لأنها مستكنة فيه .

(٤) بلاقع : جمع بلقع وهو القفر الخالى .

(٥) كذا فى الأصول . وفى السيرة لابن هشام ٢ : ٢٧٠ « تولوا »

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قُرَيْظَةَ بضم القاف وفتح الراء وسكون التحتية وبالظاء المعجمة المشالة فتاء تأنيث ، قال السمعانى هو اسم رَجُلٍ نَزَل أولاده قَلْعَةً حَصِينَةً بقرب المدينة فنسبت إليهم . وقريظة والنضير أَخَوَانِ مِنْ أَوْلَادِ هَارون – عليه الصَّلاة والسَّلام .

الثانى : روى البخارى فى جميع الروايات عَنْ شيخه عبد الله بن محمد بن أَسْمَاء قَال : حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَة بن أَسْمَاء عَنْ نافع عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : قال رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلم : « لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الْعَصْرَ إِلاَّ فِى بَنِى قُرَيْظَةَ » . إلخ . وَوَافَق الْبُخَارِى على لفظ الْعَصْر من طريق جويرية الإِسمَاعِيلِىّ ، وَأَبُو نُعَيم مِنْ طريق أَبِى حَفْص السلمي عن جويرية وَأصحاب المغازى . وَرَوَاهُ الطبرانىّ ، والْبيهقى فى الدَّلائل بإِسْنَادٍ صحيح إلى الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مَالك عن عَمِّه عبيد الله بن كعب . ورواه الطبرانى أَيْضًا مِنْ هَذَا الوجه مَوْصُولاً بذكر كعب بن مَالك والبيهقى عَنْ عَائِشة – رضى الله عنها – ورواه مسلم عن عبد الله بن محمد بن أَسماء بسنده وَقَال : « لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الظُّهْرَ إِلاَّ فِى بَنِى قُرَيْظَةَ » . وَوَافقه ابن سعد ، وأبو يعْلَى ، وابن حِبَّان ، وأَبُو نُعَيْم من غير طريق أَبِى حفص السابق ، قَالَ الحافظ : ولم أره عن جويرية – مِنْ غَيْرِ طريق أَبِى حَفْصٍ السلمى إِلاَّ بلفظ الظهر ، وجمع بينهما بِاَحْتِمَالِ أَنْ يكون بَعْضُهُم قَبلَ الأَمْرِ كَانَ صَلَّى الظُّهْر ، وَبَعْضُهُم لَمْ يُصَلِّهَا . فقيل لِمَنْ لَمْ يُصَلِّهَا ، لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الظُّهْرَ ، وَلِمَنْ صَلاَّهَا لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الْعَصْرَ . أَوْ أَن طائفةً منهم راحت بعد طائِفة ، فقيل لِلطَّائفة الأولى الظُّهر ، والتى بعدها العصر .

قال الحافظ : وَهُوَ جمع لَابأس به ، لكن يُبْعده اتحاد مخرج الحديث ، لأَنَّه عند الشيخين كما بيناه بإِسنادٍ وَاحِدٍ مِنْ مَبْدئه إِلى مُنْتَهَاه ، فيبعد أَنْ يكونَ كلٌّ مِنْ رِجَالِ إِسْنَادِه حَدَّثَ به على الوجهين إذ لو كان كذلك لحمله واحدٌ منهم عن بعض رواته ، وسبق الكلام على ذلك ، ثم قال : هذا كلُّه من حيث حديث ابن عمر ،

أما بالنظر إلى حديث غيره فالأحتمالان المتقدمان فى كونه قال « الظُّهْرَ » لِطَائِفةٍ متجه[1] فيحتمل أن رواية « الظهر » هى التى سمعها ابن عمر ، ورواية « العصر » هى التى سَمِعَها كعبُ بن مالك ، وعائِشَةُ – رضى الله عنهما – وقيل فى وَجْه الجمع أَيْضًا أن يكون – صلى الله عليه وسلم – قال لأَهل الْقُوَّة ، أَو لمن كان منزله قريباً « لا يُصَلِّيَن أَحَدٌ الظُّهْرَ » وقال لغيرهم : « لَا يُصَلِّيَنَ أَحَدٌ الْعَصْر[2] » .

الثالث : أَغْرَبَ ابن التين فَادّعى أن الذين صلوا « العَصْر » صَلُّوا على ظُهُورِ دوابهم ، وأَسْتند إلى أن النزول إلى الصلاة يُنَافِى مقصودَ الإِسْراعِ فِى الوُصُول . قال : فأَما الذين لم يُصَلُّوها عَمِلُوا بالدليل الْخَاصّ وهو الأَمر بالإِسراع فترَكُوا عُمُومَ إِيقَاع « العصر » فى وقتها إلى أن فات ، والذين صلُّوا جَمَعُوا بين دَلِيلَىْ وَجُوب الصَّلاة وَوُجُوب الإِسراع فصَلُّوا رُكْبَانًا ، لأَنهم لو صلُّوا نُزُولاً لكان مُضادًّا لما أُمروا به من الإِسراع ، ولا يُظَن ذلك بهم مع ثُقُوبِ أَفْهَامِهِم قال الحافظ : وفيه نظر ، لأَنه لم يأمرهم بترك النُّزُول ، فلعلهم فهموا أن المراد بأَمرهم أَلا يُصَلُّوا العصر إلاَّ فى بنى قُرَيْظَةَ المبالغة فى الأَمر بالإِسراع ، فبادَرُوا إلى أمتثال أَمره وخصوا وقت الصلاة من ذلك لما تقرر عندهم من تأكيد أَمرها فلا يمتنع أَن ينزلوا فيصلوا ، ولا يكونُ فى ذلك مضادَّةٌ لما أُمروا به . ودَعْوَى أَنهم صلُّوا رُكْبَانًا يحتاج إلى دليل ، ولم أَرَه صَرِيحاً فى شئٍ من طُرُق هذه القصة .

الرابع : يُسْتَفَادُ مِنْ حَدِيث ابْنِ عُمَر ، وَكَعْب بن مالك ، وعائشة ترك تَعْنِيف مَنْ بَذَل وُسْعَه وأجتهد ، فيؤخذ منه عدم تأثيمه ، وحاصل ما وقع فى القِصَّةِ أَن بعض الصحابة حملوا النَّهى عَلَى حَقِيقتِه ، ولم يبالوا بخروج الوقت تَرْجِيحًا لِلنَّهى الثَّانِى عَلَى الأَول ، وهُوَ تَرْك تَأْخِير الصَّلَاة عَلَى وَقْتِهَا[3] وَٱسْتَدَلُّوا بِجَوَازِ التَّأْخِيرِ لِمَن ٱشْتَغَلَ

---

(١) عبارة الزرقانى فى شرح المواهب ٢ : ١٣٠ « فالاحتمالان فى كونه قال الظهر لطائفة والعصر لطائفة مجيئهما متجه »..

(٢) والزرقانى فى شرح المواهب ٢ : ١٣٠ يوافق ما هنا ويضيف « والجمع الأخير – أى هذا الجمع – ظاهر أيضاً بالنظر لغير رواية ابن عمر » .

(٣) كذا فى ط ، وفى ت ، م « عن وقتها » .

بِأَمْرِ الْحَرْبِ[١] ، وَلَاسِيَّمَا الزَّمَانُ زَمَان التشريع ، والبعضُ الآخَر حَمَلُوا النَّهْىَ على غير الحقيقة وأنه كناية عن[٢] الحثِّ والأستعجال والإِسْراع إلى بنى قُرَيْظَةَ : وقال[٣] فى « زاد المعاد » ما حاصله : كل من الفريقين مأْجورٌ بقصده إلا أَنَّ من صلى حاز الفضيلتين : امتثال الأَمر فى الإِسراع ، وأمتثال الأَمر فى المحافظة على الوقت ولا سيَّمَا فى هذه القصة بعينها من الحث على المحافظة عليها ، وأَن مَنْ فاتته حبط عمله ، وإنما لم يُعَنِّف الذين أخروها لقيام عذرهم فى التمسك بظاهر الأَمر ، ولأَنهم أجتهدوا فأَخروا أمتثالا[٤] للأَمر ، لكنهم لم يَصِلُوا إلى أَن يكونوا فى أَصوب من اجتهاد الطائفة الأُخرى .

الخامس : قال السهيلى : قوله « من فوق سَبْع سموات » معناه أَنَّ الحكم نزل من فوق . قال : ومثله قولُ زينب بنت جحش ، رضى الله عنها — : زَوَّجَنِى الله تعالى مِن نَبِيِّه منْ فوْقِ سَبْعِ سَمَوَات ، أَىْ أَنْزَلَ تزويجها مِنْ فَوْق[٥] ، فَالَ : وَلَا يَسْتَحِيلُ وصفه — تعالى — بالْفَوْق ، عَلَى الْمَعْنَى الَّذِى يَلِيق بِجَلَاله لَا عَلَى الْمَعْنَى الَّذى يَسْبقُ إلى الْوَهْم مِنَ التَّحْديدِ الَّذِى يُفْضِى إلى التَّشْبِيه .

السادس : اخْتُلِفَ فى مُدَّة الْحِصَار[٦] فَقَالَ ابْنُ عُقْبَةَ : بضع عشرة لَيْلَة ، وَقَالَ ابْنُ سَعْد: خمس عشرة لَيْلَةً ، وَرَوَى ابْنُ سَعْدٍ عَنْ عَلْقَمَةَ بن وَقَّاص خمساً وَعِشْرِين لَيْلَة : وَرَوَاهُ ابْن إِسْحَاق عَنْ أَبيه عَنْ مَعْبد بن كعب ، وَرَوَاهُ الْإِمَام أَحْمَدُ والطبرانى عَنْ عَائشَةَ — رضى الله عنها .

---

(١) يعقب الزرقانى فى شرح المواهب ٢ : ١٢٩ بقوله : « بنظير ما وقع فى الخندق وأنهم صلوا العصر بعد غروب الشمس : لشغلهم بأمر الحرب . فجوزوا عومه بكل شغل تعلق بالحرب » .

(٢) فى ت ، م « على الحث » .

(٣) أى ابن القيم الجوزى .

(٤) فى ت ، م « لامتثال الأمر » .

(٥) قال الزرقانى فى شرح المواهب ٢ : ١٣٥ « وهذا نحو يخافون ربهم من فوقهم » أى عقاباً ينزل من فوقهم وهو عقاب ربهم » .

(٦) وذكر الزرقانى فى شرح المواهب ٢ : ١٣٠ أنه يمكن الجمع بين الروايتين بأن شدة الحصار كانت خمس عشرة ليلة — وترد إليها رواية بضع عشرة ، وأن مدته كلها خمس وعشرون .

السابع : اختُلف فى عدد من قُتلَ من بنى قُرَيْظَةَ : فعند ابن إسحاق : أنهم كانوا ستمائة ، وَبه جَزَمَ أَبُوعُمَر فى ترجمة سعد بن مُعَاذ ، وعند ابن عائذ من مُرْسَل / قتادة : كانوا سبعمائة . وقال السُّهَيْلى : المكْثرُ يَقُول : إِنَّهُمْ مَا بَيْنَ الثمانمائة إلى التسعمائة ، وفى حديث جابر عند الترمذى والنسائى وابن حِبَّان بإسنادٍ صحيح أنهم كانوا أربعمائة مقاتل ، فيحتمل فى طريق الجمع ، أن يقال إن الباقين كانوا أتباعاً[1] ، وقد حكى ابن إسحاق أنه قيل : إنَّهم كانوا تسعمائة .

١٥٦ ظ

الثامن : فى شرح غريب القصة .

« رَجَّلَ رَأْسَه » بفتح الراء والجيم المشددة : سَرَّحَه

المِجْمَرة – بكسر الميم الأُولى : المبْخَرَة .

عَذيرَك – بفتح الْعَيْن المُهْمَلَة وَكَسْر الذَّال المُعجَمة وَسُكُون التَّحْتيَّة وَفَتْح الرَّاء أى هَات مَنْ يعذرك ، فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِل .

دِحْيَة – بكسر الدَّال المهملة وفتحها : وهو الريش.

إِثْرَه – بكسر الهمزة وسكون الثاء المثلثة ويجوز فتحها ، وحكى تثليث الهمزة .

الاَعْتِجَار بالعمامة : هو أن يلفها على الرأس ، ويرد طرفها على وجهه ولا يَعْمَل منها شيئاً تحت ذقنه .

أُرَى – بضم الهمزة : أظن

الرِّحَالَةُ – بكسر الراء وتخفيف الحاء المهملة : سَرْجٌ[2] مِنْ جُلُودٍ ليس فيه خَشَب ، كَانُوا يَتَّخِذُونَه لِلرَّكْضِ الشَّدِيد ، والجمع الرَّحَائِل .

---

(١) قال ذلك الحافظ بن حجر كما فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٣٧ .
(٢) يقال هى أكبر من السرج وتغشى بالجلود وتكون للخيل والنجائب (لسان العرب ر.ح.ل)

اللَّأمة ـ بالهمزة : الدِّرع ، وقيل : السلاح . ولأْمة الحرب آلته ، وقد يترك الهمز للتخفيف .

الإِسْتَبْرَق : ضربٌ من الدّيباج غليظ .

الدِّيْبَاج : فارسيٌّ معرّب ، وقد تكسر الدال وقد تفتح .

القطيفة : كساءٌ له خَمْل

الماجِشُون ـ بكسر الجيم وضم الشين المعجمة : ومعناه الورد .

الثَّنَايَا ـ جمع ثنية : وهى الثَّنى[1]

حمراء الأَسد : تقدمت فى غزوتها .

الْجَهْد : المشقَّة والتَّعَب .

الصَّفَا ـ بالقصر : الحِجَارَةُ ، وَيُقَالُ : الْحِجَارَةُ الْمُلْس[2]

لأُضَعْضِعَنَّها : لأُحركنَّها وأزلزلنها .

ساطعاً : مرتفعاً .

الزُّقَاق ـ بضم الزاى وتخفيف القاف وَبَعْدَ الأْلِفِ قَاف أُخْرَى .

بَنِى غَنْم ـ بغين مُعْجَمَة مفتوحة وسكون النُّون : بَطْنٌ من الخزرج مِنْ وَلَدِ غَنْم بْنِ مَالِك بن النجار .

كأَنى أَنظر إِلى الغُبار : أَى أَنه مُسْتَحْضِرٌ القصة حتَّى كأَنه ينظر إِليها مُشَخَّصة له بعد تلك المدّة الطويلة .

---

(١) وهى موضع على ثمانية أميال من المدينة (ياقوت . معجم البلدان) .

(٢) فى ت « الحجارة المليس » .

موكِبُ جبريل – بتثليث الباء ؛ الْفَتح بتقدير انظر ، والجرُبَدَل مِنَ الْغبار ، والضَّمُّ خبر مُبْتَدأ مَحْذُوف تَقْدِيرُه هَذَا مَوْكب جِبْرِيل . والموكب : نَوْعٌ مِنَ السَّيْر ، وَجَمَاعَة الفرسان أو جماعة يسيرون[1] وكان السير برفق .

يَا خَيْلَ اللهِ ارْكَبِى » فيه حذف مضاف تقديره : يا فرسان خيل الله اركبي .

* * *

شرح غريب ذكر مسير رسول الله – صلى الله عليه وسلم

لواء الجيش : عَلَمُه ، وهو دون الراية .

ابتدره الناس : سارعوا إليه

المِغْفَرُ – بكسر الميم : ما يلبَس تحت البَيْضَة[2]

القَنَاةُ : الرُّمْح .

اللُّحَيْف[3] : بالضم : يأْتى الكلام عليه فى خيله – صلى الله عليه وسلم .

الْبَهِيّ – بفتح الْبَاء وكسر الهاء وتشديد الياء : لقبُ عبد الله بن يسار لبهائه .

يَعْفُور : يأْتى الكلام عليه فى حُمُرِه – صلى الله عليه وسلم

الصَّوْران – تثنية صَوْر – بالفتح ثم السكون . اسم للنخل المجتمع الصغار موضع فى أقصى بقيع الغَرْقد[4] مما يلى طريق بنى قُرَيْظَةَ .

---

(١) إضافة يقتضيها السياق . ويعززها ما جاء فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٢٨ .

(٢) المغفر : زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة ، وقيل هو رفرف البيضة ، وقيل : هو حلق يتقنع به المتسلح ، قال ابن شميل : المغفر حلق يجعلها الرجل أسفل البيضة تسبغ على العنق فتقيه ، قال : وربما كان المغفر مثل القلنسوة غير أنها أوسع يلقيها الرجل على رأسه فتبلغ الدرع (لسان العرب غ.ف .ر) .

(٣) اللحيف : ضبطه هنا بالضم أى ضم لامه – وفى لسان العرب « اسم فرسه صلى الله عليه وسلم – لطول ذنبه ، وهو فعيل بمعنى فاعل ، كأنه يلحف الأرض بذنبه : أى يغطيها .

(٤) لم يرد هذا اللفظ فى سياق المتن . والغرقد كبار العوسج ، وهو مقبرة أهل المدينة داخل المدينة بأعلى أودية العقيق (ياقوت . معجم البلدان) .

يقذف الرعب : يرميه ويجعله فى قلوبهم[1]

الصَّيَاصِىّ : الحُصُون .

بئرأُنَا – بالضَّم وتخفيف النون كَهُنَا ، وقيل بالفتح وبالتَّشديد كَحَتَّى وقيل كحتى لكن بالموحدة / بدل النون ، وقيل[2] غير ذلك . ١٥٧و

الْحَرَّة : أَرض ذات حجارة سود نخرة كأَنها أَحرقت بالنار

الأَخابِيثُ : جمع أَخبث

أُسَيْد – بضم الهمزة وآخره دال مهملة .

الحُضَيْر – بضم الحاء المهملة

الجُحر – بضم الجيم : الثقب .

خَارُوا : ضَعُفُوا وجَبُنُوا .

« الطاغوت » : ما عُبِدَ مِنْ دُونِ الله .

* * *

شرح غريب ذكر محاصرة المسلمين لبنى قريظة

« النَّبْل » : السِّهام .

يَتَعَاقَبُون : يتناوبون .

الْحلْقَة – بفتح الحاء وسكون اللاَّم : السلاح كله .

إلاَّ أَنْ ينزلُوا على حكمه : على قَضَائه فيهم .

---

(١) فى الأصول « يرميه يجعله » مكرراً العبارة السابقة والمثبت يقتضيه السياق .

(٢) وفى القاموس المحيط : بئر بالمدينة لبنى قريظة وواد بطريق حاج مصر . وانظر نهاية الأرب للنويرى ١٧ : ١٨٧ ، وشرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٢٨ .

شرح غريب ذكر اعتراف كعب بن أسد بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

خِلاَلاً – بكسر الْخَاءِ الْمُعْجمة ، وتخفيف اللاَّم : أَى خِصَالاً ، جمع خَلَّة بفتح المعجمة وتشديد اللاَّم .

إِسْرَائيل : يعقوب .

حُيَىّ – بضم الحاء المهملة وتكسر وتحتيتين ثانيهما مشددة .

أَخْطَب – بفتح الهمزة فخاء معجمة ساكنة ، فطاء مهملة فموحدة .

« عَلَىَّ هذه » ـ بتشديد التحتية ، وهذه : اسم إشارة ، محلها النصب مفعول أَبَيْتم .

جَوَّاس – بجِيم فواو مُشَدَّدة فألف فسين مهملة .

النَّسْل : الولد .

لَعَمْرى – بفتح اللاَّم والعين : أَى وحياتى .

غِرَّةً – بكسر الغين المعجمة وتشديد الرَّاء : الْغَفْلَة .

مُصْلِتِينَ – جمع مُصْلِت بِكَسْرِ اللاَّم ، وبالصَّاد المهملة الساكنة : أَى مُجَرِّدين السيوف من أغمادها .

أُسَيْد – بفتح الهمزة وكسر المهملة ، وقيل إنه بضمِّ الهمزة وبفتح السين .

سَعْيَة – بسين فَعين ساكنة مهملتين فتحتية مفتوحة ، فتاء تأْنيث .

الْهَيِّبَان – بفتح الهاء وكسر التحتية المشدّدة بعدها موحدة .

هَدْل – بفتح الهاء وإسكان الدال المهملة وباللام .

الْخَرْج – بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء بعدها جيم والخراج : ما يُؤَدَّى كل سنة .

جَهشَت إليه – بفتح الجيم والْهَاء : أسرعت متباكية .

الأُصطوانة[1] :

العمد – بالدال ويجوز فتح العين والميم ويكون مفرداً وجمعاً . ويجوز ضم العين والميم أيضاً : والمراد هنا : سوارى المسجد .

المُخَلَّقَة : التى طُلِيَتْ بالْخَلُوق وزن رَسُول ، وهو ما يُتَخَلَّقُ به من الطِّيب . وقيل : هو مائع فيه صفرة .

أرى – بفتح الهمزة .

حَمْأَة : طين أسود .

آسِنَة : مُتغيِّرة .

رَبُوض – بفتح الراء وتخفيف الموحدة المضمومة وبعد الواو ضاد معجمة : أى عظيمة غليظة .

قُسيْط : تصغير قسط .

ثار الناس : نهضوا .

بِضْعَةٌ مِنِّى – بفتح الموحدة وسكون الضاد المعجمة : قِطْعَةٌ مِنِّى .

أَطأً[2] – بهمز آخره .

أَنْخَلِع من مالى : أخرج منه لله .

---

(١) الأصطوانة : وترسم بالسين « الأسطوانة » وأكثر ورودها بالسين .
(٢) كذا فى الأصول : ولم يرد ذكر لكلمة أطأ فى سياق طلب اليهود لأبى لبابة .

شرح غريب ذكر نزول بنى قُرَيْظَة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

جَهَدَهم : اشتد عليهم .

كُتِّفُوا : بالبناء للمفعول .

١٥٧ ظ الأَثاث – بفتح الهمزة : / متاع البيت ، الواحد ، أَثاثة ، وقيل : لاَ وَاحدَ له مِنْ لفظه .

الْجِرَارُ – بكسر الجيم وتخفيف الراء : جمع جَرَّة .

السَّكَر – بفتح السين المهملة والكاف : نبيذُ التمر ، وفى التنزيل (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا[1])

أُهْرِيقَ – بضمٍّ الهمزة وفتح الهاء وتسكن .

حلفاؤنَا : أراد الذين حالفناهم على المناصرة .

قَيْنُقَاع : تقدم ضبطها فى غزوتها .

الْحَاسِرُ – بالحاء والسين المهملتين : الذى لا دِرْعَ عليه .

دارع : صاحب درع .

أَلَحُّوا عليه : تمادَوْا على قولهم .

الشَّعْث : التَّفَرُّق والانتشار .

الضَّائع : الذى ليس له من يقوم بأمره ، وفى لَفْظ الضَّيْعة : بفتح الضاد المعجمة ، وسكون التحتية ، وفتح العين المهملة ، وتاء تأْنيث ، أَى تُرِك وضُيِّع ، وهو أيضاً : مصدر ضاع الشئُ ضَيْعَةً وضياعاً ، وأَضعتُهم : تركتهم .

أعرابى : منسوب إلى الأَعراب ، وهم سكان البادية .

---

(١) سورة النحل ٦٧ .

الشَّنَذَة – بشين معجمة ، فنون ، فذال معجمة مفتوحات ، تشبه الإكاف يُجْعَل لمقدمته حِنوٌ وهو بالكسر واحِد أحناء السَّرج والقَتَب ، وحِنوُ كل شئ اعوجاجه.

الخِطَام – بكسر الخاءِ المعجمة : مَا تُقَادُ بِهِ الدَّابَّة .

آن – بالفتح والمدّ : قرُبَ وَدَنَا .

اللّائم : العاذل .

النّعى : خبر الموت .

تمُنّ عَلَيْنَا : تُنْعم .

مَا آلوكم جُهدا : أى ما أَدع جهدا ولا أقصِّر فى ذلك .

الجُهد : الطَّاقة .

المُوسَى : آلَةُ الحديد التى يُحْلَق بها .

تُسْبَى النِّساء ، السَّبْىُ : النَّهب وأَخْذُ الناس عبيداً وإماءً .

أرْقِعَة[1] : أى السَّموات ، قال ابن دُرَيْد : كذا جَاءَ على لفظ التَّذْكير على معنى السَّقْف قال ابن الأَعرابى : سَمُّوها « الرقيع » لأَنَّهَا مَرْفُوعَة بالنُّجُوم .

المِلِك – بكسر اللَّام .

وَضَعَت الْحَرْب أوزارها : الأَوزار : هنا السلاح وآلة الحرب وهو كناية عن الانقضاء ، وفيه حذف ، أَى حتى يَضَعَ أَهلُ الحرب أَثْقَالهم ، فأَسند الفِعْلَ إلى الحرب مجازا .

* * *

شرح غريب ذكر قتلهم

فَسِيقُوا : من السَّوق بالفتح ، وهو الإسراع .

الكَدْمُ : العضّ .

الحُمُر : الحمير .

---

(١) الرواية التى ساقها مصنفنا « سبع سماوات » وهناك روايات ورد فيها ذكر « سبعة أرقعة » وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٢٢ .

غَدَا ـ سَار غُدْوَة ، أى أول النَّهَار .

الأُخْدُود : شقّ فى الأَرض مستطيل .

أَحْجَارُ الزَّيْت : مكان بالمدينة الشريفة .

أَرْسَالاً ـ بفتح الهمزة : أى طائِفة بعد طائِفة .

عِلْيَةُ أَصْحَابه : أشرافهم .

يُذْهَبُ بهم ـ بضم أَوَّله وفتح ثالثه .

لَايَنْزِع : لا يَرْجِع .

أَزْرَى بِه : قصَّر فى حقه

الحُبَاب ـ بحاءٍ مهملة وموحدتين . وزن غراب .

الحُلَّة : إزار ورداء ، وأَصل تسميتهما بها إذا كان الثوبان جديدين لَمَّا يُحَل طَيُّهما ، فقيل له حُلَّة بهذا الاسم ، ثم استمر عليها .

شُقْحِيَّة[1] بضَم الشين المعجمة ، من شقح البُسْرُ إذا تَلَوَّن .

فُقَاحِيَّة ـ بفَاءٍ مضمومة ، فقاف ، فحاءٍ مهملة ، فتحتية مشدَّدة ، نسب إلى الفُقَاح ، وهو الزَّهر إذا انْشَقَّتْ أَكمامه[2] .

عَمَدَ إليها : قصد .

الأُنْملة : طرف الإِصبع .

التَمَسّ بمثناة فوقية فميم فسين مهملة : طَلَبَ .

---

(١) فى البداية والنهاية لابن كثير ٢ : ١٢٤ « حلة فقحية » وهى ضرب من الوشى .

(٢) كذا فى ط وفى ت ، م « أكمه » .

قَلْقَلْتُ : حرّكْتُ .

من يَخْذُلِ اللهَ يُخْذَل بفَتح الهاء من الاسم الكريم قالهُ السُّهيلي . والضم الظاهر كما فى نسخ صحيحة من السيرة .

المَلْحَمَةُ : القتالُ وموضعهُ أَيْضًا .

جابذه : لغة فى جاذبه ، وقيل : مقلوب منه . إذا جره إليه .

الإسار – بالكسر : القَيْد

/ قَيّلوهم : من الْقَيْلُولة . ١٥٨ و

تُبْرِدُوا : تكسر شدة الحر .

الْجَزَع – بفتحتين : نقيضُ الصَّبر .

لم أُنبتْ – بضمٍّ الهمزة وسكون النون وكَسْر الموحدة .

لَاذَ به : استجار .

سَلْمَى بفتح السين المهملة : إحدى خالات النبى – صلى الله عليه وسلم ؛ أى خالاتَ جَدِّه عبد المطلب ، لأَنَّ أُمه من بنى عَدِىّ بن النَّجَار من الأَنصار .

الدَّأَب – بالسكون والتحريك : العادة والتأَنى .

بنانة – بموحدة ونونين بينهما أَلف ؛ نقله النَّوَوىّ فى مُبْهَماته عن الخطيب . وقال فى المورد : رأَيته بِخَط الحافظ السِّلَفِى بثاءٍ مثَّلثة ، فموحدة ، فأَلف ، ففوقية ، قلتُ : وكذا رأَيته فى نسخةٍ من العيون صحيحة جدًّا قُرئت على مصنفها مَرَّات ، وقرئت على الحافظ ابن حجر وغيره من المُتْقِنِين .

الزُّبير بن بَاطَا – بفتح الزَّاى ، وأَبوه ؛ بموحدة ، فأَلف ، فطاء مهملة فأَلف مقصورة .

شَدَخَه : كسره .

انْطُلِقَ بِهِ – بالبناء للمفعول .

* * *

شرح غريب ذكر خبر ثابت بن قيس – رضى الله عنه

مَنَّ عليْه – بفتح الميم وتشديد النون .

بُعَاث – تَقَدَّمَ الكلام عليه فى أبواب إسلام الأَنصار .

لهُ عِنْدِى يد : نعمة أَنْعَمَها علىَّ .

جَزَّ – بفتح الجيم وتشديد الزاى .

مِرآة – بكسر الميم ، وإسْكان الرّاء فهمزة مفتوحة ممدودة فتاء تأْنيث .

صِينِيَّةٌ : منْسُوبة إلى الصين .

الْعَذَارَى : جمع عَذْراء ، سُمِّيتْ البكر لذلك لضيقها .

الحىّ : القبيلة

الْبَادِى : خلاف الحاضر .

المَحْلُ[1] : الجَدْب .

مُقَدِّمتنا – بكسر الدال المهملة المشددة ؛ مقدمَةُ الحرب : أَوله .

عَزَّال – بعين مهملة مفتوحة فزاى مُشَدَّدة فأَلف فلام .

سِمْوَال[2] – بسين مهملة مكسورة وتفتح ، فميم وآخرهُ لام .

المَجْلِس – بكسر اللاَّم : موضع الجُلُوس ، وبفتح : المصدر .

---

(١) المحل : هذا اللفظ لم يرد فى سياق المصنف ، وإنما ورد فى سياق مغازى الواقدى ٢ : ٥١٩ .

(٢) فى البداية والنهاية ٢ : ١٢٦ يثبت رواية بشين معجمة .

فَتَلةُ[1] دَلْوَنَاضِحِ – قال ابن إسحاق : بالفاء والفَوْقِيَّة أَى مقدار ما يأْخذ الرَّجُلُ الدَّلو التى خرجت من الْبِئْرِ فَيَصُبّها فى الحوض ، ثُمَّ يَفْتِلها أَى يردها إلى موضعها . وقال ابنُ هشام : إنما هو بالقاف والموحدة ، وقَابِل الدَّلو : هو الذى يأْخذها من المستى ، ولفظ الخبر عند أَبى عبيد : فلست صابرا عنهم إفْرَاغَةَ دَلْو .

ما أُبَالى : ما أَهتم ولا أَكترث .

* * *

شرح غريب ذكر اصطفائه – صلى الله عليه وسلم – رَيْحَانة رضى الله عنها

خُنَافَة : بالخاء والنون[2] .

وَجَدَ فى نَفْسه : غضب ولم يُظْهِر ذلك .

* * *

شرح غريب قسم المغنم

قاد ثلاثة أَفْرَاس : جَنَّبَها .

مِحْصَن – بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الصاد المهملتين ثم نون .

السُّهْمَان – بالضم والأَسهم والسهام : النَّصيب .

الرِّثَّة – بكسر الراء وتشديد الثاء المثلثة : وهى متاع البيت الدون .

أَحْذَى بحاء مهملة فذال معجمة : أَعْطَى .

سَهَمَهُ – فعل ماض : أَى غلبه .

مَحْمِيَة – بفتح الميم / وسكون الحاء المهملة وكسر الميم الثانية وتخفيف التحتية . ١٥٨ ظ

---

(١) فى المرجع السابق ٢ : ١٢٥ « قال ابن اسحاق : فيلة – بالفاء والياء المثناة من أسفل ويقول ابن هشام بالقاف والباء .

(٢) بياض فى الأصل وما أثبته : تأكيد لرسم الاسم فى سياق المتن . ولعل المصنف هنا لم يترجح لديه وجه فى الرسم فتركه حتى يطمئن لرأى « وخنافة » كانت من بنى النضير ومتزوجة فى بنى قريظة رجلا يقال له الحكم (شرح المواهب : ٢ : ١٣٧) .

جَزْء ـ بجيم مفتوحة فزاى ساكنة فهمزة .

سَبْرة ـ بفتح السين المهملة وسكون الموحدة .

* * *

شرح غريب قصيدتى حسان ـ رضى الله عنه

ما أَساها : أَرَاد ما ساءها ، فقلب ، والعرب تفعل ذلك فى بعض الأَفعال ، يقولون : رأَى وأَرى فى معنى واحد على جهة القلب .

المُجَنَّبة : التى تجنب ، أَى تقاد .

تعادى : تجرى وتسرع .

الْعَبِير : هنا الزَّعْفَران .

تَحُوم ـ بحاءٍ مُهْمَلَة : تستدبر .

يُدَان ـ بضم التحتية : يُجْزى .

الْعَنَد ـ بفتح العين المهملة والنون والدال المهملة : الخروج عن الحق .

الفَجُور[1] : بفتح الفاء من الفُجور وخفضه على الجواد[2] وقد كان يجوز فيه الرفع على الإقواء فى القوافى . وكذلك من رواه « الفخور » .

[نذيرى][3] هنا مصدر . قال تعالى : (كَيْفَ نَذِيرِ)[4] أى إِنْذَارِى .

تَفَاقَد : فَقَد بعضُهم بَعْضًا ، وهو دُعَاء عليهم .

بور : ضُلاَّل ، أَو هَلْكى من البَوَار : وهو الهلاك .

---

(١) بياض بالأصول والمثبت يقتضيه السياق .

(٢) كذا فى ط ، وفى ت . م «وخفضه على الجوار» .

(٣) سقط فى الأصول ، والمثبت يقتضيه السياق .

(٤) سورة الملك آية : ١٧

السَّراةُ – بفتح السين المهملة : الخِيَارُ .

البويرة : موضع ببنى قُرَيْظَةَ . وتقدم الكلام عليها فى غزوة بنى النَّضِير .

الطَّوَائف : النواحى

السَّعير : النّار الْمُلْتَهبة .

النُّزه : بضم النون : البعد ، يقال فلان يُنَزِّهُ نفسه عن الأَقذار أى يباعد نفسه عنها .

يَضِير– بالضاد المعجمة : بمعنى يَضُر . يقال : ضَارَّة بمعنى ضرّه ، ومن رَوَاهُ بالصّاد المهملة فمعناه تشقق وتقطع .

الباب الحادى والعشرون

فى غزوة بنى لِحْيَان[1] بن هذيل بن مدركة بناحية عُسْفان

وَجَدَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – على عاصم بن ثابت ، وخُبَيْب بن عَدِىّ وأصحابهما[2] المقتولين بالرَّجيع الآتى ذكره فى السَّرايا والبُعُوث . وَجدًا شديدا ، فأظهر أنه يُريد الشَّام ، ليُصِيبَ مِنَ القوم غِرَّة ، فَعَسْكَر من ناحية الجُرُف ، وخرج فى مائتى رَجُل ، ومعهم عشرون فرساً .

قال محمد بن عمر ، وابن سعد ، وابن هشام : وأستخلف على المدينة ابن أم مكتوم . فخرج من المدينة فسلك على غراب[3] ثم على مَحِيص ثم على الْبَتْرَاء ، ثم صَفَّقَ ذات اليسار ، فخرج على يَيْن[4] ثم على صُخَيْرَات الثَّام ، ثم أستقام به الطريق على السَّيَالَة ، فَأَغَذَّ السَّيْرَ سريعاً حتى نزل بطن غُرَان[5] وبينها وبين عُسْفَان خمسةُ أميال حيثُ كان مُصَابُ أصحابه[6] فَتَرَحَّم عليهم ، وَدَعَا لهم فسمِعَتْ به بنو لِحْيَان فهربُوا فى رؤوس الجبال فلم يقدر منهم على أحد ، فأقام يوماً أو يومين ، فبعث السرايا فى كل ناحية ، فلم يقدروا على أحد . فلمَّا أخطأَه من غِرَّتهم ما أراد . قال : « لو أنَّا هَبَطْنَا عُسْفَان لَرَأَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنَّا قد جِئْنَا مَكَّة » فهبط فى أصحابه حتى نزلوا عُسْفَان .

---

(١) وانظر فى غزوة بنى لحيان (مغازى الواقدى ٢ : ٥٣٥ – وابن كثير – البداية والنهاية ٤ : ١٤٩ وشرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٤٧ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٨٠ .

(٢) عبارة الزرقانى فى شرح المواهب ٢ : ١٤٧ « كانوا عشرة أو سبعة ، وأراد بأصحابه – أى عاصم – ما يشمل المقتولين ببئر معونة ، وهم القراء السبعون ؛ لأن عاصما وأصحابه لم يقتلوا بها بل كانوا سرية وحدهم .

(٣) فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٣٦ « على غرابات » وفى الهامش ويقال غراب بصيغة المفرد كما فى ابن إسحاق : وهو جبل بناحية المدينة .

(٤) فى المرجع السابق « بين » بالباء الموحدة . وشرحت فى الهامش بأنها قرية من قرى المدينة تقرب من السيالة (عن معجم ما استعجم ص ١٨٩) وسيرد التعريف بها فى التنبيهات . وانظر وفاء الوفا ٤ : ١٣٣٥ .

(٥) غران : اسم لوادى الأزرق خلف أمج بميل (وفاء الوفا) ٢ : ٣٥٣ وسيرد فى التنبيهات .

(٦) أى الذين قتلوا فى بئر معونة (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٤٧)

قالَ ابن إسحاق : ثم بعث فَارِسَيْن ، وقال ابن عمر ، وابن سعد : بَعَثَ أبا بكر – رضى الله عنه – فى عشرةِ فَوَارِس لتسمع به قريش فَيَذْعَرهم ، فأتوا كُرَاع الْغَمِيم ، ثم رَجَعُوا ولم يلقوا أحدًا / وراح رسولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم – قَافِلاً قال جابر فيما رَوَاهُ ابن سعد : سمعتُ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقولُ : حين رَجَع : « آيبُون تَائبُون – إن شَاءَ اللهُ تعالى – لِرَبِّنَا حَامِدُون » وفى رواية « لربِّنَا عَابدُون ، أَعُوذُ باللهِ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفر ، وكآبةِ المُنْقَلَبِ ، وسُوءِ المنظر فى الأَهْلِ والْمَالِ » . زاد محمد ابن عمر : « اللَّهم بَلِّغنا بَلاَغًا صَالحاً يبلغُ إلى خَيْرِ مَغْفِرتك ورضوانك » قالوا : وهذا أول ما قال هذا الدُّعاء . وغاب – صلى الله عليه وسلم عن المدينة أربع عشرة ليلة ، وقال كعب بن مالك – رضى الله عنه – فى هذه الغزوة .

١٥٩ و

لَوَانَّ بنى لِحْيَان كانوا تناظـروا لَقُوا عُصَباً فى دَرِاهم ذَاتَ مَصْدَق

لَقُوا سَرَعَان يملأُ السَّرْبَ رَوْعُـه أمام طَحُونٍ كَالمَجَـرَّة فيلق

ولكنهم كانوا وِبارًا تَتَبَّعَتْ شِعَاب حِجَانٍ غير ذى مُتَنفَّق

* * *

تَنْبِيهات

الأول : اختلفوا فى أى شهر وفى أى سنةٍ كانت هذه الغزوة فقال ابن سعد : كانت هذه الغزوة لهلال ربيع الأول سنة ست[1] ، وصحح شيخه محمد بن عمر : أنها فى سنة ستٍّ فى رجب ، وقال ابن إسحاق فى رواية البكائى ، وسلمة بن الفضل : على رأس ستة أشهر فى جمادى الأُولى وقال فى رواية يونس كما ذكره الحاكم : فى شعبان ، وقال ابن حزم : الصحيح أنها فى السَّنة الخامسة ، وذكرها بعضهم أنها فى السنة الرابعة ، وجزم الذهبى فى تاريخ الإسلام وغيره من العلماء : بـأنها فى السادسة ، وصححه فى البداية .

(١) الخلاف الموجود هنا له نظير فى كتب السيرة . فهل كانت الغزوة فى ربيع الأول . أو فى رجب ، أو فى شعبان . وهل كانت فى السنة الرابعة ، أو الخامسة ، أو السادسة . ولكن ابن حزم جزم بأنها فى الخامسة . ويقول : إن هذا هو الصحيح ، وهو قول ابن إسحاق (البداية والنهاية ٤ : ١٤٩) (وشرح المواهب ٢ : ١٤٦) و (سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢٧٩) .

الثانى : فى بيان غريب ما سبق :

لِحْيَان – بكسر[1] اللاَّم وسكون المهملة : نسبة إلى لِحْيَان بن هُذَيل[2] بن مُدْركة ابن إلياس بن مُضَر .

هُذَيل – بضم الهاء وفتح الذال المعجمة وباللام .

عُسْفَان[3] – بضم العين المهملة وسكون السين المهملة وبالفاء والنون .

غِرَّة : غَفْلة .

وَجَد على عاصم : حَزِن .

خُبَيْب – بضم الخاء المعجمة وفتح الموحدة .

الرَّجِيع – بفتح الراء وكسر الجيم وزن رضيع : من ناحية الشام على ثلاثة أَمْيَال من المدينة .

الجُرُف – بضم الجيم والراء وبالفاء : موضع قرب مكة ، وآخر قرب المدينة واليمن واليمامة .

غُرَاب – بلفظ الطائر المعروف : جبل شأمى[4] المدينة .

مَحِيْص بفتح الميم وكسر الحاء – وبالصَّاد المهملتين كقَلِيل[5] : موضع بالمدينة .

الْبَتْرَاء : تأْنيث أبتر .

---

(١) فى شرح المواهب ٢ : ١٤٦ « بكسر اللام وفتحها – لغتان » .

(٢) فى المرجع السابق يقول الزرقانى : وزعم الهمذانى النسابة : أن أصل بنى لحيان من بقايا جرهم ، ودخلوا فى هذيل فنسبوا إليهم .

(٣) عسفان : قرية جامعة بين مكة والمدينة على نحو يومين من مكة « وفاء الوفا » (٢ : ٣٤٥)

(٤) فى شرح المواهب ٢ : ١٤٧ « جبل بناحية المدينة ، وفى السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٧٩ « جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام .

(٥) فى د « كحليك » .

صفَّق – بتشديد الفاء : عَدَل .

يَيْن – بتحتانيتين الأُولى مفتوحة والثانية ساكنة وآخره نون . وضبطه الصغانى بفتحهما : وادٍ من أودية المدينة .

صُخَيْرَات – بضم الصاد المهملة وبالخاء المعجمة المفتوحة وسكون التحتية جمع صُخَيْرة بالتصغير .

الثُّمَام – بثاء مثلثة مضمومة ، ورواه المغاربة بالمثناة الفوقية .

السَّيَالة – كسحابة : مكان على ثلاثين ميلا من المدينة .

أَغَذَّ السَّير يَغُذُّه إغْذَاذًا – بغين وذال معجمتين : أى أسرع .

غُرَان – بضم الغين المعجمة وتخفيف الراء وآخره نون : وادى الأَزرق[1] .

يَذعَرهم : يخوفهم .

قافلاً : راجعاً

آيبون : راجعون

/ وعْثَاء السَّفر – بالمثلثة : مشقته . ١٥٩ ظ

الكآبة : الحزن .

تَنَاظَرُوا : أى أنتظر بعضُهم بعضا .

العُصَب – بضم العين وفتح الصاد المهملتين ، وآخره موحدة : الجماعات .

السَرَعَان – بفتح السِّين والراء المهملتين ؛ أول القوم .

---

(١) وادى الأزرق : بين أمج وعسفان وبعيد عن الأخير بخمسة أميال (شرح المواهب ٢ : ١٤٧) .

السَّرْب – بسين مهملة مفتوحة فراء ساكنة : الطريق ، وبكسر السين : النَّفْس .

الرَّوْعُ : الفزع .

طَحُون : كثيفة تطحن كل ما تمر به .

المَجَرَّة – هنا مَجَرَّة السماء ؛ وهى البياض المستطيل بين النجوم .

الْفَيْلَق : الكتيبة الشديدة .

الوِبَار : جمع وَبْر ، دويبة على قدر الهِرّ تشبه بها العرب الضّعَفاء .

الشِّعَاب : جمع شعب وهو المنخفض بين الجبلين .

الحِجَان – بحاءٍ مهملة فجيمٍ فألف فنون : المعوج ، والأَحْجَنُ : المعوج ، ومن رواه الحِجاز[1] بالزاى عنى أَرض مكة وما يليها ، ومن رواه حجار بالراءِ فهو جمع حجر .

غير ذى مُتَنَفَّق : أى ليس له باب يخرج منه ، وأَصله من النَّافِقَاءِ ، وهو أَحد أبواب جحرة اليربوع إذا أخذ عليه من باب الجُحْرِ خرج عليه .

---

(١) وهى رواية ابن هشام فى السيرة النبوية ٢ : ٢٨١)

الباب الثانى والعشرون

فى غزوة الحديبية[1]

والسبب فى ذلك ما رواه الفريابى ، وعبد بن حُميد وابن جرير ، والبيهقىّ عن مجاهد ، وعبد بن حميد ، وابن جرير عن قتادة ، وابن جرير عن ابن زيد ، ومحمد ابن عمر عن شيوخه قالوا : أُرِى رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنَّه دخل مكة هو وأَصحابُه آمنين مُحَلِّقين رؤوسهم ومقصرين ، وأنه دَخَل البيْتَ ، وأخذ مِفْتَاحه وعَرَّف مع المُعَرِّفين[2] .

قال ابن سعد ، ومحمد بن عمر ، وغيرهما : وأَسْتَنْفَرَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ العَرَبَ ومن حَوْله من أَهْلِ البَوادِى من الأَعراب ، ليَخْرُجُوا معه وهو يَخْشى من قريش والذى صنعوا[3] أَنْ يَعْرِضُوا له بحربٍ أَو يَصُدُّوهُ عن البيت . فأَبطأَ عليه كثيرٌ من الأَعراب .

قال محمد بن عمر : وَقَدِمَ عليه بُسْر[4] ـ بضم الموحدة وسكون المهملة . وأَعْجَمَها ابن إسحاق ، وكسر الموحدة ـ ابن سفيان بن عمرو الخُزَاعى فى ليالٍ [بقيت[5]] من شوال مُسْلِمًا ، فقال له رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « يا بُسْر لَا تَبْرَحْ حَتَّى تَخرجَ مَعَنا ، فإِنَّا إِنْ شاءَ الله مُعْتَمِرُون » ، فأَقام وأَبْتَاعَ لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدنا

---

(١) ورد حديث هذه الغزوة فى شرح المواهب ٢ : ١٧٩ . والمغازى للواقدى ٢ : ٥٧١ . والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٦٤ – والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٥٧٢ .

(٢) أى مع الذين وقفوا بعرفات .

(٣) (والذى صنعوا) هذه العبارة مثبتة فى ط .

(٤) فى البداية والنهاية ٤ : ١٦٥ « بشر بن سفيان الكلبى » وجاء فى شرح المواهب ٢ : ١٨١ « والصحيح أنه بسر كما قال الحافظ . وجزم به ابن اسحاق وابن عبد البر وغيرهم . وفى المغازى للوقدى ٢ : ٥٧٢ (بسر بن سفيان الكعبى » .

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من مغازى الواقدى ٢ : ٥٧٢ .

فكان يبعث بها إلى ذى الجَدْر حتّى حضر خروجه ، فأمر بها فَجُلِبَتْ إلى المدينة ، وسلّمها إلى نَاجِيَة[1] بن جُنْدُب الأسلمى فقدّمها إلى ذى الحُلَيفة .

وٱستخلف على المدينة – قال محمد بن عمر ، وابن سعد – : ابْنَ أم مكتوم . وقال ابن هشام : ومن تبعه : نُمَيْلة – بالنون تصغير نملة – بن عبد الله اللَّيْثى ، وقال البلاذرى بعد أن ذكر ابن أم مكتوم ويقال : أَبُورهْم كُلْثُوم بن الحُصَيْن قال : وقَوْمٌ يقولون : ٱستخلفهُم جميعاً[2] وكان ابن أم مَكْتُوم على الصَّلاة .

* * *

ذكر خروجه – صلى الله عليه وسلم

١٦٠ و روى عبد الرزّاق ، والإمام أحمد ، وعبد بن حميد ، والبخارى وأبو داود / ، والنسائى ، وابن جرير ، وابن المنذر عن معمر عن محمد بن مسلم بن شهاب الزّهرى ، وابن إسحاق عن الزهرىّ عن عُروَة بن الزبير عن المِسْوَر – بِكَسْرِ الميم وسكون السين المهملة – ابن مَخْرَمة[3] – بفتح الميم وسكون الْخَاء المعجمة ، ومَرْوان بن الحكم[4] : أنهما حدثاه ومحمد بن عمر عن شيوخه ، يزيدُ بعضُهم على بَعْض – قال محمد بن عمر : دَخَلَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – بَيْتَه فٱغتسل ، ولبِسَ ثَوْبَيْن من نَسْج صُحَار[5] ، وركب راحلته القَصْوَاء من عند بابه ، وخرج بأُم سَلَمة معه ، وأم عمارة وأم منيع أسماء بنت عمرو ، وأم عامر الأشهلية ، وخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ، ومن لَحِقَ به من الْعَرَب لَا يَشُكُّونَ فِى الفتح لِلرُّؤْيَا المذكورة ، وليس معهم سلاحٌ إلا السُّيُوف

---

(١) هو ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم بن عمرو بن وائل بن سهم بن مازن بن سلمان بن أسلم ابن أقصى بن أبى حارثة (البداية والنهاية ٢ : ١٦٥) وكان اسمه ذكوان فغير رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اسمه . وسماه ناجية لما أنه نجا من قريش (السيرة الحلبية ٣ : ١١) .

(٢) فى ب ، م « استخلفهما جميعاً » والمثبت من ط . وعبارة شرح المواهب ٢ : ١٨٠ تتفق مع ب ، م . وانظر الخلاف هناك .

(٣) المِسْوَر بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشى الزهرى له ولأبيه صحبة ، مات سنة أربع وستين (شرح المواهب ٢ : ١٨١) .

(٤) هو مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى أبو عبد الملك . ولى الخلافة فى آخر سنة أربع وستين ، له صحبة (شرح المواهب ٢ : ١٨١) .

(٥) صحار : قرية باليمن ينسب الثوب إليها هامش مغازى الواقدى ٢ : ٥٧٣ .

فى القُرُب ، وساق قَوْمٌ الهَدْىَ فَسَارَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم الاثنين لهلال ذى القعدة حتى نزل ذا الحُلَيْفَة[1] فصلى الظهر ، ثم دَعَا بالبُدْن – وهى سبعون – فَجُلِّلَت[2] ، ثم أَشْعَرَ منها عِدَّة وهى موجهات إلى القِبْلة فى الشِّق الأيمن ، ثم أَمَرَ نَاجيَة بن جُنْدب فأَشعر ما بَقِىَ وقلّدهن نَعْلا نَعْلا ، وأَشعر المسلمون بُدْنَهُمْ وقلدوها ، وكان معهم مائتا فرس ، وبعث – صلى الله عليه وسلم – بُسْرَ بن سفيان[3] عَيْنًا له ، وقدم عبَّاد بن بِشر طليعة فى عشرين فارساً ، ويُقَال جعل أَميرهم سعد بن زيد الأَشهلى .

* * *

ذكر إحرامه – صلى الله عليه وسلم

ثم صلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ركعتين ، وركب من باب المسجد بذى الْحُلَيْفَة ، فلما انبعثت به راحلته مُسْتَقْبِلَةً القبلة أَحْرَم بِالعُمْرَة ؛ ليأْمَن النَّاس حَرْبه ، وليعلم الناس أَنَّه إِنَّما خَرَجَ زائراً لهذا البيت ، ومُعَظِّمًا لَه . ولفظ تلبيته « لَبَّيْكَ اللّهُمَّ لَبَّيْكَ لبَّيْك لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إِنَّ الْحَمْدَ والنِّعْمَةَ لَكَ ، والْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ » . وأَحرم غالبُ أَصحابه ، وأُم المؤمنين أم سَلَمة بإِحرامه ، ومنهم من لم يُحْرِم إلا « بالجُحْفَة » وسلك طريق البيداء[4] ومَرَّ فيما بين مكة والمدينة بالأَعراب من بنى بكر ، ومُزَيْنَة ، وجُهَيْنَة فاستنفرهم ، فتشاغلوا بأَموالهم ، وقالوا فيما بينهم : يريدُ محمَّدٌ يغزو بنا إلى قوم مُعَدِّين[5] فى الكُرَاع والسِّلاح ، وإِنَّما محمد ، وأَصحابه أَكلة جَزُور ، لن يرجع محمدٌ وأَصحابُه من سفرهم هذا أَبدًا ، قومٌ لا سلاح معهم ولا عَدَد .

ثم قدَّم رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – نَاجيةَ بن جُنْدب بالْهَدْى مع فتيانٍ من أَسْلَم ، ومعهم هَدْىُ المسلمين ، ولقى طائِفةً من بنى نَهْد فدعاهم إلى الإِسلام فأَبَوا ، وأَهدوا له لَبَنًا من نَعَمِهم ، فقال : « لَا أَقْبَلُ هَدِيَّةَ مُشْرِك » فابتاعه المسلمون منهم ، وابْتَاعُوا

---

(١) ذو الحليفة : ميقات أهل المدينة .

(٢) أى ألبست الجلال ، جمع جل . وهو الغطاء (الصحاح) .

(٣) الإضافة للتوضيح .

(٤) البيداء : هى التى إذا رحل الحجاج من ذى الحليفة استقبلوها مصعدين إلى المغرب (وفاء الوفا ٢ : ٢٦٧) .

(٥) عبارة الواقدى « معدين مؤيدين فى الكراع والسلاح » مغازى الواقدى ٢ : ٥٧٤ .

منهم ثلاثة أَضُبٍ[1] فأكل قوم أَحِلَّةٌ وسأل الْمُحْرِمُون رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنها فقال : « كُلُوا فكل صيد الْبَرِّ لكم حَلَال فى الإحرام تأْكلونه إلاَّ مَا صِدْتُم أَوْ صِيدَ لكم » . وعطب من نَاجية بن جُنْدُب بعيرٌ من الْهَدْى ، فجاءَ بالأَبْوَاء إلى رسول / الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ وأخبره ، فقال: « انْحَرْه واصبغ قَلَائدَه فى دمه ، وَلَا تأْكُل أَنْتَ وَلَا أحد منْ أهل رُفْقَتكَ منْه ، وخَلِّ بَيْن النَّاسِ وبينه » . ١٦٠ ظ

* * *

ذكر حديث أبى قتادة والصعب بن جثامة وبعض من اهدى له

روى الإمام مالك والستَّة عن أَبِى قَتَادة رضى الله عنه ـ قال : كنت يوماً جَالِسًا مع رِجَالٍ من أصحاب النَّبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمامنا ، والقومُ مُحْرِمون وأنا غير مُحْرِم عام الحُدَيْبِيَةِ ، فأبصروا حماراً وَحْشِيًّا ـ وأنا مشغول أَخْصِفُ نعلى ـ فلم يؤذنونى، وأحبُّوا لَوْ أَنِّى أبصرته ، وفى رواية فرأيتُ أصحابى يتراءون شيئاً ، وفى روايةٍ : يضحكُ بعضهم إلى بعض ، فنظرت فإذَا حمارٌ وحْشِىٌّ فقمت إلى فرسى فأَسْرَجْته ، ثم ركبت ونسيتُ السَّوْط والرُّمْح ، فقلتُ لهم : ناولونى السَّوط والرّمح ، قالوا : والله لا نعينك عليه ، فغضبتُ فنزلتُ فأخذتُهما ، ثم ركبت فشدَدْت على الحمار فعقَرْتُه ، ثم جِئْتُ به وقد مات فوقعوا فيه يأْكلونه ، ثم إنَّهم شكُّوا فِى أكلهم إيَّاه وهم حُرُم ، فرُحْنَا وَخَبَّأْتُ لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الْعَضُد معى ، فأدركنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسألناه عن ذلك فقال لهم : هل منكم أَحَدٌ أَمَرَه أَن يحمل عليه أو أشار إليه ؟ قالوا : لا ، فقال : « كُلُوا مَابَقِى مِنْ لَحمه إنَّما هى طُعْمَةٌ أطعمكموها الله ، هُوَ حَلَال ، هَلْ مَعَكم منه شئٌ ؟ فقلت نعم ، فَنَاوَلْتُه الْعَضُد فأكلها وهو مُحْرِم . وروى الإمام مالك والشيخان والترمذى والنسائى عن الصعب بن جَثَّامَة ـ رضى الله عنه ـ أنه أَهْدَى لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حمارًا وحْشيًّا وهو بالأَبواء أو بودَّان فردّه عليه ، فلما رأى ما فى وجهه[2] قال : إنَّا لم نَرُدَّه عليك إلا أَنَّا حُرُم .

---

(١) أضب جمع ضب وهو من فصيلة الزحافات وذيله كثير العقد . وضرب به المثل فقيل : أعقد من ذنب ضبَ (الوسيط)

(٢) أى من كراهية رد هديته (مغازى الواقدى ٢ : ٥٧٦) .

وأهدى له إيمَاءُ بن رَحْضَة[1] الغفارى مع ابنه خُفَاف بن إيمَاء – رضى الله عنه – مائة شاة وبعيرين يحملان لَبَنًا ، فقال : « بَارَكَ اللهُ فيكم » وفَرَّق ذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأهدى له بعضُ الأَعراب من ودّان مَعيشًا[2] وعتْرًا[3] وضَغَابِيس[4] فجعل يأْكل الضَّغَابِيس والعتْر وأعجبه ، وأدخل على أم سلمة منه ، وجعل رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – يعجبه هذه الهدية ، ويُرى أصحابه أَنَّهَا طَرِيفة .

* * *

ذكر أمره كعب بن عجرة بحلق رأسه لعذر

روى الإمام أحمد ، وعبد بن حُمَيْد ، والشيخان والترمذىّ ، وابن جرير ، والطبرانى عن كعب بن عُجْرَة – رضى الله تعالى عنه – قال : « كُنَّا مَعَ رَسُول الله – صلَّى الله عليه وسلم – بالْحُدَيْبِيَة وَنَحْن مُحْرِمُون – قَدْ حَصَرَنَا الْمُشْرِكُون ، وكانت لى وَفْرَةٌ فجعلت الْهَوَامُّ تَسَّاقَط على وَجْهى ، فَمَرَّ بِى رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : « أَيُؤْذِيكَ هَوَامُّ رَأْسك » ؟ قلت : نعم ، قال : « مَا كُنْتُ أَرَى / أَنَّ الجهد بَلَغَ بِكَ هَذَا » !! ١٦١ و فأَمرنى أن أَحْلق ، وأنزل الله – تعالى – هذه الآية : (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْبِه أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُك[5]) فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : « صُمْ ثَلَاثَة أيام ، أَو تَصَدَّق بفرق[6] بين ستة مساكين أَو انْسك مَا تَيَسَّرَ لَكَ » .

وَلَمَّا بَلَغَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – الجُحْفَة أَمَرَ بشجرة فَقُمَّ ما تحتها ، فخطب النَّاس فقال : « إِنى كائن لكم فَرَطًا ، وقد تركتُ فيكم مَا إِنْ أَخَذْتُم به لم تَضلُّوا أَبدًا ، كِتَابَ الله وَسُنَّةَ نبيّه » – صلى الله عليه وسلم –

(١) فى م « رحضة » وضبطها المصنف فى المفردات براء مفتوحة فحاء مهملة . ويوافق هذا ما ورد فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٧٧ » .

(٢) فى الأصول « بليامقش » والمثبت من مغازى الواقدى ٢ : ٥٧٧ – والمعيش : الطعام وما يعاش به من الخبز (القاموس المحيط) .

(٣) العتر : نبت ينبت متفرقاً ، فإذا طال وقطع أصله خرج منه شبه اللبن (النهاية : ٣ : ٦٥) .

(٤) الضغابيس : صغار القثاء ، واحدها ضغبوس (القاموس المحيط) وانظر شرح المفردات .

(٥) الآية ٩٦ من سورة البقرة .

(٦) الفرق : الزاد (السيرة الحلبية ٣ : ٣٣) .

ذكر بلوغ خبر خروج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ الى المشركين

روى الخرائطى[1] فى الهواتف عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : لمَّا تَوَجَّه رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يريدُ مكة عامَ الحُدَيْبِيَة ، قَدِمَ عليه بشْر[2] ـ بكسر الموحدة والمعجمة ـ بن سُفيان العتْكى ، فقال له : « يا بِشْر هَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ أن أهل مَكَّة عَلِمُوا بمسيرى ؟ » فقال بأبى أنت وأُمى يا رسول الله إنى لأَطوف بالبيت فى ليلة كذا وقريش فى أنديتها ، إذ صَرَخَ صَارِخٌ من أعلى جَبَل أَبِى قُبَيْس ـ ليلة أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم بالمسير بصوت أسمع أهل مكة :

هيوا[3] لصاحبكم مثلى صحابته ... سيروا إليه وكونوا معشرا كرما

بعد الطواف وبعد السعى فى مَهَلٍ ... وأن يحوزهم من مَكَّة الحــــرما

شَاهَتْ[4] وجوهكم من معشر تُكَلٍ ... لَا يُنْصَرون إذا ما حاربوا صَنَما

فأرتجت مكة ، وأجتمع المشركون ، وتعاقدوا ألاَّ يدخل عليهم بمكة فى عامهم هذا ، فبلغ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : « هذا الهَاتِفُ سَلْفَعُ. شيطانُ الأَصنام يُوشِك أَن يقتله الله ـ تعالى ـ إن شاء الله عز وجل » فبينما هُمْ كذلك إذْ سَمِعُوا من أعلى الجبل صَوْتاً وهو يقول :

شَاهَت وجوه رِجالٍ حالفوا صَنَما ... وخاب سعيهم ما قصر الهمما

إنى قتلت عدوَّ الله سَلْفَعَـــــة ... شيطانَ أَوثانِكم سُحْقًا لمن ظلما

وَقَدْ أَتاكم رسولُ الله فى نفـــرٍ ... وكلهم مُحْرِمٌ لا يسفكون دَما

---

(١) رواية الخرائطى بتمامها والشعر الذى ساقه أثبتهما الزرقانى فى شرح المواهب ٢ : ١٨٢

(٢) هنا قال المصنف : « بشر بكسر الموحدة والمعجمة بن سفيان العتكى » وسبق فى ص ٥٧ قوله : « بسر ـ بضم الموحدة وسكون المهملة ، وأعجمها ابن إسحاق وكسر الموحدة ـ بن سفيان بن عمرو الخزاعى » وانظر تعليقنا على هذا الخلاف هناك . وما فى شرح المواهب ٢ : ١٨٢ « بسر بن سفيان الكعبى » .

(٣) فى ت « هيوا لسادركم » وفى م « هيوا لساجدكم » والمثبت من ط ويوافق شرح المواهب .

(٤) كذا فى الأصول . وفى شرح المواهب (شاهت وجوههم) .

قالوا : ولما بَلَغَ المشركين خروجُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رَاعَهُم [ذلك(1)] فأجتمعوا وتشاوروا فقالوا : أيريد محمد أن يدخلها علينا فى جنوده معتمراً فتسمع العربُ أنَّه قد دخل علينا عَنْوَةً ، وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا ؟! والله لا كان هذا أبدا ومنّا عَيْنٌ(2) تطرف .

ثم قدَّموا خالد بن(3) الوليد فى مائتى فارس إلى كُرَاع الغَمِيم(4) ، وأستَنْفَرُوا من أطاعهم من الأَحَابيش ، وأجْلَبت ثقيف معهم وخرجوا إلى بَلْدَح(5) ، وضربُوا بها القِبَاب والأَبْنية ، ومعهم النساءُ والصِّبْيَان ، فعسكروا هُنَاك ، وأجمعوا على مَنع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من دُخول مكة ومُحَارَبَته ، ووضعوا العُيُون على الجبال ، وهم عشرة أنفس يُوحى بعضُهم إلى بعض الصوت [الخفى(6)] فعل محمدٌ / كذا وكذا ، حتى ينتهى إلى قُرَيْش ببَلْدَح ورجع بشر(7) بن سفيان الذى بعثه عَيْنًا له من مَكَّةَ وقد علم خبر مكَّة والقوم ، فَلَقِى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بِغَدِيرِ الأَشْطَاط(8) وراءَ عُسْفَان فقال : يارسول الله !! هذه قريش سمعتْ بمسيرك ، فخرجُوا ومعهم العُوذُ الْمَطَافِيل ، قد لبسوا جُلُودَ النُّمور ، وقد نَزَلُوا بذى طُوًى يُعَاهِدُونَ الله لا تَدْخُلها عليهم أبدا ، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قَدَّمَهَا إلى كُرَاع الغَمِيم ، فقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم : « يَا وَيْحَ قُرَيْش لَقَدْ أَكَلَتْهُم الْحَرْب ، مَاذَا عَلَيْهم لَوْ خَلُّوا بَيْنِى وبَيْن سَائِر العرب ، فإن هُمْ أَصَابُونِى كَانَ ذَلِكَ الَّذِى أَرَادُوا ، وإنْ أظهرنى اللهُ تَعَالى عليْهم دَخَلُوا فى الإسْلاَمِ وَافِرِين وإنْ لَمْ يَفْعَلُوا قَاتَلُوا وَبِهِم قُوَّة ، فَمَا تَظُن قُرَيْش ؟ فَوَالله لا أزال

١٦١ ظ

---

(١) سقط فى الأصول ـ والإثبات عن مغازى الواقدى ٢ : ٥٧٩ .

(٢) فى ت ، م « عين تطوف » والمثبت من ط وتوافقها مغازى الواقدى ٢ : ٥٧٩ .

(٣) ويقال عكرمة بن أبى جهل (شرح المواهب ٢ : ١٨٣ ، مغازى الواقدى ٢ : ٥٧٣)

(٤) كراع الغميم : موضع قريب من مكة بين رابغ والجحفة . ورجح شرح المواهب بأنه الغميم وليس كراع الغميم لأن ذلك بين مكة والمدينة . قال : إن سياق الحديث ظاهر فى أنه كان قريباً من الحديبية فهو غير كراع الغميم (شرح المواهب ٢ : ١٨٣)

(٥) بلدح : موضع خارج مكة « المرجع السابق ٢ : ١٨٢ » .

(٦) الإضافة عن (مغازى الواقدى ٢ : ٥٧٩) .

(٧) فى ت ، م « بسر » بإهمال السين .

(٨) غدير الأشطاط : موضع تلقاء الحديبية (شرح المواهب ٢ : ١٨١) .

أُجَاهِدُهُم عَلَى الَّذِى بَعَثَنِى اللهُ تعالى بِهِ حَتَّى يُظْهِرَه الله – تعالى – أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِه السَّالِفَة » .

* * *

ذكر مشاورته – صلى الله عليه وسلم – وصلاته صلاة الخوف

ثم قام رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فى المسلمين فحمد الله وأثنى عليه بما هُو أهله ، ثم قال : « أمَّا بعد : ، يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِين أَشِيرُوا عَلَّى أَتَرَوْن أن نَميلَ إلى ذَرَارِى هَؤُلاءِ الَّذين أَعَانُوهم فَنُصِيبَهُم » وقال : « فإن قَعَدُوا قَعَدُوا مَوْتُورين مَحْرُوبِين[1] وَإِنْ يأْتُونَا تكن عُنُقًا . وفى لفظ : عَيْنًا – قَطَعَهَا الله ، أم ترون أن نَؤُمَّ البَيْتَ فَمَنْ صَدَّنَا عنه قَاتَلْنَاه ؟ » فقال أبو بكرٍ – رضى الله عنه – : الله ورسوله أعلم ، يَارَسُولَ الله إنَّمَا جِئْنَا مُعْتَمِرِين[2] ولم نَجِيء لِقِتَالِ أَحَد ، ونرى أن نَمْضِى لِوَجْهِنَا ، فَمَنْ صَدَّنَا عن الْبَيْتِ قَاتَلْنَاه ، ووافقه على ذَلِكَ أُسَيْد بن الحُضَيْر .

وروى ابن أبى شيبة عن هشام بن عُرْوَة عن أبيه ومحمد بن عمر عن شيوخه . أن المِقْدَاد بن الأسود – رضى الله عنه – قال بعد كلام أبى بكر : إنَّا والله يَارَسُولَ الله لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالت بنو إسْرَائيل لنبيها : اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُون ولكن اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُون » انتهى .

فقال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – « فسِيروا على اسم الله » .

ودنا خالد بن الوليد فى خيله حتى نظر إلى رَسُولِ الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه فصف خيله فيما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين القبلة – فأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عبَّاد بن بشر – رضى الله عنه – فتقدَّم فى خَيْله ، فقام بإزائه ، فصفَّ أصحابه ، وحانت صلاة الظُّهر ، فأذَّن بلال ، وأقام ، فاستقبل رسولُ الله – صلى الله

(١) فى ت ، م « محزونين » والمثبت من ط ويوافقه ما فى شرح المواهب ٢ : ١٨٢ .
(٢) أى أنه أشار بترك القتال والاستمرار على ما خرج له من العمرة حتى يكون بدء القتال منهم (شرح المواهب ٢ : ١٨٢) .

عليه وسلم القبلة ـ وصفَّ النَّاس خلفه ، فركع بهم ركعة وسجد ، ثم سَلَّم ، فقامُوا عَلَى مَا كَانوا عليه من التَّعبئة . فقال خالد بن الوليد : قد كَانُوا على غِرَّةٍ لو حَمَلْنَا عليهم أَصَبْنَا منهم ولكن تـأْتى الساعة صلاةٌ أخرى هى أَحَب إليهم من أنفسهم وأَبْنائِهم، فنزل جبريل بين الظهر والعصر بهذه الآية : (وَإِذَا كُنْتَ فِيهِم فَأَقَمْتَ لَهُم الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُم مَعَك ولْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُم وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا / فَلْيُصَلُّوا مَعَك ولْيأْخُذُوا حِذْرَهُم وأَسْلِحَتَهُم وَدَّ الَّذينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتكُمْ وَأَمْتعَتكُم فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كانَ بِكُمْ أَذىً مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُم مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ الله أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا[1]) فحانت صلاةُ العَصْر ، فصلَّى رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صَلَاةَ الْخَوْفِ ، وستأْتى كيفيتها فى أبواب صلواته ـ صلى الله عليه وسلم .

١٦٢ و

* * *

ذكر مسير رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى الحديبية من غير طريق خالد بن الوليد وما وقع فى ذلك من الآيات

روى البَزَّار بسندٍ رجالُهُ ثِقاتٌ عن أَبى سعيد الخُدْرِى ـ رضى الله عنه ـ مُخْتصراً، ومحمد بن عمر عن شيوخه قالوا : لمّا أمسى رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « تَيَامَنُوا فى هَذَا العَصَل[2] وفى رواية اسلكوا ذَات اليمين بَيْن ظهور الحَمْض[3] ؛ فإن خالد بن الوليد بالغَمِيم فى خَيْلٍ لِقُرَيْش طليعة[4] » كَرِهَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنْ يَلْقَاه وكان بهم رَحِيمًا ، فقال : « تَيَامَنُوا فأَيكم يَعْرِفُ «ثَنِيَّة ذات الحنظل » ؟ فقال بُرَيْدَة[5] بن الحُصَيْب : بحاءٍ مضمومةٍ فصاد مفتوحة مهملتين فتحتية

---

(١) الآية ١٠٢ من سورة النساء .

(٢) العصل : موضع بالبادية كثير الغياض ، وقيل شجرة إذا أكل منها البعير سلحته . ويروى بالعين والضاد المعجمة وبالصاد المهملة بمعنى الرمل الملتوى المعوج نهاية الأرب ١٧ : ٢١٩ حاشية ، وانظر شرح المفردات .

(٣) الحمض : اسم موضع من طريق يخرج على ثنية المرار (شرح المواهب ٢ : ١٨٣) .

(٤) الطليعة : مقدمة الجيش ، وانظر شرح المفردات .

(٥) سمى ابن سعد السالك بهم حمزة بن عمرو الأسلمى (شرح المواهب ٢ : ١٨٣)

فموحدة ، - وقيل حمزة بن عمرو الأسلمى -:
أَنَا يا رسول الله عالمٌ بها ، فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : « اسْلُك أَمَامَنَا » فأَخذ بُرَيْدة فى العَصَل - قِبَلَ جبال سَرَاوِع قِبَلَ المغرب ، فوالله ما شعر بهم خالد حتَّى إِذَا هم بِقَتَرة[1] الجيش ، فانْطَلَق يركُض نَذِيرًا لقريش ، فَسَلَكَ بُرَيْدَةُ بهم طريقاً وَعِرًا أَجْرَل[2] بيْن شِعَاب ، وسار قليلاً تُنَكِّبُه الحجارة وتُعَلِّقُه الشجر ، وصار حتى كأنه لم يعرفهما قط . قال : فَوَالله إِنى كنت أَسلكها فى الجمعةِ مِرَاراً ، فنزل حمزةُ بن عمرو الأَسْلمى ، فسار بهم قليلا ، ثم سقط فى خَمَر[3] الشجر فلا يدرى أَيْنَ يتوجّه ، فنزل عمرُو بن عَبْدنُهْم الأَسلمى فانطلق أَمَامَهم حتى نَظَرَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إِلى الثنية ، فقال : هذه ثنية ذات الحنظل ؟ » فقال عمرو : نَعَمْ يا رسولَ الله ، فلما وقف به على رأْسها تحدر به ، قال عمرو : فوالله إِن كان لَتَهُمُّنى نفسى وحدها[4] إنما كانت مثل الشِّرَاك[5] فاتسعت لى حين بَرَزْت ، فكانت فِجَاجاً لاَجِبة[6] ولقد كان الناس تلك الليلة يسيرون جميعاً مُعْطِفِين[7] من سَعَتِهَا يتحدثُون ، وأَضاءت تلك الليلة حتى كأَنَّا فى قمر .

وروى مسلم عن جابر مُختصراً ، وأَبو نعيم عن أَبى سعيد ، وابن إِسحاق عن الزُّهرى ، ومحمد بن عمر عن شيوخه .

قال أَبو سَعيد : خَرَجْنَا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عَامَ الحُدَيْبِيَة حتى إِذَا كُنَّا بعُسْفَان سِرْنَا من[8] آخر اللَّيل حتى أَقبلنا على « عَقَبَة ذات الحنظل » قال

---

(١) القترة : الغبار الأسود (شرح المواهب ٢ : ١٨٣).
(٢) أجرل : الجرل الحجارة ، وقيل الشجر مع الحجارة ، وقيل المكان الصلب الغليظ الشديد (لسان العرب) وفى عيون الأثر لابن سيد الناس ٢ : ١١٤ « أجذل » .
(٣) خمر الشجر : كل ما يسترك من شجر أو بناء أو غيره يقال له خمر (النهاية ١ : ٣٢٠) .
(٤) كذا فى الأصول : وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥٨٤ « والله إن كان ليهمنى نفسى وجدى » .
(٥) الشراك : سير النعل (القاموس المحيط) .
(٦) اللاجبة : اللاجب الطريق الواسع (النهاية : ٤ : ٥٠) وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥٨٤ « وكانت محجة لاجبة » ، وفى ت . م « لاحمة » .
(٧) فى ت ، م « مصطفين » والمثبت من ط و يوافقه الواقدى .
(٨) فى ت ، م « فى آخر الليل » .

جابر : فقالَ رسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم : – مَنْ يصعَدُ ثنيّة المِرار[1] فإنّه يُحَط عنه ما حُطَّ عن بنى إسرائيل ، فكان أَوّل مَنْ صَعَدَ خيل من الخزرج ، ثم تبادر النَّاسُ بعد . وقال أبو سعيد / فَقَالَ رسُول الله – صلى الله عليه وسلم : – « مَثَلُ هذه الثَّنِيّة الليلة كمثل الباب الذى قال الله تعالى لبنى إسْرائيل « وَادْخُلُوا البَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَا كُمْ[2] » وقال ابن إسحاق : إنَّ المسلمين لما أن خرجوا من الأَرض الصَّعْبة وأفضوا إلى أرض سَهْلة ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « قُولُوا نَسْتَغْفِر الله وَنَتُوبُ إليه » . فقالوا ذلك ، فقال : « والله إنها لَلْحِطَّةُ الَّتى عُرِضَت على بَنِى إسْرَائيل فلم يَقُولوها » قال أبو سعيد : ثم قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – : « لا يجوز هذه الثَّنِيّة اللَّيلَة أَحَدٌ إلا غُفِرَ لَهُ » فلمَّا هَبَطْنَا نُزُلَنَا فقلت يا رسول الله نَخْشَى أن ترى[3] قريشٌ نيراننا ، فقال : لن يروكم ، فلما أَصْبَحْنَا صلى بنا صلاة الصبح ، ثم قال : « والذى نَفْسِى بِيَدِه لقد غُفِرَ لِلمرَّكْبِ أَجْمَعِين إلاَّ رُويكباً واحداً على جَمَلٍ أحمر التقت عليه رِحَالُ القَوْمِ ليس منهم ، وقال جابر : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « كلكم مَغْفُورٌ له إلا صَاحبَ الجمل الأَحمر » . قال أبو سَعيد : فَطُلِبَ فى العسكر فإذا هو عند سعيد بن زيد بن عمرو[4] بن نُفَيل ، والرَّجُلُ من بنى ضَمْرة من أهل سيف البحر يظن أنه من أصحاب رَسُول الله – صلَّى الله عليه وسلم – فقيل لسعيد : إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم[5]] قال : كذا وكذا ، فقال له سعيد : ويْحَكَ !! اذهبْ إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم يستغفر لك .

وقال جابر : فقُلْنَا له : تَعَال يَسْتَغْفِرْ لَكَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فقال :

---

(١) ثنية المرار : بضم الميم وكسرها . وانظر الخلاف فى شرح المفردات وهى مهبط الحديبية من أسفل مكة (شرح المواهب ٢ : ١٨٣) .

(٢) الآية ٥٨ من سورة البقرة .

(٣) والعبارة فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٨٥ « فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين نزل : من كان فعل فليصطنع . قال أبو سعيد : وإنما معه – صلى الله عليه وسلم – ثقل – والثقل الدقيق – وإنما كان عامة زادنا التمر فقلنا : يارسول الله ، إنا نخاف من قريش أن ترانا الخ .

(٤) (عمرو بن) مثبتة عن ط – ويوافقها الواقدى ٢ : ٥٨٥ .

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط فى الأصول ، والإضافة من مغازى الواقدى ٢ : ٥٨٦ .

والله لأن أَجِدَ ضَالَّتى أحب إلىَّ من أنْ يَسْتَغْفِرَ لى صَاحِبُكم. وقال أبو سعيد : فقال[1] : بعيرى والله أهم من أن يَسْتَغْفر لى ، إذا هو قد أضل بعيرا له ، فأنطلق يطلب بعيرَهُ بعد أن استبرأ العسكر وطلبه فيهم ، فبينَا هُوَ فى جِبَال سُرَاوِع إذ زلقت به نعله فتردَّى فمات ، فما عُلِمَ به حتى أكلته السباع ، قال أبو سعيد : فقال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – يومئذ : « سَيَأْتيكُم أَهْلُ الْيَمَن كَأَنَّهم قطَعُ السَّحَاب .هُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْض[2] .

* * *

ذكر نزول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالحديبية وما وقع فى ذلك من الآيات

قال مِسْوَرُ بن مَخْرَمة ، ومروان [ابن الحكم[3]] : إن رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم سار فَلَمَّا دَنَا من الحُدَيْبِيَة وقعت يَدَا راحلَتِه على ثَنِيَّةٍ تُهْبِطُ فى غائِط[4] القوم ، فَبَرَكَت به راحلتُه ، فقال ، وفى رواية : فَقَالَ الناس « حَلْ حَل »[5] فَأَبَت أن تنبعث وَأَلَحَّتْ ، فقال المسلمون : خَلأَت[6] القَصْواء ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : ما خلأت القصواء وماذاك لها بِعادَة ، وفى لفظ : بِخُلُق ، ولكن حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ عن[7] مَكة ، ثم قال : « والَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده لاَ يَسْأَلُونِى اليَوْمَ خُطَّةً فيها تَعْظِيمُ حُرُمَاتِ الله تعالى إلاَّ أَعْطَيْتُهُم إيَّاهَا » ثم زجرها فقامت ، فولَّى راجعاً عَوْدَه على بَدْئه . وفى رواية

---

(١) رواية الواقدى تختلف عما هنا وهي هنا أوضح .

(٢) فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٨٦ « هم خير من على الأرض » .

(٣) الإضافة من البداية والنهاية ٤ : ١٧٣ .

(٤) الغائط : المطمئن الواسع ، وانظر شرح المفردات .

(٥) حل حل : صيغة تزجر بها الناقة (اللسان ١٣ : ١٨٤ ، ١٨٥) .

(٦) خلأت : أى بركت ، والخلأ فى الإبل بمنزلة الحران فى الدواب (هامش الواقدى ٢ : ٥٨٧) .

(٧) أي حبسها الله عز وجل عن دخول مكة ، كما حبس الفيل عن دخولها ، ومناسبة ذلك التشبيه بقصة الفيل كما قال الحافظ : أن الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة وصدتهم قريش لوقع بينهم القتال المفضى إلى سفك الدماء ونهب الأموال ، كما لو قدر دخول الفيل وأصحابه ، لكن سبق فى علم الله فى الموضعين أنه سيدخل فى الإسلام خلق منهم ، وسيخرج من أصلابهم ناس يسلمون ويجاهدون (شرح المواهب ٢ : ١٨٤) .

فعدل عنهم حتى نزل بِأَقصى الحديبية على ثمد[1] من ثماد الحديبية ظَنُون[2] قليل الماء يَتَبَرَّضُ[3] النَّاسُ مَاءه تبرُّضًا ، فلم يُلْبِثْهُ النَّاسُ حتى نَزَحُوه[4] ، فَاشتكى الناسُ إلى رسُولِ الله - صلى الله عليه وسلم - قِلَّة الماء ، وفى لفظ « العَطَش » فَانتزَع سَهْمًا من كِنَانَته فأمر به فَغُرِزَ / فى الماء فجاشت بالرَّواءِ[5] حتَّى صَدَرُوا عنها بِعَطَن[6] قَال ١٦٣ و المِسْوَرُ : وإنهم ليغترفون بآنيتهم جُلُوساً على شَفِيْر البئر .

قال محمد بن عمر : والذى نزل بالسَّهم ناجية بن الأَعجم[7] - رجلٌ من أسلم ، ويقال : ناجية بن جُندب وهو سائِقُ بُدْنِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد روى أن جَارِيَةً مِنَ الأَنصار قالت لناجية وهو فى القَلِيب :

يا أَيُّهَا الماتح دلِوى دُونَكـــا إنى رأيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَا

يثنون خيراً ويمجِّدُونكا

فقال ناجية وهو فى القليب :

قد علمت جارية يَمَانِيَـــــه أنى أنا الماتح وَاسْمِى نَاجِيَهْ

وطعنةٍ ذاتِ رشاشٍ وَاهِيـــهْ طَعَنْتُها تحت صُدُور العادية

قال محمد بن عمر : حدثنى الهَيْثَم بن واقد عن عطاء بن مروان عن أبيه قال : حدثنى أربعة عَشَرَ رَجُلاً مِّمَّن أسلم منْ أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه

---

(١) الثمد : الماء القليل الذى لا مادة له (الصحاح : ٤٤٨) .

(٢) الظنون : البئر لا يدرى فيها ماء أم لا . ويقال القليلة الماء (الصحاح : ٢١٦٠) .

(٣) يتبرض : يقال برض الماء من العين إذا خرج وهو قليل (الصحاح : ١٠٦٦) .

(٤) وفى رواية « لزفوه » وانظر شرح المفردات ، وشرح المواهب ٢ : ١٨٥ .

(٥) الرواء : الماء العذب « السيرة الحلبية ٣ : ١٣ » .

(٦) العطن : مبرك الإبل حول الماء (النهاية ٣ : ١٠٧) والمعنى أنهم رووا ورويت إبلهم حتى بركت حول الماء (السيرة الحلبية ٣ : ١٣) .

(٧) جاء فى شرح المواهب ٢ : ١٨٥ « .. حدثني أربعة عشر رجــلا من أصحابه الأنصار أن الذي نزل البئر ناجية بن الأعجم ، وقيل : هو ناجية بن جندب ، وقيل البراء بن عازب ، وقيل عبادة بن خالد - حكاه عن الواقدى ، ووقع فى الاستيعاب : خالد بن عبادة ، وقال فى الفتح : يمكن الجمع بأنهم تعاونوا على ذلك بالحفر وغيره . وانظر أيضاً (سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٣١٠ ، ٣١١) .

ناجية بنُ الأعجم ، يقول : دعانى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين شُكى[1] إليه قِلَّةُ الماء فأَخْرَجَ سهمًا من كِنَانَتِه ، ودفعه إلَىَّ ، وَدَعَا بِدَلْوٍ من ماء البئر فجئته به ، فتوضأ فَمَضْمَضَ فَاه ، ثم مَجَّ فى الدّلو - والنَّاس فى حرٍّ شديد - وإنما هى بئر واحدة قد سبق المشركون إلى بَلْدَح فغلبوا على مياهه فقال : « انزل بالدَّلو فَصُبَّها فى البئر وأَثِرْ مَاءَهَا بالسّهم » ففعلت ، فوالذى بَعَثَه بالحق مَا كِدْتُ أخرجُ حتى يغمرنى وَفَارَت كما تَفورُ القِدْر ، حتى طَمّت واستوت بشفيرها ، يَغْتَرِفون من جانبها حتى نَهِلُوا من[2] آخِرِهم . وعلى الماء يومئذ نَفَرٌ من المنافقين ، منهم عبد الله بن أبىّ ، فقال أَوْس بن خَوْلِّى : وَيْحَكَ يا أبا الحُبَاب ! ! أَمَا آن لك أن تبصر[3] ما أنت عليه ؟ أَبَعْدَ هذا شىء ؟ فقال : إنى قد رأيتُ مِثْلَ هذا . فقال أَوْس : قَبَّحك الله وقبح رأيك فأقبل ابنُ أُبَى يريدُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم فقال [رسول الله صلى الله عليه وسلم[4]] « يا أبا الحُبَاب : أَنَّى رَأَيتَ مثلما رأَيْتَ اليوم » ؟ فقال : ما رأَيتُ مثله قط . قال : « فَلِمَ قُلْتَه » ؟ فقال ابن أُبَىٍّ: يَا رسولَ الله اسْتَغْفَر لى ، فقال ابنه عبد الله بن عبد الله - رضى الله عنه - يارسول الله اسْتَغْفِرْ لَه ، فَاسْتَغْفَرَ له .

وروى ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، عن البراء بن عازب - رضى الله عنهما - قال : أنا نزلت بالسَّهم . والله أعلم .

قصة أُخرى : روى الإمام أحمد ، والبخارىّ ، والطبرانى ، والحاكم فى الإكليل ، وأبو نُعيم عن البراء بن عازب ، ومسلم عن سَلَمة بن الأَكْوع ، وأبو نُعيم عن ابن عباس ، والبيهقىّ عن عُرْوَة ، قال البراء : كنا مع رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - بالحُدَيْبِيَة أربع عشرة مائة ، والحُدَيْبِيَة : بئر فقدمناها وعليها خَمْسُون شاة ما ترويها فَنْتَبرَّضها فلم نترك فيها قطرة ، قال ابن عبَّاس : وكان الحرُّشديدا ، فشكى النَّاسُ العَطَش ، فَبَلَغَ ذلك النبىَّ - عليه الصلاة والسلام - فأتاهم فَجَلَس على شَفِيْرِهَا ، ثم دَعَا « بإناءٍ » وفى

---

(١) شكى : بالبناء للمجهول كما فى شرح المواهب ٢ : ١٨٥ وكذلك شرح المفردات .

(٢) «نهلوا من آخرهم» كذا فى جميع الأصول . وكذا مغازى الواقدى ٢ : ٥٨٨ .

(٣) فى ت ، م « أما آن لك أن تعتبر » والمثبت من ط ويوافقه ما فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٨٨ .

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة (من الواقدى ٢ : ٥٨٩) للتوضيح .

لفظ « بِدَلْوٍ » فتوضأ فى الدّلو ، ثم مَضْمَض ودَعَا ، ثم صَبَّه فيها ، فتركناها غير بعيد ثم إنها أَصْدَرَتْنَا مَا شِئْنَا نَحْنُ وَركَابُنَا . قال البراء. ولقد رأيت [آخرنا][1] أخرج بثوب خَشْيَةَ الغَرق حتى جَرَت نَهَرًا .

وقال ابن عباس وعُرْوَة فَفَارَتْ بالماء حتّى / جعلوا يَغْتَرِفُون بِأَيديهم منْها وهُم جُلوس على شفيرها[2] . ١٦٣ ظ

قصة أُخرى : روى البخارى فى المغازى وفى الْأَشْرِبَةِ ، عن جابر بن عبد الله ، عن سَلَمَة ابن الأَكوع – رضى الله عنهما – قالا : عَطِشَ النَاسُ يومَ الحُدَيْبِيَة ورسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – بَيْن يديه رَكْوَة[3] ، وقال جابر فى رواية : وقد حضر العصر ، وليس مَعنا ماء غير فَضْلة ، فجُعِلَ فى إِنَاء فَأُتى به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فتَوَضأ منها ، ثم أَقْبَل النَاسُ نَحْوَهُ ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « ما لكم ؟ » قالوا : يا رسول الله ، ليس عندنا ماء نتوضَّأُ به ، ولا نشربُ إلا مَافى رَكْوَتِك فأفرغتها فِى قَدح ، ووضَعَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – يَدَه فِى الْقَدَح ، فجعل الماءُ يَفُورُ من بَيْن أَصَابعه كأَمثال العُيُون ، فشربْنَا وتوضَّأْنا ، فقال سالم بن أبي الْجَعْد : فقُلتُ لجابر : كَمْ كنتم يَوْمَئِذ ؟ قال : لو كُنَّا مائة أَلف لَكَفَانا ، [كُنَّا][4] خمس عشرة مائة .

* * *

ذكر نزول المطر فى تلك الأيام وما قاله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى صبيحة المطر

روى الشيخان وأبو عوانة ، والبيهقىّ عن زيد بن خالد – رضى الله عنه – قال : خَرَجْنَا مع رسول الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم – عام الحُدَيْبِيَة » فأَصابنا مطرٌ ذاتَ ليلة ، فصلى بِنَا النبيُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – الصُّبْحَ ، ثم أقبل عَلَيْنَا بوجْهه ، فقال : أتدرون مَاذَا قَالَ رَبُّكُم ؟ » قُلْنَا : اللهُ ورسوله أعلم : قال : قَال الله عز وجل : « أَصْبَحَ

---

(١) سقط فى الأصول – والإثبات عن السيرة الحلبية ٣ : ١٤ .

(٢) فى ت ، م « وهم جلوس على شقها » .

(٣) الركوة : إناء كالقدح . وقد فسرت به (شرح المواهب ٢ : ١٨٦) والضبط عن شرح المفردات .

(٤) إضافة يقتضيها السياق .

مِنْ عبَادى مُؤْمِنٌ وَكَافر ، فأَما المُؤْمن مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا برحمة الله وبفَضْلِ الله فَهُو مُؤْمِنٌ بى وَكَافِرٌ بِالكَوَاكِب ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَجْم كَذَا - وفى رِوَايَة : بنَوْء كَذَا وَكَذَا - فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكِب كَافِرٌ بى ».

قال محمد بن عمر : وكان ابن أُبىّ بن سَلُول قال : هذا نَوْءُ الْخَرِيف مُطِرْنا بالشِّعْرى[1] .

وروى ابن سَعْد عن أَبِى المليح عن أَبيه قال : أَصابنا يوم الحُدَيْبِيَة مَطرٌ لم يَبُلّ أَسَافِلَ نِعالنا ، فنادى مُنَادِى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أَن صَلُّوا فى رِحَالِكُم .

وأَهدى عمرو بن سالم وبُسْر بن سُفيان الخزاعِيَّان - رضى الله عنهما - بالحُدَيْبِيَة لِرَسُولِ الله - صلى الله عليه وسلم - غَنَمًا وجَزُورًا ، وأَهدى عَمْرُو بنُ سالم لسعد بْنِ عُبَادة - رضى الله عنه - جُزُرًا - وكان صديقًا له - فجاء سَعْدٌ بالجُزُر إِلى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - وأَخْبَرَه أَن عَمْرًا أَهْدَاها له ، فقال : « وعَمْرٌو قد أَهْدى لنا ما ترى ، فبارك اللهُ فى عمرو » ثم أَمر بالجُزُرِ تُنْحر وتُقْسَم فى أَصحابه ، وفرَّق الغنم فيهم من آخرها وشرك فيها فدخل على أُم سَلَمة من لَحْمِ الجَزُور كنحو ما دخل على رَجُلٍ من القوم ، وشرك رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فى شَاتِه ، فَدَخَل على أُمّ سلمة بعضُها ، وأَمر - صلى الله عليه وسلم - لِلَّذِى جَاء بالهدية بكسوة .

* * *

١٦٤ و

ذكر قدوم بديل بن ورقاء الخزاعى / ورسل قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما اطمأَن رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بالحُدَيْبِيَة : جاءه بُدَيْل بن وَرْقَاء - وَأَسلم بعد ذلك - فى رجالٍ من خُزَاعة ، منهم : عمرو بن سالم ، وخراش ابن أُميّة وخارجة بن كُرْز ، ويزيد بن أُميّة وكانوا عَيْبَة[2] نُصْحٍ لرسول الله - صلى الله عليه

---

(١) وانظر قول الواقدى فى المغازى ٢ : ٥٩٠ .

(٢) الضبط من شرح المفردات ، وشرح المواهب ٢ : ١٨٦ ، وعيبة الرجل : خاصته وأَصحاب سره . وقال الزهرى : وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسلمها ومشركها لا يخفون عنه شيئاً كان . (السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣١١) .

وسلم – بتهامة ، منهم المُسلم ومنهم الموادع . لا يُخْفُون عنه بتهامة شيئاً . فلمَّا قدمُوا على رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم – سَلَّمُوا ، فقال بُدَيْل بنُ وَرْقَاء : جئناك من عنْد قَوْمِك ، كعب بن لُؤى ، وعامر بن لؤى ، قد ٱسْتَنْفَرُوا لك الأَحابيش ومن أَطَاعَهم ، قد نزلوا أَعْداد[1] مياه الحُدَيْبِيَة ، معهم العُوذُ المطافيل[2] والنساء والصبيان ، يُقْسِمُون بالله لا يُخَلُّون بينك وبين البيت حتى تَبِيدَ خضراؤهم ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (إنَّا لم نـأْت لقتالِ أَحَدٍ ، إنما جِئْنَا لنَطُوفَ بِهَذا البَيْت ، فَمَنْ صَدَّنا عَنْه قَاتَلْنَاه ، إنَّ قُرَيْشًا قَدْ أَضرَّتْ بِهِم الْحَرْب ونهكتهم[3] فإنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُم[4] مُدَّةً يـأْمَنُون فيهَا ، ويُخَلُّونَ فيْمَا بَيْنَنَا وبَيْن النَّاس[5] ، – والنَّاسُ أَكْثَر منْهُم – فإن أَصَابُونى فَذَلِكَ الَّذِى أَرَادُوا وَإِنْ ظَهَرَ أَمْرى عَلَى النَّاسِ كَانُوا بَيْنَ أَنْ يَدْخلوا فِيْمَا دَخَلَ فيه النَّاس أو يقاتلوا وقد جَمُّو[6]،وإنْ هُمْ أَبَوْ فَوَاللهِ لأَجْهَدَن[7] على أمرى هذا حتى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِى[8] ولَيُنْفِذَنَّ[9] اللهُ – تعالى أَمْرَه .

فوعى بُدَيْلُ مقالَة رسُولِ الله وقال : سَأُبلّغهم ما تقُول ، وعاد ورَكْبُه إلى قُريش ، فقال ناسٌ منْهم : هذا بُدَيْل وأَصحابه ، وإنَّما يريدون أن يستخبروكم فلا تسأَلوهم عن حرْف واحدٍ ، فلما رأى بُدَيْل أَنَّهم لا يستخبرونه قال : إنَّا جئْنا مِنْ عِنْد محمد ،

---

(١) أعداد : جمع عد ، وهو الماء الذى لا انقطاع له ، ويطلق أيضاً على الكثرة فى الشئ (نهاية الأرب للنويرى ١٧ : ٢٢٢ – هامش) والضبط من شرح المواهب ٢ : ١٨٧ . وإضافة أعداد إلى مياه الحديبية من إضافة الأعم إلى الأخص .

(٢) العوذ المطافيل : الأمهات اللائى معهن أولادهن . (السيرة الحلبية ٣ : ١١ ، شرح المواهب ٢ : ١٨٧) .

(٣) بفتح النون والهاء وبكسر الهاء أيضاً . أى أبلغت فيهم حتى أضعفت قوتهم وهزلتهم وأضعفت أموالهم (انظر شرح المفردات) ، (شرح المواهب ٢ : ١٨٧) .

(٤) أى جعلت بينى وبينهم مدة نترك الحرب بيننا وبينهم فيها (شرح المواهب ٢ : ١٨٧) .

(٥) زاد الزرقانى بعد هذا اللفظ (من كفار العرب وغيرهم) شرح المواهب ٢ : ١٨٧ .

(٦) أى استراحوا (المرجع السابق) .

(٧) فى البداية والنهاية ٤ : ١٧٤ « لأقاتلنهم » وكذا فى نهاية الأرب للنويرى ١٧ : ٢٠٠ .

(٨) السالفة : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه ، وكنى بانفرادها عن الموت ، لأنها لا تنفرد عما يليها إلا بالموت . وقيل أراد : حتى يفرق بين رأسى وجسدى (النهاية ٢ : ١٧٥) .

(٩) ضبط هذا اللفظ بضم الياء وسكون النون وكسر الفاء مخففة ، وفتح الذال . وضبطه الزركشى والدمامينى بضم الياء وفتح النون وكسر الفاء المشددة وكلام الفتح محتمل . والمعنى ليمضين الله أمره (شرح المواهب ٢ : ١٨٨) .

أتحبُّون أن نخبركم عنه ؟ فقال عِكْرِمَةُ بنُ أَبى جهل ، والحَكَمُ بنُ العاص – وأسلما بعد ذلك – مالنا حاجةٌ بأَن تُخبرونا عنه ، ولكن أَخبروه عنَّا أنه لا يدخلها علينا عَامَه هذا أَبَدًا حتى لا يبقَى منَّا رجلٌ ، فأَشارَ عليهم عُروَةُ بنُ مسعود الثَّقفى – وأسلم بعد ذلك – بأَن يسمَعُوا كلاَمَ بُدَيل فإن أعجبهم قبلوه وإلا تركوه ، فقال صَفوانُ ابنُ أُميَّة والحارثُ بنُ هشام – وأسلما بعد ذلك – أَخْبِرُونَا بالذى رأيتم وسمعتم ، فقال بُديل لهم : إنكم تعْجَلُون على مُحَمَّدٍ – صلى الله عليه وسلم – إنّه لم يأت لِقِتالٍ إنما جاء معتمراً وأخبرهم بمقالة النبى – عليه الصلاة والسلام – فقال عُرْوَة : يا معشر قريش أتَتَّهِمُونى ؟ قالوا : لا . قال : أَلَسْتُم بالوالد ! قالوا : بلى . [قال : ألست بالولد ؟ قالوا : بلى[1]] وكان عُروة لِسُبَيْعَة بنت عبد شمس القرشية . قال : « أَلَسْتُمْ تعلمون أنى آستنْفَرْتُ أهل عُكَاظ لنصركم فلمَّا تَبَلَّحُوا[2] علىَّ نفرتُ إليكم بنفسى وولدى ومَنْ أطاعنى ؟ قالوا : قد فَعَلْتَ ، ما أَنْتَ عندنا بِمُتَّهَمٍ . قال : إنى لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، لا أَدَّخِر عنكم[3] نُصْحًا ، فإن بُدَيْلاً قد جاءكم خُطة رُشْد لا يردُّها أحدٌ أبدًا إلا أحدٌ شَرٌّ منها . فاقبلوها منه ، وابعثونى حتَّى آتيكم بِمِصْداقِهَا من عنده ، وأنظر[4] إلى مَنْ معه ، وأكون لكم عيْنًا آتيكم بخبره ، فبعثته قريشٌ إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فجاء[5] رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : يا محمد ، تركتُ كَعْبَ ابنَ لُؤى وعامرَ بنَ لؤى على أعداد مياه الحُدَيْبِيَة ، معهم العُوذُ الْمَطَافِيل / قد آسْتَنْفَرُوا لك الأَحابيش ومن أطاعهم ، قد لبسوا جُلُودَ النُّمُور ، وهم يُقْسمون بالله لا يُخَلُّون بينك وبين البيت حتى تَجْتَاحهم ، وإنما أنت ومن قاتلهم[6] بَيْنَ أحد أمرين أَنْ

١٦٤ ظ

---

(١) ما بين الحاصرتين من البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٧٤ . وعبارة الواقدى فى المغازى ٢ : ٢٩٤ « ألستم الوالد وأنا الولد » .

(٢) كذا فى ط . وفى ت ، م « بلحوا » وكذا فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٤ ، وفى شرح المواهب ٢ : ١٨٩ ، والمعنى امتنعوا عن الإجابة . يقال : بلح الغريم إذا امتنع عن أداء ما عليه .

(٣) فى ت م « لا أؤخر » والمثبت من ط . ويوافقه ما فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٤ .

(٤) فى ت « وانطلق » والمثبت عن ط ، م ويوافقه ما فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٤ .

(٥) أى عروة بن مسعود الثقفى ، وهو يوافق ما فى البداية والنهاية ٤ : ١٧٤ ، وما فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٥ وعبارة شرح المواهب ٢ : ١٨٩ « فجعل – أى عروة – يكلم النبى – صلى الله عليه وسلم – بنحو ما قال بديل . فقال له النبى – صلى الله عليه وسلم – نحواً من قوله لبديل » .

(٦) عبارة الواقدى « وإنما أنت من قتالهم بين أحد أمرين » ٢ : ٥٩٥ .

تَجْتَاحَ قَوْمَكَ ولم يُسْمع برجلٍ اجْتَاح قَوْمَه وأَهْلَه قَبْلَكَ . أو بَيْن أَنْ يَخْذُلَكَ من ترى مَعَكَ ، وإنِّى والله لا أرى معك وُجُوهًا وإنِّى لا أرى إلا أَوْبَاشًا ، وفى رواية : فإنى لأرى أشوابا[1] من الناس ، لا أعرفُ وُجُوهَهُم وَلَا أَنْسَابَهم ، وخَلِيقاً أَن يفِرُّوا ويَدَعُوك . وفى رواية : وكأنى بهم لَوْ قَدْ لقيتَ قُرَيْشًا أَسْلَمُوك فَتُؤْخَذَ أسيرا ، فأَىّ شىء أشدّ عليك من هذا ؟ فَغَضِبَ أبو بكر - وكان قاعدا خلْفَ رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - فقال : امْصَصْ[2] بَظْر اللَّات ، أَنحْنُ[3] نَخْذُلُه أو نفِرُّ عنه ؟! فقال عُروةُ : منْ ذَا ؟ قالوا : أَبا بكر . فقال عُرْوة : أَما والله لوْلَا يَدٌ لَكَ عندى لم أَجْزِك بها لأُجِيبنَّك[4]

وكان عروَةُ قد استعانَ فى حَمْل دية فأَعانه الرجُلُ بالفريضتين والثلاث ، وأعانه أَبو بكر بِعشر فرائض فكانت هذه يَدُ أَبِى بكر عند عُرْوَة ، وطفقَ عُروة كُلَّما كلَّم رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - مسَّ لحْيَةَ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - والمغيرةُ ابنُ شُعْبَة قائمٌ على رأس رسُولِ الله - صلى الله عليه وسلم - بالسَّيف ، - على وَجْهِه المِغْفَرُ[5] - لمَّا قدم عُروةُ لبسها ، فطفِقَ المغيرةُ كلَّمَا أَهْوَى عُرْوةُ بيده ليمسّ لحْيَةَ النَّبىّ - عليه الصلاة والسلام - يقرعُ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيف ويَقُول : اكْفُفْ[6] يَدَك عن مسِّ لحية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قَبْلَ أَلاّ تصِل إليك ، فإنَّه لا يَنْبَغِى لمشرك أن يمسَّه . فلما أكْثَرَ عليه غَضِبَ عُرْوَة وقال : وَيْحك !! ما أفظَّك وأغاظك !

---

(١) الأوشاب : الأخلاط من أنواع شتى - شرح المفردات - وفى شرح المواهب ٢ : ١٨٩ ، ١٩٠ « أشواباً بتقديم المعجمة على الواو للأكثر وعليها اقتصر صاحب المشارق ، قال المصنف : ولأبى ذر عن الكشمهنى « أوشابا » بتقديم الواو على المعجمة ، ويروى أوباشا بتقديم الواو على الموحدة (يعنى أخلاطاً من الناس) قال الحافظ : والأشواب : الأخلاط من أنواع شتى ، والأوباش الأخلاط من السفلة فالأوباش أخص من الأشواب » .

(٢) الضبط من شرح المفردات . ويوافقه ضبط شرح المواهب ٢ : ١٩٠ حيث قال : بألف وصل وصادين مهملتين الأولى مفتوحة بصيغة الأمر ، وحكى ابن التين عن رواية القابس ضم الصاد الأولى ، وخطأها . وأقره الحافظ والمصنف لأنه خلاف الرواية - وإن جاء لغة » .

(٣) استفهام إنكارى قصد به توبيخه فى نسبة الفرار لهم - المرجع السابق ٢ : ١٩٠ .

(٤) كذا فى الأصول . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٥ « لأجبتك » ويوافق ذلك ما فى شرح المواهب ٢ : ١٩٠

(٥) المغفر : زرد يلبسه المحارب تحت القلنسوة . ويقال له أيضاً المغفرة . ولعل عود الضمير المؤنث عليه فى لبسها بهذا الاعتبار . وفى إحدى روايات شرح المواهب ٢ : ١٩٠ - ١٩١ « وفى رواية أبى الأسود عن عروة بن الزبير أن المغيرة لما رأى عروة مقبلا لبس لأمته وجعل على رأسه المغفر ليستخفى من عروة عمه » .

(٦) وكذلك جاء فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٥ - وفى البخارى : أخر يدك عن لحية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفى السيرة الحلبية ٣ : ١٦ : اكفف يديك عن وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

وقال : ليت شِعْرى !! مَنْ هذا[1] الذى آذانى من بين أصحابك ؟ والله لا أحسب فيكم ألأَم منه ولا أشرَّ منزلة . فتبسَّمَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – وقال : « هذا ابن أخيك[2] المُغيرةُ بن شعبة » فقال عروة : وأنت بذلك يا غُدَر ، والله ما غَسَلْتُ عنك غَدْرَتَك[3] بعُكَاظَ[4] إلاَّ أمس ، لقد أوَرَثْتَنا العَدَاوَةَ من ثقيف إلى آخر الدَّهر – وسيَأتى فى ترجمة المُغيرَة بيان هذه الغَدْرَة .

وجعل عُروةُ يَرْمُق أصحابَ النبى – صلى الله عليه وسلم – بعينه ، فوالله مَا يَتَنَخَّم رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – نخامةً[5] إلاَّ وقعت فى كفِ رجلٍ منهم فَدَلَكَ بها وَجْهَه وجِلْدَه ، وإذا أمرهم بـأمرٍ ابْتَدرُوا أمره ، وإذَا توضَّأَ كادوا يَقْتَتِلُوا على وَضُوئِه ، ولا يسقُطُ شيءٌ من شَعْرِه إلا أخذوه ، وإذَا تكلم خَفَضُوا أصواتهم عنده ، وما يُحِدُّون النظر إليه ؛ تعظيماً له .

فلما فَرَغَ عُرْوَةُ من كلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وردَّ عليه رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – مثلَ ما قال لِبُدَيْل بن وَرْقَاء وكما عرض عليهم من المدة . فأتى عُروة قريشًا ، فقال : يا قومُ إنى وفدتُ إلى الملوك[6] : كسرى وقيصر والنجاشى[7] وإنى والله ما رأيتُ مَلِكًا قط أطوع فيما بين ظَهْرَانَيْهِ من محمد فى أصحابه ، والله إن

---

(1) وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٥ « ليت شعرى !! من أنت يا محمد من هـذا الذى أرى من بين أصحابك ؟

(2) لأن عروة كان عم والد المغيرة ، فالمغيرة يقول له يا عم ، لأن كل قريب من جهة الأب يقال له عم – « السيرة الحلبية ٣ : ١٦ » .

(3) غدرتك : أى جنايتك – وذلك ببذل المال (شرح المواهب ٢ : ١٩١) وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٥ « والله ما غسلت عنك عذرتك إلا بعلابط أمس » والعلابط – القطيع من الغنم (القاموس المحيط) ورواية ابن إسحاق وهل غسلت سوءتك إلا بالأمس .

(4) كذا فى الأصول . ولعلها « علابط » الواردة فى التعليق السابق . لأن عكاظ لم يرد بها ذكر فى المراجع هنا . وقد كانت حادثة المغيرة بن شعبة مع بنى مالك فى بيسان . وانظر القصة بكمالها فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٥ – ٥٩٨ والبداية والنهاية ٤ : ١٧٤ والسيرة الحلبية ٣ : ١٧ والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣١٣ ، ٣١٤ .

(5) النخامة – بضم النون : ما يخرج من الصدر (شرح المواهب ٢ : ١٩٢) وفى اللسان : ما يخرج من الخيشوم عند التنخم (ن خ م)

(6) فى ت ، م « على الملوك » والمثبت من ط ويوافقه ما فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٨ .

(7) قيصر : لقب لكل من ملوك الروم . وكسرى – بكسر الكاف وتفتح – لكل من ملك الفرس . والنجاشى – بفتح النون وتكسر وخفة الجيم وأخطأ من شددها فألف فشين معجمة فتحتية مشددة ومخففة – لقب لمن ملك الحبشة (شرح المواهب ٢ : ١٩٢) .

رأيتُ مَلِكًا قطُّ يُعَظِّمُهُ أصحابُه ما يُعَظِّمُ أَصحابُ محمدٍ محمدًا ، وليس بملك .والله ما تَنَخَّمَ نُخَامَةَ إلا وقعت فى كفِّ رجلٍ منهم فَدَلَكَ / بها وجْهَه وجِلْدَه ، وإذا أمرهم ١٦٥ و بأمرٍ ابتدروا أمره ، وإذا توضَّأ كادُوا يَقْتَتِلُون على وَضُوئه أيّهم يظفر منه بشيء ، ولا يَسْقُطُ شيءٌ من شَعْرِه إلاَّ أخذوه ، وإذا تكلمّ خَفَضُوا أصواتهم عنده ، وما يحدُّون النظر إليه تعظيماً له ، ولا يتكلَّم رجلٌ منهم حتى يستأذِن ، فإن هو أَذِنَ لهُ تكلم ، وإن لم يأذن له سكت ، وقد عَرَضَ عليكم خُطَّةَ رُشْدٍ فاقبلوها ، قد حَرَزْتُ القومَ ، وأعلموا أنكم إن أردتم منهم السيف بَذَلُوه لكم ، وقد رأيت قَوماً لا يبالون ما يُصْنَعُ بهم إذا منعتم صاحبهم ، والله لقد رأيتُ معه نساء[1] ما كُنَّ ليسلمنه أبداً على حال ، فَرَوْا رأيكم فأتوه يا قوم ، واقبلوا ما عَرَضَ عليكم ، فإنى لكم ناصح ، مع أنى أخاف أن لا تُنْصَرُوا على رَجُلٍ أَتَى زائِرًا لهذا البيت مُعَظِّمًا له ، معه الهدى يَنْحَرهُ وينصرف ، فقالت قريش : لا تتكلم بهذا يا أبا يعْفور ، لو غيرك تكلم بهذا[2] ؟ ولكن نردّه عامنا هذا ، ويرجعُ إلى قابل ، فقال : ما أراكم إلاَّ تُصيبكم[3] قارعة . فانصرف هُوَ ومن تبعه إلى الطَّائف .

فقام الحُلَيس وهو بمهملتين — مُصغّر — بن علقمة الكنانى وكان من رؤوس الأحابيش ولا أعلم له إسلاما[4] فقال : دَعونى آتيه . فقالوا : ائته . فلما أشرف على رسولِ الله — صلى الله عليه وسلم — قال رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — : « هَذَا فُلاَنٌ منْ قَوْم يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ[5] وفى لفظِ « الهدى ، ويَتَأَلَّهُون[6] ، فَابْعَثُوهَا لَه » فبُعثت له ، فلما رأى الهَدْى يَسيلُ عليه من عُرُض الوادى عليها قلائِدها ، قد أكلت أوبارها من طول

---

(١) كذا فى الأصول . وفى السيرة النبوية لابن هشام « قوما » كذا فى السيرة الحلبية ٣ : ١٨ وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٩ « نسيات » .

(٢) فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٩ (لو غيرك تكلم بهذا للمناه) .

(٣) كذا فى الأصول . وفى شرح المواهب ٢ : ١٩٢ « ما أراكم إلا ستصيبكم قارعة فانصرف هو ومن تبعه إلى الطائف » .

(٤) فى شرح المواهب ٢ : ١٩٢ « قال البرهان : لا أعلم له إسلاما والظاهر هلاكه على كفره » .

(٥) البدن : جمع بدنة ، وهى البعير ذكراً كان أو أنثى والهاء فيها للوحدة لا للتأنيث ، وقال الأزهرى : البدنة لا تكون إلا من الإبل وأن الهدى من الإبل والبقر والغنم . وانظر شرح المواهب ٢ : ١٩٣ .

(٦) التأله : التعبد والتنسك (القاموس المحيط)

الحبس ، تُرَجِّع الحنين ، واستقبله الناسُ يُلَبُّون[1] قد أقاموا نصْفَ شهر ، وقد تَفِلُوا وشَعِثُوا ، صاح وقال : سبحان الله « ما ينبغى لهؤلاء أن يُصَدُّوا عن البيت أَبَى الله أن تحج لخم وجذام وكندة وحمير ويمنع ابن عبد المطلب ، ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت[2] هلكت قريشٌ وربِّ الكعبة . إنَّ القوم إنما أتوا عُمَّارًا ، فقالَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – « أَجَلْ يَا أَخَا بَنِى كِنَانَة » .

وذكر ابن إسحاق[3] ومحمد بن عمر ، وابن سعد : أنه لم يصل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لَمَّا رأى ذلك إعْظاماً لِمَا رأى فيُحْتَمَلُ أَنَّ رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – خاطبه مِنْ بُعد[4] ، فرجع إلى قريش فقال : إنى رأيتُ ما لا يحلُّ منعه ، رأيت الْهَدْى فى قلائده قد أكل أوباره معكوفاً عن مَحِلِّه والرِّجال قد تَفِلُوا وقَمِلُوا[5] أن يطوفوا بهذا البيت ، والله ما على هذا حَالفناكُم ، ولا عاقَدْناكم ، على أن تَصُدوا عن البيت مَنْ جَاءَهُ معظِّمًا لحُرْمَته مؤدِّيًا لحقه . و[ساق][6] الهدى معكوفاً أَنْ يبلغ مَحِلَّه . والذى نفسى بيده لَتُخَلُّنَّ بينه وبين ما جاء له ، أَوْ لأنْفِرَنَّ بالأحابيش نفرة رَجُلٍ واحد . فقالوا : كُفَّ عنا يا حُليس حتى نَأخذ لأنفسنا ما نرضى به ، وفى لفظ[7] اجلس فإنما أنت أعرابى لا علم لك ، كُلّ ما رأيتَ من محمدٍ مكيدة .

فقام مِكْرَز بكسر[8] الميم ، وسكون الكاف ، وفتح الرّاء ، بعدها زاىٌ ، ابن حَفْص . فقال : دعونى آته . فلمَّا طَلَعَ ورآه رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « هذا رَجُلٌ

---

(١) أى بالعمرة .

(٢) إضافة عن شرح المواهب ٢ : ١٩٣ .

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣١٣ . ومغازى الواقدى ٢ : ٥٩٩ .

(٤) وهو قول الحافظ بن حجر كما فى شرح المواهب ٢ : ١٩٣ .

(٥) فى الأصول . « قد تفلوا وقلوا » وفى السيرة الحلبية ٣ : ١٥ « والرجال قد شعثوا وقلوا » والمثبت من مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٩ .

(٦) سقط فى الأصول – والإثبات من مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٠ .

(٧) والقولان فى السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣١٢ .

(٨) هو مكرز بن حفص بن الأحنف من بنى عامر ابن لؤى (شرح المواهب ٢ : ١٩٣) .

غَادِرٌ » وفى لفظ « فاجر » فَلَمَا انتهى إلى رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلَّمَهُ بنحو مَا كَلَّم به بُدَيْلا وعُرْوَة ، فَرَجَعَ إلى أصحابه فأَخبرهم بما رَدَّ عليه / رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . ١٦٥ ظ

* * *

ذكر ارساله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خراش بن امية وبعده عثمان بن عفان الى قريش

قال (١محمد بن إسحاق١) ومحمد بن عمر وغيرهما : بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى قريش خِرَاش بن أُميَّة على جَمَل[٢] لرسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُقَالُ له الثَّعْلَبُ ، ليُبَلِّغَ عنه أشرافَهم بما جاءَ له ، فَعَقَرَ عِكْرِمَةُ بنُ أَبي جَهْلٍ ـ وأَسْلَمَ بَعْدَ ذلك ـ الجملَ ، وأَرادُوا قَتْلَهُ فمنعه الأَحَابِيشُ ، فخلُّوا سبيلَه حتى أَتَى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يكد فأَخْبَرَ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بِمَا لَقِيَ .

ورَوَى البيهقيُّ عن عُرْوَة قال : لمّا نَزَلَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحُدَيْبِيَة فَزِعتْ قُرَيشٌ لنُزُولِهِ إليهم ، فأَحَبَّ أن يَبْعَثَ إليهم رَجُلاً من أصحابِهِ ، فَدعَا عُمَر بنَ الخطاب ليبْعَثَهُ إلى قريش ، فقال : يا رسولَ الله إنِّى أخافُ قُرَيْشًا عَلَى نَفْسى وقَدْ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ عَدَاوَتى لَهَا ، وَلَيْسَ بِهَا منْ بَنِى عَدِيٍّ مَن يمنعُنِى ، وإن أَحْبَبْتَ يَارَسُولَ الله دَخَلْتُ عَلَيْهم . فلم يقل له رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئاً ، فقال عُمَرُ : يا رسول الله ولكنى أَدُلُّكَ على رجل أعزّ بمكة مِنِّى ، وأَكْثَر عَشِيرةً وأَمْنَع ، وأنه يبلغ لك[٣] ما أردت ، عثمان بن عفّان . فَدَعَا رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عُثْمَانَ فقال : « اذْهَب إلى قُرَيْشٍ وأَخْبِرْهُم أنَّا لَمْ نَأتِ لِقِتَال وإنَّمَا جِئْنَا عُمَّارًا ،

---

(١) ما بين الرقين ساقط من ت ، م . والمثبت من ط ويوافقه ابن كثير فى السيرة النبوية ٣ ـ ٣١٨ ـ حيث يقول : « قال ابن اسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعا خراش بن أمية الخزاعى فبعثه إلى قريش إلخ » . وانظر مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٠ .

(٢) فى السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣١٤ « وحمله على بعير له » .

(٣) فى الأصول « يبلغ ذلك ما أرادت » ولعل الصواب ما أثبته وهذا اللفظ لم يرد فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣١٤ ولا فى رواية ابن كثير عنه فى السيرة النبوية ٣ : ٣١٨ ولا فى مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٠

وادْعُهُم إلى الإسلام » . وأمَرَهُ أن يأتي رِجالاً بمكة مؤمنين ونساءً مؤمنات فيَدْخلَ عليهم ويبشِّرَهُم بالفتح ، ويخبرَهُم أنَّ الله تعالى ـ وشيكاً أنْ يُظْهِرَ دينَه بمكَّةَ حتى لا يُسْتَخْفَى فيها بالإيمان . فانطلقَ عثمانُ إلى قريش فَمَرَّ عليهم ببَلْدَح فقالوا : أينَ تريدُ ؟ فقال : بَعَثَنِي رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليكم لأدْعُوَكم[1] إلى الإسلام ، وإلى الله جلَّ ثناؤُه ، وتدخلون في الدِّين كافة ، فإن الله ـ تعالى ـ مُظْهِرُ دِينَه ومُعِزٌّ نَبِيَّهُ ، وأُخرى : تكفون ويكون الذى يلي هذا الأمر منه غيركُم ، فإن ظُفِرَ برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذلك ما أردتم ، وإن ظَفِرَ كنتم بالخيار بين أن تدخلوا فيما دَخَل فيه النَّاسُ ، أو تُقَاتِلوا وأنتم وافرون جَامُّون . إن الحرب قد نَهَكَتْكُم وَأَذْهَبَتْ الأَمَاثِلَ منكم . وأُخْرَى إنَّ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُخْبِرُكم أنّه لم يأتِ لِقِتَالِ أحدٍ ، إنَّمَا جاءَ مُعْتَمِرًا ، مَعَهُ الهَدْى ، عليه القلائِدُ يَنْحَرُهُ وَيَنْصَرِفُ .

فقالوا : قَدْ سَمِعْنَا مَا تَقُولُ ، ولَا كَانَ هذَا أَبَدًا ، ولَادَخَلَهَا عَلَيْنَا عَنْوَةً ، فَارْجِع إلى صَاحِبِكَ فَأَخْبِرْهُ أنَّه لَا يَصلُ إلينا .

ولَقِيَهُ أَبَانُ بنُ سَعيد[2] ـ وأسلم بعد ذلك ، فَرَحَّبَ به أَبَانُ وأَجَارَهُ[3] ،وقال : لا تَقْصر عن حاجتك ، ثم نَزَل عن فَرَسٍ كان عليه فحمل عثمانَ علىَ السَّرج وَرَدِفَ[4] وَرَاءَهُ وقال :

أَقْبِل وأَدْبِر لَا تَخَفْ أَحَـــدًا بنوسعيد أعــــزَّةُ الحَرَمِ

١٦٦ و فَدَخَل بِهِ مكّةَ ، فَأَتَى عثمانُ أَشْرَافَ قُرَيْش / ـ رَجُلاً رَجُلاً ـ فجعَلُوا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ : إنَّ مُحَمَّدًا لَا يَدْخُلُهَا علَيْنَا أَبَدًا ، ودَخَلَ عَلَى قَوْمٍ مؤمنين مِن رِجالٍ ونساءٍ مُسْتَضْعَفِين بمكة فقال : إنَّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : قد أَظَلَّكُم حتى لا يُسْتَخْفَى

---

(١) في مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٠ « يدعوكم إلى الإسلام » .
(٢) هو أبان بن سعيد بن العاص (مغازى الواقدى ٢ : ٦٠١) .
(٣) في المرجع السابق (وأجازه) .
(٤) كذا في الأصول . وفي مغازى الواقدى ٢ : ٦٠١ « وردفه »

بمكة اليوم بالإيمان ، فَفَرِحُوا بذلك ، وقالوا : اَقْرَأْ عَلَى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ السَّلامَ .

ولَمَّا فَرَغَ عثمانُ من رسالةِ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى قريش قالوا له : إنْ شِئْتَ أن تَطُوفَ بالبَيْتِ فَطُفْ ، فقال : ما كُنْتُ لأَفْعَلَ حتى يَطُوفَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأقام عثمانُ بمكة ثلاثاً يَدْعُو قُرَيْشًا .

وقال المسلمون ـ وهم بالحُدَيْبِيَة ، قبل أن يَرْجِعَ عثمانُ ـ : خَلَصَ عُثمانُ مِن بَيْنِنَا إلى البَيْتِ فَطَافَ بِهِ ، فقال رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما أظنُّه طافَ بالبَيْت ونحن مَحْصُورُون » ، وقالوا : وما يمنعه يا رسول الله وقَدْ خَلُص إليه قال : « ذلك ظَنِّيَ به ألاَّ يَطُوفَ بالكَعْبَة حتى نَطُوفَ » ، وعِنْد ابن جرير وابن أبي حاتم عن سلمة بن الأَكْوع ـ مرفوعًا ـ « لو مكث كذا كذا سَنَةً ما طافَ حتى أطوف » فَلَمَّا رجعَ عثمانُ إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال المسلمون له : اشْتَفَيْتَ من البيت يا أبا عبد الله !! فقال عثمان : بئس ما ظننتم بي ! فوالذى نفسي بيده لو مكثتُ مقيماً بها سنةً ورسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقيم بالحديبية ما طُفْتُ حتَّى يَطُوفَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولقد دَعَتْنِي قريشٌ إلى أن أَطُوفَ بالبَيْتِ فأَبَيْتُ . فقالوا : كان رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَعْلَمَنَا وأَحْسَنَنَا ظَنًّا .

وكان رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأمر أصحابَه بالحراسة باللَّيل ، فكانوا ثلاثة يتناوبون الحراسة : أَوْسُ بن خَوْلِيّ ـ بفتح الخاء المعجمة والواو ـ وعبَّاد ابن بِشر ، ومحمد بن مَسْلَمَة ـ رضى الله عنهم ـ وكان محمد بن مَسْلَمَة على حَرَسِ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلةً من الليالى ، وعثمانُ بنُ عفَان بمكة . وقد كانت قريش بَعثت ليلا[1] خمسين رجلا ، عليهم مِكْرَزُ بنُ حَفْص ، وأَمَرُوهُم أن يطوفُوا[2] بالنَّبِيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجاءَ أن يُصِيبُوا منهم أحداً ، أو يُصِيبُوا منهم غِرَّةً ،

---

(١) فى ت ، م « ليلة » والمثبت من ط ويوافقه ما فى مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٢ .

(٢) كذا فى الأصول . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٢ « يطيفوا » وكذلك فى سيرة ابن كثير ٣ : ٣١٨ .

فأخذهم محمدُ بن مَسْلَمة ، فجاء بهم رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – وأَفْلَتَ مِكْرَزُ فَخَبَّر أَصْحابَه وظهر قولُ النبيّ – صلى الله عليه وسلم – كما تقدم أنه رَجُلٌ غَادِرٌ ، وكان رجالٌ من المسلمين قد دخلوا مكَّة بإذنِ رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم – وهم : كُرْزُ بنُ جابر الفِهْرِى ، وعبدُ الله بنُ سُهَيْلِ بن عَمْرو بنُ عبد شمس ، وعبدُ الله بن حُذَافَةَ السّهمىّ ، وأبو الرّوم بن عُمَيْر العَبْدَرىّ ، وعَيَّاش بن أبى ربيعة ، وهشام ابن العاص بن وائِل ، وأبو[1] حَاطِب بنُ عُمَرو من عبد شمس[2] وعُمَيْرُ بنُ وَهْب الجُمحِىُّ وحاطِبُ بنُ أبى بَلْتَعَة ، وعبدُ الله بنُ أبى أُميَّة[3] . قد دخلوا مكة فى أمان عثمان ، وقيل : سِرًّا ، فَعُلِمَ بهم فأُخِذُوا ، وبَلَغ قريشاً حَبْسُ أصحابهم الذين مَسَكَهُم محمدُ بنُ مَسْلَمَة ، فجاء جَمْعٌ مِنْ قريش إلى النبيّ – صلى الله عليه وسلم – وأصحابِه / حتى تَرَامَوْا بالنَّبْلِ ١٦٦ ظ والحجارةِ ، وأَسَرَ المسلمون مِنَ المشركين – أيضاً – اثنى عشر فارساً ، وقُتِلَ من المسلمين ابنُ زَنِيم – وقد أطلع الثَّنية من الحُدَيْبِيَة – فرماهُ المشركون فقتلوه ، وبعثت قريشٌ سُهَيْلَ بن عمرو وحُوَيْطبَ بنَ عبد العُزّى – وأسلما بعد ذلك ، ومِكْرَزَ بنَ حَفْص ، فلمّا جاء سُهَيْلٌ ورآه النبيّ – صلى الله عليه وسلم – قال لأصحابه : سَهُلَ أَمْرُكُم[4] فقال سُهَيْلٌ : يا محمد إنّ الذى كان من حَبْسِ أصحابِك وما كان من قِتالِ مَنْ قاتَلَكَ لَمْ يَكُنْ مِن رأى ذَوِى رأْيِنَا بل كُنّا لَهُ كارهين حين بَلَغَنَا ، ولم نَعْلَمْ به ، وكان مِن سُفَهَائِنَا ، فابْعَثْ إلينا بأصحابنا الذين أَسَرْتَ أوّل مَرَّةٍ ، والذين أَسَرْتَ آخِرَ مَرَّةٍ . فقال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – : « إنّى غيرُ مُرْسِلِهم حتّى تُرْسِلُوا أصحابى » ، فقالوا : أَنْصَفْتَنَا ، فَبَعَثَ سُهَيْلٌ ومَنْ مَعَه إلى قُرَيْش بالشُّيَيْم – بشين معجمة مُصَغّر – بنِ عبدِ مَنَاف التَّيْمِىّ ، فَبَعَثُوا بِمَن كان عندهم : وهم عثمان والعشرة السابق ذكرهم – رضى الله عنهم – وأرسل رسولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – أصحابَهم الذين أسرهم ، وقَبْلَ وصول عثمان ومن معه بَلَغَ رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – أن عثمان ومن معه قد قُتِلُوا ، فكان ذلك حين دَعا إلى البيعة .

(١ ، ٢ ، ٣) إضافة من الواقدى ٢ : ٦٠٣ .

(٤) فى مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٣ « سهل أمرهم » وفى شرح المواهب ٢ : ١٩٤ « قد سهل لكم من أمركم » وسهل بفتح السين وضم الهاء وعند الدماميني بضم السين وكسر الهاء المشددة .

ذكر مبايعته – صلى الله عليه وسلم – بيعة الرضوان وفضل مَن بايع

قالوا : لَمَّا بلغَ رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – أَنَّ عثمانَ قد قُتِلَ دَعَا النَّاسَ إلى البَيْعَة ،وقال : « لا نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ القَوْمَ » وأَتَى رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – مَنَازِلَ بنى مازن بن النجار ، وقد نزلت فى ناحية من الحُدَيْبِيَة ، فجلس فى رحالهم تحت شجرة خضراءَ ثم قال : « إِنَّ الله – تعالى – أَمَرَنى بِالبَيْعَة » فأَقبل الناس يبايعونه حتى تداكوا[1] فما بقِىَ لبنى مازن متاعٌ إلا وطئَ ، ثم لبِسوا السِّلاح وهو معهم قليل، وقامت أم عمارة إلى عمود كانت تستظل به فَأَخذته بيدها وشدّت سكيناً فى وسطها

وروى ابن جرير وابن أَبى حاتم عن سَلَمَة بن الأَكوع والبيهقىّ عن عُرْوَةَ ، وابنُ إسحاق عن الزُّهْرِىّ ، ومحمدُ بنُ عمرَ عن شيوخه ، قال سلمةُ : بَيْنَا نحنُ قائِلون إذ نادى منادِى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « أيها النَّاس البيْعة البيْعَة ، نَزَلَ روحُ القُدُسِ فاَخرجوا على اسم الله » قال سلمة : « فَسِرْنا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو تحت شجرة سَمُرَة[2] فبايعناه . وفى صحيح مسلم عنه قال : فبايعتُه أَوَّلَ الناس ، ثم بايع وبايع حتى إذا كان فى وسط من الناس قال : « بَايِعْ يا سَلَمة » قال : قلتُ : قَدْ بَايَعْتُكَ يا رسولَ الله فى أَوّلِ الناس . قال : « وأَيْضًا » قال : ورآنى رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – عَزِلا فأَعطانى حَجَفَةً – أَو دَرَقَةً – ثم بايع حتى إذا كان فى آخر النّاس قال : « أَلا تبايِعنى يا سَلَمة ؟ » قال: قلت : يا رسول الله قد بايَعْتُك فى أَوّل الناس ، وفى وسط الناس ، قال: « وأَيضًا » فبايعْته الثالثة ، ثم قال لى: « يا سلمة أَين حَجَفَتُكَ – أو دَرَقَتُك – التى أَعْطَيْتُك ؟ » قال: قلت: يارسول الله ، لقينى عمّى عامر عزلا / فأَعطيته إياها ، قال : فَضَحِكَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – وقال : « إنك كالذى قال الأَول : اللهم ابغنى حبيباً هو أحب إلىّ من نفسى ، وفى صحيح البخارى عنه قال : بايعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تحت الشجرة ، قيل : على أى شىء

١٦٧ و

---

(١) تداكوا : أى تزاحموا (اللسان) وفى مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٣ (حتى تدارك الناس) .

(٢) فى شرح المواهب ٢ : ٢٠٧ « شجرة سمرة أو أم غيلان كان – صلى الله عليه وسلم – نازلا تحتها يستظل بها فبايعوه » .

كنتم تبايعون قال : على الموت[1] . وفى صحيح البخارى عن نافع قال : إن ابن عمر أسلم قبل أبيه ، وليس كذلك ، ولكن عُمَرَ يومَ الحُدَيْبِيَة أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل منَ الأَنْصار يأتى به ليقاتل عليه ورسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – يبايع عند الشجرة وعمرُ لا يدرى بذلك ،فبايَعَه عبد الله ، ثم ذَهَب إلى الفرس فجاءَ به إلى عمر وعمر يستلئم[2] للقتال فأخبره أنّ رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – يبايعُ تحتَ الشجرة ، قال: فانطلق فذهب معه حتى بَايَع رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – فهى التى يتحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر .

وفيه أيضاً عن نافع عن ابن عمر أن الناس كانوا مع النبىّ – صلى الله عليه وسلم – يوم الحُدَيْبِيَة تَفرّقُوا فى ظلال الشجر فإذا الناس مُحْدقُون بالنبىّ – صلى الله عليه وسلم – فقال[3] عمر : يا عبد الله انظر ما شأن الناس أحدقوا برسول الله – صلى الله عليه وسلم[3] – فذهب فوجدهم يُبَايعونه فبايع ، ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع .

وروى الطَبرانى عن عطاء بن أبى رباح قال : قلت لابن عمر : أشَهِدْتَ بيعةَ الرِضوان مع رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . قلت : فما كان عليه ؟ قال: قميص من قطن ، وجبّة محشوة ، ورداء وسيف ، ورأيتُ النعمان بنَ مُقَرِّن – بميم مضمومة فقاف مفتوحة فراء مشددة مكسورة – المازنىّ قائم على رأسه ، قد رفع أغصان الشجرة عن رأسهْ يبايعونه .

وفى صحيح مسلم عن جابر قال : بايَعْنَا رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – وعمر آخذ بيده تحت شجرة – وهى سَمُرَة– فبايعناهُ غير الجَدّ بن قيس الأنصارى اختفى تحت بطن بعيره. وعند ابن إسحاق عن جابر [بن عبد الله[4]] : فكأنى أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته قد خبَأ إليها يستتر بها من الناس بايعناه على ألا نفر ، ولم نبايعه على الموت .

(١ – ١) ما بين الرقين سقط فى ط ، م والإثبات عن ت .
(٢) أى يلبس لأمته .
(٣ – ٣) ما بين الرقين ساقط من ط والإثبات من ت ، م .
(٤) الإضافة من السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ بهامش الروض الأنف ص ٢٢٩

وفيه – أيضاً – عنه : لقد رأيتنى يوم الشجرة والنبىّ – صلى الله عليه وسلم – يبايع الناس وأنا رافع غصن من أغصانها عن رأسه ولم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ألا نَفرّ .

وروى الطبرانىّ عن ابن عمر ، والبيهقىّ عن الشعبى ، وابن منده عن زر بن[1] حبيش قالوا : لَمّا دَعَا رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – النّاسَ إلى البيعة كان أولَ من انتهى إليه أَبو سِنَان الأَسدى ، فقال : ابسط يَدَك أُبايعك ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « علامَ تبايعنى » قال : على ما فى نفسك . زاد ابنُ عمر : فقال النبي : وما فى نفسى ؟ قال :أَضْرِبُ بسيفى بين يديك حتى يُظْهِرَكَ الله أَو أُقْتَل . فبايعهُ ، وبايعه النّاسُ على بيعة أَبى سنان .

وروى البيهقى عن أَنس وابنُ إسحاق عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : لما أُمر رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – ببيعة الرّضوان كان بعث عثمان – رسولُ الله – / صلى الله عليه وسلم – إلى أَهل مكة ، فبايع الناس ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « اللّهُم إنّ عثمانَ فى حاجتك وحاجة رسولك ، فضرَبَ بإحدَى يديه على الأُخرى . فكانت يد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لعثمان خيراً من أَيديهم لأَنفسهم .

١٦٧ ظ

وروى البخارىّ وابنُ مردويه عن طارق بن عبد الرحمن قال : انطلقتُ حاجًّا فمررتُ بقَوْمٍ يُصَلُّون فقلت : ما هذا ؟ قالوا : هذه الشجرة حيثُ بايَعَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – بيعة الرضوان . فأَتَيْتُ سعيد بْنَ المُسَيَّب فأَخبرته ، فقال سعيد: حدّثَنى أَبى أنه كان فيمن بايع رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – تحت الشجرة ، فلمّا خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها ، فقال سعيد : إنَّ أَصحاب محمد لم يَعلموها وعلِمتموها أَنتم ، فأَنتم أَعلم .

---

(١) هو زربن حبيش بن حباشة من أوس الأسدى ، من أسد بن خزيمة ، يكنى أبا حريم أو قيل أبا مطرف . أدرك الجاهلية ولم ير النبى – صلى الله عليه وسلم – وهو من كبار التابعين ، روى عن عمر وعلى وابن مسعود – رضى الله عنهم – وروى عنه الشعبى والنخعى ، وكان فاضلا عالماً بالقرآن ، توفى سنة ٨٣ هـ (أسد الغابة ٢ : ٢٠٠) .

وروى ابنُ سعد بسند جيّد عن نافع قال : خرج قومٌ من أَصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد ذلك بأعوام فما عَرَفَ أحدٌ منهم الشجرةَ ، واختلفوا فيها . قال ابن عمر : كانت رحمة من الله .

وروى ابن أَبى شيبة فى المصنف وابنُ سعد عن نافع قال : بلغ عمرَ بنَ الخطاب أن ناساً يأتون الشجرة التى بُويع تحتها فيصلُّون عندها فَتَوَعَّدَهُم ، ثم أمر فَقُطِعَت .

وروى البخاريّ وابن مردويه عن قتادة قال : قلتُ لسعيد بن المُسَيَّب : كم كان الذين شَهِدُوا بيعةَ الرِّضْوَان ؟ قال : خمس عشرة مائة ، قلتُ فإنّ جابرَ بنَ عبد الله قال : أَربع عشرة[1] مائة ، قال : يرحمه الله تَوَهَّم ، هو حدّثنى أَنهم كانوا خمس عشرة مائة .

وروى الشيخان ، وابنُ جرير عن عبد الله بن أَبى أَوْفَى قال : كان أَصحاب الشجرة أَلفاً وثلاثمائة ، وكانت أَسْلَمُ ثُمُنَ المهاجرين .

أَفادَ الواقدىُّ أَنّ أَسْلَم كانت فى الحُدَيْبِيَة مائة رجل ،

وروى سعيد بن منْصُور والشيخان عن جابر بن عبد الله قال : كنَّا يومَ الحُدَيْبِيَة أَلفًا وأَربعمائة فقال لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « أَنتم خير أَهل الأَرض » .

وروى الإمام أَحمد ، وأَبو دارد ، والترمذىّ عن جابر بن عبد الله ، ومسلمٌ عن أَبى بِشر – رضى الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « لا يدخل النار أَحدٌ بايع تحت الشجرة » .

وروى الإمام أَحمد بسندٍ – رجاله ثقات – عن أَبى سعيد الخُدْرى – رضى الله عنه – قال : لمّا كان يوم الحُدَيْبِيَة قال لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « لا تُوقِدُوا نارًا باللَّيْلِ » فلمَّا كان بعد ذلك قال : « أَوقدوا واصطنعوا فإنه لا يدرك قومٌ بعدكُم صَاعَكُم ولا مُدَّكُم » .

---

(١) وانظر الخلاف حول عدد أصحاب رسول الله فى هذه الغزوة والتوفيق بين الأراء فى شرح المواهب ٢ : ١٨٠ وفى سيرة النبى لابن كثير ٣ : ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

فلمّا نظر سُهَيْلُ بن عمرو وحُوَيْطِبُ بنُ عبد العُزَّى ، ومِكْرَزُ بنُ حَفْص ، ومن كان معهم من عُيُون قريش مِنْ سُرْعَة النّاس إلى البيعة وتشميرهم إلى الحرب اشتَدَّ رُعْبُهم وخوفُهُم ، وأسرعوا إلى القضية .

ثم أَتى رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - أن الذى ذُكِرَ من أمر عثمان باطل » .

* * *

/ ذكر الهدنة وكيف جرى الصلح يوم الحديبية

١٦٨ و

روى ابن إسحاق وأبو عبيد وعبدُ الرزّاق والإمام أَحمد وعبد بن حميد والبخارى وأَبو داود والنسائى وابن جرير وابن مردويه ، ومحمدُ بنُ عمر عن المِسْوَر بن مَخْرَمَة ومروان بن الحَكَم ، والشيخان عن سَهْيل بن حُنيْف أَن عثمان لمّا قَدم من مكة هو ومن معه رجع سُهَيْلُ بن عمرو وحُوَيْطِبُ ومِكْرَزُ إلى قريش فأَخبروهم بما رأوا من سرعة أَصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى البيعة وتشميرهم إلى الحرب اشتدّ رعبهم ، فقال أَهل الرأى منهم : ليس خيرٌ من أَن نصالح محمدا على أَن يَنْصرِفَ عنّا عامَه هذا ، ولا يخلص إلى البيت حتى يسمع من سمع بمسيره من العرب أَنّا قد صددناه ، ويرجع قابلا فيقيم ثلاثاً وينحر هَدْيَه وينصرف ، ويقيم ببلدنا ولا يدخل علينا ، فَأَجمعوا على ذلك . فلما أَجمعت[1] قريشٌ على الصلح والموادعة بعثوا سُهَيْل بن عمرو وحُوَيْطِبَ ومِكْرَزَ وقالوا لسهيل : ايئتِ محمدا فَصَالحه وليكن فى صلحك أَلاَّ يدخل عامَه هذا ، فوالله لا تحدَّثُ العَرَبُ أَنه دخل علينا عَنْوةً فأَتى سهيلٌ رَسُولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فلما رآه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « قَدْ أَرَادَ الْقَوْمُ الصُّلْحَ حينَ بَعَثُوا هَذَا » وفى لفظ : فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « سَهُلَ أَمركم » وجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - متربعاً ، وكان[2] عَبَّاد بن بِشْر وسَلَمَة بن أَسْلم بن حَرِيش على رأسهِ - وهما مُقَنَّعَان فى الحديد - فبرك سُهَيْلٌ على ركبتيه فكلم رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فأَطالَ الكلامَ وتراجعا ، وارتفعت الأَصوات وانخفضت ،

---

(١) فى ط « اجتمعت » والمثبت من ت ، م . ويوافقه ما فى مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٥ .
(٢) فى ط (وقام) والمثبت من ت ، م

وقال عَبّاد بن بشْر لسُهَيل : اخفضْ منْ صَوْتك عند رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم – والمسلمون حول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – جلوسٌ ، فجرى بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبين سُهَيْلٍ القولُ حتى وقع الصُّلحُ على أن تُوضَعَ الحربُ بينهما عشر سنين ، وأن يأمَنَ الناسُ بعضهم بعضا ، وأن يرجع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عامَه هذا ، فإذا كان العامُ المقبلُ قدمها فخلّوا بينه وبين مكّة ، فأقامَ فيها ثلاثاً فلا يدخلها إلا بسلاح الراكب والسيوف فى القُرُب لا يدخلها بغيره ، وأنَّه مَنْ أتَى محمدًا من قريش بغير إذن وَليّه – وإن كان على دين محمد – ردّه إلى وليّه ، وأنه من أتى قريشاً ممن اتَّبَع محمدا لم يَرُدوه عليه ، وأن بينهم وبين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عيبة[1] مكفوفة ، وأنه لا إسْلاَل[2] ولا إغلال[2]، وأنه من أَحَبَّ أن يَدْخُلَ فى عَقْد محمد وعَهْدِهِ دخل فيه ، ومن أَحبَّ أن يدخُل فى عَقْدِ قريش وعهدهم دخل ، فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن فى عقد محمد وعهده . وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن فى عَقْد قريش وعهدهم .

فكَرِهَ المسلمون هذه الشروط وامتعضُوا منها ، وأبَى سُهيل إلاَّ ذلك فلما اصطلحوا ولم يَبْقَ إلاَّ الكتاب وَثَبَ عمرُ بنُ الخطاب / إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالَ : يا رسُولَ الله أَلسْتَ نَبِىَّ الله حَقًّا ؟ قال : بلى . قال : أَلسْنَا على الحقِّ وهم على الباطل ؟ قال : بلى ، قال[3] : أَلَيْسَ قتلانَا فى الجنَّة وقتلاهم فى النار ؟ قال : بلى . قال : عَلاَمَ نُعْطى الدَّنِيَّةَ[4] فى ديننَا ؟ ونرجع ولم يَحْكُم الله بيننا وبينهم ؟ فقالَ رسُول الله – صلى الله عليه وسلم – : إنى عبدُ الله ورسوله ولستُ أَعْصيه ولن يُضَيِّعَنى وهو ناصرى » قال : أو ليس كُنْتَ تُحدثُنا[5] أنَّا سَنَأتِى البَيْتَ فَنَطُوفَ حَقًّا ؟ قال : « بلى ، أفأَخْبَرْتُكَ أَنَّك تَأتيه العَام ؟ قال : لا : قال : « فإنَّك آتيه ومُطَوِّفٌ به » ، فذهب عُمَرُ إلَى

١٦٨ ظ

---

(١) يريد أن تكف عنا ونكف عنك (هامش مغازى الواقدى ٢ : ٦١١ عن شرح أبى ذر ص ٣٤١).

(٢) الإسلال : السرقة ، والإغلال : الخيانة (المرجع السابق) .

(٣) سقط فى الأصول . والمثبت عن شرح المواهب ٢ : ٢٠٤ .

(٤) الدنية : أصلها الدنيئة بالهمزة ولكن خففت ، وهى صفة لمحذوف : أى الحالة الدنيئة الخسيسة (المرجع السابق) .

(٥) كذا فى ط ، ت وكذا شرح المواهب ٢ : ٢٠٤ – وفى م « تحدثنى »

أبي بكر[١] مُتَغَيِّظًا ولم يصْبِرْ ، فقال : يَا أَبَا بَكْر : أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ الله حَقًّا ؟ قال : بلى . قال : أَلَسْنَا على الْحَقِّ وهُم عَلَى الْبَاطل ؟ أليس قَتْلاَنَا فِي الْجَنَّة وقَتْلاَهُم فى النَّارِ ؟ قال : بَلَى . قال : فَعَلاَمَ نُعْطى الدَّنيَّة فِي دِينِنَا ونَرْجع ولم يَحْكُم اللهُ بَيْنَنَا وبينهم ؟ قال : أَيُّهَا الرَّجل إِنَّهُ رسولُ الله ولَيْسَ يَعْصى رَبَّه ، وهُوَ نَاصرُه فَاسْتَمْسِكْ بغَرْزِه[٢] حتى تَمُوت ، فَوَالله إِنَّه لَعَلَى الْحَق . وفى لفظ فإنَّه رسولُ الله . فقال عمر : وأنا أَشهدُ أَنَّه رسولُ الله ، قال : أَوَ لَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّه سَنَأْتى الْبَيْتَ ونَطُوفُ به ؟ قال : بلى أَفأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تأتيه العام ؟ قال : لا . قَالَ : فإِنَّكَ آتيه ومُطَوِّفٌ[٣] به . فَلَقِيَ عُمُرُ مِنْ هذه الشُّرُوط أَمْرًا عظيماً . وقال كما فى الصحيح : والله ما شَكَكْتُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ إِلاَّ يَوْمئِذ ، وَجَعَلَ يَرُدُّ على رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – الْكلاَمَ فقال أبو عبيدة بن الجراح – رضى الله عنه – : أَلاَ تَسْمَعُ يا ابن الخطاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقولُ مَا يَقُول ، تَعَوَّذْ بالله من الشَّيْطَان واتَّهِم رأيك ، قال عمر : فجعلت أتعوذ بالله من الشيطان حياء فما أصابنى شيء قط مثل ذلك اليوم وعملْتُ بِذَلِكَ أَعْمَالاً – أى صَالِحَة – لتكفر عنى ما مضى من التوقف فى امتثال الأمر ابتداء كما عند ابن إسحاق[٤] وابن عمر الأسلمى . قال عمر : فما زِلْتُ أَتَصَدَّق وأَصُوم وأُصَلِّي وأَعْتِقُ مِنَ الَّذِى صَنَعْتُ يومئِذٍ مَخَافَةَ كَلاَمِي الَّذِى تكلمت به حتَّى رَجَوْتُ أن يكون خيرًا .

وروى البزار عن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – قال : اتهموا الرأى على الدين فلقد رَأَيْتُنِى أَرُدُّ أَمْرَ رَسُولِ الله – صلى الله عليه وسلم – برأيي ، وما ألوت على الحق ، قال : فرضى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأَبَيْتُ حَتَّى قال : « يا عُمَر تَرَانِى رَضِيتُ وتأبَى » .

---

(١) قدم المصنف هنا سؤال عمر للنبى – صلى الله عليه وسلم – على سؤاله لأبى بكر موافقاً بذلك مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٦ أما فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣١٧ . والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٦٨ ، فقد قدم فيها سؤاله لأبى بكر على سؤاله للنبى – صلى الله عليه سلم .

(٢) الغرز : للرحل بمنزلة الركاب للسرج والمراد : الزم أمره (هامش مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٦ عن شرح أبي ذر ص ٢٤١) .

(٣) كذا فى ط ، ت . وفى م « وتطوف به »

(٤) عرض شرح المواهب ٢ : ٢٠٥ موقف عمر – رضى الله عنه – وسببه وعذره وما قاله وعمله بسبب ذلك .

فقال سُهيل : هَاتِ ، اكْتُبْ بَيْنَنَا وبَيْنَكَ كتاباً ، فَدَعا رسولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – عَلِيًّا – كما فى حديث البراء عند الْبُخَارى فِى كِتَابِ الصُّلْح وكتاب الْجزْية ، ورواه إسحاق بن راهويه من حديث المِسْوَر ومروان ، وأحمد ، والنّسائى ، والْبَيْهقى والحاكم – وصَحّحَه عن عبد الله بن مُغَفَّل[1] ، فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « اكْتُبْ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَن الرَّحِيم » ، فَقَالَ سُهَيْل – وأَسْلَمَ بعد ذلك – أَمَّا الرَّحْمٰن الرَّحيم فَوَالله ما أَدْرى مَا هُو ، ولكن اكْتُبْ بِاَسْمِكَ اللَّهُم كمَا كُنْتَ تَكْتُبُ اكْتُبْ[2] فى قَضِيَّتِنا مَا نَعْرف . فَقَالَ الْمُسْلِمُون : والله لا تكتبها إلاَّ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰن الرَّحِيم . فَقَالَ النَّبِىُّ – صلَّى الله عليه وسلم – « اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ » ثُمَّ قَالَ : « هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ / رَسُولُ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلم » فقال سُهَيْل : واللهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ ، وَلَا قَاتَلْنَاكَ ، اكْتُبْ فِى قَضِيَّتِنَا مَا نَعْرِف ، اكْتُبْ مُحَمَّدَ بن عبد الله . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عليه وسلم – لِعَلَى امحه ، فَقَالَ على : مَا أَنَا بِالَّذِى « أَمحاه »[3] وفى لفظ « أمحاك » وفى حديث محمد[4] ابن كَعْب القَرَظِىّ : فجعل عَلِىٌّ يَتَلَكَّأُ ، وأَبَى أَنْ يَكْتُب إلاَّ محمدٌ رسول الله ، فَقَالَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – : اكْتُبْ فإِنَّ لَكَ مِثْلَهَا تُعْطِيْهَا وَأَنْت مضطهد[5] انتهى .

١٦٩ و

وَذَكَرَ محمد بن عمر أن أُسَيْدَ بْنَ الحُضَيْر وسعْدَ بْنَ عُبَادة أَخَذَا بِيَدِ على[6] ومنعاه

(١) هو عبد الله بن مغفل بن مقرن المزنى ذكره ابن فتحون فى ذيل الاستيعاب ، ولم يذكره مستنداً لذكره فى الصحابة . وقال ابن قتيبة : ليست له صحبة ولا إدراك . وذكره فى التابعين ابن سعد والعجلى والبخارى وابن حبان وغيرهم (الإصابة ٣ : ٢٤٢) .

(٢) يوجد هنا بياض فى الأصول بمقدار ثلاث كلمات . ولكن السياق متصل ويتفق مع ما فى شرح المواهب ٢ : ١٩٥ .

(٣) فى شرح المواهب ٢ : ١٩٦ « وأمحاه بالألف لغة فى أمحوه بالواو ، وفيه لغة ثالثة أمحيه كما فى المختار – ولم يذكرها المصباح .

(٤) لفظ (محمد) ساقط منم

(٥) فى شرح المواهب ٢ : ١٩٦ « وأنت مضطر : يشير إلى ما وقع لعلى يوم الحكمين ، فإنه لما كتب الكاتب هذا ما صالح عليه على أمير المؤمنين أرسل معاوية يقول لو كنت أعلم أنه أمير المؤمنين قلته امحها واكتب ابن أبى طالب فقال على : الله أكبر مثل بمثل امحها » .

(٦) عبارة الواقدى فى المغازى ٢ : ٦١١ « أخذا بيد الكاتب فأمسكاها وقالا : لا تكتب إلا محمد رسول الله وإلا فالسيف بيننا » .

أن يكتب إلاَّ « محمد رسول الله » ،وإلاَّ فَالسَّيْفُ بَيْنَنَا وَبيْنَهم ، فَارْتَفَعتِ[1] الأَصْوَات ، فَجَعَل رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – يُخفضهم ويُومئ بِيَده إليهم : اسْكُتُوا . فقال : أَرِنيه[2] ، فأَراهُ إيَّاه فَمَحَاهُ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – بيده وقال : اكْتُبْ محمدُ بنُ عبد الله . قال الزهرى : وذلك لِقَوْلِهِ – صلى الله عليه وسلم – لاَ يَسْأَلُونِى خُطَّةً يُعَظِّمُون بِهَا حُرُمَاتِ اللهِ إلاَّ أَعْطَيْتُهم إيَّاهَا ، فَقَالَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – لسهيل عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ ، فَنَطُوفَ ، فَقَالَ سهيل : لَا وَاللهِ لا تَحَدَّثُ العربُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً[3] ، وَلَكِنْ لَكَ من الْعَامِ الْمُقْبِل ، فكتب . فَقَالَ سُهيل : عَلَى أَنَّه لاَ يَأْتيك مِنَّا أَحَدُ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّه – وإنْ كَانَ عَلَى دِينِك إلاَّ رَدَدْته إِلَيْنَا فَقَالَ المسْلِمُون : سُبْحَانَ الله ، أَيُكْتَبُ هَذَا ؟ كيفَ يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : نعم[4] إنه مَنْ ذَهَبَ مِنَا إِلَيْهم فأَبعده الله ، وَمَنْ جَاءَ مِنْهُم إِلَيْنَا سَيَجْعَلُ الله لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا .

وفى حديث عبد الله بن مُغَفَّل عند الإمام أحمد ، والنسائى ، والحاكم بعد أنْ ذَكَرَ نحو ما تَقَدَّم ، قال[4] فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِك إذْ خَرَجَ عَلَيْنَا ثَلاَثُونَ شَابًّا عَلَيْهِمُ السِّلاَح فثاروا[5] إلى وُجُوهِنَا ، فَدَعَا عليهم رسولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فَأَخَذَ اللهُ بِأَسْمَاعِهِم – ولَفْظُ الْحَاكِم بِأَبْصَارِهم – فَقُمْنَا إِلَيْهِم فَأَخَذْنَاهم ، فَقَالَ لَهُم رسولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – « هَلْ جِئْتُمْ فِى عَهْد أحد وَهَلْ جَعَلَ لَكُم أَحَدٌ أَمَانًا » ؟ فقالوا : لَا . فَخَلَّى سبِيلَهم فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذى كَفَّ أَيْدِيَهُم عَنْكُم[6] ﴾ .

وروى ابن أَبِى شَيْبَة ، والإمام أحمد ، وعبد بن حميد ، ومسلم ، والثلاثة عن أنس قال : لَمَّا كَان يومُ « الحُدَيْبِيَة » هَبَطَ عَلَى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأَصحابهِ

---

(١) فى ت ، م « وارتفعت » .
(٢) أى أرنى مكانها أى كلمة رسول الله – شرح المواهب ٢ : ٤ : ١٩٦ .
(٣) ضغطه : أى قهرا . والضبط من شرح المواهب ٢ : ١٩٩ ، وشرح المفردات .
(٤) « قال » هذا اللفظ من ط .
(٥) كذا فى ط ، ت . وفى م « فشاروا » .
(٦) آية ٢٤ من سورة الفتح .

ثَمانُونَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فِى السِّلاَح مِنْ قِبَلِ جَبَل التَّنْعِيم يُرِيدُون غِرَّةَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَدَعَا عليهم ، فَأُخِذُوا فعفا عنهم .

وروى عبد بن حميد ، وابن جرير عن قتادة قال : ذُكِرَ لنا أَنَّ رَجُلاً من أَصحابِ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلَّم ـ يُقَالُ له ابن زُنَيْم اطلع الثنية « يوم الحديبية » فَرَمَاهُ المُشْرِكُون فَقَتَلُوه ، فبَعَثَ نبيُّ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ خيْلاً ، فأتوا بأثنى عشر فَارِسًا ، فقَالَ لهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « هَلْ لَكُم عَهْدٌ أَوْ ذِمَّة » ؟ قَالُوا : لَا . فأَرسلهم .

١٦٩ ظ وروى الإمام أحمد / ، وعبد بن حميد ، ومسلم ، عن سلمة بن الأكوع . رضى الله عنه قال : إنَّ المشركين من أهل مكة أرسلونا فى الصُّلح فلما اصطلحنا واخْتَلَطَ بَعْضُنَا بِبَعْض أتيت شجرةً فَاضْطَجَعْتُ فِى ظلِّها ، فَأَتَانى أربعةٌ من مُشركى أَهْلِ مكة ، فَجَعَلُوا يَقَعُون فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأبغضهم وتحوَّلْتُ إلى شجرة أخرى ، فعَلَّقُوا سلاَحَهم واضطجعوا ، فبينما هُم كذلك إِذْ نَادَى منادٍ منْ أسفل الوادى يَالَلْمُهاجِرين ، قُتلَ ابن زُنَيْم فَاخترَطْتُ سيفى فَاشْتَدَدْت على أُولئك الأربعة وهُم رُقُود ، فأخذت سلاَحَهم[1] ، وجَعَلْتهُ فى يَدِى ، ثم قلْت : والَّذِى كرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لَا يَرْفَعُ أَحدٌ منكم رأسَهُ إلاَّ ضَربْتُ الَّذِى فى عَيْنَيه ، ثم جِئْتُ بِهِم أَسُوقُهم إلى رَسُول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجَاءَ عَمِّى عَامر برجلٍ من الْعَبَلاَت يقال له مِكْرَز مِنَ الْمُشركين يُقُوده حتَّى وقَفْنَاه على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : دعوهم يكون لهم بدءُ الفجور وثنياه فعفا عنهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنْزلَ اللهُ تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُم عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ من بَعْدِ أَنْ أَظفَرَكُمْ عَلَيْهِم[2] ﴾ فَبَيْنَمَا النَّاسُ عَلَى ذَلكَ إِذْ أَبُو جَنْدَل[3] ـ بِالْجيم والنُّون

(١) فى ت « بسلاحهم » .
(٢) الآية ٢٤ من سورة الفتح .
(٣) أبو جندل واسمه العاصى هو عبد الله بن سهيل بن عمرو ، وإسلامه سابق على إسلام أبيه لأنه شهد بدراً كما جاء فى السيرة الحلبية ٢ : ١٦ .

وزن جَعْفَر - بن سُهيل ابن عمرو يَرْسُفُ فى قُيُوده قد خَرَجَ منْ أَسْفَل مكَّةَ حتى رَمى بنَفْسه بَيْنَ أَظْهرِ المُسْلمين ، وَكَانَ أَبُوه سُهيل قد أَوْثَقَه فى الْحَدِيد وسَجَنَه ، فخرج من السِّجن واْجْتَنَبَ الطَّرِيقَ وَرَكِبَ الجبَال حتَّى أَتى « الحُدَيْبِيَة - فقام إليه المُسْلِمُون يُرَحِّبُونَ بِه ويُهَنِّئُونَه ، فلما رآه أَبُوه سُهيل قام إليه فَضَرَب وجهه[1] بغصن شوك وأخذ بتلبيبه[2] ثم قال : يا محمد ، هَذَا أَوَّلُ ما أُقَاضيكَ عَلَيه أَن تَرُدَّه ، فَقَالَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - «إِنَّا لَمْ نَقْض الْكِتَابَ بَعْد » قَالَ فَوَالله إِذًا لا أُصالِحُكَ عَلَى شَيء أَبدًا . قال : « فَأَجِزْهُ[3] لِى » قال : مَا أَنَا بِمُجِيزِه[3] لَكَ . قال : « بَلَى فَاْفْعَل » . قال : مَا أَنَا بِفَاعل . فقال مِكْرَز وحُوَيْطبُ : بلى قد أَجَزْنَاهُ لَك . فأَخذاه فأَدخلاه فُسْطَاطًا فأَجازاه وكفّ عنه أَبوه . فقال أَبو جَنْدل أَى معاشر المسلمين أُرَدُّ إلى المُشركين وقَدْ جِئْتُ مُسْلمًا ؟ أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيت ؟ وكان قد عُذِّبَ عَذَابًا شَديدًا ، فرفع رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - صوته وقال : يا أَبَا جَنْدَل ، اصْبِرْ واْحْتَسِبْ فإِنَّ اللهَ جَاعلٌ لَكَ ولِمَنْ مَعَكَ مِنَ المُسْتَضْعَفِينَ فرجاً ومَخْرَجاً ، إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا مَعَ الْقَوْمِ صُلْحًا وأَعْطَيْنَاهُم وأَعْطُونا عَلَى ذَلِكَ عَهْدًا ، وإِنَّا لَا نَغْدِرُ » ومشى عمر بن الخطاب إلى جَنْبِ أَبِى جَنْدَل ، وقال له : اصْبِرْ واْحْتَسِبْ فَإِنَّمَا هُمُ المُشْرِكُون وإِنَّمَا دَمُ أَحَدِهِمْ دم كلب ، وجَعَلَ عُمَرُ يُدْنِى قَائِم السَّيْف منه . قال عمر : رَجَوْتُ أَن يأْخُذَ السَّيْفَ فَيَضْرِبَ به أَبَاه . قال فَضَنَّ الرَّجُلُ بأَبيه .

وقد كان أَصحابُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد خَرَجُوا وَهُمْ لَا يَشُكُّونَ فِى الْفَتْحِ لرؤيا رسول الله - صلى الله عليه وسلم / - ، فَلَمَّا رَأَوْامَا رَأَوْا من الصُّلح والرجوع ١٧٠ و وما تحمل عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى نفسه دَخَل على الناس من ذلك

---

(١) فى ط فضربه فى وجهه » والمثبت عن ت ، م ويوافقه ما فى شرح المواهب ٢ : ٢٠١ .

(٢) كذا فى الأصول . ويوافقه ما فى السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٣١ بهامش الروض الأنف ، ونهاية الأرب للنويرى ١٧ : ٢٣٢ . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٨ - وأخذ بلبته » وفى شرح المواهب ٢ : ٢٠١ « وأخذ بتلبيبه ، وقال البرهان أى جمع عليه ثوبه الذى هو لابسه وقبض عليه نحره » .

(٣) كذا فى الأصول . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٨ « أجره لى قال ما أنا بمجيره وجاء فى شرح المواهب ٢ : ٢٠١ فاجزه بالجيم والزاى بصيغة فعل الأمر من الإجازة ، أى امض لى فعلى فيه ولا أرده إليك أو استثنه من القضية ووقع فى الجمع للحميدى بالراء ، ورجح ابن الجوزى الزاى » .

أَمْرٌ عظيم حتَّى كَادُوا يَهْلِكُون . فَزادَهُم أَمْرُ أَبي جَنْدَلٍ على مَا بهمْ ، ونفذت القضية وشَهِدَ على الصلح رجالٌ من المُسْلِمين ورِجَالٌ من المُشْرِكين : أَبو بكر وعمرُ ، وعبدُالرحمن ابنُ عَوْف ، وعبدُ الله بن سُهيل بن عمرو . وسَعْدُ بنُ أَبي وَقَّاص ، ومَحْمُود بن مَسْلَمَة وعَلِيٌّ بن أبي طالب – رضى الله عنهم – ومِكْرز بن حفص وهو مشرك .

فلما فَرَغَ من قَضِيَّة الكتاب قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « قُومُوا فَانْحَرُوا ثمَّ احْلقوا » فوالله مَا قَامَ رَجُلٌ منْهم ، حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، فَاشْتَدَّ ذلك عَلَيْه ، فَدَخَلَ على أُمِّ سَلَمة فقال : « هَلَكَ المُسْلِمُون . أَمَرْتهم أَنْ يَنْحَروا ويَحْلِقوا فَلَمْ يَفْعَلُوا » . وفى رواية : « أَلاَ تَرَيْنَ إِلى النَّاس آمُرُهُم بالأَمرِ فَلاَ يَفْعَلونَه – وَهُمْ يَسْمَعُون كَلاَمى وينظرُون وَجْهى » . فقالت : يا رسولَ الله ، لا تَلُمْهم فإِنَّهم قد دخلهم أَمر عَظِيم مِمَّا أَدْخَلْتَ على نَفْسِك من الْمَشَقَّة فى أَمْرِ الصُّلح ، ورُجُوعُهُم بِغَيْرِ فَتْح يا نبى الله اخْرُجْ وَلَا تكلِّم أَحدًا كَلِمَةً حتَّى تنحر بُدْنك وتدعو حالقكَ[1] فيَحْلِقَك فجلى[2] الله – تعالى – عن الناس بأُم سلمة – فَقَامَ رسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – واضْطبع[3] بثوبه ، فخرج فأَخذ الْحَرْبَة ويَمَّمَ[4] هَدْيَه وأَهْوَى بالحربة إِلى الْبُدْن رَافِعًا صَوْتَه « بِسْمِ اللهِ واللهُ أَكْبَر » ونحر ، فَتَوَاثَبَ المسلمُونَ إِلى الهَدْى وازدحموا[5] عليه يَنْحَرونَه حتى كاد بعضهم يقع[6] على بعض ، وأَشرك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين أَصْحَابِه فِى الْهَدْى ، فَنَحَرَ الْبَدَنَة عن سَبْعَة ، وكان هَدْىُ رسول الله – صلى الله عليه

---

(١) فى ت ، م « بحالقك » والمثبت من ط ويوافقه ما فى شرح المواهب ٢ : ٢٠٨ .

(٢) كذا فى الأصول بالجيم واللام والياء وفى المرجع السابق « فجلا » باللام والألف .

(٣) اضطبع : أخذ ثوبه فجعل وسطه تحت إبطه الأيمن وألقى طرفيه على كتفه الأيسر من جهة الصدر النهاية فى غريب الحديث ٣ : ١٢) .

(٤) كذا فى ط ، فى ت ، م « ينهم » وكذا فى مغازى الواقدى ٢ : ٦١٣ . ونهم الرجل بمعنى زجرها (الصحاح ٢٠٤٧) .

(٥) فى ط « وانجحموا » والمثبت عن ت ، م ويوافقه ما جاء فى مغازى الواقدى ٢ : ٥١٣

(٦) كذا فى الأصول . وفى شرح المواهب ٢ : ٢٠٩ « حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً » وفى مغازى الواقدى ٢ : ٦١٣ « حتى خشيت أن يغم بعضهم بعضا » وفى نهاية الأرب للنويرى ١٧ : ٢٣٣ « حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما » .

وسلم – سبعين بَدَنَة ، وكان الْهَدْىُ دُون الجبال التى تَطْلعُ على وَادى الثَّنِيَّة ، فلما صَدَّه المشركون رَدَّ وَجُوه الْبُدْن .

قال ابن عباس : لما صُدَّت عن الْبَيْتِ حَنَّتْ كما تَحِنُّ إِلَى أَوْلَادِهَا . رواه الإمام أحمد والبيهقى . فَنَحَرَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – بُدْنَه حيث حبسوه وهى الحديبية ، وشرد جمل أبى جهل من الهدى وهو يرعى وقد قلد وأشعر . وكان نجيباً مهرياً فى رأسه بُرَة من فضة ، أهداه ليغيظ بذلك المشركين ، فمر من الحديبية حتى أنتهى إلى دَارِ أَبى جَهْل بمكة ، وخرج فى أثره عمرو بن عَنَمة بن عدىّ الأنصارى ، فَأَبَى سُفَهَاءُ مكَّةَ أن يُعْطوه حتَّى أمرهم سُهَيل بن عمرو بدفعه إليه ، قيل : وَدَفَعُوا فيه عِدَّة نِيَاق ، فَقَالَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – « لَوْلَا أَنْ سَمَّيْنَاهُ فِى الْهَدْى فَعَلْنَا » ، ونحره عن سَبْعَة ، ونحر طلحة بن عبيد الله ، وعبدُ الرحمن بن عَوْف . وعثمان بن عفان ، بُدْنَات سَاقوها .

وروى ابن سعد عن أبى سُفْيَان عن جَابر قال : نَحَرَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – سَبْعِينَ بَدَنَة عَامَ الحُدَيْبِيَة ، الْبَدَنَةُ عن سَبْعَة ، وكنَّا يومئذٍ أَلْفاً وأربعمائة . ومن لم يضح أكثر ممن ضحى ، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مضطرباً[1] فى الحل وإنَّما يُصَلِّى فى الحرم / . وَبَعَثَ رسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – من هَدْيه بعشرين بَدَنَة لِتنْحَرَ عَنْه عند « الْمَروة » مع رَجُلٍ من أَسْلم ، فلمَّا فرغ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – مِنْ نَحْر الْبُدْن دَخَلَ قبة له من أَدَم حمراء[2] وَدَعَا بخِرَاش – بمعجمتين – بن أُمَيَّة بن الفضل الكعبى ، فَحَلَقَ رأسه ورمى شَعْرَهُ على شجرةٍ كَانَتْ إلى جَنْبِه من سَمُرَة خضراء ، فجعل الناسُ يأْخذونَ الشَّعْر من فَوْق الشَّجرة فيتحاصونه[3] ، وأَخَذَتْ أُمُّ عمارة طَاقَاتٍ من شَعْره فكانت تَغْسِلُهَا للمريض وتَسْقِيه فيبرأ ، وجَعَلَ بعضُهم يَحْلِق بَعْضًا حتَّى كَادَ بَعْضُهم يقتل بَعْضًا غمًّا .

١٧٠ ظ

---

(١) مضطربا . فسرت فى هامش سيرة النبى لابن كثير ٣ : ٣٢٢ أن خيامه كانت مقامة فى الحل » وكذلك فى هامش مغازى الواقدى ٢ : ٦١٤ وعزا التفسير لشرح أبى ذر ص ٣٤٢ .

(٢) حمراء : كذا فى ت ، م ومغازى الواقدى ٢ : ٦١٥ . وفى ط « آدم أحمر » .

(٣) أى يتقاسمونه (القاموس المحيط) .

وَحَلَقَ بَعْضُ المسلمين وَقَصَّرَ بَعْض ، فأَخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأسه من قبته وهو يقول : رحم الله المحلقين ، قيل : يا رسول الله والمقصرين قال : « رَحِمَ اللهُ الْمُحَلِّقِين ثَلاثًا » . ثُمَّ قالَ و « المقصرين » .

وروى ابن أَبِى شَيْبَة عن ابنِ عبَّاس أَنهم قالوا : يا رسول الله مَا بَالُ الْمُحَلِّقين ظاهرت[1] عليهم الترحيم ؟ قال : لأَنَّهُم لم يَشُكُّوا . ورواه البيهقى موقوفاً .

وبعثَ اللهُ تعالى رِيحاً عَاصِفَةً فاَحتملت أَشْعارَهُم فَأَلْقَتْهَا فِى الحرم كما رواه ابنُ سَعْدٍ عن مجمع بن يَعْقُوب عن أَبيه ، وأَقَامَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - « بالحُدَيْبِيَة تِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، ويقال عشرين ليلة ، ذكره محمد بن عمر ، وابن سَعْد . قال ابن عائذ : وأَقَامَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فى غَزْوته هذه شَهْراً ونصفاً .

* * *

ذكر رجوع رسول الله - صلى الله عليه وسلم

روى مُسْلم عن سلمة بن الأَكوع ، والبيهقى عن ابن عباس ، وابن سعد ، والبيهقى ، والحاكم عن أَبى عمرة الأَنصارى ، والبزار ، والطبرانى ، والبيهقى عن أَبى خنيس الْغِفَارى ، ومحمد بن عمر عن شيوخه ، يزيدُ بعضُهم على بَعْض : أَنَّ رَسُولَ الله - صلى الله عليه وسلم - لما انْصَرَفَ من « الحديبية » نزل بمَرِّ الظَّهْرَان ثم نزل « بِعُسْفَان » وأَرْمَلُوا[2] من الزّاد ، فشكا النَّاسُ إلى رَسُولِ الله - صلى الله عليه وسلم - أَنهم قَدْ بَلَغُوا من الجوع الْجَهْد ، وفى الناس ظَهْر ، فقالوا: ننحرهُ[3] يارسولَ الله ، ونَدَّهِن مِنْ شُحُومه ونَتَّخذ من جُلُوده أَحْذِيَة[4] فأَذنَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فأُخْبِرَ بذلك عمرُ ابن الخطاب فجاءَ إِلَىَ رَسُولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله لا تَفْعَل ، فإِن يكن فِى النَّاسِ بقيَّةُ ظَهْرٍ يكن أَمْثَل ، كيف بِنَا إذا نَحنُ لقينا العدُوَّ غَداً

---

(١) أى أظهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين (السيرة الحلبية ٣ : ٢٧) وفى ت « ظاهرت لهم » وفى نهاية الأرب ١٧ : ٢٣٣ « فلم ظاهرت الترحم على المحلقين دون المقصرين ؟ ».

(٢) أرملوا : نفد زادهم (الصحاح) .

(٣) كذا فى ط . وفى ت ، م « ننحر » وفى مغازى الواقدى ٢ : ٦١٦ « فننحر »

(٤) كذا فى ط . وفى ت ، م ومغازى الواقدى ٢ : ٦١٦ « حذاء »

جيَاعاً رجالاً ؟! ولكن إنْ رَأَيْتَ أَنْ تَدْعُوَ النَّاسَ بِبَقَايَا أَزْوَادِهِم فتجمعها ثُمَّ تَدْعُو فيها بالبركة فإنَّ الله سَيُبَلِّغُنَا بدَعْوَتِك ، وَدَعَا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - النَّاسَ بِبَقَايَا أَزوادِهِمْ وَبَسَطَ نِطْعاً فَجَعَلَ النَّاسُ يجيئون بالحفنة من الطَّعَام وَفَوْقَ ذَلِكَ ، فكان أَعْلاَهُم مَنْ جَاءَ بصاع تَمْر ، فاْجتمع زَادُ الْقَوْمِ على النِّطْع ، قال سلمة : فتطاولت لأُحرِّزَكم هُو فحررته كربضة[1] عَنْز ونحن أربع عشرة مائة ، فقام رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَدَعَا بما شَاءَ اللهُ أَنْ يَدْعُوَ ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبعُوا ، ثم حَشَوا أَوْعِيَتَهُم ، وبَقِيَ مِثله ، فضحك / رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم - حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُه ، ١٧١ و وقال : « أشهد أن لَا إله إلاَّ الله وأَنِّى رَسُولُ الله ، وَاللهِ لَا يَلْقَى اللهَ - تَعَالَى - عَبْدٌ مُؤْمِنٌ بِهِمَا إلاَّ حُجِبَ مِنَ النَّار » .

ثم أَذَّنَ رَسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - فى[2] الرَّحيل ، فلما اْرتحلوا أُمْطِروا[3] ما شَاءُوا وهم صَائِفُون ، فَنَزَل رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وَنَزَلُوا ، فَشَرِبُوا مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ ،

ثم قَامَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فَخَطَبَهُم ، فجاء ثلاثةُ نَفَرٍ فجلس اْثْنَان مَعَ النبي - صلى الله عليه وسلم - وَذَهَبَ وَاحِدٌ مُعْرِضًا ، فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : « أَلاَ أُخْبِرُكُم عن الثَّلاَثَة ؟ قالوا : بَلَى يَارَسُولَ الله . قال : أما وَاحِدٌ فاستحيا فاستحيا اللهُ مِنْه ، وأَمَّا الآخر فَتَابَ فَتَابَ اللهُ عليه ، أَمَّا الثَّالث فَأَعْرَضَ . فَأَعْرَضَ اللهُ عنه » .

وروى البيهقى عن عُرْوَةَ قال : قفلَ[4] رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم - راجعًا فَقَالَ رجُلٌ من أَصْحابِ رسُولِ الله - صلى الله عنيه وسلم - مَاهَذَا بِفَتْح ،لقد صُدِدْنَا

---

(١) أى كقدر العنز وهى رابضة (السيرة الحلبية ٣ : ٥٨)،وشرح المفردات .

(٢) فى مغازى الواقدى ٢ : ٦١٦ « بالرحيل »

(٣) فى المرجع السابق « مطروا » .

(٤) كذا فى ط ، وفى ت ، م « أقبل » ويوافقهما شرح المواهب ٢ : ٢١١ .

عن الْبَيْت وَصُدَّ هَدْيُنَا . وَرَدَّ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم - رَجُلَيْنِ من الْمُؤْمِنِين كَانَا خَرَجَا إليه ، فبلغ ذَلِكَ رَسُولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ : « بِئْسَ الكلام ، بَلْ هُو أَعْظَم الْفَتْح ، قَدْ رَضِى الْمُشْرِكون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم . ويسألوكم الْقَضِيَّة ، ويَرغَبُون إليكم فى الأمان ؛ ولقد رأوا مِنْكُمْ مَا كَرِهُوا ، وأظفركم الله - تعالى - عَلَيْهم وَرَدَّكُم سَالِمِين مَأْجُورِين فَهُو أَعْظَم الفتح ، أَنَسِيتُم يَوْمَ أُحُد ؟؟ إذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ ، وأَنَا أَدْعُوكم فِى أُخْرَاكُم !! أَنَسِيتُم يَوْمَ الْأَحْزَاب ؟ إذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَل مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَت الْقُلُوبُ الْحَنَاجِر وَتَظُنُّونَ باللهِ الظُّنُونَا !! فقال المسلمون : صدق اللهُ ورسُولُه ، فهو أَعْظَمُ الْفُتُوح ، واللهِ يَانَبيَّ اللهِ مَا فَكَّرْنَا فِيمَا فَكَّرْت فيه ، وَلَأَنْتَ أَعْلَمُ بالله وبالأُمور[1] منا .

* * *

ذكر نزول سورة الفتح ومرجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم وما ظهر فى ذلك من الآيات

روى الإمام أحمد ، والبخارى ، والترمذى ، والنسائى ، وابن حِبَّان وابن مَرْدويه عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : كُنَّا مع رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فى سفر يعنى « الحديبية » فَسَأَلْتُه عَنْ شَىْء ثَلاثَ مَرَّات ، فلم يَرُدَّ عَلَىَّ ، فقلتُ فى نَفْسِى : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا ابْنَ الْخَطَّاب ، نَزَّرْتَ[2] رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلم - ثلاث مرات فَلَمْ يَرُدَّ عليك ، فحركْتُ بَعِيرِى ، ثم تَقَدَّمْتُ أمامَ النَّاس ، وخَشِيتُ أَنْ يَنْزِلَ فِىَّ الْقُرآن ، فَمَا نَشِبْتُ أَن سَمِعْتُ صَارِخًا يَصْرُخُ بى ، فرجعتُ وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّهُ نَزَلَ فِىَّ شىء ، فَقَالَ النبىُّ - صلى الله عليه وسلم - « لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَىَّ اللَّيْلَة سُورَةٌ هِى أَحَبُّ إِلَىَّ مِنَ الدُّنْيا وَمَا فِيهَا ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ الله مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[3] .

---

(١) رواية شرح المواهب ٢ : ٢١١ « ولأنت أعلم بالله وبأمره منا » .

(٢) الضبط من شرح غريب رجوعه - صلى الله عليه وسلم - ونزول سورة الفتح . وقد ضبط اللسان بفتح الزاى مع التخفيف . والمعنى ألححت عليه فى المسألة إلحاحاً (اللسان ٧ : ١٢١ وفى مغازى الواقدى ٢ : ٦١٧ « نذرت » بالذال أخت الدال .

(٣) الآيتان ١ ، ٢ من سورة الفتح . والمراد كما فى السياق إنزال السورة كلها .

وروى ابنُ أَبِي شَيْبَة والإمام أَحمد ، وابن سعد ، وأَبو داود ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والحاكم – وَصححَه – ابن مَرْدَويه ، والبيهقي في الدَّلَائِل / ، عن مُجَمِّع[1] بن جَارِيَةَ الأَنصارى – رضى الله عنه – قال : شَهِدْنَا « الحديبية » مع رسُولِ الله – صلى الله عليه وسلم – فَلَمَّا انْصَرَفْنَا عَنْهَا إلى كُرَاع الغَمِيم إِذا الناس يوجِفونَ[2] الأَباعر ، فقال النَّاسُ بعضهم لِبَعْض : ما لِلنَّاسِ ؟ قالوا : أُوحِيَ إِلَى رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فَخَرَجْنَا مع الناس نوجف ، فإِذَا رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – على رَاحِلَته عند « كُرَاع الغميم » فاجتمع النَّاسُ إِليه فقرأ عليهم (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِيْنًا) فقال رَجُلٌ[3] من أَصْحَابِ النبي – صلَّى الله عليه وسلم – أَو هو فتح ؟ فقال : « أَى والَّذِى نَفْسِى بيَده إِنَّه فتح » زاد ابن سَعْد : فلما نزل بها جِبْرِيلُ قال : ليهنئك يا رسول الله ، فلما هَنَّأَه جبريل هَنَّأَهُ النَّاس .

ط ١٧١

وروى عبد الرازق والإمام أَحمد ، وابن أَبِي شَيْبَة ، وعبد بن حُميد ، والشيخان والترمذى ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والحاكم عن أَنس – رضى الله عنه – قال : لما رجعنا من « الحديبية » قال رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – « أُنْزِلَتْ عَلَيَّ ضُحًى[4] آية هى أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَميعًا » ثَلَاثًا – قُلْنَا – وفى لَفْظٍ قَالُوا – هنِيئًا مَرِيئًا لك يا رسول الله،قد بين الله لك مَاذَا يَفْعَل بِك ، فماذا يفعلُ بنا ؟ فنزلت ، وفى لفظ فنزلت عليه : ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى منْ تَحْتِهَا الْأَنْهَار ﴾[5] حتَّى بلغ (فَوزًا عَظِيمًا) » .

---

(١) مجمع بضم الميم وفتح الجيم وتشديد الميم المكسورة – ابن جارية – بالجيم والراء – ابن عامر الأنصارى الأوسى المدنى الصحابى . المتوفى فى خلافة معاوية . روى له الترمذى وأبو داود وابن ماجه وانظر شرح المواهب ٢ : ٢١٠ .

(٢) يوجفون : يسرعون السير ، وفى نهاية الأرب ١٧ : ٢٣٤ « يهزون الأباعر ينشطونها بالحداء لتخف وتسرع فى سيرها » .

(٣) فى نهاية الأرب ١٧ : ٢٣٥ « فقال عمر : « أو فتح هو يا رسول الله » .

(٤) وفى رواية الموطأ « أنزلت على الليلة سورة » شرح المواهب ٢ : ٢١٠ .

(٥) آية ٥ من سورة الفتح .

وروى ابنُ أَبِي شَيْبَة ، والإمام أَحمد ، والبخارى فى تارِيخه ، وأَبو داود والنسائى ، وابن جرير ، وغيرهم عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : « أَقْبَلْنَا مِنَ الْحُدَيْبِيَة » مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فَبَيْنَا نَحْنُ نسير إِذْ أَتَاهُ الوحى ، وكَانَ إِذَا أَتَاهُ اشْتَدَّ عَلَيْهِ ، فَسُرِّىَ عَنْه وَبهِ من السُّرُور مَا شَاءَ الله ، فَأَخْبَرنا أَنَّه أُنزِلَ عليه (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِيناً) .

١٧٢ و وروى البيهقى من طريق المسعودى عن جامع بن / شداد عن عبد الرحمن بن أَبِى علقمة عن ابن مسعود – رضىَ الله عنه – قال : لما أَقْبَلَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – من « الحديبية » جَعَلَتْ ناقَتُه تَثْقُل فأَنزل الله تعالى (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) فأَدركنا رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – من السُّرور ما شاءَ ، فَأَخبرنا أَنها أُنْزِلَتْ عليه ، فَبَيْنَا نَحْنُ ذَات ليلة إِذْ عَرَّس بِنَا ، فقال رسُولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلم – « من يَحْرُسُنَا » ؟ فقلتُ أَنَا يا رسُولَ الله ، فقال : « إِنَّك تنام » ثُمَّ قال : « مَنْ يَحْرُسُنَا » فقلتُ : أَنَا . فقال : أَنت ، فحرستهُم ، حتَّى إِذَا كان وَجْهُ الصبح أَدْرَكَنِى قوْلُ رَسُولِ الله – صلى الله عليه وسلم – إِنَّكَ تنام ، فما اسْتَيْقظتُ إِلاَّ بالشمس ، فلما اسْتَيْقَظْنَا قال رسولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – : « إِنَّ اللهَ لَوْ شَاءَ أَن لا تناموا عنها[1] لا تناموا ، ولكنَّه أَرَادَ أَن يكون ذلك لِمَنْ بعدكم ، ثم قام فصنع كما كان يصنع ، ثم قال : « هكذا لِمَنْ نَامَ أَو نَسِىَ مِنْ أُمَّتِى » ثم ذهب القومُ فى طلبهم رواحلهم فجاءُوا بهن غير راحلة رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال : فقال لى رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلم – « اذهَبْ هَاهُنَا » ووجَّهنى وَجْها فذهبتُ حيث وجَّهنِى فوجدتُ زِمَامَهَا قد الْتَوَى بشجرة ما كانت تحلها الأَيدى . قال البيهقى : كذا قال المسعودى عن جامع بن شدَّاد : إِن ذلك كان حين أَقبلوا من الحُدَيْبِية ، ثم روى من طريق شعبة – وناهيك به عن جامع بن شداد عن عبد الرحمن بن أَبِى علقمة عن ابن مسعود قال : أَقبلنا مع رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – من غزوة تَبُوك قال البيهقى : يحتمل أَن يكون مراد المسعودىّ

---

(١) فى ت ، م « لن تناموا » والمثبت من ط .

بذكر الحُدَيْبِيَة تاريخ نزول السّورة حين أَقْبَلُوا من الحُدَيْبِيَة فقط ، ثم ذكر معه حديث النّوم عن الصّلاة ، وحديث الراحلة ، وكانا فى غزوةِ تَبُوك قلت لم يَنفردْ المسعودىّ بذلك ، قال ابن أَبِي شَيْبَة فى المصنَّف : حدثنا منذر عن شعبة عن جامع بن شداد به ، ولا مانع من التعدد .

* * *

ذكر قدوم أبى بصير على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ورده اليهم وما حصل له ولأصحابه من الفرج

رَوَى عبدُ الرّزاق والإمام أحمد وعبدُ بنُ حُمَيْد والبُخَارِىُّ وأبو داود والنسائىُّ عن المِسْوَر بن مَخْرَمَة ، والبيهقىُّ عن ابن شهاب الزُّهْرِىّ : أَنَّ رسولَ الله — صلَّى الله عليه وسلَّم — لَمّا قدِمَ المدينة من الحُدَيْبِيَة أتاه أبو بَصِير عُتْبَةُ — بضم العين المهملة — ابن أَسِيد — بوزن أمير — بن جارية — بجيم — الثقفى ، حليف بنى زُهْرة — مُسْلِمًا قد أفلت من قومه — فسارَ على قدميه سعْياً ، فكتب الأَخْنَس بن شَرِيق ، وأَزْهَرُ بنُ عبد عَوْف الزُّهْرِىّ إلى رسولِ الله — صلَّى اللهُ عليه وسلَّم — كتاباً وبعثا خُنَيْس — بمعجمة ونون وآخره مهملة — مُصَغَّر — ابن جابر من بنى عامر بن لُؤَىّ ، استأْجراه ببَكْر ابن لَبُون ، وحملاه على بعير ، وكتبا يذكران الصّلحَ الذى بينهم ، وأن يَردّوا إليهم أبا بصير ، فخرج العامرىُّ ومعه مولىً له يقالُ له كَوثَرُ دليلا ، فقدما بعد أَبِى بصير بثلاثة أيام فقرأ أُبَىُّ بنُ كَعْب الكتاب على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فإذا فيه : قد عرفتَ ما شَارَطْنَاك عليه ، وأشهدنا بينك وبيننا مِنْ[1] ردِّ مَنْ قدِمَ عليك مِنْ أصحابنا فابْعَثْ إلينا بِصَاحبنا . فأَمر رسول الله — صلَّى الله عليه وسلَّم — أبا بصير أن يرجع معهم ، ودفعه إليهما فقال : يا رسولَ الله تَردُّنى إلى المشركين يفتنوننى فى دينى ؟ فقال : « يَا أَبَا بَصِير إنَّا قَدْ أَعْطَيْنَا هَؤُلَاءِ القَوْمَ مَا قَدْ عَلِمْتَ ، وَلَا يَصْلُحُ لَنَا فِى دِينِنَا الْغَدْرُ، وَإنَّ اللهَ — تَعالَى جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَرَجاً وَمَخْرَجاً ، فقال : يا رسولَ الله تَرُدُّنى إلى

(١) بعد هذه الكلمة بياض بمقدار كلمتين ، ولكن الكلام متصل كما فى مغازى الواقدى ٢ : ٦٢٥ .

المشركين ؟!! قالَ : « انْطَلِقْ يَا أَبَا بَصِيرٍ ، فإنَّ اللهَ سَيَجْعَلُ لَكَ فَرَجاً وَمَخْرَجاً » فخرج معهما ، وجعل المسلمون يُسِرُّون إلى أبي بصير : يا أبا بصير أَبْشر فإن الله جاعلٌ لَكَ فَرَجاً ومخرجاً ، والرَّجُلُ يكونُ خَيْراً من ألف رجل ، فَافعَلْ وافْعَل : يأْمرونه بقتل اللذين معه ، وقال له عمَرُ : أَنت رَجُل ، ومعك السيف ، فَانتهيا به عند صلاة الظهر بذى الحُلَيْفَة ، فصَلّى أَبُو بَصِيرٍ فى مسجدها ركعتين ؛ صلاة المسافر ، ومعه زادٌ له من تَمْر يحمله ؛ يأْكل منه . ودعا العامِرى وصاحبه ليأْكلا معه فقدما سُفْرَة فيها كِسَرٌ فأَكلوا جميعاً ، وقد علّق العامِرىُّ سيفه فى الجدار وتحادثا . ولفظ عروة : فَسَلَّ العامرىُّ سيفه ثمَّ هزّه فقال : لأَضربَنَّ بسيفى هذا فى الأَوْسِ والخَزْرَج يَوْماً إلى الليل .

١٧٢ ظ فقال له أَبو بصير / : أَصَارِمٌ سيفُك هذا ؟ قال : نعم ، قال : ناولنيه أَنظر إليه إن شئت ، فناوله إِيَّاه ، فلَمَّا قبض عليه ضَربه به حتى بَرَدَ . قال ابن عقبة : ويقال بل تناول أَبو بصير السَّيْفَ بِفيهِ وصاحبهُ نائمٌ ، فقطع إساره ثمّ ضَربه به حتّى بَرد ، وطلب الآخر فجمز[1] مَذْعُوراً مستخفيا ، وفى لفظ : وخرج كوثرُ هَارِبا يعدو نحو المدينة وهو عَاضٌ على أسفل ثوبه قد بدا طرفُ ذكره ، والحَصَى يطيرُ مِنْ تَحْتِ قَدَميه مِنْ شِدَّةِ عَدْوِه ، وأَبو بَصِيرٍ فى أَثَره ، فَأَعجزه وأَتى رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وهو جالس فى أَصحابه بعد العصر ، فقال رَسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - حين رآه : « لقَدْ رأَى هذا ذُعْرًا فلما انتهى إلى رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « وَيْحَكَ مالك » قال : قتل والله صاحِبُكُم صَاحِبِى وَأَفْلَتُّ مِنْه ولم أَكد ، وإنى لمقتول . وَاستغاث برسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فَأَمَّنَه ، وأَقبل أَبو بصير فَأَناخ بعير العامرىّ . ودخل متوشِّحًا سيفه . فقال : يا رسول الله قد وَفَت ذِمَّتُكَ وَأَدَّى اللهُ عنك ، وقد أَسلمتنى بيد العدو ، وقد امتنعت بدينى مِنْ أَنْ أُفْتَن ، فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم : « وَيل أَمّه مِسْعَرُ[2] حَرْبٍ » وفى لفظ « مِحَشّ[3] حَرْب ، لَوْ كَانَ مَعَه

---

(١) فجمز : أى عدا وأسرع (نهاية الأرب ١٧ : ٢٤٦) .

(٢) مسعر حرب : موقدها ، يتعجب النبى - صلى الله عليه وسلم - من شجاعته وجرأته وإقدامه (نهاية الأرب ١٧ : ٢٤٦ ، وانظر شرح غريب قدوم أبى بصير .

(٣) محش الحرب : مسعرها ومهيجها (مغازى الواقدى ٢ : ٦٢٦ ، وشرح المفردات) .

رِجالٌ » وفى لفظ له أحد. قال عُرْوَة ومحمد بن عمر : وَقَدِمَ سَلَبَ العامِرِىِّ لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لِيخَمِسه ، فقال : « إنى إذا خمستُه رَأَوْنِى لَمْ أُوفِ لَهُمْ بالَّذِى عَاهَدْتُهُم عَلَيْه ، ولَكِنْ شأنك بِسَلَب صَاحِبك ، وأذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ » وفى الصحيح أن أبا بصير لما سمع قولَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « وَيْلَ أمه مِسْعَر حَرْبٍ لَوْ كَانَ مَعَهُ أَحدٌ عَرَف أنَّه سيرده ، فخرج أبو بصير ومعه خَمسةٌ كانوا قدموا معه مسلمين مِنْ مكة حين قدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم يكن طلبهم أحدٌ حتى قدموا سِيفَ البحرِ ، وَلَمَّا بلغَ سُهَيْل بن عمرو قَتْلُ أبو بصيرٍ العامِرِىَّ اشتدّ عليه وقال : ما صَالَحْنَا محمداً على هذا . فقالت قريشٌ : قد برئ محمدٌ منه قد أمكن صاحبكم منه فقتله بالطريق ، فما على محمد فى هذا ؟ فأسند[1] سُهَيْلٌ ظَهْرَهُ إلى الكَعْبَةِ وقال : والله لا أُؤَخِّرُ ظَهْرِى حتَّى يُودَى هذا الرجل ، قال أبو سفيان بن حرب : إنَّ هذا لَهُوَ السَّفَه ، والله لا يُودَى ثلاثا ـ وأنّى[2] قريش تديه وإنما بَعَثَتْهُ بنو زُهْرَة ؟ فقال الأَخْنَس بن شريق : والله ما نديه ، ما قتلناه ولا أمرنا بقتله ، قتله رجلٌ مخالف[3] فأرسلوا إلى محمد يديه . فقال أبو سُفيان بن حرب : لا ، ما على محمد دِيَةٌ ولا غُرْمٌ قد برئ محمدٌ . ما كان على محمدٍ أكثر مما صنع ، فلم تخرج له دِيَة فأقام أبو بصير وأصحابُه بِسِيف[4] البحر ، وقال ابن شهاب : بين العِيص وذى المَرْوَةِ من أرض جُهَيْنَة على طريق عَيَرات قُريش .

قال محمد بنُ عمر[5] : لما خرج أبو بصير لم يَكُن معه إلاَّ كَفٌّ تَمْرٍ فأكله ثلاثة أيام ، وأصاب حِيتَاناً قَدْ ألقاها البحر بالسّاحل فأكلها ، وبلغ المسلمين الذين قد حُبِسُوا بمكّة خبرُ أبى بصير ، فتسللوا إليه .

---

(١) كما فى رواية ابن إسحاق (السيرة النبوية بن هشام ٢ : ٣٢٤) .

(٢) ما بين الحاصرتين من (مغازى الواقدى ٢ : ٦٢٨) .

(٣) أى مخالف لديننا (مغازى الواقدى ٣ : ٦٢٨)

(٤) سيف البحر : أى ساحله (شرح المواهب ٢ : ٢٠٣) وفى نهاية الأرب ١٧ : ٢٤٦ « حتى نزلوا بين العيص وذى المروة من أرض جهينة على طريق عيرات قريش مما يلى سيف البحر » وفى السيرة النبوية لابن هشام طريق مكة إذا قصدوا الشام وهو يحاذى المدينة إلى جهة الساحل (شرح المواهب ٢ : ٢٠٣) .

(٥) انظر مغازى الواقدى ٢ : ٦٢٧ .

قال محمد بنُ عمر : كان عمر بنُ الخطاب هوْ الذى كَتَب إليهم بقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لِأَبِى بصير « وَيْلُ أُمِّهِ مِحَش حَرْبٍ لو كان له رجال » وأخبرهم / أنه بالسّاحل ، وٱنْفلَت أبو جَنْدَل بنُ سُهَيْل بن عَمْرو الذى رَدَّهُ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – إلى المشركين بالحدَيْبِيَة ، فَخَرَج هو وسبعون رَاكِبًا مِمَّنْ أسلموا فلحقوا بأَبِى بصير ، وكرهوا أن يقدمُوا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى هُدْنَةِ المشركين ، وكَرِهُوا الثواءَ بين ظَهرانى قومهم ، فنزلوا مع أبى بصير ، ولَمَّا قدم أبو جَنْدَل على أبى بصير سَلمَ لهُ الأَمرَ ؛ لكونه قُرَشِيًّا فكَان أبو جَنْدَل يؤُمُّهم ، وٱجتمع إلى أبى جنْدَل – حين سمِعَ بقدومه – نَاسٌ من بنى غِفَار وأَسْلَمَ وجُهَيْنَة ، وطَوائِف من النَّاس حتى بَلَغُوا ثلاثمائة[1] مقاتل – كما عند البَيْهَقِيّ عن ابن شهاب – لا تَمُرُّ بهم عير لقريش إلاَّ أخذوها وقتلوا مَن فيها ، وضيَّقُوا على قريش ، فلا يظفرون بأَحدٍ منهم إلاَّ قتلوه .

١٧٣ و

ومما قاله أبو جَنْدل بنُ سُهَيْل فى تلك الأَيام :

أَبلغ قُرَيْشًا عن أَبى جَنْــــدلِ ... أَنَّا بِذِى المَرْوَة فى السَّاحِـــلِ[2]

فى مَعْشرٍ تخفـــق راياتهــــم ... بالبيض فيها والقَنَا الذّابل[3]

يأْبون أن تَبقَى لَهُم رُفْقَـــة ... من بَعْد إسلامهم الوَاصِـــلِ

أَوْ يَجْعَل اللهُ لهم مَخْرَجـــــاً ... والحَقُّ لَا يُغْلَبُ بالباطِـــلِ

فَيَسْلم المـــــرءُ بإِسْلاَمِـــهِ ... ويُقْتَلُ المـــرءُ ولَمْ يَأْتَـــلِ

فَأَرسلت قريشٌ إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أَبا سُفيَان بن حرب يسأَلونه ويتضرعون إليه أَن يبعث إلى أَبى بصير وأَبى جَنْدَل ومن معهم ، وقالوا من خَرج منَّا إليك فأَمسِكْه فَهُوَ لَكَ حلالٌ غيرُ حرج أنت فيه . وقال : فإِن هؤلاء الرّكب قد فَتَحُوا

---

(١) كذا جزم ابن عقبة فى مغازيه ، ولابن اسحاق : بلغوا سبعين . ولأبى المليح : أربعين أو سبعين ، وجزم عروة بأنهم بلغوا سبعين ، ولكن السهيلى زعم أنهم بلغوا ثلاثمائة رجل . وانظر (شرح المواهب ٢ : ٢٠٣ ، ونهاية الأرب ١٧ : ٢٤٧ – وفى السيرة الحلبية « بلغوا ثلاثمائة » ٣ : ٣٢ .

(٢) انظر معانى مفردات قصيدة أبى جندل فى شرح المفردات .

(٣) فى نهاية الأرب ١٧ : ٢٤٧ « الذبل » .

عَلَيْنَا بَابًا لا يصلح إقراره ، فكتب رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أبى بَصِير وأبى جَنْدَل يأمرهما أن يَقْدُما عليه ، ويأمر من معهما مِمَّن اتَّبَعَهُمَا من المسلمين أن يَرْجِعُوا إلى بلادهم وأهليهم فلا يتعرضوا لأحدٍ مرَّ بهم مِنْ قريش وعَيَراتها ، فَقَدمَ كتابُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أبى بصير وهو يَمُوت . فجعل يقرؤه ، ومَاتَ وهو فى يَدَيْهِ ، فَدَفَنَهُ أبو جَنْدَل مَكَانَه ، وجعل عند قَبْرِه مسجداً .

وقدم أبو جندل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ناس من أصحابه ورجع سائرهم إلى أهليهم ، وأَمِنَت بعد ذلك عَيَراتُ قريش .

قال عُرْوَةُ : فَلمَّا كان ذلك من أمرِهم عَلِمَ الذين كانوا أشاروا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يمنع أبا جَنْدَل من أبيه بعد القضيّة أنَّ طاعَةَ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خَيْرٌ لهم فيما أَحَبُّوا وفيما كرهوا من رأى مَنْ ظنّ أن له قوّة هى أفضل مما خصّ اللهُ تعالى به رسُولَه من الفوز والكرامة ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولمَّا دَخلَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عام القضية وحاق رأسَه قال : « هذا الَّذِى وَعَدْتكُم » .

ولَمَّا كانَ يوم الفتح أخذ المفتاح وقال : « ادْعُوا لِىَ عمرَ بنَ الخطاب . فقال : « هَذَا الَّذِى قُلْتُ لَكُم » .

ولمّا كان فى حِجَّةِ الوداع وقَفَ بعرفة وقال : « أى عمر هذا الذى قُلْتُ لكم إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والله مَا كَان فَتْحٌ فى الإسلام أعظم مِن صُلْح الحُدَيْبِيَة ، وكان الناس قَصُرَ رأْيُهُم عمّا كان /، وكان أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ يقول : ما كانَ فَتْحٌ فى الإسلام أَعْظَمَ مِن صُلْحِ الحدَيبِيَة ، وكان النّاس قصر رَأْيُهُم عمّا كانَ بَيْنَ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبَيْنَ رَبِّهِ ، والعِبَادُ يَعْجَلُون ، واللهُ ـ تعالى ـ لا يَعْجَلُ لِعَجَلَةِ العبد[1] حتى يبلغ الأمور ما أراد ، لقد رَأَيْتُ سُهَيْل بنَ عمرٍو فى حِجَّةِ الوداع

١٧٣ ظ

---

(١) فى ت « العباد » .

قائماً عند المنحر يُقَرِّبُ لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – بُدْنَه ورسولُ الله – صلى الله عليه وسلم يَنْحَرُها بيده ، ودعا الحلاَّق فَحَلَقَ رأْسَه ، فانْظُر إلى سُهَيْلٍ يلقط[1] من شَعْرِهِ ، وأَراه يَضَعُه على عَيْنَيه ، وأَذكرُ آمتناعه أن يُقِرَّ يومَ الحُدَيْبِيَة بأَنْ يُكْتَبَ : « بسم الله الرحمن الرحيم » فَحَمِدْتُ اللهُ – تعالى – الذى هَدَاهُ للإسلام .

* * *

ذكر ما أنزل الله سبحانه وتعالى فى شأن غزوة الحديبية : قال الله سبحانه وتعالى ((انا فتحنا لك فتحا مبينا))

بيِّنًا وظَاهِرًا ، وهذا إخبارٌ عن صلح الحُدَيْبِيَة ، وسمّاهُ فَتْحًا لأَنه كانَ بعد ظُهُورِهِ على المشركين حَتَّى سَأَلُوهُ الصُّلْحَ ، وتسبب عنه فتح مكة ، وَفَرَغ به – صلى الله عليه وسلم – لسائر العرب فغَزَاهم ، وفَتَحَ مواضعَ .

ورَوَى البخاريّ عن أَنس – رضى الله عنه – فى الآية قال : الفتحُ صلحُ الحُدَيْبية .

وَرَوَى أَيضاً عن البراء رضى الله عنه – قال : تَعُدُّونَ أنتم الفتحَ فتحَ مكة ، وقد كان فتحُ مكَّة فتحاً ، ونحن نعُدّ الفَتْحَ بَيْعَةَ الرّضوان يومَ الحُدَيْبِيَة .

قال الحافظ رحمه الله يعنى[2] قوله تعالى : (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِيْنًا) وهذا موضع وقع فيه آختلافٌ قديم : والتحقيق : أَنه يختلف بآختلاف المُراد من الآيات . فقوله – تعالى : (إنا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) المرادُ بالفتح هنا الحُدَيْبِيَة ؛ لأَنها كانت مَبْدَأَ الفتح المُبين على المسلمين لما تَرتَّبَ على الصلح الذى وقَعَ من الأَمن ورفع الحرب وتمكُّنِ مَنْ كان يَخْشَى الدخولَ فى الإسلام والوصول إلى المدينة من ذالك ، كما وقع لخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص وغيرهم ، ثم تبعت الأَسباب بعضها بعضا ، إلى أن كمل الفتح .

---

(١) كذا فى الأصول – وفى السيرة الحلبية ٣ : ٣٢ « فانظر إلى سهيل كلما يلقط من شعره صلى الله عليه وسلم يضعه على عينيه . »

(٢) ينظر قول الحافظ فى شرح المواهب ٢ : ٢١٠ .

قال الزُّهْرِيّ : لم يكن فى الإسلام فتحٌ قبل فتح الحُدَيْبِيَة أعظم منه[1] إنما كان الكفر حيث القتال[2] ، فلمَّا أَمِنَ الناسُ كلُّهم ، كلَّم بعضُهم بَعضًا ، وتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، ولم يُكَلَّم أحدٌ بالإسلام يعقِلُ شيئاً إلاَّ بَادَرَ إلى الدخول فيه ، فلقد دَخَل فى تينك السَّنَتَيْن مثل مَنْ كان دَخَل فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

قال ابن هشام : : ويدل عليه أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج فى الحديبية فى ألف وأربعمائة ، ثم خرج بعد سنتين إلى فتح مكَّة فى عشرة آلاف انتهى .

وأما قولُه ـ تعالى ـ فى هذه السّورة : (وأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) فالمرادُ به فتح خَيْبَر على الصحيح ؛ لأنها وقعت فيها المغانم الكثيرة ، وقسمت خَيْبَر على أهل الحُدَيْبِيَة ، وأما قوله ـ تعالى : (فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيباً) فالمرادُ به الحُدَيْبِيَة ، وأما قولهُ ـ تعالى : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَٱلْفَتْحُ) وقوله ـ صلى الله عليه وسلم « لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ » فالمرادُ به فتحُ مكَّة باتِّفاق[3] ، فبهذا / يرتفع الإشكال[4] وتجتمع الأَقوالُ بعَوْنِ الله . ١٧٤ و

وقال فى موضع آخر : ومما ظهر من مصلحة الصلح المذكور غير ما ذكرهُ الزُّهْرِى ، أنه كان مقدمة بين يَدَى الفتح الأعظم الذى دَخَلَ الناسُ عَقِبَهُ فى دين الله أفواجا » فكانت الهدنة معناها كذلك ، ولَمَّا كانت قصة الحُدَيْبِيَة مقدمةً للفتح سُمِيّت فَتْحًا ؛ لأَنَّ الفتحَ فى اللغةِ فتحُ مُغْلَقٍ ، والصُّلْحُ كانَ مُغْلَقًا حتَّى فَتَحهُ اللهُ ـ تعالى . وكان من أسباب فتحه صدّ المسلمين عن البيت ، فكان فى الصورة الظاهرة ضَيْمًا للمسلمين ، وفى الصورة الباطنةِ عِزًّا لهم ؛ فإن الناس لأَجل الأَمن الذى وقع بينهم اختلط بعضُهم ببعض من غير نكير ، وأسمع المسلمونَ المشركين القرآن ونَاظَرُوهُم على الإسلام جهرة آمنين ، وكانوا قبل لا يتكلمون عندهم بذلك إلاَّ خفية . وظَهَرَ مَنْ كان يُخْفِى إسلامه ،

---

(١) لفظ منه إضافة على الأصول من شرح المواهب ٢ : ٢١١ . والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٢٢ .

(٢) كذا فى الأصول . وفى شرح المواهب ٢ : ٢١١ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٢٢ « إنما كان القتال حيث التقى الناس » .

(٣) أى باتفاق الآية والحديث كما فى شرح المواهب ٢ : ٢١١

(٤) قاله الحافظ ابن حجر كما فى المرجع السابق .

فَذلَّ المشركون مِنْ حيث أَرادُوا العزَّة ، وقُهِرُوا مِنْ حيث أَرادُوا الغَلَبَة ، (لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) اللام للعلة الغائيّة ، جعل الغفران علة للفتح من حيث أَنّه سَبَبٌ عن جهاد الكُفَّار والسَّعى فى إعلاء الدين ، وإزاحة الشِّرْك وتكميل النُّفُوس النَّاقصة قَهْرًا ؛ ليصيرَ ذلك بالتَّدْرِيجِ ٱخْتِيَارًا ، وتخليص الضَّعَفَةِ من أيدى الظَّلمة ، وَتَقَدَّم الكلامُ على هذه الآية فى أَواخر تنبيهات المِعْرَاج ، ويأْتى له تَتِمةٌ فى الخصائص (ويُتِمَّ) بالفتح المذكور (نِعْمَتَهُ) إنعامه بإعلاء الدين وضم المُلْكِ إلى النُّبُوّة (عَلَيْكَ ويَهْدِيَكَ) فى تبليغ الرسالة وإقامة مراسم الديانة (صِراطاً) طريقاً (مُسْتَقِيماً) يُثَبِّتَكَ عليه ، وهو دين الإسلام (ويَنْصُرَكَ الله) به (نَصْراً عَزِيزاً) ذا عِز لاَ ذُلَّ مَعَه (هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ ٱلسَّكِينَةَ) الثَّبَاتَ والطُّمأْنينة (فِى قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ) حتى يثبتوا ، حتى لا تقلق النفوس وتدحض الأَقدام (لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً) يقيناً (مَعَ إِيمانِهِمْ) يقينهم برسوخ العقيدة وأطمئنان النفس عليها ، أَو أَنزل فيه السّكون إلى ما جاءَ به رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم (لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً) بالشرائع (مَعَ إِيمَانِهِمْ) بالله واليوم الآخر (وللهِ جُنُودُ السَّمٰوَاتِ والْأَرْضِ) فلو أَراد نصرَ دينه بغيركم لَفَعَلَ (وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا) بخلقه (حَكِيمًا) فى صنعه ، أَى لم يزل مُتَّصفًا بذلك ، ثم ذكر — تعالى — القصة فى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وفى أَصحابه حتى ٱنتهى إلى ذكر البيعة فقال عزَّ وجَلَّ (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ) بيعة الرضوان بالحُدَيْبِيَة (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ) أَى ما يبايعون أَحداً إلا الله ، أَى ليست تلك المبايعة مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بل مع الله — تعالى — وَكَما رُوعِيتَ المُشَاكَلَةُ بين قوله : (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ) وبين قوله (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ) بنى عليها قولَه (يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) على سبيل الاستعارة التخييلية تتميا لمعنى المشاكلة ، وهو كالترشيح للاستعارة ، أَى إذا كان الله — تعالى — مُبَايِعًا ، ولابُدّ للمبايع — كما تقرَرّ وٱشْتَهَر — من الصَّفقة لليد فتخيّل اليد لتأْكيدِ المُشاكلةِ ، وإلاَّ ، فَجَلَّ جَنَابُه الأَقْدَسُ عن الجارحة ، والمعنى أَنَّ الله — تعالى — مُطَّلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها / (فَمَنْ نَكَثَ) نَقَض البيعة (فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) يرجعُ وبال نقضِهِ على نفسه (وَمَنْ أَوْفَى) ثبت (بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ) فى

١٧٤ ظ

مبايعته (فَسَنُؤْتِيه) بالفوقية والنون (أَجْرًا عَظِيماً) وهو الجنة ، ثم ذكر تعالى ما المنافقون يَعْتَلُّون به إذا لَقوا رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فقالَ تبارك وتعالى : (سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ) من الأعراب حول المدينة ، الذين خلَّفهم الله - تعالى - عن صحبتك لَمَّا طلبتهم لِيَخْرُجُوا معك إلى مكة ، خَوْفًا من تَعَرُّضِ قريش لك عام الحُدَيْبِية إذا رجعْتَ منها (شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا) عن الخروج معك (فَاسْتَغْفِرْ لَنَا) الله - تعالى - مِن ترك الخُروج مَعَك ، قال سبحانه وتعالى مكذباً لهم (يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ) أي من طلب الاستغفار والاعتذار (مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) فهم كاذبون فى اعتذارهم (قُلْ فَمَنْ) استفهام بمعنى النّفى ، أى لا أحد (يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا) بفتح الضَّاد - ما يَضركم كقتل ، وخلل فى المال والأَهل وعقوبة عن التخلف - وبضمها - أي [الهزال وسوء الحال][1] (أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا) ما يضاد ذلك ؛ لأَنهم ظنُّوا أن تخلفهم عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدفع عنهم الضّرر ، ويعجّل لهم النَّفع بالسلامة فى أنفسهم وأموالهم ، فأَخبرهم تبارك وتعالى أنه إن أرادَ بهم شيئاً من ذلك لم يقدر أحدٌ على دفعه (بَلْ) هنا وفيما يأْتى للانتقال من غرض إلى آخر (كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً) فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه (بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ ٱلْمُؤْمِنُونَ إِلىَ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا) أى ظننتم أن العدو يستأْصلهم فلا يرجعون ، (وَزُيِّنَ ذَلِكَ) عَدَمَ الانقلاب (فِي قُلُوبِكُمْ) فتمكنَّ فيها (وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ) هذا وغيره (وَكُنْتُمْ قَوْماً بُورًا) بواو وراء جمع بائر أى هالِكين عند الله - تعالى - بهذا الظَّن (وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا) أعددنا وهيئنا[2] (لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا) نارًا شديدة (وَلِلهِ مُلْكُ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ) يديرهُ كيف يشاء (يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ويُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) إذ لا وُجُوبَ عليه (وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا) ولم يزل مُتَّصِفًا بذلك ، ثم ذكر أن النّبي - صلى الله عليه وسلم - وأَصحابَه إذا انطلقوا

---

(١) بياض فى الأصول بمقدار ثلاث كلمات . والمثبت من لسان العرب ٦ : ١٢٣ وقد جاء فيه « الضر بالضم الاسم دون المصدر ، وهو الهزال وسوء الحال ، وقوله عز وجل (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه) وقوله (كأن لم يدعنا إلى ضر مسه) فكل ما كان من سوء الحال وفقر أوشدة فى بدن فهو ضر ، وما كان ضد النفع فهو ضر » .

(٢) بياض فى الأصول بمقدار كلمتين والمثبت من اللسان .

إلى مغانم لِيَأْخذوها ٱلْتَمَس المخلفون الخروجَ لِعَرَضٍ مِنَ الدّنيا ، فقال تباركَ وتعالى .
(سَيَقُولُ لك المخَلَّفُونَ) المذكورون (إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا) هى مغانم خَيْبَر ؛
فإنه – صلى الله عليه وسلم – لَمَّا رجع من الحُدَيْبِيَة أَقامَ بالمدينة مدة ثم غزا خَيْبَر
بمن شَهِدَ الحُدَيْبِيَة ففتحها ، وغَنِمَ أَموالا كثيرة فخصّها بهم (ذَرُونَا) اتركونا
(نَتَّبِعْكُمْ) لنأْخذ منها (يُرِيدُونَ) بذلك (أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ) وقرأَ حمزةُ والكسائىّ
بكسر الكاف ، وهو جمع كَلِم – أَى مواعيده بغنائم خَيْبَر أَهْلَ الحُدَيْبِيَة خاصةً
(قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا) نفى بمعنى النهى (كَذلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ) أَى مِنْ قبل
عودنا (فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا) أَنْ نُصِيبَ معكم من الغنائم فقُلْتُم ذالك (بَلْ
كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ) يعلمون من الدين (إِلاَّ قَلِيلاً) منهم (قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ)
١٧٥ و المذكورين ٱخْتِبَارًا (سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِى بَأْسٍ) أَصحاب (شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ) / حالٌ
مُقَدَّرَةٌ – هى المدعو إِليها فى المعنى (أَوْ) هم (يُسْلِمُونَ) فلا يقاتاون (فَإِنْ تُطِيعُوا)
إِلى قتالهم (يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْرًا حَسَنًا) هو الغنيمة فى الدنيا ، والجنة فى الآخرة (وَإِنْ
تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ) عن الحُدَيْبِيَة (يُعَذِّبكُمْ عَذَاباً أَلِيمًا) مؤلما (لَيْسَ
عَلَى ٱلْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ) إِثمٌ فى تركِ
الجهاد (وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ) بالياءِ والنّون (جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَارُ) فَصَّلَ الوَعْدَ وأَجْمَلَ الوعيد مبالغةً فى الوعد لِسَبْقِ رحمته ثم جمل[1] ذالك
بالتكرار على سبيل التّعميم فقال : (وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ) كذلك (عَذَابًا أَلِيمًا) إِذ
الترهيبُ هنا أَنفعُ من التَّرغيب .

ثم ذكر – تعالى – مَنْ بايَعَ تَحْتَ الشجرة فقال عَزَّ وجَلَّ (لَقَدْ رَضِىَ اللهُ عن
ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعونَكَ) بالحُدَيْبِيَة (تَحْتَ الشَّجَرَةِ) هى سَمُرَة كما رواه ابن جرير
وابن أَبِى حاتم عن سلمة ، أَو سِدْرَة كما رواهُ مسلم عن جابر (فَعَلِمَ) اللهُ تعالى (مَا فِى
قلوبِهِمْ) من الصدق والوفاءِ (فَأَنْزَلَ ٱلسَّكِينَةَ) الطمأْنينة وسكونَ النفس بالتشجيع
(علَيْهِمْ) ثم ذكر ما أَثابهم عن ذلك فقال : (وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) هو فتحُ خَيْبَر

---

(١) كذا فى ت ، م . وفى ط « أجمل »

بعد انصرافهم من الحُدَيْبِيَة (وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا) من يهود خَيْبر ، وكانت خَيْبَرُ ذات عقار وأموال ، فقسّمها رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – بينهم (وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا) غالباً[1] (حَكِيمًا) أىْ لم يزل مُتَّصِفًا بذلك (وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا) من الفتوحات التى تُفْتَحُ لكم إلى يوم القيامة (فَعَجَّلَ لَكُمْ هٰذِهِ) غنيمة خيبر ، ثمّ ذكَّرهم نعمته عليهم بِكَفِّ أيدى العدوّ عنهم فقال تعالى : (وَكَفَّ أَيْدِىَ النَّاسِ عَنْكُم) فى عيالكم لما خرجْتُمْ وهمَّت بهم اليهود ، فقذفَ اللهُ – عزّ وجل – فى قلوبهم الرُّعب ، وقِيلَ : كَفَّ أيدى أهلِ مكّة بالصلح (ولِتَكُونَ) هذه الكفّة أو الغنيمة المعجلة – عَطْفًا عَلَى مُقَدرٍ أى لِتَشْكُرُوه (آيَةً) علامة (لِلْمُؤْمِنِينَ) يُعرفون بها أنهم من الله – تعالى – بمكان ، أوْ صِدْقَ رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم – فى وَعْدِهِم فَتْحَ خَيْبَر حين رجوعِهِ مِنَ الحُدَيْبِيَة (وَيَهْدِيَكُمْ صِراطًا مُسْتَقِيمًا) أى طريقَ التّوكل عليه ، وتفويض الأمر إليه – تعالى – (وَأُخْرَى) صِفَة مَغَانِم ، فيقَدَّرُ مبتدأ (لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) بعد ، لما كان فيها من الجولة ، والمراد : فارس والرّوم (قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا) علم أنها ستكون لكم (وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا) لأن قدرته دائمة لا تختصّ بشىءٍ دون شىء (وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالحُدَيْبِيَة ولم يُصَالِحُوا (لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ) لانهزَمُوا (ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا) يحرسهم (وَلَا نَصِيرًا) ينصرهم (سُنَّةَ اللهِ) مَصْدَرٌ مؤكِّدٌ بمضمون الجُملة قبله من هزيمة الكافرين ونصرِ المؤمنين ، أى سَنَّ اللهُ – تعالى – ذلك سُنَّة (الَّتِى قَدْ خَلَتْ) مضت فى الأُمم كما قال – تعالى – (لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِى[2]) (مِنْ قَبْل وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً) تغييرا منه (وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهِمْ عَنْكُمْ) أى كفار مكة (وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ) بالحُدَيْبِيَة (مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِم) فإن ثمانين طافوا بعسكركم ليصيبوا منكم غِرّة، فأُخِذُوا ، فأُتِىَ بهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فَعَفَا عنهم ، وخلَّى سبيلهم ، فكان ذلك سبب الصّلح (وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) من مقاتلتهم / ، وقرأ أبو عَمْرو بالتحتية (بَصِيرًا) فيجازيهم عليه (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) عن الوصول إليه (وَالْهَدْىَ مَعْكُوفا) ١٧٥ ظ

---

(١) كذا فى ت ، م . وفى ط « عالياً »

(٢) الآية ٢١ من سورة المجادلة .

عليكم ، معكوفا : مَحْبُوسًا ، حَالٌ (أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ) الذى ينحر فيه عادة وهو الحرم بدل اشتمال (وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُون وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ) موجودون بمكة مع الكفار (لَمْ تعلمُوهُمْ) بصفة الإيمان (أَنْ تَطَئُوهمْ) تقتلوهم مع الكفار لو أذن لكم فى الفتح ، بدل اشتمال (فتصيبكم منهم) من جهتهم (مَعَرةٌ) مكروه ؛ بوجوب الدّية ، أو الكفارة بقتلهم ، أو التأسف عليهم ، أو غير ذلك (بِغَيْرِ عِلْمٍ) منكم به ، وضمائر الغيبة به للصنفين بتغليب الذكور ، وجواب لولا محذوف أى لأُذِنَ لكم فى الفتح ولكِنْ لَمْ يؤذن فيه حينئذ (لِيُدْخِلَ اللهُ فِى رَحْمَتِهِ مَنْ يشَاءُ) كالمؤمنين المذكورين (لَوْ تَزَيَّلُوا) تميزوا عن الكفار (لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفرُوا مِنْهمْ) من أهل مكة حينئذ بأن نَأْذَنَ لكم فى فتحها (عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلماً (إِذْ جَعَلَ) متعلق بعذبنا (الَّذِينَ كَفَرُوا) فاعل (فِى قُلوبهمُ ٱلْحمْيةَ) الأَنفة من الشئ (حميَّةَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ) بدَلٌ من حميّة ، وهى صدّهُم رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابَه عن المسجد الحرام (فَأَنْزَلَ اللهُ سكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) فصالحوهم ، على أن هذا[1] يعود مِنْ قَابِلٍ ، ولم يلحقهم من الحميّة مَالَحِق الكفَّارَ حتّى يقاتلوهم (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقوَى) لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأضيفت إلى التقوى لأنها سببها (وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا) من الكفار (وَأَهْلَهَا) عطفُ تفسير (وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْء عَلِيمًا) أى لم يزل مُتَّصِفاً بذلك ؛ ومن معلومه تعالى أن المؤمنين أهلها (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرؤيا بالحق) رأى رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فى النوم عامَ الحُدَيْبِيَة قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين يحلقون رؤوسهم ويقصرون ، فأخبر بذلك أصحابه ففَرِحُوا ، فلَّما خرجوا معه وصدَّهَم الكفَّارُ بالحُدَيْبِيَة ورجعوا ، وشقّ عليهم ذلك ، وراب بعض المنافقين نزلت ، وقوله تعالى : (بِٱلْحَقِّ) متعاقٌ بصَدَقَ ، أو حال من الرُّؤيَا ، وما بعدها تفسير لها (لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِين مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ) أى جميع شعورها (وَمُقَصِّرِينَ) شعورها ، وهما حالان مقدرتان (لَا تَخَافُونَ) حالٌ مُؤكده أو استئناف : أى لا تخافون بعد ذلك (فَعَلِمَ) فى الصلح (مَالَمْ تَعْلَمُوا) من

---

(١) المقصود : أن يعود المصطفى صلى الله عليه وسلم هذا العام ثم يعود بعد ذلك فى العام القادم .

الصلاح (فَجَعَلَ مِنْ دُون ذَلِكَ) أى الدخول (فَتْحًا قَرِيبًا) هو فتح خَيْبَر ، وتحقَّقت الرُّؤيا فى العام القابل ، ويأتى الكلام على تفسير بقيّة السّورة فى الخصائص إن شاء الله تعالى .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : الحُدَيْبِيَة : بحاء مهملة مضمومة ، فدال مهملة مفتوحة فموحدة مكسورة فتحتية مَفْتُوحة. قال الإمام الشافعى – رحمه الله – وأهل اللغة وبعض أهل الحديث – رحمهم الله – التَّحْتِيَّة مخففة[1] . وقال أكثر أهل الحديث / مُشَدَّدَة. قال النووى – رحمه الله – ١٧٦ و فهما وَجْهَان مشهوران .

وقال فى المطالع : ضبطنا التخفيف عن المُتقِنين وأما عامة الفُقَهاء والمُحَدِّثين فيشدِّدُونَها . وقال البكرى – رحمه الله – أهلُ العراقِ يُشَدِّدُون ، وأَهْلُ الحجازِ يخَففون .

وقال النحاس – رحمه الله – سأَلت كلَّ مَنْ لقيتُ مِمَّن أثقُ بعلمه عن « الحديبية » فلم يختلفوا عن قراءتها مخففة .

قال أحمد بن يحيى[2] – رحمه الله – لا يجوزُ فِيهَا غيره ، ونصّ فى البارع على التخفيف . وحكى التَّشْدِيدَ ابن سيده – رحمه الله – فى المحْكَم ، قال فى تهذيب المطالع : ولم أَره لغيره ، وأشار بعضُهم إلى أنَّ التثقيل لم يُسْمَع حتى يَصح[3] ، ووجهُهُ أن التَّثْقِيل إنما[4] يكون فى المنسوب ، نحو الإسْكندريَّة فإنها منسوبة إلى الاسكندر وأمَّا الحُديبية »

---

(١) أنظر الخلاف حول تخفيف ياء الحديبية الثانية وتشديدها فى شرح المواهب ٢ : ١٧٩ ، والسيرة الحلبية ٣ : ١٠ وهو لايخرج عما هنا .

(٢) احمد بن يحى هو ثعلب كما فى شرح المواهب ٢ : ١٧٩ .

(٣) كذا فى ط . وفى ت وم « لم يسمع فى فصيح » .

(٤) كذا فى ط ، وفى ت ، م « بأنه يكون فى المنسوب »

فلا تعقلُ فيها النِّسْبَة ، وياء النسبة فى غير مَنْسُوب قليلة ، ومع قلته موقوف على السماع . والقياسُ أن يكون أصلها حَدْبَاء بزيادة «ألفٍ للإلحاق ببنات الأَربعة ، فلما صغرت آنقلبت الأَلفُ ياء ، وقيل : حُدَيْبَة ، وشهد لصحة هذا أقوالهم لُيَيْلَة بالتّصغير ، ولَمْ يَرِدْ لَها مُكَبَّر فَقَدَّره الأَئِمة ليلة لأَن المُصَغَّر فرعُ المُكَبَّر ، ويمتنعُ وجودُ فرعٍ بدون أَصْلِه .

قال المحب الطبرى – رحمه الله – : هى قريبة من مكة أكثرها فى الحرم .

وفى صحيح البخارى عن البراء « الحديبية » بِئْر . قال الحافظ – رحمه الله – يُشِيرُ إلى أَنَّ المكان المعروف بالحُدَيْبِيَة سمى ببئرٍ كانت هنالك ، هذا آسمها ، ثم عُرِفَ المكانُ كُلُّه بذلك ، وَبَيْنَهَا وبين مكة نحو مرحلة واحدة ، وبين المدينةِ تِسْعُ[1] مَرَاحِل

الثانى : قَالُوا كانت سَنَةَ ستّ ، قاله الجمهور ، فى ذى القِعْدة ، وقال هِشَامُ ابْنُ عُرْوَةَ عن أبيه – رحمهما الله – فى شوال ، وشَذَّ بذَلِكَ هِشَامُ عن الجمهور . وقد وافق أبو الأَسود عن عُرْوَة الجمهور . وفى البخارى عن عائشةَ – رضى الله عنها – قالت : مَا آعْتَمَرَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – إلاَّ فِى ذِى القِعدَة ، وفيه عن أَنَسٍ – رضى الله عنه – آعْتَمَرَ رَسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – أَرْبَعَ عُمَرٍ كُلهُن فِى ذِى الْقِعْدَة ، فذكر منها عُمْرَةَ « الحُديبية » .

الثالث : آخْتَلَفَت الرواياتُ فى عِدَّةِ مَنَ كَان مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيها ، فَفِى رِوَايَةِ عبد العزيز الأَفاق عن الزُّهْرِى فى حديث الْمِسْوَر ، ومروان : ألف وثمانمائة .

وفى رواية إِسْرَائيلَ عن أَبِى إِسْحَاقَ عن البراء : كُنَّا أَربع عشرة مائة .

وفى رواية زهير بن معاوية عن أَبِى إِسْحَاق كانوا أَلفًا وأَربعمائة أَو أَكثر .

---

(١) انظر الخلاف حول المسافة التى بين الحديبية و كل من مكة و المدينة فى شرح المواهب ٢ : ١٧٩ .

وفى رواية لسالم بن أَبِى الْجَعْد عن جابر : أَنهم كانوا خَمْسَ عَشْرة مائة ، وكذلك رواية سَعِيدِ بنِ المُسَيَّب عنه ، وكذلك رواية[1] ابن أَبِى شَيْبَة عن مُجَمِّع بن جارية .

قال الحافظ – رحمه الله – والجمْعُ بين هذا الاختلاف أَنهم كانوا أَكثر من أَلف وأَربعمائة ، فَمَنْ قال أَلف وخمسمائة جبر الكسر ، ومن قال أَلف وأَربعمائة أَلغاه . ويؤيده قول البراء فى روايةٍ عنه : كُنَّا أَلفًا وأَربعمائة أَو أَكثر ، واعتمد على هذا الجمع النووى – رحمه الله / . وأَما البيهقى – رحمه الله – فَمَالَ إِلى التَّرْجيح ، وقال : إِن رِوَايَةَ مَنْ قال أَلفاً وأَربعمائة أَرجح ، ثم روى مِنْ طريق أَبى الزبير ومن طريق سفيان بن عمر بن دينار ، كِلاَهُمَا عَن جابر كذلك .

١٧٦ ظ

ومن رواية مَعْقل بن يَسَار عن سَلَمَةَ بنِ الأَكوع ، والبراء بن عازِب ومِنْ طريق قَتَادَة عن سَعِيدِ بنِ المُسَيَّب عن أَبيه ، ومعظم هذه الطرق عن مسلم .

ووقع عند ابن سعد – رحمه الله – فى حديث مَعْقل بن يَسَارٍ : زُهَاءَ أَلف وأَربعمائة ، وهو أَيْضًا فى عدم التَحْدِيد .

وأَما قولُ عبد الله بن أَبِى أَوفى – رحمه الله – : كُنَّا أَلفاً وثلثمائة كما رواه البخارى ، فَيُمْكن حَمْلُه على ما اطَّلَعَ عليه ، واطلع غيْرَه على زيادة أُنَاسٍ لم يَطَّلِعْ هو عليهم ، والزيادة مِنَ الثِّقَة مقبولة . أَو الْعَدَد الَّذِى ذَكَرَهُ عَدَد الْمُقَاتِلة . والزِّيَادَةُ عليها من الأَتْبَاع من الْخَدَمِ والنِّسَاءِ والصِّبْيَان الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُم .

وأَمَّا قَوْلُ ابن إِسْحاقٍ – رحمه الله – إِنَّهُم كانُوا سبعمائة فَلَمْ يُوافِقه [أَحد[2]] عَلَيه ؛ لأَنَّه قَالَهُ اسْتِنْباطاً من قَوْلِ جَابر – رضى الله عنه – : نحرنا الْبَدَنَةَ عن عَشْرَةٍ ، وكَانُوا نَحَرُوا سَبْعِينَ بَدَنَة . وهذا لَا يَدُلُّ على أَنَّهُم لم ينحروا غير الْبُدْن ، مَعَ أَنَّ بَعْضَهُم لم يكن أَحْرَمَ أَصْلاً . وقال ابنُ الْقَيِّم : مَا ذَكَرَه ابنُ إِسْحَاق غَلَطٌ بَيِّن ، واسْتَدَلَّ به مِنْ أَنَّهم نَحَرُوا سَبْعين بدنة ، والبدنة جاءَ إِجزاؤها عن سبعة وعن عشرة ، وهذا

(١) كذا فى ط ، ت ، م « رواه » .
(٢) سقط فى الأصول . والإضافة من شرح المواهب ٢ : ١٨٠ .

لا يدل على ما قاله فإنَّه قَدْ صَرَّحَ أن البَدَنَة فى هذه العُمْرَة عن سَبْعَة ، فلو كانت السَّبْعُونَ عنْ جَمِيعِهِمْ كانوا أربعمائة وتسعين رجلا ، وقد قَالَ فِى تَمَامِ الْحَدِيثِ بعَيْنه : إنَّهم كَانُوا أَلْفًا وأربعمائة .

وأمَّا مَا وقَعَ فِى حَدِيثِ المِسْوَر ومَرْوَان عن البُخَارى أنهم خرجُوا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بضع عشرة مائة ، فَيُجْمَعُ أَيْضًا بأَنَّ الَّذِين بَايَعُوا كَانُوا كما تقدم . وأَمَّا الَّذِينَ زَادُوا على ذَلِكَ فَكَانوا غَائبين عنها ، كَمَنْ تَوَجَّه مع عثمان ـ رضى الله عنه ـ إلى مَكَة ، على أنَّ لَفْظَ الْبِضْع يَصْدُق علَى الخمس والأربع ، فلا تخَالف .

وَجَزَمَ ابنُ عقبة[1] بأنَّهم كَانُوا أَلْفًا وستمائة ، وفى حديث سَلَمة بن الأكوع عند ابن أَبِى شَيْبَةَ أَلْفًا وسَبْعَمَائة . وحكى ابنُ سَعْد : أَنهم كانوا أَلْفًا وخمسمائة وخمسة وعشرين . وهذا[2] إنْ ثَبَتَ تَحْرِير[3] بالغ .

وزاد ابن مَرْدَويه عن ابن عبَّاس ، وفيه ردٌّ على ابن دِحْية ، حيْثُ زَعَمَ أَنَّ سَبَبَ الأختلاف فى عددهم ، أنَّ الَّذِى ذَكَرَ عَدَدَهُم لم يَقْصِد التَّحْديد ، وإنما ذكره بالْحَدْسِ والتَّخْمِين .

الرابع : فى أَخْذِهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذَاتَ الْيَمِين عَنْ خَالِدٍ وجَيْشِه ، جواز الاسْتِتَارِ عَنْ طلائع المشركين ومُفَاجَأتِهم بِالْجَيْش طَلَبًا لِغِرَّتهم .

الخامس : فى اُستشارته ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَصْحَابَه ، استحباب مشورَةِ الإمام رَعِيَّتَه وَجَيْشَه اسْتِخْراجاً لِوَجْه الرأى ، واُستطابة لِنُفُوسِهم ، وأن يخَصِّصَ بِه بَعْضَهم دُونَ الْبعض .

السادس : فى قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : مَا خَلأَت وَمَا ذَاكَ لَهَا بخُلُق ، جَوَازُ الحُكْمِ عَلَى الشَّىء بِمَا عُرِفَ من عَادَته ، وإن جَازَ أَنْ يَطْرَأَ عليه ، وإذَا وَقَعَ مِنْ

---

(١) هو موسى بن عقبة كما جاء فى المرجع السابق .

(٢) فى شرح المواهب ٢ : ١٨٠ « قال الحافظ وهذا إن ثبت تحرير بالغ » .

(٣) فى ط « تحديد » والمثبت عن ت ، م . ويوافقه مافى شرح المواهب .

شَخْصٍ هَفْوَة لَا يُعْهَدُ مِثْلُهَا مِنْه لا تنسب إليه وَيُردُّ على مَنْ نسبه إليها مِمَّن ، لَا يَعْرِفُ / / صورة حَاله ، لأَن خَلاًَ القصواء لوْلَا خَارِقُ الْعَادَةِ لَكَانَ مَا ظَنَّه الصَّحَابَةُ جَمِيعًا صَحِيحًا ، ١٧٧ و ولم يُعَاتبهم النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – بِعُذْرِهم فى ظَنِّهم .

السابع : قوله – صلى الله عليه وسلم – حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ : أى حبسها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عن دخول مكة كما حَبَسَ الفيلَ عن دُخُولها ، وقصة الفيل مشهورة ، وتقدّمت الإشارة إِلَيْهَا . ومناسبةُ ذكرها أن الصَّحَابَة لو دَخَلُوا مَكَّةَ على تِلْكَ الصُّورَةِ وصدَّتْهُم[١] قريشٌ عن ذلك لَوَقَعَ بَيْنَهم قِتَال قَدْ يُفْضِى إلى سَفْكِ الدِّمَاء ونَهْبِ الْأَمْوَال ، كما لو قُدِّرَ دُخُولُ الفيل وأَصْحَابه مكة ، لكن سَبَقَ فى عِلْمِ الله – تعالى – فى الْمَوْضِعَيْن أَنَّه سَيَدْخُل فى الإِسْلَام خَلْقٌ منهم ، وسَيَخْرُجُ من أَصْلَابهم نَاسٌ يُسْلِمُون ويُجَاهِدُون . وكان بمكة فى الحُدَيْبِيَة جمعٌ كثيرٌ مُؤمنون مِنَ الْمُسْتَضْعَفِين من الرِّجَالِ والنِّسَاءِ والْوِلْدَان ، فَلَوْ طَرَقَ الصحابةُ مَكَّةَ لَمَا أُمِنَ أَنْ يُصَابَ مِنْهُم نَاسٌ بِغَيْرِ عَمْد[٢] كما أَشَارَ إلى ذَلِكَ تَبَارَكَ وتعالى – فى قوله : (وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ)[٣] الآية .

الثامن : اسْتَبْعَد المهلبُ جَوَازَ إِطْلَاقِ حَابِسِ الفِيل عَلَى الله عز وجل ، وقال : المرادُ حَبَسَهَا أمر الله سبحانه وتعالى . وتُعقِّبَ بأَنه يَجُوزُ إِطلاقُ ذلك فى حقِّ الله – تعالى – فيقال : حَبَسَهَا اللهُ حَابِسُ الفيل ، وإنما الذى يمكن أن يُمْنَع تَسْمِيَتُه – تَعَالى – حَابِس الفِيل ونحوه ، كما أَجاب به ابن المنير ، وهُوَ مَبْنِىٌّ عَلَى الصَّحِيح من أَنَّ الأَسْماءَ تَوْقِيفِيَّة .

وقد تَوَسَّطَ الغَزالىُّ وطائِفَةٌ فَقَالُوا : مَحَلُّ المَنْع مَالَمْ يَرِد نص بما يُشْتَقُّ منه بشَرْطِ أَلاَّ يكون ذلك الاَسْمُ المُشْتَقُّ منه مُشْعِرًا بنَقص ، فيجوزُ تَسْمِيَتُهُ بالواق (وَمَنْ

---

(١) كذا فى ط ، وفى ت ، م « وصدهم » ويتفق شرح المواهب ٢ : ١٨٤ مع ط .

(٢) كذا فى ط وشرح المواهب ٢ : ١٨٤ . وفى ت ، م « بغير عهد » .

(٣) الآية ٢٥ من سورة الفتح .

تَق السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَه)[1] ولَا يَجُوزُ تَسْمِيَتُهُ الْبَنَّاءِ[2] وإنْ وَرَدَ فى قوله تعالى : (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَهَا بِأَيْدٍ)[3] .

التاسع : فى قوله – صلى الله عليه وسلم – : « حَبَسَهَا حَابِسُ الفيل » جَوَازُ التَّشْبِيه من الجِهة العَامَّة ، وإن اخْتَلَفت الجِهَةُ الخاصَّة ، لأَن أَصْحابَ الْفِيل كَانُوا عَلَى بَاطِلٍ مَحْضٍ ، وَأَصْحَاب هَذِه النَّاقة كانُوا على حَقٍّ محضٍ ، ولكن جَاز التَّشْبِيهُ من جِهَة إِرَادَةِ الله – تعالى – مَنْع الْحَرم مُطْلَقًا ، أما مِنْ أَهْل البَاطِلِ فَوَاضِح . وأَمَّا مِنْ أَهْل الحَقِّ فَلِلْمَعْنَى الَّذِى تَقَدَّمَ ذِكْره فى الرابع .

العاشر : قولُه – صلَّى الله عليه وسلم – : « والَّذِى نَفْسِى بيَده لَا يَسْأَلُونى اليَوْمَ خُطَّةً .... إلى آخره » . قال السُّهيلى رحمه الله : لَمْ يَقَعْ فى شىءٍ من طُرُقِ الحديث ، أنه قالَ إنْ شَاءَ اللهُ – تعالى – مع أَنَّه مأْمورٌ فى ذَلِكَ فى كُلِّ حَال .

قال : والجوابُ عن ذَلِكَ أنه كَانَ أَمْرًا واجبًا حَتْمًا ، فلا يُحْتَاج مَعَه للاَسْتِثْنَاء ، وتعقب بأَنَّه – تعالى – قَالَ فى هذه القِصَّة (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ) فَقَالَ : إنْ شَاءَ الله ، مَعَ تَحْقِيق وقُوعِ ذَلِكَ تعليماً وإِرْشَادًا . فالأولى أن يُحْمَلَ على أَنَّ الاَسْتِثْنَاء سَقَطَ مِنَ الراوى ، أَو كَانَت القِصَّةُ قَبْلَ نزول الأَمر بذلك ، ولا يُعَارِضُه كون الكَهْف مَكِّيةً ، إِذْ لَا مَانع من أَن يَتَأَخَّرَ نُزولُ بَعْضِ السُّورة ، وفى قوله – صلى الله عليه وسلم – « وَالَّذِى نَفْسِى بَيَده » الخ / تَأْكِيدُ القَوْلِ باليمين ليكونَ أَدْعَى إلى القَبُول . وقد حُفِظَ عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الْحَلِف فى أَكْثَر مِنْ ثَمَانِين[4] موضعاً ، كما سيأْتى بَسطُ ذَلِك فى بابه .

١٧٧ ظ

الحادى عشر : فى حديث البراء فى شفير بئر الحديبية أَنَّه – صلَّى الله عليه وسلم – تَوضَّأَ فَمَضْمَضَ وَدَعَا ثم صَبَّه فيها ، وفى حديث المِسْوَر ، ومَرْوَان أَن رسولَ الله – صلى

---

(١) الآية ٩ من سورة غافر .

(٢) كذا فى ط . وشرح المواهب ٢ : ١٨٤ . وفى ت ، م « بالبنا » .

(٣) الآية ٤٧ من سورة الذاريات .

(٤) قاله ابن القيم كما فى شرح المواهب ٢ : ١٨٥ .

الله عليه وسلم - انتزع سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِه ثُمَّ أمرهم أَنْ يَجْعَلُوهُ فيها ، ويمكن الجمعُ بأَنَّ الأَمرَين وَقَعَا مَعًا ، ويُؤيِّدُ ذلك مَا رَوَاهُ محمَّدُ بنُ عُمر من طريق أَوْس بن خَولى أنَّه - صلَّى الله عليه وسلم - تَوضَأَ فى الدَّلْو ثُمَّ أَفْرَغه فِيهَا وَانْتَزَعَ السَّهْمَ ثُمَّ وضَعَهُ فِيها ، وهكذا ذكر أَبُو الأَسْود عن عُرْوَة أنه - صلى الله عليه وسلم - تَمَضْمَضَ فى الدَّلْو وصَبَّه فى الْبئر ، ونزع سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِه فَأَلْقَاهُ فِيهَا ففارت .

الثانى عشر : اخْتُلِفَ فى النَّازِلِ بِالسَّهمِ ، فعند ابن إسْحَاق عَنْ رِجَال مِنْ أَسْلَم : أَنَّه نَاجِيَةَ بْنَ جُنْدُب . قال ابنُ إسْحَاق : وَزَعَمَ بَعْض أَهْلِ العِلْمِ أَنَّه الْبَرَاءُ بن عَازِب .

وروى مُحَمَّدُ بن عمر عن خالد بن عبادة الْغِفَارِيُّ قَالَ : أَنَا الَّذِى نَزَلْتُ بالسَّهْم ، ويمكن الجَمْعُ بأَنَّهُم تَعَاوَنُوا عَلَى ذلك[1] .

الثالث عشر : فى حَدِيثِ جَابِر - رضى اللهُ عنه - أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ بالحُدَيْبِيَة رَكْوَة فَتَوَضَّأَ فِيهَا ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوهُ فَقَالَ « مَالَكُمْ ؟ فَقَالُوا : يَارَسُولَ الله : لَيْسَ عِنْدَنَا مَا نَتَوضَّأُ وَلَا نَشْرَب إلا مَا فِى رَكْوَتِك . قَالَ : فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَدَهُ فى الرَكْوَةَ ، فجعل الماءُ يفورُ مِنْ بَيْنَ أَصابعِه كَأَمْثَال العُيُون ، قَالَ : فَشَرِبْنَا وتوضَّأْنا .

وجَمَعَ ابنُ حِبَّان بَيْنَ حَدِيثِ جَابِر هَذَا وبين مَا تقدم بأَنَّ ذلك وَقَعَ مَرَّتَيْن فى وقتين ، وقال مَا تقدَّمَ فِى حَدِيث الْبَرَاء والْمسْوَر وَمَرْوَان غير مَا فِى حَدِيث جَابر ، وَكَانَ حَدِيثُه قَبْل قصَّة البِئر ، وقال فِى مَوْضعٍ آخر فى حديث جابر فى الأَشربة [مِنْ كتاب البخارىّ][2] أَنَّ نَبْعَ الماءِ كَان حين حضرت صَلاةُ العَصْرِ عِنْد إرَادَةِ الْوضوءِ ،

---

(١) جاء فى شرح المواهب ٢ : ١٨٥ « قال الحافظ فى المقدمة : روى ابن سعد من طريق أبى مروان ، حدثنى أربعة عشر رجلا من الصحابة الأنصار : أن الذى نزل البئر ناجية بن الأعجم ، وقيل هو ناجية بن جندب ، وقيل البراء بن عازب ، وقيل عبادة عن خالد - حكاه عن الواقدى - ووقع فى الاستيعاب خالد بن عبادة وقال فى الفتح يمكن الجمع بأنهم تعاونوا على ذلك بالحفر وغيره » .

(٢) مابين الحاصرتين من شرح المواهب ٢ : ١٨٦ .

وحديث البراءِ كان لإرَادَةِ ما هو أَعَمّ من ذلك ، ويحتمل أَنَّ الماءَ انفجر من أَصَابعه ويَده فى الركوة وتَوضّأَ كلهُم وَشَرِبُوا ، وَأَمَرَ حينئذٍ بِصَب الماءَ الَّذِى فى الركوة فِى البئر فتَكَاثَر الماءُ فِيهَا .

الرابع عشر : اقتَصَر بديل بن ورقاء على قوله : تَرَكتُ كَعْبَ بن لُؤَىّ ، وَعَامِرَ ابْنَ لُؤَىّ ؛ لكون قريش الذين كانوا بِمكَّة أجمع تَرْجِعُ أَنْسابُهم إلَيْهما ، وَبَقِىَ مِنْ قُرَيْشٍ بَنُو سَامَة بن لُؤَى ، وَلَمْ يكُن بمَكَّةَ منهم أحد ، وكذلك قُرَيْش الظَّوَاهر ، وتَقَدَّمَ بَيَانَهم فى [من][1] اسمه القريشى .

قال هشام بن الكلبى : بنو عامر بن لُؤَى وكعب بن لؤى هما الصريحان لاَشَكَّ فيهما ، بِخِلاَفِ سَامَة وعَوف ؛ أى فَفِيهِمَا خِلاَف ، قال : وَهُم قُرَيْش الْبِطاح ، بِخِلاَف قُرَيش الظَّواهر وفى موالاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

الخامس عشر : قوله - صلى الله عليه وسلم - « إنْ أَظْهَر فإن شاءُوا » إلخ إنَّمَا رَدَّدَ - صلى الله عليه وسلم - الأَمْرَ مَعَ أَنَّهُ جَازِمٌ بِأَنَّ اللهَ سَيَنْصُرُهُ / ويُظْهِرُهُ ؛ لِوَعْدِه - تعالى - لَهُ بِذَلِكَ عَلَى طَرِيق التَّنَزُّل مَعَ الخصم وَفَرَض الأَمْرَ عَلَى مَا زَعَمَ الخَصم . وَلِهَذِه النكتة حَذَفَ الْقَسَمَ الأَوَّلَ وَهُوَ التَّصْرِيح بِظُهُورِ غَيْرِهُ ، وقوله - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك « ولَيُنْفِذَنَّ[2] اللهُ أَمْرَه » - بِضمٍّ أَوَّلِهِ وَكَسْرِ الفَاءِ ؛ أَىْ لَيُمْضِيَنَّ الله - تعالى - أَمْرَهُ فِى نَصْرِ دِينهِ ، وحسن الإتيان بِهَذَا الجزم بعد ذَلك التَّرديد للتنبيه على أَنَّه لم يُورِدْه إلاَّ عَلَى سبيل الفَرْض ، ووقع التصريح بذكر القَسَم الأَوَّل فى رواية ابن إسحاق[3] كما فى القصة ، فالظَّاهر أَنَّ الحَذْف وقع من بعض الرُّواة .

١٧٨ و

السادس عشر : قَوْلُ عُرْوَةَ لقريش أَلَسْتُم بالوالدِ وأَلَسْتُ بالوَلَد هُوَ الصَّواب ، ووقع لبعض رُوَاةِ الصَّحيح عَكْسُ[4] ذلك ، وَزَعَم[5] أن كلّ واحدٍ منكم كالولد ،

---

(١) إضافة يقتضيها السياق . وفى شرح المواهب ٢ : ١٨٧ « إنما اقتصر على هذين لرجوع أنساب قريش الذين بمكة أجمع إليهما ، وبقى من قريش بنو سامة بن لؤى وبنو عوف بن لؤى وهم قريش البطاح ولم يكن بمكة منهم أحد ، وكذلك قريش الظواهر الذين منهم بنوتيم بن غالب ومحارب بن فهر » .

(٢) وضبطها الزركشى والدماميني بفتح النون الأولى وشد الفاء المكسورة ، انظر شرح المواهب ٢ : ١٨٨ .

(٣) رواية ابن اسحاق « فوالله لا أزال أجاهد - الخ » السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٠٩ .

(٤) يقصد المصنف رواية أبى ذر : ألستم بالولد وألست بالوالد ؟ ، انظر شرح المواهب ٢ : ١٨٩ .

(٥) فى ت ، م « ووهم » والمثبت من ط .

وقيل : معناه أَنْتُم حَى قَدْ وَلَدَنِى ، لكون أُمِّى مِنْكُم ، وهذا هو الصحيح ، لأنه كَانَ لِسُبَيْعَةَ بنْت عَبْد شَمْس .

السابع عشر : فى قِيام المغيرة على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالسَّيْف ، جَوَازُ الْقِيَامِ على رأْس الأَمين لَهُ بِقَصْدِ الْحِرَاسَةِ ، وَنَحْوها من تَرْهِيْبِ الْعَدُوِّ وَلَا يُعَارِضُه النَّهْىُ عَن الْقِيَام عَلَى رأْسِ الْجالِسِ ، لأَن مَحَلَّه إِذَا كَانَ عَلَى وَجْهِ العَظَمَة والكبْر .

الثامن عشر : كَانَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ أَنْ يَتَنَاول الرجل لحْية من يكلمه وَلَا سِيَّمَا عند المُلَاطَفَة ، وفى الغَالِب إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ النظير ، بالنظير لَكِنْ كَانَ الرَّسُولُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُغْضِى لِعُرْوَةَ عن ذَلِكَ اَسْتِمَالَةً لَهُ وتَأْلِيفًا لَه ، والمغيرةُ يَمْنعه إِجْلَالاً لِرَسُولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتعظيما .

التاسع عشر : فى تعظيم الصحابة ـ رضوانُ الله عَلَيْهِم ـ رَسُولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَا ذِكْرُه يعد إشارة منهم إِلَى الرَّدِّ على ما خَشِيَهُ عُرْوَةُ مِنْ فِرَارهم ، وَكَأَنَّهُم قَالُوا بِلِسَانِ حَالِهِم : مَنْ يُحِبُّ إِمَامَه هَذِهِ الْمَحَبَّة يُعَظِّمُه هَذَا التَّعظيم كيْفَ يُظَنُّ بِهِ أَنَّه يَفِرُّ عنه وَيُسْلِمُه لعَدُوِّه بل هُمْ أَشَدُّ اَغتِبَاطًا بِهِ وَبِدِينِه ونَصْرِهِ مِنَ الْقَبَائل التى يُرَاعِى بَعْضُها بَعضًا بمجرَّد الرحم .

العشرون : اَستشكل قَوْلُه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مِكْرَز هَذَا رَجُلٌ فَاجِر أَو غَادِر مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ فِى قِصَّةِ الحُدَيْبِيَة فُجُور ظاهِر ، بَلْ فيها ما يُشْعِرُ بِخِلَاف ذَلك كَمَا سَبَقَ فِى الْقِصَّة ، وفى إِجَازَتِهِ أَبَا جنْدَل لأَجل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لَمَّا امتنع سُهَيْلُ بْنُ عَمْرو ـ رضى الله عنه ـ قبل إسلامه ، وَأُجِيب : قال محمد بنُ عمر فى مَغَازِيه فى غزوة « بدر » إِنَّ عُتْبَة بن ربيعة قال لقريش كيف نخرج من مكة وبَنُو كِنَانة خلْفَنَا لانأْمنهم عَلَى ذَرَارِينَا ؟ قَالَ : وَذَلِكَ أَنَّ حَفْص بن الأَخْيف ـ بخَاء مُعْجَمَة فَتَحْتِيَة وَبِالفَاءِ ـ والد مِكْرَز كان لَهُ وَلدٌ وَضِيءٌ فَقتَلَه رَجُلٌ مِنْ بنِى بَكْر ابْن عَبْدِ مَنَاة بدَمٍ لَهُم ، كَانَ فِى قُرَيْش ، فتكلَّمَتْ قُرَيْش فى ذَلِكَ ، ثُمَّ اصْطَلَحُوا ، فَعدَا مِكْرَزُ بْنُ حَفْص بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى عَامِر بْن يَزِيدِ ، سيِّدِ بَنِى بَكْرٍ غِرَّةً فَقَتَلَه ،

فنفرت مِنْ ذَلِكَ كِنَانَة ، فجاءَت وَقْعَةُ بَدْرٍ فِى أَثْنَاءِ ذَلِكَ ، وَكَانَ مِكْرَز مَعْرُوفاً بِالْغَدْر / وتقدَّم فِى الْقِصَّةِ أنه أَرَادَ أَنْ يُبَيِّتَ الْمُسْلِمِينَ بالْحُدَيْبِيَة ، فَكأَنَّه – صلى الله عَلَيْه وسلَّم – أَشَارَ إلى هذا.

١٧٨ ط

الحادى والعشرون : فى صحيح مسلم عَنْ سَلَمَة بن الأَكْوَع – رضى اللهُ عَنْه : أَنَّهُ أول [من][1] بايع .

وروى الطَّبَرَانىُّ وغيره كما فِى الْقِصَّةِ عن الشَّعْبِى [ورواه][1] ابن مندة عن زِرّ بن حبيش – رحمهما الله – أن أَوَّلَ مَنْ بَايَع أبوسنان[2] الأسدى ، والجمع [ممكن][3] بينهما .

الثانى والعشرون : فى حديثِ سَلَمة بن الأَكوع – رضى الله عنه – أَنهم بَايَعُوا رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – على الموت ، وفى حَديث جَابِرٍ وغَيْره : على أنه لا يَفِرُّ ، وَقَالَ الحافظ : لَا تَنَافِى بَيْنَهُمَا ؛ لأَن المُراد بالْمُبَايَعَةِ عَلَى الْمَوْت أَلاَّ يفِرُّوا وَلَو مَاتُوا ، ولَيْسَ المُرَادُ أَن يَقَعَ الْمَوْتُ وَلاَبُدّ ، وهو الَّذى أَنكره نافع وَعَدَلَ إِلَى قَوْلِهِم ، بَلْ بَايَعَهُم عَلَى النَّصْر ، أَىْ عَلَى الثَّبَات ، وَعَدَمِ الْفِرَار ، سَوَاءٌ أَفْضَى ذَلِكَ إلى الْمَوْتِ أَمْ لَا . وَقَالَ فِى مَوْضِعٍ آخر : مَنْ أَطْلَق أَن بَيْعَته كَانَتْ عَلَى الْمَوْتِ أَرَادَ لَازِمَهَا لأَنَّهُ إذا بَايَعَ عَلَى أَلاَّ يَفِرُّوا لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَثْبت ، وَالَّذِى يَثْبُتُ إِمَّا أَنْ يَغْلب وَإِمَّا أَنْ يُؤْسَر ، والذى يُؤْسَر إِمَّا أَنْ يَنْجُو وإما أَنْ يموت ، وَلَمَّا كَانَ الْمَوْتُ لَا يُؤْمَنُ فِى مِثْلِ ذَلِكَ أَطْلَقَهُ الرَّاوى ، وحاصِلُه أَنَّ أَحَدَهما حَكَى صُورَةَ الْبَيْعَة وَالآخر حَكَى ما تؤول إليه .

---

(١) سقط فى الأصول ، والإضافة من شرح المواهب ٢ : ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٢) وقيل ابنه سنان لأن أباه مات فى حصار بنى قريظة.قاله الواقدى وضعفه بعض الحفاظ (شرح المواهب ٢ : ٢٠٧ .

(٣) سقط فى الأصول ، والمثبت من شرح المواهب ٢ : ٢٠٨ حيث قال « والجمع ممكن وكلهم بايع مرة إلا ابن عمر فبايع مرتين مرة قبل أبيه ومرة بعده كما فى الصحيحين وإلا سلمة بن الأكوع فبايع مرتين كما فى البخارى ، وثلاثا كما فى مسلم ، قال ابن المنير : والحكمة فى تكراره البيعة لسلمة أنه كان مقداماً فى الحرب فأكد عليه العقد احتياطاً ، قال الحافظ : أو لأنه كان يقاتل قتال الفارس والراجل فتعددت البيعة بتعداد الصفة » .

الثالث والعشرون : مِنَ الْصحابةِ رضى اللهُ عنهم مَنْ بَايَعَ مَرَّتين، وهو عبدُ اللهِ بن عُمَرَ، وقد اخْتُلِفَ فى سببِ مبايعته قَبْلَ أبيه رضى الله عنهما ، كما تَقَدَّم فى القصة عن نافع عنه . وجمع بأنه بعثه يُحضر الْفَرَس ورأى الناسَ مجتمعين فقال أنظُر ما شأنُهم فغدا يكشفُ حالَهم فوجَدَهُم يُبَايِعُونَ فَبَايَعَ وَتوجَّهَ إلى الْفَرَسِ فَأَحْضَرَهَا ، وأعادَ حِينئذٍ الجواب على أبيه فخرجَ وخرجَ معهُ فبايع عُمَرُ وبايع ابنُ عمرَ مرة أُخرى .

الرابع والعشرون : من الصحابة رضى الله عنهم من بايعَ ثلاثَ مراتٍ ، وهو سَلَمَة ابن الأَكْوَع رضى الله عنه – طَلَبَ ذلك منه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مع علمهِ بأنهُ بايعَ قبل .

قَال المهلبُ : أرادَ صلى الله عليه وسلم أَنْ يُؤَكِّدَ بيعتهُ لسَلَمة لعلمه بِشَجَاعتهِ وغَنائِهِ فى الإسلام وشهرتِه بالثَّبَاتِ ، فلذلك أَمَرَه بتكريرِ المبايعةِ ليكونَ له فى ذلك فضيلة .

قال الحافظ : ويحتملُ أن يكونَ سلمةُ لما بَدَر إلى المبايعة ثم قعدَ قريباً ، واستمرّ الناسُ يبايعون إلى أن خفوا ، أرادَ صلى الله عليه وسلم منه أن يبايع لتتوالى المبايعة معه ولا يقع فيها تخلُّل ، لأن العادة فى مبدإ كل أمرٍ أن يكثر من يباشره فيتوالى ، فإذا تناهى قد يقع بين من سيجىءُ آخرا تَخَلُّل وَلَا يَلْزَم مِنْ ذَلِكَ اخْتِصَاصُ سَلَمَةَ بِمَا ذَكَرَه ، وَالْوَاقِع أَنَّ الَّذِى أَشَارَ إليه المهلبُ مِنْ حَال سَلَمَةَ فى الشجاعة وَغَيْرِهَا لَمْ يكن ظَهَرَ بَعْد» لأنه إنَّمَا وَقَعَ مِنْهُ بعد ذلك فى غزوة ذِى قرد كما سيأتى ، حَيْثُ اسْتَعَادَ السرح الَّذِى كَانَ المشركون أغارُوا عَلَيه ، فاسْتَلَبَ ثِيَابَهُمْ ، وَكَانَ آخرُ أَمْرِهِ أَنْ أَسْهَمَ لَهُ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – سَهْمَ الْفَارِس والرَّاجل .

فالأَولى أن يقال/ تَفَرَّسَ فيه رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – ذَلِكَ فبايعه مرتين ، ١٧٩ وأَشَارَ إلى أنه سيقوم فى الحَرْبِ مَقَامَ رجلين فَكَانَ كَذَلِكَ .

قُلْتُ : وَلَمْ يَسْتَحْضِرْ الحَافِظُ ما وَقَعَ عِند مسلم : أنه – صلى الله عليه وسلم – بَايَعه ثَلَاثَ مَرَّات ، وَلَوْ اسْتَحْضَرَهُ لَوَجَّهَه .

الخامس والعشرون : الحكمة فى قَطْعِ عُمَرَ الشَّجَرَة وفى إخفاءِ مَكَانِهَا أَنَّه لَا يحصُلُ بها افتتان لِمَا وَقَعَ تَحْتَها مِنَ الْخَيْر ، فَلَوْ بَقِيَت لَمَا أَمِنَ مِنْ تَعظِيم الْجُهَّال لَها حَتَّى

رُبَّمَا أَفْضَى بِهِمْ أَنَّ لَهَا قُوَّة نَفع وَضُرّ كَمَا نَراه الآن شَاهِدًا فيما دُونَها ، وإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ عُمَرُ بقَوْلِه : «كانت رحمةً مِن الله» ، أى كان إِخْفَاؤُهَا بَعْدَ ذَلِكَ رحمةً من الله تَعَالى ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يكون مَعْنَى قوله « رحمة من الله » أى كَانَت الشجرةُ مَوْضِعَ رَحْمَة ومحل رِضْوَانه لانْزاله الرضى على المؤمنين عِنْدَهَا . وقولُ المُسَيَّب والدُ سَعيد أُنسيناها ، وفى لفظٍ نسيناهَا ، أى نَسِينَا موضعها بدليل قوله : فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهَا.

وفى رواية عند الإسماعيلى فعمى عَلَيْنَا مكانها . وقولُ المُسَيَّب وابن عمر : أَنهما لم يعلما مكانها ، لا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ مَعْرِفَتِها أَصْلاً ، فَقَدْ قال جَابر كما فى الصحيح : لَوْ كُنْتُ أبصر اليَوْمَ لأَريتكم مكان الشجرة ، فهذا يَدُلُّ عَلَى أَنه كَانَ يَضْبِطُ مَكَانَهَا بِعَيْنِه ، وإِذَا كَانَ فى آخر عمره بعد الزمان الطويل يَضْبِطُ مَوْضعها ، ففيه دِلالةٌ عَلَى أَنَّهُ كانَ يعرفُها بِعينها ، قبلَ أَن يَقْطَعَها عُمَرُ – رضى اللهُ عنه .

السادس والعشرون : جزم ابن إِسْحَاق وابن سعدٍ والجمهور بأَن مدَّةَ الصُّلْح عشر سنين ، وَرَوَاهُ الْحَاكِم عَنْ عَلِيّ – رضى اللهُ عنه – وَوَقَعَ فى مغازى ابن عائِذ فى حديث ابن عباس وغيره أَنَّها كَانَتْ سنتين ، وَكَذَا وقع عند ابن عُقْبة ، ويجمع بأَنَّ الَّذِى قَالَه ابن إسحاق هى المدة الَّتِى وَقَعَ الصُّلْحُ فِيها حَتَّى وَقَعَ نَقْضُه عَلَى يَدِ قُرَيْش كما سَيأْتى بَيَانه فى غزوة الفتح .

وأَمَّا مَا وَقَعَ فى كامل ابن عَدِيٍّ ومُسْتَدْرَك الحاكم ، والأَوْسَط للطَّبَرَانى من حديث ابن عمر أَنَّ مُدَّةَ الصُّلْح كَانَتْ أَربع سنين ، فَهُو مع ضَعْفِ إِسْنَادِه مُنكَر مُخالِفٌ لِلصَّحيح .

السابع والعشرون : الذى كتب كتابَ الصُّلْح بينَ رسُول الله – صلى الله عليه وسلم – وبَيْنَ سُهَيلٍ ، علىُّ بن أَبى طالب – رضى الله عنه – كما رَوَاه البُخَارى فى كتَابِ الصلح عن البراءِ بن عَازِب – رضى الله عنهما – ، وعمر بن شَبَّة من حَدِيثِ سَلَمَة بن الأَكوع ، وإِسْحَاق بن رَاهويه عن الزُّهْرِى . وَرَوَى عُمَرُ بنُ شبة عن عَمْرو بن سُهيل بن عمرو عن أَبيه قال : الكتاب عندنا كَتَبَهُ[1] محمد بن مَسْلَمة ، ويُجْمَع بأن أَصل كتاب

---

(١) عبارة شرح المواهب ٢ : ١٩٥ « الكتاب عندنا كاتبه محمد بن سلمة » .

الصلح ؛ بخطِّ على - رضى الله عنه - كما في الصَّحيح ، ونَسخَ مثله محمد بن مسلمة لسهيل بن عمر ، وقال الحافظ رحمه الله : ومن الأَوْهَام مَاذَكرَهُ عُمَر بن شَبَّة بَعْدَ أن رَوى أن اسم كاتب الكتاب بين المسلمين وقريش على بن أبى طَالِب مِنْ طُرُق ، ثُمَّ رَوَى مِنْ طَرِيقِ آخر أَنَّ اَسْمَ الْكَاتِب محمد بن مَسْلَمَة ، ثم قَالَ : حَدَّثْنَا يزيد / بن عائشة ؛ يزيد بن عبيد الله بن محمد التيمى قال : كان اسم هشام بن عكرمة بغيضاً ، وهو الذى كتب الصحيفة فَشُلَّت يَدُه فَسَمَّاهُ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - هِشَامًا .

١٧٩ ظ

قَالَ الحافظ : وهو غَلط فاحِش ، فإِنَّ الصَّحِيفة الَّتِى كَتَبَها هِشَام بن عِكْرِمَة هى التى اتَّفَقَتْ عليها قُريش لما حَصَرُوا بنى هاشم وبنى عبد المطلب فى الشِّعْب ، وذلك بمكة قَبْلَ الْهِجْرة - أَىْ كَمَا سبق ، فَتَوَهَّمَ عُمَرُ بن شَبَّة أن المراد بالصحيفة كتاب القصة التى وَقَعَتْ بِالحُدَيْبِيَة ، وليستْ كذلك ، بل بينهما نحو عشر سنين .

الثامن والعشرون : وقع فى بعض طرق حديث البراءِ بعد أَن ذكر اَمتناع على - رضى الله عنه - مِنْ مَحْوِ « هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم » فأَخذ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - الكتابَ وليس يُحْسِنُ يكتب فكتب « هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله » إلى آخره ، وسيأْتى الكلام على ذلك فى الخَصَائص[1] إن شاءَ الله تعالى .

التاسع والعشرون : اَمتناع علىٍّ - رضى الله عنه - من مَحْوِ لَفْظ « رسول الله صلى الله عليه وسلم » من بَابِ الأَدَب المُسْتَحَبِّ ، لأَنَّه لم يفهم من النبىّ - صلى الله عليه وسلم - تَحْتِيم[2] مَحْو عَلِىٍّ بنفسه ، ولهذا لم ينكر عليه ، ولو تَحتَّم مَحْوُه بنفسه لم يَجُزْ لعلىّ تركه ، ولَمَا أَقرَّهُ النبىُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - على المخالفة . وفى قوله - صلى الله عليه وسلَّم - « فَإِنَّ لَكَ مِثْلَهَا - تعظيما - وَأَنْتَ مُضْطَهَدٌ » : أى مقهور ، معجزة ظاهرة لِمَا وقع لِعَلِىٍّ - رضى اللهُ عنه - فى التحكيم[3] كما سيأْتى فى ترجمته .

---

(١) انظر الخلاف حول مدى معرفة النبى صلى الله عليه وسلم للكتابة والقراءة فى شرح المواهب ٢ : ١٩٦ - ١٩٨ .

(٢) كذا فى ط وفى شرح المواهب ٢ : ١٩٢ . وفى ت ، م « تحتم »

(٣) يشير إلى ماوقع لعلى رضى الله عنه يوم الحكمين ، فإنه لما كتب الكاتب هذا ما صالح عليه : على أمير المؤمنين أرسل معاوية يقول : لو كنت أعلم أنه أمير المؤمنين ماقاتلته . امحها واكتب ابن أبى طالب فقال على : الله أكبر مثل بمثل ، امحها . شرح المواهب ٢ : ١٩٦ .

الثلاثون : قال الخطَّابى – رحمه الله – تعالى : تـأوّل العلماءُ ما وقع فى قصَّة أَبِى جَنْدَل على وَجْهَيْن .

أحدهما : أن الله – تعالى – قد أباح « التَّقِيَّة » إذا خاف الهلاك ، ورخص له أن يتكلم بالكُفْر مع إضْمَار الإيمان إن [كان][1] يمكنه التورية ، فلم يكن رَدُّه إليهم إسْلاَماً لأَبِى جَنْدَل إلى الهلاك مع وُجودِ السَّبِيل إلى الخَلاَص من الموت بالتَّقِيَّة .

والوجه الثانى : أنَّه إنما ردّه إلى أبيه ، والغالب أنَّ أباه لا يبلغُ به الهلاك ، وإنْ عذَّبه أو سجنه فله مندُوحة بالتَّقية أيْضًا ، وأمَّا مَا يخاف عليه من الفتنة فإن ذلك امتحان من الله – تعالى – يَبْتَلِي بِه صَبْرَ عباده المؤمنين .

الحادى والثلاثون : اخْتَلَفَ العلماء رحمهم الله ، هل يجوز الصلح مع المشركين على أن يرد إليهم من جاءَ مُسْلِمًا من عِندِهِم إلى بلاد المسلمين أم لا ؟ فقيل : نعم ، على ما دلَّت عليه قصَّة أبى جَنْدَل وأبى بصير . وقيل : لا . وإن الذى وقع فى القِصَّة : منسوخ ، وإن ناسخه « أنا برىء[2] من مسلم بين المشركين » وهو قولُ الحنفية ، وعند الشَّافِعية ضابط جواز الرَّد أن يكون المسلم بحيث لا تجب عليه الهجرة من دار الحرب

الثانى والثلاثون : قال النَّوَوِىُّ – رحمه الله – وافق النبي – صلى الله عليه وسلم – فى رَدِّ مَنْ جَاءَ من المشركين فى تَرْك كتابته بسم الله الرحمن الرحيم / وكتب باسمك ١٨٠ و اللَّهم ، وفى تَرْكِ كتابة رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وفى رَدِّ مَنْ جاءَ منهم إلى المسلمين دُونَ مَنْ جَاءَ من المسلمين إليهم وإنما وافقهم فى هذه الأمور للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح مع أنه لا مفسدة فى هذه الأُمور ، أما البسملة وباسمك اللهم فمعناها واحد ، وكذلك قوله : « محمد بن عبد الله » هو أيضاً رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

---

(١) إضافة على مافى الأصول .

(٢) انظر عبارة شرح المواهب ٢ : ٢٠٤ حيث قال « وأن ناسخة حديث أبى داود والترمذى وصححه الضياء عن جرير مرفوعاً « أنابرىء من مسلم بين مشركين » واختصره المصنف ، ولفظه عند رواته المذكورين « أنا برىء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين لاترائى نارهما ، وهو قول الحنفية ولا شاهد فيه للنسخ لأنه فيمن تمكن من الفرار ولا عشيرة له تحميه أو قاله بعد رضاء المشركين برد من جاء مسلماً . الخ » .

وليس فى ترك وصف الله تعالى فى هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينْفى ذلك ولا فى ترْك وصفه – صلى الله عليه وسلم – هنا بالرسالة لا ينفيها ، ولا مفسدة فيما طلبوه . وإنما كانت المفسدة تكون لو طلبوا أن يكتبوا ما لا يَحلُّ من تعظيم آلِهَتِهم ونحو ذلك ، وإنما شَرْطُ رَدِّ من جاءنا منهم ومَنْع من ذهب إليهم فقد بيَّن النبى – صلى الله عليه وسلم – فى هذا الحديث الحكمة فيه بقوله : « منْ ذَهَبَ مِنَّا إليهم فأَبْعَدَهُ الله ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُم سَيَجْعَلُ اللهُ لَهُ فَرَجاً وَمَخْرَجاً » . ثم كان كما قال – صلى الله عليه وسلم – فجعل الله للذين جاءُونا منهم وردَّهم إليهم فَرَجاً ومخرجا . ثم كان كما قال – صلى الله عليه وسلم .

الثالث والثلاثون : فى إتيان عُمَرَ أبا بكر وإجابة أَبى بكر لعمر بمثل ما أجاب به رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – دلالة على أنه أكمل الصحابة وأعرفهم بأَحوال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأَعلمهم بأُمور الدّين وأَشدهم موافقة لأَمر الله – تعالى – وسبق فى باب إرادة الصِّديق الهجرة قبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وردِّ ابن الدغنة له ، وقوله لقريش ، إن مثله لا يخرج ، ووصفه بنظير مَا وَصَفَتْ به خديجةُ – رضى الله عنها – رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – من كونه يصلُ الرَّحمَ ويحملُ الكَلَّ ويُعينُ على نوائب الحق وغير ذلك . فلما كانت صفاتهما متشابهةً من الأبتداء ، اَستمر ذلك إلى الانتهاء ، ولم يذكر عمرُ أنه راجع أحداً بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – غَيْرَ أَبى بكر ، وذلك لجلالة قَدْرِه وسَعَةِ علْمه عِنْده .

الرابع والثلاثون : قول عُمَرَ – رضى الله عنه – فَعَملتُ لذلك أَعمالاً ، قال بعضُ الشراح – رحمهم الله : أَى من الذَّهاب والمجيء والسؤال والجواب . لم يكن ذلك شَكًّا من عمر ، بل طلباً من كشف ما خَفِى عليه ، وَحثًّا على إذْلَالِ الكُفَّار ، لما عُرف من قوَّته فى نُصْرة الدّين . انتهى .

قال الحافظ : وتفسير الأَعمال بما ذُكر مردود ، بل المراد الأَعمالُ الصالحةُ ليكفر عنه ما مضى من التَّوقُّف فى الأَمتثال ابتداءً . وقد ورد عن عُمَرَ التَّصريحُ بمراده بقوله : « أعمالا لأَتى » ، ورواية ابن إسحاق :فكان عمرُ يقولُ : ما زلت أَتصدقُ وأَصومُ

وأُصلّي وأعتق مِنَ الذى صنعتُ يَوْمَئِذ مخافة كلامى الذى تكلمتُ به . وعند الواقدى من حديث ابن عباس : قال عمر : لقد أعتقتُ بسبب ذلك رِقَاباً وصمتُ دهراً ، وأما قوله : ولم يكن شَكّ ، فإنْ أراد نفْىَ الشَّكّ فواضح ، وقد وقع فى رواية ابن إسحاق أنَّ أبا بكر لما قال له الزَمْ غَرْزَه فإنه رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – ، قال عمر : ١٨٠ ظ / أنا أشهد أنه رسول الله ، وإن أراد نفى الشك فى وجود المصلحة وعدمها فمَردودٌ ، وقد قال السُّهَيْلى – رحمه الله – هذا الشَّكُّ ما لايستمر صاحبه عليه ، وإنما هو من باب الوسوسة ، كذا قال الحافظ . والذى يظهر أنه تَوَقّف معه ليقفَ على الحكمة فى القصة ، وتنكشفَ عنه الشبهة ، ونظيره قصته فى الصلاة على عبد الله بن أُبىٍّ ، وإن كان فى الأَول لم يطابق اجتهاده الحكم ، بخلاف الثَّانية ، وهى هذه القصة ، وإنما عمل الأَعمال المذكورة لهذه ، وإلا فجميع ما صدر منه كان معذورًا فيه ، بل هو مأْجورٌ ، لأَنه مجتهد فيه .

الخامس والثلاثون : إنَّمَا توقَّفَ المسلمون فى النَّحْر والحلْق بعد الأَمر بهما ، لاحتمال أن يكون الأَمر بذلك للنَّدْب ، أو لرجاء نزول الوحى بإبطال الصلح المذكور ، وتخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام نسكهم ، ويسوغ لهم ذلك ، لأَنه كان زمان وقوع التشريع . ويحتمل أن يكونوا أبهتهم[١] صورة الحال فٱستغرقوا فى الفكر لما لحقهم من الذُّل عند أنفسهم مع ظهور قوّتهم واقتدارهم – فى ٱعتقادهم – على بلوغ غرضهم وقضاءِ نسكهم بالقهر والغلبة ، وأَخَّرُوا الامتثال لٱعتقادهم أن الأَمر المطلق لا يَقْضِى الفَوْر ، ويحتمل مجموع هذه الأُمور لمجموعهم كما سبق فى القصة من كلام أم سلمة – رضى الله عنها – فى قولها « لا تلمهم » إلخ .

السادس والثلاثون : فى كلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأُمّ سَلَمة فى توقف الناس عن امتثال أمره ، جوازُ مشاورة المرأة الفاضلة ، وفضل أم سلمة ووفور عقلها ، حتى قال إمامُ الحرمين : لا نعلمُ امرأةً أشارت برأى فأصابت إلا أم سلمة ، كذا قال : وقد استدرك بعضهم عليه بنت شعيب فى أمر موسى .

---

(١) كذا فى ت ، م . وفى ط « أبهتهم » والمعنى فاجأتهم فدهشتهم وحيرتهم .

السابع والثلاثون : لا يُعَدُّ ما وقع من أبي بصير من قَتْلِهِ الرَّجُلَ الذى جاءَ فى طلبه غدْراً لأنه لم يكن فى جملة من دخل فى المعاقدة التى بين النبى – صلى الله عليه وسلم – وبين قريش ، إلا أنه إذ ذَاكَ كان محبوساً بمكة ، لكنه لَمَّا خشى أنَّ المشركَ يُعِيده إلى المشركين دَرَأً عن نفسه بقتله ، ودافع عن دينه بذلك ، ولم يُنْكِر عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذلك .

الثامن والثلاثون : فى حديث الْمِسْوَر ، ومروان بعد ذكر قصة أبى بصير ، فأنزل الله – تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم[1] ﴾ الآية . قال الحافظ : ظاهره أنها نزلت فى شأن أبى بصير ، وفيه نظر ، والمشهور فى سبب نزولها ما رواه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع ، ومن حديث أنس بن مالك ، وأحمد ، والنسائى بِسَندٍ صحيح من حديث عبد الله بن مغفل أنها أُنْزِلَتْ بسبب القوم الذين أرادوا من قريش أن يأخذوا من المسلمين غِرَّة فظفر المسلمون بهم ، فَعَفَا عنهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقيل فى سبب نزولها غير ذلك .

التاسع والثلاثون : قال البلاذرى[2] – رحمه الله – قال العلماء : والمصلحةُ المترتبة على إتْمام هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائِده الظاهرة التى كانت عَاقِبَتُها فَتْحَ مَكَّة وإسلام/ أهلها كلهم ودخول النَّاس فى دين الله أفواجا ، وذلك أنهم قبل الصُّلح لم يكونوا يختلطون ، ولا يَتَظَاهر عندهم أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما هو ولا يخلون[3] بمن يُعْلِمُهم بها مفصلة ، فلما حصل صُلحُ الحديبية اختلطوا بالمسلمين وجاءوا إلى المدينة ، وذهب المسلمون إلى مكة وَخلوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يَسْتَنْصحونهم ، وسمعوا منهم أقوال النبى – صلى الله عليه وسلم – مفصلَّةً بجزئياتها ، ومعجزاته الظَّاهِرة ، وأعلام نبوته المتظاهرة ، وحسن سيرته ، وجميل طريقته ، وعاينوا بأنفسهم

١٨١ و

---

(١) الآية ٢٤ من سورة الفتح .

(٢) فى ت ، م « النووى » والمثبت عن ط . ويرجحه أنه لم يرد فى نهاية الأرب ١٧ : ٢٢٩ – ٢٤٤ مايطابق هذا القول .

(٣) يخلون : من خلابه إذا انفرد به .

كثيراً من ذلك ، فمالت نفوسهم إلى الإيمان حتَّى بدر خلْقٌ منهم إلى الإسلام قبل فتح مكة فأَسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة ، وأزداد الآخرون ميلاً إلى الإسلام ، فلما كان يومُ الفتح أَسلموا كُلُّهم لِمَا كَانَ تَمَهَّدَ لَهُم من الميل ، وكانت العربُ فى البوادى ينتظرون بإِسلامهم إسلام قريش[1] فلما أَسلمت قريش أَسلمت العرب فى البوادى .

الأربعون : فى بيان غريب ما سبق :

المعرفين : الواقفين بعرفة .

استنفروا : أستنجدوا وأستنصروا .

يَعْرِضُوا له بحرب – بفتح التحتية وكسر الرَّاء .

فأَبطأَ عليه : بفتح الهمزة أوله وآخره .

ذو الجَدْر : بفتح الجيم وسكون الدَّال المهملة : سرح على ستة أَميالٍ من المدينة ، بناحية فيها كانت فيه لقاح رسول الله – صلى الله عليه وسلم .

ذُو الحُلَيْفَة – بضمٍّ الحاءَ المهملة ، وفتح اللاَّم ، وسكون التحتية بعدها فاء[2]

صُحار – بصاد مضمومة فحاءَ مهملتين فأَلف : قرية باليمن .

قَلَّدَ بُدْنَهُ : علق فى عنقها قطعة من حبْلٍ ليُعْلَم أنه هدْى فيكفّ الناس عنها .

أَشْعَرها – بالشين المعجمة : وَخَزَ سنامها حتى يسيل الدم فيعلم أنه هدى[3] .

البَيْدَاء : الشَّرف الَّذى قُدَّام ذِى الحُلَيْفَة فى طريق مكة .

الأَبواء : بفتح الهمزة وسكون الموحدة وبالمد : قرية من عمل الفرْع .

---

(١) عبارة الزرقانى فى شرح المواهب ٢ : ٢٠٠ « وكانت العرب من غير قريش فى البوادى ينتظرون بإسلامهم إسلام قريش لمايعلمونه فيهم من القوة والرأى ، ولأنهم كانوا يقولون : قوم الرجل أعلم به » .

(٢) وهى قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة ، ومنها ميقات أهل المدينة .

(هامش نهاية الأرب ١٧ : ٢٤٦)

(٣) وقيل : هو أن يضرب صفحة السنام الىمنى بحديدة فيلطخها بدمها إشعاراً بأنها هدى ، شرح المواهب ٢ : ١٨١ .

القلائد : جمع قلادة .

جَثّامة : بفتح الجيم وتشديد الثّاء المثلثة .

إِيماء : بكسر أوله وسكون التحتية وبالمد .

رَخْضَة : براء مفتوحة فحاء مهملة تفتح وتسكن فضادٌ معجمة مفتوحة .

خُفاف - بخاء معجمة مضمومة وفاءين الأُولى مخففة .

العِتْر : بكسر العين المهملة وسكون الفوقية وبالراء : نبت ينبت مُتَفَرِّقًا فإذا قطع أصله خَرَجَ منه شيء شبه اللبن ، وهو المرزجوش[1] .

الضَّغَابيس- بضاد فغين معجمة فألف فموحدة : وهو صغار القثاء وقيل : هو نبت ينبت فى أصول الثمام يصلق بالخل والزيت ويؤكل . والثمَام : بالثاء المثلثة[2].

الهوام : جمع هامَّة بالتشديد ، يطلق على ما يدبُّ من الحيوان كالقمل ونحوه .

الجُحْفَة - بجيم مضمومة ، فحاء مهملة ، ففاء ، فتاء تأْنيث : تقدم الكلام عليها فى غزوة ....[3]

قُمَّ بالبناء للمفعول ؛ أى كُنِسَ .

الْفَرَط - بفتحتين ؛ المتقدم فى طلب الماء[4].

شَاهتْ وُجُوهُهُم : قَبحتْ

تُكَل - بضم الفوقية وفتح الكاف : أى يتكل بعضكم على بعض .

ارتجت مكة : اضطربت .

---

(١) المرزجوش : ويقال المرزنجوش والمردقوش فارسى معرب هو الزعفران وطيب تجعله المرأة فى مشطها يضرب إلى الحمرة والسواد . (القاموس المحيط - مردقوش) .

(٢) وانظر فى تمام التعريف لسان العرب « ضغبس » ٧ : ٤٢٦ .

(٣) بياض بمقدار كلمة . ولعلها « بدر » حيث ورد ذكر الجحفة فيها أكثر من مرة وانظر مغازى الواقدى ١ : ٤٢ .

(٤) وقال فى النهاية ٣ : ١٩٤ « إنى كائن لكم فرطا : أى أجرا » .

راعهم : أفزعهم .

عَنْوَة – بفتح العين المهملة ، وسكون النون ، وفتح الواو : أخذ الشئ قهراً وكذا

١٨١ ظ إذَا / أخذ صلحاً فهو من الأضداد ، والمراد هنا الأول .

عَيْنٌ تَطْرِف : تنظر وتتحرك .

كُرَاع – بكاف مضمومة فراء مخففة فألف فَعَيْن مهملة : وهو طرف الغَمِيم[1] بغين معجمة مفتوحة ؛ وهو واد بين رابغ والجُحْفَة ؛ وكُرَاع كل شيء طرفه .

الأَحابيش : بحاء مهملة ، فألف ، فموحدة مكسورة فتحتية فشين معجمة : واحدها أُحْبُوش بضمتين ؛ وهم : بَنُو الهُون بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة ، وبَنو الحرث وبنو عبد مناة ابن كنانة ، وبنو المصطلق من خزاعة[2] ، وتقدم الكلام على ذلك مبسوطاً فى غزوة ....[3]

أَجْلَبْتَ : استَحْثَثْتَ الناس لطلب العدو .

بَلْدَح – بموحدة مفتوحة ، فلام ساكنة ، فدال مفتوحة ، فحاء مهملتين : وهو وادٍ فى طريق التنعيم إلى مكة .

غَدِير : بغين معجمة مفتوحة ، فدال مهملة مكسورة .

الأَشْطَاط – بشين معجمة ، وطَاءَيْن مهملتين : جمع شَط وهو جانب الوادى ، ووقع فى بعض نسخ الصحيح لأبى ذر الهروى بإعجام الطاءين .

عُسْفَان – بعين مضمومة ، فسين ساكنة مهملتين ، ففاء : قرية بينها وبين مكة ثلاثة مراحل .

---

(١) فى شرح المواهب ٢ : ١٨٣ « وحكى عياض تصغيره ، وكذا وقع فى شعر جرير والشماخ » .

(٢) وجاء فى شرح المواهب ٢ : ١٨٢ « والأحابيش كانوا تحالفوا مع قريش ، قيل : تحت جبل يقال له الحبش أسفل مكة ، وقيل : سموا بذلك لتحبشهم أى تجمعهم ، والتحبش التجمع ، والحباشة الجماعة . وروى الفاكهى عن عبد العزيز ابن أبى ثابت أن ابتداء حلفهم مع قريش كان على يد قصى بن كلاب » .

(٣) بياض فى الأصول بمقدار كلمة ، ولعلها « الخندق » فإنه كان من بين الأحزاب « أحابيشهم ومن تبعهم » . وانظر مغازى الواقدى ٢ : ٤٤٢ .

الْعُوذُ – بعين مهملة مضمومة فواو ساكنة ، فذال معجمة : جمع عائذ : وهى الناقة ذات اللَّبن .

المطافيل : الأمهات اللَّاتى معهن أطفالهن ، يريد أنهم خرجوا بذوات الألبان ليتزوَّدوا ألبانها ، ولا يرجعوا حتى يمنعوه ، أو كنَّى بذلك عن النساء معهن الأطفال ، والمراد خرجوا معهم نساؤهم وأولادهم لإرادة طول المقام ، وليكون أدعى إلى عدم الفرار .

قال ابن فارس – رحمه الله – : كل أنثى وضعت فهى إلى سبعة أيام عائِذ ، والجمع عُوذ ، كأنها سميت بذلك لأنها تعوذ ولدها وتلتزم ......[1] الشغل به ، وقال السُّهيلى : سُميت بذلك وإن كان الولد هو الذى يعوذ بها لأنها تعطف عليه بالشفقة والحُنُوّ ، كما قالوا تجارة رابحة وإن كانت مَرْبوحًا فيها .

لبسوا جُلُود النمور : كناية على شِدَّة الحِقْد والغضب ، تشبيهاً بأخلاق النمور ، وقيل : هو مثل يُكْنَى به عن إظهار العداوة والتنكير ، ويقال للرجل الذى يظهر العداوة لبس لى جلد نمر .

ذى طوى – بتثليث الطاء المهملة والفتح : أشهرُ وادٍ بمكة .

ويح : كلمةٌ تقال لمن وقع فى هلكة لا يستحقها .

وافرين : كاملين .

تَنْفَرِدُ هذه السَّالِفَة – بسينٍ مهملة ، ولامٍ مكسورةٍ بعدها فاء : صفحة العنق ، كنىٌّ بذلك عن القتيل ؛ لأن القتيل تنفرد مقدمة عنقه . وقال الداودى الشارح : المراد الموت ، أى حتَّى أموت ويُحتمل أن يكون أراد أنه يُقاتل حتى ينفرد وحده فى مُقاتلتهم[2] .

---

(١) بياض فى الأصول بمقدار كلمتين . ولكن الكلام متصل . ويؤيده ماجاء فى شرح المواهب ٢ : ١٨٧ .
(٢) وبقية كلام الداودى « وأبقى منفرداً فى قبرى » شرح المواهب ٢ : ١٨٨ .

وقال ابن المنير –رحمه الله – لَعَلَّه[1] – صلى الله عليه وسلم نَبَّه بالأَدنى على الأعلى ؛ أَىْ أن لى من القوة بالله – تعالى – والْحَوْل به ما يقتضى أَنى أُقاتل عن دينه ، او انفردت ، فكيف لا أُقاتل عن دينه مع وُجُودِ المسلمين وكثرتهم ؟ .

* * *

شرح غريب ذكر مشاورته – صلى الله عليه وسلم

١٨٢ و مَوْتُورين – بالفَوْقية : اسم مفعول ، جمع موتور ، وهو الذى قُتِل له / قتيل فلم يُدْرِك بدمه .

مَحْرُوبِين – بحاء مهملة ، فراء [فواو][2] فموحدة : مسلوبين مَنْهُوبين ، يُقَالُ حَرَبه إذا أَخذ ماله وتركه بلا شئ

نؤمُّ – بنون فَهَمْزة : نقصد .

تكن عُنُقًا – بضم العين المهملة والنون ، وفى لفظ « عينًا قطعها الله ». قال فى المطالع : وكلاهما صحيح ، والعنق أَوْجَه لِذِكْر القطع معه ، أى أهلك الله – تعالى – جماعة منهم . والعُنُق : الشئ الكثير ، ولقوله : « عينا » وجه أيضاً ؛ أى كفَى الله – تعالى – منهم مَنْ كان يرصدنا ويتجسس على أخبارنا . والعَيْنُ : الجاسوس ، وتبعه على ذلك فى التَّقْريب – وما ذكرناه هو الوجه ، بخلاف ما قدّره[3] الكرمانى وتبعه شيخنا أَبو الفضل ابن الخطيب الْقَسْطَلاَّنى – رحمهما الله – وقد ذكر فى القصة أَن العين الذى أَرسله رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – كان مُسْلِمًا وهو بُسْر – بضم الموحدة وسكون المهملة – ابن سُفْيان الخزاعى .

الغِرّة – بكسر الغين المعجمة : الغفلة .

حانت الصلاة : دخل وقتها .

---

(١) كذا فى ط وشرح المواهب ٢ : ١٨٨ . وفى ت ، م « لعلمه » .

(٢) إضافة على الأصول .

(٣) كذا فى « ط » وفى ت ، م « قرره »

الْعَصَل – بفتح العين والصاد المهملتين : جمع عَصْلَة ؛ وهى شجرة إذا أَكَلَ منها البعير سلحته[1] .

ظَهْرَى[2] كذا : بينه ووسطه .

الحَمْض – بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وبالضاد المعجمة : ما ملح وأمرَّ من النبات كالأَثل والطرفاء ، وذكر فى الإملاء أنه هنا اسم موضع ، فالله أعلم .

الطليعة : القوم يُبْعثون أمام الجيش يتعرفون طلع العدو ، وبالكسر ، أى خبره ، والجمع طلائع .

أَجْرَل – بفتح الهمزة وسُكون الجيم وفتح الراء وآخره لام : أى كثير الحجارة . والجَرَل : – بفتح الجيم والراء : الحجارة . ويُروى بدال مهملة عِوَضاً عن اللام ؛ أى ليس به نبات .

الشِّعَاب – بكسر الشين المعجمة : جمع شِعْب بكسرها أيضاً : ما انفرج بين جبلين . تنكبه الحجارة : تصيبه .

حَار – بِحَاء مهملة : لم يدر وجه الصَّواب .

ثنيّة ذات الحنظل : ثنية فى شعبٍ ما بين مكة وجدة .

سراوع : جمع سَرْوَعة – بفتح السين المهملة ، وسكون الراء ، وفتح العين المهملة – وهى الرابية من الرمل كذا فى النهاية . وفى مصنف ابن أَبى شيبة عن هشام بن عُروة عن أَبيه فأخذ بهم بين سَرْوَعَتَيْن ؛ أى بين شجرتين ، هذا لفظه ، فالله أَعلم .

---

(١) وفى لسان العرب « عصل » ١٣ : ٤٧٦ ، وقيل هو شجر يشبه الدخل تأكله الإبل وتشرب عليه الماء كل يوم . وقيل هو حمض ينبت على المياه ، والجمع عصل . . . والعصل الرمل الملتوى المعوج » .

(٢) ماورد فى سياق القصة هو « ظهور الحمض » أما « ظهرى » فهى نص رواية وردت فى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣١٤ .

قِبَلَ المغرب : بكسر القاف : ناحيته .

ما شعر : ما علم .

قَتَرةُ الجيش : بفتح القاف والفوقية : الغبار الأَسود الذى تثيره حوافر الدَّواب .

وَعِرٌ – بكسر العين : أى غليظ حزن يصعب الصعود إليه .

الشِّراك للنعل : سيرها الذى على ظهر القدم .

الْفِجَاج : – بِكسر الفاء : جمع فَجّ : الطريق الواضح الواسع .

لاَحِبَة – بالحاء المهملة والموحدة واضحة[1].

ثنية المُرَار : بضم الميم على المشهور ، وبعضهم يكسرها ، وتخفيف الراء : طريق فى الجبل يُشرف على الحديبية ، وليست الثنيّة التى أسفل مكة .

قولوا حِطَّة – بكسر الحاء وفتح الطاء المشددة المهملتين ؛ أى حُطَّ عَنَّا ذُنوبنا ، ويُرْوَى / بإعجام الحاء وضمها ؛ أى الخصلة والفضيلة . ١٨٢ ظ

سِيف البحر – بكسر السين : ساحله .

استبرأ العسكر : تأَمَّلَه وفَتَّشَه .

* * *

شرح غريب ذكر نزول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالحديبية

الغائط : هنا المطمئن الواسع من الأَرض ، والجمع غيطان وأَغواط وغوط .

حَلْ حَلْ – بفتح الحاء المهملة وسكون اللام : كلمة تقال للناقة إذا تركت السَّير . قال الخطَّابى – رحمه الله – إن قلت « حل » واحدة فبالسكُون وإن أَعدتها نَوَّنْتَ الأُولى وسَكَّنْتَ الثانية . وحكى غيره السكون فيهما والتنوين كنظيره فى نخ نخ ، يقال : حلحلت فلاناً إذا أزعجته عن موضعه .

أَلَحَّت – بتشديد الحاء المهملة : تمادت على عدم القيام ، وهو من الإلحاح ، وهو الإصرار على الشىء .

---

(١) لاحبة : ورد فى سياق الخبر ص ٦٤ « لاحبة » وشرحت فى النهاية فى غريب الحديث ٤ : ٥٠ .

خلأت : الخلأ – بخاءٍ معجمة والمد ؛ للإبل كالحِرَان للخيل . قال ابن قتيبة : لا يكون الخلأ إلاَّ للنُّوق خاصة . وقال ابن فارس : لا يُقالُ للجمل خَلَأَ ولكن أَلحَّ .

القَصْوَاءُ : بقاف مفتوحة فصاد مهملة وبالمد ، وبعض رواة الصحيح كحُبْلَى[1] – وغلط .

بخُلُق – بضم الخاء المعجمة ، واللام والقاف : أى بعادة .

خُطَّة : بضم الخاء المعجمة : أى خصلة يعظمون فيها حرمات الله تعالى . ومعنى قوله يعظم حرمات الله تعالى فى هذه القصة تَرْكُ القتال فى الْحَرَم والجنوح إلى المُسَالمة والكف عن إراقة الدماء .

أعطيتهم إياها : أجبتهم إليها .

وَثَبَت – بالمثلثة : قَامَتْ .

عَوْدُهُ على بَدْئِه : أى لم يقطع ذهابه حتى وصله برجوعه .

الثَّمَد – بثاءٍ مثلثة فميم مفتوحتين فدال مهملة : حفيرة فيها ماء قليل ، يُقَال ماءُ مثمود قليل الماء .

الظَّنُون : الذى تَتَوَهَّمُه ، ولستَ منه على ثقة فَعِيل بمعنى مَفْعُول . وقيل : هو البئر التى يظن [أن][2] فيها ماء .وقوله قليل الماء تأكيد لرفع توهم أن يُراد لغةُ من يقول : إن الثمد : الماء الكثير . وقيل : الثمد ما يظهر فى الشتاء ، ويذهب فى الصيف .

يَتَبَرَّضُهُ النّاس – بالموحدة المشددة والضاد المعجمة : يأخذونه قليلا قليلا . والْبَرْضُ – بالفتح والسكون : اليسير من العطاء . وقال صاحب العين : هو جمع الماء بالكفَّين .

---

(١) وفى شرح المواهب ٢ : ١٨٤ « القصو قطع طرف الأذن ، يقال بعير أقصى وناقة قصواء . وزعم الداودى أنها كانت لاتسبق فقيل لها القصواء ، لأنها بلغت من السبق أقصاه » .

(٢) إضافة على الأصول .

لم يُلْبثْه الناس – بتحتية مضْمُومَة فلام ساكنة فمثلثة : من الإلباث . وقال ابن التين : بفتح اللام وكسر الموحدة المثقلة ؛ أى لم يتركوه أن يُقيم .

نَزَحوه – بنون فزاى فحاء مهملة ، وفى لفظٍ نزفوه بالفاء بدل الحاء : ومعناهما واحد ، وهو أخذ الماء شيئاً بعد شئ

صدَرُوا : رجعوا .

بعطن : أى رَووْا ورَويت إبلهم حتى بركت ؛ وعَطَن الإبل : مباركها حَوْلَ الماء لتعاد للشرب ، وقد يكون عند غير الماء .

القَلِيب – بفتح القاف وكسر اللام – عند العرب : البئر العادية القديمة مطوية كانت أو غير مطوية .

شفير الْبِئْرِ : حَرْفُها .

تَجيش – بفتح الفوقية وكسر الجيم وآخره شين معجمة : تفور .

الرِّى : بكسر الراء وفتحها .

الْمَائِح – بالتحتية ، والحاء المهملة : الذى انحدر فى الركية يملأ الدلو وذلك حين يقلّ ماؤها ، ولا يمكن أن يستسقى منها إلا بالاغتراف باليد .

١٨٣ و ومن كلامهم المائح / أعرف باست الماتح : وهو الذى يستسقى بالدَّلو ، فالنقط من أسفل لمن يكون أسفل ومن فوق لمن يكون فوق .

يُمجِّدُونكَ : يشرفونك ، والتمجيد : التشريف .

الرَّشاش[1] – براء مفتوحة فشينين معجمتين .

---

(١) الرشاش : يقال طعنة رشاش أى واسعة يتفرق منها الدم (القاموس المحيط) .

واهية : مسترخية واسعة الشق .

العادية : القوم الذين يعْدون ويسرعون الجرى .

طَمت : بفتح الطاء المهملة : ارتفع ماؤها .

نهلوا : رووا .

الركائِب : المطى ، الواحدة راحلة من غير لفظها[1] .

آن الشىء – بالمد : قرب .

الرَّكْوَة – بفتح الراء : إناء صغير من جلدٍ يُشرب فيه الماء ، والجمع رِكَاء وَرَكَوَات بالتحريك .

* * *

شرح غريب نزول المطر فى تلك الأيام

النَّوْء : سقوط نجم من المنازل فى الغرب مع الفجر . وطلوع رقيبه من الشرق . كانوا يعتقدون أنه لابد عند ذلك من مطر ، أو ريح ، فمنهم من يجعله للطالع لأنه ناء ، ومنهم من ينسبه للغارب ، فنفى النبي – صلى الله عليه وسلم – ذلك عنه ، وكَفَّر مَنْ اعتقد أن النجم فاعل ذلك ، ومن جعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة . قال فى النهاية : فَمَنْ أسند ذلك إلى العادة التى يجوز انخرامها فقد كَرَّهَه قومٌ وجوَّزه آخرون .

الْخَرِيف – بالخاء المعجمة : الفصل الذى تخترف فيه الثمار ، أى تقطع .

الشِّعْرى – بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة : كوكب معروف ليس فى السماء كوكب يقطعها عرضاً غيره .

الْجزُور : بفتح الجيم من الإبل خاصَّة ، يقع على الذكر والأُنثى ؛ والجمع جُزُرٌ

---

(١) وفى المنجد « الركائب جمع ركوبه وهى ما يركب » .

شرح غريب ذكر قدوم بديل بن ورقاء ورسل قريش

بديْل : بضم الموحدة وفتح المهملة والتصغير .

ورقاء : بفتح الواو وبالقاف .

خُزَاعَة : بضم الخاء المعجمة وبالزاى .

عَيْبَة – بفتح العين المهملة وسكون التحتية بعدها موحده : ما يوضع فيه الثياب لحفظها ؛ أى أنهم موضع النصح له والأمانة على سِرِّه ، كأنه شبه الصَّدْر الذى هو مستودع السِّر بالعيبة التى هى مستودع الثياب .

نُصْح – بضم النون ، وحكى ابن التين فتحها .

تِهَامَة – بكسر الفوقية : وهى مكة وما حولها ، وأصلها من التهم ؛ وهو شدة الحرّ وركود الرِّيح .

الأَعْدَاد – بالفتح جمع عِدّ بالكسر والتشديد وهو الماء الذى لا انقطاع له .

تَبِيد : تهلك [خضراؤهم][1] بخاء فضاد معجمتين : [معظم قريش أوجماعتهم][2] .

نَهِكَتْهم الحرب – بفتح النون وكسر الهاء : أى بلغت بهم حتى أضعفتهم ، إما أضعفت قواهم ، وإما أضعفت أموالهم .

مادَدْتُهم جعلت بَيْنى وَبَيْنَهُم مدَّةً بترك الحرب بينى وبينهم . قوله : فإن ظهر أمرى ، وقوله فإن شاءوا شرط بعد شرط ، والتقدير : فإن ظهر غيرهم من الكفار عَلَىَّ كفاهم المؤونة ، وإن أَظْهَر أنا عَلَى غيرهم فإن شاءوا أطاعونى وإلاَّ فقد[3] جَمُّوا – بفتح الجيم وتشديد الميم المضمومة ؛ أى قَوُوا واستراحوا .

---

(١) سقط فى الأصول ، والإثبات عن سياق الغزوة – وعن مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٣ .

(٢) بياض فى الأصول – والمثبت يستقيم به السياق .

(٣) كذا فى ط . ومغازى الواقدى ٢ : ٥٩٣ – وفى ت ، م « وإلا فلا جموا » .

لَيُنْفِذَنَّ – بضم التحتية وسكون النون وكسر الفاء وبالذال المعجمة : فعل مضارع مؤكد بالنون /. استنفرت أهل عكاظ : دعوتهم إلى نصركم ، وعُكَاظ بعين مهملة ١٨٣ ظ مضمومة فكاف مخففة فألف فظاء معجمة مُشَالة : سوق بقرب عرفات .

بَلَّحُوا : بموحدة فلام مشددة مفتوحتين فمهملة مضمومة : امتنعوا من الإجابة ، وانبلح : امتنع من الإجابة .

أسيتكم – بهمزة مفتوحة : يقال أَسيه[1] بمالى مؤاساة ؛ أى جعلته أسوتى فيه .

تجتاحهم – بجيم وحاء مهملة : تهلكهم بالكلية .

أوباش : بتقديم الواو : الأَخلاط من السِّفلة ؛ وهم أَخصّ من قوله فى رواية أشواب بتقديم الشين المعجمة على الواو ، وهم الأَخلاط مِنْ أنواع شتى .

خليقًا – بالخاء المعجمة والقاف : حقيقاً وَزْناً ومعنىً ، ويُقَالُ خليقٌ للواحد والجمع[2] .
يَدَعُوك : يتركوك .

اْمصص – بألف وصل ومهملتين ، الأُولى مفتوحة ، زاد فى التقريب ويجوز ضمها : فعل أمر .

البَظْر – بفتح الموحدة وسكون الظَّاء المعجمة المُشَالَة : قِطْعة تبقى بعد الخِتان فى فرج المرأة .

واللات : اسم أحد الأَصنام التى كانت قريشٌ وثَقِيفٌ يعبدونها ، وكانت عادة العرب الشتم بذلك ، لكن بلفظ الأمر ، فأراد أبو بكر المبالغة فى سَبِّ عُرْوَة بإقامة مَنْ[3] كان يَعْبُدُ مَقَامَ أُمِّه ، وحَمَلَه على ذلك ما أغضبه من نِسْبة المسلمين إلى الفرار ،

---

(١) وفى اللسان ١٨ : ٣٨ « الجوهرى : آسيته بمالى مواساة جعلته أسوتى فيه » والمثبت مافى الأصول ، ولعله تحريف
(٢) ولذا وقع وصفا لأشواب (شرح المواهب ٢ : ١٩٠) .
(٣) كذا فى الأصول . وحقها أن تكون « ما » لغير العاقل زيادة فى سب عروة .

وفيه جوازُ النطق بما يستشنع من الألفاظ لإرادة زجر مَنْ بَدَا منه ما يَستحِقّ به[1] ذلك .

أَمَا – بفتح الهمزة وتخفيف الميم : حرف استفتاح .

المِغْفَر : بكسر الميم ، وسكون الغين المعجمة .

ألْفَظّ – بالفاء وتشديد الظاء المعجمة المشالة : الشديد الخُلُق بضمتين .

الغليظ : السّيء القَوْل .

اليد : النعمة والإحسان .

لم أُجزك بها : لم أُكافئك بها .

طَفِق – بفتح الطاء ، وكسر الفاء : جعل .

أهوى بيده : مَدّها[2] .

نعل السيف : ما يكون أسفل القراب من فضة أو غيرها .

غُدَر – بغين معجمة – وزن عمر ، ومعدول عن غادر : مبالغة فى وصفه بالغدر ؛ وهو تركُ الوفاء .

يَرْمُق – بضم الميم : يلحظ .

يُحِدُّون بضم أوله وكسر المهملة : يدعون .

وَضُوءه – هنا بالفتح[3] : الماء

---

(١) فى شرح المواهب ٢ : ١٩٠ « قال ابن المنير : فى قول أبى بكر تخسيس للعدو ولديهم وتعريض بإلزامهم من قولهم اللات بنت الله – تعالى الله عن ذلك – بأنها لو كانت بنتاً كان لها مايكون للإناث » .

(٢) زاد شرح المواهب ٢ : ١٩١ « أو قصد أو أشار أو أومأ » .

(٣) فى المرجع السابق ٢ : ١٩٢ « فضلة الماء الذى توضأ به » .

كسرى : بكسر الكاف وبفتحها .

يتَـأَلَّهُون : يعظِّمُون أمر الإله ، وقيل التـأله : التعبُّد .

ٱبْعَثُوها له : أثيروها دفعة واحدة .

عُرْضِ الْوَادِى – بضمٍّ العين المهملة وسكون الرّاء ، وبالضَّادِ المعجمة : جانبه وناحيته ، وقيل : عُرْضُ كلّ شيء : وسطُه ، وليس المرادُ ضّد الطول ؛ ذاكَ بفتح العين .

تَفِلوا – بالمثنّاة الفوقيّة وكسر الفاء : تغيّرت رائحتهم .

الشَّعَث – بالشين المعجمة ، والعين المهملة المفتوحتين وبالثاء المثلثّة : الانتشار والتفرّق للشعر .

لَخْم : بفتح اللاَّم ِ وسكون الخاء المعجمة .

وجُذَام : بجيم مضمومة ، فذال معجمة .

كندة : بكسر الكاف

حِمْيَر – بكسر الحاء المهملة وسكون الميم وفتح التحتية وبالراء : أسماء قبائل .

أَجل – كنَعَم وَزْنًا ومعنىً .

معكوف : محبوس .

* * *

شرح غريب ذكر إرساله – صلى الله عليه وسلم – خراش بن امية ، وبعده عثمان ، ومبايعته – صلى الله عليه وسلم – بيعة الرضوان ، وذكر الهدنة ، وكيف جرى الصلح

الثَّعْلَبُ – بلفظ / اسم الحيوان المعروف. ١٨٤ و

عَقَرَ الدابّة : ضرب قوائمها .

وَشِيكًا – بالشِّين المعجمة والتَّحتيَّة : قريباً .

كافّة : جميعاً .

الأَماثِلُ : الخِيار من قومهم .

وافِرُون : كثيرون .

جامُونَ ـ بتشديد الميم : مُسْتَرِيحُون كثيرون .

الْمُناجَزَةُ فى الحرب : المبادرةُ والمقاتلة .

مازن ـ بكسر الزّاى : أبو قبيلة .

البَيْعَة البَيْعَة : بنصبها على الإغراء .

روح القُدُس : جبريل ـ صلّى الله عليه وسلم ـ وتقدم الكلام على ذلك فى ترجمته فى أبواب المعراج .

ثُرْنَا ـ بالمثلثة : نهضنا .

سمُرة ـ بفتح المهملة وضمّ الميم : من شجر الطَّلْح ، وهو نوع من العِضَاه .

الحَجَفَة ـ بحاء فجيم ففاء مفتوحات : التُّرس الصغير يطارق بين جلدين[1] .

الدَّرَقة : الحَجَفَة .

عَزِلاً ـ بكسر الزّاى مع فتح العين ، وبضمهما : أى لا سلاحَ معه يقاتل به فيعتزل الحرب .

أَبْغِنى : أَعْطِنِى .

* * *

محْدِقُون به : مُحيطون ناظرون إليه بأَحداقهم .

الجَدّ بن قيس ـ بفتح الجيم وتشديد الدّال المهملة .

ضبأَ إليها ـ بفتح الضاد المعجمة والموحدة مهموز: اختبأَ بها

---

(١) وفى اللسان ١٠ : ٣٨٣ « الحجفة ضرب من الترسة واحدتها حجفة ، وقيل هى من الجلود خاصة وقيل هى من جلود الإبل مقورة ، وقال ابن سيده : هى من جلود الإبل يطارق بعضها ببعض . ويقال الترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب حجفة ودرقة » .

اضْطَنِعُوا – بصادٍ ساكنة فطاء مفتوحة مهملتين ، فنون مكسورة ، فعين مهملة : اتَّخِذُوا صَنيعاً ؛ يعنى اتخذوا طَعَاماً تُنفقونَه فى سبيل الله .

لن يدرِكَ قومٌ بعدكم صَاعَكم ولا مُدَّكم ؛ الصَّاع : أربعة أمداد ، والمد : ربع صاع وهو رطل وثلث بالعراق عند الشَّافعي وأهل الحجاز ، ورطلان عند أبي حنيفة وأهل العراق ؛ أى ما يبلغ ثواب صاع أحدكم ولا مُدّه فى الثواب إذا تصدَّق به .

تشميرهم إلى الحرب : إسراعهم إليه .

القضية :........[1]

الهُدنة – بضم أوّله وسكون ثانيه وبضمه أيضاً : الصلح والموادعة بين المتحاربين .

مقنّعان فى الحديد – بتشديد النون : عليهما بيضُه .

العَنْوَة – بفتح العين المهملة وسكون النون : أخذ الشئ قهراً .

عَيْبَة مكفوفة – بفتح العين المهملة وسكون التحتية : أى أمر مطوىّ فى صدورٍ سليمة ، وهو إشارة إلى ترك المؤاخذة بما تقدم بينهم من أسباب الحرب وغيرها ، والمحافظة على العهد الذى وقع بينهم .

لا إغلال – بغين معجمة : لا خيانة ، تقول أغل الرّجلُ إذا خان ، وأما فى الغنيمة فيقال غلّ بغير ألف .

ولا إسلال : لا سَرِقَة ، من السلّة وهى السرقة ، والمراد أن يأمن بعضُهم من بعض فى نفوسهم وأموالهم سِرًّا وجهراً ، وقيل : الإسلال من سلّ السّيوف ، والإغلال من لبس الدرع . ووهاه أبو عبيد .

إمَّعَضُوا – بميم مشددة فعين مهملة فضاد معجمة ، ولبعض رُواةِ الصحيح امْتَعَضُوا – بإظهار الفوقية : أى شقّ عليهم[2] .

---

(١) بياض فى الأصول بمقدار كلمتين ، ولعل المراد الصلح أو الموادعة .

(٢) وفى شرح المواهب ٢ : ٢٠٠ «أى غضبوا من هذا الشرط وأنفوا منه» .

الدَّنِيَّة – بدال مهملة مفتوحة فنون مكسورة فتحتية مشددة : الخصلة المذمومة ، والأصل فيه الهمز وقد يخفف .

أَوَلَسْنا – بفتح الواو ، والاستفهام للإنكار[1] ، وكذا ما بعده .

الغَرْز – بفتح الغين المعجمة فراء ساكنة فزاى : ركاب كورالبعير إذا كان من جِلد أو خشب .

يتلكأ : يبطئ .

هَاتِ : فعل أمر من باب رَامَى يُرَامِى .

مُضْطَهَد : بميم مضمومة فضاد معجمة ساكنة فطاء مهملة .

لا تَحدَّث العربُ – بفتح الفوقية ، وتشديد الدَّال المهملة المفتوحة حذف منه

١٨٤ ظ إحدى التائين /. ضُغْطة – بضم الضاد ، وسكون الغين المعجمتين ، فطاء مهملة : مقهور .

التَّنْعِيمُ – على لفظ المصدر ، من نعمته تنعيما : مكان على ثلاثة أميالٍ من مكة من جهة المدينة .

الغِرَّة – بالكسر : الغفلة .

زُنَيم : بضم الزّاى وفتح النون .

اخترط السيفَ : أستلَّه .

العَبَلات – بفتح المهملة والموحدة : وهم من قريش أمية الصغرى ، نسبوا إلى أمهم عبلة بنت عُبَيْد .

---

(١) وفى المرجع السابق ٢ : ٢٠٥ « قال العلماء : لم يكن سؤال عمر رضى الله عنه وكلامه شكا فى الدين – حاشاه من ذلك – طلباً لكشف ماخفى عليه من المصلحة وعدمها فى هذا الصلح وحثا على إذلال الكفار وظهور الإسلام كما عرف فى خلقه وقوته فى نصر الدين وإذلال المبطلين – ففيه جواز البحث فى العلم حتى يظهر المعنى » .

بَدْء الفجور[١] - بفتح الموحدة ، وسكون الدَّال المهملة وبالهمز : ابتداؤه وأوله وثُنياه - بضم الثاء المثلثة وسكون النون فتحتية ، أى عودة ثانية ، وفى رواية ثناه بكسر المثلثة وإسقاط التحتية .

أبو جَنْدَل - بالجيم : وزن جعفر .

يَرسُف فى قيوده - بفتح التحتية وضم السِّين المهملة وبالفاء : يمشى مشياً بطيئاً بسبب القيد .

لم نقض[٢] الْكِتَابَ بَعْد : لم نفرغ من كتابته .

أَجزه لى - بالجيم والزّاى : امض لى فعلى ولا أردّه عليك أو استثنه من القضية ، ووقع فى الجمع للحميدى بالراء[٣] ، ورجّح أبو الفرج الزّاى .

ضَنَّ بأَبيه - بالضَّاد المعجمة ، والنُّون المشددة : بخل ، أى لم يسمح بقتله .

ٱلْتَأَم - بهمزة مفتوحه : انسد .

يَمَّم هدْيه : قصده .

شرد جمل : نَدَّ ونَفَر .

النَّجيب : الفاضل من كل حيوان .

المَهْرِىّ - بفتح الميم وسكون الهاء : نسبة إلى بنى مَهْرَة كتَمْرة : قبيلة مِنْ قضاعَة سمّوا باسم أَبيهم مَهْرة بن حيدان ، وبلد بعمان ، والإبل المَهْرِيّة تُنْسَب إلى أَحدهما .

البُرَة - بضم الموحدة وتخفيف الراء المخففة : حلقة تجعل فى أَنف البَعير ليذل ،

---

(١) بدء الفجور : لم يرد ذلك فى متن الغزوة - وإنما وردت فى رواية مسلم عن سلمة (قال) « جاء عمى برجل يقال له مكرز فى ناس من المشركين فقال صلى الله عليه وسلم : دعوهم يكون لهم بدء الفجور وثنياه فعفاعنهم » .

(٢) الضبط من شرح المواهب ٢ : ٢٠١ حيث ضبط الكلمة بالحروف « وفيه » ولأبى ذر عن المستملى والحموى لم نفض بالفاء وتشديد المعجمة .

(٣) وهى موافقة لرواية السيرة الحلبية ٣ : ٢٥ .

وأكثر ما تكون من صُفْر ، فإن كانت من شَعر فهى خزامه ، وإن كانت من خشب فهى خشاش ، بخاء وشينين معجمات .

مضطرباً فى الحل : أى كانت قُبّتَه مضروبة فى الحل ، وكانت صلاته فى الحرم لقرب الحُدَيْبيَةِ من الحرم .

اضْطَبَع بثوبه : أدخله تحت إبطه اليمنى وألقاه على عاتقه الأيسر .

* * *

شرح غريب ذكر رجوعه — صلى الله عليه وسلم — ونزول سورة الفتح

مَرّ – بفتح الميم وتشديد الرّاء ، مضاف إلى الظّهران ، بالظّاء المعجمة المُشَالَة المفتوحة ، وبين مَرّ والبيت[1] الشريف ستة عشر ميلاً .

أَرْمَلُوا من الزّاد – بالرّاء : نَفَذَ زادهم .

النطع : المتخذ من الأديم معروف ، وفيه أربع لغات . فتح النون وكسرها ومع كل واحد فتح الطاء وسكونها .

ربضة عَنْز : قدرها رابضة ؛ أى باركة .

النّواجذ – بالنون والجيم المكسورة وبالذال المعجمة : جمع ناجذ ، وهو السّنّ بين الضّرس والناب ، وأواخر الأضراس . والمراد هنا الأنياب .

الجهد : المشقة .

يدْفعوكم بالرّاح – بالحاء المهملة والراء : جمع راحة وهى الْكفّ .

لا يَلوُون على أَحَدٍ : لا يَلْتَفِتُونَ إليه ، ولا يَعْطِفُون عليه .

ثكلته أمه : كلمة تقولها العرب للإنكار ، ولا يريدون حقيقتها .

نزّرت – بنون فزاى مشدّدة فراء : ألححت .

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادةتقتضيها السياق .

نشب ـ بنون فشين معجمة فموحدة : لبث .

يوجفون الأَباعر : يَحِثُّونها على الإسراع فى السير .

هنيئاً : طيبا .

مَريًّا : سائغاً .

عَرَّسْنَا ـ بعين فراء مشددة فسين / مهملات فنون : نَزَلْنَا ليلا ، أو آخر الليل . ١٨٥ و

* * *

شرح غريب ذكر قدوم أبى بصير ـ رضى الله عنه ـ على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم

أَبو بَصِير ـ بفتح الموحدة وكسر المهملة وسكون التحتية فراء .

البَكْرُ مِنَ الإِبل ـ بالفتح : وهو الفتى من الدّواب خلاف المُسِنّ ، كالشاب من الناس .

حتى بَرَدَ ـ بموحدة فراء مفتوحتين فدال مهملة : خمدت حواسُّهُ ، وهى كناية على الموت ؛ لأَن الميِّتَ تسكن حركته . وأَصل البرد السكون .

الإِسَار : وزن كتاب : القيد بفتح[1] القاف .

جَمَزَ ـ بالجيم والزاى ـ أَسرع .

الذُّعْر ـ بضم الذال المعجمة وسكون المهملة : الخوف .

وَيْلُ أمِّه ـ بضم اللاّم ووصل الهمزة وكسر الميم المشددة : وهى كلمة ذمّ تقولها العرب فى المدح ولا يقصدون معنى ما فيها من الذّمّ ؛ لأَنَّ الوَيْلَ الهلاكُ ، فهو كقولهم : لأُمِّهِ الوَيْلُ .قال الفرّاء : أَصل وَيْل وَىْ لفلان ، أَى حُزْنٌ له : فكثر الاستعمال ، فأَلحقوا بها اللاّم ، فصارت كأَنها منها ، وأَعربوها ، وتبعه ابنُ مالك ، إلاّ أَنه قال تبعاً للخليل

---

(١) فى الأصول بكسر القاف . والصواب ما أثبته لأن بكسر القاف إنما هو بمعنى المقدار والمسافة . والمراد هنا الحبل أو الرباط الذى تشد به أيدى أو أرجل المقيدين .

إن وى كلمة تعجب ، وهى من أسماء الأَفعال ، واللام بعدها مَكسُورة ، ويجوز ضمّها إتباعاً للهمزة ، وحُذفت الهمزة تخفيفاً .

مِسْعَرَ حربٍ – بكسرِ الميم ، وسُكُون السِّين ، وفتح العين المهملتين وبالنَّصب على التمييز ، وأَصله من مِسْعَر حرب . أى مُسْعِرُها ، قال الخطابى : كَأَنَّه يصِفُه بالإِقدام فى الحرب ، والتَّسْعِيرِ لنارها .

مِحَشّ – بحاء مهملة وشين معجمة : وهو بمعنى مِسْعَر حرب . : وهو العود الذى تُحَرَّكُ به النَّار .

العِيص – بكسر العين المهملة ، وسكون التحتية ، وبالصاد المهملة : موضع قرب المدينة على ساحل البحر .

ذو المَروَة : موضع فى أَرض جُهَيْنَة مِمَا يلى سِيف البحر بين مكة والمدينة .

الثواء – بثاء مثلثة مفتوحة وبالمد : الإِقامة .

صناديد[1] قريش : عظماؤها .

المعشر – واحد المعاشر : وهى الجماعات من الناس .

تخْفِق – بخاء معجمة ساكنة ففاء مكسورة وبالقاف : تضرب .

أَيمانهم – بفتح الهمزة .

القَنَا – بفتح القاف وبالقصر : جمع قناة : الرمح .

الذَّابِلُ – بذالٍ معجمة ، فأَلف فموحدة ، أَشار إلى أَن رماحهم رقاق .

لم يَأْتَل : لم يحلف .

---

(١) لم يرد هذا اللفظ فى شعر أبى جندل ولا ماسبقه من سياق الغزوة .

الباب الثالث والعشرون

فى غزوة ذى قَرد[1] – وهى الغابة

والسَّبَبُ فيها إغارة عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيفة الفَزَارى فى خيل غَطَفَان على لِقَاح رسول الله – صلى الله عليه وسلّم .

روى الشيخان ، والبيهقىُّ عن يزيد بن أَبى عبيد ، ومسلمٍ وابنِ سعد ، والبيهقىُّ عن إِياس بن سلمة بن الأَكوع كلاهما عن سلمة – رضى الله عنه . وابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبدُ الله بن أَبى بكر ومَن لايُتَّهم عن عبد الله بن كعب ابن مالك ، ومحمدٌ بن عمر عن شيوخه ، وابنُ سعد عن رجاله ، أَن لِقَاحَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – كانت عشرين لِقْحَة[2] وكانت / ترعى البيضاء[3] ودون البيضاء إلى الجبل ، وهو طريق خيبر ، فأَجدب ما هنالك فقرّبوها إلى الغابة تصيب من أَثلها وطرفائها وتغدو فى الشجر ، وكان الرّاعى يؤوب بلبنها كل ليلة عند المغرب .

١٨٥ ظ

قال محمد بن عمر : وكان أَبو ذَرّ قد آستأْذن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى لِقَاحه[4] ، فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « إِنى أَخاف عليك من هذه الضاحية أَن تغير عليك . ونحن لا نأْمن مِنْ عُيَيْنَة بن حِصْن وذَوِيه وهى فى طرف من أَطرافهم ، فأَلحّ عليه ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « لكأَنى بك قد

---

(١) وانظر أخبار هذه الغزوة فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٣٧ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢١٣ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٢٨٦ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٤ ، ونهاية الأرب ١٧ : ٢٠١ ، وشرح المواهب ٢ : ١٤٨ وذى قرد . ماء على نحو بريد من المدينة مما يلى بلاد غطفان ، والقرد لغة الصوف .

(٢) لقحة بكسر اللام وقد تفتح وحاء مهملة . والجمع لقاح بالكسر فقط . وهى ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة بشهر واثنين وثلاثة .

(٣) البيضاء : موضع تلقاء حمى الربذة (معجم ما استعجم : ١٨)

(٤) عبارة الواقدى فى المغازى ٢ : ٥٣٨ « أن يكون فى لقاحه » وهو يفسر مامعنا .

قتل ابنُك وأُخِذَت امرأتك ، وجئت تتوكأ على عصاك » فكان أبو ذَرّ يقول : عجباً لى ، إنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « لكأنى بك » وأنا أُلِحّ عليه ، فكَان - والله - ما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال أبو ذَرٍّ : والله إنّى لَفِى منزلنا ، ولقاحُ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - قد رُوِّحَت وعُطِّفَت وحُلِبَت عَتَمَتُها ، ونمنا ، فلما كان الليل أَحْدَقَ بنا عُيَيْنَةُ بن حِصْن فى أربعين فارساً ، فصاحوا بنا وهم قيام[1] فأشرف لهم ابنى فقتلوه ، وكانت معه امرأته وثلاثة نفر فنجَوْا ، وتنحَيت عنهم ، وشغلهم عنى إطلاقُ عُقُل اللِّقاح ، ثم صاحوا فى أدبارها ، فكان آخر العهد بها ، ولمّا قدمتُ على رسُولِ الله - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - وأخبرته تبسَّمَ .

وقال سلمة بن الأكوع : خرجت قبل أن يؤذن[2] بالأُولى ، وكانت لِقَاحُ رسول الله - صلَّى اللهُ عليه وسلم - بذى قَرَد ، فبعث رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بظَهْره مع رَبَاح - بفتح الراء وبالموحدة - غلامُ رسُولِ الله - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - وأنا معه ، وخرجت بفرس طلحة أُندِّيه[3] مع الظَّهْر ، فلقيتُ غلاماً لعبد الرحمٰن بن عوف كان فى إبلٍ لعبد الرحمن بن عوف فأخطئوا مكانَهَا ، واهتدوا لِلقَاح رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فأخبرنى أن لِقَاح رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - قد أغار عليها عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ فى أربعين فارساً من غطفان .

قال محمد بن عمر وابنُ سعد : ليلة الأربعاء ، قال سلمة : فقلتُ : يا رَبَاح اقْعد على هذا الفرس ، فالحق بطلحة ، وأخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن قد أُغِير على سَرْحِه[4] ،وقمت على تلّ بناحية سلع ، فجعلتُ وجهى مِنْ قبل المدينة ، ثم ناديت ثلاث مرات يا صباحاه أسمع ما بين لابَتَيْها ثم انبعثَ القومُ ومعى سيفى ونَبْلِى ، فجعلتُ أردّهم ، وفى لفظ : أرميهم ، وأعقر بهم ، وذلك حين يكثر الشجر ، فإذا

---

(١) فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٣٩ « وهم قيام على رءوسنا »
(٢) أى لصلاة الصبح كما فى السيرة الحلبية ٣ : ٤ .
(٣) وفى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٢٩٠ « أريد أن أنديه مع الأبل » وانظر المعنى فى شرح المفردات .
(٤) السرح : المال السائم المرسل فى المرعى ، وانظر شرح المفردات .

رجع إلىَّ فارسٌ جلستُ له فى أصل شجرة ، ثم رميتُ ، فلا يُقْبل علىَّ فارس إلا عقرت به ، فجعلت أرميهم وأنا أقول :

أَنَا ابـــنُ الأَكـــوع   واليومُ يـــومُ الرُّضَّع

فألحق رجلا فأرميه وهو على رحله فيقع سهمى فى الرحل حتى انتظمت كتفه فقلت: خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع فإذا كنت بالشجر أحرقتهم بالنَّبْل ، وإذا تضايقت الثَّنايا علوت الجبل فرميتهم بالحجارة ، فما زال ذلك شأنى وشأنهم أتبعهم وأرتجز حتَّى ما خَلَقَ الله – تعالى – شيئاً من ظَهْر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلا خلَّفْتُه وراءَ ظهرى واستنقذته من أيديهم .

قال / ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رُمْحًا ، وأكثر من ثلاثين بُرْدَةً يستخِفُّون منها ، ولا يُلْقُون من ذلك شيئاً إلا جعلتُ عليه الحجارة ، وجمعتهُ على طريق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى إذا اشتدَ الضحى أتاهم عُيَيْنَةُ بن بدر الفزارى مُمدًّا لهم . وهم فى ثَنِيَّة ضيقه ، ثم عَلَوْتُ الجبل ، فأنا فوقهم . فقال عُيَيْنَة : ما هذا الذى أرى ؟ قالوا : لقينا من هذا الْبَرْحَ[1] ما فَارَقَنَا بِسَحَر حتى الآن ، وأخذ كل شىء فى أيدينا وجعله وراءَ ظهره ، فقال عُيَيْنَةَ : لولا أن هذا يَرَى أن وراءَه طلباً لقد تركتكم ، وقال : لِيَقُم إليه نفرٌ منكم ، فقام إلى أربعة منهم فصَعدوا فى الجبل ، فلما أَسْمَعْتَهُمُ الصوتَ قلتُ لهم : أتعرفوننى ؟ فقالوا : ومن أنت ، قلت : أنا ابن الأَكْوَع؛ والذى أكرمَ وجْهَ محمد – صلى الله عليه وسلم – لا يطلبنِى رجلٌ منكم فيدركنى ، ولا أطلبه فيفوتنى . فقال رجلٌ منهم : إنى أظن فرجعوا .

١٨٦ و

* * *

ذكر حث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى طلب العدو وتقديمه جمـاعة أمامه

قال ابن إسحاق[2] : وبلغ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صياحُ ابن الأَكْوَع يَصرخ بالمدينة « الفزع الفزع » . فترامت الخيولُ إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

---

(١) البرح : الشدة والأذى وهى بفتح الباء وسكون الراء شرح المواهب ٢ : ١٥١ (، وانظر شرح المفردات .
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٨٢ ط الشعب .

فكان أولَّ من أنتهى إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الفرسان المِقْدَادُ بنُ عمرو ، وهو الذى يُقَالُ له ابن الأَسود حليفُ بنى زُهْرَة ، زاد محمدُ بنُ عمر – نَقْلاً عن عمارة بن غزية ، وابن سعد – فَنُودِىَ « يا خَيْلَ الله ٱرْكَبِى » ، وكان أَوّل مَا نُودِى بِها – كذا قال ، وزاد ابنُ عائذ عن قتادة : أَنّ أَوّل ما نُودى « يا خيلَ الله ٱرْكبى » فى غزوة بنى قُرَيْظَة ، وهى قبل هذه عندهم .

قال محمد بن عمر : وكان المقدادُ يقول : لمّا كانت ليلة السَّرْحِ جَعَلَتْ فَرَسِى سَبْحَةُ[1] لا تَقَرُّ ضَرْبًا ضَرْبًا بيدها ، وصَهيلاً ، فأَقول : والله إِنّ لها لشأْناً ، فأَنظر إلى آريِّها[2] فإِذا هو مملوء علفا ؛ فأَقول : عَطْشَى فأَعرض عليها الماءَ فما تريده . فلما طلع الفجر أَسرجتها ولبستُ سلاحى ، ثم خرجتُ حتّى أُصلّى مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الصبح ، فلم أَرَ شيئاً ، وَدخَلَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – بيته ، ورجعت إلى بيتى ، والفرسُ لا تَقِرّ ، فوضعت سرجَهَا والسّلاح واضطجَعْتُ ، فأَتانى آتٍ فقال : إِنّ الخيلَ قد صيح بها ، فخرجت .

قال ابن إِسحاق : ثم كان أَوّل فارس وقف على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد المِقْداد من الأَنصار عبّاد بتشديد الموحدة ابن بِشْر[3] – بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة ، وسعْد بسكون العين – بن زيد ، وأُسَيد[4] – بضم أَوّله وفتح ثانيه – ابن ظُهَيْر – وهن[5] – تصغير ظهر – بظاء معجمة مشالة ، ومُحْرز[6] بضم الميم وسكون الحاء المهملة فراء مكسورة فزاى ابن نضلة بالنون وسكون الضاد المعجمة ، وربيعة بن أَكثم

---

(١) كذا فى ط ت ، م « سبحاء » بالمد . والمثبت يتفق وماجاء فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٣٨ .

(٢) آريها : الآرى الحبل الذى تشد به الدابة إلى محبسها (الصحاح ٢٢٦٧) . والمراد هنا مربطها وموضع علفها .

(٣) هو عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء . أحد بنى عبد الأشهل السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٨٢ .

(٤) وهو أحد بنى كعب بن عبد الأشهل أيضاً (المرجع السابق) .

(٥) « وهن » أى يشك فيه كما فى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٢٨٧ . وهو أسيد الظهرى كما فى القاموس المحيط (ظ هـ ر) .

(٦) هو محرز بن نضلة ، أخو بنى أسد بن خزيمة (السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٨٢ .

بالثاء المثلثة ، وعكاشة بتشديد الكاف وتخفيفها ابن محصن بكسر الميم وسكون الحاء المهملة وأبو عيّاش[1] بالتحتية والشين المعجمة الزُّرَقى ، وأبو قتادة[2] . فلما اجتمعوا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أَمَّرَ عليهم سعد بن زيد ، ثمّ قال : « اخْرُج فى طَلَب القوم ِ حتّى ألحَقكَ بالناس » .

وقال / محمدُ بن عمر[3] ، وابنُ سعد : عقد رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – ١٨٦ ظ للمِقْداد لواءً فى رُمْحِه ، وقال : « أَمْضِ حتّى تلحقك الخيولُ ، وأنا على أثرك » قالا : والثَّبْتُ عندنا أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أَمَّرَ على هذه السّرية سعدَ ابنَ زيد الأَشْهَلِيّ ، ولكن الناس نسبوها للمِقْدَاد ؛ لقول حسّان .˙. غداة فوارس المقداد .˙. فعاتبه سعدُ بن زيد فقال : اضطرنى الوزن إلى المِقْدَاد[4] .

قال ابنُ إسحاق : وقد قالَ رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فيما بلغنى عن رجلٍ من بنى زُرَيق – لأَبى عيَّاش : « يا أَبا عياش لو أَعطيتَ هذا الفرس رجلا هو أَفرس منك فلحق بالقوم » ، قال أَبو عياش فقلت يا رسولَ الله أنا أَفرسُ النّاس ، وضربت الفرس ، فوالله ما جرى بى خمسين ذراعاً حتى طرحنى ، فعجبت أَن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول : « لَوْ أَعْطَيْتَه أَفْرَس مِنْك » وأنا أَقول : أَنا أَفرس الناس ، فزعم رجالٌ من بنى زُرَيقٍ أَن رسول الله – صلى الله عليه وسلم[5] – لما أَعطى فرس أَبى عيّاش مُعَاذَ بن ماعص وكان ثامنا ، أَو عائِذ – بالتحتية والمعجمة – ابن ماعص بعين مكسورة فصاد مهملتين . وذكر الطبرى أَن معاذ بن ماعص وأَخاه قُتِلا يوم بئر معونة شهيدين كما سيأْتى فى السرايا ، وبعض النّاسِ يعدسَلَمَة بن الأَكوع أَحد الثمانية ويسقط أُسَيْد ابن ظُهَير – والله أَعلم أَى ذلك كان ، فخرج الفرسان حتّى تلاحقوا ، وكان أَوّل من لحق

---

(١) هو عبيد بن زيد بن الصامت أخو بنى زريق (المرجع السابق) .

(٢) أبو قتادة هو الحارث بن ربعى أخو بنى سلمة . (المرجع السابق) .

(٣) أنظر (مغازى الواقدى ٢ : ٥٤٢) .

(٤) وبيت حسان هو : وتسر أولاد اللقيطة أننا : سلم غداة فوارس المقداد .

(٥) إضافة تقتضيها السياق .

بالقوم مُحْرز بن نَضْلَة ، وكان يقال له الأَخرم بخاء معجمة ساكنة وراء ، ويقال له قُمَير – بضم القاف وفتح الميم .

وإن الفَزَع لَمَّا كَانَ جَالَ فَرَسٌ[1] لمحمود بن مسلمة فى الحائط حين سمع صاهلة الخيل. وكان فرسا صنيعا جامعاً ، فقال نساء من نساء بنى عبد الأَشهل – حين رأين الفرس يجول فى الحائط بجذع نَخْلٍ هو مَرْبُوط به : يا قمير هل لك فى أن تركب هذا الفرس ؟ فإنه كما تَرَى ، ثم تلحق بِرَسُولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وبالمسلمين ؟ قال : نعم ، فأَعْطَيْتُهُ إيَّاه ، فخرج عليه ، فلم يلبث أن بَذَّ الخيلَ بجماحه حتى أدرك القوم ، فوقف بين أيديهم ، ثم قال : قِفُوا يامعشر بَنِى اللَّكِيعَة حتَّى يلحق بكم مَنْ وراءكم مِن أدباركم من المهاجرين والأَنصار ، فحمل عليه رجل منهم فقتله ، وجال الفرس فلم يُقْدَر عليه حتى وقف على آرِيِّهِ[2] فى بنى عبد الأَشهل .

قال سَلَمَةُ بنُ الأَكوع : فما برحتُ من مكانى حتَّى رأيتُ فَوَارِسَ رسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – يتخلَّلُون الشَّجر ، فإذا أَوَّلهم الأَخرم الأَسدى ، وعلى أثره أبو قَتَادة ، وعلى أثره المقدادُ بن الأَسود الكندى ، فولى المشركون مدبرين ، قال سلمة : فنزلت من الجبل ، وأَخذت بعنانِ فرسِ الأَخرم ، وقلت : يا أَخرم احذرهم لا يقتطعوك حتَّى يلحق رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه ، قال : يا سلمة ، إنْ كنْتَ تُؤمنُ بِاللهِ واليوم الآخر ، وتعلم أنَّ الجنَّةَ حقٌّ والنَّار حق ، فلا تَحُل بينى وبين الشَّهادة . فخَلَّيْتُه ، فالتقى هو وعبد الرحمن بن عُيَيْنَة فعثر بعبد الرحمن فرسُهُ ، وطعنه عبد الرحمن فقتله . وتحوّل على فرسه ، ولحق / أَبُو قتادة فارسُ رسول الله – صلَّى الله ١٨٧ و عليه وسلَّم – بعبد الرحمن فاختلفا طعنتين ، فعقر بأَبى قتادة ، وقتله أَبو قتادة ، وتحول أَبو قتادة إلى الفرس .

---

(١) عبارة الواقدى – المغازى ٢ : ٥٤٢ « فلما نادى الصريخ الفزع الفزع كان فرس لمحمد ابن مسلمة يقال له ذواللمة مربوطاً فى الحائط ، فلما سمع صاهلة الخيل صهل وجال فى الحائط فى شنطه » والعبارة المذكورة هى عبارة ابن هشام فى السيرة ٢ : ٢١٤ إلى هامش الروض الأنف .

(٢) الآرى : الحبل الذى تشد به الدابة (انظر شرح المفردات) .

وروى محمد بن عمر عن صالح بن كيسان ، قال مُحْرِز بن نضلة قبلَ أن يَلْقَى العدوّ بيوم : رأيت السَّماء فُرِجَت لى حتى دخلتُ فى السماء الدنيا ، حتى انتهيت إلى السماء السابعة ، ثم انتهيت إلى سدرة المُنْتَهَى ، فقيل لى : هذا منزلك ، فعرضتها على أبى بكر الصّديق - وكان من أعبر النَّاس - فقال : أبشر بالشهادة . فقتل بعد ذلك بيوم .

قال سلمة : ثم خرجت أعدو فى أَثَرِ القَوْمِ فوالذى أكرم وجهه حتى ما أرى من ورائى من أصحابِ رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - ولا غبارهم شيئاً ، ويَعْرِضُون قبل غيبوبة الشمس إلى شِعْبٍ فيه ماء يقال له ذو قَرَد ، فأرادوا أن يشربوا منه فأبصرُونى أعدو وراءهُم فعطفوا عنه ، وأَسْنَدُوا فى الثنية « ثَنِيَّة ذِى بِئر » وغربت الشّمس ، وأَلْحَقُ رجلاً فأرميه وقلت :

خذها وأنا ابن الأكوع والیوم یـــوم الرضـع

قال : فقال يا ثكل أم الأكوع بُكْرَةً[1] فقلت : نعم أى عدو نفسه .

وكان الذى رميته بُكْرَة ، فأتبعته بسهم آخر فعَلِقَ به سهمان ، وخلّفوا فرسين ، فجئت بهما أسوقهما إلى رسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيبَ بن عُيَيْنَة بن حِصن وغشاه ببرده ، ثم لحق بالناس ، وقال محمد بن عمر ، وابن سعد : وقتل المقداد ابن عمْرو حبِيْب بن عيينة بن حصن . [وقرفة[2]] بن مالك بن حذيفة بن بدر ، فالله أعلم . وأدرك عُكّاشة بن حِصن أَوْبَارًا ، وأبنه عمرو بنَ أَوْبَار وهما على بعير واحد فانتظمهما [بالرمح][3] فقتلهما جميعاً ، واستَنْقذُوا بعض اللِّقاح .

وروى البيهقىّ عن عَبْد الله بن أبى قتادة : أن أبا قتادة اشترى فرسه من دوابّ

---

(١) بياض فى الأصول . والإثبات عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٢٩١ .
(٢) إضافة للتوضيح من شرح المواهب ٢ : ١٥٠ .
(٣) إضافة عن المرجع السابق . والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٢٨٨ .

دخلت المدينة . فلقيه مَسْعَدَة الفزَارى فقال : يا أبا قتادة ، ما هذا الفرس ؟ فقال أبو قتادة : فرس أردت أن أربطها مع رَسُولِ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ فقال ما أهون قتلكم وأشد حربكم ، قال أبو قتادة : أمَا إنى أسأل الله ـ تعالى ـ أن يلقينيك وأنا عليها فقال[أمين[1]] وكان أبو قتادة ذات يوم يعلف فرسه تمراً فى طرف بردته إذ رفعت رأسها وأصرت أذنيها ، فقال : أحلف بالله لقد أحسّت بريح خيل : فقالت له أمّه : والله يا بنى ماكنا نرام فى الجاهلية ، فكيف حين جاءَ الله بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ثم رفعت الفرسُ أيضاً رأسها ، وأصرت أذنيها ، فقال : أحلف بالله لقد أحست بريح خيل . فوضع سرجها فأسرجها ، وأخذ بسلاحه ، ثم نهض حتى أتى مكاناً يقال له الزَّوراء[2] فلقيه رجلٌ من أصحابه ، فقال له : يا أبا قتادة ، تُشَوِّط[3] دابتك ، وقد أُخِذَت اللقاح . وقد ذهب النبيُّ فى طلبها وأصحابه ؟! فقال : أين ؟ فأشار إليه نحو الثنيّة . فإذَا بالنبى ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فى نفر من أصحابه جلوسٌ عند ذِباب[4] ، فَقَمَعَ دَابَّتَه ، ثم خَلاَّهَا ، فمرَّ بالنَّبى ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال له : « امْضِ يا أبا قَتَادة صَحِبَكَ الله » قال أبو قَتَادَة : فخرجتُ فإذا بإنسانٍ يحاكينى فلم ننشب أن هجمنا على العسكر ، فقال لى : يا أبا قتادة / ما تقول ؟؟ أما القوم فلا طَاقَةَ لنا بهم ، فقال له أبو قتادة : تقولُ : إنى واقف حتَّى يأتى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أريد أن تشدّ فى ناحية وأشدُّ فى ناحية ، فوثب أبو قَتَادة فشَقَّ القومَ . فرَموه بسهم ، فوقع فى جبهته ، قال أبو قتادة : فنزعت قِدْحه ، وأظنُّ أنى قد نزعتُ الحديدة . ومضيتُ على وَجْهى فلم أنشب أن طَلَعَ علىَّ فارس على فرس فاره وعليه مغفر له فأثبتنى ولم أُثبته . قال : لقد ألقانيك الله يا أبا قتادةَ وكشف عن وجهه وأداة كليلة على وجهه فإذا هو مَسْعَدَة الفَزَارىّ ، فقال : أيمّا أحبّ إليك مجالدة أو مطاعَنَة أو مصارعة ؟ قال : فقلتُ : ذَاكَ إليْك ، قال فقال : صراعٌ ،

١٨٧ ظ

---

(١) بياض بالأصل . والإثبات عن . السيرة الحلبية ٢ : ١٢٩ ط الحلبى .

(٢) الزوراء : مكان بسوق المدينة . وانظر وفاء الوفا ٤ : ١٢٢٨ تحقيق محيى الدين .

(٣) أى تجرى فرسك (محيط المحيط) .

(٤) ذباب : جبل بجبانة المدينة ، وعليه مسجد الراية ، ويقال له أيضاً « ذوباب (وفاء الوفا ٤ : ١٢١٤) .

فأجال رجله على دابته ، وأجلتُ رجلي على دابتي ، وعقلت دابّتي وسلاحي إلى شجرة ، وعقل دابته وسلاحه إلى شجرة ، ثمّ تواثبنا ، فلم أَنْشب أن رزقني الله - تعالى - الظَّفَر عليه ، فإذا أنا على صدره ، فوالله إني لمن أَهَمِّ الناس من رجل متأبط قد[هممت][1] أن أقوم فآخذ سيفي ، ويقوم فيأْخذ سيفه ، وإنَّا بين عسكرين لا آمن أن يهجم على أحدهما ، إذاً بشيء مسَّ رأسي ، فإذا نحنُ قد تعالجنا ، حتَّى بلغنا سلاح مَسْعدة فضربتُ بيدي إلى سيفه ، فلمَّا رأى أنّ السَّيْفَ وقع بيدي قال : يا أبا قتادة ، أستحيني ، قلت : لَا ، واللهِ أو تَردَ أُمُّك الهاوية .

قال : فَمَنْ للصِّبْيَة ؟ قلت : النَّار . قال : ثُمَّ قَتَلْتُه وأدرجته في بُرْدي ، ثم أَخذتُ ثيابه فلبستها ، ثم أخذت سلاحه ، ثم استويْتُ على فرسه ، وكانت فرسي نَفَرَت حين تعالجنا فرجَعَت إلى العسكر ، قال : فعرقبوها[2] .

قال : ثم مضَيْت على وجهي فلم أنشب أَنَا حتى أشرفْت على ابن أخيه وهو في سبعة عشر فارساً ، قال فألَحْتُ إليهم فوقفوا ، فَلَمَّا أن دنوت منهم حملتُ عليهم حملة وطعنتُ ابنَ أخيه طعنة دققتُ عنقه[3] ، وانكشفَ مَنْ كان معه . وحبستُ اللِّقاح برمْحِي .

* * *

ذكر خروج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لطلب العدو

قال محمد بن عمر ، وابنُ سعد :

خرج رسولُ الله - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - غداة الأربعاء راكِباً مُقَنَّعًا في الحديد .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أُم مكتوم[4] .

قال : وخلف سَعْدَ بنَ عُبَادة - رضي الله عنه - في ثلاثمائة من قومه يحرسُونَ المدينة .

---

(١) بياض في الأصل ، والمثبت عن البيهقي .
(٢) كذا في ط ، م وفي ت و م ، ص « فعرفوها » .
(٣) كذا في ط ، وفي ت و م و ص « صلبة » .
(٤) انظر سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٢٨٤ .

قال ابن إسحاق : ولَمَّا مَرّ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ والمسلمُونَ بِحَبِيبٍ مُسجًّى ببُرْدِ أَبِى قَتَادة اسْتَرْجَعُوا ، وقالوا : قُتِلَ أبو قَتَادة ؛ فقال رسولُ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : « ليس بأَبِى قَتَادَة ، وَلَكِنَّه قتيلٌ لِأَبِى قَتَادَة ، وَضَعَ عليه بُرْدَه لِتَعْرِفُوا أَنَّه صَاحِبُه ».

قال ابنُ سعد قال سلمة لحقنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والخيول عشاء قال أبو قتادة ـ رضى الله عنه ـ فى حديثه السَّابق : وأقبل رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ومَن معه من أصحابه ، فلمَّا نظر إليهم العسكرُ فروا قال : فلما انتهوا إلى موضع المعسكر إذا بفرس أَبِى قتادة قد عرقبت فقال رجلٌ من أصحابه : يا رسولَ الله !! قد عُرْقِبَت فرسُ أَبِى قتادة ، قال : فوقف عليها رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم / فقال : « ويح أمك ، رُبَّ عَدُوٍ لَكِ فى الحرب » مرتين[1] . ثم أقبل رسولُ اللهِ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ وأصحابه حتَّى إذا انتهوا إلى الموضع الَّذِى تَعَالَجْنَا فيه إذا هُم بأَبِى قتادة ـ فيما يَرَوْن مُسَجًّى فى ثيابه ، فقالَ رجلٌ من الصَّحَابة : يا رسولَ الله ؛ قد اسْتُشْهِدَ أَبُو قَتَادَة ، قال ، فقالَ رسولُ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم : « رَحِمَ اللهُ أَبَا قَتَادَة ، وَالَّذِى أَكْرَمَنِى بِمَا أَكْرَمَنِى به إنَّ أَبَا قَتَادَةَ على آثار الْقَوْمِ يَرْتَجِز ». فدخلهم الشَّيْطَان أنهم ينظرون إلى فرسى قد عُرْقِبَت ، وينظرون إلى مُسَجًّى عليه ثيابى .

١٨٨ و

قال : فخرج عُمر بنُ الخطَّابِ وأبو بكرٍ ـ رضى اللهُ عنهما ـ يَسْعَيَان حتى كشف الثَّوْبَ ، فإِذَا وجْهُ مَسْعَدَة ، فقالا : الله أكبر ، صدَقَ الله ورسولُهُ ، مسعدة يا رسولَ الله . فكبَّر الناس ، ولم ينشب أن طَلَعَ عليهم أَبُو قَتَادة يحوش اللِّقَاح ، فقال رسولُ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ « أَفْلَحَ وَجْهُك يَا أَبَا قَتَادَة ، أَبُو قَتَادَةَ سَيِّدُ الفرْسَان ، بَارَكَ اللهُ فِيكَ يَا أَبَا قَتَادَة .

قال : قلت : بأَبِى أَنْتَ وأُمى يا رسول الله ، سَهْمٌ أَصَابَنِى ، والَّذِى أكرمَك بما أكرمَك ، وفى ولدك وفى ولد ولدك ـ وأحسب عكرمة قال وفى ولد ولد ولدك ـ ما هذا بوجهك

---

(١) أى قال ذلك مرتين .

يا أَبا قتادة ؟ قد ظننتُ أَنِّى قد نزعته ، قال : « ٱدْن مِنِّى يا أَبا قتادة » قال : فدنوت منه . قال : فنزع النّصل نزعا رفيقا ، ثم بزق فيه رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ووضع راحته عليه ، فوالذى أَكرم محمداً – صلَّى الله عليه وسلَّم – بالنبوة ما ضَرَبَ[1] علىَّ ساعةً قطّ ، ولا قَرَحَ[2] قط علىَّ .

وروى محمد بن عمر وابنُ سعد عن أَبى قتادة قال : لَمَّا أَدركنى رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِى شَعْرِه وَبَشَرِه ، وقال[3] . أَفلح وجهك » قلتُ : ووجْهُك يَارسولَ الله ، قال : « قتلتَ مَسْعَدة ؟ » قلت : نعم ، وذكر نحو ما تَقدّم قال : فمات أَبُو قَتَادَةَ وهو ابن سبعين سنة وكأَنه ابن خمس عشرة سنة .

وذهب الصَّرِيخُ إِلى بنى عمرو بن عَوْف ، فجاءَت الأَمْدَاد ، فلم تزل الخيلُ تأتى والرجالُ على أَقدامهم والإِبل ، والقومُ يَعْتَقِبُونَ البعيرَ والحمارَ حتى ٱنتهوا إِلى رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بذى قَرَد

قال ابنُ إِسحاق : واستنقذوا عشر لِقاح زاد – فيها جمل لأَبى جهل ، وأَفلت القومُ بعشر.

وكانت رايةُ رسولِ لله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – العُقَابُ ، يحملها سعدُ بن زَيْد ، وكان شِعَارهُم أَمِتْ أَمِت .

وصلَّى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يومئذٍ صلاةَ الخوف ، وسيأْتى بيانُهَا فى أَبْواب صَلَاتِهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-صلاة الخوف .

وقال سلمة : ولحقنى عَمِّى بِسَطِيحَة فيها مِذْقة[4] من لبن ، وسطيحة فيها ماء فتوضأْت وشربت .

---

(١) ضرب عليه : أى اشتد وجعه « أساس البلاغة » .

(٢) فى المغازى للواقدى ٢ : ٥٤٥ « قرح أوقاح » .

(٣) كذا فى ت ، م . وفى ط « وقد أفلح » .

(٤) فى السيرة الحلبية ٣ : ٨ « أتانى عمى عامر بن الأكوع » والمذقة : القدر القليل .

وروى ابن سعد عنه قال : لَحِقَنَا رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – والخيول عشاءً انتهى .

قال سلمة : فأتيتُ رسولَ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – وهو على الماء الذى أجليتهم عنه ، فإذا رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – قد أخذ تلك الإبل ، وكلّ ما قد استنقذته من المشركين ، وكل رمح وبردة ، وإذا بلال نحر ناقة من الإبل التى آستنقذت من

١٨٨ ظ القوم ، وشوى لرسول اللهِ – صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم – من سَنَامِها وكَبِدِها / فقلتُ : يا رسولَ الله !! قد حميت القوم الماء ، وهم عِطَاش خلفى ، فانتخب من القوم مائة رجل فأتبع القومَ فلا يبقى مُخْبرٌ إلا قَتَلْتُه . فضحك رسولُ الله – صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم – حتى بدَت نَواجذُه فى ضوءِ النّار ، وقال : « يا سلمة أتُرَاكَ كُنْتَ فاعلا ؟ » قلت : نعم . والذى أكرمك . فقال : « ملكتَ فَأَسْجح ، إنهم ليُغْبَقُون »[1] وفى لفظ لَيُقْرَون فى أرض غطفان » ، فجاءَ رجل من غطفان وقال : نَحَرَ لهم فلانٌ جَزُورا ، فلما كشطوا جلدها رَأَوا غبارا ، قالوا : أتاكم القومُ ، فخرجوا هاربين .

قال ابن إسحاق : وقسّم رسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فى أصحابه فى كل مائة جزورا .

وأقامَ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – بذى قَرَد يوماً وليلةً يَتَحَسَّبُ الخبر .

وفى حديث سلمة أنهم كانوا خمسمائة .

قال ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وابن سعد : ويقال سبعمائة ، وبعث سعدُ ابنُ عُبَادة – رضى اللهُ عنه – بأحمالِ تَمْرٍ ، وبعشر جزائِر فوافتْ رسولَ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – بذى قَرَد ، قال سلمة : فلمَّا أصبحنا قال رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم « خَيْرُ فُرُسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَة ، وَخَيْرُ رَجَّالَتِنَا[2] سَلَمَة » .

---

(١) يغبقون : أى يشربون الغبوق وهو مايشرب بالليل بخلاف الصبوح .
(السيرة الحلبية : ٢ : ١٣٠٤)

(٢) رواه مسلم وابن سعد فى حديث سلمة بن الأكوع – شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٥٣ .

ثم أعطاني رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – سهمَ الفارس والراجل فجمعهما لى جميعاً ، ثم أردفني رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – وراءه على العَضبَاء راجعين إلى المدينة ، فلما كان بينها وبينه قريبٌ من ضَحْوَة ، وفى القوم رجلٌ من الأنصار كان لا يُسْبَق ، فجعل يُنَادى : هل مَنْ يُسابق ؟ إلىّ رجلٌ يسَابِقُ إلى المدينة ، فَعَلَ ذلك مِرَاراً ، وأنا وراءَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مُرْدِفِي ، قلت له : أما تكرم كريما ، ولا تهاب شريفا ؟ قال : لا ، إلاَّ رسول اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلَّم – قلتُ : يا رسولَ الله ، بأَبِي أنت وأُمِي خَلِّنى فلأُسابق الرَّجُل ، قال : « إن شِئْت » قلتُ : أذهبُ ، فَطَفر عن راحلته ، وثنيت رجلى ، فطفرت عن الناقة ، ثم ارتبطت عليه[1] شرفا أو شرفين ، يعنى استبقيتُ نفسى ، ثمَّ عدوْتُ حتَّى ألحقه ، فأَصُكُّ بين كتفيه بيدى ، وقلت : سَبَقْتُكَ والله ، فضحك وقال : والله إن أظن ؛ فسبقته حتى قدمنا المدينة ، فلم نلبث إلا ثلاثا حتى خرجنا إلى خَيْبَر[2] .

قال محمد بن عمر وابن سعد : ورجع رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – إلى المدينة يوم الاثنين ، وقد غاب خمس ليال .

وروى الزُّبيرُ بن بكارٍ عن محمد بن إبراهيم بن الحرث التيمى قال : مر رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فى غَزوَةِ ذِى قَرَد على مَاءٍ يقالُ له بيسان ، فسأَل عنه ، فقيل : اسمُه يا رسولَ الله بيسان – وهو مالح – فقال : « بل هو نُعْمَان وهو طيب » فَغَيَّرَ رسولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم – الاسم – وغَير اللهُ عز وجَل الماءَ ، فاشتراه طالحة ، فتصدّق به

* * *

ذكر قدوم امرأة[3] أبى ذر على ناقة رسول الله – صلى الله عليه وسلم

روى الإمام أحمد ، ومسلمٌ وأبو داود عن عمران بن حُصَين –رضى الله عنهما – فذكر الحديث ، وفيه « فكانت المرأة فى الوثاق ، وكان القومُ يُريحُونَ نَعَمَهم بين

(١) كذا فى الأصول . وفى السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٩٢ « ربطت عليه » .

(٢) قال ابن كثير فى السيرة ٢ : ٢٩٣ « وهكذا رواه مسلم من عدة طرق عن عكرمة بن عمارة بنحوه » .

(٣) ذكر ابن حجر فى الإصابة (٤ : ٢٤١) أن اسمها ليلى ، وكانت زوجا لأبى ذر ولم ينسبها .

١٨٩ و يدى بيوتهم . فأنفلتت ذاتَ ليلة من الوثاق ، فأتت الإبل ، فجعلت / إذا دنت من البعير رَغَا فتتركه ، حتى أنتهت إلى العضباء فلم ترغ ، قال : وهى ناقةٌ مدربة ، فقعدت فى عَجُزها ، ثم زَجَرَتها فأنطلقت ، وقد رأوها فطلبوها فأعجزتهم ، قال : ونَذَرَت إن نَجَّاها الله – عزّ وجل – لَتنحرنها ، فلما قدمت المدينة رآها الناس ، فقالُوا : العَضباءِ ناقةُ رسولِ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلَّم – فقالت : إنّها نَذَرَت إن نجاها اللهُ عليها لَتنحرَنَّها ، فأتوا رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فذكروا ذلك له فقال : « سُبْحَانَ الله ، بِئْسَ مَا جَزَتهَا نَذَرَت إن نَجَّاهَا اللهُ لَتَنحَرَنَّهَا ،لَا وَفَاء لِنَذْزر فِى مَعْصِيَةٍ وَلَا فيما لا يَمْلِكُ ابنَ آدم » . زاد ابن إسحاق من مُرْسَلِ الحسن « إنما هى ناقة من إبلى ، إرجعى إلى أهلك على بركة الله » .

وقدِمَ ابنُ أخى عُيَيْنَة بلَقْحة رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلم – السَّمْرَاء فبشرته بها سَلْمَى[1] ، فخرج – صلَّى الله عليه وسلَّم مستبشراً ، وإذا رأسها بيد ابنِ أخى عُيَيْنَة ، فلما رآها رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – عرفها ، ثم قال : أَيْمَ بربك[2] » فقال : يا رسولَ الله أهديْتُ لك هذه اللقحة ، فتبسّم رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – [وقبضها][3] منه ، ثم أقام عنده يوماً أو يومين ، ثم أمر له رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بِثَلاَثِ أواقٍ من فِضّة ، فجعل يَتَسَخَّطُ ، قالت سلمى : فقلت : يا رسولَ الله أتُثِيبه على ناقةٍ من إبلك ؟ فقالَ رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم » : نعم وهو يَتَسَخَّط علىّ » .

ثم صلَّى رسولُ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلَّم – الظهر ، ثم صَعِدَ المنبرَ فحمدَ الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إنَّ الرَّجُلَ لَيُهْدِى إلىَّ النَّاقَةَ مِنْ إبلى أَعْرِفُها كَمَا أَعْرِفُ بَعْض أَهْلِى ، ثُمَّ أثيبه عليها فَيَظَلُّ يَتَسَخَّطُ عَلَىّ ، لَقَدْ هَمَمْتُ أن لا أَقْبَلَ هَدِيَّةً إلاَّ من قُرَيْشِىٍّ أَوْ أَنْصارِىّ أَوْ ثَقَفِىّ أَوْ دَوْسِىّ » .

---

(١) فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٤٨ أن سلمى هى جدة عبد الله بن على .

(٢) فى المرجع السابق ٢ : ٥٤٩ « أيم بلك »

(٣) الإضافة عن المرجع السابق .

ذكر من قتل فى هذه الغزوة

فمن المسلمين مُحْرِزُ بن نَضلة[1] ، أحد بنى أسد بن خُزَيْمَة ، وابن وقّاص بن مُجَزِّز – بميم مضمومة فجيم فزايين معجمتين ، الأُولى مشددة مكسورة المدْلَجىّ – فيما نقل ابن هشام عن غير واحدٍ من أهل العلم .

ومن الكفار مَسْعَدة بن حَكَمة[2] – بفتحتين ، وأوثار – بضم الهمزة وبالثاء المثلثة عند محمد بن عمر ، وابن سعد ، وبالموحدة عند ابن إسحاق ، وقال ابن عُقبة : أَوْبَار – بفتح الهمزة وسكون الواو فموحدة والله أعلم .

وابنه عمْرُو بن أَوبار ، وحبِيْبُ بن عُيَيْنَة ، وقِرفة بن مالك ابن حُذَيْفة بن بدر ، ووقع عند ابن عقبة : وقِرفة امرأةُ مَسْعدة .

* * *

ذكر بعض ما قيل من الشعر فى غزوة ذى قرد

قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

لَوْلَا الذى لَاقَتْ ومَسَّ نُسُورَهَا ... بجَنُوب ساية أَمْسِ فى التقْوَاد

لَلَقِينَكُمْ يَحْمِلْنَ كُلَّ مُدَجَّجٍ ... حَامِى الحَقِيقَةِ ماجِدِ الأَجدادِ

وَلَسَرَّ أَولادَ اللَّقِيطَةِ أَنَّنَـا ... سِلْمٌ غَداةَ فَوَارِسِ المِقْدَاد

كُنَّا ثَمَانِيَةً وَكَانُوا جَحْفَلاً ... لَجِبًا فَشُكُّوا بالرِّماحِ بَدَادِ

كُنَّا مِنَ [القَومِ][3] الذينَ يَلُونَهُم ... ويُقَدِّمُون عِنَانَ كُلِّ جَوَادِ

١٨٩ ظ

---

(١) هو محرز بن نضلة بن عبد الله الأسدى ، من بنى أسد بن خزيمة ، شهد بدراً – ونضلة بفتح وسكون الضاد المعجمة ، وعن الدارقطنى فتحها ، وحكى البغوى عن ابن اسحاق : محرز بن عون بن نضلة ، وبعضهم يقول : ابن ناضلة – قاله اليعمرى (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٥٠ .

(٢) هو مسعدة بن حكمة الفزارى رئيس المشركين يومئذ ، وهو الذى قتله أبو قتادة وسجاه ببرده (شرح المواهب . ٢ : ١٥٠ .

(٣) سقط فى الأصول ، والإثبات عن السيرة لابن هشام ٢ : ٢٨٦ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٥٤ .

كلا وربِّ الرَّاقِصاتِ إلى مِنىً يَقْطَعْنَ عُرْضَ مَخارِمِ الأَطْوَادِ
حتَّى نُبيلَ الخيلَ فى عَرَصَاتِكُمْ ونَؤوبَ بالْمَلَكَاتِ والأولادِ
رَهْواً بكُلِّ مُقَلَّصٍ وَطِمِرَّةٍ فى كل مُعْتَرَكٍ عَطَفْن رَوادِ
أَفْنَى دَوابِرَهَا وَلَاح مُتُونَهَا يَوْمٌ تُقَادُ بِهِ وَيومُ طِرَادِ
وكذا الرِّعَانُ جيادُنَا مَلْبُونَةٌ[1] والحربُ مُشْعَلَةٌ بريحِ غَوَادِ
وسُيُوفُنَا بِيضُ الحدائدِتَجْتَلِي جُنَنَ الحَدِيدِوهَامَةَ المُرْتَادِ
أَخَذَ الإلهُ عليْهِمُ لِحرامِهِ أيام ذى قَرَدٍ وجوه عِبَادِ[2]

فلما قالها حسَّان بنُ ثابت غضب عليه سعدُ بن زيد ، وحلف أن لا يكلمه أبداً ، ثم قال : انْطَلَقَ إلى خيلى وفوارسى فجعلها للمقداد ، فاعتذر إليه حسَّان ، وقال : ماذاك أردت ولكن الرّوى وافق اسمَ المقداد ، وقال أبياتاً يُرْضِى بها سعدا

إذا أردتم الأَشدّ الجَلْدا أو ذا غَناءٍ فعليكم سَعْدا
سعد بن زيد لَا يُهَدُّ هدًّا

فلم يقبل منه سعد ولم يُغْنِ شيئا .

وقال كعبُ بن مالك فى يوم ذى قَرَد للفوارس :

- أَتَحْسَبُ أولادُ اللقيطة أنَّنا على الخيل لسنا مثلهم فى الفوارس
وإنَّا أناسٌ لا نَرَى القتل سُبَّةً ولا نَنْثَنِى عند الرِّماح المَدَاعِس
وإنَّا لَنَقْرِى الضيْفَ من قمع الذُّرى ونضربُ رأس الأَبلجِ المُتَشَاوِس
نردُّ كُماةَ المُعْلِمِين إذَا انْتَخَوْا بِضَرْبٍ يُسَلِّى نخوةَ المُتَقَاعِس
بِكلِّ فَتىً حامِى الحقيقةِ ماجدٍ كريمٍ كَسِرْحَانِ الغَضَاةِ مُخَالِس

---

(١) فى السيرة لابن هشام ٢ : ٢٨٦ « فكذاك إن جيادنا ملبونة » .
(٢) فى السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٨٦ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٥٥
أخذ الإلــه عليهم لحــرامه ولعزة الرحمن بالأسداد
كانوا بدار ناعمين فبدلوا أيام ذى قرد وجوه عباد

يذُودُون عَنْ أحْسَابِهِم وَتِلَادِهِم ... ببيض تَقُدُّ الهَامَ تَحْتَ الْقَوَانِسِ

فسائل بنى بدرٍ إذَا ما لَقِيتَهُم ... بِمَا فَعَل الإِخْوانُ يومَ التَّمَارُسِ

إذا مَاخَرَجْتُم فاصدقُوا مَنْ لقيتُم ... ولا تكتمُوا أخباركم فى المجالِسِ

وقُولُوا زَلِلْنَا عَنْ مَخَالِبِ خَادِرٍ ... بِهِ وَحَرٌ فِى الصَّدْرِ مَا لَمْ يمارس

قال ابن إسحاق :

وقال شدّاد بنُ عارض الجُشَمِىّ فى يوم ذى قَرَد ، يعنى لِعُيَيْنَة بنِ حِصن ، وكان عُيَيْنَةُ يكنى بأَبِى مَالك :

فَهلاَّ كَرَرْتَ أَبَا مَالِكٍ ... وخَيْلُكَ مُدْبِرَةٌ تُقْتَلُ

ذَكَرْتَ الإياب إلى عَسْجَدٍ ... وَهَيْهَاتَ قَدْ بَعُدَ المُقْفَلُ

وطمّنْتَ نَفْسَكَ ذا ميعةٍ ... مِسَحَّ النَضَال إذا يُرْسَلُ

إذا قَبَّضَتْهُ إليكَ الشما ... لُ جَاشَ كما اضطَّرَمَ المِرْجَلُ

فَلَمَّا عَرَفتُمْ عِبَادَ الإلـ ... ـه لَمْ يَنْظِر الآخِرَ الأَوَّلُ

عَرَفْتم فَوَارِسَ قَدْ عُوِّدُوا ... طِرَادَ الْكُمَاةِ إِذَا أَسْهَلُوا

إِذَا طَرَدُوا الخَيْلَ تَشْقَى بِهِمْ ... فِضَاحًا وإنْ يُطْرَدُوا يَنْزِلُوا

فَيَعْتَصِمُوا فِى سَوَاءِ المُقَا ... م بالْبِيضِ أَخْلَصَها الصَّيْقَلُ

تَنْبِيهَاتٌ

١٩٠ و

الأول : ذو قَرَد — بفتح القاف والراء ، وحُكِى الضّم[1] فيهما ، وحُكِىَ ضم أوله وفتح ثانيه . قال الحازمىّ — رحمه الله — : الأَوّل ضبطُ أصحاب الحديث ، والضم عن أهل اللغة ، وقال البَلاذُرىّ — رحمه الله — الصَّواب الأول . : وهى عَلَى نحو بريد مما يلى بلاد غَطَفَان ، وقيل على مسافة يوم ، قال السهيلى : والقَرَدُ فى اللغة الصّوفُ .

---

(١) قاله الحافظ كما فى شرح المواهب ٢ : ١٤٨ ، وماجاء هنا من الضبط والاختلاف فيه من الأقوال لايخرج عماهناك .

الثانى : قال البخاريّ فى صحيحه فى غزوة ذى قَرَد : كانت قبل خَيْبَر بثلاث ، وذكرها بعد الُحَدَيْبِيَة قبْل خَيْبَر .

قال الحافظُ : ويؤيد ذلك ما رَوَاهُ الإمام أحمد ومسلمٌ مِنْ حديث إياس بن سلمة ابن الأكوع عن أبيه فذكر قصة الحُدَيْبِيَة ، ثم قصة ذى قَرَد ، وقال فى آخرها : فرجعنا - أى من الغزوة - إلى المدينة ، فَوَالله ما لَبِثْنَا بالمدينة إلاَّ ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خَيْبَر .

وأما ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر وابن سعد فقالوا : كانت غزوة ذى قَرَد فى سنة ستّ قبل الحُدَيْبِيَة .

قال محمد بن عمر وابن سعد فى ربيع الأوّل .

وقيل فى جمادى الأُولى .

وقال ابن إسحاق فى شعبان فيها ، فإنه قال : كانت غزوة بنى لحْيَان فى شعبان سنة ست ، فلمّا رجع رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة لم يُقِمْ إلاَّ لَيَالِى حتى أغارَ عُيَيْنَة بنُ حِصْن على لِقَاحِهِ - صلى الله عليه وسلم - قال ابن كثير : وما ذكره البُخاريّ أشبه بما ذكره ابن إسحاق .

وقال أبو العباس القرطبى - وهو شيخ صاحب التذكرة والتفسير - تبعاً لأبى عمر - رحمهم الله : لا يختلفُ أهل السِّيَر أنّ غزوة ذى قَرَد كانت قبل الحُدَيْبِيَة ، يكون ما وقع فى حديث سلمة وَهْمٌ مِنْ بَعْضِ الرّواة .

قال[1] : ويحتمل أن يجمع بأنْ يقال يُحْتَمَلُ أن يكون - صلى الله عليه وسلم - أغْزَى سَرِيّةً فيهم سلمة بُن الأَكْوَع إلى خَيْبَر قبل فتحها ، فأخبر سلمة عن نفسه وعمّن خَرَجَ معه ، يعنى حيث قال : خرجنا إلى خَيْبَر قال : ويؤيده أن ابن إسحاق

---

(١) أى أبو العباس القرطبى كما فى شرح المواهب ٢ : ١٤٨ .

ذكر أنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أغزى إليها عبدَ الله بن رَوَاحَة قبل فتحها مرّتين . انتهى .

قال الحافظ – رحمه الله – تعالى : وسِياقُ الحديث يأبى هذا الجمع ؛ فإن فيه بعدَ قوله : خَرَجْنَا إلى خَيْبَر مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فجَعَل عمّى يَرْتجِزُ بالقوم ، وفيه قول النبي – صلى الله عليه وسلم – من السّائِق وفيه مبارزة عمه لمرحب وقتل عامر ، وغير ذلك مِمَّا وقع فى غزوة خَيْبَر حيث خرج إليها رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فعلى هذا ما فى الصحيح أَصَحُّ مما ذكره أهل السِّيَرَ .

قال الحافظ : ويحتمل فى طريق الجمع أن تَكُونَ إغارة عُيَيْنَة بن حِصن على اللِّقَاح وقعت مرَّتَيْن ؛ الأُولى التى ذكرها ابن إسحاق وهى قبل الحُدَيْبِيَة ، والثانية بعد الحُدَيْبِيَة قبلَ الخروج إلى خَيْبَر .

وكان رأْس الذين أغاروا عبدَ الرحمن بن عُيَيْنَة كما فى سياق سلمة عند مسلم ، ويؤيّدهُ أنّ الحَاكِمَ ذكر فى الإكليل / أنَّ الخروج إلى ذى قَرَد تكرَّر ، فى الأُولى خرج إليها زيدُ بن حَارِثة قَبْل أُحُد ، وفى الثانية خرج إليها النَّبيّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – فى ربيع الآخر سنة خمس ، والثَّالثة هذه المُخْتَلَفُ فيْها – انتهى . فإذا ثبت هذا قوى الجمعُ ، الذى ذَكَرْتُه ، والله أعلم[1] .

١٩٠ ظ

الثالث : فى حديث سلمة عند مسلم : أن عبدَ الرّحمن بنَ عُيَيْنَة بن حِصن أغار على اللِّقاح ، وفى حديثه عند الطَّبرانى أنّه عُيَيْنَة بنُ حِصن ، ولفظ ابن عقبة : أنه عُيَيْنَة بنُ بدر ، ويقال إن مسعدة كان رئيساً للقوم فى هذه الغزوة ، ولا مُنَافَاة بين ماذُكر ؛ فإنَّ كُلاًّ منهما كان رئيساً فيهم ، وكان حاضراً .

الرابع : حديث سلمة – رضى الله عنه – أنه استنقذ جميع ظَهْر رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وعبارة بن عقبة : استنقذوا السّرح . والذى ذكره ابنُ إسحاق ،

---

(١) أنظر هذه الأقوال والجمع بينها فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٤٨ .

وابنُ عمر ، وابنُ سعد وغيرهم أنه استنقذ من اللِّقاح عَشْرة فقط ، وما فى حديث سلمة ــ رضى الله عنه ــ هو المعتمد[1] ، لصحة سنده .

الخامس : فى حديث سلمة ــ رضى الله عنه ــ أنّ رسولَ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ركبَ فى رجوعه إلى المدينة العضْبَاءَ ، وأَرْدَفَ سلمة وراءه ، وفى حديث عِمْرَانَ بنَ حُصَيْن السّابق : إن امرأة أبى ذرّ أخذتها من العدو وركبتها .

السادس : فى بيان غريب ما سبق :

حِصْن ــ بكسر الحاءِ الفَزَارىّ ــ بفاءٍ مفتوحة فزاى فألف فَرَاءٍ : قبيلةٌ من غَطَفَان .

غَطَفان : بفتح الغين المعجمة والطاء المهملة المثالة ، وبالفاء .

اللِّقَاح ــ بكسرِ اللام ، وتخفيف القاف فمهملة : ذواتُ اللَّبن من الإبل ، واحدها لَقْحة ــ بكسر اللام وفتحها ، واللَّقُوح : الحلوب .

عُيَيْنَة ــ بضم العين المهملة وكسرها .

البَيْضَاء ــ تأنيث أبيض : اسم موضع عند الجبل .

الغابة ــ بالغين المعجمة ، والموحدة : مال من أموال عوالى المدينة[2] .

الأَثل : شجر عظيم لا ثَمَرَ له ، الواحدةُ أثلة .

---

(١) يقول الزرقانى فى شرح المواهب ٢ : ١٥٣ « قاله الشامى أى صاحب سبل الهدى والرشاد وهو المعتمد لصحة سنده قلت وقد رواه ابن سعد نفسه عن سلمة مثل رواية مسلم كما سلف ، وما أسنده مقدم على ما ذكره بلاسند فكيف وقد وافقه الشيخان . . الخ . . » .

(٢) جاء فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ١٤٨ « قال الشريف : ووهم من قال من عوالى المدينة ، كيف وهو مغيض مياه أوديتها بعد مجتمع الأسيال ، ثم قال : وكان بها أملاك لأهلها استولى عليها الخراب ، وبيعت فى تركة الزبير بألف ألف وستمائة ألف » .

ويقول السمهودى فى وفاء الوفا ٤ : ١٢٩١ « وعوالى المدينة على أربعة أميال وقيل ثلاثة وهذا حد أدناه ، وأبعدها ثمانية أميال » وانظر الخلاف هناك .

الطَّرْفاء : شجر من شجر البادية وشطوط الأنهار ، واحدتها طَرَفة بفتح الطاء والرّاء مثل قصبة وقصباء .

يثوب : يرجع .

الضاحية : الناحية البارزة .

ذويه : أصحابه .

أَحْدَق به – بهمزة مفتوحة فحاء مهملة ساكنة فدال مهملة فقاف : أطاف .

قبل أن يُؤَذَّن بالأُولى : يعنى صلاة الصّبح .

الظَّهْرُ : الرِّكَاب التى تحملُ الأَثْقَال فى السَّفر .

أُندِّيه – بضم أوّله وبالنّون وتشديد الدّال المهملة ؛ والتَّنْدِية أن يورد الماء ساعة ، ثم يرد إلى المراعى ساعة ثم الماء ، كذا قال أبو عبيد والأصمعى وقال ابن قُتَيْبَةَ : إنما هو أُبَدِّيه – بالموحدة ؛ أى أخرجه إلى البدو ، وأنكر الأوّل . وقال : ولا يكون إلا للإبل خاصة.وقال الأصمعى:التندية تكون للإبل والخيل ، أو هو الصحيح وهذا الحديث يشهد له . وخطأ الأزهرى ابن قُتَيْبَة وصَوَّبَ الأَوّل .

السَّرْح – بفتح السين وسكون الراء وبالحاء المهملات : المال السَّائِم المُرْسَلُ فى المرعى .

سَلْع بفتح السّين المهملة ، وسكون اللاّم ، وبالعين المهملة : جبلٌ بالمدينة

يا صَبَاحَاه : كلمة تقال عند اسْتِنْفَارِ مَنْ كان غافلاً عن عدوّهِ ؛ لأنهم أكثر ما يغيرون / عند الصّباح ، ويسمّون يَوْمَ الْغَارَة يَوْمَ الصَّبَاح . ١٩١ و

اللَّبَّتان : تشنية لَابَة : وهى الحَرَّةُ ؛ وهى الأرض ذات الحجارة السّود .

أُرَدِّيهم – بضم الهمزة ، وفتح الرّاء ، وتشديد الدّال المهملة : يرميهم .

أعقر بهم : أقتلُ دوابهم .

الأَكْوَعُ – بهمزة مفتوحة ، فكاف ساكنة ، فواو مفتوحة ، فعين مهملة العظم الكَاع : الكوعُ ؛ وهو طرَفُ الزند مِمَّا يلى الرّسْغ ؛ والكوع طرفه الذى يلى الابهام ، والكاع طرفه الذى يلى الخنصر وهو الكرسوع والكوع أخفاهما وأشدهما ، دَرْمَةٌ ؛ والدَّرْم أن لا يظهر للعظم حَجْمٌ .

اليومُ يومُ الرُّضّعِ – بالرفع فيهما ، وينصَب الأول ويرفع الثانى على جعل الأوّل ظَرْفاً . قال : وهو جائِز إذا كان الظَّرفُ واسعاً ولم يضق عن الثانى .

الرُّضَّع – بضمٍّ الرَّاءِ كَرُكَّع ، ورضاع : وهو اللئيم . قال السُّهَيْلِىّ : قال أهل اللُّغَة : يقالُ فى اللؤم – رَضَع – بالفتح – يَرْضُع بالضَّمِّ رضاعةً لا غير . وَرَضِعَ الصَّبِىُّ ثَدْىَ أُمِّه يَرْضَعُ بالفتح – رَضَاعًا مثل سَمِعَ . يسمع سماعا ؛ والمعنى اليومُ يومُ هلاكِ اللئام ، والأَصل فيه أن شخصاً كان شديد البخل ، فكان إذا أَراد حلب ناقته ارتضع من ثديها لئلا يحلبها ، فيسمعُ جيرانُه ومَنْ يمرُّ به صوتَ الحلْب فيطلبون منه اللَّبن . وقيل : بل صنع ذلك لئلاَّ يتبددَ من اللَّبن شيئاً إذَا حلب فى الإناء ، ويبقى فى الإناء شيءُ إذَا شربه ، فقالوا فى المثل : « أَلأَم من راضع ». وقيل غير ذلك .

الثنايا : جمع ثنية ، وهى العقبة المسلوكة .

البَرْح – بفتح الموحدة وسكون الراء : الشدة والأذى .

* * *

ذكر حث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى طلب العدو، وشرح غريبه

الْفَزَعَ الْفَزَع : منصوبان بفعل محذوف .

يَا خَيْلَ اللهِ ارْكَبِى : على حذف مضاف ؛ أى يا فرسان خيل الله .

الْأَرْى[1] – بفتح الهمزة وسكون الراءِ ، وتشديد التحتية : مربط الدابة ، وقيل : معلفها . قال فى العين : وقال الأَصمعى : هو حبل مربوطٌ فى الأَرض ويبرز طرفه يربط به الدابة ، وأَصله مِنَ الحبس والإقامة ؛ من قولهم : تَأَرَّى بالمكان : أَقام به .

(١) يبدو أن ضبط الأرى على الوجه الذى ذكره المصنف خطأ ، وقد جاء فى اللسان : الآرى محبس الدابة ، وقال ابن السكيت فى قولهم للمعلف آرى : هذا مما يضرب به الناس فى غير موضعه ، وإنما الآرى : محبس الدابة ، وانظر اللسان (أرى) .

الْحَائِطُ : البستان المحوط عليه .

فَرَساً صَنِيعاً – بفتح الصاد المهملة وكسر النون فتحتية ساكنة فعين مهملة ، فعيل بمعنى مفعول ، يُقال منه صنعت فرسى صُنْعًا ، وصنعة : إذا أحسنت القيام عليه ، فهو صَنِيعْ .

جامًّا[1] – بجيم وميم مشدَّدة : مرتاحاً له مدة لم يُركب .

بَذَّ الْخَيْلَ – بفتح الموحدة وتشديد الذَّال المعجمة : سبقها . بجمَامه : بفتح الجيم .

اللكيعة – بفتح اللام ، وكسر الكاف ، فتحتية ساكنة ، فعين مهملة مفتوحة ، اللئيمة .

من أدباركم : مِنْ ورائكم .

جال الفرس – بالجيم : نَفَر من مكانه

يقتطعوك : يحولون بيننا وبينك .

ثكلته أمه : فقدته .

أَكْوَعُه ، وفى لفظ : أكوعى ، برفع العين فى الأَوّل لفظاً ، وفى الثانى تقديرا ، أى أَنت الأَكوع الذى كنت بُكْرَةَ هذا النهار ، ولهذا قال : نعم . لأَنه / كان أول ما لحق ١٩١ ظ بهم صَاحَ بِهِم : أَنا ابن الأَكوع ، فلما لحق بهم آخر النهار – وقال هذا القول قالوا : أَنت الذى كنت معنا بُكْرَة ؟ قَال : نعم .

إنتظمها : نَفَذَ رُمْحُه أو سَهْمُه فيهما .

الْجُرء – بضم الجيم ، وسكون الراء ، وبالهمزة والْجَرَاءة . بفتحتين ، وبالمد – على الشئ : الهجوم ، والإسراع بالهجوم عليه من غَيْر توقُّف .

---

(١) جاما : يقال حجم الفرس يجم جما وجاماً ، وأجم : ترك فلم يركب « اللسان » .

أصرت أذنيها : جمعتها .

الزَّوْرَاءُ : بفتح الزّاى وبالمد : موضع عند سوق المدينة قرب المسجد .

الشَّوْطُ — بالشين المعجمة والطاء المهملة : مسافة يعدوها الفرسُ كالميدان ونحوه .

ذُبَاب — بذال معجمة تضم وتكسر وموحدتين : جبل بالمدينة .

قمع دابّته : ذَلَّلَها .

يحاكينى : يُساوينى فى المشى .

فنشب — بنون فشين معجمة فموحدة : لبث .

القِدْح : بكسر القاف وسكون الدَّال وبالحاء المهملتين : السهم .

الفَارِه — بفاء وراء مكسورة : الخفيف النشيط .

كليلة : محيطة من جميع جوانبه .

الْمِغْفَر — بكسر الميم ، وسكون الغين المعجمة ، وفتح الفاء وبالراء : زَرَدٌ يُنْسجُ من الدُّروع على قدر الرأس يُجْعَلُ تحت الْقَلَنْسُوَة .

أثبتنى : عرفنى .

المجالدة : المُضَاربة بالسيوف .

الْمُطَاعَنَةُ : المضاربة[1] بالرماح .

مُتَأَبِّطٌ : أخذ شيئاً تحت إبِطِه .

أَلَحَثُّ — بتخفيف الحاء المهملة : أشرت .

---

(١) فى ت . وفى م ، ط « المطاعنة » .

الْمُقَنَّع – بضم الميم ، وفتح القاف ، وفتح النون المشددة ، وبالعين المهملة ، : الذى لبِسَ بيضة .

عَدْو : جَرْى .

يَجُوسُ : أصل الجوس شِدَّة الأختلاط ومداركة الضرب .

الصَّرِيخ : بالمهملة ، وبالخاء المعجمة : الأستغاثة .

الْأَمْدَادُ – جمع مَدَد ، وهم الأعوان والأنصار .

الشعار – بكسر الشين المعجمة : العَلاَمَة فى الحرب .

أَمِتْ أَمِتْ : أمر بالإماتة ، وتقدم بيانه فى غزوتى بدر وأُحد .

السَّطِيحَةُ : المزادَةُ التى تكون من أديمين[1] ، قُوبِلَ أحدهما بالآخر فسطح عليه ، وهى من أوانى المياه .

الْـمَذْقة ـ بفتح الميم ، وسكون الذال المعجمة : القليل من لبن ممزوج بماء .
أجليتهم عنه ـ بفتح الهمزة وسكون الجيم : طردتهم .
حميت القوم الماءَ : منعتهم من الشرب .
النواجذ ـ جمع ناجذ بالذال المعجمة : السن بين الأضراس ؛ والمراد هنا الأنياب .

الْعَضْبَاءُ : ناقة النبى – صلى الله عليه وسلم .

عدا : عدوا على الرجلين .

أَسْجِحْ – بقطع الهمزة ، وسكون السين المهملة ، وكسر الجيم ، وبالحاء المهملة : ارْفُقْ وسَهِّلْ واعف واسمح ، والإِسْجَاحُ : حسن العفو .

يُغْبَقُون – بتحتِيَّةٍ مضمومة ، فغين معجمة ساكنة ، فموحدة مفتوحة ؛ الغبوق : الشرب بالعَشِىّ ، أى يسقون اللبن بالعَشِىّ .

---

(١) كذا فى ط . وفى ت ، م « جلدين » .

يُقْرَون – بضم التحتية ، وسكون القاف ، وفتح الراء يُضَيِّفُون .

يتحسَّبُ – بفتح الحاء والسين المشددة المهملتين فموحدة يتعرَّف ويستخبر .

طفرت – بالطاء والراء المهملتين بينهما فاء : وثبت ونفرت .

رَبَطْتُ نفسى : حبستها عن الجرى .

الشرف : ماآرتفع عن الأَرض .

أَصُكّ بين كتفيه : أَضرب .

* * *

شرح غريب شعر حسان – رضى الله عنه

١٩٢ و النسور – بنون ، فسين مهملة : جمع نسر ، وهو هنا ما يكون[١] فى بطن حافر الدابة / كأَنها نواة أَو حصاة ، وأَضمر ذكر الخيل وإن لم يتقدم لها ذكر ، لأَن الكلام يدل عليها ، وفى الفرس عشرون عضواً كل عضوٍ منهما ، سمى باسم طائر .

ساية – بسين مهملة ، فأَلف فتحتية ؛ اسم قرية جامعة[٢] من عمل الفرع[٣] بها أَكثر من سبعين عينا .

التَّقْوَاد – بفوقية مفتوحة مشددة ، فقاف ساكنة ، وآخره دال مهملة ؛ أَى جَرُّها بالْمِقْوَد من أَمام . والسَّوق : من خلف .

المدجج – بضم الميم ، وفتح الدال ، وفتح الجيم الأُولى وتشديدها وتكسر : الكامل السلاح .

الحامى : المانع .

---

(١) كذا فى ط ، م وفى ت « لحمة يابسة فى بطن » الخ »

(٢) ساية : ويقول السمهودى فى وفاء الوفا ٤ : ١٢٣١ « واد من أعمال المدينة و فى ساية نخل ومزارع وموز ورمان وعنب ، وأصلها لولد على بن أبى طالب ، وفيها من أفناء الناس ، ويطلع عليها جبل السراة دون عسفان .

(٣) الفرع : من أعمال المدينة على مرحلة ـ وقيل على ثمانية برد منها . وهى قرية غناء كبيرة بها منبر ونخل ومياه كثيرة ، وأجل عيونها عينان إحداها الربض ، والأخرى النجف يسقيان عشرين ألف نخلة ، وهى كالكورة فيها عدة قرى ـ وانظر (وفاء الوفا ٤ : ١٢٨١ ، ١٢٨٢) .

الحقيقة : بحاء مهملة ، وقافين بينهما تحتية : ما يحقُّ على الرجل أن يحميه .

الماجد : الشريف .

بنو اللَّقِيطَة : هم المُلْتَقَطُون الذين لا يُعرف آباؤهم .

السِّلم – بفتح السين المهملة ، وكسرها : الصلح .

الْجَحْفَل – بجيم مفتوحة ، فحاء مهملة ساكنة ، ففاء مفتوحة ، فلام ؛ الجيش الكثير .

اَللَّجِب – بفتح الهمزة واللام الثانية : وكسر الجيم ، وبالموحدة : الكثير الأَصوات .

شُكُّوا : بشينٍ معجمة ، فكاف مشددة ، والشَّك – بالفتح هنا الطعن ، ورُوى باللاَّم ، وهو الطرد .

بَدَاد – بموحدة مفتوحة فدالين مهملتين من التَّبدُّد ؛ وهو التَّفَرُّق ؛ بُنِى على الكسر ، وهو فى موضع نصب ، كانتصاب المصدر فى قولك : مشيت القهقرى ، وقعَدْتُ الْقُرْفُصَاءَ ، كأَنه قال : طعنوا الطَّعنَة التى يُقال لها بَدَاد .

الجواد : من الخيل السريع .

الرَّاقِصَات . هنا الإبل ؛ والرَّقْص والرَّقَصَانُ ؛ ضرب من مشيها .

الْمَخَارِم[1] – بالخاء المعجمة جمع مَخْرِم : وهو ما بين الجبلين .

الْأَطْوَاد : الجبال المرتَفِعة .

نُبِيل الخيل ، من لفظ التْبول ؛ أى نجعلها تَبُول .

نَؤُوب : بفتح الفوقية ، وبالهمزة : نرجع .

الْمَلَكَاتِ : النساء اللاَّتى أُملكن .

---

(١) وفى اللسان « المخارم : أفواه الفجاج ، والمخارم الطرق . وقيل الطرق فى الجبال وأفواه الفجاج .

الرَّهْوُ : بفتح الراء [المشى فى[1]] سكون .

الْمُقَلَّص : المشمر .

طِمِرَّة فرس : وَثَّابَة سريعة .

الْمُعْتَرَك : موضع الحرب .

رَواد : مَنْ رواه بفتح الراء فَمَعناه : سريعات ، مِنْ رَدَى الفرسُ يُرْدِي : أسرع ؛ أى تُرْدِي بفرسانها ، أى تسرع . ومَنْ رواه بكسر الراء فهو من المشى الرُّويد ، وهو الذى فيه فتور .

دَوَابرَها : أواخرها .

لَاحَ : غَيَّر وأَضْعَف .

متونها : ظهورها .

الطِّرَاد : مطاردة الأبطال بعضهم بعضاً .

الجياد : جمع جواد ، تقدم .

مَلْبُونَةٌ : تسقى اللَّبن .

مُشْعَلَةٌ : موقدة .

غَوَادٍ ـ جمع غادية .

تَجْتلى ـ بفوقية مفتوحة ، فجيم معجمة ساكنة ، فموحدة ، فلام مكسورة ؛ تَقْطَع .

الجُنَنُ ـ بضم الجيم ، ونونين جمع جُنَّة : الترس وكذلك السلاح .

الهامة : الرأس .

---

(١) بياض فى الأصول . والمثبت يقتضيه السياق .

الْمُرْتَاد : الطالب للحرب هنا .

الأَسْدَادِ : جمع سَدّ ، بفتح السين : ما يسدبه على الإنسان فيمنعه عن وجهه .

عِبَاد ـ بكسر المهملة : أحد جمع عبد .

* * *

شرح غريب قصيدة كعب بن مالك ـ رضى الله عنه

نَنْثَنِى : نرجع .

المَدَاعِس : المطاعن ، واحدها مدعس ، يقال دعسه بالرمح إذا طعنه .

القُمُع ـ بقاف ، فميم مضمومتين فعين مهملة جمع قمعة ؛ وهى أعلى سنام البعير .

الذُّرَى ـ بضم الذال المعجمة ، وفتح الراء : الأسنمة .

الأَبْلَخ ـ بفتح الهمزة ، وسكون الموحدة ، وبالخاء المعجمة : المتكبر .

المتشَاوس ـ بفوقية فشين معجمة ، وآخره سين مهملة : الذى ينظر بمؤخر عينه نظر المتكبر .

المُعْلِمين ـ بسكون العين ، وكسر[1] اللام .

الكُمَاة ـ بضم الكاف : الشجعان .

انتخوا : تكبروا .

يُسَلِّى ـ بضم أوله ، وفتح ثانيه ، وتشديد اللام .

النَّخْوة ـ بفتح النون ، وسكون الخاء المعجمة : العظمة والتكبر .

المتقاعِس : الذى لا يلين ولا ينقاد .

السِّرْحَان : الذئب .

---

(١) المعلمين : كذا ضبطه المصنف ، وقد ضبطه محقق السيرة النبوية لابن كثير بفتح اللام ٣ : ٢٩٦ .

الغَضَاةُ : شجرة ، وجمعها غَضًى : ويقال : أخبث الذئاب ذئاب الغضى[1] .

المخالس : الذى يخطف الشئ سرعة على غفلة .

يذودون : يمنعون ويدفعون .

الأحساب : جمع حَسَب بفتحتين : ما يعدُّ من المـآثر .

التِّلاد : بكسر الفوقية : المال القديم .

تَقُدُّ : تقطع .

القَوَانِس ـ بالقاف : أعالى بيض الحديد ، واحدها قونس .

التَّمَارُس : المضاربة فى الحرب والمقاربة

المخالب ـ بميم فخاء معجمة مفتوحتين : جمع مِخْلب ـ بكسر الميم ، ظُفر كل سَبُع من الماشى والطائر ، أو هو لما يصيد من الطير ، والظفر لما لا يصيد .

الخادِرُ : الأسد فى خِدْره ، وهى الأجمة .

الوَحَرُ : بالحاء والراء المهملتين : الحقد .

* * *

شرح غريب قصيدة شداد بن عارض الجشمى ـ رضى الله عنه

الإيَاب : الرجوع .

عَسْجَد : بلفظ اسم الذهب : اسم موضع .

وهيهات : اسم فعل بمعنى بَعُد .

المَقْفَل : الرجوع .

ذُو مَيْعَة : فرسٌ ذو نشاط .

المِسَحّ ـ بكسر الميم ، وفتح السين ، والحاء المشددة ، المهملتين ، الكثير الجرى .

---

(١) الغضى ، ويرسم أيضاً بالألف « الغضا » .

الْفَضَاء – بالفاء المعجمة : المتسع من الأَرض .

جاش – بالجيم ، والشين المعجمة : تحرك وغَلَى .

اضْطَرَمَ : ويروى بالباء ؛ أَى فى جريه ، وبالموحدة ؛ أَى تَحَرَّك .

المرجل : بكسر الميم : القِدْر .

لم ينظر : لم ينتظر .

أَسْهَلُوا : أَخذوا فى سهل الأَرض .

الْفِضَاحُ : الفاضحة – بالفاء ، والضاد المعجمة والمهملة .

الصيقلُ : الذى يزيل ما على السلاح من الصدأ .

الباب الرابع والعشرون

في غزوة خيبر[1]

قال ابن عقبة ، وابن إسحاق : ولمَّا قَدِم رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – المدينة من الحُدَيْبيَة – زاد ابن إسحاق في ذي الحجة – مكث بها عشرين ليلة أَوْ قريباً منها ، ثم خرج غادياً إلى خيبر – زاد ابن إسحاق في المحرم – وكان اللهُ – عَزَّ وجلَّ – وعده إيَّاها وهو بالحُدَيبِيَة ، فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة ، فأعطاه الله – تعالى – فيها خيبر ﴿ وَعَدَكُم اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُم هَذِه[2] ﴾ – خيبر .

قال محمد بن عمر : أمر رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – أصحابَه بالخروج فجدُّوا في ذلك ، واسْتَنْفَرَ مَنْ حَوْلَه مِمَّن شهد الحُدَيْبِية يغزون معه ، وَجَاءَهُ المُخَلَّفُون عنه في غزوة الحُدَيْبيَة ليخرجوا معه رجاءَ الغنيمة ، فقال : « لا تَخْرُجُوا مَعِي إلاَّ رَاغِبِينَ في الْجِهَاد ، فَأَمَّا الْغَنِيمَةُ فَلاَ » .

١٩٣ و قال أنس – رضي الله عنه – : وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –/ لأبي طلحة[3] – رضي الله عنه – حين أراد الخروج إلى خيبر : « الْتَمِسُوا لي غُلاَماً مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمني » فخرج أبو طلحة مُرْدفي وأنا غُلاَم ، قَدْ رَاهَقْت ، فكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا نزل خَدَمْتُه – ، فسمعته كثيراً ما يقول : « اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ

---

(١) وانظر : سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٣٢٨ . والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٨١ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٤٤ – والمغازي للواقدي ٢ : ٦٣٣ – وشرح المواهب للزرقاني ٢ : ٢١٧ .

(٢) سورة الفتح آية ٢٠ .

(٣) وهو زوج أم أنس كما في السيرة الحلبية ٣ : ٣٦

مِن الْهَمِّ وَالْحزن وَالْعَجْز وَالْكَسَلِ وَالْبُخْل وَالْجُبْنِ وضلع الدَّيْن وَغَلَبَة الرِّجَال » رواه سعيد بن منْصُور .

وَاستخلَفَ رسولُ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ على المدينة . قال ابن هشام : نُميلة أىْ بضم النون ، وفتح الميم ، وسكون التحتية ، ابن عبد الله الليثى . ـ كذا قال والصحيح سِباع ـ بكسر السين بن عُرْفُطه ـ بعين مهملة مضمومة فراء ساكنة ففاء مضمومة ، فطاء مهملة كما رواه الإمام أحمد ، والبخارى فى التاريخ الصغير ، وابن خزيمة ، والطحاوى ، والحاكم ، والبيهقى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنهم .

وأخرج معه أُم المؤمنين أم سلمة ـ رضى الله عنها .

ولمَّا تجهز رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلَّم ـ والناس شق على يهود المدينة الَّذين هم مُوادِعُوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعرفوا أنَّه إنْ دَخَل خيبر أهلك أهْلَ خيبر ، كما أهلَكَ بنى قَيْنُقَاع ، والنَّضِير وقُرَيْظَة . وَلَمْ يَبْقَ أحدٌ من يهود المدينة له على أحدٍ من المسلمين حقٌّ إلا لزمه .

وروى محمد بن عمر عن شيوخه ، وأحمد ، والطبرانى عن ابن أبى حَدْرَد[1] بمهملات وزن جعفر ـ بسندٍ صحيح أنه كان لأبى الشَّحْم اليهودى خمسة دراهم ، ولفظ الطبرانى : أربعة دراهم فى شعير أخذه لأهله فلزمه . فقال : أجِّلْنِى فإنى أرجو أن أقدم عليك فأقضيك حقَّك إن شاء الله ، قد وعد الله ـ تعالى ـ نبيَّه أن يُغْنِمَهُ خيبر ، فقال أبو الشَّحْم حسداً وبَغْيًا : أتَحْسَبُون أنَّ قِتال خيابر مثل ما تَلقون من الأعراب ، فيها ـ والتَّوراة ـ عشرةُ آلاف مُقاتل ، وترافعا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « أعْطِه حَقَّه » قال عبد الله : والذى بعثك بالحق ما أقدر عليها قال : أعطه حقه . قال وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا قال ثلاثاً لم يراجع . قال عبد الله : فخرجت فبعتُ [أحد][2] ثَوْبَىَّ بثلاثة دراهم ، وطلبت بقية حَقِّه فدفعته

---

(١) هو عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى (مغازى الواقدى ٢ : ٦٣٤) .

(٢) إضافة عن مغازى الواقدى ٢ : ٣٦٥ .

إليه ولبست ثوبى الآخر .وأعطانى ابن أسلم بن حريش بفتح الحاء وكسر الراء وبالشين المعجمة ثوباً آخر .

ولفظُ الطَّبرانى[(1)] : فخرج به ابن أبى حَدْرَد إلى السُّوق وعلى رأسه عصابة وهو يأتزر بمئزر، فنزع العمامة عن رأسه فأتزرَبها ، ونزع البردة فقال : اشترِ منِّى هذه ، فباعها منه بالدراهم .فمرت عجوز فقالت : مالك يا صاحِبَ رسول اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبرها ، فقالت : هَادُونَك هذا البرد ، فَطَرَحَتْه عليه ، فخرجت فى ثوبين مع المسلمين ، ونفلنى اللهُ ـ تعالى ـ من خيبر ، وَغنمتُ امرأةً بينها وبين أبى الشحم قرابةٌ ، فبعتها منه .

وجاء أبو عَبس ـ بموحدة ـ ابن جَبْر ـ بفتح الجيم وسكون الموحدة ، فقال يا رسُولَ الله ما عندى نفقةٌ ولا زادٌ ولا ثوبٌ أخرجُ فيه ، فأعطاه رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شقة سُنْبُلاَنِيَّة :جنس من الغليظ شبيه بالكرباس. قال سلمة : خرجنا مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع ألا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلا شاعراً فنزل يحدو بالقوم يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينـــا
فاغفر فـــداء لك ما اتقينا وألقينْ سكينـــة علينـــا
وثبّت الأقدام إن لاقينـــا إنا إذا صيـــح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا[(1)]

١٩٣ ظ فقال رسول الله / صلى الله عليه وسلم ـ : « مَنْ هَذَا السَّائِق ؟ قالوا : عامر بن الأكوع قال : « يرْحَمُه الله » وفى رواية « غَفَرَ لَكَ رَبك » . قال : وما اسْتَغْفَرَ رَسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ لإنسانٍ يَخُصُّه إلاَّ اسْتُشْهِد . فقال عُمَرُ ـ وهو على جملٍ : وجَبَتْ يا رسول الله : لولا أمتَعْتَنَا بِعَامر .

(١ ـ ١) مابين الرقين سقط فى الأصول . والإثبات عن شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢١٨ ـ ٢١٩ . والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٤٦ ـ وسيرد شرح المفردات فى شرح غريب الألفاظ مما يدل على سقوط ذلك فى متن الكتاب .

وروى الحارث بن أبي أسامة عن أبي أمامة ، والبيهقي عن ثوبان - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في غزوة خيبر : « مَنْ كَانَ مُضْعِفًا أو مُصْعِبًا فَلْيَرْجِع » . وأمر بلالاً فنادى بذلك ، فرجع ناسٌ ، وفي القوم رجُلٌ على صعب ، فمر من اللَّيل على سواد فَنَفَرَبه فصرعه فلما جاءوا به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « مَا شَأْنُ صَاحِبِكُم ؟ » فأخبروه ، فقال : « يا بلال ، ما كنت أَذَّنْتَ فِي النَّاس ، مَنْ كَانَ مُضْعِفاً أَوْ مُصْعِبًا فَلْيَرْجِعْ » ؟ قال : نعم . فأبى أن يصلى عليه . زاد البيهقي ، وأمر بلالاً فنادى في الناس « الجنة لا تحل لعاص » ثلاثا .

قال محمد بن عمر : وبَيْنَا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - في الطريق في ليلةٍ مُقْمِرة إذْ أبصر رجلا يسيرُ أمامه عليه شيءٌ يبرق في القمر كأنه في شمس وعليه بيضة فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « منْ هَذَا » ؟ فقيل : أبو عَبس بن جبر فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أدركوه[1] » قال : فأدركوني فحبسوني ، فأخذني ما تقدم وما تأخر ، فظننت أنَّه قد أُنْزِلَ فِيَّ أَمْرٌ من السَّماء ، فجعلتُ أتذكَّرُ ما فعلتُ حتى لحقني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « مَالَكَ تَقْدُمُ النَّاسَ لَا تَسِيْرُ مَعَهُم » ؟ قلتُ : يا رسول الله : إنَّ ناقتي نَجِيبة ، قال : فأين الشُّقَيْقَة التي كسوتك » قلت يا رسول الله : بعْتُها بثمانية دَرَاهم ، فتزودتُ بدرهمين وتركتُ لأهلي دِرْهمين[2] ، وابْتَعْتُ هذه البردة بأربعةِ دَرَاهم ، فتبسَّم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال : « أنت والله يا أبا عَبْس وأصحابك من الفقراء والَّذي نَفْسِي بِيَده ، لَئِن سَلِمْتُم وعِشْتُمْ قَلِيْلاً ليكثرنَّ زادُكم ، وليكثرنَّ ما تتركون لِأَهْلِيكم ولتكثرنَّ دَرَاهِمُكُم وَعَبِيدُكُم وَمَا ذَلِكَ لَكُمْ بِخَيْر » . قال أبو عَبْس : فكان والله كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

قال سُويد بن النُّعمان - رضي الله عنه - : إن رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلم - لمَّا وصل إلى الصَّهْبَاء - وهي أدنى خيبر - صلَّى الْعَصْر ، ثمَّ دعا بالأزواد ، فلم يؤت

---

(1) كذا في ط ، وفي ت ، م « احبسوه » .

(2) في المغازي للواقدي ٢ : ٦٣٦ « فتزودت بدرهين تمرا ، وتركت لأهل نفقة درهين » .

إلاَّ بالسويق ، فأمر به فَثُرِّى فأكل رسولُ الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأكلنا معه ، ثم قام إلى المغْرب فَمَضْمَضَ ومضمضنا ثم صلَّى ولم يتوضأْ . رواه البخارى ، والبيهقى .

زاد محمد بن عمر : ثم صلى بالناس العشاء ، ثم دعا بالأَدلاء فجاءَ حُسَيْل بن خارجة[1] [وعبد الله بن نعيم الأشجعى][1] فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لحُسَيْل « يا حُسَيْل : امْضِ أَمَامَنَا حتى تأخذ بنا صدور الأَودية حتى تأْتى خيبر من بينها وبين الشام ، فأَحول بينهم وبين الشام وبين حُلَفائِهم من غَطَفَان » فقال حُسَيْل : أنا أسلكُ بك ، فأنتهى به إلى موضع له طُرُق ، فقال : يا رسولَ الله إن لها طُرُقاً تُؤتى منها كلها .

١٩٤ و فقال رسولُ الله ــ صلى الله عليه وسلم / « سَمِّهَا لِى » وكان رسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يُحبُّ الفأْل الحسن والاسم الحسن[2] ، ويكره الطِّيَرَة ، والاسم القبيح ، فقال : لها طريقٌ يُقَال لَها حَزَن ، وطريق يقال لها : شاش ، وطريقٌ يُقالُ لها حاطب ، فقالَ رسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ « لاَ تَسْلُكها » . قال : لَمْ يَبْقَ إلاطريقٌ واحد يقال له : مَرْحَب ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم « اسْلُكْها » .

* * *

ذكر دعاء رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما أشرف على خيبر

روى ابن إسحاق عن أَبِى مُغِيْث بن عمرو ــ رضى الله عنه ــ وهو بغين معجمة ، وثاء مثلثة عند ابن إسحاق ، وبعين مهملة مفتوحة ففوقية مشدَّدة فموحدة عند الأَمير ، ومحمد بن عمر عن شيوخه ، قالوا » إن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لمَّا أَشرف على خيبر ، قال لأصحابه : « قِفُوا » فوقفوا . فقال : « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمٰواتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ وَرَبَّ الأَرَضِيْنَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ ، وَرَبَّ الشَّيَاطِين وَمَا أَضْلَلْن ، وَرَبَّ الرِّيَاح وَمَا أَذْرَيْنَ فإنا نَسْأَلك مِنْ خَيْرِ هَذِه الْقَرْيَة وَخَيْر أَهْلِها ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيْها ، أَقْدِمُوا بِسْمِ اللهِ » . وكان يقولها لكل قرية يريد دخولها . وَرَوَاه النسائى وابن حِبَّان عن صُهيب .

(١ ، ١) إضافة عن المغازى للواقدى ٢ : ٦٣٨ .

(٢) سقط فى الأصول . والإثبات عن المغازى للواقدى ٢ : ٦٤٠ .

قال محمد بن عمر : ثم سار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتَّى أنتهى إلى المنزلة ؛ وهي سوق لخيبر ، صارت في سَهْمِ زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ فعرّس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بها ساعة من الليل ، وكانت يهودُ لا يَظنُّون قبل ذلك أنَّ رسولَ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم / يغزوهم لمنعتهم وسِلاَحِهم وَعَدَدِهم ، فلما أَحسُّوا بِخُروج رسُولِ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ إليهم قامُوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفاً ، ثم يقولون : محمَّدٌ يغزونا هيهات هيهات !! وكان ذلك شأْنهم ، فلما نزلَ رسولُ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ بسَاحَتهم لم يتحركوا تلك الليلة ولم يصِحْ لهم دِيْك حتى طلعت الشمس ، فأَصبحوا وأَفئدتهم تخفق وفتحوا حُصُونَهم غَادِين معهم الْمَسَاحى ، والكرازين والمكاتل ، فلمَّا نظروا إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ ولَّوا هاربين إلى حصونهم .

١٩٤ ظ

وروى الإمام الشافعي ، وابن إسحاق ، والشيخان من طرق عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : سار رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ إلى خيبر ، فأنتهى إليها ليلاً ، وكان رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ إذا طرق قوماً بليل[1] لم يُغِزْ عليهم حتى يُصبح ، فإذا سمع أَذَانا أَمْسَك ، وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم حتى يُصبح ، فصلينا الصُّبح عند خيبر بغلس ، فلم نسمع أذانا ، فلما أَصبح ركب رَسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ وركب معه المسلمون وأنا رديفُ أبي طلحة ، فأَجرى نَبيّ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانحسر[2] عن فخذ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإني لأَرى بياضَ فَخِذِ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإنَّ قدمى لتمسُّ قَدَمَ رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ

وخرج أهلُ القرية إلى مَزَارِعِهم بمكاتلهم ومَسَاحيهم ، فَلَمَّا رأوا رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ قالوا : محمَّدٌ والخميس . فأَدبروا هرباً . فقال رسولُ الله ـ صلَّى الله

---

(١) سقط في الأصول : والإثبات عن شرح المواهب ٢ : ٢٢١ والبداية والنهاية ٤ : ١٨٣ .
(٢) أى فانحسر إزاره صلى الله عليه وسلم كما سيرد في رواية ابن كثير .

عليه وسلم – ورفع يديه « الله أكبر ، خربت خيبر ، إنَّا إذَا نَزَلْنا بساحَةِ قوم فساء صَباحُ الْمُنْذَرين » .

وروى الترمذى وابن ماجهْ والبيهقىُّ ، بسندٍ ضعيف عن أنس – رضى الله عنه – قال : كان رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – يومَ خيبر على حمارٍ مَخْطُوم برَسَن من ليف ، وتحته إكاف من ليف .

قال ابن كثير : الذى ثبت فى الصحيح ؛ أن رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلم – جرى فى زقاق خَيبر حتى انحسر الإزار عن فخذه فالظاهر أنه كان يومئذ على فرس لا على حمار ، قال : ولعلَّ هذا الحديث – إنْ كان صحيحاً – محمولٌ على أنه ركبه فى بعض الأيام ، وهو مُحَاصِرُهَا[1] .

قال محمد بن عمر – رحمه الله – وجاء الحُبَاب – بضم الحاء المهملة ، وموحدتين ابن المنذر – رضى الله عنه – فقال : يا رسول الله إنك نزلت منزلك هذا ، فإن كان من أمرٍ أمِرْتَ به فلا نتكلم ، وإن كان الرأى تكلَّمنا . فقال – صلَّى الله عليه وسلم – « هُوَ الرَّأى » فقال : يا رسول الله . دَنَوْتَ من الحُصون ، ونزلْتَ بين ظَهْرَى النخل ، والنَّزِّ[2] معَ أنَّ أهل النَّطاة لى بهم معرفة ، ليس قوم أبعدَ مدى سهمٍ منهم ، ولا أعدَل رمية منهم ، وهم مرتفعون علينا ، ينالنا نبلُهم ، ولا نأْمن من بياتهم ، يدخلون فى خَمَر النخل فتحول يا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى موضع بَرِىء من النزّ ومن الوباء نجعل الحرة بيننا وبينهم حتى لا ينالنا نبالهم ونأْمن من بياتهم ونرتفع من النزّ ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « أَشَرْتَ بِالرَّأى ، وَلَكِنْ نُقَاتِلهم هَذَا الْيَوم .

١٩٥ و ودعا رسول الله – صلى الله / عليه وسلم – محمد بن مَسْلَمَة – رضى الله عنه – فقال : « انْظُرْ لَنَا مَنْزِلا بعيدا مِن حصونهم بريئاً من الوباء ، نأْمَنُ فيه مِنْ بَيَاتِهم ، فطاف

---

(١) ويؤيد هذا الجمع مافى السيرة الحلبية ٣ : ٤٠ ، ومافى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٥٠ .

(٢) النز : مايتحلب من الأرض من الماء (الصحاح ٨٩٦) .

محمد حتى أتى الرَّجيع[1] ، ثم رجع إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : يا رسول الله وجدتُ لك منزلاً ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « عَلَى بَرَكَة الله » .

* * *

ذكر ابتدائه – صلى الله عليه وسلم – باهل النطاة

صفَّ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – أصحابه ووعظهم وأنهاهم عن القتال حتى حتى يأْذن لهم ، فعمد رجلٌ من أشجع فحمل على يهودى وحمل عليه اليهودى فقتله ، فقال الناسُ : اَسْتُشْهِدَ فلان ، فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – : « أَبَعْد ما نهيت عن القتال ؟ . قالوا : نعم . فأمر رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – مُنادِياً فنادى فى النَّاس « لا تحل الجنة لعاص » .

وروى الطبرانى فى الصغير عن جابر – رضى الله عنه – أن رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلم – قال يومئذ : « لا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ الْعَدُوّ ، واَسْأَلُوا الله تَعالَى الْعَافِيَة ، فإنكم لَا تَدْرُونَ مَا تُبْتَلونَ بِهِ مِنْهم ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُم فَقُولُوا : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّنَا وربهم ، وَنَوَاصِينَا وَنَوَاصِيهِم بِيَدِك ، وإنمَا تَقْتُلهُم أَنْتَ ، ثُمَّ الْزَمُوا الأَرض جُلُوساً ، فإذا غشوكُم فَانْهَضُوا ، وَكَبِّرُوا » ، وذكر الحديث .

قال ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وابن سعد : وفرّق رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – الرايات ، ولم تكن الرَّايات إلاَّ يوم خيبر ، وإنما كانت الألوية[2] .

وكانت رايةُ رسُول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – سوداءَ من بُرْد لعائشة – رضى الله عنها – تُدْعى العُقَاب ، ولواؤه أبيض ، دفعه إلى عَلِيِّ بْنِ أَبى طالب – رضى الله عنه – ودَفَع رايةً إلى الحُبَاب بن المنذر ، وراية إلى سعد بن عُبَادة ، وكان شعارهم « يَا مَنْصورُ أَمِتْ » .

---

(1) الرجيع : واد قرب خيبر (وفاء الوفا للسمهودى ٤ : ١٢١٧) .

(2) قاله مغلطاى وغيره ، كما فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٢٢ .

وأَذِنَ رسولُ اللهِ ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فى القتال ، وحثَّهم على الصَّبر ، وأوّل حصنٍ حاصره حصن ناعم بالنُّون ، والعين المهملة ، وقاتل ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يوْمَهُ ذلك أشدَّ القتال ، وقاتله أهلُ النَّطَاة أشد القتال ، وتَرّس جماعةٌ من أصحابِ رسولِ الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يومئذ ، وعليه ــ كما قال محمد بن عمر ــ درْعَان وبَيْضة ومِغْفَر ، وهو على فرسٍ يقال له الظَّرِب ، وفى يده قناةٌ وتُرس .

وتقدَّم فى حديث أنس : أنه كان على حمار فيحتمل أنّه كان عليه فى الطريق ، ثم ركِبَ الفرس حال القتال . والله أعلم .

فقَالَ الحُبابُ : يا رسول الله لو تحولت ؟ فقال : « إذَا أَمْسَيْنَا ــ إنْ شَاءَ اللهُ ــ تحوَّلْنَا » .

وجعلت نبل يَهُود تُخَالِط العسكرَ وتجاوزه ، والمسلمون يَلْتَقِطُون نَبْلَهم ثم يردُّونها عليهم . فلَمَّا أمسى رسولُ اللهِ ــ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ــ تحوّل إلى الرَّجيع وأَمَرَ النَّاسَ فتحوّلُوا ، فكان رسولُ اللهِ ــ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ــ يغدُو بالمسلمين على راياتهم حتَّى فتح اللهُ الحصنَ عليهم / ١٩٥ ظ

* * *

ذكر اخذ الحمى المسلمين ورفعها عنهم ببركته ــ صلى الله عليه وسلم

وروى البَيْهَقِى عن طريق عاصم الأحول عن أبى عثمان الفهرى وعن أبى قلابة وأبى نعيم ، والبيهقى عن عبد الرحمن بن المرقع ــ رضى الله عنه ــ ومحمد بن عمر عن شيوخه ـ رحمهم الله ـ تعالى ـ أن المسلمين لمّا قدِمُوا خَيْبَرَ أكلوا الثَّمْرَة الخضراء وهي وَبيئَةٌ وخيمةٌ ، فأكلوا من تلك الثَّمْرَة . فأهمدتهم الحُمَّى ، فشكوا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلَّم ــ فقال « قَرّسوا الْمَاءَ فى الشِّنَان ، فإذا كان بين الأَذَانينَ فَاحْدُرُوا الْمَاءَ عليكم حَدْراً ، واذْكُرُوا اسْمَ اللهِ ــ تَعَالى » فعفلوا[1] فكأنما نشطوا من العقل .

---

(١) وفى السيرة الحلبية ٣ : ٩١ « ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر كان التمر أخضر ، فأكثر الصحابة من أكله ، فأصابتهم الحمى ، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بردوا لها الماء فى الشنان ــ أى القرب ــ ثم صبوا عليكم منه بين آذانى الفجر ، واذكروا اسم الله عليه ، ففعلوا فذهبت عنهم .

ذكر فتحه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حصن الصعب بن معاذ بن النطاة وما وقـــع فى ذلك من الآيات

لم يكن بخيبر حصن أكثر طعاماً ووَدَكاً وماشية ومتاعاً منه ، وكان فيه خمسمائة مقاتل ، وكان الناس قدْ أقاموا أيَّاماً يُقَاتِلُون ليس عندهم طعامٌ إلاَّ العُلَق[1]

وروى محمد بن عمر عن أبي اليسر كعب بن عمر ـ رضى الله عنه ـ : أنّهم حاصروا حِصْن الصَّعْب بن مُعاذ ثلاثة أيام ، وكان حصناً منيعاً ، وأقبلت غَنَمٌ لِرَجُلٍ من يهود ترتع وراءَ حصنهم ، فقالَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ « منْ رَجُل يطعِمُنَا من هذه الغنم » ؟ فقلتُ : أنا يا رسول الله فخرجت أسعى مثل الظَّبي ، وفى لفظ : مثل الظَّليم ، فلمَّا نظر إلىّ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مُوَلِّيًا قال : « اللهم مَتِّعْنَا به » فأدركْتُ الغَنَم ـ وقد دخل أوَّلُها الحصنَ ـ فأَخَذْتُ شاتَيْن من آخرها فاحْتضنتهما تحت يدى ، ثم أقبلت أعدُو كأَنْ ليس معي شيء ، حتى انتهَيْتُ إلى رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فَأَمَرَ بهما فَذُبِحتا ، ثم قَسَّمهما ، فما بقى أحدٌ من العسكر الذين معه مُحَاصِرين الحصن إلاَّ أكل منهما ، فقيل لأَبي اليَسَر : كم كانوا ؟ قال : كانوا عدداً كثيرا .

وروى ابن إسحاق عن بعض مِنْ أَسْلم ، ومحمدُ بن عمر ـ رحمه الله ـ عن معتِّب ـ بكسر الفوقية المشددة ـ الأَسلمى ـ رضى الله عنه ـ واللَّفظ له ، قال : أصابَتْنَا معْشَرَ أَسْلَم مجاعةٌ حين قَدِمْنَا خَيْبَر ، وأقمنا عشْرَةَ أيامٍ على حِصْن النَّطَاة لا نفتح شيئاً فيه طعام ، فأجمعت أَسْلَم أن أرْسَلوا[2] أسماء بنَ حارثة ـ بالحاء المهملة والثاء المثلثة ، فقالوا ائت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقُل له : إنَّ أَسْلَم يقرئونك السّلام ، ويقولون : إنا قَدْ جُهِدْنَا من الجوع والضّعف ، فقال بُرَيْدَةُ بنُ الحُصَيْب ـ بضم الحّاء ، وفتح الصاد المهملتين : والله إنْ رأيتُ كاليوم قط من بين العرب يصْنعون هذا ، فقال

---

(١) العلق : القليل من الشيء . أوهو مايتعلل به قبل الغذاء (محيط المحيط)

(٢) فى المغازى للواقدى ٢ : ٦٥٩ « فأجمعت أسلم أن يرسلوا » .

زيد[1] بن حارثة أخو أسماء »: والله إنى لأرجو أن يكون هذا البعث إلى رسول اللهِ ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ مفتاحَ الخير فجاءه أسماء فقال : يا رسول الله إنّ أسْلم تقرأ عليك السّلام ، وتقول إنّا قد جُهِدْنَا من الجوع والضّعْف ، فأدْعُ الله لنا / فدعا لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ــ ثم قال : « والله ما بيدى ما أُقوّيهم به ، قد عَلِمْتُ حالَهُم ، وأنّهم ليست لهم قوة ، ثم قال : « اللهم فأفتح عليهم أعظم حِصْنٍ فيها ، أكثرها طعاماً ، وأكثرها وَدَكًا » .

ودفع اللِّواءَ إلى الحُبَاب بن المُنْذِر ــ رضى الله عنه ــ وَنَدَبَ النّاس ، فما رجعنا حتى فتح الله علينا حِصْن الصّعب بن مُعاذ .

قالت أُمّ مُطَاع الأَسلمية ــ رضى الله عنها ــ لقد رأيتُ أَسْلَم حين شكَوْا إلى رسول الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ ما شكَوا من شدّةِ الحال ، فندب رسولُ الله ــ صلّى الله عليه وسلم ــ الناسَ فنهضوا ، فرأيتُ أسلم أوّل من أنتهى إلى حِصن الصّعب بن مُعاذ ، فما غابت الشمسُ من ذلك اليوم حتى فتح الله[2] ــ تعالى ــ وما بخيبر حِصْنٌ أكثر طعاماً ووَدَكاً منه ، وكان عليه قتالٌ شديد .

بَرَزَ رَجُلٌ مِن يهود يقالُ له يُوشَع ، يدعو إلى البراز ، فبرز له الحُبابُ بن المُنْذر ، فاختلفا ضرباتٍ فقتله الحُبابُ ، وبرز له آخر يقال له الزّيال ، فبرز له عمَارةُ بن عُقْبة الغِفَارِىّ ، فبادَرَه الغفارى فضربه ضربةً على هامته وهو يقول : خُذْهَا وأنا الغلامُ الغفارىّ ، فقال النّاس « بَطَل جهاده » ، فبلغ رسولَ الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ ذلك فقال : « ما بأْس به يُؤْجَر وَيُحْمَد » .

وروى محمد بن عمر عن محمد بن مسلمة ــ رضى الله عنه ــ قال : رأيتُ رسولَ اللهِ ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ رَمَى بسهمٍ فما أخطأ رجلاً منهم ، وتبسّمَ رسولُ الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ إلىّ ، وأنفرجوا ودخلوا الحصنَ .

---

(١) فى المرجع السابق « هند بن حارثة » .

(٢) كذا فى ط . وفى ت ، م « فتحه الله » .

وروى محمد بن عمر عن جابر ـ رضى اللهُ عنه ـ أنهم وَجَدُوا فى حِصْن الصَّعب من الطَّعَام ما لم يكونوا يَظُنُّون أنه هُنَاك من الشَّعير والتَّمر والسَّمْن والعَسَلِ والزَّيت والوَدَك .

ونادى مُنَادِى رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : كُلُوا وأعلفوا ولا تحملوا ، يقول : لا تَخْرُجُوا به إلى بلادكم .

* * *

ذكر محاصرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ حصن الزبير بن العوام ـ رضى الله عنه ـ الذى صار فى سهمه بعد

رَوَى البيهقىُّ عن محمد بن عمر قال : لمَّا تحولت يهودُ مِنْ حِصْن نَاعِم وحِصْن الصَّعْب بن مُعاذ إلى قُلة الزُّبَيْر[1] حاصرهم رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو حِصْنٌ فى رأس قُلةٍ ، فأقام محاصرهم ثلاثة أيام ، فجاء يهودىٌّ يدعى غزال فقال : يَا أبا القاسم تؤمننى على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النَّطَاة وتخرج إلى أهل الشَّق ؛ فإن أهل الشَّق قد هلكوا رُعباً منك ؟ فأمَّنه رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على أهله وماله ، فقال اليهودى : إنك لو أقمت شهراً ما بالوا ؛ لهم دبُولٌ[2] تحت الأرض يخرجون بالليل فيشربون منها ، ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمتنعون منك ، فإن قطعت عنهم شِرْبَهُم أَصْحرُوا[3] لك ، فسار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى دُبُولهم فقطعها ، فلما قطع عليهم مشاربهم خرجوا وقاتلوا أشد قتال .

وقتل من المسلمين يومئذ نفر ، وأُصيب من اليهود فى ذلك اليوم عشرة ، وافتتحه رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان هذا آخر حُصُون النَّطَاة .

فلما فرغ رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم / من النَّطاة تحوّل إلى الشَّق .   ١٩٦ ظ

---

(١) كذا فى الأصول . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٦٦٦ « قلعة » .

(٢) دبول : الدبول الأنهر الصغيرة (السيرة الحلبية ٣ : ٤٧) .

(٣) اصحروا : برزوا فى الصحراء (نهاية الأرب للنويرى ١٧ : ٢٥٦) وعبارة الواقدى فى المغازى ٢ : ٦٦٧ « فإن قطعت شربهم عليهم ضجوا » .

روى البيهقيّ عن محمد بن عمر – رحمه الله – عن شيوخه – رحمهم الله – قالوا : لما تحوّل رسولُ الله – صلّى اللهُ عليه وسلّم – إلى الشّق وبه حصون ذوات عدد ، فكان أوّل حِصْن بدَأ به حِصْن أُبيّ ، فقام رسُول الله – صلّى الله عليه وسلّم – على قلعة يقال لها سَمْوان[1] فقاتل عليها أهل الحصن ، قتالاً شديداً ، وخرج رجلٌ من يهود يُقال له غزول[2] ، فدعا إلى البراز ، فبرز له الحُبَاب بنُ المنذر ، فاقتتلا فاَختلفا ضربات ، ثم حمل عليه الحُباب ، فقطع يده اليمنى من نصف الذراع ، فوقع السيف من يد غزول ، فبادر راجعاً منهزماً إلى الحصن ، فتبعه الحُبَاب ، فقطع عُرْقُوبَه ، فوقع فَذَفَّفَ عليه ، فخرج آخر ، فصاح : مَن يبارز ؟ فبرز له رجل من المسلمين من آل جحش ، فَقَتَل الجحشيَّ ، وقام مكانه يدعو إلى البراز ، فبرز له أبو دُجانة ، وقد عصبَ رأسه بعصابته الحمراء ، فوق المِغْفَر ، يختالُ فى مشيته ، فبدره أَبُو دُجانة – رضى الله عنه – فضربه فقطع رجله ثم ذَفَّف عليه ، وأخذ سلبه ، درعه وسيفه ، فجاء به إلى رسولِ الله – صلّى الله عليه وسلّم – فنفله رسولُ الله – صلّى الله عليه وسلّم – ذلك ، وأحجم اليهود عن البراز ، فكبّر المسلمون ، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه ، يقدمُهُم أَبُو دُجانة ، فوجدوا فيه أثاثاً ومتاعاً وغنماً وطعاماً ، وهرب من كان فيه من المقاتلة ، وتقحَّمُوا الجُدُرَ كأنهم الظباء حتى صاروا إلى حصن النِّزال[3] بالشّق ، وجعل يأْتى مَنْ بقى من فلّ[4] النّطاة إلى حصن النِّزال ، فغلّقُوه ، وامتنعوا فيه أشدَّ الامتناع ، وزحف رسولُ اللهِ – صلّى الله عليه وسلّم – إليهم فى أصحابه ، فقاتلهم ، فكانوا أشد أهل الشّق رَمْيًا للمسلمين بالنّبل والحجارة ، ورسولُ الله – صلّى الله عليه وسلّم – معهم حتى أصابت النّبْلُ ثِيَابَ رسولِ الله – صلّى الله عليه وسلّم – وعَلِقَت به ، فأخذَ رسولُ الله

---

(١) فى المغازى الواقدى ٢ : ٦٦٧ « سمران » بضم فسكون فراء مفتوحة .

(٢) فى السيرة الحلبية ٣ : ٤٧ ، ونهاية الأرب ١٧ : ٢٥٦ « غزوال » .

(٣) فى مغازى الواقدى ٢ : ٦٦٨ « حصن النزار » وفى البداية والنهاية ٤ : ١٩٨ « حصن البزاة » .

(٤) الفل : الفلول المنهزمة (اللسان) .

صلَّى الله عليه وسلَّم — النَّبْلَ فجمعها ، ثم أخذ لهم كَفًّا مِن حصى فَحَصَب به حِصْنَهُم ، فرجفَ الحصنُ بهم ، ثم سَاخَ فى الأَرض ، حتَّى جاءَ المسلمون فأَخذوا أهله أخذا .

* * *

ذكر انتقاله — صلى الله عليه وسلم — الى حصون الكتيبة(١) وبعثه السريا لوجع راسه وما وقع فى ذلك من الآيات

لما فتح رسولُ الله — صلَّى الله عليه وسلم — حُصُونَ النَّطَاة ، والشّق انْهزمَ من سَلِم منهم إلى حصون الكتِيبة ، وأعظم حصونها القَمُوص ، وكان حصناً منيعاً .

ذكر موسى بن عُقْبَةَ : أن رسولَ اللهِ — صلَّى الله عليه وسلَّم — حاصره قريباً من عشرين ليلة ، وكانت أرضاً وخمة .

وروى الشَّيخان عن سهل بن سَعْد ، والبُخَارِيُّ وابن أَبى أُسامة ، وأَبو نعيم عن سلمة ابن الأَكوع ، وأَبو نعيم ، والبيهقِيُّ عن عبد الله بن بُرَيْدَة عن أَبيه . وأَبو نعيم عن ابن عمر ، وسعد بن أَبى وقَّاص ، وأَبى سعيد الخُدْرىّ ، وعمران بن حُصَين ، وجابر بن عبدالله ، وأَبو ليلى ، ومسلمٌ ، والبيهقىٌّ عن أَبى هُرَيْرَة ، والإمامُ أحمد وأَبو يَعْلَى والبيهقىٌّ عن علىٍّ — رضى الله عنهم — قال بُرَيْدَة — رضى الله عنه — كان رسولُ الله — صلَّى اللهُ عليه وسلَّم — تأخذه الشَّقيقة فيمكث اليوم واليومين لا يخرج ، فلما نزل خيبر أخذته الشَّقِيقَة فلم يخرج إلى الناس ، فأَرسلَ أَبَا بكرٍ — رضى الله عنه — فأَخذ رايةَ رسولِ اللهِ — صلَّى الله عليه وسلَّم — ، ثم نهض فقاتل قتالاً شديدا ، ثم رجع ، ولم يكن فَتْحٌ . وقد جهد ، ثم أَرسل عمرَ — رضى الله عنه — فأَخذ رايةَ رسولِ الله — صلَّى اللهِ عليه وسلَّم — فقاتل قتالاً شديداً هو أَشد من القتال الأَول ، ثم رجع ، ولم يكن فتح . وفى حديث عن على عند البيهقى : أنَّ الغلبةَ كانت لليهود فى اليومين(٢) .انتهى .

---

(١) الكتيبة — بكاف مفتوحة ففوقية ، وقيل مثلثة مكسورة فتحتية ساكنة ، فوحدة — ويقال بضم الكاف (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٢٨) .

(٢) أنظر ذلك وكل القصة فى السيرة الحلبية ٣ : ٤٣ .

فأُخبر رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بذلك فقال : « لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ[1] ، ليس بِفَرَّارٍ ، يُحِبُّ اللهَ ورسوله ، يأخذها عَنْوَةً » وفى لفظ « يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْه » قال بُرَيْدَةُ : فبتْنَا طَيِّبة أنفسنا أن يفتح غداً ، وبات النَّاس يدُوكون[2] ليلتهم أيّهم يُعْطَاهَا ، فلما أصبح [الناس[3]] غدوا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كلهم يرجو أن يُعْطَاهَا ، قال أبو هريرة قال عُمرُ : فما أحببت الإمارة قطُّ حتى كان يومئذ .

قال بُرَيْدَةُ : فما منَّا رجلٌ له مِنْ رسولِ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – منزلة إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرّجل ، حتى تَطَاوَلْتُ أَنَالَهَا ، ورفعتُ رأسى لمنزلةٍ كانت لى منه ، وليس مِنَّةً .

وفى حديث سَلَمَة ، وجَابِر : وكان علىٌّ تخلف عن رسولِ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – لِرمدٍ شديد كان به لا يُبْصر ، فلما سارَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال : لا ، أنا أتخلفُ عن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – !! فخرج فَلَحِقَ برسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال بُرَيْدَةُ : وجاء علِيٌّ – رضى الله عنه – حتى أناخ قريباً ، وهو رمد ، قد عصبَ عينيه بِشِقّ بُرد قطرِى ، قال بُرَيْدَة : فلما أصبح رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – صلَّى الغداة ، ثُمَّ دعا باللِّواء ، وقام قائماً . قال ابن شهاب : فوعظ الناس ، ثم قال : « أين على » ؟ قالوا : يشتكى عينيه ، قال : « فأَرسلوا إليه » قال سلمة : فجئتُ به أقوده ، قالوا كلهم : فأُتى به رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقال له رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم « مالك ؟ » قال : رَمِدتُ حتى لا أبصر ما قُدَّامى . قال : « ادْنُ منِّى » وفى حديث علىٍّ عند الحاكم : فوضع رأسى عند حجره ، ثم بَزَق فى ألية[4]

---

(١) كذا فى ط ، وفى ت ، م « على يديه » .

(٢) يدوكون : كذا فى الأصول ، وفى نهاية الأرب ١٧ : ٢٥٣ ، وشرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٢٣ «يذكرون» والمعنى باتوا فى اختلاط واختلاف ، من الدوكة بمعنى الاختلاط . وسيرد ذلك فى شرح المفرادت .

(٣) الإضافة عن شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٢٣ .

(٤) فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٢٣ « بزق فى ألية راحته » وفى السيرة الحلبية ٣ : ٤٢ « فى كف يده » والألية : اللحمة التى تحت الإبهام ، أو باطن الكف – كما فى شرح المواهب .

يده فدلك بها عينى ، قالوا : فبرأ كأن لم يكن به وجَع قط ، فما وجعهما [على[1]] حتى مضى لسبيله[2] ، ودعا له وأعطاه الراية ، قال سهل فقال على : يا رسول الله أُقاتلهم حتى يكونوا مثلنا . فقال : « أنفُذْ على رِسْلِك حتى تنزل بساحتهم . ثم أدعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله تعالى – وحق رسوله . فوالله لأن يَهْدِىَ اللهُ بكَ رَجُلاً واحدًا خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعم » وقال أبو هريرة : إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال لعلى : « أذهب فقاتلهم حتى يفتح اللهُ عليك ولا تلتفت » قال : علامَ أقاتل الناس ؟ قال : « قاتِلْهُم حتى يَشهدوا أن لا إلهَ إلا الله وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، فإذا فَعَلُوا ذلك فقد مَنَعُوا منك دمَاءَهم وأموالَهُم إلاَّ بِحَقّها ، وحِسَابُهُم على الله » فخرجوا ، فخرج بها [[3] والله يأنح يهرول هرولة[3]] . حتى ركزها تحت الحِصْن فاطّلَع يهوديّ من رأس الحِصْن فقال : من أنتَ ؟ قال : عليٌّ ، فقال اليهودى غلبتهم والذى أنزل التّوراة على موسى ، فما رجع حتى فتح الله تعالى على يدَيْه .

قال أبو نعيم : فيه دلالة على أن فتح على لحصنهم مقدم فى كتبهم بتوجيه من الله وجهه إليهم ، ويكون فتح الله – تعالى – على يديه .

* * *

ذكر قتل على – رضى الله عنه – الحارث واخاه مرحبا ، وعامرا وياسرا فرســان يهود وسبعانها

رَوى محمد بن عمر عن جابر – رضى الله عنه – قال : أوَّلُ من خرج من حصون خَيْبَر – مبارزاً – الحارثُ أخو مرْحب فى عَادِيتِه فقتله علىٌّ – رضى الله عنه – ورجع أصحاب الحَارِثِ إلى الحِصْن ، وبَرَزَ عامِرٌ ، وكان رَجُلاً جَسِيما طويلا ، فقالَ رسولُ الله

---

(١) الإضافة للتوضيح .

(٢) مضى لسبيله : أى مات .

(٣ – ٣) مابين الحاصرتين إضافة عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٥٣ . ويوافقها نهاية الأرب ١٧ : ٢٥٥ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٤٣ والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٣٥ . وموضع المثبت بياض فى الأصول ، لكن ورد فى شرح الغريب لفظ « يأنح » مشروحاً . ولفظ « يهرول » أيضا .

ـ صلى الله عليه وسلَّم ـ حين برزَ وطلع عامِر « أَتَرَوْنَهُ خمسةَ أذرع ؟ » وهو يدعو إلى البراز ، فخرج إليه علىٌّ بن أَبي طالب ـ رضى الله عنه ـ فضربه ضربات ، كل ذلك لا يصنع شيئاً ، حتى ضَرَب ساقية فَبَرَك ، ثم دفَّفَ عليه ، وأخذ سلاحه .

قال ابن إسحاق : ثم برزَ ياسرٌ وهو يقول :

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَر أَنِّى يَـاسِر ... شَاكِى السِّلاح بَطَلٌ مُغَـاوِر

إِذَا اللُّيُـوث أَقْبَلَت تُبَـادِر ... وأَحْجَمَتْ عَنْ صَـوْلَةِ المُسَاوِر

إِن حُسَامى فِيهِ موتٌ حَاضِر

قال محمد بن عمر : وكان من أَشِدَّائِهم ، وكان معه حَرْبَة يَحُوس[1] النَّاس بها حَوْساً ، فبرز له علىٌّ بنِ أَبي طالب ، فقال له الزُّبَيْرُ بن العوّام : أَقسمتُ أَلا خَلَّيْتَ بينى وبينه ، ففعل ، فَقَالَت صفيَّةُ[2] لمَّا خرج إليه الزُّبَيْرُ ـ رضى الله عنها ـ : يا رسول الله يَقْتُلُ ابْنِى ؟ فقال رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « بَلْ ابْنُك يَقْتُلُه ـ إن شاء الله » فخرج إليه الزُّبَيْر وهو يقول :

قد عَلِمَتْ خَيْبَر أَنِّى زَبَّـارْ ... قرمٌ لقَرْمٍ غير نِكْسٍ فـرَّارْ

ابنُ حماةِ المجد ، ابنُ الأَخْيارْ ... ياسرُ لَا يغْرُرْكَ جَمْعُ الكُفَّار

فجمعهم مثل السَّراب الخَتَّارْ

ثمّ التقيَا فقتلهُ الزُّبَيْر ، قال ابن إسحاق : وذكر أن عليًّا هو الذى قتل ياسِرًا .

قال محمد بن عمر : وقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لِلزّبير لما قتل ياسرا فداك عم وخال ثم قال : « لكل نبي حواري وحواريّ الزبير ابن عمّى » .

---

(١) كذا فى الأصول . وفى شرح غريب المفردات أيضاً ـ وفى المغازى للواقدى ٢ : ٦٥٧ « يحوش بها المسلمين حوشاً » والمعنى يسوقهم .

(٢) هى صفية بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله عليه وسلم وأم الزبير بن العوام رضى الله عنه (السيرة الحلبية ٣ : ٤٥)

حديث سلمة بن الأكوع عند مسلم ، والبيهقيّ أن مَرْحَبًا - وهو بفتح الميم ، والحاء المهملة ، وسكون الرَّاء - بينهما - وبالموحدة - خَرَجَ وهو يَخْطُر بسَيْفِهِ ، وفى حديث [ابن[1]] بُرَيْدة عن [أبيه : خرج مرحب[2]] وعليه مِغْفَرٌ [مُعَصْفَر[3]] يمانى وحجَرٌ قد ثقبه مثل البيضة على رأسِهِ ، وهو يرتجزُ ويقول :

قد علمت خَيْبَرُ أنّى مَرْحَبْ شَاكِى السِّلاَحَ بَطَلٌ مُجَرَّبْ
إذا اللُّيُوثُ أَقْبَلَت تَلَهَّبْ[4]

قال سلَمةُ : فبرزَ له عامِرٌ وهو يقول :

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنّى عَامِرُ شَاكِى السِّلاح بَطَلٌ مُغَامِرُ

قال : فاختلفا ضَرْبَتَيْنِ ، فوقع سيفُ مَرْحَب فى تُرْسِ عامر ، فذهب عامر يَسْفُلُ[5] له ، وكان سيفه فيه قِصَر ، فَرَجَع سيفُهُ على نَفْسِهِ ، فقطعَ أَكْحَلَهُ ، وفى رواية عين رُكْبَتِهِ[6]، وكانت فيها نفسه ، قال بُرَيْدَةُ : فَبَرَزَ مَرْحَب وهو يقول :

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنّى مَرْحَبْ شَاكِى السِّلاَح بطلٌ مُجَرَّبْ
إِذَا اللُّيُوثُ أَقبلَت تَلَهَّبْ وأَحْجَمَت عن صَوْلَةَ المغلَّبْ

فَبرَزَ له على بنُ أَبى طالب - رضى الله عنه - وعليه جُبَّة أُرجوان حمراء قد أخرج خَملها ، وهو يقول :

---

(١) إضافة عن ابن كثير فى السيرة النبوية ٣ : ٣٥٤ .
(٢ ، ٣) بياض فى الأصول ، والإثبات عن المرجع السابق ٣ : ٣٥٥ .
(٤) فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٢٥ : إذا الحروب أقبلت تلهب .
ومثل ذلك السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٥٦ ، ٣٥٧ ولكنها أوردت بعد الأبيات كما يلى :

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحينا أضرب إذا الليوث أقبلت تلهب
إن حماى للحمى لا يقرب

(٥) يسفل : الضبط من شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٢٥ ؛ وشرحها بقوله « أى يضربه من أسفل » وفى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٥٦ « يسعل » بالعين المهملة ، ومعناه ينشط .
(٦) أى طرف ركبته الأعلى (شرح المواهب ٢ : ٢٢٥)

أَنَا الَّذِى سمَّتْنِى أُمى حَيْـدَرَه   كَلَيْثِ غَابَات كرِيهِ المنظره[1]

أوفِيهِمُ بالصَّاع كَيْل السَّنْدَرَه[2]

فَضَرَب مَرْحَباً ففلق رأْسهُ ، وكان الفتح .

وفى حديث بُرَيْدَة ، فاختلفا ضَرْبَتَيْن ، فَبَدَرَهُ علىٌّ – رضى اللهُ عنه – بضربةفقدّ الحجر والمغفر ورأسه ووقع فى الأَحْراش وسمع أهل العسكر صوت ضربته وقامَ النَّاسُ مع علىٍّ حتى أَخذَ المدينة .

وروى الإمام أحمد عن على – رضى الله عنه – قال : لما قتلتُ مَرْحَبًا ، جئْتُ برَأْسِهِ إلى رسولِ الله – صلّى الله عليه وسلّم .

* * *

ذكر من زعم من أهل المغازى وغيرهم أن محمدا بن مسلمة – رضى الله عنه – هو الذى قتل مرحبا

روى البيهقىّ عن عُرْوَةَ ، وعن موسى بن عُقْبة ، وعن الزُّهرىّ ، وعن ابن إسحاق ، وعن محمد بن عمر عن شيوخه ، قالوا : واللفظ لابن إسحاق قال : حدّثنى عبد الله ابن سَهْل بن عبد الرحمن بن سهل أخو بنى حارثة عن جابر بن عبد الله – رضى الله عنه – قال : خرج مَرْحَبُ اليهودى من حِصْن خيبر ، وقد جمع سلاحه يقول من يبارز ويرتجز

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَر أَنّى مَرْحَبُ   شَاكِى السِّلاح بطلٌ مُجَـرَّبُ

أَطْعَنُ أَحْيَاناً وَحِينـاً أَضْرِبُ   إذا اللُّيُوث أَقْبَلَت تَحرَّبُ

إن حِماى للْحِمَى لَا يُقْـرَبُ

---

(١) وفى السيرة الحلبية ٣ : ٤٤   ضرغام آجـام وليث قسورة

(٢) وفى شرح المواهب ٢ : ٢٢٥   أكيلهم بالسيف كيل السندرة

وفى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٢٥   أكيلكم بالصاع كيل السندرة

والسندرة : مكيال كبير ، وقيل ضرب من الكيل غراف جراف (نهاية الأرب ١٧ : ٢٥٤ – السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٥٥) .

فأجابه كَعْبُ بنُ مالك فقال :

قَدْ عَلِمتْ خَيْبَرُ أنّى كَعْبُ ... مُفَرِّجُ الغُمَّى جَرِىءٌ صُلْبُ

إذا شبَّتْ الحَرْبُ تلتها[1] الحربُ ... مَعِى حُسَامٌ كالعَقيق عَضْبُ

نطأُكُمْ حتى يَذِلّ الصَّعْـــبُ ... نُعْطَى الجزاءَ أو يفِىءَ النَّهْبُ

بكَفٍّ مَاضٍ ليس فيه عَتْبُ[2]

قال ابن هشام : وأنشدنى أبو زيد ـ رحمه الله :

قَـدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنّى كَعْبُ ... وأَنَّنِى متَى تُشَبُّ الحَـرْبُ / ١٩٨ ظ

مَاضٍ على الهَوْلِ جَرْىءٌ صُلْبُ ... مَعى حُسَامٌ كالعَقِيقِ عَضْـبُ

بكفٍّ ماضٍ لَيْس فيه عَتْبُ ... نَدُكُّكُم حَتّى يَذِلَّ الصَّعْـــبُ

قال : ومرحب بن عميرة .

قال جابر : فقالَ رسولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ : « مَنْ لِهَذا ؟ » قال محمد ابن مسلمة : أنا له يا رسول الله ، أنا والله المَوْتُور الثائر ، قُتِل أخى بالأمس ، قال : « فَقُمْ إليه ، اللَّهُمَّ أَعِنْهُ عَلَيْه » قال : فلمَّا دنا أحدُهُمَا مِنْ صَاحبه ، دخلتْ بينهما شجرة عُمْرِيَّة[3] من شجر العُشَر[4] ،فجعل أحدُهما يلوذ بها من صاحبه ، فكلما لاذ منه بها اقتطع صاحبُه مادونه منها ، حتى برز كلٌّ واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرَّجُلِ القائم ، ما فيها فنن ، ثمّ حمل مَرْحَبٌ على محمد بن مسلمة فضربه ، فاتَّقاهُ بالدَّرقَة ، فوقع سيفهُ فيها ، فَعضّت به فأَمْسَكَتْه ، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله . والله أعلم .

---

(١) كذا فى ط ، وفى ت ، م « وثار الحرب » والمثبت يتفق مع روايات كتب السيرة .

(٢) عتب : كذا فى الأصول . والمعنى كما سيرد فى شرح غريب المفردات وليس فيه مايلام عليه . وفى السيرة لابن كثير ٣ : ٣٥٧ بكف ماض ليس فيـه عيب

(٣) عمرية : أى قديمة وسيرد ضبطها وشرحها فى شرح الغريب .

(٤) العشر : شجر له صمغ وهو من العضاه ـ وسيأتى فى شرح الغريب .

قلت : جزم جماعة من أصحاب المغازى : بأن محمد بن مَسْلَمة هو الذى قتل مَرْحَبًا[1] .

ولكن ثبتَ فى صحيح مسلم ما تقدم عن سَلَمة بن الأكوع أنَّ عَلِيًّا – رضى الله عنه – هو الذى قتل مَرْحَبًا .

ووَرَدَ ذلك فى حديث بُرَيْدة بن الحُصَيب ، وأبى نافع مولى رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وعلى تقدير صحة ما ذكره جابرٌ ، وجزم به جماعة ، فَمَا فى صحيح مُسْلِمٍ مُقَدَّمٌ عليه من وجهين : أحدهما أنه أصحّ إسناداً ، الثانى . أن جابراً لَمْ يشهد خَيْبَر كما ذكره ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وغيرهما ، وقد شهدها سَلَمَةُ وبُرَيْدَةُ ، وأبو رافع – رضى الله عنهم – وهم أعلم ممن لم يشهدها ، وما قيل من أن محمد بن مَسْلَمة ضربَ ساق مَرْحَب فقطعهما ولم يجهز عليه ، ومربه على فأجهز عليه ، يأباه حديثُ سلمة وأبى رافع ، والله أعلم . وصحّحَ أبو عمر – رحمه الله – أنَّ عليا – رضى الله عنه – هو الذى قتل مَرْحَبا ، وقال ابنُ الأثير : إنه الصّحيح .

* * *

ذكر قلع على – رضى الله عنه – باب خيبر

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن حسن عن بعض أهله ، عن أبى رافع مَوْلى رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال : خرجْنَا مع علىّ بن أبى طالب – رضى الله عنه – حين بعثه رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – برايته ؛ فلما دَنَا من الحِصْن خَرَج إليه أَهْلُه فقاتلهم ، فضربه رجلٌ من يهود ، فطرح تُرْسَهُ من يدِهِ فتناول على باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل ؛ حتّى فتح الله – تعالى – عليه ، ثمّ أَلقَاهُ من يده حين فَرَغَ ، فلقد رأيْتُنى فى نفرٍ سبعة أنا ثامنهم ، نَجْهَد على أن نَقلِب ذلك الباب ، فما نقلبه .

---

(١) جاء فى شرح المواهب ٢ : ٢٢٤ « وبه جزم ابن اسحاق ، وابن عقبة ، والواقدى » .

وروى البيهقى من طريقين عن المطلب بن زياد ، عن ليث بن أبى سليم ، عن أبى جعفر محمد بن على – رضى الله عنه – عن آبائه ، قال : حدثنى جابرُ بن عبد الله – رضى الله عنهما – : أنّ علياً – رضى الله عنه – حَمَل الباب يوم خيبر ، حتى صعد عليه المسلمون فافتتحوها ، وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون / رجلا – رجَالُه ثقاتٌ إلا ليثُ ابن أبى سليم – وهو ضعيف . ١٩٩ و

قال البيهقىّ : ورُوِىَ من وجه آخر ضعيف عن جابر قال : اجتمع عليه سبعون رَجُلاً ، وكان أجهدهم أن أعادوا الباب ، قلتُ : رواه الحاكم .

* * *

ذكر اسلام العبد الأسود وما وقع فى ذلك من الآيات(١)

روى البيهقىُّ عن جابر بن عبد الله ، والبيهقىُّ عن أنس – رضى الله عنهم – والبيهقىُّ عن عُرْوَة ، وعن موسى بن عُقْبة : أنَّ عبْدًا حَبَشِيًّا(٢) لِرَجُل(٣) من أهل خَيْبَر كان يرعى غنماً لهم ، لما رآهم قد أخذوا السِّلاحَ واستعدوا لقتالِ رسول اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – سألَهم : ما تريدون ؟ قالُوا : نقاتل هذا الرَّجل ، الَّذى يزعمُ أنه نبىٌّ . فوقع فى نفسه ذكر النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – فخرج بغنمه ليرعاها ، فأخذه المسلمون ، فجاءوا به لرسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وفى لفظِ ابْنِ عُقْبَة : أنه عمد بغنمه إلى رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فكلمه رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ما شاءَ اللهُ أن يكلِّمَه ، فقال الرَّجل : ماذا تَقُول ، وماذا تَدْعُو إليه ؟ قال : « أدعوك إِلَى الإِسْلَام وَأن تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلٰه إِلاَّ الله ، وَأَنِّى رَسُولُ الله ، وأن لاَ تَعبد إِلاَّ الله » . قال العبد : وماذا يكون لى إنْ شَهِدْتُ بذلك ، وآمنت بالله تعالى ؟ قال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – « لَكَ الْجَنَّة إن آمَنْتَ على ذلَك » فأَسلم العبدُ ، وقال : يا رسولَ الله إنى رجلٌ أَسودُ اللون قبيحُ الوجه ، مُنْتِنُ الرِّيح ، لَا مَالَ لى ، فإن قاتلتُ هؤلاءِ حتَّى أُقتل ، أدخل

---

(١) انظر القصة فى السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٩١ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٤٥ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٦١ . وسيأتى فيمن استشهد بخيبر أنه ابن أسلم أو يسار .

(٢) ورد فى هامش ت ، م « إن اسمه عامر اليهودى » كما فى الاستيعاب .

(٣) (هامش ت ، م – والسيرة الحلبية ٣ : ٤٥)

الجنة ؟ قال : « نعم » . قال : يا رسول الله إنَّ هذه الغنم عندى أمانة فكيف بها ؟ فقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ « أخرجها من العسكر ، وارمها بالحصباء فإن الله ـ عزّ وجلّ ـ سيؤدى عنك أمانتك [1] » ففعل ، وأعجب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلمته ، فَخَرَجَتِ الغنم تشتد مجتمعة كَأَنَّ سائقاً يسوقُها حتَّى دخلت كلُّ شاة إلى أهلها ، فعرف اليهودىُّ أنَّ غُلاَمَه قد أسلم ، ثم تقدَّم العبد الأَسود إلى الصفّ ، فقاتل فأصابه سهمٌ فقتله ، ولم يُصَلِّ لله ـ تعالى ـ سجدة قطّ ، فاْحتمَلهُ المسلمون إلى عسكرهم ، فقال رسولُ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ « أَدْخِلُوه الفُسْطَاط » ، وفى لفظ « الخباء » فأدخلوه خباء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتَّى إذا فرغ رسولُ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ دخل عليه ، ثم خرج فقال « لقَدْ حَسُنَ إسلامُ صَاحِبِكُم ، لقد دَخَلْتُ عليه ، وإنَّ عِنْدَه لَزَوْجتين له من الحُورِ العين » .

وفى حديث أنس : فأتى عليه رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو مقتول ، فقال : « لَقَدْ حَسَّنَ اللهُ وجهك ، وطيبَّ ريحَك ، وكثّر مَالَك ، لقد رأيتُ زَوْجَتَيْه مِنَ الْحُورِ الْعين يَنْزِعَان جُبَّته [2] يَدْخُلاَنِ فيمَا بَيْنَ جِلْدِه وَجُبَّتهِ » .

وعند ابن إسحاق « ينفضان التُّراب عن وَجْهِه ، ويقولان : « تَرَّبَ اللهُ وجْهَ من تَرَّبك وَقَتَل مَن قتلك » .

* * *

ذكر نهيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أكل لحوم الحمر الانسية وغيرها مما يذكر

روى الشيخان عن عبد الله بن أَبى أَوْفى ـ رضى الله عنه ـ قال : أصابتنا مجاعةٌ ليالى خَيْبَر ، فلمَّا كان يوم خَيْبَر وقعنا فى الحُمُر الإنسية ، فاْنتحرْنَاها ، فلما غَلَتِ القُدُور ، ونَادَى مُنَادِى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : أن أَكْفِئوا القدور ، ولا تأكلوا من لحوم الحُمُر شيئاً .

(١) ورد فى هامش ت ، م « قال أبو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب : إنما رد الغنم ـ والله أعلم ـ إلى حصن الوطيح أو قبل أن تحل الغنائم »

(٢) فى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٦٢ « يتنازعان جبته عليه » .

وعن أنس – رضى الله عنه – قال : لما كان يوم خَيْبَر ، جاء فقال : يا رسول الله ، فَنِيَتْ الحُمُر ، فأمر أبا طلحة فنادى « إنَّ الله ورسوله يَنْهاكُم عن لحوم الحُمُر » رواه عثمان بن سعيد الدَّارِمىّ بسندٍ صحيح .

وعن ابن عبّاس – رضى الله عنهما – قال : نهى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يوم خَيْبَر عن بيع الغنائم حتَّى تُقْسَم ، وعن الحَبالى أن تُوطَأَ حتى يَضَعْنَ ما فِى بطونهنّ ، قال : « لا تسق زرع غيرك » ، وعن لحوم الحُمُر الأَهلية ، وعن كل ذى ناب من السباع – رواه الدارقطنى .

وعن أَبى ثعلبة الخُشَنِىّ – رضى الله عنه – قال : غزَوْتُ مع رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – خَيْبَر ، والناسُ جياعٌ ، فأَصبنا بها حُمُراً إنسيّةً فَذَبَحْنَاهَا ، فأُخْبِرَ النبىّ – صلَّى الله عليه وسلم – فأَمر عبد الرحمن بن عَوْف فنادَى فى الناس (إنَّ لحوم الحُمُر لا تَحِل لمَنْ يشهد أَنى رسول الله) رواه الإِمام أَحمد ، والشيخان .

وعن سلمة – رضى الله عنه – قال : أَتينا خيبر فحاصرناها حتى أَصابتنا مَخْمصةٌ شديدة : يعنى الجوع الشديد ، ثم إنَّ الله – تعالى – فتحها علينا . فلمَّا أَمسى الناسُ مَسَاءَ اليومِ الَّذى فُتِحَتْ عليهم ، أَوقدوا نيراناً كثيرةً ، فقالَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – « ما هذه النيران ؟ على أَىِّ شىءٍ توقدون ؟ » قالوا : على لحم ، قال : « على أَى لحم » ؟ قالوا : لحم حُمُرٍ إنسيّة ، فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : « أَهرقوها ، واكسروا الدّنان » فقال رجل : أَو نُهريقوها ونغسلها ؟ قال « أَو ذاك » رواه الشَّيخان ، والبيهقىّ .

ورَوَى محمد بن عمر – رحمه الله – تعالى – عن شيوخه : أَن عدة الحمر التى ذبحوها ، كانت عشرين أَو ثلاثين ، كذا رواهُ على الشَّك .

ذكر فتحه – صلى الله عليه وسلم – الوطيح والسلالم
وكانا آخر حصون خيبر فتحا

قال ابنُ إسحاق : وتَدَنَّى[1] رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بالأَموال يأخذها مالاً مالاً ، ويَفْتَحُها حِصْناً حِصناً ، حتَّى انتهوا إلى ذينك الحصنين ، وجعلُوا لا يطلعون من حصنهم حتى همَّ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم أن ينصب عليهم المَنْجنيق ، لما رأى من تغليقهم ، وأنه لا يبرز منهم أحد ، فلما أيقنُوا بالهلكة – وقد حصرهم رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – أربعة عشر يوماً – سأَلوا رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – الصّلْحَ ، فأَرسل كنانةُ بنُ أَبى الحُقَيْق إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم – رجلاًمن اليهود يقال له شماخ يقول[2] (أَنزِلُ فأكلمك؟ فقالرسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : « نعم » فنزل [كنانة[3]] ابن أَبى الحُقَيْق ، ، فصالح رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – على حقن دماء مَن فى حصونهم من المقاتلة ، وترك الذريَّة لهم ، ويخرجون من خَيْبَر وأَرضها بذراريهم ، ويُخلُّون بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبين ما كان لهم من مال وأَرض ، وعلى الصّفراء والبيضاء والكُرَاع والحَلْقة ، وعلى البَزِّ إلاَّ ثَوْباً على ظهر إنسان ، فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – « وبَرِئَت مِنْكُمْ ذِمَّةُ اللهِ وذمّةُ رَسُولِهِ إنْ كَتَمْتُمُونى شَيْئًا » فصالحوه على ذلك ، فأَرسل رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – إلى الأَموال فقبضها الأَوّلَ فالأَوّل ، ووجد فى ذينك الحصنين مائة دِرْع وأَربعمائة سيف ، وأَلفَ رُمحٍ ، وخمسمائة قوس عربيّة بجعابها .

* * *

ذكر سؤال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على حيى
ابن اخطب وماله اللذين حملهما لما اجلى عن المدينة، وما وقع فى ذلك من الآيات

قال محمد بن عمر : كان الحَلْى فى أَوّل الأَمر فى مَسْك حَمَل ، فلما كثر ، جعلوه فى مَسْك ثَوْر ، ثم فى مَسْك جَمَل ، وكان ذلك الحَلْى يكون عند الأَكابر من آل أَبى الحُقَيْق وكانوا يُعِيرُونَه العرب .

---

(١) تدنى : أخذ الأدنى فالأدنى (هامش السيرة النبوية لابن هشام ٣ : ٢٨٥ . والسيرة لابن كثير ٣ : ٣٦٧)

(٢) بياض فى الأصول بمقدار كلمتين . ولكن الكلام متصل .

(٣) الإضافة عن المغازى للواقدى ٢ : ٦٧٠ .

وروى ابنُ سعد والبيهقيُّ عن ابن عمر ، وابنُ سعد - بسند رجالهُ ثقاتٌ - عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي لَيْلَى - وهو صدوق سيء الحفظ - عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس - رضى اللهُ عنهما - : أن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - لما ظهر على أهل خَيْبَر صالحهم على أن يخرجوا بأنفسهم وأهليهم ، وللنبي - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - الصفراء والبيضاء والحَلْقة والسِّلاح ، ويخرجهم ، وشَرَطُوا للنبِى - صلَّى الله عليه وسلَّم - أن لا يكتموه شيئاً ؛ فإن فعلوا فلا ذمَّة لهم .

قال ابن عباس : فأُتى بكنانة ، والربيع ، وكان كنانة زوج صفية ، والربيع أخوه أو ابن عمه ، فقال لهما رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلْم - « أين آنيتكما التى كنتم تُعِيرُونها أهل مكة ؟ » .

وقال ابن عمر : قال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - لعمِّ[1] حُيَى « ما فعل مَسْك حُيَى الذى جاء به من النضير ؟ » فقال : وقال ابن عباس : قالا : « هربنا ، فلم نزل تضعُنا أرضٌ وترفعنا أُخرى ، فذهب فى نفقتنا كلُّ شيء .

وقال ابن عمر : أَذْهَبَتْه النفقات والحروب ، فقال « العهدُ قريبٌ ، والمال أكثر من ذلك » .

وقال ابنُ عبّاس : فقال لهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إنكما إن تكتمانى شيئاً فاَطلعت عليه استحللتُ به دماءكما وذراريكما » . فقالا : نعم .

وقال عُرْوَة ومحمد بن عمر فيما رواه البيهقىّ عنهما : فأخبر الله عزّ وجلّ رسولَه - صلى الله عليه وسلم - بموضع الكنز ، فقال لكنانة « إنك لمغتر بأمر السماء » .

قال ابن عباس : فدعا رسولُ / الله - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - رجلاً من الأنصار فقال : « اذهب إلى قراح[2] كذا وكذا ، ثم ائتِ النخلَ فانظر نخلةً عن يمينك ، أو عن ٢٠٠ ظ

---

(١) هو سعيد بن عمرو (السيرة الحلبية ٣ : ٤٩) .

(٢) قراح : القراح من الأرضين كل قطعة على حيالها من منابت النخل ، وقيل الأرض المخلصة للذرع والغرث وقيل للزرعة التى ليس عليها بناء ولا فيها شجر (تاج العروس ٢ : ٢٠٥) .

يسارك مرفوعةً فأتى بما فيها » فجاءه بالآنيَة والأموال ، فقومت بعشرة آلاف دينار ، فضرب أعناقهما ، وسبى أهليهما بالنّكث الذى نكثاه .

وقال ابن إسحاق : أُتى رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بكنانَةَ بن الرَّبيع ، وكان عنده كنزُ بنى النضير ، فسأله عنه فجحد أن يكون يعلم مكانه ، فأُتى رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ برجلٍ من يهود ، قال ابن عُقْبَة : اسمه ثَعْلَبَة[1] وكان فى عقله شيء ، فقال لرسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إنى رأيتُ كنانة يُطِيفُ بهذه الخَرِبَة كلّ غداة ، فقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لكنانة : « أرأَيتَ إنْ وَجَدْنَاه عِنْدَكَ ، أَقْتُلك ؟ » قال : نعم ، فأَمر رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالخَرِبَة فَحُفِرَت ، وأُخرج منها بعض كنزهم ، ثم سأَله عما بقى ، فأَبى أن يؤدِّيَه ، فأَمر رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الزّبَيْر بن العَوام ، فقال : « عَذِّبْه حتى تستأصل ما عنده » فكان الزّبير ـ رضى الله عنه ـ يقدحُ بِزَنْدِهِ فى صدره حتى أَشرف على نفسه ، ثم دفعه رسولُ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ إلى محمدِ بن مسلمة ، فضرب عُنقه بأَخيه محمود بن مسلمة .

* * *

ذكر ارادته ـ صلى الله عليه وسلم ـ اجلاء يهود خيبر عنها كما وقع شرطهم ، ثم إقراره إياهم يعملون فيها ما أقرهم الله ، وإخراج عمر ابن الخطاب لهم لما نكثوا العهد[2]

روى البخاريّ والبيهقى عن ابن عمر ، والبيهقىُّ عن عُرْوَة وعن موسى بن عُقْبة : أَنّ خَيْبَرَ لمّا فتحها رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ سأَلت يهودُ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يُقِرَّهم فيها على نصف ما خَرَج منها من التَّمر ، وقالُوا : دعنا يا محمد نكون فى هذه الأَرض . نصلحها ، ونقوم عليها ، ولم يكن لرسول اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ولا لأَصحابه غِلْمان يقومون عليها ، وكانوا لاَ يفرغون أن يقوموا عليها ،

(١) وفى السيرة الحلبية ٢ : ١٦٧ ط الحلبية « اسمه سعية بن عمرو عم حيى بن أخطب ، وفى رواية سعية بن سلام بن أبى الحقيق » .

(٢) انظر السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٧٨ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٦٦ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٩٩ ، ونهاية الأرب ١٧ : ٧٣٨ ، والمغازى للواقدى ٢ : ٦٩٠ .

فأعطاهم رسولُ اللهِ ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ خيبر على أنَّ لهم الشَّطر من كلّ زرع ونخل وشيء ما بَدَا لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وفى لفظٍ ، قالَ رسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم « نقركم فيها على ذلك ما شئنا ، وفى لفظ « ما أقركم الله » .

وكان عبدُ الله بنُ رواحةَ يأتيهم كلَّ عامٍ فيخرصها عليهم ، ثم يضمنهم الشطر ، فشكوا إلى رسولِ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ [شدة خرص[1]] ابن رواحة ، وأرادوا أن يَرْشُوا ابن رواحة ، فقال : يا أعداء الله ، تُطعمونى السُّحْتَ ؟ والله لقد جئتكم من عند أحبِّ النّاس إلىَّ ، ولأنتم أبغضُ إلىَّ من عِدَّتكم من القردة والخنازير / ولا يحملنى بغضى ١٠٢ و إيّاكم وحبِّ إيَّاه على أن لا أعدل عليكم فقالُوا : بهذا قامت السَّموات والأرض ، فأقاموا بأرضهم على ذلك .

فلمّا كان زمان عمر ، غشّوا المسلمين ، وألقوا عبْدَ اللهِ بن عمر من فوق بيت فَفَدَعُوا يديه ، ويقال بل سحروه باللَّيل وهو نائم على فراشه ، فكوع حتى أصبح كأنه فى وثاق ، وجاء أصحابه ، فأصلحوا من يديه ، فقام عمر خطيباً فى النَّاس ، فقال : إنَّ رسولَ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ عامل يَهُودَ خيبر على أموالها ، وقال : نقركم ما أقركم الله ، وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك فعُدِىَ عليه من الليل ، فَفُدِعَت يداه ، وليس لنا هناك عدوٌّ غيرهم ، وهم تهمتنا ، وقد رأيت إجلاءهم . فمن كان له سهم بخيبر فليحضر حتّى نقسمها ، فلما أجمع على ذلك ، قال رئيسهُم ، وهو أحد بنى الحُقَيْق : لا تخرجنا ودعنا نكون فيها كما أقَرَّنا أبو القاسم وأبو بكر ، فقال عمر لرئيسهم : أتراني سقط عنِّى قولُ رسولِ الله ــ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ــ « كَيْفَ بك ، إذَا ارفَضَّت[2] بك راحلتك تَوُمُّ الشَّامَ يَوْمًا ، ثم يوما ؟ » وفى رواية : أظننت أنّى نسيتُ قولَ رسولِ اللهِ ــ صلَّى الله عليه وسلَّم « كيف بك إذَا خرجت من خيبر يَعْدُوبك قلوصك ليلة بعد ليلة » فقال : تلك هُزَيْلَةٌ من أبى القاسم ، قال : كَذَبْتَ ، وأجلاهم عمر ، وأعْطاهم

(١) الإضافة عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٧٨ .

(٢) ارفضت : أى سال عرقها . وفى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٧٩ « وقصت » بمعنى أسرعت .

قيمةَ مالهم من التمر : مالاً ، وإبلاً ، وعروضاً من أقتابٍ وحبال ، وغير ذلك ، وسيأتى فى أبواب الوفاة النبوية قوله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : « أخرجوا اليهود من جزيرة العرب » .

* * *

ذكر قصة الشاة المسمومة وما وقع فى ذلك من الآيات[1]

روى الشيخان عن أنس ، والإمامُ أحمدُ ، وابنُ سعد ، وأبو نعيم عن ابن عباس ، والدارمىُّ ، والبيهقىُّ عن جابر ، والبيهقىُّ بسندٍ صحيح ـ عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك ، والطَّبرانىُّ عنه عن أبيه ، والبزار والحاكم ، وأبو نعيم عن أبي سعيد ، والبيهقىّ عن أبي هُرَيرة ـ رضى الله عنهم ـ والبيهقىُّ عن ابن شهاب ـ رحمه الله تعالى ـ : أنَّ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لما افتتح خيبر ، وقتل من قتل ، واطمأَن الناسُ ، أهدت زينب ابنة الحارث امرأة سَلاَم بن مِشْكَم ، وهى ابنة أخى مَرْحَب ـ لصَفِيّة امرأته [شاة[2]] مَصْلِيَّة ، وقد سأَلت : أىّ عُضْوِ الشَّاة أَحبُّ إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ؟ فقيل لها الذراع ، فأَكثرت فيها من السّمّ ، ثم سمَّت سائِر الشاة ، فدخل رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على صفية ومعه بِشْرُ بنُ البراء بن مَعْرُور ـ بمهملات ـ فقدّمت إليه الشَّاةَ المَصْلِيَّة ، فتناول رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الكتف ، وفى لفظٍ : الذِّراع ، وانتهس[3] منها فلاكها رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وتناول بشرُ ابن البراء عظماً ، فانتهس منه .

قال ابن إسحاق ، فأَما بِشْر فأَساغها ، وأما رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فلَفَظَها ، وقال ابنُ شهاب : فلما استرط[4] رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقمته

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٣٧ ، وشرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٣٩ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٦٣ والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢٠٨ – ٢١١ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٩٤ ، والمغازى للواقدى ٢ : ٦٧٧ .

(٢) إضافة يقتضيها السياق . وهى فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٣٩ .

(٣) انظر شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٤٢

(٤) فى شرح المواهب ٢ : ٢٤٤ (ازدرد رسول الله) .

آسترط بشرُ بن البراء ما فى فيه / فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – آرفعوا ما فى أيديكم ، فإنَّ كتف هذه الشَّاة تخبرنى أنى نُعيت فيها . ٢٠١ ظ

قال ابن شهاب : فقال بشرُ بنُ البراء : والذى أكرمك لقد وجدتُ ذلك فى أُكلتى التى أكلت فما منعنى أن ألفظها إلا أنى أعظمت أن أنغصك[1] طعامك ، فلمَّا سغت ما فى فيك لم أكن لأرغب بنفسى عن نفسك ورجوت ألا تكون اسْتَرطْتها ، وفيها نعى . فلم يقم بشرٌ من مكانه حتى عاد لونه كالطَّيْلَسان ، وماطله وجعه حتى كان لا يتحول إلا أن حُوِّل . قال الزهرى قال جابر : واحتجم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على كاهله يومئذ ، حجمه أبو هند مولى بنى بياضَة بالقرن والشفرة ، وبقىَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد ثلاث سنين حتى كان وجعه الذى توفى فيه .

فقال[2] : « ما زلتُ أجدُ من الأُكلة التى أكلتُ من الشَّاة يوم خَيْبَر عِدَاداً حتى كان هذا وانقطع أَبْهَرِى » فتوفى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – شهِيدا بلفظ ابن شهاب .

وذكر محمد بن عمر : أنه ألقِى من لحم تِلْكَ الشَّاة لكلبٍ فما تبعت يدَهُ رجلهُ حَتَّى مات .

وقال الصحابة السابق ذكرهم – رضى الله عنهم – إنَّ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلم أرسل إلى اليهودية ، فقال : « أسممتِ هذه الشاة ؟ » فقالت : من أخبرك ؟ قال : « أَخْبرتْنِى هَذِه الَّتِى فِى يَدَىَّ وهى الذراع ، قالت : نعم ، قالَ : « مَا حَمَلَكِ على ما صنعتِ ؟ » قالت : بلغتَ من قومى ما لم يَخْفَ عليك ، فقلتُ : إن كان ملكاً استرحنا منه ، وإن كان نبيا فسيُخْبَرُ ، فتجاوز – وفى لفظٍ – فعفا عنها رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – وَمَاتَ بشرٌ من أُكلته الَّتِى أكل ولم يُعَاقِبْهَا .

---

(١) فى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٩٩ « أبغضك »

(٢) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر محمد بن عمر : أنَّ رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال لها : « ما حملك على هذا ؟ » قالت : قَتلتَ أبي وعمِّي وزوْجي وأخي - فأبوها الحارث وعمها يسار وأخوها مرحب وزوجها سَلَام بن مِشْكَم .

وعن أبي سَلَمة عن جَابر - رضى الله عنه - أن رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - لما مات بِشْرُ بن البَرَاء أمر باليهودية فَقُتِلَت . رواه أبو داود ، ووقع عند البزار من حديث أبي سعيد الخُدرىِّ : أن رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - بعد سؤاله للمرأة اليهودية واعترافها - بسطَ يَدَهُ إلى الشَّاة وقال لأصحابه : « كُلُوا باسم الله » قال : فأَكلنا وذكرنا اسْمَ الله ، فلم يُضَرَّ أحد منا .

قال الحافظ عماد الدين بن كثير : وفيه نَكَارَةٌ وغرابة شديدة . قلت : وذكر محمد ابن عمر : أنَّ رسولَ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - أمر بلحم الشَّاةِ فأُحْرِق .

* * *

ذكر قدوم جعفر بن ابى طالب - رضى الله عنه - ومن معه من الأشعريين من ارض الحبشة(١)

رَوَى الشيخان ، والإسماعيلى ، وابن سعد ، وابن حبان ، وابن منده عن أبي موسى الأشعرى - رضى الله عنه - قال : لما بلَغَنا مَخْرَجُ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - ونحن باليمن ، فخرجْنا مُهَاجِرِين إليه أنا وإخوان لى ، أنا أصغرهم ، أحدهم أبو رُهم - بضم الراء ، وسكون الهاء - والآخر أبو بُرْدَة ؛ إما قال : فى بِضْع ، وإما قال : فى ثلاثة أواثنين وخمسين رجلا من قومى / فركبنا سفينة - قال ابن منده : حتى جئنا مكّة - ثم خرجنا [٢٠٢ و] فى برٍّ حتى أتينا المدينة - فألقتنا سفينتنا إلى النّجاشى بالحبشة : فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده ، فقال جعفر : إنّ رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - بعثنا ، وأمرنا بالإقامة ، فأقيموا معنا ، فأقمنا معه حتى قدِمْنَا جميعاً فوافقنا رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - حين فتح خيبر قال : فأَسْهَمَ لنا ، وما قَسَم لأحدٍ غاب عن فتح خيبر

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٥٩ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٥٦ ، وشرح المواهب ٢ : ٢٤٦ ، والبداية والنهاية ٤ : ٢٠٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٨٩ . والمغازى للواقدي ٢ : ٦٨٣ .

شيئاً إلا من شَهِدَ معه ، إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه ، قسم لهم معنا ، وذكر البيهقى[1] - رحمه الله - أنّ رسولَ الله - صلّى الله عليه وسلّم - سأَل الصحابة أن يشركوهم ففعلوا ذلك ، انتهى .

قال : فكان أُناس يقولون لنا : « يعنى أَصحاب » السفينة : سبقناكم بالهجرة .

ودخلت أسماءُ[2]- بنت عُمَيْس - بعين وسين مهملتين ، وبالتصغير - وهى مِمَّن قَدِمَ معنا يومئذ- على حفصة زوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زائِرة ، وقد كانت هاجرت إلى النجاشى فيمن هاجر إليه ، فدخل عُمر على حفصة ، وأسماءُ عندها ، فقال عمر حين رأى أسماء - رضى الله عنهم - من هذه ؟ فقالت : أسماءُ بنت عميس فقال عمر : سبقناكم بالهجرة ، نحن أحقُّ برسولِ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال : فغضبت وقالت : كلاَّ والله يا عمر ، كنتم مع رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يُطْعِمُ جِيَاعَكُم ، ويُعَلِّمُ جاهلكم ، وكنا فى دار ، أو أَرض البُعَداء البُغَضاء بالحبشة ، وذلك فى الله وفى رسوله ، وأيم الله لا أَطعم طعاماً ، ولا أَشرب شراباً حتى أذكر ما قلتَ لرسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وأسأله ، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك ، فلما جاء رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - قالت : يا نبى الله !! إن رجالاً يفخرون علينا ، ويزعمون أنّا لسنا من المهاجرين الأَوَّلِين ، فقال : « مَنْ يَقُولُ ذلك ؟ » قلتُ : إنّ عمر قال كذا وكذا ، فقال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم : « ما قُلْتِ لَه ؟ » قالت : قلتُ له كذا وكذا ، قال : « ليس بأَحَقّ لى منكم ، له ولأَصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم أهلَ السفينة - هجرتان » قالت : فلقد رأيتُ أبا موسَى وأصحابه يأْتونى أَرْسالاً يسأَلونى عن هذا الحديث ، مَا مِنَ الدّنيا شيءٌ هُمْ أفرح ، ولا أعظم فى أنفسهم مما قال لهم رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال أبو بُرَيْدَة : قالت أسماءُ : ولقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث منى ، وقال لكم الهجرةُ مرتين .

---

(١) بياض بالأصل والإثبات عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٩٤ ، وشرح المواهب ٢ : ٢٤٦ .

(٢) هى أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه .

وروى البيهقيّ عنْ جابر – رضى الله عنه – قال : لما قدم رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – من خيبر ، وقدِمَ جعفرُ من الحبشة ، تلقّاهُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فَقَبَّل جبهته ، ثم قال : « والله ما أدرى بأيّهما أفرحُ ، بفتح خيبر ، أم بقدوم جعفر » .

وروى البيهقيّ ، بسندٍ فيه من لا يُعرف[1] حالهُ – عن جابر – رضى الله عنه – قال : لما قدم جعفر بن أبى طالب تلقّاهُ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فلما نظرَ / جعفر إلى رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – « حَجَل » قال أَحَدُ رُوَاتِه : يعنى مشى على رِجْلٍ واحدة إعظاماً[2] منه لرسولِ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – فَقَبَّلَ رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – بين عَيْنَيْه .

٢٠٢ ظ

* * *

ذكر قدوم أبى هريرة وطائفة من أوس على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو بخيبر

روى الإمام أَحمد ، والبخاريُّ فى التاريخ ، وفى [3]مجمع الزوائد للهيثمى فى أول خيبر[3] عن خزيمة ، والطحاويُّ ، والحاكمُ ، والبيهقيُّ عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قدمنا المدينة ، ونحن ثمانون بَيْتًا من أَوْس ، فصلينا الصبحَ خلف سَبَّاع بن عُرْفُطَة الغفاريّ ، فقرأَ فى الركعة الأُولى بسورة : « مَرْيَم » ، وفى الآخرة « ويْلٌ للمطَفِّفِين » فلَمَّا قرأَ « إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ[4] » قلتُ : تركت عمىّ بالسّراة له مِكْيَالَان ، إذا اكتال اكْتَال بالأَوفى ، وإذا كَال كَال بالناقص ، فلما فرغنا من صلاتنا ، قال قائلٌ : رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بخيبر ، وهو قادِمٌ عليكم ، فقلت : لا أَسمع به فى مكان أَبداً إلا جئته ، فزوّدنا سَبَّاع بن عُرْفُطة ، وحملنا حتى جئنا خيبر فنجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد فتح النَّطَاة ، وهو محاصر الكَتِيبة ، فأَقمنا حتى فتح الله علينا .

---

(١) هو مكى بن إبراهيم الرعينى كما فى البداية والنهاية ٤ : ٣٠٦ .

(٢) لأن أهل الحبشة يفعلون ذلك للتعظيم (السيرة الحلبية ٣ : ٥٧ .

(٣ – ٣) مابين الرقمين من هامش ت .

(٤) سورة المطففين آية ٢ .

وفى رواية فقدمنا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقد فتح خيبر ، وكلَّم المسلمين فأشركنا فى سُهْمَانهم .

ورَوَى البخاريّ ، وأبو داود عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قدمتُ المدينة ورسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بخيبر حين افتتحها ، فسألتهُ أن يُسْهِم لى ، قال : فتكلَّم بعضُ وَلَدِ[1] سعيد بْنِ العاص فقال : لا تُسْهِم له يا رسولَ الله ، قال : فقلتُ : هذا والله هو قاتل ابن قَوْقَل ، فقال : وأظنه [أبان] بن[2] سعيد بن العاص سميا عجبا لِوبْر تَدَلَّى علينا من قَدّوم ضأن يعيرنى بقتل امرئ مُسلم أكرمه الله على يدَىّ . ولم يهنى على يدَيْه .

وروى البخاريّ ، وأبو داود عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : بعث رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – أباناً على سَرِيّة من المدِينَة ، قِبَلَ نَجْد ، قال أبو هُرَيْرَةُ : فقَدِمَ أبانٌ وأصحابه على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بخَيْبَرَ بعد ما افتتحها ، وإنّ حُزُمَ خَيْلِهِم لَلِيفٌ ، فقال : يا رسول الله أرضخ لنا فقال أبو هريرة : يا رسول الله لا تقسم لهم ، فقال أبان وأنت بهذا يا وبْرُ تحدّر من رأس خالٍ – وفى لفظ – فَانٍ ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « يا أبان اجْلِس » فلم يقسم لهم .

* * *

ذكر قدوم عيينة بن حصن وبنى فزارة على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خيبر بعد فتحها وما وقع فى ذلك من الآيات[3]

رَوَى[4] البيهقىُّ عن موسى بن عُقْبَةَ عن الزُّهْرِىّ – رحمهما الله – تعالى /– : أنّ ٢٠٣ و بَنِى فَزَارة مِمَّن قَدِمَ على أهل خَيْبَر لِيُعِينُوهم فراسلهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن لا يعينوهم وسألهم أن يخرجوا عنهم ولكم من خَيْبَر كذا وكذا ، فأبوا عليه ، فلما

(١) هو أبان بن سعيد بن العاص كما صرح به فى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٩٣ .
(٢) إضافة يقتضيها السياق .
(٣) انظر السيرة الحلبية ٣ : ٣٩ .
(٤) ورد فى هامش ت «وعن أبى هريرة قال: ماشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مغنما قط إلا قسم لى إلا خيبر فإنها كانت لأهل الحديبية خاصة ، وكان أبو هريرة وأبوموسى جاءا بين الحديبية وخيبر – رواه أحمد ، وفيه على بن زيد وهو سيء الحفظ وبقية رجاله رجال الصحيح » .

أن فتح الله خَيْبَر أتاه من كان هناك من بنى فَزارَة ، فقالوا : حظنا والذى وعَدْتَنا ، فقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ « حظكم ـ أو قال « لكم ذو الرّقيبَة » جبل من جبال خيبر ـ فقالوا : إذًا نقاتلك ، فقال : « موعدكم جَنَفَا » . فلما أن سمعوا ذلك من رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خرجوا هاربين .

وروى البيهقىُّ عن محمد بن عمر عن شيوخه ، قالوا : كان أبو شُبَيْم المُزَنِىّ ـ رضى الله عنه ـ قد أسْلم فحسن إسلامه يُحَدِّث وَيَقُول : لما نَفَرْنَا إلى أهلنا مع عُيَيْنَة بن حِصْن فرجع بنا عُيَيْنَة ، فلما كان دون خَيْبَر عرّسْنَا من الليل ، ففزعنا ، فقال عُيَيْنَةُ : أبشروا ، إنى رأيتُ الليلة فى النوم أنى أُعْطِيتُ ذُو الرُّقيبة ـ جبلاً بِخَيْبَر ـ قد والله أخذتُ بِرَقَبَةِ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما أن قَدِمْنَا خَيْبَر ـ قَدِمَ عُيَيْنَة ، فوجدْنا رسولَ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قد فتح خيبر ، فقال عُيَيْنَة : يا محمد ! أعطنى مما غَنِمْتَ مِن حلفائى ؛ فإنِى قد خرجتُ عنك وعن قِتالك ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « كذبت ولكن الصِّياح الذى سَمِعْتَ أنْفرَك إلى أهلك قال : أحْذنى يا محمد ؟ قال : « لك ذو الرُّقَيبة » قال عُيَيْنَةُ : وما ذُو الرُّقَيبة ؟ قال « الجبل الذى رأيت فى منامِك أنَّك أخذته » فانصرف عُيَيْنَةُ ، فلما رجع إلى أهله جاءه الحارث بن عوف ، وقال : ألم أقل لك تُوضِع فى غير شئْ ، فالله ، لَيَظْهَرَنَّ محمدٌ على ما بين المشرق والمغرب ، يهود كانوا يخبروننا بهذا أشهد لسمعت أبا رافع سلام بن مِشْكم يقول : إنَّا لنحسد محمدًا على النُّبُوة ، حيث خَرَجَت من بنى هَارُون ، وهو نَبِىٌّ مُرْسَلٌ ، ويهود لا تطاوعنى على هذا ، ولنا منه ذِبحان واحد بيثرب وآخر بخيابر .

* * *

ذكر مصالحة أهل فدك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم

لما أقبلَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ إلى خَيْبَر فَدَنَا منها بعث محيِّصة بن مسعود الحارثى إلى فَدَك يدعوهم إلى الإسلام ويخوفهم أن يغزوهم كما غزا أهل خَيْبَر . ويحل بساحتهم ، قال مُحَيِّصَة فجئتهم فأقمت عندهم يومين ، فجعلوا يتربَّصُون ويقولُون بالنَّطَاة عَامِر وياسر والحارث ، وسيد اليهود مَرْحب ، ما نَرَى محمداً بقرب

حراهِم[1] ، إن بها عشرة آلاف مقاتل ، قال محيّصةُ : فلما رأيت خُبْثَهم أردت أن أرجع ، فقالوا : نحن نرسلُ معك رجالاً منَّا يأْخذون لَنَا الصُّلحَ ، ويظنُّون أن يهود تمتنع ، فلم يزالوا كذلك حتى جاءهم قتلُ أهل حصن ناعم ، وأهلُ النجدة منهم ، ففتَّ ذلك أعضادهم ، فقدم رجل من رؤسائهم يقال له نُون بن[2] يُوشع في نفر من يهود ، فصالَحُوا رسولَ اللهِ ـ صلَّى اللهُ / عليه وسلَّم ـ على أن يحقن دماءهم ويجليهم ، ويُخَلُّوا ٢٠٣ ظ بينه وبين الأَموال ، ففعل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ويُقَال : عرضوا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يخرجوا مِنْ بِلادهم ، ولا يكونُ للنبيّ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ [عليهم][3] من الأموال شيءٌ ، فإذا كان أوانُ جُذاذها جاءُوا فجذُّوها ، فأبى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنْ يقبل ذلك ، وقال لهم مُحيِّصةُ : ما لكم منعةٌ ولا حُصُون ولا رِجال ، ولو بعث إليكم رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ مائة رجل لساقوكم إليه ، فوقع الصُّلح بينهم بأَن لهم نِصْفَ الأَرضين بتربتها ، ولرسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نِصْفها ، فقبل رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ذلك ، يقول محمد بن عمر : وهذا أثبت القولين ، وأقرهم رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على ذلك ، ولم يأْتِهم[4]، فلمَّا كان عمرُ بنُ الخطاب وأجلى يهودَ خيبر بعث إليهم من يُقَوِّمُ أرضهم ، فبعث أبا الهيثم مالك بن التَّيِّهان ـ بفتح الفوقية وكسر التحتية المشدَّدة ، وبالنون ـ وفَرْوَة ابن عمرو بن جَبَّار[5] ـ بتشديد الموحدة ـ بن صخر ، وزيد بن ثابت ، فَقَوَّمُوهَا لهم ؛ النخل والأَرض ، فأَخذها عمر ، ودفع إليهم نصف قيمة النخل بتربتها ، فبلغ ذلك خمسين ألف درهم أو يزيد ، وكان ذلك المال جاءَ من العراق ، وأجلاهم إلى الشام .

---

(١) الحرى : جناب الرجل هامش المغازى للواقدى ٢ : ٧٠٦)

(٢) فى ص يوشع بن نون .

(٣) الإضافة عن المغازى للواقدى ٢ : ٧٠٦ .

(٤) فى المرجع السابق ٢ : ٧٠٧ « ولم يبلغهم » .

(٥) فى المرجع السابق ٢ : ٧٠٧ « ابن حيان » .

ذكر المراهنة التى كانت بين قريش فى ان اهل خيبر يغلبون رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم

روى البيهقى عن عُروة ، وعن موسى بن عقبة ، وعن محمد بن عمر عن عبد الله ابن أَبى بكر بن حزم ـ رحمهم الله تعالى ـ قالوا ـ : واللفظ لمحمد بن عمر ـ : كان حُوَيْطب ـ بضم الحاء المهملة ، وسكون التحتية ، وكسر الطاء المهملة ـ ابن عبد الْعُزَّى ـ رضى الله عنه ـ يقول : انصرفت من صُلْحِ الحُدَيْبِيَة ، وأنا مُسْتَيْقِن أن محمَّداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ سيظهر على الخلْق ، وتأْبى حميَّةُ الشيطان إلاَّ لزوم دينى ، فقدم علينا عبَّاس ـ بالموحدة المشددة ـ ابن مِرْدَاس ـ بكسر الميم ـ السلمى يُخبرنا أَنَّ محمَّداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد سار إلى خيابر ، وأن خيابر قد جمعت لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمُحَمَّدٌ لا يُفْلِت[1] إلى أن قال عبَّاس بن مِرْداس : من شاء بايعته أن محمدا لَا يُفْلِتَ قلتُ : أنا أُخاطرك ، فقال صفوان بن أُمية[2] : أنا معك يا عباس ، وقال نَوْفَل بن معاوية الدِّيْلَمى أَنا مَعَكَ يا عبَّاس ، وضَوَى إلَىَّ نفر من قريش فتخاطرنا مائة بعير أَخماساً[3] إلى مائة بعيرٍ ، أقولُ أنا وحِزْبى : يظهرُ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويقولُ عباس وحزبه : تظهر غَطَفَان ، وجاء الْخَبَر بظهورِ رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأَخذ حُوَيْطِبُ وحزبه الرَّهْن .

* * *

ذكر استئذان الحجاج(٤) بن علاط ـ رضى الله عنه ـ من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد فتح خيبر أن يذهب الى مكة لأخذ ماله قبل وصول الخبر اليهـا /

٢٠٤ و

روى الإمام أحمد عن أنس ـ رضى الله عنه ـ والبيهقىُّ عن ابن إسحاق ، ومحمد ابن عمر عن شيوخه ، قالوا : كان الحجاج بن عِلَاط بكسر العين المهملة ، وتخفيف

---

(١) كذا فى ط ، ص ، وفى ت و م « لايغلب »

(٢) إضافة للتوضيح .

(٣) فى المغازى للواقدى ٢ : ٧٠٢ « خماسا إلى مائة بعير »

(٤) انظر سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٤٥ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٦٠ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢١٥

اللاَّم ، السُّلَمى[1] بضم السِّين ، خرج يُغير فى بعض غاراته ، فَذُكِرَ له أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بِخَيْبَرَ ، فأَسْلَم ، وحضر مع رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وكانت أمُّ شيبة ابنةَ عُميرِ بن هاشم[2] ـ أختُ مُصْعَب بن عُمير العَبْدَرِىّ ـ امرأتَه ، وكانَ الحجَّاج مكثرا ، له مالٌ كثيرٌ ، وله معادن الذهب التى بأَرض بنى سُلَيْم ـ بضم السين ، فقال : يا رسول الله ، إئْذَنْ لى ، فأَذهب فآخذ مالى عند امرأتى ، فإن علمتْ بإسلامى لم آخذ منه شيئاً ، وَمَالٌ لى متفرق فى تجَّارِ أَهل مكة ، فأَذن له رسول اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال : يا رسول الله ، إنَّه لَابُدَّ لى من أن أَقول ، قال « قُلْ » قال الحجاج : فخرجتُ فلما انتهيتُ إلى الحرم ، هبطتُ فوجَدتهم بالثنية البيضاء ، وَإذا بها رجالٌ من قريش يتسمَّعُون الأَخبار[3] قد بلغهم أنَّ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قد سار إلى خيبر ، وعرفوا أَنها قرية الحِجَاز أَنفةً ومنعةً وريفا ورجالاً وسِلَاحاً ، فهم يتحسَّبُون الأَخبار ، مع ما كان بينهم من الرِّهَان[4] ، فلمَّا رأَونى قالوا : الحجاج بن عِلَاط عنْدَهُ ـ واللهِ ـ الخبر ـ ولم يكونوا عَلِمُوا بإسلامى ـ ياحجاج ، إنَّه قد بلغنا أن القاطع[5] قد سار إلى خيبر بَلَدِ يهود ، وريف الحجاز ، فقلتُ : بلغنى أَنه قد سار إليها وعندى من الخبر ما يسرُّكُم فَالتبطوا بِجَانِبَىْ راحلتى ، يقولون : إيه يا حجاج ؟! فقلت : لم يَلْق محمدٌ وأَصحابُه قوماً يُحْسِنُون القتال غير أَهل خيابر ، كانوا قد ساروا فى العرب يجمعون له الجُموع ، وجمعوا لَهُ عشْرة آلاف فَهُزِمَ هزيمةً لم يُسمع بمثلها قط ، وأُسِرَ مُحَمَّدٌ أسراً ، فقالوا : لاَ نَقْتُلُه حتَّى نبعثَ به إلى مكة فنقتله بين أظهرهم بمن قَتَل منَّا ومنهم ، ولهذا فإنهم يرجعون إليكم يطلبُون الأَمان فى عشائِرهم ، ويرجعون إلى ما كانوا عليه ، فلا تقبلوا منهم ، وقد صنعوا بكم ما صنعوا ،

---

(1) فى السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٤٥ « السلمى ثم البهزى . وفى السيرة الحلبية ٣ : ٦٠ هو أبو نصر بن حجاج الذى نفاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما سمع أم الحجاج بن يوسف الثقفى تهتف به وتقول .

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

(2) وفى السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٤٥ « هى أم شيبة بنت طلحة »

(3) الإضافة عن المغازى للواقدى ٢ : ٧٠٣ .

(4) كذا فى ط ، ت ، م . وفى ص « مع ما كان فيهم من الرهان .

(5) يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كما فى السيرة الحلبية ٣ : ٦٠ .

قال : فَصَاحُوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، هذا محمدٌ إنما تنتظرون أن يُقْدَمَ به عليْكم فَيُقْتَلَ بين أظهركم ، وقلت : أَعِيْنُونِى علىَ جَمْعِ مَالىَ على غرمائى فإنى أريد أن أقدمَ فأُصيبَ من غنائم محمَّد وأصحابه ، قبل أن تسبقنى التُّجار إلى مَا هُنَاك ، فقاموا فجمعوا إلىّ مالى كأَحَثٍّ جمع سمعتُ به ، وجئتُ صاحبتى فقلْتُ لها : مالى ، لَعَلِّى ألحَقُ بِخَيْبرَ فأُصيب من البيع قبل أن يسبقنى التُّجار .

وفشا ذلك بمكَّة ، وأظهر المشركون الفرح والسرور ، وانكسر منْ كان بمكة من المسلمين ، وسمع بذلك العباس بن عبد المطلب ، فقعد وجعل لا يستطيعُ أن يقوم فأشفق أن يدخل داره فيؤذى .وعلم أنه يؤذى عند ذلك فأَمر بباب داره أن يفتح وهو مستلق فَدعا بِقُثَم ، فجعل يرتجز ويرفع صوته[1] لِئلا يشمت به الأَعداءُ ، وحضر باب العباس بين مَغِيظٍ ومحزون ، وبين شامت ، وبين مسلم ومسلمة / مقهورين بظهور الكُفْر ، والبَغْى ، فلمَّا رأى المسلمون العباسَ طَيِّبَةً نفسُه ، طابت أنفسهم ، واشتدت مُنتهم[2] ، فَدَعا غلاماً لهُ يقالُ له أبو زبيبة[3] ، بلفظِ واحدةِ زَبيبِ العِنَب ، ولم أجد له ذكراً فى الإصابة ، فقال : اذهب إلى الحجاج فقل له : يقول لك العباس : اللهُ أعلى وأجلّ من أن يكون الذى جئتَ به حقًّا ، فقال له الحجاج : اقرأْ على أبى الفضل السَّلاَم ، وقل له[4] : لِيَخْلُ لى فى بعض بُيُوته ، لآتيه بالخبر على ما يسره ، واكتُم عنىِّ ، وأقبل أبو زبيبة يبشر العباسَ ، فقال : أبشر يا أبا الفضل ، فوثب العباس فَرِحاً كأَن لم يمسَّه شئ ، ودخل عليه أبو زبيبة ، واعتنقه العباس ، وأَعْتَقَه ، وأخبره بالذى قاله .

٢٠٤ ظ

فقال العباس : للهِ علىَّ عتْقُ عَشْرِ رِقاب ، فلما كان ظُهْراً ، جاءَهُ الحجاج ، فَنَاشَدَهُ

---

(١) وفى رواية الإمام احمد « فأخذ إبنا له يقال له قثم ، واستلق ووضعه على صدره وهو يقول : —

حبى قثم شـبه ذى الأنف الأشم

نبى ذى النعـم برغم من زعـم

(٢) المنة : بضم الميم : القوة . المحيط . وانظر شرح الغريب .

(٣) كذا فى الأصل . وفى المغازى للواقدى ٢ : ٧٠٤ « أبو زبينة »

(٤) فى المرجع السابق « وقل له أحلنى فى بعض بيوتك حتى آتيك ظهرا ببعض ماتحب »

اللهَ : لَتكْتُمنَّ على ثلاثة أيام ، ويقال : يوماً وليلة ، فوافقه العباس[1] على ذلك ، فقال : إنى قَدْ أسلمت ، ولى مَالٌ عند امرأتى ، ودينٌ على الناس ، ولو علِمُوا بإسلامى لم يدفعوه إلىَّ وتركتُ رسولَ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - وقد فتح خيبر ، وجرت سهام الله - تعالى - ورسوله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فيها وانْتَشَلَ ما فيها ، وتركته عروساً بابنة مليكهم حُيَىّ بن أخطب ، وقُتِلَ ابنُ أبى الْحُقَيْق فلما أمسى الحجاج من يومه خرج وطالت[2] على العباس تلك الليالى ، ويقالُ : إنما انتظره العباس يوماً وليلةً ، فلما كان بعد ثلاث ، والناس يموجُون فى شأْن ما تبايعوا عليه ، عمَد العباسُ إلى حُلَّةٍ فلبسها ، وتخلَّق بخلوقٍ ، وأخذبيده قضيباً ، ثم أقبل يخْطُر ، حتَّى وقف على باب الحجاج بن عِلَاط فقرعه ، فقالت زوجته : ألاَ تدخل يا أبا الفضل ؟ قال : فأين زوجك ؟ قالت : ذهب يوم كذا وكذا ، وقالت :لا يحزنك الله يا أبا الفضل ، لقد شَقَّ علينا الَّذِى بَلَغَك ، قال : أجل ، لا يحزننى اللهُ ، لم يكن بحمد اللهِ إلاَّ ما أحْبَبْنَا ، فتح اللهُ على رسُولِهِ خَيبر ، وجرت فيها سهام الله ورسوله ، واصطفى رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - صَفِيَّة لنفسه ، فإن كانت لَكِ حاجة فى زَوْجك فالحق به ، قالت : أظنُّك واللهِ صَادِقًا .

ثم ذهب حتى أتى مجلس قريش وهم يقولون إذا مرّ بهم : لا يصيبُك إلا خير يا أبا الفضل !! هذا والله التجلد لحرِّ المصيبْة ؛ قال : كلاَّ والله الَّذِى حَلَفْتُم به ، لم يُصِبْنى إلا خير بحمد الله ، أخْبَرَنى الحجاجُ بنُ عِلاط أن خيبر فتحها اللهُ على رسوله ، وجرى فيها سهامُ اللهِ وسهامُ رسوله ، فردَّ الله - تعالى - الكآبة التى كانت بالمسلمين على المشركين ، وخرج المسلمون من كان دَخَلَ فى بيته مكتئباً حتى أتوا العباسَ فأَخْبرهم الخبر ، فَسُرَّ المسلمون . وقال المشركون [يالعباد الله][3] انفلت عدوُّ الله ، - يعنى الحجاج أمَا والله لَوْ علمنا لكان لنا وله شأْن ، ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر بذلك .

---

(١) فى ط « فوائقه » والمثبت عن بقية النسخ .

(٢) كذا فى الأصول . وفى المغازى للواقدى ٢ : ٧٠٤ « واستنظر العباس »

(٣) بياض فى الأصول والمثبت عن نهاية الأرب للنويرى ١٧ : ٢٦٨ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٦١ .

ذكر مغانم خيبر ومقاسمها على طريق الاختصار

٢٠٥ و عن أبي هريرة – رضى الله عنه – قال : خرجنا مع رسولِ الله – صلى الله / عليه وسلم – عام خيبر ، فلم يغنم ذَهَبًا ولا فضة إلا الإبل والبقر والمتاع والحوائط . وفى روايةٍ إلا الأموال والثياب والمتاع . رواه مالك والشيخان ، وأبو داود ، والنسائى . وقال ابن إسحاق[١] : وكانت المقاسم على أموال خيبر على الشِّق ونَطَاة والكَتِيْبَة ، وكانت الشِّق ، ونطاة فى سُهمان المسلمين ، وكانت الكَتيبةُ خُمُسَ الله ، وسَهْمَ النبى – صلَّى الله عليه وسلَّم – وسهمَ ذوى القُربى واليتامى والمساكين[٢] ، وطُعْمَ أزواج النبى – صلَّى الله عليه وسلَّم – وطُعْمَ رجالٍ مَشَوْا بَيْن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وبين أهل فَدَك بالصُّلح ؛ منهم مُحَيِّصةُ بن مسعود ، أعطاه رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – منها ثلاثين وِسْقًا[٣] من شعير ، وثلاثين وسْقًا من تمر ، وقُسِّمت خيبرُ على أهل الحُدَيْبِيَة ، منْ شَهِدَ خيبر ومن غاب عنها ، ولم يغبْ عنها إلاَّ جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرَام – رضى الله عنهما – فَقَسَمَ له رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – كسهم من حَضَرَها ، وكان وادياها – وادى السُّريرة ، ووادى خاصٍ ، وهما اللذان قُسِّمت عليهما خيبر .

وكانت نَطَاة والشّق ثمانية عشر سَهْمًا ، نطَاةُ من ذلك خمسةُ أسهم ، والشّق ثَلاَثَةَ عَشَرَ سهما ، وقُسِّمَت الشّق ونَطاة على ألفِ سهم وثمانمائة سهم ، وكانت عدَّةُ الَّذين قُسِّمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ألف سهم وثمانمائة سهم برجالهم وخيلهم ، للرجال أربع عشرة مائة ، والخيل مائتا فرس ، فكان لكل فرس سهمان ، ولفارسه سهم ، وكان لكلِّ رَاجلٍ سهم ، وكان لكل سَهْم رأْس جمعَ إليه مائة رجل ، فكانت ثمانية عشر سَهْمًا ، جمع .

---

(١) انظر سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٤٩ .

(٢) زاد ابن كثير فى السيرة النبوية ٣ : ٣٨٣ « وابن السبيل »

(٣) الوسق : بالكسر والفتح : ستون صاعاً ، أو حمل بعير .

فَكَانَ عليٌّ بن أَبي طالب – رضى الله عنه – رأْسًا ، والزُّبير بن العوّام رأْساً ، وسَرَد ذكر ذلك ابنُ إسحاق . ثم قال : ثم قَسَّمَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – الكَتِيبةَ ؛ وهي وادى خاص بين قرابته وبين نسائه وبين رجالٍ مُسْلمين ونساءٍ أَعطاهم منها ، ثم ذكر كيفيّة القسمة .

وروى أَبو داود عن سهل بن أَبي خَثْمة – بخاء معجمة ، فثاءٍ مثلثة ساكنة – رضى الله عنه – قال : قسم رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – خيبر نصفين ، نصْفاً لنوائبه وخاصَّته ، ونصفاً بين المسلمين ، قسمها بينهم على ثمانية عشر سهما .

روُى أيضاً عن بُشير – بضم الموحدة – بن يسار – رحمه الله تعالى – عن رجال من أَصحابِ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رضى الله عنهم : أَن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما ظهر على خيبر قسّمها على سِتَّةٍ وثلاثين سهماً ، جمع كل سهم مائة سهم ، فكان لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وللمسلمين النّصْف من ذلك ، وعزَلَ النصْفَ الباقى لمن نزل به من الوفود والأُمور ونوائب الناس ، زاد فى رواية أُخرى عنه مرسلة بَيَّنَ فيها نصف النوائب : الوطِيح والكَتِيبة وما حيز معهما، زاد فى رواية والسلالم ، وعزل النصف الآخر الشق والنطاة و ما حيز معهما ، وكان سهم رسولِ الله – صلى الله عليه وسلَّم – فيما حيز معهما كسهم أَحدهم[1] .

قال ابن إسحاق – رحمه الله – تعالى – : وكان المتولىّ للقسمة بخيبر جَبَّار – بفتح الجيم ، وتشديد الموحدة وبالراء المهملة – ابن صخر الأَنصارى من بنى سَلِمَة – بكسر اللاَّم ، وزيد بن ثابت من بنى النَّجّار ، وكانا حاسبين قاسمين .

وقال ابن سعد – رحمه الله – تعالى – أَمر رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بالغنائم فجمعت ، واْستعمل عليها فَرْوَة بن عمرٍو البياضى ، ثم أَمر بذلك فجزئ خمسة أَجزاء ، وكتب فى سهمٍ منها ، الله ، وسائر السُّهمان أَغفال ، وكان أَوَّل ما خرج سهم رسول

---

(١) ورواية ابن كثير فى السيرة النبوية ٣ : ٣٨٢ « فعين نصف النوائب : الوطيح والكثيبة والسلالم وماحيز معها ، ونصف المسلمين ، الشق والنطاة وماحيز معهما ، وسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حيز معهما » .

الله – صلى الله عليه وسلم – لم يتحيّز فى الأَخماس ، فأَمر ببيع الأَربعة الأَخماس فيمن يريد ، فباعها فَرْوَة ، وقسّم ذلك بين أَصحابه وكان الذى وَلِى إحصاءَ الناس ، زيد ابن ثابت فأَحصاهم أَلفاً وأَربعمائة ، والخيلَ مائتى فرس ، وكانت السُّهمان على ثمانية عشر سهماً ، لكل مائة سهم ، وللخيل أَربعمائة سهم ، وكان الخُمُس الذى صار لرسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – يُعطى منه ما أَراه الله من السلاح والكُسوة ، وأَعطى منه أَهل بيته ، ورجالاً من بنى المطلب ، ونساءً ، واليتيمَ والسائلَ .

ثم ذكر قدوم الدَّوْسيين والأَشعريين وأصحاب السفينتين ، وأَخْذهم من غنائم خيبر ، ولم يبين كيف أَخذوا .

قال فى العيون : وإذا كانت القسمة على أَلف وثمانمائة سهم وأَهل الحُدَيْبِيَة أَلفٌ وأَربعمائة ، والخيل مائتى فرس بأَربعمائة سهم ، فما الذى أَخذه هؤلاء المذكورون .؟

وما ذكرهُ ابن إسحاق من أَن المقاسم كانت على الشِّق ، والنَّطَاة والكَتيبَة أَشبه ؛ فإنّ هذه المواضع الثلاثة مفتوحة بالسيف عَنوة من غير صُلْح ، وأَما الْوَطِيحُ والسُّلَالِم فَقَدْ يكون ذلك هو الذى اصطفاه رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – لما ينوب المسلمين ، ويُترجح حينئذ قولُ موسى بن عُقْبة ومن قال بقوله : إنّ بعض خيبر كان صُلْحًا ، ويكون أَخْذُ الأَشعريين ومَنْ ذُكِرَ معهم من ذلك ، ويكون مشاورة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أَهل الحديبية فى إعطائهم ليست استنزالا لهم عن شئ من حقهم ، وإنما هى المشورة العامة ، « وَشَاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ[1] » .

روى الشيخان عن عبد الله بن مُغَفَّل – بضم الميم ، وفتح الغين المعجمة ، والفاء المشددة ، وباللام – رضى الله عنه – قال أَصبت جِرَاباً ، وفى لفظ : دُلِّىَ جرابٌ من شحم يوم خيبر فالتزمته ، وقلت : لا أُعطى أَحداً منه شيئاً ، فالتفتُّ فإذا رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فاستحيَيْتُ منه ، وحملته على عُنُقى إلى رَحْلِى وأَصحابى فلقينى صاحبُ

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

المغانم الَّذى جُعِلَ عليها ، فأخذ بناحيته وقال : هَلُمَّ حتَّى نقسمه بين المسلمين ، قلت : لَا والله لا أُعطيك ، فَجعل يُجَادبنى الجرابَ ، فرآنا رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نصنعُ ذلك ، فتبسَّم ضَاحِكًا ، ثم قال لصاحِبِ المغانم : « لا أَبَالَك ، خَلِّ بينه وبينه » فأَرسله ، فأَنطلقتُ به إلى رحْلى وأَصحابى ، فأَكلناه .

قال ابن إسحاق :/ وأَعطى رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ ابن لُقَيم ـ بضم اللاَّم ، ٢٠٦ و قال الحاكم : واسمه عيسى العبسى ـ بموحدة ـ حين افتتح خيبر ما بها من دَجاجة وداجن .

* * *

ذكر اهداء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ النساء والعبيد من المغانم

قال ابن إسحاق : وشهد خيبر مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من نساء المُسلمين فَرَضَخَ لهن[١] من الفىء ، ولم يضربْ لهن بسهم .

روى ابن إسحاق ، والإمام أحمد ، وأبو داود ، كلاهما من طريقه عن امرأة[٢] من غِفَار قالت : أتيتُ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فى نِسْوَةٍ من بَنِى غفَارٍ ـ بكسر الغين المعجمة ـ فقلن : يا رسولَ الله قد أردنا الخروج معك إلى وجهك هذا ـ وهو يسير إلى خَيْبَر ـ فنداوىَ الجرحى ، ونُعين المسلمين ما استطعنا ، فقال : « عَلَى بَرَكَةِ الله تَعَالَى » . قالت : فخرجْنَا معه ، وذكرت الحديث .

قالت : فلمَّا فتح رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خيبر رضخ لنا من الفىء .

وعن عبد الله بن أُنَيْس ـ رضى الله عنه ـ قال : خرجْتُ مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى خَيْبَر ومعى زوجتى ـ وهى حُبْلَى ، فنفستْ فى الطريق ، فأَخبرتُ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ فقال : انْقَعْ لَهَا تَمْرًا ، فإذا أنعم بَلُّهُ فَامْرُثْهُ[٣]

(١) رضخ : أى أعطاهن عطاء يسيرا لم يصل إلى نصيب السهم ، وانظر شرح الغريب .

(٢) هى أمية بنت قيس بن أبى الصلت الغفارية (المغازى للواقدى ٢ : ٦٨٥)

(٣) وكذا فى المغازى للواقدى ٢ : ٦٨٦ — ومرث الشىء لينه ، والتمر بيده فى الماء : أنقعه وحركه حتى تفرق فيه ، (المحيط) وفى البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢٠٥ « فإذا انغمر فأمر به لتشربه »

لِتَشْرَبه » . ففعلتُ فما رَأَتْ شيئاً تكرهه ، فلمّا فتحنا خيبر أحذى النساء ولم يُسْهم لهن ، فأَحْذَى زوجتى وولدى الذى وُلِد . رواه محمد بن عمر .

وروى أبو داود عن عُمير مولى أبى اللَّحْم ـ بالموحدة بلفظ آسم الفاعل ـ رضى الله عنه ـ قال شَهِدْتُ خَيْبَر مع سادتى فكلموا فىَّ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ فأَمر بى فقلِّدْتُ سَيْفًا ـ فإذا أنا أَجُرُّه ، فأُخْبِرَ أنى مملوك ، فأَمر لى بشىء من خُرْثِىِّ المتاع[1] .

* * *

ذكر من استشهد بخيبر من المسلمين[2]

أَسلم الحبشى الراعى . ذكره أَبو عمر وآعترضه ابن الأَثير بأَنه ليس فى شئ من السياقات أَن آسمه أَسلم ، قال الحافظ : وهو آعتراض متجه ، قلتُ : قد جزم ابن إسحاق فى السيرة برواية ابن هشام بأَن آسمه أَسلم الأَسود الرَّاعى ، تقدم أَن آسمه أَسلم . وقال محمد بن عمر : آسمه يسار[3] .

أُنَيْف ـ تصغير أَنف ـ بن حبيب بن عمرو بن عوف .

أُنيف ـ كالذى قبله بن واثلة[4] بالمثلثة ، أَو التحتية ،

أَوس بن جبير[5] ـ بالجيم ـ الأَنصارى من بنى عمرو بن عوف ، قُتِل على حصن ناعم ، أَورده ابن شاهين ، وتبعه أَبو موسى : أَوس بن حبيب الأَنصارى . ذكره أَبو عمر ، وقيل هو الذى قبله .

أَوس بن فايذ ـ بالتحيَّة والذَّال المعجمة الأَنصارى ، ذكره أَبو عمر : أَوس بن فايد ـ بالفاء والدال المهملة ، أَو ابن فاتك أَو الفاكه من بنى عمرو بن عوف .

أَوس بن قتادة الأَنصارى .

---

(١) كذا ضبطه المصنف بالحروف فى شرح الغريب وفسره بأثاث البيت .

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٤٣ . والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢١٤ . والمغازى للواقدى ٢ : ٦٩٩

(٣) فى المغازى للواقدى ٢ : ٧٠٠ « يسار العبد الأسود »

(٤) فى المرجع السابق « أنيف بن واثلة »

(٥) كذا فى الأصول . وفى المغازى للواقدى ٢ : ٧٠٠ « أوس بن حبيب » وفى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٠٦ « أوس بن الفائد » .

بِشْر – بكسر الموحدة وسكون المعجمة ابن البراء بتخفيف الراء – ابن مَعْرُور ، بفتح الميم ، وسكون العين المهملة ، وضم الراء الأُولى .

ثابت بن إثْلة – بكسر الهمزة ، وسكون الثاء المثلثة ، وزاد أبو عمر وَاواً فى أوَّلِهِ ، ولم يوافقوه .

ثَقْف – بثاء مثلثة – مفتوحة ، فقاف ساكنة ففاء ، وقال محمد بن عمر ثقاف ابن عمرو بن سُمَيط الأَسدى .

الحارث بن حاطب ، ذكره ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وابن سعد ، وقالا : شهد بدراً ، ولم يتعرض له أبو عمر ، ولا الذهبي ، ولا الحافظ : لكونه اَسْتُشْهِدَ بخيبر : وهو أخو ثعلبة بن حاطب بن عمر بن عبيد الأَنصارى الأَوسى .

ربيعة بن أكثم بن سَخْبَرَة – بفتح السين المهملة ، وسكون الخاء المعجمة ، وبالموحدة ابن عمرو الأَسدى ، قُتِلَ بالنَّطَاة ، قتله الحارث اليهودى .

رِفَاعة بن مَسْروح – بمهملات – الأَسدى حليف بنى عبد شمس ، قتله الحارث اليهودى .

سليم بن ثابت بن وقش الأَنصارى الأَشهلى ، ذكَرهُ ابن الكلبي ، وأَبو جعفر بن جرير الطَّبَرىُّ .

طَلْحَة : ذكره اَبن إسحاق ، ولم ينسبه ، ولم يقف كثيرٌ من الحفَّاظ على نسبه ، ولم يذكره محمد بن عمر ولا ابن سعد ، وقال أَبو ذر فى الإملاء : هو طلحة بن يحيى ابن إسحاق بن مليل

قال أبو على الغسانى – رحمه الله – لم يخبر ابن إسحاق باسم طلحة هذا ، قلت : ولم أر لطلحة بن يحيى بن إسحاق هذا ذكراً فى الإصابة للحافظ ، ولا فى الكاشف للذهبي .

عامر بن الأكوع ، واسم الأكوع : سِنَان بن عبد الله بن قشير الأسلمى المعروف بابن الأكوع عم سلمة بن عمرو بن الأكوع ، روى الشيخان ، والبيهقى عن سلمة بن الأكوع - رضى الله عنه -قال: لما تَصَافَّ القومُ يَوْمَ خيبر ، وكان سيفُ عامر فيه قِصَرٌ ، فتناول به ساق يهودِىٍّ ليضربه فَرجع ذباب سيفه ، فأصاب عَيْنَ ركبته فمات منه ، فلما قفلوا سمعتُ نفراً من أصحاب محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقولون : بطل عمل عامر ، قَتَلَ نفسه ، فأتيتُ رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وأنا أبكى فقال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - : لمَّا رآنى شَاحِباً : مالك ؟ قلتُ : فداكَ أَبى وأمى ؛ زعموا أن عامراً حَبِطَ عمله . قال : « منْ قَالَ ؟ » قلتُ : فلانٌ وفلانٌ ، وأُسَيْدُ ابنُ الحُضير الأنصارى فقال : « كَذَبَ مَنْ قَالَه ، إنَّ له لَأَجْرَيْن » وجمع بين أُصبعيه « إنَّه لجاهِدٌ مُجَاهِدٌ ، قلَّ عَرَبِىٌّ مشى - وفى لفظ نشأ[1] بها مثله » ووقع فى حديث ؛ أنه عمّ سَلَمة بن عمرو بن الأكوع ، وفى حديث آخر أنه أخوه ، ولا تنافى بينهما ، لأنه عمّه وأخوه فى الرضاعة .

عبد الله بن أَبى أُمية بن وهب الأسدى بالحلف ، قُتِلَ بالنَّطاة ، وذكره محمد بن عمر ، وابن سعد ولم يذكره ابن إسحاق .

عبد الله بن هُبَيْب - بموحدتين - مصغر- ابن أُهَيْب ؛ ويقال : وُهَيْب بن سُحيم اللَّيْثى حليف بنى أسد ، ذكره ابن إسحاق فى رواية البكائى ، وجرير بن حازم ، ويونس بن بكير ، لكن عنده عبد الله بن فلان بن وهب ، وكذا سمّاه أبو عمر وجماعة وذكر محمد بن عمر : أنه ٱسْتُشْهِدَ هو وأخوه عبد الرحمن بأُحُد قال الحافظ : والأوّل أَوْلَى .

٢٠٧ و عَدِىّ بن مُرّة / بن سُراقة البلوى بفتح الموحدة واللام - حليف الأنصار طعن بين ثدييه بحربة فمات منها - ذكره محمد بن عمر ، وابن سعد ، وأبو عمر .

---

(١) جاء فى شرح المواهب ٢ : ٢٢٥ « الضمير - فى بها - للأرض أو المدينة أو الحرب أو الخصلة » .

عروة بن مرة بن سراقة الأوسى : ذكره أبو عمر .

عمارة بن عقبة بن حارثة الغِفاريّ ، رمى بسهم ذكره ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وابن سعد ، وأبو عمر ، وتعقّبه الحافظ فى كونه آستشهد بخيبر بِكلامٍ يدلُّ على أنه لم يراجع السِّيرة فى هذا المحل ، ولاشكَّ فى صحة ما ذكره أبو عمر .

فُضَيْل بن النُّعمان الأنصارى السَّلمى – بفتح السين ، ذكره ابن إسحاق فى رواية يُونس وابن سَلَمة وزياد ، وجزم بذلك محمدُ بن عمر ، وابن سعد هنا ، وقال ابن سعد فى موضع آخر : كذا وجدناه فى غزوة خَيْبَر ، وطلبناه فى نسب بنى سَلَمة فلم نجده ، ولا أحسبه إلاَّ وهْمًا[1] ، وإنما أراد الطُّفَيْل بن النعمان بن خنساء بن سنان ، والطُّفيل ذكره ابن عقبة فيمن شهد خيبر .

بشر بن المنذر بن زَنْبَر – بزاى ، ونون موحدة وزن جَعْفَر – بن زيد بن أُمية الأنصارى ، ذكره ابن إسحاق .

مَحْمُود بن مَسْلَمة : قُتِلَ عِنْدَ حِصْنِ نَاعِم ، أُلقيت عليه صخرة ، قيل ألقاها عليه مرْحب ، وقيل : كنانة بن الرَّبيع ، ولعلهما آشتركا فى الفعل .

وَمِدْعَم الأسود مولى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قتل بخيبر – وهو الذى غلَّ الشملة يومئذ ، وجاء الحديث أنها تشتعل عليه نارا .

مرة بن سُراقة الأنصارى ، ذكره أبو عمر ، وتعَقبه ابنُ الأثير بأن الذى ذكروا أنه شهد خيبر آبنه عروة بن مرّة . قال الحافظ : ولا مانع من الجمع ، قلت : ويؤيّد كلام ابن الأثير أن أبا عمر لم يذكره فى الدرر ، بل ذكر آبنه عُرْوة .

مسعود بن ربيعة – ويقال : ربيع بن عمرو القارِيّ بالتشديد ممن آستشهد بخيبر .

---

(١) وانظر الخلاف حوله فى أسد الغابة ٤ : ١٨٤ ط الوهبية .

مسعود بن سعد بن قيس الأنصارى الزُّرقى : ذكره ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وابن سعد ، ونقل أبو نُعيم عن ابن عمارة أنه ذكره فيهم ، وخالفه الواقدِىّ – اه . نقله الحافظ وأقرّه . والذى فى مغازى الواقدى أنه ٱستُشْهِدَ بخيبر ، وأنَّ مرحباً قتله ، فالله أعلم .

يسار : اسم الأسود الراعي ؛ ذكره محمد بن عمر ، وابن سعد وسمّاه ابن إسحاق ، أسلم .

أبو سُفْيان بن الحارث ، كذا فى نسخة سقيمة عن الزهرى نقلاً عن رواية يونس عن ابن إسحاق ، ولم أره فى الإصابة .

أبو ضَيَّاح – بضاد مفتوحة ، فتحتية مشدّدة ، فألف ، فحاء مهملة – الأنصارى ، ٱسمه النّعمان ، وتقدم فى البدريين رجلٌ من أشجع ذكره محمد بن عمر ، وابن سعد . وروى النسائى والبيهقى عن شدّاد ابن الهاد – رضى الله عنه – أن رجلا من الأعراب جَاءَ إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فآمن وٱتَّبعه ، فقال : أُهاجِرُ معك ، فأَوْصى به النبي – صلَّى الله عليه وسلم – بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – شيئاً قسَّمه لهم ، وقَسَمَ له ، فأعطى أصحَابَه ما قسم له ، وكان يرعى ظَهْرَهُم ، فلما جاء دَفَعُوهُ إليه ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا قَسْمٌ قسمه لك رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم – فخذه ، فجاء به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : ما هذا ؟ قال : « قسم قسمته لك » قال : ما على هذا أتبعك ، ولكن اتبعتك على أن أُرْمَى/هٰهنا ، ٤٠٧ ظ وأشار إلى حَلْقِهِ – بسهم – فأموت ، فأدخل الجنة . فقال : « إنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْك » ثم نهضوا إلى قتالِ العدو ، فأُتِى به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يُحْمَلُ وقد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبيُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – : « هو هو » قالوا : نعم . قال : « صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَه » فكفَّنه النبى – صلَّى الله عليه وسلَّم – فى جُبَّته ، ثم قدمه . فصلَّى عليه ، وكان مما ظهر من صلاته : « اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ وابن عَبْدِكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِى سَبِيلِك ، قُتِلَ شَهِيْدًا ، أَنَا عَلَيْه شَهِيد » .

وقتل من يهود ثلاثة وتسعون رجلا .

ذكر انصراف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن خيبر وتوجهه الى وادى القُرى[1]

قال أبو هريرة : نزلناها أصيلاً مع مغرب الشَّمس ، رواه ابن إسحاق .

قال البلاذرى : قالوا : أتى رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مُنْصَرَفَه من خيبر وَادِى القُرى فَدَعا أهلَها إلى الإسلام ، فامتنعوا من ذلك وقاتلوا ، ففتحها رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عَنْوةً ، وغَنَّمه الله أموال أهلها ، وأصاب المسلمون منهم أثَاثاً ومتاعاً ، فخمَّس رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ ذلك ، وتركت الأَرض ، والنخل فى أيدى يهود ، وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهلَ خيبر .

قال محمد بن عمر : لما انصرفَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ عَنْ خيبر ، وأتى الصَّهْبَاءَ سلك على بِرْمَة[2] ، حتى انتهى إلى وادى القُرى ، يريد مَنْ بها من يَهُود ، وكان أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ يحدث فيقول : ـ خرجنا مع رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من خيبر إلى وادى القُرى ، وكان رِفاعة بن زيد [بن وهب][3] الجُذامى قد وَهَبَ لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم عبداً أسود يقال له مِدْعَم ـ بميم مكسورة فدال ساكنة فَعَين مفتوحة مهملتين ، وكان يُرَحِّل لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلمَّا نزلنا بوادى القُرى انتهينا إلى يهود ، وقد ضوى إليها ناسٌ من العَرَب ، فبينما مِدْعَم يَحُطُّ رَحْلَ رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ وقد استَقْبلَتْنا يهودُ بالرَّمى حيث نَزَلْنَا ، ولم نكن على تعبئة ، وهم يصيحون فى آطامهم ، فيقبل سَهْمٌ عائِرٌ[4] فأصاب مِدْعَما فقتله ، فقال الناسُ : هنيئًا له الجنة ، فقال : رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كَلاَّ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِه إنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِى أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَر مِنَ الْغَنَائِم لَمْ يُصِبْهَا الْمَقْسِمُ تَشْتَعِلُ

---

(١) انظر السيرة الحلبية ٣ : ٦٨ ، وشرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٤٧ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢١٨ والمغازى للواقدى ٢ : ٧٠٩ .

(٢) برمة : من أعراض المدينة قرب « بلاكث » بين خيبر ووادى القرى ، به عيون ونخل لقريش ، ويقال له .. « ذو البيضة » (وفاء الوفا ٤ : ١١٤٧) .

(٣) إضافة للتوضيح من البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢١٨ .

(٤) سهم عائر : أى لايدرى راميه (القاموس المحيط) .

عَلَيْهِ نَارًا » . فلما سمع النَاسُ بذلك جاءَ رجلٌ إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بِشِرَاكٍ أو شِرَاكَيْن ، فقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : « شِرَاكٌ مِنْ نَار أَوْ شِرا كان مِنْ نَار » .

وعبَّأَ رسولُ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أَصحابه للقتال ، وصفَّهم ، وَدَفَعَ لواءه إلى سَعْد بن عبادة ، وَرَايَة إلى الْحُبَابِ ابنِ الْمُنْذِر ، وراية إلى سهْل بن حُنَيْف ـ بضم الحاء المهملة وفتح النون ، وسكون التحتية ، وراية إلى عبَّاد ـ بتشديد الموحدة ، وبالدَّال المهملة ـ ابن بشر .

٢٠٨ و ثم دعاهم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى الإسلام وأخبرهم أنهم / إن أسلموا أحرزوا أموالهم ، وَحَقَنُوا دِماءَهم ، وحسابُهم على الله ـ تعالى .

فبرز رجلٌ منهم ، فبرز له الزُّبير بن العوام فقتله ، ثم بَرَزَ آخر ، فبرز له الزُّبير فقتله ، ثم بَرَزَ آخر ، فبرز إليه عَلِيٌّ بن أَبي طالب ـ رضى الله عنه ـ فقتله ، ثم برز آخر فبرز إليه أَبُودُجَانة فقتله ، ثم بَرَزَ آخر فبرز له أَبُو دُجَانَة فقتله ، حتى قتل منهم رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أَحَدَ عَشَرَ رجلاً كُلما قُتِلَ رجلٌ دعامَنْ بَقِيَ إلى الإسلام .

ولقد كانت الصَّلاةُ تحْضُر يومئذٍ فيصلى رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ بأَصحابه ، ثم يعودُ فيدعوهم إلى الله ورسوله ، فقاتلهم حتى أَمسوا ، وغدا عليهم فلم ترتفع الشَّمْسُ حتى أعطوا بأَيديهم ، وفتحها رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عَنْوة ، وغنَّمه الله ـ تعالى أموالهم ، وأَصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً ، وأَقامَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بوادى القُرى أَربعة أيام ، وقسم ما أَصاب على أَصحابه بوادى القرى ، وترك الأَرض والنخيل بأَيدى يهود ، وعاملهم عليها .

قال البلاذرى : وَوَلَّاهَا رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عمرو بن سعيد بن العاص ،

وأقطع رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ جمرة ـ بالجيم ـ ابن هوذة ـ بفتح الهاء ، والذَّال المعجمة ـ الْعُذْرِىَّ رميةً بسوطه[1] من وادى القُرى .

* * *

ذكر نومهم عن الصلاة حين انصرفوا من خيبر وما ظهر فى ذلك الطريق من الآيات[2]

روى مسلم ، وأبو داود عن أبى هريرة . وأبو داود عن ابن مسعود ، وابن إسحاق عن سعيد بن المسيب ، ومحمد بن عمر عن شيوخه قالوا : انصرَف رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من وادى القُرى راجعاً بعد أن فرغ من خيبر ووادى القُرى ، فلما كان قريباً من المدينة سَرَى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ليلته حتى إذا كان قُبَيْل الصُّبْح بقليلٍ نزل وعرَّس ، وَقَالَ : أَلاَ رجل صالح حافظ لعينه يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام ؟ قال بلال : يا رسولَ الله أنا أحفظه عليك ، فنزل رسولُ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلم ـ وَقَامَ بلال يُصَلِّى ما شاءَ اللهُ أن يُصَلِّى . ثم استند إلى بعيره ، واستقبل الفجر يرقبه ، فغلبتْهُ عيْنُه ، فنام ، فلم يستيقظ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ولا أحدٌ من أصحابه حتَّى ضربتهم الشمس .

وكان رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أول أصحابه هَبَّ ، فقال : « ما صَنَعْتَ بِنَا يَا بِلاَل » ؟ قَالَ : يَا رسولَ الله ، أخذ بنفْسى الَّذى أخذ بِنَفْسك ، قال : « صَدَقْتَ » ثم اقتاد رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بَعيره غَيْر كثير ، ثم أناخ وأناخ الناس فتوضَّأ ، وتوضأ النَّاس ، وأمر بلالاً فأقام الصَّلاةَ ، فلما فَرَغَ ، قال : « إِذَا نَسِيتُم الصَّلاةَ فَصَلُّوهَا إِذَا ذَكَرْتُمُوهَا ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَ يَقُول ﴿ وأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِى[3] ﴾ »

---

(١) كذا فى الأصول ، وفى أسد الغابة ١ : ٢٩٤ « رمية سوطه وحضر فرسه » وفى الإصابة ١ : ٢٤٤ « حضر فرسه ورمية سوطة » .

(٢) انظر السيرة الحلبية ٣ : ٦٩ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٤٠ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢١٢ والمغازى للواقدى ٢ : ٧١١ .

(٣) سورة طـه آية ١٤ .

روى الأئمة السِّتَّةُ[١] عن أبي موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ قال : أشرف الناسُ على وادٍ ، فرَفَعُوا أصواتهم بالتكبير : « الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله » فقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ « اربعوا[٢] عَلى أنْفُسِكُم إنَّكُم لا تَدْعُون أصَم وَلَا غَائِبًا ، إنكُم تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا ، وَهُوَ مَعَكُمْ » وأنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ فسمعنى وأنا أقُول لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله العلى العظيم ، فقال : « يا عَبْدَ الله بن قَيْس » قلت : لبيك يا رسول الله فداك أبى وأمى ، قال : « ألاَ أدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّة ؟ » قلت : بلى يا رسول الله ، فِداك أبى وأمى ، قال : « لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ » .

ولما انتهى رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى الجَرْف ليلاً ، نهى أن يَطْرُقَ الرجل أهْلَه لَيْلاً ، فذهب رجلٌ فطرق أهْلَهُ ، فرأى ما يكره فخلى سبيله ولم يَهْجُر ، وضَنَّ بزوجته أن يفارقها ، وكان له منها أولاد ، وكان يُحبها ، فعصى رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورأى ما يكره .

ولما نظر رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ إلى جبل أُحُد ، قال : « هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّه ، اللَّهُمَّ إني أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابتَى المَدِينَة » .

* * *

ذكر رد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على الانصار ما منحوه للمهاجرين

روى الشيخان ، والحافظ ، ويعقوب بن سفيان عن أنسٍ ـ رضى الله عنه ـ قال : لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة قَدِمُوا وليس بأيديهم شئ ، وكان الأنصارُ أهلَ أرضٍ وَعَقَار ، فقاسمهم الأنصار على أن أعطوهم أنصاف ثمار أموالهم كل عام ، ويكفوهم العمل والمؤنة ، وكانت أم أنسٍ أعطت رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ أعذاقاً لها ،

---

(١) رواه الشيخان وأصحاب السنن عن أبي موسى (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٤٨) .

(٢) إربعوا : أى أرفقوا وأمسكوا عن الجهر ، واعطفوا على أنفسكم بالرفق وكفوا عن الشدة (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٤٩) .

فأعطاهن رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أمَّ أيمن مولاته أم أُسامة بن زيد ، فلمَّا فرغ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ من أهل خيبر ، وانصرف إلى المدينة ، ردَّ المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التى كانوا قد منحوهم من ثمارهم ، وردَّ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى أُمى أعْذَاقها .

وفى رواية : فسألتُ رسولَ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ فأعطانيهن ، فجاءت أمُّ أيمن فجعلت الثوب فى عنقى ، وجعلتْ تقول : كلا والله الَّذى لا إله إلاَّ هو لا يعطيكهن وقد أعطانيهن ، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ « يا أم أيمن اتْرُكِى وَلَكِ كَذَا وكَذَا » وهى تقول : كلاَّ ـ والله الذى لا إله إلاَّ هو ، فجعل يقول : « لَكِ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِ كَذَا » وهى تقول : كلاَّ والله الذى لا إله إلاَّ هو حتى أعطاها عشرة أمثالها أو قريباً من عشرة أمثالها .

* * *

ذكر بعض ما قيل من الشعر فى غزوة خيبر

قال كعب بن مالك ـ رضى الله عنه[1] :

وَنَحْنُ وَرَدْنَا خَيْبَراً وَفُروضَه ... بِكُلِّ فَتًى عَارِى الْأَشَاجِعِ مِذْوَدِ/[2] ٢٠٩ و

جَوَادٍلَدَى الْغَايَاتِ لَاوَاهِنِ الْقُوَى ... جَرِىءٍ عَلَى الْأَعْدَاءِ فِى كُلِّ مَشْهَدِ

عَظِيمِ رَمَادِ الْقِدْرِ فى كُلِّ شَتْوَةٍ ... ضَرُوبٍ بِنَصْلِ الْمَشْرَفِىِّ الْمُهَنَّدِ

يَرَى الْقَتْلَ مَدْحاً إنْ أَصَابَ شَهَادَةً ... مِنَ اللهِ يَرْجُوهَا وَفَوْزاً بِأَحْمَدِ

يَذُودُ وَيَحْمِى عَنْ ذِمَارِ مُحَمَّدٍ ... وَيَدْفَعُ عَنْه بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ

وَيَنْصُرُه مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يَرِيبُه[3] ... يَجُودُ بِنَفْسٍ دُونَ نَفْسِ مُحَمَّدِ

يُصَدِّقُ بِالْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ مُخْلِصًا ... يُرِيدُ بِذَاكَ الْعِزَّ والْفَوْزَ فِى غَدِ

(١) انظر قصيدة كعب بن مالك فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٤٩ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢١٧ .

(٢) كذا فى المراجع السابقة وفى ت ، ط ، م . وفى ص « مجود » .

(٣) كذا ت ، ط ، م ـ وفى ص « وينصره فى كل أمر يريبه . . » .

وقال حسان ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنه[1] :

بِئْسَ ما قَاتَلَتْ خَيَابِرُ عَمَّـــا   جَمَّعُوا مِنْ مَزَارِعٍ وَنَخِيْــلِ
كرهُوا الْمَوْتَ فاستُبِيحَ حِمَاهُمْ   وَأَقَرُّوا فِعْلَ اللَّئِيمِ الذَّلِيْـــلِ
أَمِنَ الْمَوْتِ تَهْرَبُونَ فَإِنَّ الْـــ   مَوْتَ مَوْتُ الْهُزَال غَيْرُ جَمِيل

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : خيبر ـ بخاءٍ معجمة ، فتحتية ، فموحدة ، وزنُ جعفر : وهى اسم ولاية تشتمل على حُصُونٍ ومزارع ، ونخل كثير ، على ثلاثة أيام من المدينة على يسار حَاجٍّ الشّام . والخيبر بِلِسان اليهود ؛ الحصن ، ولذا سُمِّيت خيابر[2] أيضاً ـ بفتح الخاء ، قاله ابن القيم مما ذكر ابن إسحاق ، وقال ابن عقبة ومحمد بن عمر وأبو سعد النيسابورى فى الشرف : أنها بجبلة ـ بفتح الجيم والموحدة ابن جوّال بفتح الجيم وتشديد الواو ، بعدها ألف ولام ، وقيل : سُمِّيت بأَول من نزلها ، وهو خيبر أخو يثرب ابنا قَانِية بن مهلايل بن آدم بن عبيل ، وهو أخو عاد .

وذكر جماعة من الأَئمة : أَنَّ بعضها فتح صلحاً ، وبعضها فتح عَنْوةً . وبه يجمع بين الرِّوايات المختلفة فى ذلك .

وروى عن الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ أن الكَتِيبَة أربعون ألف عذق . ولابن زَبَالة حديث « ميلان فى ميل من خيبر مقدس ، وحديث « خيبر مقدسة ، والسوارقية[3] مؤتفكة ، وحديث « نعم القرية فى سنيّات الدجال خيبر » وتوصف خيبر بكثرة التمر .

---

(١) أنظر قصيدة حسان فى البداية والنهاية ٤ : ٢١٧ ، وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٥٠

(٢) فى شرح المواهب ٢ : ٢١٧ « ذكره الحازمى »

(٣) السوارقيّة ، ويقال السويرقية ـ مصغرة ـ قرية أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وكانت لبنى سليم ، وقال عرام هى قرية غناء كبيرة فيها مسجد ومنبر وسوق يأتيها التجار من الأقطار ، ولكل من بنى سليم فيها شىء ، ولهم مزارع ونخيل كثيرة وموز وعنب وتين ورمان وسفرجل وخوخ ، ولهم إبل وخيل وشاه ، وقرى حواليهم ويميرون طريق الحجاز (وفاء الوفا ٤ : ١٢٣٨) .

قال حسان بن ثابت ـ رضى الله عنه :

وإنَّا وَمَن يُهْدِى القَصَائِدَ نَحْوَنَا كَمُسْتَبْضِعٍ تمراً إلى أهلِ خَيْبَرَ

وروى البخارى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قال : لما فُتِحَتْ خيبر ، قُلْنَا : الآن نشبع من التمر . وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : ما شبعنا من التَّمر حتَّى فُتِحتْ خيبر ، وتُوصف خيبر بكثرة الْحُمَّى ، قدم خيبر أعرابى بعياله فقال :

قلتُ لحمىّ خيبـــر استعدِّى هَاكِ عِيَالِى فَأَجْهِدى وَجِدِّى
وباكِـــرى بصالـــدٍ وورد أَعَانكِ اللهُ عَلَى ذاالجند[1]

فحُمَّ ومات ، وبقى عياله .

قال أبو عبيد البكرى ـ رحمه الله ـ فى معجمه وفى الشَّق عين تُسمى الحَمَّة ، وهى الَّتِى سَمَّاها رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قسمة الملائكة[2] ، يذهب ثلثا مائها فى فَلْج / والثلث الآخر فى « فلج » والمسلك واحد وقد اعتبرت منذ زمان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى اليوم يطرح فيها ثلاث خشبات أو ثلاث تمرات فتذهب اثنتان فى الفَلْج الذى له ثلثا مائها ، وواحدة فى الفَلْج الثانى ، ولا يقدر أحد أن يأْخذ من ذلك الفلج أكثر من الثلث ، ومن قام فى الفَلْج الذى يأْخذ الثلثين لِيَرُدَّ الماءَ إلى الفلج الثانى غلبه الماءُ وفاض ، ولم يرجع إلى الفلج الثانى شئٌ يزيد على قدر الثلث وتشتمل خيبر على حصون كثيرة ، ذُكر منها فى القصّة كثير . ٢٠٩ ظ

الثانى : اختلف فى أى سنةٍ كانت غزوتها : قال ابن إسحاق : خرج رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلَّم ـ فى بقية المحرَّم سنة سبع ، فأَقام يُحَاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها فى صفر .

---

(١) فى الأصول « وباكرى بصائب وردى أعادتك الله على ذى الجنــد
والمثبت من معجم البلدان لياقوت ٢ : ٥٠٥ .
(٢) فى الأصول « قبة الملائكة » والمثبت عن معجم ما استعجم للبكرى ١ : ٣٣٢ .

وقال يُونس بن بكير فى المغازى عن ابن إسحاق من حديث المِسْوَر ومروان ، قالا : « انصرف رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ من الحُدَيْبِيَة ، فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة » فأعطاه الله فيها خيبر بقوله : (وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرة تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِه[1]) ويعنى خيبر ، فقدِمَ المدينةَ فى ذى الحجة فأقام بها حتى سار إلى خيبر فى المحرم .

وذكر ابن عُقْبَة عن ابن شهاب أنه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أقام بالمدينة عشرين ليلة أو نحوها ثم خرج إلى خيبر .

وعنْدَ ابن عائِذ عن ابن عباس : أقام بعد الرجوع من الحديبية عشر ليال .

وعند سليمان التيمى خمسةَ عشر يوما .

قال الإمام مالك رحمه الله ـ تعالى ـ : كان فتح خيبر سنة ست

والجمهور ـ كما فى زاد المعاد : أنها فى السابعة ، وقال الحافظ : إنه الراجح قالا : ويمكن الجمع بأن مَنْ أطلق سنة ست بناه على ابتداء السَّنة من شهر الهجرة الحقيقى ، وهو ربيع الأول .

وابن حزم ـ رحمه الله ـ يرى أنه مِنْ شهر ربيع[2] الأول .

الثالث : قال الحافظ : نقل الحاكم عن الواقدى ، وكذا ذكره ابن سعد[3] أنها كانت فى جُمَادى الأُولى . فالذى رأيته فى مغازى الواقدى : أنها كانت فى صفر ، وقيل : فى ربيع الأول ، وأغرب من ذلك ما رواه ابن سعد ، وابن أبى شيبة عن أبى سعيد الخُدْرى ـ رضى الله عنه ـ قال : خرجنا إلى خيبر لثمان عشرةَ من رمضان ، الحديث . وإسناده حسن ، إلا أنه خطأ ، ولعلها كانَتْ إلى حنين فتصحفت[4] ، وتوجيهه[5] بأن

---

(١) سورة الفتح آية ٢٠ .

(٢) ولذا جزم بن حزم بأن خيبر كانت سنة ست (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢١٧)

(٣) ذكره ابن سعد عن الواقدى أيضاً (المرجع السابق) .

(٤) والتصحيف حصل لتقارب اللفظين (شرح المواهب الزرقانى ٢ : ٢١٧) .

(٥) أى الخروج من هذا التناقض (المرجع السابق) .

غزوة حُنَيْن كانت ناشِئَةً عن غزوةِ الفتح ، وغزوةُ الفتح خرجَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فيْهَا فى رمضان جَزْماً[1] ، وذكر الشيخ أَبو حامد ـ رحمه الله ـ تعالى ، فى التعليق : أَنها كانت سنة خمس ، وهو وَهْمٌ ، ولعله انتقال من الْخَنْدَق إلى خيبر ، وأجاب بعضهم[2] بأَنه أَسقط سنة المقدم أى وقطع النظر عن سنة الغزوة[3]

الرابع : قول عامر : اللَّهُمَّ لولا أَنت ما اَهتدينا ؛ قال الحافظ فى هذا : الْقِسْم زحاف الْخَزْم بالمعجمتين ، وهو زيادةُ سببٍ خفيف ، وفى الصحيح فى الجهاد عن البراءِ بن عازب : أَنه مِنْ شعر عبد الله بن رَوَاحة ، فيحتمل أَن يكون هو وعامر تواردًا / على ما توارد عليه بدليل ما وقع لكل منهما مما ليس عند الآخر واستعان عامر ببعض ما سبقه إليه ابن رواحة . ٢١٠ و

الخامس : اَستشكل[4] قول عامر : « فداءً » بأَنه لا يقال فى حق الله ـ تعالى ، إذ معنى « فِدَاءً » نفديك بأَنفسنا ، فحذف متعلق الفعل للشهرة ، وإنما يتصور الفِداءُ لمن يجوز عليه الْفَنَاءُ ، وأُجيب عن ذلك بأَنها كلمة لا يراد ظاهرها ، بل المراد بها المحبة والتعظيم ، مع قطع النَّظر عن ظاهر اللَّفظ ، وقيل : المخاطَبُ بهذا الشعر النبىّ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ والمعنى ؛ لا تؤاخذنا بتقصيرنا فى حَقِّك ونصرك ، وعلى هذا فقوله : « اللَّهم » لم يقصد به الدعاءَ ، وإنما اَفْتَتَح بها الكلام ، والمخاطب بقوله : لولا أَنت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويعكر عليه قوله بعد ذلك : فأَنزلن سكينة علينا : وثبت الأَقدام إن لاقينا ، فإنه دُعَاءٌ لله ، ويحتمل أَن يكون المعنى ؛ فاَسأَل ربك أَن ينزل ويثبت .

السادس : فى بيان الروايات التى وردت فى هذا الرجز ومعانيها.

---

(١) وعلى هذا الأساس فيصح إطلاقه على غزوة حنين بجعلها من غزوة الفتح لكونها ناشئة عنها ، والخروج من المدينة لها واحد .

(٢) فى شرح المواهب ٢ : ٢١٧ « وأجاب البرهان » .

(٣) الإضافة عن المرجع السابق .

(٤) أورد هذا الإشكال الإمام الفقيه الأصولى محمد بن على بن عمر التميمى المازرى ـ نسبة إلى مازر بليدة بجزيرة صقلية ـ مات سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، وله ثلاث وثمانون سنة (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢١٩) .

وما اتقّينَا بتشديد الفوقية بعدها قاف ؛ أي ؛ ما تركنا من الأوامر ، « ومَا » ظرفية ، وللأَصيلى[1] والنسفى من رواية الصحيح بهمزة قطع ، فموحدة ساكنة ؛ أى ما خلفنا وراءنا مما كسبناه من الآثام ، أو ما أَبْقَينا وراءنا من الذنوب ، فلم نَتُب منه وللقابِسى : مَالَقِينا بلامٍ وكسْرِ القاف ؛ أى ما وجدنا من الْمَنَاهى . ووقع فى الأَدب[2] ما اقْتَفَيْنَا بقافٍ ساكنة ، ففوقية ، وفاءٍ مفتوحتين ، فتحتية ساكنة ، أى اتَّبَعْنَا من الخطايا ، من قَفَوْت الأَثر إذا تبعته . وكذا عند مسلم ، وهو أشهر الروايات فى هذا الرجز .

أَلْقِيَن سكينةً علينا . وفى رواية النسفى و « أَلْقِ » بحذف النون ، وبزيادة ألف ولام فى السكينة بغير تنوين ، وليس بموزون

السكينةُ : الوقار ، والتثبت .

أَتينا : بفوقية : أى جئنا إذا دعينا إلى القتال أو الحق . ورُوى بالموحدة أى إذا دعينا إلى غير الحق امتنعنا

وبالصياح عَوّلوا علينا : أى قصدونا بالدعاء وبالصوت العالى . واسْتَعَانُوا علينا ، يقالُ : عولتُ على فلان وعولت بفلانٍ .

السابع : أُختُلِف فى فتح خيبر . هل كان عَنْوةً أو صلحاً ، وفى حديث عبد العزيز ابن صُهَيب عند البخارى فى الصلاة : التصريح بأنه كان عَنْوَة ، وبه جزم أبو عمر ، وردَّ على من قال فُتِحَتْ صُلْحًا ، قال : وإنما دَخَلَتِ الشُّبْهةُ على من قال فُتِحتْ صلْحاً ؛ بالحصنين اللذين أسلمهما أهلهما لحقْنِ دِمَائهم ، وهو ضربٌ مِنَ الصلح ، لكنه لم يقع ذلك إلاَّ بحِصَار ، وقتال ، قال الحافظ ـ رحمه الله تعالى : والذى يظهر أَنَّ الشبهة فى ذلك قولُ ابن عمر : إن النبيَّ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قاتل أهلَ خيبر ، فغلب على

---

(١) انظر رأى الأصيل والقابسى وجميع الروايات المختلفة والتخريجات ووجوه الإعراب فى شرح المواهب ٢ : ٢١٨
(٢) أى ولمسلم والبخارى فى الأدب (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢١٨)

النخل فَصالحوه على أن يَجْلُوا منها وله الصفراءُ والبيضاءُ والْحَلْقة ، ولهم مَا حَمَلَتْ ركابُهم ، على ألا يكتموا ولا يغيبوا الحديث . وفى آخره : فسبى نساءهم وذرَاريهم ، وقسّم أموالهم للنكث الذى نكثوا ، وأراد أن يجليهم ، فقالوا : دَعْنَا فى هذه الأرض نصلحها .. الحديث ، ورواه أبو داود والبيهقى / وغيرهما ، وكذلك أخرجه أبو الأسود ٢١٠ ظ فى المغازى عن عروة . فعلى هذا كان وقع الصلح ، ثم حصل النقض منهم فزال أمر الصلح ، ثم مَنَّ عليهم بترك القتل وإبقائهم عُمَّالاً بالأرض ، ليس لهم فيها ملك ، ولذلك أجلاهم عمر ، فلو كانوا صُولحوا على أرضهم لم يجلوا منها .

وجنح غَيْرُ واحِدٍ من العلماء إلى أن بعضها فُتح عَنْوَة ، وبعضها فُتح صلحاً ، وليس بنا ضرورة إلى بَسْطِ الكلام على ذلك .

الثامن : زعم الأُصَيْلِيُّ – رحمه الله تعالى – أنّ حديث نومهم عن الصلاة إنّما كان بِحُنَيْن لا بخيبر ، وأن ذِكْرَ خيبر خطأٌ ، ورد عليه أبو الوليد الْبَاجِي ، وأبو عمر فأجادا .

التاسع : اَخْتُلِفَ فى إسلام زينب بنت الحارث التى أهدت الشّاة المسمُومة وفى قَتْلِهَا ؛ أما إسْلاَمُهَا ؛ فروى عبد الرَّزّاق فى مصنَّفه عن معمر عن الزُّهْرِيِّ أنها أسلمت ، وأن رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – تركها . قال معمر : والناسُ يقولون قَتَلَهَا . وجزم بإسلامها سليمان التيمى فى مغازيه ولفظه بعد قولها : « وإن كُنْتَ كاذباً أرحتُ النَّاسَ مِنْك ، وقد اَستبان لى أنَّك صادق ، وأنا أُشهدك وَمَنْ حَضَركَ أنِّى على دينك ، وأن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، قال : وانصرف عنها حين أسلمت ،

وأما قتلها وتركها ، فروى البيهقى عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أنه – صلى الله عليه وسلم – ما عرض لها ؛ وعن جابر قال : فلم يُعَاقِبْها رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم ، وروى ابن سعد عن شيخه محمد بن عمر بأسانيد له مُتَعَدِّدَة هذه القصة ، وفى آخرها فدفعها إلى أولياء بشر بن البراء فقتلوها قال محمد بن عمر : وهو أثبت.وروى أبو داود

من طريق الزُّهْرى عن جابر نحو رواية معمر عنه ، والزهرى لم يسمع من جابر ، ورواه أيضاً عن أبى هُرَيْرَة .

قال البيهقى — رحمه الله — يحتمل أن يكون تركها أولاً ، ثم لمَّا مَات بشرُبنُ البراء من الأَكْلَةِ قَتلَهَا . وبذلك أجاب السُّهَيْلى — رحمه الله تعالى — وزاد : أنه تركها ، لأنه كان لا ينتقم لنفسه ، ثم قتلها بِبِشْر قِصَاصًا .

قال الحافظ — رحمه الله تعالى — : يحتمل أن يكون تركها أولاً ، ثم لَمَّا مات بشرُ لكونها أسلمت ، وإنما أَخَّرَ قَتْلَهَا حتى مات بشر لأَنَّ بموته يتحقق وُجُوبُ القصاص بشرطه .

وروى أبو سعد النَّيْسَابُورى : أنَّه — صلَّى الله عليه وسلَّم — قتلها وصلبها ، فالله أعلم

العاشر : وقع فى سنن أبى داود أنها أُختَ مَرْحَب ، وبه جزم السُّهَيْلىُّ ، وعند البيهقى فى الدلائل : بنت أخى مرحب ، وبه جزم الزُّهْرِى كما فى مغازى مُوسى بن عقبة

الحادى عشر : إن قيل ما الجمعُ بين قوله — تعالى : [والله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس(١)] وبين حديث الشاة المسمومة المصلية بالسُّم الصادر من اليهودية ؟ والجواب : أن الآية نزلت عَامَ تَبُوك ، والسُّم كان بخيبر ، قبل ذلك .

الثانى عشر : اختلف فى مدَّة إقامته — صلَّى الله عليه وسلَّم — بأَرض خيبر ، فروى الطبرانى فى / الأَوسط عن ابن عباس — رضى الله عنه — أن رسولَ الله — صلَّى الله عليه وسلَّم — أقام بخيبر ستة أشهر ، يجمع بين الصَّلاَتين . وروى البيهقى عنه : أربعين يَوْماً ، وسَنَدُه ضعيف . ٢١١ و

وقال ابن إسحاق ......(٢)

---

(١) سورة المائدة آية ٦٧ .

(٢) فى ط ، ت ، م « بياض بمقدار ثلاث كلمات . وليس لهذا البياض أثر فى ص — وفى شرح المواهب ٢ : ٢٤٧ « والذى قاله ابن اسحاق والواقدى والبلاذرى يستفاد منه أن المدة كانت بضع عشرة ليلة فى الحصار حتى فتحت فى صفر وثلاثة أيام بليانيها حين بنى بصفية وثمانية أيام مدة الذهاب والإياب فغاية المدة شهر » .

الثالث عشر : فى بيان غريب ما سبق .

اسْتَنْفَرَ : استنجد واستنصر .

عسكر[1] : جَمَعَ عسكره : أىْ جَيْشه .

ثَنِيَّة الوداع : تقدَّم الكلامُ عليها مَبْسوطاً فى دخوله – صلى الله عليه وسلم – المدينة . فى أبواب الهجرة .

الزَّغَابة – بالزاى والغين المعجمتين وبالموحدة كسحابة ، وضبطه أبو عبيد البكرى – رحمه الله تعالى – بالضم : مجتمع السيول بأرض العقيق ، غربى مشهد حمزة ، وهو أعلى إضَم ، ووهم مَنْ قال إنه لا يُعْرَف ، وإنما المعروف الغابة .

نَقَمَى – بنون فقاف فميم مفتوحات فألف تأنيث : اسم وادٍ بالمدينة كجمزى ونسكى ، ويُرْوَى – بضم أوله وثانيه : اسم وادٍ بها .

الْمُشَلَّلْ – بضم الميم ، وفتح الشين المعجمة ، واللام الأُولى وتشديدها : ثنيةٌ تشرف على قديد .

الوطاة[1] : الأَرض السهلة .
راهق – بالراء والقاف . : قارب .

الجُبْن – بضم الجيم ، وسكون الموحدة ، وتضم أيْضًا : صفة الجبان .

ضلع الدِّين ، قال القاضى – بفتح الضاد المعجمة ، واللام . شدته ، وثقل حمله .

قينقاع ، والنضير ، وقُرَيْظَه : تقدم الكلام عنها فى غزوتها .

سُنْبُلَانِيَّة – بضم السين المهملة ، والموحدة بينهما نون ؛ أى سابغة من الطول؛ يقال ثوب سُنْبُلَانى ، وسَنْبَلَ ثوبَه إذا أسبله من خلْفه ، أو أمامه ، وقال اليعمرى : منسوبة إلى موضع من المواضع . قلت : سنبلان محلة ، بأَصبهان ، والمراد هنا الأَول .

(١-١) هذه الألفاظ الستة لم ترد فى سياق الخبر .

الكِرْبَاس – بالكسر : الثوب[1] الخشن .

عِصْر – بمهملات فالكسر : فالسكون ، أو بفتحتين : جبل بقرب المدينة من جهة خيبر ، ومن الغرائب قول ابن الأثير مع ذكر ذلك أنه بين المدينة ووادى الفُرْع[2] .

حَدْوُ الإبل : سَوْقُها بالشِّعْر .

الصَّهْبَاء – بفتح الصّاد المهملة وسكون الهاء وبالمد : موضع قرب المدينة .

أدْنى خيبر : أسفلها .

هنيهَاتِك – جمع هُنَيْهَة ؛ وهى تصغير هَنَة كما قالوا فى تصغير سنة سنيهة ، والهنة : كناية عن كل شئ لا يعرف اسمه ، أو يعرف فيكنى عنه ، كذا فى الصحيح بالتصْغير ، وفى أخرى هُنَيَّاتك[3] ، وفى السيرة : هناتك جمع هنة ؛ أى من أخبارك وأشعارك ، فكنّى عن ذلك كله ، والمراد هنا الحُدَاء للإبل .

وَجَبَتْ : أى الجنة .

لولا : حرف عَرْضٍ بمعنى هلا .

أمتعتنا – بفتح أوله : أبقيته لنا لنستمتع : أى بشجاعته ، والتمتع : الترفه إلى مدة .

على بَكْرٍ – بفتح الموحّدة : الفتىّ من الإبل .

السويق – بفتح السين ، وكسر الواو ؛ قمح أو شعير يُقْلى ثم يطحن .

ثرى السويق : بله .

الرجيع – بالجيم كأمير ، وادٍ قرب خيبر .

---

(١) الكرباس : لفظ فارسى ، وهو الثوب من القطن (اللسان) .

(٢) وقد ورد التعريف به فى وفاء الوفا ٤ : ١٢٦٧ ، وعقب السمهودى على التعريف بقوله « وفيه نظر » . كما ورد التعريف به فى لسان العرب .

(٣) وهى رواية الكشميهى – بحذف الهاء الثانية وشد التحتية : أى من أراجيزك (شرح المواهب ٢ : ٢١٨) .

غَطَفَان ـ بغين معجمة ، فطاء مهملة ، ففاء مفتوحات .

الفَأْل . والطِّيَرَةُ : يأْتى بيانهما فى باب محبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ الفَأْلَ الحسنَ

* * *

شرح غريب/ذكر إرادة غطفان مساعدة يهود ، ودعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ لما اشرف على خيبر

٢١١ ظ

قوله(1) : مُظَاهِرِين : مُعَاونين .

المَنْقَلَة ـ بميم مفتوحة ، فنون ساكنة ، فقاف مفتوحة ، فلام : الْمَرْحَلَةُ من مراحل السَّفر .

خالفوا إليهم : جاءوا إلى أهلهم بعد خروج قومهم .

تُبْلَوْنَ ـ بضم الفوقية ، وسكون الموحدة ، وفتح اللام .

غَشُوكم ـ بفتح الغين ، وضمّ الشين المعجمة .

النبأ : الخبر

أَظْلَلْن(7) ـ بظاءٍ معجمة مُشالة ؛ من الظل .

أَقْلَلْن : حملن .

أَضللن ـ بضادمعجمة ساقطة : من الإِضْلَال ، ضدالإِ رشاد .

ذَرَيْن ـ بذال معجمة : حَمَلْن ، وقِال : أَذْرَين لمزاوجة أَضللن .

* * *

شرح غريب ذكر وصول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى خيبر

قولهُ : عرَّس : بعين ، فراءٍ مشدَّدة ، فسين مهملات مفتوحاتٍ ، نزل ليلا ، أو آخره .

مَنَعَتهُم : قُوَّتهم وعددهم ؛ بفتح العين .

هيهات : اسم فعل ماض بمعنى بَعُد .

(1-7) لم ترد هذه الألفاظ السبعة فى سياق الخبر .

السَّاحة : الموضع المتسع أمام الدار ، وقال الأزهرى : هو فضاء بين دُورِ الحىّ .

الأَفْئِدة : جمع فؤاد ؛ وهو القلب .

غدا إلى كذا : سار إليه صباحاً .

الْمَسَاحِى بمهملتين ، جمع مِسْحَاة : وهى من آلة الحرث[1] ، والمِيم زائدة ، لأنه من السَّحْو ، وهو الكشف والإزالة .

الكرازِن : جمع كَرْزَن ـ بفتح الكاف والزَّاى وبكسرهما وبالنون ويقال بالميم عوضاً عن النون : وهو الفأس .

الْمَكَاتِل ـ جمع مِكْتَل ، بكسر الميم ، وفتح الفوقية : الْقُفَّةُ الكبيرة التى يحمل فيها التراب وغيره ، سميت بذلك لتكتل الشئ فيها ، وهو تلاصق بعضه ببعض .

لم يُغِزْ ـ بضم التحتية ، وكسر الغين المعجمة : أى لم يسرع فى الهجوم عليهم .

انْحَسَر ـ انكشفَ .

محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خبر مبتدأ محذوف ، تقديره : هو أو هذا محمد .

الخميس ـ بلفظ اسم أحد الأيام يروى ـ بضم السين وبفتحها على أنه مفعول معه ، وسُمِّىَ الجيشُ خميساً لأنه ينقسم خمسةَ أقسام ؛ لأَنَّ له ساقَةً ، ومقدمةً ، وجناحين ، وقلباً ، لامن أجل تخميس الغنيمة لأن فى تخميسها سنة الإسلام ، وقد كان الجيشُ يُسمَّى خميساً فى الجاهلية .

النَّزُّ ـ بفتح النون ، وتشديد الزاى : السائِل من المائع .

النَّطَاةُ ـ بنون فطاءٍ مهملة بوزن : حصاة .

الْخَمَرُ ـ بخاءٍ معجمة ـ فميم مفتوحتين فراء ، مَا وَارَاكَ من شجرٍ أو بناءٍ أَوْ غَيْرِه .

البرىء ـ بفتح الموحدة ، وكسر الراء المخففة ، وبالمد : السالم .

---

(١) المساحى : جمع مسحاة ، وهى المجرفة من الحديد (اللسان) وفى شرح المواهب ٢ : ٢٣١ جمع مسحاة من آلات الحرث .

الرجيع - بالراء ، والجيم والعين المهملتين وزن أمير ، واد قُرْب خيبر ، وهو غير الذى توجه إليه عاصِمُ حِمَى الدَّبْر[1] .

* * *

شرح غريب ذكر ابتداء القتال واخذ الحمى المسلمين

قوله : من أَشْجَع - بشين معجمة ، فجيم ، فعين مهملة .

الشعار - بكسر الشين المعجمة ، وبالعين المهملة : العلامة التى كانوا يتعارفون بها فى الحرب / يامنصور أَمِتْ : أمر بالموت ، والمراد به التفاؤل بالنصر بعد الأَمر بالإماتة ٢١٢ و مع حصول الغرض . بالشعار ، فإنهم جعلوا هذه الكلمة علامة يتعارفون بها لأَجل ظلمة الليل .

تَرَّس - بفوقية ، فراء مشددة فسين مهملة .

نَاعِم - بالنون ، والعين المهملة كصاحب : حصن من حصون خيبر .

أَهْمَدَتْهُم : أذهبت قوتهم .

قَرِّسوا - بفتح القاف وكسر الرَّاء المشددة ، وضم السين المهملة فعل أمر ؛ أى : برِّدوا ، يومٌ قارس البرد .

شِنَان - بكسر الشين المعجمة : الأَسقية[2] .

أَحدروا - بالحاء ، والدال المهملتين : صبوا الماء .

نشطوا - بنون مضمومة : خلصوا ، وليس إسقاط الهمزة من أوله بلحن بل لغة صرح بها فى البارع .

العُقُل - بضمتين : جمع عِقَال .

---

(١) والرجيع الذى كانت به سرية عاصم بن ثابت يقع بين مكة والطائف ، فى أرض بنى سليم وأرض بنى كلاب (وفاء الوفا ٤ : ١١٤٢ ، ١٢١٧) ، وحمى الدبر أى الذى حماه الدبر من أخذ قريش له بعد قتله والدبر النحل أو الزنابير . وكان ذلك بسبب دعائه قبل قتله : اللهم إنى حميت دينك فى أول النهار فاحم لحمى آخره . وانظر قصته فى بعث الرجيع بشرح المواهب للزرقانى ٢ : ٦٤ - ٧٤ .

(٢) الشنان : الأسقية الخلقة ، وهى أشد تبريداً للماء من الجدد . البدايه والنهاية لابن كثير ٤ : ١٩٤ .

[الصعبُ[1]] : ضد السهل .

الوَدَك – بفتح الواو ، والدال المهملة : دسم اللحم ودهنه

العلقة من العيش – بضم العين المهملة : القليل منه .

الظُّبِيُّ – جمع ظَبْى : حيوان معروف .

الظَّلِيمُ – بفتح الظاء المعجمة المشالة ، وكسر اللاّم : الذّكر من النّعَام .

احتضَنَ الشّىء : جعله تحت حضنه ، وهو ما تحت الإبط إلى الخاصرة .

المعشر : جماعة الرجل ، دون النساء ،

جُهِدنا – بالبناء للمفْعُول : حصل لنا جَهْدٌ ومشقة .

غَنَاء – بفتح الغين المعجمة ، وتخفيف النون ، وبالمد : الكفاية .

البَرَاز – بفتح الموحدة ، والراء ؛ الأَرض الواسعة الفضاء[2] .

الغفارى – بكسر الغين المعجمة .

الزّيال : بزاى معجمة وياء[3] وألف ثم لام .

بادره : سارع إلى قتله .

على هامته : رأسه .

ذُبَابُ السَّيْف – بضم الذال المعجمة وبالموحدتين : طرفه .

الدُّعْموص – بِضَمّ الدَّال ، وسكون العين وآخره صاد : دُوَيْبَةٌ تغوص فى الماء .

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) ويجوز أن يكون بكسر الباء ويكون المعنى خرجوا للمبارزة أى المقاتلة .

(٣) إضافة يقتضيها السياق .

شرح غريب ذكر محاصرته ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ حصن الزبير بن العوام وحصـــون الشـــق

[الشق[1]] - بفتح الشين المعجمة ، أَعْرَفُ مِنْ كَسْرِهَا ، وبالقاف المشددة عند أهل اللغة .

قوله قلة الزّبير : هى القلعة التى صارت إليه من قسمة الغنائم .

الرّعب : الخوف

الدُّبول : [جمع دَبْل ، نهيرات وقنوات وجداول[2]] .

أَصحروا : خرجوا إلى الصحراء .

أُبَيّ [بضم الهمزة وفتح الباءِ مُصغر][3] .

سَمْوان[4] :

دَففَ عليه - بدال ، رُوِىَ إعجامُها وإهمالها : أى أجهز عليه ، وحزَّ رَقَبَتَهُ .

أبو دُجانة - بضم الدال المهملة : وتخفيف الجيم وبالنون سماك بن خرشة

يختال : [يمشى مشية المتكبر][5] .

الأَثاث - بثاءين مثلثتين : المتاع .

الجدر : جمع جدار ، وهو الحائط .

ساخ فى الأرض - بالخاء المعجمة : أنخسف فيها .

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) إضافة على الأصول عن نهاية الأرب للنويرى ١٧ : ٢٥٦ .

(٣) بياض بالأصول ، والمثبت يقتضيه السياق . وحصن أبى هو أول مابدأ به صلى الله عليه وسلم من حصون الشق كما فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٢٨ .

(٤) بياض بالأصل بمقدار ثلاث كلمات . ولعله كان يريد أن يقول بالسين المهملة والميم والواو - وقد سبق أن بينا أن اللفظ فى المغازى للواقدى ٢ : ٦٦٧ « سمران » بضم فسكون فراء مفتوحة . وكذا فى وفاء الوفا ٤ : ١٢٢٦ .

(٥) إضافة يقتضيها السياق .

شرح غريب انتقاله — صلى الله عليه وسلم — الى حصون الكتيبة

قوله : الكَتيبةُ : بكافٍ مفتوحة ، ففوقية ، وقال أبو عُبَيْدَة : بثاء مثلَّثة مكسورة فتحتية ساكنة فموحدة ، وقيل : إنها بالتصغير .

٢١٢ و القَمُوص بالقاف / والصاد المهملة كصبور . وقيل : بغين فضاد معجمتين .

الوَخَم ــ بفتح الواو ، والخاء المعجمة : الوباء .

الشَّقِيقَةُ : وَجَعٌ يأُخذ نصف الرأس والوجه .

نهض : تحرك .

الفتح : النصر .

قد جهد : أصابه جهد ؛ وهو المشقة .

الأَرمد : الذى أَصابه الرّمد فى عينيه ، وهو وجع فيها .

الفرّار ــ بفتح الفاء والرّاء المشددة : الهَرّاب .

تَفَل : بَصَقَ .

العَنْوَة ــ بفتح العين المهملة : أَخذ الشيء قهراً .

بات الناسُ يَدُوكُون ــ بتحتية ، فدال مهملة مضمومة ؛ أى باتوا فى اختلاط واختلاف ، والدوكة : الاختلاط .

غدوا عليه ــ بالمعجمة : أتوا صباحاً .

تطاولتُ لها : رفعتُ عنقى كى يرانى .

ثَم : بفتح المثلثة .

أناخ : برك براحلته .

شِقّ بُرْد ــ بكسر الشين المعجمة : قطعةٌ منه .

قِطْرى ـ بكسر القاف ، وسكون الطاء المهملة : نوع من البُرُود فيه حمرة ، ولها أعلام ، فيها بعض الخشونة ، وقيل : هى حُلَلٌ تحمل من قبل البحرين ، قال الأَزهرى : فى أعراض البحرين قرية [يقال لها[1]] قطر ، وأَحسبُ الثياب القطرية تنسب إليها ، فكسروا القاف للنسبة ، وَخَفَّفُوا .

بَرَأَ ـ بفتح الراء ، والهمزة ، بوزن ضَرَبَ ، ويجوز كسر الراء ، بوزن عَلِم : خلص من وجعه .

مضى لسبيله : مات .

أَنْفُذ ـ بضم الهمزة ، والفاء ، بينهما نون ساكنة ، وإعجام الذال ، : امض .

على رسلك ـ بكسر الراء : على هيئتك .

حُمْر ـ بضم الحاء المهملة ، وسكون الميم : النَّعَمَ بفتح النون ، والعين المهملة ؛ الحُمْر من ألوان الإبل المحمودة ، قيل : المراد خير لك من أن تكون لك فتصدق بها ، وقيل : بل تقتنيها وتملكها ، وكانت مما يتفاخر به

علام ؛ « على » حرف الجر ، دخل على « ما » الاستفهامية فَحُذفت ألفها لدخوله .

يَأْنِحُ ـ بتحتية ، فألف ، فنون مكسورة ، فحاء مهملة : أى به نفس شديد من الإعياء فى العدو .

يهرول : يسرع ؛ والهرولة : فوق المشى ودون الجرى .

غلبْتُم[2] ـ بالبناءِ للمفعُول .

الرّضْم[3] ـ بفتح الراء ، وسكون الضاد المعجمة ، ويجوز تحريكها : الحجارة المجتمعة .

---

(١) الإضافة يقتضيها السياق .

(٢) فى سياق الخبر ص ١٩٥ « غَلَبْتهم » .

(٣) لم ترد هذه الكلمة فى سياق الانتقال إلى حصون الكتيبة .

شرح غريب ذكر قتل على رضى الله عنه ــ الحارث وأخاه مرحبا وعامرا وياسرا الخ

قوله فى عاديته[1] .....

جسيما : عظيم الجسم .

شاك السلاح – بشين معجمة ، وأصله شائك بحذف الهمزة ، ومن رواه شاك أو شاكى فإنه أخذ الهمزة إلى آخر الكلمة وقلبها ياء .

الحِمَى – بكسر الحاء ، وفتح الميم المخففة : كل ما حميته ومنعته .

المساوِر : المعاجل خصمه[2] .

يحوس الناس ـ بحاء وسين مهملتين : يجهضهم عن أثقالهم ، أى يبلغ فى النكاية فِيهم ، وأصل الحَوْس شدة الاختلاط ، ومداركة الضرب .

زبّار : أراد زُبَيْر .

القَرْم – بفتح القاف : السيد ، وأصله الفحل من الإبل الذى أقرم ؛ أى تُرِكَ من الركوب والعمل ووضع[3] للفِحلة .

النِّكْس – بكسر النون : الرجل الضعيف .

الحَوَارى : الناصر والمعين .

الليوث : جمع ليث ؛ الأَسد .

٢١٣ و تلهب / أصله : تتلهب .

مغامر : يقتحم المهالك .

---

(١) بياض فى الأصول بمقدار ثلاث كلمات والعادية : الحدة والغضب (المحيط) وكذلك الذين يعدون على أرجلهم (هامش المغازى للواقدى ٢ : ٦٥٣) .

(٢) كذا فى ت ، ط ، م – وفى ص « المغاور : القتال المعاجل خصمه » .

(٣) كذا فى ت ، ط ، م – وفى ص « وودع » بالدال – وعليه فالمراد أنه وضع فى عنقه الودع دلالة على تركه للفحولة وانظر اللسان .

يَسْفُل له – بفتح التحتية ، وسكون السين المهملة ، وضم الفاء ، أى يضربه فى أسافله .

الأَكحل : عرق .

عين الركبة : طرفهما الأَعلى .

الأُرْجُوان – بضم الهمزة ، والجيم : اللون الأَحمر .

وقول على – رضى الله عنه – :

* أنا الذى سمتنى أُمى حيدره *

قال ثابت بن قاسم[1] – رحمهما الله – تعالى – فى تسميته بذلك ثلاثة أقوال ؛ أَحدها أن اسمه فى الكتب المتقدمة أَسد ، والأَسد هو الحيدرة ، الثانى أن أُمه فاطمة بنت أَسد – رضى الله عنها – حين ولدته ، كان أَبوه غائباً ، فسمته باسم أَبيها ، فقدم أَبوه فسمّاهُ عليًّا ، الثالث : أَنه كان لُقِّبَ فى صغره بحيدرة ؛ لأَن الحيدرة الممتلئُ لحمًا مع عظم بطن ، وكذلك كان على – رضى الله عنه – وذكره الشيخ كمالُ الدين الدّميرى – رحمه الله – تعالى – فى شرح المنهاج[2] » .

مُجَرَّب – بفتح الراء : اسم مفعول .

أَكيلهم[3] : أَجزيهم بالياء .

السندرة : شجرة يصنع منها مكاييل عظيمة[4] .

الخَمْلُ – بفتح الخاء المعجمة ، وسكون اللام : الهدب .

---

(١) عبارة شرح المواهب ٢ : ٢٢٤ « وذكر قاسم بن ثابت فى الدلائل »

(٢) أى النجم الوهاج فى شرح المنهاج للنووى – تأليف محمد بن موسى بن عيسى بن على الدميرى . أبى البقاء كمال الدين (الزركلى – الأعلام ٧ : ٣٤٠) .

(٣) لم يرد لفظ « أكيلهم » فى رواية المصنف ، وإنما ورد « أوفيهم » وأكيلهم رواية شرح المواهب ٢ : ٢٢٤ .

(٤) وسبق تفسير السندرة بالمكيال الكبير أوضرب من الكيل غراف جراف « نهاية الأرب ١٧ : ٢٥٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٥٥) .

أقبلت تحرّب : تغضب ، يقال حرّب الرجل إذا غضب ، وحربته : إذا أغضبته .

الْغُمىّ : الكرب .

جرىء ـ بالجيم ، والهمزة : شجاع مقدام .

صُلْب : شديد .

شَبّت الحرب : أوقدت ، وهيجت .

العَقِيق ـ هنا جمع عقيقة ، وهى شعاع البرق ، شبّه السيف به .

عَضْبُ ـ بعين مهملة ، فضاد معجمة : قاطع .

الجزا ـ بالقصر والمد : الجزية التى تؤخذ .

يفىء : يرجع .

النَّهْبُ : ما أنتهب من الأموال .

ليس فيه عَتْب : ليس فيه ما يلامُ عليه .

نَدُكُّكُم : نطويكم ونلصقكم بالأرض .

حِمْير ـ بكسر الحاء المهملة ، وسكون الميم ، وفتح التحتية .

الموتور ـ بالفوقية : الذى قتل له قتيل فلم يؤخذ ثأره .

الثائِرُ ـ بالثاء المثلثة : الطَّالِبُ بالثأْر ، وهو طلب الدم .

عُمْرِية ـ بعين مهملة مضمومة ، فميم ساكنة ، فراء مكسورة : أى قديمة ، التى أتى عليها عمرٌ طويل .

العُشَر ـ بعين مهملة مضمومة فشين معجمة مفتوحة : شجر له صمغ ، وهو من العضاة ، وثمرته نفاخة كنفاخة القثاء الأصفر ، الواحدة عشيرة ، والجمع عُشَر ، وعُشَرات ـ بضم العين ، وفتح الشين .

يلوذُ : يستتر .

الفَنَن ـ بفتح الفاء ، والنون الأُولى : الغصن .

ورأيتُنى ـ بضم التاء : رأيت نفسى .

* * *

شرح غريب ذكر اسلام العبد الأسود ونهيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن لحوم الحمر الانسية

قوله عمد إليه : قصد .

حَفْنة ـ بفتح الحاء المهملة ، وسكون الفاء : ملء الكفين .

خرجت تشتد : تعدو .

سُجِّىَ ـ بسين مهملة ، والجيم ، بالبناء للمفعول : غُطِّىَ :

الحُمُر ـ بضم الحاء ، والميم : الحمير الأَهْلِيَّةُ .

الإنسية[1] ـ بكسر الهمزة ، وسكون النون وفتحها : وهى التى تألف البيوت ؛ الإنسية منسوبة إلى الإنس .

أُكفِئَت القدور ؛ قال ابن التين : صوابه فكفئت ، قال الأَصمعى : كفأت الإناء قلبته، ولا يقال أكفأته ، ويحتمل أن يكون المراد أميلت حتّى أَمَالَ ما فيها ، قال الكسائى : أكفأتُ الإناء : أملته .

الخُشَنى ـ بضم الخاء ، وفتح الشين المعجمتين .

المخمصة : المجاعة .

أَهْرِيقُوهَا ؛ يقال هراق / الماء يهريقه ـ بفتح الهاء : صبَّه ، والأَصل الإراقة ، وأهرق يهرق ساكناً ، وأهراق يهريق كاسْطَاع يسطيع ، كأَنَّ الهاء عوض من حركة الياء . ٣١٢ ط

الدِنّان ـ بكسر الدال المهملة الخوابى ؛ جمع دَنٍّ ـ بفتحها .

---

(١) الأنسية : بكسر الهمزة نسبة إلى الإنس ، وهم أولاد آدم . وحكى ضمها فتكون ضد الوحشية ، ويجوز فتحها وفتح النون ، وانظر شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٣٤ .

قوله . حاز ماله : ضمه إلى ملكه .

الوطيح – بواو مفتوحة ، فطاء مكسورة ، فتحتية ساكنة ، فحاء مهملة[1]

السُّلالِمُ – بسينٍ مهملة مضمومة ، وقيل بفتحها ، وكسر اللام التى قبل الميم ، ويقال فيه السلاليم .

تَدَنَّى – بفوقية ، فدال مهملة ، فنون مشددة مفتوحات معتل : أى أخذه مالا مالاً وحصناً حصناً .

الأدنى فالأدنى : أى الأقرب .

المنجنيق – بفتح الميم ، وتكسر : آلة من آلات الحصار يرمى بها .

كِنَانة بكسر الكاف ، ونونين .

حُيَىّ – بحاء مضمومة ، فتحتية مفتوحة ، فأُخرى مشددة .

أَخْطب : بالخاء المعجمة فالطاء المهملة وبالموحدة .

الحُقَيق – بضم الحاء المهملة ، وفتح القاف الأولى ، وسكون التحتية .

حَقَنَ دَمَه : امتنع من قتله وإراقته ، أى جمعه له وحبسه عليه .

الصفراء : الذهب .

الْبَيضَاء : الفضة .

الكُراع – بضم الكاف : اسم لجماعة الخيل خاصة .

الحَلْقَة – بسكون اللام : السلاح أجمع ، أو الدروع خاصة .

البَزّ – بفتح الموحدة ، وبالزاى : نوع من الثياب .

ذِمة الله – بكسر المعجمة : عهدهُ وميثاقه .

---

(١) هكذا ضبطه ابن الأثير وغيره ، وصحف من قال غير هذا ، وقال السهيلى : مأخوذ من الوطح وهو مابين الأظلاف ومخالب الطير من الطين (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٢٨) .

المَسك – بفتح الميم ، وسكون السين المهملة : الجلد .

خَرِبة : أى مكان خرب ضد العامرة .

* * *

شرح غريب ذكر ارادته – صلى الله عليه وسلم – اجلاء يهود

قوله : الجلاء – بفتح الجيم ، وبالمد : الخروج من البلد .

بدا – غير مهموز : ظهر .

الشطر هنا : النّصْف كما فى الرواية الأُخرى .

الخَرْص – بفتح الخاء المعجمة ، وبكسرها – هنا : حزرُ ما على النخل من الرطب تمرا .

السُّحت – بضمتين ويسكن : المال الحرام ، لا يحل لبسه ، ولا أكله .

الفَدَع – بفتح الفاء ، والدال ، وبالعين المهملتين ؛ أى اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل فينقلب الكف ، أو القدم إلى الجانب الآخر ، وذلك الموضع .

انفدعت – بفتحات ، قال فى التقريب : فَدَعَ اليهودُ يَدَ عبد الله ، ففدع : غير معروف فى اللغة ، ويحتمل أن يكون بغين معجمة . قال الأزهرى : الفَدَغ : كسر شئ أجوف كالنقع ، قلت : وفيه نظر ؛ لأن الوارد أن يد عبد الله اعوجت فقط لا أنها كسرت . والله تعالى أعلم .

والإنسى – قال أبو زيد : الأيسر من كل شئ ، وقال الأصمعى هو الأيمن ، وقال كل اثنين من الإنسان مثل الساعدين والزندين ، والقدمين ، فما أقبل منهما على الإنسان فهو إنسى ، وما أدبر عنه فهو وحشى .

الكَوَع – بالتحريك : أن تعوج اليد من قَبْل الكوع ، وهو رأس اليد مما يلى الإبهام ، والكرسوع رأسه مما يلى الخنصر .

عُدِىَ عليه بالبناء للمفعول .

ارْفَضَّت : سالَ عرقها .

تؤم : تقصد .

القَلُوص – بفتح القاف ، وضم اللام من الإبل : بمنزلة الجارية من النساء ، وهى الشابة ؛ الجمع قُلُص بضمتين ، وقِلاص – بالكسر ، وقلائص .

هزيلة – بفتح الهاء وسكون الزاى : وهى المرة من الهَزْل ضد الجدّ .

* * *

شرح غريب قصة الشاة المسمومة

قوله سَلَام : وزن كلام .

مِشْكم : بكسر الميم ، وسكون الشين المعجمة .

مَصْلية – بفتح الميم ، وسكون الصاد المهملة ؛ أى المشوية .

انتهس اللحمَ : أخذه بمقدم الأسنان للأكل .

لاكَ : مضغ .

ساغ اللقمة : بلعها .

لَفَظَهَا : طرحها.

اَسْتَرَط : ابتلع .

الأُكُلة – بضمتين : المأكول .

الطيْلَسَان – بفتح الطاء ، واللام ، وتكسر .

ماطله وجعه : طالت مدته .

الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق .

لهوات[1] – بثلاث فتحات ، جمع لهاة ، وهى اللحمة المعلقة فى أقصى الفم .

---

(١) لم يرد هذا اللفظ فى متن الغزوة .

العِداد – بعين مكسورة ، فدال مهملتين : اهتياج وجع اللدِيغ ، فإنه إذا تم له سنة من حين لُدِغ عاودهُ هياج الألَم .

يُعَاودُنى – بضم أوله ، ورابعه ، وتشديده ، أى يراجعنى ألم سُمِّها .

قال الداودى : الألَم الذى حصل له – صلى الله عليه وسلم – من الأَكلة هو نقص لذة ذَوْقه . قال ابن الأثير : وليس بِبَيِّن لأن نقص الذَّوق ليس بـألَم .

الأَبْهر – بفتح الهمزة ، وسكون الموحدة : عرق يكتنف الصّلب إذا انقطع مات صاحبه .

تجاوز عنها : عفا .

* * *

شرح غريب ذكر قدوم جعفر وأبى هريرة – رضى الله عنهما

كلا – هنا : حرف ردع وزجر .

الحبيشية والبحرية[1] – بهمزة الاستفهام والتصغير لبعض رواة الصحيح ، والباقين بعدمها ، فنسبها عمر للحبشة لسكناها بها ، وإلى البحر لركوبها إياه .

البُعَداء عن الدين : البُغَضَاء له ، وهما جمع بعيد ، وبغيض .

وأَيم الله : أى يمين الله ، قسم ، وفيه اثنا عشر لغة .

أهلَ السفينة – بالنصْب على الاختصاص ، وعلى النداء بِحَذْفِ أداته ، ويجوز الجر على البدل من الضمير .

أرسالاً – بفتح الهمزة : أفواجاً ، يتبع بعضهم بَعْضاً .

الحَجْل – بحاء مهملة مفتوحة ، فجيم ساكنة ، فلام ؛ أى يرفعُ رِجْلاً ويقفز على الأُخرى من الفرح ، وقد يكون بالرجلين .

التطفيف : نقص المكيال .

---

(١) الحبيشية والبحرية : لم يرد هذان اللفظان فى المتن .

اكتال منه وعليه : أخذ يتولى الكيل بنفسه ، ويقال : كَالَ الدافع ، واكتال الآخذ .

السَّراة – بفتح السين المهملة : أعظم جبال العرب[1] .

السُهمان – بالضم ، والأَسهم ، والسهام ؛ جمع سَهْم : وهو النصيب .

الحُزُم – بضم الحاء المهملة ، والزاى ؛ جمع حِزَام .

لَلِيف : بلام التأكيد ، وهو معروف .

ابن قَوْقل – بقافين بينهما واو – وزن جعفر ، النعمان بن مالك بن ثعلبة بن أَصْرم – بصادٍ مهملة ، وزن أحمد – ابن فَهْم بن ثعلبة بن غَنْم – بفتح الغين المعجمة / وسكون النون ، بعدها ميم – ابن عمر بن عوف الأنصارى ، الأوسى . وقَوْقَل : لقب ثعلبة ، وقيل أصرم ، قتله أَبانُ فى أُحُد – رضى الله تعالى عنه – .

٢١٤ ظ

أكرمه الله على يدى : أى اَستشهد بأَن قُتل فأكرمه الله – تعالى – بالشهادة .

ولم يهنِّ على يديه – بتشديد النّون – أصله يُهِينُنِى فأُدغمت إحدى النونين فى الأُخرى .

يا عجبا لِوَبْر : الوَبْر – بفتح الواو ، وسكون الموحدة – دابَّة كالسنَّوْر وحشية ، ونقل أبو على القالى – بالقاف – عن أبى حاتم : أن بعض العرب تُسَمِّى كل دابّة من حشرات الجبال وَبْرًا ، قال الخطابى : أراد بأَن يُحَقِّر أبا هريرة ، وأنه ليس فى قَدْرِ من يشير بعطاءٍ ولا منع ، وأنه قليل القُدْرة على القتال ، قال الكرمانى – رحمه الله تعالى – وفيه تعريض بكنية أبى هريرة .

تدلى : تحدر – وفى روايةٍ : تدأدأ بدالين مهملتين بينهما همزة ساكنة – قيل : أصله تَدَهْدَه ، فأُبدلت الهاء همزة ، وقيل : الدأدأة : صوتُ الحجارة فى السيل : أى هجم علينا بغتةً .

---

(١) والسراة هو الحد الفاصل بين تهامة ونجد ، وذلك أنه أقبل من قعر اليمن حتى بلغ أطراف الشام . . . وما انحاز إلى شرقيه فهو الحجاز (وفاء الوفا ٤ : ١١٨٣) .

قَدُّوم – بقاف مفتوحة للأكثر ، فدال مهملة مشدَّدة ، وضم بعضهم القاف : اسم ثنية ببلاد دَوس .

ضأل – باللام المخففة : فسره البخارى فى رواية المستملى ، بالسدر ، وكذا قال أهل اللغة : إنه السِّدر البَرّى ، وتوهيم صاحب المطالع للبخارى ليس بشىء .

ضان : بغير همزة – قيل هو رأس الجبل ، إلا أنه فى الغالب موضع مَرْعى الغنم ، وقيل : هو جبل الدَّوْس : قوم أبى هريرة .

يَنْعَى – بفتح التحتية وسكون النون ، وفتح العين المهملة : أى يعيب عَلَى ، وفى رواية يُعيِّرنى .

وأنت بهذا : أى أنت تقول بهذا ، أو قائل بهذا ، أو أنت بهذا المكان والمنزلة من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مع كونك لست من أهله ، ولا من قومه ولا من بلاده .

قِبَل – بكسر القاف ، وفتح الموحدة .

نَجْد – بفتح النون ، وسكون الجيم .

* * *

شرح غريب ذكر قدوم عيينة بن حصن وبنى فزارة ومصالحة اهل فدك

قوله : عُيَيْنَة : تصغير عين .

فَزَارة – بفتح الفاء ، والزاى المخففة .

ذو الرُّقَيْبَة – تصغير رقبة ؛ وقيل : كسفينة : جبلٌ مطلٌّ على خيبر .

جَنَفَا – بفتح الجيم والنون ، والفاء ، والمد والقصر ، وقد يضم أوّله فى الحالين : ماء من مياه بنى فزارة بين خيبر وفدك .

أحْذاه – بالحاء المهملة ، والذال المعجمة : أعطاه .

توضع : تسرع .

محَيِّصة – بميم فحاء مهملة مفتوحة ، فتحتية مشددة مكسورة ، فصاد مهملة .

فَدَك – بفتح الفاء ، والدال المهملة ، وبالكاف : بينها وبين المدينة كما قال ابن سعد : ستة أميال .

النَّجدة : القوة .

نُرى – بنون ، فراء مهملة مبنياً للمفعُول : نَظن .

حراهم – جمع حَرّة – بالحاء المهملة ، والراء المشدَّدة : وهى أَرض ذات حجارة سود نَخِرَة كأَنها أحرقتْ بالنار .

فتّ أَعضادهم : كسر قوتهم ؛ والعضد : الناصر والمعين .

شرح غريب ذكر المراهنة وخبر الحجاج بن عِلَّاط – رضى الله تعالى عنه

يُفْلِت – بضم التحتية ، وسكون الفاء ، وبالفوقية بعد اللام : يَخْلُص نَجَاةً .

خَاطَره – بالخاء المعجمة ، والطاء المهملة : راهنه .

ضوى إليه – بالضاد المعجمة الساقطة : أَى مال .

يُغير – بغين معجمة : من الإغارة وهى كبس العدو .

الثَّنية البيضاء : عقبة تهبطك إلى فخ – بالخاء المعجمة – وأنت مقبل من المدينة تريد أَسفل مكة قَبْلَ ذِى طُوَى .

الرِيف – بالكسر : الخصب والسعة فى المطعم ، وحيث تكون الخضرة والحياة .

يَتَحَسَّبُون الأَخبار – بفتح التحتية والفوقية والحاء ، والسين المشددة المهملتين ، وضم الموحدة ؛ أَى يتطلبونها .

اِلْتَبَطُوا لجنب ناقتى : مشوا إلى جنبها كمشى العرجاء لازدحامهم حولها .

الحجاز : ما بين نجد والسّراة .

الأَنفة – بفتح الهمزة ، والنون : الحميّة .

المَنَعَة ـ بالتحريك : جمع مانع ؛ ككاتب وكتبة ، ويسكن على معنى منعة واحدة ، وهى العشيرة فالحُماة .

الرِّيعُ ـ بكسر الراء ، والتحتية وسكون : المكان المرتفع .

الفَل ـ بفتح الفاء : القوم المنهزمون .

يُقَدِّم ـ بضم أوله ، وفتح الدال .

أحثُّ ـ بالثاء المثلثة : أسرع .

الشامت : الذى يفرح ببلاء ينزل على غيره .

وبين مسلم ومسلمة : أى ومؤمن ومؤمنة .

المؤنة ـ بضم الميم : القوة .

ليُخْلِ لى فى بعض بيوته : أى لينفرد فيه .

ناشده الله : ذكَّرَهُ به .

أنتثل ما فيها ـ بهمزة ، فنون ساكنة ففوقية فثاء مثلثة : استخرج .

العروس : وصف يستوى فيه الذكر والأُنثى .

الخَلُوق : نوع من الطيب .

خَطِر فى مشيته : أقبل بيده وأدبر كثيرا .

التجلد : التصبر .

الكآبة : الحزن .

أولى له : كلمة معناها الوعيد من ولى الأَمر أى تداوله شر .

ينشبوا : يلبثوا .

شرح غريب ذكر غنائم خيبر ومقاسمها

قوله : أَحْذى النساء : أعطاهن .

الحوائِط – جمع حائِط : وهو هنا البستان .

شريق – بالشين المعجمة ، والقاف .

وادى خاص – بالخاء المعجمة ، فألف ، فصاد مهملة ، كذا عند ابن إسحاق ، وجرى عليه ياقوت والسيد وغيرهما ، وقال أبو الوليد الوقشى : إنما هو وادى خُلص باللام . قال البكرى : وهو بضم أوّله ، وإسكان ثانيه ، وبالصاد المهملة .

الجِراب – بكسر الجيم ، ويجوز فتحها فى لغة نادرة .

لا أبالك : هو أكثر ما يستعمل فى المدح : أى لا كافى لك غير نفسك ، وقد يذكر فى معرِض الذم ، وقد يكون بمعنى جِدَّ فى أمرك وشمّر ؛ لأن من له أب اتَّكَل عليه فى بعض شأنه .

رضخ – بالخاء – والضاد المعجمتين : أعطى .

خُرْثِىّ المتاع – بخاء معجمة ، مضمومة ، فراء ساكنة فثاء مثلثة مكسورة فتحتية مشددة : هو أثاث البيت ومتاعه ؛ فالإضافة بيانية .

الدجاج – بتثليث الدال : الطائر المعروف .

الداجن : ما ألف الناس فى بيوتهم كالشاة التى تعلف ، والدجاج ، والحمام ، وسمىّ داجِنًا لإقامته مع الناس ، يقال : دجن بالمكان إذا أقام به .

* * *

شرح غريب من استشهد بخيبر

قوله : قفلوا : رجعوا .

شاحبا – بشين معجمة فحاء مهملة ، فموحدة : أى متغير اللون .

كذب من قاله : أخطأ .

إنه لجاهِدٌ مجاهدٌ – كذا للأكثر باسم الفاعل فيهما ، وكسر الهاء ، وبالتنوين ، والأول مرفوع على الخبر والثانى إتباع ، ولأبى ذَرٍّ عن الجمحى والمستملى – بفتح الهاء والدال ، قال القاضى – رحمه الله – تعالى : والأول هو الوَجْهُ ، قال ابن دُرَيْد – رحمه الله تعالى – : رجل جاهِدٌ ؛ أى مُجِدٌّ فى أموره ، وقال ابن التِّيه – رحمه الله تعالى : الجاهِدُ : من يرتكب المشقة لأعداء الله تعالى .

مشى – بشين معجمة – كذا فى رواية بالميم والقصر من المشى . والضمير فى [بها][1] للأرض أو للمدينة أو للحرب أو للخصلة ، وفى رواية نشأ – بنون وهمزة ، وحكى السُّهَيْلى : أنه وقع فى رواية مُشَابِهًا – بضم الميم ، اسم فاعل من الشبه : أى ليس مشابهاً فى صفات الكمال فى القتال ، وهو منصوب بفعل محذوف تقديره رأيت مشابها أو على الحال ، من قوله عربى ، قال السهيلى : والحال من النكرة يجوز إذا كان فى تصحيح معنى .

* * *

شرح غريب ذكر انصراف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومصالحة أهل تيماء

قوله : أُصُلا – بضم أوّله وثانيه : جمع أَصيل وهو العَشِىّ .

وادى القُرَى – بضم القاف[2] .

العَنوة – بفتح العين المهملة : القهر .

الجُذامى – بضم الجيم ، وذال معجمة .

الشَّمْلة : كساء غليظ يلتحف به .

ضَوَى – بفتح الضاد المعجمة ، والواو : مال .

---

(١) إضافة للتوضيح ، وانظر شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٢٥ .

(٢) وادى القرى : واد كثير القرى بين المدينة والشام . وقيل مدينة قديمة بين المدينة والشام ، وانظر الخلاف حول حدود هذا الوادى فى وفاء الوفا ٤ : ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ .

الآطام – جمع أُطُم : الحصن .

مِدْعَم – بكسر الميم ، وسكون الدال ، وفتح العين المهملتين .

يُرَحِّل – بضم التحتية ، وفتح الراء ، وكسر الحاء المهملة المشددة : أي يضع الرَّحل على الدابة ويشدُّه .

سَهم عائر – بعين مهملة فألف فهمزة مكسورة . : لا يُدْرى مَنْ رَمَى به .

سهم غَرْب[1] بفتح الغين المعجمة ، وسكون الرّاء ، وتُحرّك ، يضاف ولا يضاف : أي لا يُدْرَى من رماهُ .

هنيئًا له الشهادة : أي جاءَته بلا مشقّة .

الشِراك – بكسر الشين المعجمة : أحد سيور النعل التي تكون على وجهها .

تَيْمَاء – بفتح الفوقية – وسكون التحتية : بلد بين المدينة والشام .

* * *

شرح غريب نومهم عن الصلاة ورجوعه – صلى الله عليه وسلم – إلى المدينة

قوله : سَرَى ليلته : سار فيها .

عَرّس – بفتح العين ، والرّاء المشددة والسين المهملات : نزل آخر الليل .

هَبّ – بفتح الهاء ، والموحدة المشددة : استيقظ .

اقتاد بعيره : قاده .

من كنز الجنة ، أي أجرها يُدَّخَر لقائلها كما يُدَّخر الكنز .

الجُرُف – بضم الجيم ، والراء وبالفاء : موضع بينه وبين المدينة ثلاثة أميال إلى جهة الشام .

طَرَق أهلَه : أتاهم ليلا .

---

(١) سهم غرب : لم يرد ذلك فى رواية المصنف .

ضَنٌّ بكذا ـ بضادٍ معجمة ساقطة ، فنون مشددة ، مفتوحتين : بخل .

لابتا المدينة : حَرَّتَاها ؛ وهما جانباها .

* * *

شرح غريب ذكر رد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الأنصار ما منحوه للمهاجرين ، وغريب شعر كعب بن مالك ـ رضى الله عنه / ٢١٦ و

فُرُوضه ـ بضم الفاء والراء وبالواو والضاد المعجمة : المواضع التى فيها الأنهار[1] .

الأَشَاجع : عروق ظهر الكفّ .

مِذْوَد ـ بميم مكسورة ، فذال معجمة ساكنة ، فواو مفتوحة ، فدال مهملة : مَانِعُ [الواهن[2]] قال فى الإملاء الواهن : الضعيف .

المَشْرَفى : السّيف .

يذود : يمنع ويحمى .

الذِّمار ـ بذال معجمة مكسورة ، وراء : ما تَجِبُ حمايته .

الأَنْبَاءَ ـ بفتح الهمزة : الأخبار .

الغيْب : هنا بالياء ويروى [بالنون ثم][2] بالميم من الغنيمة .

* * *

شرح غريب أبيات ابن القيم ـ رضى الله تعالى عنه[3]

الفَيْلَق ـ بفتح الفاء ، وسكون التحتية ، وفتح اللام ، وبالقاف .

شهباء : كثيرة السلاح .

---

(١) الفروض : المواضع التى يشرب منها من الأنهار (سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٤٩) .

(٢) الإضافة يقتضيها السياق .

(٣) لم ترد أبيات ابن القيم رضى الله عنه فى سياق المتن . وهى كما فى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٠٥ : ـ

رميت نطاة من الرسول بفيلق ... شهباء ذات مناكب وفقار

واستيقنت بالذل لما شيعت ... ورجال أسلم وسطها وغفار

صبحت بنى عمرو بن زرعة غدوة ... والشق أظلم أهله بنهار

جرت بأبطحها الذيول فلم تدع ... إلا الدجاج تصيح بالأسحار

ولكل حصن شاغل من خيلهم ... من عبد الاشهل أو بنى النجار

ومهاجرين قد اعلموا سيماهم ... فوق المغافر لم ينوا لفرار

ولقد علمت ليغلبن محمد ... وليثوين بها إلى أصفار

فرت يهود عند ذلك فى الوغى ... تحت العجاج غمائم الأبصار

المناكب ـ جمع مَنْكِب كمسجد : مجتمع رأس العضد والكتف .

الفَقَار ـ بالفتح : مفاصل عظم الصُّلب . جعل لها مناكبَ وَفقارا : يريد بذلك شِدَّتُها .

شُيِّعَتْ : فُرقت .

أَسْلَم ، وغِفَار ـ بكسر الغين المعجمة : قبيلتان .

الأَبطح : المكان السَّهْل .

عبد الأَشهل ـ بالشين المعجمة ، وبنو النجار ، من الأَنصار .

سِيمَاهُم : علائِمهم .

المَغَافِر ـ جمع مِغْفر : وهو الذى يجعل على الرأس .

لم يَنُوا ـ بتحتية ، فنون : لم يضعفوا أو لم يفتروا .

يَثْوِيَنَّ ـ بالثاء المثلثة : يقمن .

أَصْفَار : جمع صَفَر ـ ، وهو الشهر .

فرّت يهود : هربت .

الوَغَى ـ بفتح الواو ، وبالغين المعجمة : الحرب .

العَجَاج : الغُبَار .

الغمائِمَ ـ بالغين المعجمة : جفون العيون .

الأَبصار ـ بالموحدة . قال ابن سراج : ويصح أن تكون عمائِم بالمهملة ، جمع عمامة ، ويكون الأَنصار بالنون ، وقال السهيلى : قوله فرت يهود « هو بيت مشكل ، غير أن بعض النسخ ، وهى قليلة عند ابن هشام ، أنه قال : فرّت : فَتَحت ، مِنْ قولك : فَرت الدّابة إذا فتحت فاها وغمائِم الأَبصار ، مفعول فرّت ، وهى جفون أَعينهم ، قال السهيلى : هذا قول . وقد يصح أَن يكون فرّت من الفرار . وغمائِم الأَبصار من

صفة العجاج ، وهو الغبار ، ونصبه على الحال من العجاج ، وإن كان لفظه لَفْظ المعرفة عنده ، وليس بشاذ فى النحو ، ولا مانع فى العربية ، وأَمَّا عند أهل التحقيق فهو نكرة لأَنه لم يُرِد الغمائِم ، حقيقة ، وإنما أَراد مثل الغمائِم ، استدل السهيلى على ذلك بـأَشياء ذكرها .

الباب الخامس والعشرون

فى غزوة ذات الرِّقاع[1]

وهى غزوة محارب ، وبنى ثعلبة ، وسببها أنّ قادماً قدم بجَلَب[2] إلى المدينة ، فاشتراهُ منه أهلها ، فقال للمسلمين : إنّ بنى أنْمَار بن بَغِيض ، وبنى سعد بن ثَعْلَبَة قد جمعوا لكم جُمُوعا ، وأراكم هادئين عنهم ، فبلغ ذلك رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – فاَستخلف على المدينة – قال ابن إسحاق : أبا ذَرٍّ الغِفَارِى ، وقال محمد بن عمر وابنُ سعد وابن هشام : عثمان بن عفان ، وخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم / من المدينة ليلة السبت لعشرٍ خَلَوْن من المحرم . فى أربعمائة أو سبعمائة ، أو ثمانمائة ، وسلك على المضيق[3] ، ثم أفضى إلى وادى الشُّقْرة[4] . فأَقام فيها يوماً ، وبَثّ السّرايا ، فرجعوا منها مع الليل وخبّرُوه أنهم لم يروا أحدا ، ووطئوا آثاراً حديثة ، فسار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى أصحابه حتى أتى نخلا[5] . وأتى مجالسهم ، فلم يجد فيها أَحَدًا إلا نسوة ، فأَخذهن وفيهن جاريَة وضيئة ، وقد هربت الأَعراب فى رءُوس الجبال ، وهم مُطِلُّون على المسلمين .

قال ابن إسحاق : فلقِى رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – جَمْعًا من غَطَفَان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم ، قتال ، فخاف الفريقان بعضُهم من بعض ، خاف المسلمون أن يغير المشركون عليهم ، وهم غارّون ، وخاف المشركون أن لا يبرح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى يستأصلهم .

---

(١) انظر شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٨٦ وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢٠٣ ، ونهاية الأرب للنويرى ١٧ : ١٥٨ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ١٦٠ ، والمغازى للواقدى ١ : ٣٩٥ .

(٢) الجلب : ماجلب من خيل وابل ومتاع (هامش : نهاية الأرب ١٧ : ١٥٨ .

(٣) المضيق : قرية كبيرة بجبل آرة المقابل لقدس وهو من أشمخ الجبال . (وفاء الوفا ٤ : ١١١٦ ، ١١١٧) .

(٤) الشقرة : بضم الشين المعجمة وسكون القاف (شرح المواهب ٢ : ٨٩) .

(٥) نخل : بلفظ اسم الجنس ، من منازل بنى ثعلبة بنجد على يومين من المدينة – وانظر وفاء الوفا ٤ : ١٣١٩ .

ولما حانت الصلاة ـ صلَّى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأَصحابه صلاة الخوف .

وروى البيهقىُّ عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : صلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الظهر ، فَهَمَّ به المشركون ، فقالوا : دعوهم فإن لهم صلاة بعد هذه أَحبُّ إليهم من أَبْنَائِهم ، فنزل جبريل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأَخبره ، فصلىّ العصرَ صلاة الخَوْف .

قال ابن سعد : وكان ذلك أَوّل ما صلاّها ، ثم انصرف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ راجعاً إلى المدينة .

وبعث بجُعَال ـ بضم الجيم ، وبالعين المهملة ، واللام ، بن سُرَاقة ـ رضى الله عنه ـ بشيراً إلى أَهل المدينة بسلامة المسلمين .

وغاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خمس عشرة ليلة .

وقد وقع فى هذه الغزوة آيات كثيرة ، روى أَكثرها جابرُ بن عبد الله ـ رضى الله تعالى ـ عنه ـ .

روى البَزَّار والطبرانى فى الأَوسط عنه ، قال : كانت غزوة ذاتِ الرقاع تُسَمَّى غزوة الأَعاجيبِ ـ انتهى . منها ما وقع عند إرادة غَوْث بن الحرث الفَتْكَ برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

روى الشيخان وغيرهما من طُرُق عن جابرٍ ـ رضى الله عنه ـ قال : غزونا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل نجد ـ وفى روايةٍ ذات الرقاع ، فَلَمَّا قَفَل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَدركته القائلة يوماً بوادٍ كثير العضاة فنزل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتفرق الناس يستظلون بالشجر ، ونزل رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تحت ظِل شجرة فعلَّق بها سيفَهُ ، فَنِمْنَا نَوْمَةً ، فإذا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَدْعُونا فَجِئناه ، فإذا عنده أَعرابى جالس ، فقال : « إنَّ هذا اخْتَرَط سيفى وأَنا نائم ، فاستيقظت وهو فى يَدِهِ صلتاً ، فقال لى : منْ يَمْنَعُك منى ؟ قلت : الله . قال : من يمنعك

منى ؟ قلت : الله ، قال : من يمنعُك مِنِّى ؟ قلتُ : الله – ثلاث مرَّات ، فَشَامَ[1] السيف وجلس ، ولم يعاقبه رسول الله – صلى الله عليه وسلم .

ولهذه القصة[2] طرق تأتى مع بعض ما يتعلق بها من الفوائد فى أبواب عصمته – صلى الله عليه وسلم – مِمَّنْ أراد الفتكَ به .

ومنها قصة الصبىّ الذى به جنُون ، روى البزار والطبرانى فى الأوسط ، وأبو نعيم عن جابر – رضى الله عنه – قال : خرجنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى غزوة ذات الرقاع حتى إذا أتى حَرّة واقم ، حضرت امرأة بدويَّةٌ بابنٍ لها ، فقالت : يا رسول الله ، هذا ابنى قد غلبنى عليه الشيطان ، ففتح فاه فبزق فيه ، فقال : « أخسأ عدو الله أنا رسولُ الله ثلاثاً ، ثم قال : « شأنك بابنك لن يعود الله بشىء ، مما كان يصيبه »

ومنها قصة البيضات الثلاث : روى محمد بن عمر ، وأبو نعيم عن جابر – رضى الله عنه – قال فى غزوة ذات الرقاع : جاء عُلْبَة بن زيد الحارثى – رضى الله عنه – بثلاث بيضات أُداحى ، فقال يا رسول الله : وجدت البيضات هذه فى مفحص نَعَام ، فقال : دونك يا جابر ، فاعمل هذه البيضات فعملتهن ، ثم جئت بِهنَّ فى قَصْعةٍ فجعلتُ أطلب خُبْزاً فلا أجده ، فجعل رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه يأكلون من ذلك البيض بِغَير خُبْزٍ حتَّى انتهى إلى حاجته والبيض فى القصعة كما هو ، ثم قام[3] فأكل منه عامة أصحابه ، ثم رحنا مُبْرِدِين .

---

(١) شام السيف : وضعه فى غمده ، وهى من الأضداد ؛ لأن شام معناها استل وأغمد (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٩٠) .

(٢) ورد فى هامش ت ص ٣٥٨ مايلى : وسيأتى فى حنين قصة شبيهة لهذه ، وتقدم مثلها فى غزوة غطفان . روى ابن حبان فى صحيحه أن فى هذه القصة نزل قوله تعالى « والله يعصمك من الناس » وروى ابن أبى حاتم ، وابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى أنمار نزل على ذات الرقاع بأعلى نخل ، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على بئر قد دلى رجليه فقال الغوث من بنى النجار : لأقتلن محمداً ، فقال له أصحابه : كيف تقتله ؟ قال : أقول له أعطنى سيفك فإذا أعطانيه قتلته . فأتاه فقال : يامحمد أعطنى سيفك أشمه . فأعطاه إياه ، فرعدت يده . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حال الله بينك وبين ماتريد ، فأنزل الله الآية . ووقع عند الواقدى فى شبيه هذه القصة أن اسم الأعرابى دعثور ، وأنه أسلم ، لكن ظاهر كلامه أنهما قصتان فى غزوتين ، وقيل : إن الرجل الذى أراد الفتك به عليه السلام اسمه عمرو بن جحاش . نقله الولى العراقى فى المبهمات . اهـ »

(٣) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (المغازى للواقدى ١ : ٣٩٩) .

ومنها قصة الرجل الذى دعا عليه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بِضَرب رقبته : روى محمد ابن عمر ، والحاكم ، وأبو نُعيم عن جابر ــ رضى الله عنه ــ أن رسولَ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ رأى على رجلٍ ثوباً مخروقاً ، فقال : مَا لَهُ غَيْرُه ؟ فقالوا له ثوبان جديدان فى العيبة ، فَأَمره بلبسهما ، فلما وَلَّى الرّجُلُ ، قال رسولُ الله ــ صلَّى اللهُ عليه وسلم ــ « أليس هذا أحسن ؟ ماله ضرب الله عنقه ؟ » فسمعه الرجلُ فقال[1] : يارسولَ الله فى سبيل الله تعالى ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى سبيل الله فقتل الرجل فى وقعة اليمامة .

ومنها قصة الجمل الَّذى شكى إليه حاله .

روى الْبَزَّار ، والطَّبَرَانىُّ فى الأَوسط ، وأبو نُعَيْم عن جابرٍ ــ رضى الله عنه ــ قال : رَجَعْنَا من غَزْوة ذَاتِ الرِّقَاع ، حتَّى إِذَا كنا بمهبط الحرة ، أَقْبَلَ جَمَلٌ يرقلُ ، فقال رسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : « أتدرون ما قال هذا الجمل ؟ » هذا جَمَلٌ يَسْتَعْدِيْنِى على سَيِّده ، يزعم أنه كان يَحْرُثُ عليه منذ سنين ، وأنه أَراد أن ينحره ، إذهبْ يا جابر إلى صاحبه فأتِ به ، فقلت : لا أعرفه . فقال : إنه سيدلُّك عليه » فخرج بين يدىَّ مقنعاً ، حتَّى وقف على صاحبه ، فجئت به فكلمه صلى الله عليه وسلم ــ فى شأن الجمل[2] .

ومنها قصة جَمَلِ جَابر ــ رضى الله عنه ــ روى الإمام أَحمد عن جابر ــ رضى الله عنه ــ قال : فقدتُ جَمَلِى فى ليلةٍ مُظْلمة ، فمررت على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال : « مَالَكَ » . فقلتُ يارسولَ الله !! فقدْتُ جملى ، فقال : « ذاك جَمَلُك ، اذْهَبْ فَخُذْه » . فذهبْتُ نَحْوَ مَا قال فلم أَجده ، فرجعتُ إليه ، فقال مثل ذلك ، فذهبتُ فلم أَجده ، فرجعت إليه ، فأنطلق معى حَتَّى أَتَيْنا الجمل ، فدفعه إلى .

---

(١) بياض فى الأصول والإثبات عن السيرة الحلبية ٢ : ٦٥ ط الحلبى سنة ١٣٤٩ هـ

(٢) قصة جمل جابر رواها ابن اسحاق عن وهب بن كيسان عن جابر مطولا . ومثل ذلك فى طبقات ابن سعد وأنها كانت فى منصرفة صلى الله عليه وسلم من غزوة ذات الرقاع . وفى البخارى أنها كانت فى غزوة تبوك ، وفى مسلم فى غزوة الفتح وانظر شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٩٢ . والسيرة الحلبية ٢ : ٦٥ .

٢١٧ ظ قصة أخرى : روى الإمام أحمد ، وأبو نُعَيْم / والشيخان ، ومحمد بن إسحاق ومحمد ابن عمر من طرقٍ عن جابرٍ - رضى الله عنه - قال : كنَّا مع رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فى غزوة بنى ثعلبة ، وخرجتُ على ناضح لى ، فأبطأ عَلَىَّ ، وأعيانى حتى ذهب الناس ، فجعلت أرقبه ، وَهَمَّنِى شأنه فأتى علىَّ رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فقال : « مَا شَأْنُكَ » ، فقلتُ : يا رسول الله !! أبطأ علىَّ جملى ، فأناخ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - بعيره ، فقال : « مَعَكَ مَاء » ؟ فقلتُ : نعم. فجئته بِقَعْبٍ من ماء ، فنفث فيه ثم نضح على رأسه وظهره ، وعلى عجزه . ثم قال : « أعْطِنِى عَصًا » ، فأعطيته عَصًا معى ، أو قال : قطعتُ له عَصًا من شجرة ، ثم نَخَسه نخسات ، ثم قرعه بالعصا ، ثم قال : « ٱرْكَب » فركبت فخرج - والَّذى بعثه بالحق - يُوَاهِقُ[1] نَاقَتَه مُوَاهَقَةً ما تفوته ناقته ، وجعلت أكفّه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حياءً منه ، وجعلت أتحدث مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبقية الحديث يأتى فى باب مِزاحه ومداعبته - صلى الله عليه وسلم - وفى باب كرمه وجوده ، وفى باب بيعه وشرائه .

ومنها قصة الشجرتين ، وقصة تخفيف العذاب عن ميتين ، وقصة نبع الماء من بين أصابعه ، وقصة الدَّابة التى ألقاها البحر لَمَّا شكى المسلمون من الجوع .

روى مسلم ، وأبو نعيم ، والبيهقى : عن جابرٍ - رضى الله عنه - قال : سرنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقاع ، حتى نزلنا وادياً أَفْيَح ، وذهب رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يقضى حاجته ، وأتبعته بإداوة من ماء ، فنظر فلم ير شيئاً يستتر به ، وإذا شجرتان بشاطئ الوادى ، فأنطلق رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - إلى إحداهما ، فأخذ بغُصْنٍ من أغصانها ، وقال : « ٱنْقَادِى عَلَىَّ بإِذْنِ اللهِ تَعَالَى » فأنقادت منه كالبعير المُخَشْوَش[2] الذى يصانع قائده ، حتى أَتَت الشجرة الأُخرى فأخذ بغصنٍ من أغصانها وقال : « انْقَادِى علَىَّ بإِذْنِ اللهِ تَعَالى » فانقادت

---

(١) يواهق : أى يباريها فى السير ويماشيها ، ومواهقة الإبل مد أعناقها فى السير (النهاية ٤ : ٢٤٣) .

(٢) المخشوش : بخاء وشينين معجمتين . وهو الذى يودع فى أنفه خشاش (شرح الشفاء للشهاب ٣ : ٥١) .

معه كذلك حتى إذا كان بالمَنْصَف[1] فيما بينهما لأم بينهما ، يعنى جَمَعَهمَا فقال : «الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى » . فالتأمتا ، قال جابر : فخرجت أحضر مخافة أن يُحِسّ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بقدمى[2] فيبتعد فجلستُ أحدِّثُ نفسى ، فحانت مِنِّى لفتة ، فإذا أنا برسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مُقْبل ، وإذَا الشجرتان قد افترقتا ، فقامت كلٌّ واحدةٍ منهما على سَاق ، فرأيت رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ وقفَ وقفةً فقال[3] برأسه : « هَكَذَا يَمِينًا وشِمَالاً » . ثم أقبل ، فلما انتهى إلى قال : « يَاجَابِر ! هل رأيت مَقَامِى ؟ » قلت : نعم يا رسول الله . قال : « فَانْطَلِق إلَى الشَّجَرَتَين فَاقْطَعْ مِنْ كُلِّ واحدةٍ مِنْهُمَا غُصْناً وأقبل بِهِما ، حتَّى إذَا قُمْتَ مَقَامى فَأَرْسِلْ غُصْنًا عَنْ يَمِينِك وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِك » . قال جابر : فقمتُ ، فَأَخذتُ حَجَراً فكسرته / وحسرته فانذلق لى ، ثم أتيتُ الشجرتين فقطعتُ من كل واحدةٍ منهما غُصْنًا ، ثم أقبلتُ أجترهما حتَّى إذَا قمتُ مقام رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أرسلتُ غُصنًا عن يَمينى وغُصْنًا عن يسارى ، ثُم لحقت برسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقلتُ : قد فعلتُ يا رسولَ الله ، فَعَمَّ ذلك ؟ قال : إنى مررت بقبرين يُعَذَّبَان ، فأحببت بشفاعتى أَنْ يَرْفه[4] عنهما مادَام القضيبان رطبين فأتينا العسكر ، فقالَ رَسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم : يا جابر ، ناد بالوضوء ، فناديت : ألا وضوء ألا وضوء ؟يارسول الله ما وجدت فى الركب من قطرة ، وكان رَجُلٌ من الأنصار يبرد لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الماءَ فى أَشْجَابٍ له[5] على حِمَازَةٍ[6] من جريد ، فقال : « انطلق إلى فلان بن فلان الأنصارى ، فانظر هل فى أشجابه من شئ ؟ فانطلقتُ إليه فنظرت فلم أجد فيها قطرة ماء إلاَّ قطرةً فى عَزْلَاءِ[7] شجب منها ، لو انِّى أفرغه بشربة يابسة ؟، فأتيتُ

218 و

(1) المنصف : أى حل وسط المكان (المرجع السابق) .

(2) كذا بالأصول ولعلها بقدومى

(3) أى حركة (شرح الشفاء للشهاب 3 : 51) .

(4) يرفه : يخفف وسترد فى شرح الغريب .

(5) الأشجاب : جمع شجب وهو السقاء الذى بلى (شرح الغريب) .

(6) الحمازة : أعواد تعلق عليها أسقية الماء (شرح الغريب) .

(7) العزلاء : فم القربة الأسفل (شرح الغريب) .

رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فأَخبرته ، قال : « اذهب فأْتنى به ، فأَتيته به ، فأَخذه بيده ، فجعل يتكلم بشئ لا أَدرى ما هو ، ويغمزه بيده ، ثم أَعطانيه ، فقال : « يا جابر ، ناد بِجَفْنَة » ، فقلت : يا جفنة الركب فأَتيت بها تُحمل ، فوضعت بين يديه ، فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بيده هكذا ، فبسطها فى الجفنة ، ففرَّق بين أَصابعه ، ثم وضعها فى قعر الْجَفْنَة ، وقال : « خُذْ يا جابر ، فَصُبَّ عَلَىَّ ، وقل بِسْمِ الله » فرأَيتُ الماءَ يفُورُ مِنْ بين أَصابعه . ففارت الْجَفْنَة ، ودارت حتَّى امتلأَت . فقال : « يا جابر ناد من كانت له حاجة بماء » فأَتى الناس فاستقوا حتَّى رووا ، فقلت : هل بقى أَحد له حاجة ؟ ورفع رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يده من الْجَفْنَة ، وهى ملأَى .

وشكى الناس الجوع ، فقال : « عَسَى اللهُ أَنْ يُطْعِمَكُم بسيف البحر » فأَتينا سيف[1] البحر ، فأَلقى دابة فأَوْرَيْنا على شقِّها النَّار ، فشوينا ، وأَكلنا وطبخنا ، وشبعنا .

قال جابر : فدخلتُ أَنا وفلان وفلان ، حتى عَدَّ خمسة فى حجَاج[2] عَيْنِها ، مايَرَانا أَحد حتَّى خرجْنا ، وأَخذنا ضِلْعًا مِن أَضلاعها ، فقوسناه ، ثم دعونا بأَعظم رجل فى الركب وأَعظم جمل فدخل تحته ما يطأْطئ رأسه .

* * *

ت ٣٩٢
م ٢١٨

ذكر قصة الطائر الذى سقط على فرخه لما صاده بعض الصحابة / رضى الله عنهم

روى محمد بن عمر ، وأَبو نُعيم – رحمه الله تعالى – عن جابر – رضى الله عنه – قال : إنَّا لمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذْ جَاءَ رجلٌ من أَصحابه بفَرْخِ طائِر ، ورسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ينظر إليه ، فأَقبل أَبواه أَو أَحدهما حتَّى طَرَحَ نفسه فى يدى الذى أَخذ فرخه ، فرأَيت النَّاسَ يَعْجبُون من ذلك ، فقالَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – : « أَتعجون مِنْ هذا الطَّائِر ؟ أَخذتم فَرْخَه ، فطرح نفسه رحمةً بفرخه ، والله لَرَبُّكُم أَرْحَمُ بِكُمْ مِنْ هَذَا الطَّائِرِ بِفَرْخِهِ » .

---

(١) سيف البحر : جانب البحر ، وقد تقدم بيان ذلك فى غريب غزوة الحديبية .

(٢) حجاج العين : العظم الذى فوق العين . أو العظم الذى عليه الحاجب (وانظر شرح الغريب) .

ذكر منقبة لعباد بن بشر — رضى الله عنه

روى ابن إسحاق عن جابر - رضى الله عنه - ومحمد بن عمر عن شيوخه - رحمهما الله تعالى / أن رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلم - أصاب فى نخل المشركين فى هذه الغزوة امرأة ، وكان زوجُها غائباً ، فلما أتى أخبر الخبر ، وقفل رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فَحَلَف زوجُها لا ينتهى حتَّى يهريق فى أصحاب محمد - صلَّى الله عليه وسلَّم - دَمًا[1]، فخرج يتبع أثر رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منزلاً ليلةً ذات ريح فى شِعْب آستقبله . فقال : « مَنْ رَجُلٌ يَكْلأُنا » ؟ فقام عَبَّاد بن بشر ، وعمار بن ياسر - رضى الله عنهما - فَقَالَا ؛ نحن يا رسول الله نكلؤك ، وجعلت الريح لا تسكن ، وجلس الرَّجُلَان على فَمِ الشِّعب ، فقال أحدهما لصاحبه : أىّ الليل أحب إليك أن أكْفِيكَ أوَّلَه ، وتكفينى آخره ؟ قال : آكفنى أوّله ، فنام عمار بن ياسر ، وقام عَبَّاد يُصَلِّى ، فأقبل زَوْجُ المرأة يَطْلُبُ غِرَّة ، وقد سكنت الرِّيح ، فلما رأى سواد عباد من قريب قال : يعلم الله أن هذا رَبيئة[2] القوم ، ففوّق سهْمًا فَوَضَعَه فيه ، فأنتزعه عَبَّاد ، فرماه بآخر فوضعه فيه ، فأنتزعه ، فرماه بآخر فأنتزعه ، فَلَمَّا غلبه الدَّم رَكَعَ وَسَجَد ، ثم قال لصاحبه : إجلس فقد أُتِيت ، فجلس عمار ، فلما رأى الأعرابى عَمَّارًا قَدْ قَامَ عَلِمَ أنه قد تذرا به[3]، فهرب ، فقال عمار : أى أخى ، ما منعك أن تُوقِظَنى فى أوَّلِ سهم رمى به ؟ قال : كنتُ فى سورة أقرأُها وهى سورة الكهف ، فكرهت أنْ أقطعها حتى أفْرُغ منها ، ولولاأنى خشيت أن أُضَيِّعَ ثغرا أمرنى به رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - ما آنصَرفت ، ولو أُتِيَ على نَفْسى .

٢١٨ ط

---

(١) وفى المغازى للواقدى ١ : ٣٩٧ « حلف زوجها ليطلبن محمدا ولا يرجع إلى قومه حتى يصيب محمدا أو يهريق فيهم دماً أو تتخلص صاحبته »

(٢) الربيئة : حارس القوم (هامش المغازى للواقدى ١ : ٣٩٧) .

(٣) تذرا به : أى علما به (سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢٠٩ هامش) .

ويقالُ إن الْمَرْمِىَّ عمار ، قال محمد بن عمر : وأَثْبَتُها عندنا عَبَّاد بن بشر[1]– رضى الله عنه .

وروى ٱبن إسحاق عن جابر – رضى الله عنه – أن رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – لَمَّا قَدِم صرارا نزل به ، وأمر بذبح جزور ، وأقام عليها والمسلمون يومهم ذلك ، فلما أمسى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – دخل المدينة ودخلنا معه .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : ٱختلف[2] فى تسمية هذه الغزوة بذات الرِّقَاع – بكسر أوله ، فقيل : هى اسم شجرة سميت الغزوة بها ، وقيل : لأَن أقدامهم نَقِبَت فلقوا عليها الْخِرَق كما فى صحيح مسلم عن أَبى موسى الأَشعرى ، وقيل : بل سُمِّيَتْ بِرِقاعٍ كانت فى أَلْوِيَتِهِمْ . قال فى تهذيب المطالع : والأَصح أنه مَوْضعٌ ، لقوله : حتَّى إذا كُنَّا بذات الرقاع . وكانت الأَرض التى نَزَلوها ذات أَلوان[3] تُشْبِه الرقاع ، وقيل : لِأَن خَيْلَهُم كان بِها سواد وبياض .

قال محمد بن عمر الأَسلمى : سميت بجبلٍ هناك فيه بقع ، ورجَّحَ السُّهَيْلى ، والنَّوَوِىُّ / السَّبَبَ الَّذِى ذَكَرَه أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِى . ٢١٩ و

قال النووى – رحمه الله تعالى – ويحتملُ أَنها سُمِّيَتْ بالمجموع ، وبه جزم صاحب تهذيب المطالع . فى التقريب .

الثانى : اختلف متى كانت هذه الغزوة فقال البخارى ومن تبعه : أنها كانت بعد خيبر ، لأَن أَبا موسى الأَشعرى جاءَ من الحبشة سنة سبع بعد خيبر ، كما فى الصحيح فى باب غزوة خيبر . وتقدَّم ذكره هناك . وصح أَيضاً كما فى الصحيح أَنه شهد ذات

---

(١) فى المغازى للواقدى ١ : ٣٩٧ « ويقال الأنصارى عمارة بن حزم ، قال ابن واقد : وأثبتهما عندنا عمار بن ياسر » .

(٢) وانظر الاختلاف حول سبب التسمية فى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٨٨ .

(٣) كذا فى الأصول . وفى شرح المواهب ٢ : ٨٨ « ذات بقع سود وبقع بيض » .

الرِّقاع ، وإذَا كان ذلك كذلك لزم أن غزوة ذات الرقاع بَعْدَ خيبر ، وقال أبو هريرة – رضى الله عنه – صليتُ مع رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – فى غزوة نجد صَلاَةَ الخوف . رواه البخاريُّ تعليقاً ، وأبو داود ، والطحاوى ، وابن حبان مَوْصُولاً .

قال البخارى ، وأبو هريرة : إنما جاءَ إلى النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم أيام خيبر أى فَدَل على أن غزوة ذات الرقاع بَعْدَ خيبر ، وتعقب بأنه لا يلزم من كَوْنِ الغزوة كانت فى جهة نجد ، أى لا تتعدد ، فإن نجداً وقع القصد إلى جهتها فى عدة غزوات . وذكرت فى باب صلاته – صلَّى الله عليه وسلَّم – صَلاَةَ الخوف ما يُغنى عن إعادته ، فيحتمل أن يكون أبو هريرة حضر التى بعد خيبر ، لا التى قبلها ،والجواب أن غزوة نَجْد إذا أُطلقت فالمراد بها غزوة ذات الرقاع ، كما جاءَ ذلك فى أحاديث كثيرة .

وكذلك عبد الله بن عمر ، ذكر أنه– صلَّى مع رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم – صلاة الخوف بنجد ، وتقدم أن أول مشاهده الخندق ، فتكون ذات الرقاع بَعْدَ الخندق .

وفى الصحيح عن جابر – رضى الله عنه – قال : صلَّى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – صلاةَ الخوف فى غزوة السابعة ، غزوة ذات الرقاع . قال الحافظ : قوله فى غزوة السابعة ، من إضافة الشئ إلى نفسه على رأى ، أو فيه حَذفٌ تقديره : غزوة السفرة السابعة .

وقال الكرمانى وغيره : تقديره غزوة السنة السابعة ، أى من الهجرة ، وفى هذا التقدير نظر ، إذْ لو كان مُرَاداً لكان هذا نَصًّا فى أن غزوة ذات الرقاع تأخرت بعد خيبر ، نَعَمْ التنصيص بِأنَها سابع غزوة من غزوات النبيِّ – صلَّى الله عليه وسلم – تأييد لِمَا ذهب إليه البخارى مِنْ أَنَّهَا كانت بعد خيبر ، فإنه إذا كان المراد الغزوات التى خَرَجَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم فيها بنفسه مطلقًا ، سواءٌ قاتل أو لم يُقَاتِل ، فإن السابعة منها تقع قبل أُحُد ، ولم يذهب أَحَدٌ إلى أَنَّ ذَاتِ الرقاعِ قبل أُحُد إلاَّ ما سيأْتى من تردد ابن عُقْبَة ، وفيه نَظر ؛ لأَنهم متفقون على أن صَلاَةَ الخوف مُتأَخرة عن غَزْوَةِ الْخَنْدَق ، فتعيَّنَ أن يكون ذات الرقاع بعد قُريظة ، فَتَعَيَّنَ أَنَّ المراد

الغزوات التى وقع فيها القتالُ . والأُولى منها بدر ، والثانية أُحُدُ ، والثالثة الْخَنْدَق ، والرابعة قُرَيْظَة ، والخامسة المُرَيْسِيعُ ، والسادسة خَيْبَر ، فيلزم من هذا أن تكون ذاتُ الرقاع بعد خيبر لِلتَّنْصِيص على أنها السابعة ، فالمراد تاريخ الوقعة لا عدد المغازى ، وهذه

٢١٩ ط العبارات / أقرب مما وقع عند الإمام[1] أحمد بلفظ كانت صلاةُ الخوف فى السابعة ، فإنه يصح أن يكون التقدير فى الغزوة السابعة ، كما يصح فى غزوة السنة السابعة ، قلت : لا مزيد على هذا التحقيق البليغ ، فرحم الله الحافظ وجزاه خيراً .

وجزم أبو معشر : بأَنها كانت بعد بنى قريظة ، وهو موافق لما ذهب إليه البخارى ، قال فى الزهر[2] - وأبو معشرٍ[3] من المعتمدين فى المغازى .

وقال ابن القيم بعد أن ذكر الخلاف فى تاريخها : الصوابُ تحويلُ غزوةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ من هذا الموضع ، يعنى كونه ذكرها بعد غزوة بنى النَّضِير ، وقبل غزوة بَدْر الموعد إلى بعد الخندق ، بل بعد خيبر .

قال : وإنما ذكرته ههنا تقليداً لأَهل المغازى والسير ، ثم تَبَيَّن لنَا وهْمُهُم

الثالث : قال ابن عُقْبَة : لا ندرى هل كانت ذات الرقاع قبل بدر أو بعدها ، أو قبْلَ أُحُدٍ أو بعدها . قال الحافظ : وهذا الترَدُّدُ لا حاصل له ، بل الذى ينبغى الجزم به أنها بعد غزوة بَنِى قُرَيْظة ، لأَن صلاة الخوف فى غزوة الخندق لم تكن شرعت ، وحديث وقوع صلاة الْخَوْفِ فى غزوةِ ذَاتِ الرِّقاع يدُلُّ على تأَخرها بعد الخندق .

الرابع : قال أبو الفتح - رحمه الله تعالى - جعل البخاريُّ حديث أَبى موسى حجة فى أن غزوة ذات الرقاع متأَخرة عن خيبر ، وليس فى خبر أَبى موسى ما يدل على شئٍ من ذلك . قال الحافظ - رحمه الله تعالى - وهذا النَّفى مردود ، والدِّلالةُ من ذلك واضحةٌ كما تقدم تقريره .

---

(١) إضافة على الأصول .

(٢) أى قال مغلطاى فى الزهر الباسم فى سيرة أبى القاسم (مخطوط) .

(٣) هو نجيح بن عبد الرحمن السندى الهاشمى - مولاهم - أبو معشر المدنى . توفى سنة ١٧٠ ﻫ (الخلاصة للخزرجى ٣٤٨) .

وقال الإمام علاء الدين الخازن – رحمه الله تعالى – وهذا الذى ذكره البخارى ظاهر الوضوح لأن سياق الأحاديث يدل على ما قاله .

الخامس : ادعى الحافظ الدمياطى غلط الحديث الصحيح[1] ، فإن جميع أهل السير على خلافه ، والجواب أن الاعتماد على ما فى الحديث أولى ، لأن أصحاب المغازى مختلفون فى زمانها ، فعند ابن إسحاق ، أنها بعد بنى النَّضِير ، وقَبْلَ الخندق فى سنة أربع .

وعند ابن سعد ، وابن حبَّان : أنها كانت فى المُحَرَّم سنة خمس وجزم أبو معشر بأنها كانت بعد بنى قريظة والخندق ، وجزم ابن عُقْبَة بتقديمها ، لكن تردَّدَ فى وقتها كما تقدم . وأيضًا فقد ٱزداد حديث أبى موسى قوة بحديث أبى هُرَيْرة ، وبحديث ابن عمر كما تقدَّمَ تقريره .

السادس : قيل : إنَّ الغزوة التى شهدها أبو موسى ، وسُمِّيَتْ ذات الرقاع غير غزوة ذات الرقاع التى وقعت فيها صلاةُ الخوفِ ، لأن أبا موسى قال فى روايته : أنهم كانوا ستة أَنْفُس ، والغزوة التى وقعت فيها صلاةُ الخوف . كان المسلمون فيها أضعاف ذلك ، والجواب عن ذلك أن العدد الذى ذكره أبو موسى محمولٌ على مَنْ كان مُرَافِقًا له من ٱلزامه ، لا أنَّه أراد مَنْ كان مع النبي – صلى الله عليه وسلم .

السابع : وقع فى الصحيح « باب غزوة ذات الرقاع » وهى غزوة مُحَارِب/[2] [بن] ٢٢٠ و خَصفة من بنى ثعلبة بن غطفان . قال الحافظ – رحمه الله تعالى – وهو يقتضى أن ثعلبة جَدٌّ لمحارب ، وليس كذلك ، ووقع عند القابسى : خصفة بن ثعلبة ، وهو أشد فى الوهم . والصواب ما وقع عند ابن إسحاق وغيره ، وبنى ثعلبة بواو العطف ، فإن ثعلبة ابن سعد بن ذُبْيَان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وغطفان بن سعد بن قيس عيلان ، ومحارب بن خصفة بن قيس عيلان ، فمحارب وغطفان ابنا عم !! فكيف يكون الأعلى منسوباً إلى الأدنى ؟!

---

(١) يعنى حديث أبى موسى الأشعرى (شرح المواهب ٢ : ٨٨) .

(٢) سقط فى الأصول . والإثبات عن شرح المواهب ٢ : ٨٦ .

وفى الصحيح فى حديث جابر بلفظ محارب وثعلبة بواو العطف على الصحيح ، وفى قوله ثعلبة من غطفان بميم فنون نظر أيضاً كما يُعلم مما تقدم ، وقد يكون نَسَبَه لجده الأعلى . وفى الصحيح من رواية بكربن سَوَادَة يوم محارب وثعلبة ، فغاير بينهما ومُحَارِب بضم الميم ، وبالحاء المهملة والموحدة ، وخصفة بفتح الخاء المعجمة ، والصاد المهملة ، ثم فاء ، أُضيف إليه محارب للتمييز عن غيره من المحاربين ، فإن فى مضر محارب بن فهر ، وفى المغتربين محارب بن صباح ، وفى عبد القيس محارب بن عمرو .

الثامن : غَوْرَث : وزن جعفر ، وقيل بضم أوله ؛ وهو بغين معجمة وواو وثاء مثلثة ، مأخوذ من الْغَرْث وهو الجوع ، ووقع عند الخطيب بالكاف بدل المثلثة . وحكى الخطَّابِى فيه غُوَيْرِثْ بالتصغير . وحكى القاضى عن بعض رواة الصحيح : من المعارثة بالعين المهملة . قال القاضى : وصوابه بالمعجمة

وذكر غويرث هذا الذهبيُّ فى التجريد من جملة الصحابة ، ولفظ غورث بن الحرث الذى قال : من يمنعك منىِّ ؟ قال : الله تعالى – فوقع السيفُ من يده ، قاله البخارى من حديث جابر . ا.هـ .

وتعقبه الحافظ بأنه ليس فى شئ من طُرُق أحاديثه فى الصحيح تعرّض لإسلامه ، ثم أورد الطُّرُق . ثم قال : رويناه فى المسند الكبير عن مسدّدالخزرجى وفيه ما يصرح بعدم إسلامه ، ولفظه بعد أن ذكر وقوع السيف من يده ، وقول النبى – صلَّى الله عليه وسلَّم – من يمنعك منى؟قال : كن خير آخذ . قال : لا إلا أن تُسلم . قال :لا ولكن أُعاهدك ألا أُقاتلك ، ولا أكون مع قومٍ يُقاتلونك . فخلىَّ سبيله ، فجاء إلى قومه وقال : جئتكم مِنْ عند خير النَّاس ، وكذا رواه الإمام أحمد ، ونقله الثَّعْلَبِىّ عن الْكَلْبِى عن أبى صالح عن ابن عباس ، ثم قال الحافظ : هذه الطرق ليس فيها أنه أسلم ، وكان الذهبى لما رأى فى ترجمة دُعْثور بن الحرث أن الواقدى ذكر له شبيها لهذه القصة ، وأنه ذكر أنه أسلم ، فجمع بين الروايتين ، فأثبت إسلام غَوْرَث . فإن كان كذلك ففيما صنعه نظر من حيث إنه عزاه للبخارى ، وليس فيه أنه أسلم من حيث إنه يلزمه الجزمُ بكَوْن

القصتين واحدة ، ومع احتمال كونهما واقعتين إن كان الواقدى أتقن ما نقل . وفى الجملة فهو على الأحتمال . قلت : سبق الذهبيّ فى نقل إسلام غورث عن البخارى الأَميرُ أبو نصر/ ٢٢٠ ط ابن مَاكُولَا فى الإكمال . وجزم به الذَّهبى فى مشتبه النِّسْبَة ، وأقره الحافظ فى التبصرة على ذلك ولم يتعقبه . والذَّهبى لم يغير ذلك للصحيح حتى يرد عليه بما قاله الحافظ . والظاهر أن البخارى ذكر ذلك فى أحد تواريخه / فتراجع ، ولم أَقف الآن فيها إلا على رُبع التاريخ الكبير ولم يصل إلى حرف الغين المعجمة . ولم أر مَنْ حَرَّر هذا الموضع . ويحتمل إن صح إسلامه أن يكون أسلم فى غير هذا اليوم ووقع للحافظ فى الفتح فى إسلام غورث كلام غير محرر يأْتى الكلام عليه فى الحادى عشر .

التاسع : قول غورث للنبى – صلى الله عليه وسلم – من يمنعك مِنِّى على سبِيل الأستفهام الإنكارى ، أى لا يمنعك منىِّ أَحَدٌ لأَن الأَعرابى كان قائماً بالسيف على رأس رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – والسيف فى يد الأَعرابى والنبى – صلى الله عليه وسلَّم – جالسٌ لا سيف معه ، ويؤخذ من مراجعة الأَعرابى فى الكلام أن الله – سبحانه وتعالى – منع نبيّه منه ، وإلا فما الذى أَحوجه إلى مُرَاجعته وتكرارها ثلاث مرات كما عند البخارى فى الجهاد ، مع آحتياج غورث إلى الحُظوة عِنْدَ قومه بقتله ، وفى قول النبى – صلَّى الله عليه وسلَّم – فى جوابه : « اللهُ يَمنَعُنِى مِنْك » إشارة إلى ذلك ، ولذلك أعاده الأَعرابى فلم يزده على ذلك الجواب غاية الثبات للنبى – صلَّى الله عليه وسلَّم – وعدم مُبَالاته به أَصلاً .

العاشر : فى رواية يحيى بن أَبِى كثير : فَتهدَّده أَصحاب رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال الحافظ – رحمه الله تعالى – فظاهرها مُشعرٌ بأَنهم حضروا القصة وأنه إنما رجع عما كان عزم عليه بالتهديد ، وليس كذلك ، بل وقع فى رواية إبراهيم بن سعد فى الجهاد بعد قوله : قلتُ الله !! فشام السَّيْفَ أى أغمده ، وكان الأَعرابى لما شاهد ذلك الثَّبَات العظيم وعرف أنه حيلَ بَيْنَه وبينه ، تحقق صِدْقه ، وعلم أنه لا يصل إليه أَلقى السلاح ، وأمكن من نفسه .

الحادى عشر : فى حديث جابر فإذا هو جالس ، ووقع فى رواية ابن إسحاق بعد قوله : « قَالَ الله » فدفع جبريلُ فى صَدره ، فوقع السيفُ من يده فأَخذه النبى – صلَّى

الله عليه وسلَّم ـ فقال : من يمنعك أنت منى ؟ قال : لا أحد ، قال : قم فَاْذهب لشأنك ، فلما وَلَّى قال : أنت خير منى .

ويجمع بين ما فى الصحيح وبين ما ذكره ابن إسحاق من قوله : « فَاْذْهَب » أنه بعد ما أخبر أصحابه بقصته ، ولشدة رغبته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فى ٱئتلاف الكفار ليدخلوا فى الإسلام ، لم يؤاخذه وعفا عنه . قال الحافظ : وقد ذكر الواقدى فى نحو هذه القصة أنه أسلم ، وأنه رجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير ، ووقع فى رواية ابن إسحاق ـ التى أشرت إليها ـ ثم أسلم .. بعد .

قلت : وعلى الحافظ فى هذا الكلام مؤاخذات .

الأُولى : قوله « ووقع » فى رواية ابن إسحاق بعد قوله « فدفع جبريل فى صدره » صوابه : وقع عند / الواقدى ، لإبن إسحاق ، فإن ابن إسحاق لم يذكر ذلك أصلا . ٢٢١ و

الثانية : أن الواقدى ، إنما ذكر ذلك فى غزوة غَطَفَان التى تعرف بذى أمرّ لا فى ذات الرِّقاع ، وسمَّى الرَّجُلَ دعثورا .

الثالثة قوله : وذكر الواقدى فى نحو هذه القصة إلخ . قد يُوهم أن الرجل غورث ، وليس كذلك ، بل هو دعثور .

الرابعة قوله : ووقع فى رواية ابن إسحاق التى أشرت إليها أنه أسلم ليس فى كلام ابن إسحاق أنه أسلم بلا ريب ، ومن راجع كلام ابن إسحاق ، والواقدى فى مغازيهما تبيَّن له صحة ما قلته . والله ـ تعالى ـ أعلم .

الثانى عشر : قول ابن إسحاق : أن رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ استعمل على المدينة فى غزوة ذَاتِ الرِّقَاع أبا ذر ، لا يستقيم على مذهبه أن ذات الرقاع قبْل الْخَنْدق ، فإن أبا ذر أسلم قديماً ، ورجع إلى بلاده ، فلم يجئ إلا بعد الخندق ، كما ذكره محمد ابن عمر .

الثالث عشر : وقع فى الوسيط للإمام حجة الإسلام الغَزالى ـ رحمه الله تعالى ـ أنَّ غزوةَ ذات الرقاع آخر الغزوات . قال الحافظ : وهو غلط واضح . وقد بالغ ابن الصلاح فى إنكاره ، وقال بعض من انتصر للغزالى : لعله أراد آخر غزوة صُلِّيت فيها صلاةُ الخوف ، وهو انتصار مردود أيضاً ، لما رواه أبو داود ، والنسائى . وصححه ابن حِبَّان من حديث أبى بكر أنه ـ صلَّى مع رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ صلاةَ الخوف ، وإنما أسلم أبو بكرة فى غزوة الطَّائِف بالاتفاق . وذلك بعد غزوة ذَاتِ الرِّقاع قطعاً .

الرابع عشر : جمهور أهل المغازى على أن غزوة ذات الرقاع هى غزوة مُحَارِب ، كما جزم به ابن إسحاق .

وعند محمد بن عمر . أنها اثنتان وتبعه القطب فى المورد .

الخامس عشر : قول ابن سعد أن صلاةَ الخوف أول ما صُلِّيَتْ « بذات الرقاع » محمول على ما ذكره هو وغيره من تقدمها على غزوة الحُدَيْبِيَة ، أما على تأخير ذات الرقاع عن خيبر فتكون أول مَا صُلِّيَتْ صلاة الخوف فى عُسْفَان .

السادس عشر : فى بيان غريب ما سبق .

الْجَلَب ـ بفتح الجيم واللام ، وبالموحدة : ما يجلب من بلد إلى بلد للبيع .

بنو أنْمَار ... بفتح الهمزة .

بغيض ـ بموحدة ، فغين ، فضاد ، معجمتين بينهما تحتية .

هادين : غافلين عن أمرهم .

المضيْقُ ـ بفتح الميم ، وكسر الضَّاد المعجمة ، ومثناة تحتية وقاف : قرية .

أفضى إلى كذا : وصل إليه .

الشُّقْرَة ـ بضم الشين المعجمة ، وسكون القاف : اسم موضع على يومين من المدينة .

أتى نخلا ـ بالخاء المعجمة بلفظ اسم جنس النخلة : موضع على يومين من المدينة أيضاً .

وَضِيئَة ـ بالضاد المعجمة : أى حسنة .

غارون : غافلون .

يستأصلهم : يهلكهم جميعا .

حانت الصلاة : دنا وقتها .

* * *

شرح غريب ذكر حديث جابر فى قصة غورث

قوله ـ قفل : رجع .

الْعِضَاه ـ بكسر العين المهملة ، وبالضاد المعجمة ، وبالهاء ، : شجر أم غيلان ، وكل ٢٢١ ط شجر عظيم له شوك . /

اخترط السَّيْفَ : سلَّه من غِمده .

صَلْتاً ـ بفتح الصاد المهملة ، وسكون اللاّم ، وبالفوقية : أى مجردا من غمده .

شَامَ السَّيْفَ ـ هنا ـ أدخله فى غمده .

فتك به : أتاه ليقتله .

وهو غار : غافل .

فى حَرَة ـ بفتح الحاء وكسرها . الحرَّة : أرض ذات حجارة سود كأنها أُحرقت بالنار والجمع [حرار[1]] ككلاب .

واقُم ـ بالواو ، والقاف ، والميم ، وزن آطُم ، من آطام المدينة ، تنسب إليه حرة واقُم .

بيضات أُدَاحى ـ بالدال ، والحاء المهملتين جمع أُدحى بضم الهمزة ، وهو الموضع الذى تبيض فيه النعامة وتفرخ .

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

الْمَفْحَص – بفتح الميم ، وسكون الفاء ، وفتح الحاء ، وبالصاد المهملتين : اسم الموضع الذى يَحْفِرُه الطائر ليبيض فيه .

العيبة – بفتح العين المهملة ، وسكون التحتية ، وبالموحدة : ما تجعل فيه الثياب .

اليمامة : مدينة على يومين من الطائِف ، وأربعة من مكة .

يرفل – بسكون الراء ، وبالفاء : يمشى مشى الْمُخْتَال .

يستعدينى : يطلب منى نصره .

مقنعا – بالقاف ، والنون ، والعين المهملة : أى ذليلا .

الناضح : الذى يُسْتَى عليه ، ثم استعمل فى كل بعيرٍ

الْقَعْبُ – بقاف مفتوحة ، فعين مهملة : قدح من خشب .

يُواهِق – بتحتية مضمومة ، فواو ، فهاء مكسورة ، فقاف : أى يُبَارى ناقة النبى – صلَّى الله عليه وسلَّم – فى السير ويماشيها .

* * *

شرح غريب حديث جابر الطويل

قوله : وادٍ أَفيح : واسع .

الإداوة – بالكسر : المطهرة .

شاطئُ الوادى : جانبه .

الغُصْن – بضم الغين المعجمة .

البعير المُخَشْوش – بالخاء والشين المعجمتين هو الذى يُجْعَل فى أنفه الْخِشَاش . بكسر الخاء : وهو عود يجعل فى أنف البعير يشدّ به الزمام ليكون أسرع فى انقياده .

وانقاد فلان للأمر : أعطى القياد إذا أذْعن طوعا أو كرها .

الْتَأَمَتَا عليه : انطبقتا عليه وسترتاه .

أُخْضِر – بضم الهمزة ، وإسكان الحاء ، وكسر الضاد المعجمة : أى أعدووأسعى سعياً شديدا .

دانت – بالنون ، وروى باللَّام : أى وقعت واتّفقت .

لفتة : نظرة .

حسرته – بحاء وسين مهملتين : حددته ونحيت عنه ما يمنع حِدَّته بحيث صار مما يمكن القطع به .

انذلق – بذال معجمة ، أى صار حَادًّا .

أَمَّمْتُ[1] الشئ : قصدته .

أجترهما : أَجُرُّهما .

فعمّ ذاك – أدغمت النون فى ما الاستفهامية ، وحذفت ألفها لدخول الجار .

يَرْفَه عنهما – بفتح التحتية ، وسكون الراء ، وفتح الفاء وبالهاء : يخفف .

الأَشجاب – جمع شجب : وهو السّقاء الذى خلق وبلى ، وصار سيئاً .

الحِمازة – بكسر الحاء ، وتخفيف الم والزاى : وهى أعواد يعلق عليها أسقية الماء .

القطرة : الشئ اليسير .

الْعَزْلاء – بفتح العين المهملة وسكون الزاى ، وبالمد : وهى فم القربة الأَسفل .

شربة يابسة : أى قليل جداً ، فلقلته مع شدة يُبْس باق الشجب يذهب ما فيه .

يغمزه : يعصره .

٢٢٢ و الجَفْنَة – بفتح الجيم : إناءٌ كالقصْعة ، والجمع الْجِفَان بالكسر / والجفنات بالتحريك

---

(١) أممت ، كذا هنا . وفى سياق المتن « أتيت » .

ونادِ يا جَفْنَة الركب : أى التى تشبعهم أو ياصاحب جفنتهم فحذف المضَاف ، أى من كان عنده جفنة تشبعهم فليحضرها .

سِيف البحر – بكسر السين المهملة ، وإسكان التحتية : جانبه .

حَجَاج عَيْنها – بفتح الحاء المهملة ، وكسرها ، وبجيمين : العظم المستدير ، وقال ثابت : الحجاجان ؛ العظمان المشرفان على العينين ، وفى المخصص : الحجاج العظم الذى عليه الحاجب .

الكِفْلَ[1] – بكسر الكاف ، وسكون الفاء : وهو هنا – الكساء الذى يدار حول سنام البعير ثم يركب .

* * *

شرح غريب ذكر منقبة عباد بن بشر – رضى الله عنه

يُهْرِيقُ – بضم التحتية ، وفتح الهاء ، وكسر الراء : يصب ويسيل .

يَكْلَؤُنا : يحفظنا ويحرُسُنا .

الشِّعْبُ – بالكسر : الطريق فى الجبل .

الرَّبِيئَة – بفتح الراء المشددة ، والموحدة المكسورة ، وبالهمزة ، والمفتوحة : طليعةُ الْقَوْم وَعَيْنُهُم ؛ الذى يكشف لهم الخبر .

الثغر – بالثاء المثلثة ، والغين المعجمة : ما يلى دار العدو .

صرار – بصاد ورائين مهملتين : اسم أُطم بالمدينة شرقيها[2] .

---

(١) لم يرد هذا اللفظ فى سياق المتن .

(٢) وقيل صرار : بئر قديمة على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق . وقيل موضع على ثلاثة أميال من المدينة وقيل هو اسم جبل . وانظر وفاء الوفا ٤ : ١٢٥١ ، ١٢٥٢ .

الباب السادس والعشرون

فى عمرة القضاء[1]

لما دخلَ هلالُ ذِى القعدة سنة سَبْع ، وهو الشهر الذى صَدَّه فيه المشركون عن البيت ، وأنزل الله تبارك وتعالى : (الشَّهْرُ الْحَرَامِ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاص[2]) الآية . أمر رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – أَصحابه أن يتجهزوا للعمرة ، ولا يتخلف أَحدٌ ممن شهد الحديبية ، فلم يتخلف أَحد شهدها ، إلاَّ رجالٌ اَستشهدوا بخيبر ، ورجال ماتوا ، فقال رجال مِنْ حَاضِرِى المدينة مِنَ العرب : يا رسولَ الله ، والله مالنا زاد ، وما لنا أَحدٌ يُطعِمُنَا ، فأَمر رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم المسلمين أَن ينفقوا فى سبيل الله – تعالى ، وأَن يَتصدقوا ، وأَلا يكفوا أَيديهم فيهلكوا ، فقالوا : يا رسول الله ، بم نتصدق وأَحدنا لا يجد شيئاً ؟ فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – : « بما كَانَ وَلَوْ بِشِقٍّ تَمْرَة » .

وروى وكيع وابن عُيَيْنَة وابن سعيد[3] ، ومنصور[4] ، وعبد بن حميد ، والبخارى ، والبيهقى فى سننه عن حُذيفة ، ووكيع ، وعبد بن حميد ، والبيهقى عن ابن عباس – رضى الله – تعالى عنهم – وابن جرير عن عكرمة ، ووكيع عن مجاهد – رحمهما الله – تعالى – قالوا فى قوله تعالى : ﴿ وأَنْفِقُوا فِى سَبِيلِ الله ، ولَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَة ﴾[5]

---

(١) وانظر فى هذه العمرة شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٣٧٠ ، وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٧٠ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٧١ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٢٨ ، والمغازى للواقدى ٢ : ٧٣١ .

(٢) سورة البقرة آية ١٩٤

(٣) هو عبد الله بن سعيد بن جبير ، الخلاصة للخزرجى ١٩٩ سنة ١٣٤٩ هـ

(٤) هو منصور بن المعتمد السلمى أبو عتاب الكوفى المتوفى سنة ١٣٢ هـ (الخلاصة للخزرجى ٣٨٨ ، المغازى للواقدى ٢ : ٧٣٢) .

(٥) سورة البقرة آية ١٩٥ .

إن التهلكة تركُ النفقة فى سبيل الله ، ليس التهلكةُ أن يُقْتَل الرجل فى سبيل الله ، ولكن الإمساك فى سبيل الله ، أنفق ولو مِشْقَصًا .

قال محمد بن عمر ، وابن سعد : واستعمل رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - على المدينة أَبَا رُهْم - بضم الراء ، وسكون الهاء - الْغِفَارِىّ - رضى الله عنه - وقال ابن هشام : واستعمل عُوَيْف - بالواو والفاء ، تصغير عوف ، ويقال فيه عويث / - بتحتية فمثلثة ابن الأَضْبَطْ - بضادٍ معجمة ، فموحدة ، فطاء مهملة - رضى الله تعالى عنه - وقال البَلَاذُرى : استعمل أَبَا ذَرٍّ . ويقال : عويف بن الأَضبط والله أعلم . ٢٢٢ ط

* * *

ذكر ماساقه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الهدى وتقديمه السلاح والخيل امامه

روى محمد بن عمر عن عبد الله بن دينارٍ - رحمه الله تعالى - قال : جعلَ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - ناجية بن جندب الأَسلمى على هَدْيه ، يسيرُ به أمامه ، يطلب الرَّعى فى الشجر ، معه أَربعة فتيانٍ من أسلم ، زاد غيره : وأبو هريرة .

وروى محمد بن عمر عن محمد بن إبراهيم بن الحرث قال : ساق رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - فى القضية ستين بدنة وروى أَيضاً عن شعبة مولى[1] بن عباس - رضى الله عنهما - قال : قَلَّدَ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - هَدْيه بيده .

ورَوَى أَيضاً عن عاصم بن عمر عن قتادة - رحمه الله تعالى - قال : حمل رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - السلاح ، والبيض ، والدروع ، والرماح وقاد مَائة فرس عليها محمد بن مَسْلَمَة ، فلما انتهى إلى ذى الحُلَيْفَة قدّم الخيل أَمامه ، واستعمل على السلاح بشير بن سعد ، بالموحدة والشين المعجمة ، وزان أمير ، فقيل يا رسول الله : حملْت السِّلَاح وقد شرطوا أن لا ندخلها عليهم بسلاحٍ إلاَّ سلاح المسافرِ ، السيوف فى الْقُرُب ! فقال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - « إِنَّا لَا نُدْخِله عليهم الْحَرَم ، ولَكِنْ يَكُونُ قريباً مِنَّا ، فَإِنْ هَاجَنَا هَيجٌ مِنَ القَومِ كَانَ السِّلَاحُ مِنَّا قريباً .

(١) الإضافة عن المغازى للواقدى ٢ : ٧٣٣ .

فمضى بالخيل محمد بن مسلمة – رضى الله عنه – إلى مَرِّ الظهران[1] ، فوجد بها نفراً من قريش فسألوه فقال : هذا رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يُصَبِّح هذا المنزل غدا إن شاءَ الله – تعالى – ورأوا سلاحاً كثيراً مع بشير بن سعد ، فخرجوا سراعاً ، حتَّى أتوا قريشاً ، فأخبروهم بالذى رأوه من الخيل والسلاح ، ففزعت قريش ، وقالوا والله ما أحدثنا حدثًا ، وإنَّا على كتابنا ، ومُدَّتنا ، فَفِيمَ يَغْزُونَا محمدٌ فى أصحابه .

قال ابنُ عقبةَ – رحمه الله تعالى – : بعث رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – جعفر ابن أبى طالب بين يديه إلى ميمونة بنت الحٰرث يخطبها عليه ، قلت : وسيأتى بيانُ ذلك فى ترجمتها .

* * *

ذكر خروجه – صلى الله عليه وسلم – من المدينة وإحرامه

روى محمد بن عمر – رحمه الله – تعالى – عن جابر – رضى الله – تعالى عنه – قال : أحرم رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – من باب المسجد ، لأنه سلك طريق الفُرْع[2] ، ولولا ذلك لأهلَّ من البيداء . قالوا : وسار رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – يلبى والمسلمون معه يُلَبُّون ، حتَّى انتهى إلى / مَرِّ الظَّهْرَان ، وقدم رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – السلاحَ إلى بطن يَأجَج حيث نظر إلى أنْصَاب الحرم ، وبعثت قريش مِكْرز – بكسر الميم ، وسكون الكاف ، وكسر الراء ، وبالزاى – بن حفص فى نفرٍ من قريش حتى لقوه ببطن يأججَ ، ورسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – فى أصحابه ، والهدىُ والسلاحُ قد تلاحق ، فقالوا له : والله يا محمد ما عُرِفْتَ صغيراً ولا كبيراً – بالْغَدْر ، تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك ، وقد شَرَطْتَ لهم ألاَّ تَدْخُل إلاَّ بسلاح المسافر ؛ السيوف فى الْقُرُب !! فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – « إنِّى لَا أَدْخُلُ عَلَيْهِم بِسِلَاح . » فقال مِكْرز : هو الذى تُعْرَفُ به ، البرّ والوفاء ، ثم رجع مِكْرز سريعاً إلى مكة بأصحابه ، فقال : إن محمداً لا يدخلُ بسلاحٍ ، وهو على الشرط الذى شرطلكم .

٢٢٣ ظ

---

(١) مر الظهران : واد قرب مكة يضاف إليه مر ، وهى قرية (شرح المواهب ٢ : ٢٥٤) .

(٢) الفرع : بضم الفاء وسكون الراء أوبضمهما (شرح المواهب ٢ : ٢٥٤) وقد سبق أن ضبطه المصنف بضم الفاء والراء .

روى الإمام أحمد عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ قال : لما نزل رسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ مَرَّ الظَّهْرَان فى عمرته ، بلغ أصحابُه أن قُريشاً تقول ما يَتَبَاعثون من العَجَف[1] ، فقال أصحابه : لو ٱنْتَحَرْنَا مِنْ ظَهْرِنَا فَأَكَلْنَا مِنْ لَحْمِهِ وَحَسَوْنَا مِنْ مرقه ، أصبحنا غداً حين نَدْخُلُ عَلَى القَوْمِ وَبِنَا جَمامة[2] ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : « لَا تَفْعَلُوا ، ولكن ٱجمعوا إلى من أَزْوَادِكُم » ، فَجَمَعُوا له ، وَبَسَطُوا الأَنطاع فأَكلوا حَتَّى تركوا ، وَحَشَا كُلُّ وَاحِدٍ فى جرابه .

* * *

ذكر دخول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مكة

قال ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ قدم رسولُ الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ مكة صبيحةَ الرابع من ذى الحجة ، ولمَّا جاءَ مِكْرزُ قُرَيْشًا بخبر رسولِ الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ٱستنكف رجالٌ من أشراف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ غيظاً وحَنقا ، ونَفَاسة ، وأمر رسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ بالهدى أمامه حتى حُبِس بِذِى طُوى ، ودخل رسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ على راحلته القصواءِ وأصحابُه محدقون به ، قد توشَّحُوا السيوفَ يُلَبُّون ، فلما ٱنتهى رسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى ذِى طُوًى وقف على راحلته والمسلمون حَوْله ، ثم دخل من الثنية التى تطلعه على الْحَجُون .

وروى البخارى تعليقاً ، وعبد الرَّزاق ، والترمذى ، والنسائى ، وابن حِبّان عن أنس ــ رضى الله عنه ــ وابن عقبة عن الزُّهْرى ، وابن إسحاق عن عبد الله بن أَبى بكر بن عمرو بن حزم : أَن رسولَ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ دخل مكة عام الْقَضِيَّة على ناقته وعبد الله بن رواحة آخذ بزمامها ، وهو يقول :

خَلُّوا بَنِى الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِه[3] نَحْنُ ضَرَبْنَاكُم عَلَى تَأْوِيله

(١) يتباعثون من العجف : أى لايقوون على الحركة من الهزال (السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٣٧) .

(٢) الجمامة : البقية من القوة (هامش من المرجع السابق) .

(٣) أنظر القصيدة فى شرح المواهب ٢ : ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٧١ وفيها اختلاف عما جاء هنا ــ والمغازى للواقدى ٢ : ٧٣٦ .

ضَرْباً يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِه ... وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِه
قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمٰن فِى تَنْزِيلِه ... فِى صُحُفٍ تُتْلَى عَلَى رَسُولِه
يَارَبِّ إِنِّى مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ ... إِنِّى رَأَيْتُ الْحَقَّ فى قَبُوله

٢٢٣/ط فقال عمر بن الخطاب – رضى الله عنه / – يا ابن رواحة !! بين[1] يدى رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم – وفى حرم الله – تعالى – تقول الشعر ؟ فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – « خَلِّ عَنْه يا عُمَر » فلهى[2] أسرع فيهم من نضح النبل » . وفى رواية « يا عمر إنى أسمع ، فاسكتْ يا عمر »[3] فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – : « يا ابن رواحة قل : « لَا إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَه ، نَصَرَ عَبْدَه ، وَأَعَزَّ جُنْدَه ، وَهَزَم الْأَحْزَابَ وَحْدَه » .
فقالها ابن رواحة فقالها الناس كما قالها .

* * *

ذكر طواف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ماشيا وما جاء انه طاف راكبا

روى الإمام أحمد ، والشيخان ، وابن إسحاق عن ابن عباس – رضى الله – تعالى عنهما – قال : « قدم رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابُه مكَّةَ ، وقد وَهَنَتْهُم حُمَّى يَثْرِب ، فقال المشركون : إنه يقدُمُ غداً قومٌ قد وهنتهم الْحُمَّى ، ولقوا فيها شِدَّة ، فجلسوا على قُعَيْقِعَان مما يلى الْحِجْر ، فأطلع اللهُ – تعالى – نبيَّه على ما قالوا ، فلما دخل رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – المسجدَ اضطبع بردائه وأخرج عضده الأيمن ، ثم قال : « رَحِمَ اللهُ امرأً أراهم من نفسه قُوَّة » . وفى رواية : « أروهم مَا يَكْرَهُون» وأمرهم أن يُرْمِلُوا ثَلَاثَةَ أشواط ، ويمشوا بين الرُّكنين ، ليرى المشركون جَلَدَهُم ، ثم استلَمَ الركن ، وخرج يُهرولُ وأصحابُه معه ، حَتَّى إذَا وَارَاه البيتُ منهم ، واسْتَلَم الرُّكْنَ [اليمانى[4]] مشى حتى استلم الركن الأسود ثم هرول كذلك ثلاثة أشواط ومشى سَائِرَهَا . قال ابن عباس : ولم يأمرهم أن يُرْمِلُوا الأَشْوَاطَ كلها لِلإِبْقَاء عَلَيْهِم ، فقال المشركون :

---

(١) استفهام محذوف الأداة ، وفى رواية بإثباتها (شرح المواهب ٢ : ٢٥٦) .
(٢) أى هذه الجملة أو الأبيات أو الكلمات .
(٣) وفى رواية « فأسكت عمر » شرح المواهب ٢ : ٢٥٧ . وهى توافق نسخة صنعاء .
(٤) الإضافة عن سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٧١ .

« هَؤُلَاءِ الذين زعمتم أن الحُمَّى قَدْ وهنتهم ؟ هؤلاءِ أجلد من كذا وكذا ، ما يرضون بالمشى ، أما إنهم لينقزون نقز الظَّبى » وكان رسولُ الله — صلَّى الله عليه وسلم — يكايدهم كلَّمَا اَستطاع .

قال محمد بن [عمر ، وابن[1]] سعد وغيرهم : ولم يزل رسولُ الله — صلَّى الله عليه وسلم — يُلَبِّى حَتَّى اَستلم الرّكنَ بمحجنه .

وروى الحُمَيْدىُّ والبخارى ، والإسْمٰعيلى عن عبد الله بن أَبِى أَوْفَى — رضى الله عنه — قال : لما اعتمر رسولُ الله — صلَّى الله عليه وسلَّم — سترناه من غلمان المشركين ، وفى رواية مِنَ السُّفَهَاءِ والصبيان مَخَافَةَ أن يؤذوا رسولَ الله — صلَّى الله عليه وسلَّم — وروى يُونُس ابنُ بكير — رحمه الله تعالى — عن زيد بن أَسلم — رحمهما الله تعالى — أَنَّ رسولَ الله — صلَّى الله عليه وسلَّم — دَخَلَ عَامَ القضية مكَّةَ ، فطاف على نَاقَتِهِ ، واستلم الركن بمحجنه . قال هشام ، وابن سعد : مِنْ غير — عِلَّةٍ — والمسلمون يشتدُّون حَوْلَ رسول الله — صلَّى الله عليه —وسلَّم / وابن رواحة يقول الرجز السابق : وذكر محمد بن عمر ، وابن سعد : أَنَّ رسولَ الله / — صلَّى الله عليه وسلَّم — طاف رَاكِبًا ، وتبعهما القطبُ فى المورد . ٢٢٤ و

* * *

ذكر دخوله — صلى الله عليه وسلم — البيت

روى البيهقى من طريق محمد بن عمر عن سعيد بن المسيب — رحمه الله تعالى — قال : لما قضى رسولُ الله — صلَّى الله عليه وسلَّم — طوافه فى عمرة القضاء دَخَلَ البيتَ ، فلم يزل فيه حتَّى أَذَّن بلال بالصبح ، فوق ظهر الكعبة ، وكان رسولُ الله — صلَّى الله عليه وسلَّم — أمره بذلك ، فقال عكرمةُ بنُ أَبِى جَهْل — وأَسلم بعد ذلك — لقد أكرم الله — تعالى — أبا الحكم ، حيث لم يسمع هذا العبد يقولُ ما يقول .

وقال صفوانُ بن أُمية — وأَسلم بعد ذلك — الحمدُ لله الَّذى أَذهب أَبى قبل أن يرى هذا .

---

(١) سقط فى الأصول والمثبت يستقيم به السياق .

وقال خالد بن أَسِيد – كأَمير – وأَسلم بعد ذلك : الحمدُ لله الَّذى أَمات أَبى ولم يشهدْ هذا اليوم حين يقومُ بلال [ابن أم بلال[1]] ينهق فوق الكعبة

وأَمَّا سُهيل بن عمرو – وأَسلم بعد ذلك – ورجالٌ معه لما سمعوا ذلك غطوا وجوههم ، كذا فى هذه الرِّواية : أَنَّ النَّبى صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – دخل البيتَ .

وروى البخاريُّ عن إسماعيل بن أَبى خالد – رحمه الله تعالى – أَنَّ رجلاً سأَل ابن أَبِى أَوْفَى – رضى الله عنه –أَكان رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – دخل فى القضيَّة الكعبة؟ قال : لا .

وقال محمد بن عمر بعد أَن رَوَى ما سبق عن ابن عباس : حدثنى إبراهيم بن إسماعيل عن داود بن الحُصَيْن قال : لم يَدْخُلْ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – الكعبةَ فى القضيَّة . وقد أَرسل إليهم ، فأَبوا وقالوا : لم يكن فى شرطك .

* * *

ذكر سعيه – صلى الله عليه وسلم – بين الصفا والمروة

روى محمد بن عمر – رحمه الله تعالى – عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أَن رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – طاف بين الصَّفَا والمروة على راحلته ، فلما كان الطَّوَافُ السَّابع عند الْمَرْوَة عند فراغه – وقد وقف الهدى عند المَرْوَة – قال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – « هذا المنحر وكل فِجَاج مكة مَنْحَر ، فَنَحَرَ عِنْدَ الْمَرْوَة .

قال محمد بن عمر – رحمه الله تعالى – وقد كان اعتمر مع رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قومٌ لم يشهدوا الْحُدَيْبية فلم يَنحُروا ، فأَمَّا من شهدها وخرج فى الْقَضِيَّةِ فإنهم اشتركوا فى الهَدْى . وأَمر رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – مائتين من أَصحابه حين طافوا بالبيت وسعوا أَن يذهبُوا إلى أَصحابه ببطن يَأْجَج فيقيمون على السِّلاَح ، ويأْتى الآخرون فيقضوا نُسُكَهُم ففعلوا .

---

(١) الإضافة عن المغازى للواقدى ٢ : ٧٣٨ .

روى محمد بن عمر عن عمر بن على بن أبى طالب ـ رحمه الله تعالى ـ قال : لما كان عند الظهر يوم الرابع أتى سهيل بن عمرو ، وحُوَيْطب / بن عبد الْعُزَّى ـ وأسلما بعد ذلك قال ابن إسحاق : وكانت قريش قَدْ وَكَّلَتْ حُوَيْطب بإخراج رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ فأَتياه وهو فى مجلسٍ من الأَنصار يتحدث مع سعد بن عُبَادة ، فَقَالاَ : قد انْقَضَى أَجلك ، فاْخرج عَنَّا ، فقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ : « وما عليكم لَوْ تركتمونى فَأَعْرَسْت بين أَظهركم فَصَنَعْت طعاماً ؟! » فقالا : لاَ حاجة لَنَا فى طَعَامِك اخرج عنَّا ، نَنْشُدُكَ الله يا محمد ، والعقد[1] الذى بيننا وبينك إلاَّ خَرَجْتَ مِنْ أَرضنا ، فهذه الثلاثة قد مضت .

٢٢٤ ط

وكان رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم ينزل بَيْتَا ، إنَّمَا ضُرِبَتْ له قُبَّة من أَديمٍ بالأَبطح ، فكان هناك حَتَّى خرج مِنْهَا ، ولم يدخل تحت سقف بيت مِنْ بُيُوتها ، فَغَضِبَ سعد بن عُبَادة ـ رضى الله عنه ـ لِما رأَى من غَلظة كلامهم للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال لِسُهَيْل بن عمرو : كذبت لا أُمَّ لك ليست بأَرضك ولا أَرض أَبيك ، والله لا يخرج منها إلاَّ طائعاً راضياً ، فتبسَّم رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وقال يا سعد : لا تؤذ قوماً زارونا فى رحالنا ، وأُسْكِت الرجلان عن سعد .

وفى الصحيح عن البراء بن عازب ـ رضى الله عنهما ـ أن الأَجل لما مضى أَتى المشركون عليًّا ـ رضى الله عنه ـ فقالوا : قل لصاحبك : اخرج عَنَّا فقد مضى الأَجل ، فذكر ذلك على ـ رضى الله عنه ـ لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأَمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَبا رافع ـ بالرحيل ، وقال : لا يُمْسِيَن بها أَحَدٌ من المسلمين » وَرَكِبَ رسولُ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ [حتى نزل[2]] بسَرِف ، وتَتَامَّ النَّاسُ ، وخَلَّفَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَبا رافع ليحمل إليه زَوْجَتَه مَيْمُونَة حين يُمْسِى ، فأَقام أَبو رَافع حتَّى

---

(١) كذا فى الأصول . وفى المغازى للواقدى ٢ : ٧٤٠ « العهد » .
(٢) الإضافة عن المغازى للواقدى ٢ : ٧٤٠ .

أمْسَى ، فخرج بمَيْمُونَة وَمَن معها ، وَلَقِيَتْ مِنْ سفهاءِ مكة عناء ، وسيأْتى الكلام على دخول رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - بها فى ترجمتها .

* * *

ذكر خروج ابنة حمزة - رضى الله عنها

روى الشيخان عن البراء بن عازب ، والإمام أحمد عن على ، ومحمد بن عمر عن ابن عبّاس - رضى الله عنهم - قال ابن عباس : إن عمارة بنت حمزة بن عبد المطلب ، وقيل اسمها أُمامَة[1] قال الحافظ : وهو المشهور وأُمها سَلْمَى بنت عُمَيْس ، كانت بمكّة ، فلما قَدِمَ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - مكة كلَّم على بنُ أَبى طالب - رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فقال عَلاَمَ نترك ابنة عَمِّنَا يتيمةً بين ظهرانى المشركين ؟ ، فلم ينهه رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فَخَرَج بِهَا .

وقال البراء : إنَّ رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - لما خرج تبعته ابنةُ حمزة تُنَادى يَا عَمِّى يَا عَمِّى ، فتناولها علىٌّ فأَخذ بيدها . وقال لفاطمة - رضى الله عنها - : دونك ابنة عمك ، فاختصم فيها . زيد وعلى وجعفر ، أى بعد أَن قَدِمُوا المدينة كما سيأتى .

٢٢٥ و وكان زيد وصىُّ حمزة ، وكان رسولُ / الله - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - قد واخى بينهما حين واخى بين المهاجرين . فقال على : أنا أَحق بها ، وهى ابنة عَمِّى ، وأَنا أَخرجتها مِنْ بين أَظهر المشركين ، وقال جعفر : بنت عَمِّى وخالتها أَسماء بنت عُميس تحتى . وقال زيد : بنت أخى . فقضى فيها رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - لخالتها ، وقال : « الْخَالَةُ بِمَنْزِلَة الأُم » وقال لعلى : « أَنْتَ مِنِّى وَأَنَا مِنْكَ » . وفى حديث ابن عباس - رضى الله عنه - « وَأَمَّا أَنت يا عَلِىّ فأَخى وَصَاحِبِى » وقال لجعفر : « أَشْبَهْتَ خَلْقِى وخُلقى » . وقال لزيد : « أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلاَنَا » . وفى حديث ابن عباس - رضى الله عنه - « أَنْتَ مَوْلَى اللهِ وَرَسُولِه » .

---

(١) قالوا : أمامة ، أو عمارة ، أوسلمى ، أو فاطمة ، أو أمة الله ، أو عائشة ، أو يعلى . أقوال : سبعة وقال الحافظ : أمامة هو المشهور . وترجم به فى الإصابة ، وعزاه لأبى جعفر بن حبيب وابن الكلبى والخطيب فى المبهمات ، وسماها الواقدى عمارة ، وابن السكن فاطمة (شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٥٩) .

قال محمد بن عمر : فلمَّا قَضَى بها رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – لجعفر قام جعفر فَحَجل حولَ رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم – : « ما هذا يَا جَعْفر » ؟ قَالَ : يا رسولَ الله ، كان النجاشى إِذَا أَرضى أَحداً قام فحجل .

قال ابن إِسحاق – رحمه الله تعالى – ثم ٱنْصرَف رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فى ذى الحجة .

وكان عِدَّةُ المسلمين سوى النِّساء والصِّبْيَان أَلفين .

قال ابن هشام – رحمه الله – تعالى – : فأَنزل الله – تعالى – فيما حدَّثنى أَبو عبيدة : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَه الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا[1] ﴾ يعنى خيبر .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : يقال لهذه العمرة عمرةُ الْقِصَاص . قال السُّهَيْلى – رحمه الله – تعالى – وهذا الاسم أَولى بها لقوله تعالى : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاص[2] ﴾ ورواه عبد بن حُميد بسندٍ صحيحٍ عن مجاهد ، وبه جزم سُليمان التيمى فى مغازيه وهذه الآية نزلت فيها كما تقدم .

ويقال لها : عمرةُ الْقَضَاء ، وٱختلف فى تسميتها بذلك ، فقال السُّهيلى : لأَنَّ رسولَ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – قاضى قُرَيْشًا عليها . لأَنه قَضَى العُمْرَةَ الَّتِى صُدَّ عن البيت فيها ؛ فإِنها لم تكن فسدت بِصَدِّهم له عن البيت ، بل كانت عمرة تَامَّةً

(١) سورة الفتح آية ٢٧ .
(٢) سورة البقرة آية ١٩٤ .

متقبلة ، حَتَّى إنهم حين حَلَقُوا شُعُورَهم بالحِلِّ احتملتها الريح فألقتها بالحرم ، فهى مَعْدُودَةٌ فى عُمَرِ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - زادَ القاضى[1] : فالمراد بالقضاءِ الفصل الذى وقع عليه الصُّلح ، ولذلك يقال لها عُمْرَةُ القضيةْ .

قال أهل اللُّغة : قَاضَى فُلاَنٌ فُلاَناً : عاهده ، وقاضاه : عاوضه ، فيحتمل تسميتها بالأمرين ، ويرجح الثانى تسميتها قِصَاصًا .

وقال آخرون : بل كانت قَضَاءً عن العمرة الأُولى ، وَعَدَّ عمرةِ الحديبية فى العمر لثبوتِ الأَجرِ فيها لَا لِأَنَّهَا كَمُلَت ، وهذا خلافٌ مَبْنِيٌّ على الاختلاف فى وُجُوبِ ٢٢٥ ط القضاء على من اعتمر فَصُدَّ عن البيت . فقال الجمهور / : يجب عليه الْهَدْى ، ولا قَضَاءَ عليه .

وعن الإمام أَبي حنيفة - رحمه الله - تعالى - عكسه ، وعن الإمام أَحمد رواية : أنه لا يلزمه هدى ولا قضاء وأُخرى أنه يلزمه الْهَدْى والقضاء ، وبيان حجج كُلٍّ ليس مِنْ غَرَضِنَا .

وقال ابن إسحاق : تُسَمَّى أَيضاً عمرةُ الصُّلْح اه.

فتحصَّل من أسمائها أَربعة : الْقَضَاء ، والْقَضِيَّةُ ، والْقِصَاصُ والصُّلْح .

الثانى : وجهوا كون هذه العمرة غزوة بأَن موسى بن عقبة ذكر فى المغازى عن ابن شهاب أنه - صلَّى الله عليه وسلَّم - خرج مُسْتَعِدًّا بِالسِّلَاح والْمُقَاتَلِةِ خَشْيَةَ أَن يقع من قريش غَدْر ، ولا يلزم من إطلاق الْغَزْوةِ وقوع الْمُقَاتَلَة .

وقال ابن الأَثير - رحمه الله تعالى - فى الجامع : هذه الْعُمْرَة ليست من الغزوات ، وذكرها البخارى فى الغزوات حيث تَضَمنتْ ذكر المصالحة مع المشركين .

الثالث : قال ابن هشام - رحمه الله تعالى - قوله : « نحن قتلناكم على تأْويله » إلى آخر الأَبيات لِعَمَّار بن ياسر فى غير هذا اليوم ، قال السُّهَيْلى : يعنى يوم صفِّين .

---

(١) أى القاضى عياض (شرح المواهب ٢ : ٢٥٣) .

قال ابن هِشام : والدليل على ذلك أَنَّ ابن رَوَاحَة إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يُقِرُّوا بالتنزيل ، وإِنَّمَا يقاتَلُ على التأويل من أَقَرَّ بالتنزيل . قال فى البداية : وفيما قاله ابن هشام نظر ، فإن الْبَيْهَقِيّ رَوَى من غَيْرِ وَجْهٍ عن عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُّهرِى عن أنس قال : لما دَخَلَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مكة فى عُمْرَة الْقَضَاء مَشَى عبد الله بن رواحة بين يديه وفى روايةٍ وهو آخذ بغرزه وهو يقول الأَبيات السابقة . ورواه عن يزيد بن أسلم ـ كما سبق ـ وقد تابع ابن إسحاق على ذلك ابن عُقْبَةَ وغيره ، وقال الحافظ ـ رحمه الله تعالى ـ إذا ثبتت الرِّوَايَة فَلاَ مانع من إطلاق ذلك ، فإِنَّ التقدير على رأى ابن هشام : نَحْنُ ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَأْويله أى حتى تذعنوا إلى ذلك التأويل ، ويجوز أن يكون التقدير : نحن ضربناكم على تأْويل ما فهمنا منه حتى تدخلوا فيما دخلنا فيه ، وإذا كان ذلك محتملاً ، وثبتت الرِّوايةُ سقط الاعتراض . نعم الروايةُ التى جاء فيها .

« فَالْيَوْمَ نَضْربكم عَلَى تأْويله » يظهر أنه قول عمار ، ويبعد أن يكون مِنْ قول ابن رواحة ، لأَنه لم يقع فى عُمْرَةِ القضاء ضَرْبٌ ولا قِتَال ، وصَحِيْحُ الرِّوَايَةِ .

« نَحْنُ ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَأْويله . كَمَا ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيله .

يُشِير بِكُلٍ منهما إلى ما مضى ، ولا مانع من أن يتمثل عَمَّارُ بنُ ياسر بهذا الرجز ويقول : هذه اللفظة ، ومعنى قوله : « نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَأْويله » أى الآن ، وجاز تسكين الباء لِضَرُورَةِ الشِّعْرِ ، بل هى لغة قُرِىءَ بها فى المشهور .

الرابع : قال الحافظ أبو عيسى التِّرْمذى ـ رحمه الله ـ تعالى ـ بعد أن ذكر رجز ابن رَوَاحة ، ثم قال : وفى غير هذا الحديث أن هذه الْقِصّة لكعبِ بنْ مَالك ، وهو الأَصح ، لأَن عبد الله بن رواحة قُتِلَ بمؤته ، وكانت عمرة الْقَضَاء بعد ذلك ، قال الحافظ ـ رحمه الله ـ وهو ذهول شديد ، وغَلَطٌ مردود ، وَمَا أَدْرِى كيف وقع الترمذى فى ذلك ، ومع أَنَّ فى قِصَّةِ عُمْرَةِ الْقَضَاء اختصام جعفر وأخيه علىّ ، وزيد بن حارثة فى بنْتِ حمزة ، أى كما سبق / وجعفر قُتِلَ هُوَ وَزَيْد وابن رواحة فى موطن واحد ، ٢٢٦ و

فكيف يَخْفَى على التِّرْمذى مثل هذا . ثم وجدت عند بعضهم أَن الَّذى عند التِّرْمِذى من حديث أَنس : أَنَّ ذلك كان فى فتح مكة . فإن كان كذلك اتجه اعتراض التِّرمذى ، لكن الموجود بخطِّ الكروخى راوى الترمذى على ما تقدم . قلت : وكذلك رأَيته فى عِدَّةِ نسخ من جامع الترمذى .

الخامس : مجئ سُهيل ، وحُوَيْطِب يَطْلُبانِ رَحِيلَ رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – نصف النهار ، الظاهر أنه – صلَّى الله عليه وسلَّم – دخل فى أَوائل النهار ، فلم تكمل الثلاث إلا فى مثل ذلك الوقت من النهَّار الرابع الذى دخل فيه بالتلفيق ، وكان مجيئهم فى أَول النهار قريب مجئ ذلك الوقت .

السادس : « قول ابنة حمزة يا عم » كأَنها خاطبت النبيَّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – بذلك إجلالا ، وإلاَّ فهو ابن عمها ، أَو بالنسبة إلى كون حمزة – وإن كان عمه من النسب – فهو أَخوه من الرَّضَاعَة .

وكانت خُصُومَةُ عَلِيٍّ وجعفر ، وزيد فى ابنة حمزة بعد أَن قَدِمُوا المدينة ، كما صح ذلك من حديث عَلِيٍّ عند أَحمد ، والحاكم .

السابع : أَقر النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – عَلِيًّا على أَخذها من مكة مع اشتراط المشركين أَلاَّ يخرج بأَحدٍ من أَهلها أَراد الخُرُوجَ ؛ لأَنهم لم يَطْلُبُوهَا ، وأَيضاً فإِنَّ النِّسَاءَ المؤمناتِ لم يَدْخُلْنَ فى ذلك ، لكن إنَّمَا نزل القرآن بعد رُجُوعهم إلى المدينة .

الثامن : فى بيان غريب ما سبق :

التَّهْلُكَةُ : الهلاك ، وهو من نوادر المصادر .

الْمِشقَص – بكسر الميم ، وسكون الشين المعجمة ، وفتح القاق ؛ سهم فيه نصل عريض ، والجمع مشاقص .

تقليدُ الهدْى : أَى تُعَلَّق بعنق البعير قطعةٌ من جلدٍ لِيُعْلَمَ أَنَّه هَدْى فيكفُّ النَّاسُ عنه .

ذو الْحُلَيْفَة – بضم الحاء المهملة تصغير الْحَلَفَة بفتحات ، واحد الْحَلْفَاء ؛ وهو النبات المعروف .

هَاجَه : حركه ؛ الْهَيَجُ – بفتح الهاء ، والتحتية ، وبالجيم : الحرب .

مَرّ الظَّهران : تقدم الكلام عليه غير مَرَّة .

* * *

شرح غريب ذكر خروجه – صلى الله عليه وسلم – من المدينة

قوله الْفُرُعْ – بضم الفاء ، والراء ، وبالعين المهملة : عمل واسع من أعمال المدينة .

البيداء : فى الأَصل المفازة ، وهنا الشرف الذى قُدَّام ذى الحليفة إلى جهة مكة .

يَأْجَج – بتحتية ، فهمزة ساكنة ، فجيمين ؛ الأُولى مفتوحة – وقد تكسر : واد قريب من مكة .

أَنْصَاب الحرم : الأَعلام على حدوده .

الْعَجَف ، وزان التَّعَب : الضعف .

حَسَوْنا – بحاءٍ فسين مهملتين مفتوحتين ، فواو ساكنة ، فنون : شربنا .

الْحَنَقُ – بفتح الحاء المهملة ، والنون وبالقاف : الغيظ[1]

النفاسة – يقال نَفِسَ الشئُ بالكسر نفاسةً : حسده عليه ولم يره أَهْلاً له .

ذى طوًى – بتثليث الطاء : وادٍ بقرب مكة ، يصرف ولا يصرف .

القصواء : كحمراءَ .

محدقين : محيطين .

توشح السيف : أَلقى طرف علاقته على منكبه الأَيمن من تحت يده اليسرى ، ويأْخذ طرفه الذى أَلقاه على منكبه الأَيسر من تحت يده اليمنى ، ثم يعقدهما على صدره .

---

(١) وفى اللسان : الغيظ الذى يلازم الإنسان .

الثَّنِيَّة : كل عقبة مَسْلُوكَة .

الحَجُون – بفتح الحاء المهملة ، وضم الجيم ، وبالواو ، والنون : جبل بمكة .

٢٢٦ ط الْهَامُ . جمع هامة / . وهى الرأس .

وَهَنَتْهم الْحُمَّى أضعفتهم .

اضطبع بثوبه : جعل وسط الثوب تحت الإبط اليُمنى ، وطرفه على الكتف اليسرى .

العضد – بفتح العين المهملة ، وضم الضاد المعجمة وتسكن ، وبفتح العين ، وكسر الضاد ، وبضمهما ، وبضم العين وسكون الضاد : خمس لغات ، وهى مؤنثة عند أهل تهامة ، وتُذَكَّر عند بنى تميم : وهى ما بين الْمِرْفَق والْكَتِف .

رَملَ فى طوافه – بالراء هرول .

الأشواط – بالشين المعجمة جمع شوط : وهو الجرى إلى الغاية ، وهى هنا من الحجر إلى الحجر .

جلدهم – بفتح الجيم واللام : قُوتّهم وصبرهم .

وَاراه : ستره .

أبَقى عليه : رفق [به وأشفق][1] عليه .

قُعَيْقِعَان – بقافين ، الأُولى مضمومة ، بعد كل منهما عين مهملة وبعد الأُولى تحتية : جبل بمكة .

نقز – بالقاف والزاى : وثب .

الظُّبَى – جمع ظبى : حيوان معروف .

---

(١) الإضافة عن شرح المواهب ٢ : ٢٥٨ .

الْمِحْجَنُ – بكسر الميم ، وسكون الحاء المهملة وفتح الجيم : عصا مقنعة الرأس يلتقط بها الراكب ما سقط منه .

يشتدون : يعدون .

المروة : جبل معروف بمكة .

الْفِجَاجُ – بكسر الفاء جمع فج ، وبالفتح : هو الطريق الواسع .

نَنْشُدُكَ الله : نذكرك به ونستعطِفُك ، أَو نسأَلك به ، مُقْسِمين عليك .

الأَبطح : كل مسيل فيه دقاقُ الحصى ، والمراد هنا مكان معروفٌ بمكة .

سَرِف – بفتح السين المهملة وكسر الرَّاء ، وبالفاء : ما بين التَّنْعِيم وَبَطْنِ مَرْو ، وهو إلى التنعيم أقرب .

حَجَلَ – بحاءٍ مهملة ، فجيم ، فلام مفتوحات : رفع رِجلاً وقفز على الأُخرى من الفرح ، وقد يكون بالرِّجْلَيْن ، إلاَّ انه قفز ، وقيل الْحَجَلُ : المشى المقيد .

الباب السابع والعشرون

في غزوة الفتح الأَعظم الذى أعزّ الله تعالى به دينه ورسوله وجنده وحرمه الأَمين(١)

وهو الفتح الذى استبشر به أهل السماء ، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وأشرق به وَجْهُ الأَرض ضياءً وٱبْتِهاجاً ، وكان فى شهر رَمَضَان سنةَ ثمانٍ . قال ابن عباس – رضى الله عنهما – غزا رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – غزوة الفتح فى رمضان .

قال الزُّهرى : وسمعتُ سعيدَ بن المسيّب يقول مثل ذلك ، رواه البخارى .

* * *

ذكر الأسباب الموجبة للمسير الى مكة

كانت خُزَاعةُ فى الجاهلية أصابوا رجلاً من بنى الْحَضْرَمِىّ واسمه مَالِك بن عَبَّاد ، وحِلْفُ الْحَضْرَمِىِّ يومئذٍ إلى الأَسود بن رَزْن ، خرج تاجراً ، فلمَّا توسَّط أرض خُزَاعَةَ عَدَوْا عليه فقتلوه وأَخذوا ماله فَمَرَّ رَجُلٌ من خُزَاعة على بنى الدِّيل بعد ذلك فقتلوه ، فوقعت الحربُ بينهم ، فمرّ بنو الأَسود بن رَزْن . وهم ذُؤيب ، وسُلمى ، وكُلْثُوم على خُزَاعَة فقتلوهم بعرفة عند أَنْصَاب الحرم ، وكان قومُ الأَسْود مَنْخَر(٢) بنى / كنانة يُودَونَ فى الجاهلية دِيَتَيْنِ لفضلهم فى بنى بكر ، ونُودَى دية ، فبينا بنو بَكْرٍ وخُزَاعة على ذلك بُعِثَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فَحُجز بالإِسلام بينهم ، وتشاغل النأس به – وهم على ما هم عليه من العداوة فى أنفسهم – فلمَّا كان صُلْحُ الْحُدَيْبِيَة بين رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلم – وبين قريش ، ووقع الشَّرْطُ « ومن أَحَبَّ أن يدخُل فِى عقْدِ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – فليدخل ، ومن أرادَ أَن يدخل فى عقْدِ قريش

٢٢٧ و

(١) انظر شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٨٨ ، ونهاية الأرب للنويرى ١٧ : ٢٨٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٢٦ ، والمغازى للواقدى ٢ : ٧٨٠ . وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٨٩ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٨١ .

(٢) وابن كثير وهم مفخر بنى كنانة ٣ / ٨٢٥ .

فليدخل » فَدَخَلَتْ خُزَاعَةُ فى عقْدِ رسولِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانت خُزَاعَةُ حلفاء عبد المطلب بن هاشم ، وكان رسولُ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ بذلك عارِفاً ، ولقد جاءته خُزَاعَةُ يومئذٍ بكتاب[1] عبد المطلب فقرأه عليه أُبَىُّ بنُ كعب ـ رضى الله عنه ـ وهو : « باسْمِكَ اللَّهُمَّ ، هَذَا حِلْفُ عَبْدِ المطَّلِبِ بنِ هَاشِمٍ لخزاعة ، إذ قَدِمَ عليه سَرَوَاتُهم وأَهْلُ الرأى ، غائبهم مُقِرٌّ بما قَاضَى عليه شَاهِدُهُم ، إنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم عهودَ الله وعقودَه ، وَمَالَا يُنْسَى أبداً ، اليَدُ وَاحِدة ، والنصرُ وَاحِد ما أشرف ثبير ، وثبت حراء مكانه وما بلَّ بحرٌ صوفة ، ولا يزداد فيما بيننا وبينكم إلا تجدداً أَبَدَ الدهرِ سرمدا . فَقَالَ رسولُ اللهِ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ : « مَا أَعْرَفَنِى بِخُلُقِكُم وَأَنْتُم عَلَى مَا أَسْلَمْتُمْ عَلَيْه مِنَ الْحِلْفِ ! فكُلُّ حِلْفٍ كَانَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ فلا يزيده الإسلام إلاَّ شِدة وَلَا حِلْفَ فِى الإِسْلَامِ .

* * *

ذكر نقض قريش العهـد

لما دَخَل شعبان على رأس اثنين وعشرين شهراً من صُلْحِ الحديبية ، كلمت بنو نُفَاثة وبنو بكر أشرافَ قريش أن يُعِينُوهم بالرِّجَال والسّلاح على عَدُوِّهم من خُزَاعة ، وَذَكَّروهم القتلى الذين أصابت خُزَاعَةُ منهم ، وأرادوا أن يُصيبُوا منهم ثأْر أُولئك النَّفَرِ الذين أصابوا منهم فى بنى الأسود بن رَزْن ، وناشدوهم بأَرْحامهم ، وأخبروهم بدخولهم فى عقْدِهِم وعدم الإسلام ، ودخول خُزَاعَةَ فى عقْدِ محمد وَعهده ، فوجَدُوا القوْمَ إلى ذلك سِرَاعاً ، إلا أن أبَا سُفْيَانَ بن حربٍ لم يُشاوَر فى ذلك ولم يَعْلم ، ويُقَالُ إنهم ذاكروه فأَبَى ذلك ، فأعانوا بالسِّلاح والْكُرَاع والرِّجَال ، ودسُّوا ذلك سِرًّا لئلاَّ تحذر خزاعة ، وخزاعة آمنون غارون لحال المُوادَعة ، وَلِمَا حجز الإسلام بينهم .

ثم اتَّعَدَت قريش وبنو بكرٍ وبنو نُفَاثة الْوَتير[2] ، [3] وهو موضع أسفل مكة ، وهو ماء لخزاعة[3] فوافوا للميعاد فيهم رجال من قريش من كبارهم متنكرون منتقبون ؛

---

(١) انظر كتاب عبد المطلب لخزاعة فى شرح المواهب ٢ : ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

(٢) الوتير : هو الورد الأبيض سمى به الماء (شرح المواهب ٢ : ٢٨٩) .

(٣) مابين الرقين إضافة عن المغازى للواقدى ٢ : ٧٨٣ ونهاية الأرب للنويرى ١٧ : ٢٨٦ ، وشرح المواهب ٢ : ٢٩٠ .

صفوان بن أُمية ، وعكرمة بن أَبى جهل ، وحُوَيْطب[1] بن عبد العزى ، وشيبة بن عثمان ـ ـ وأسلموا بعد ذلك ـ ومكرز بن حفص ، وأجلبوا معهم أرقاءهم ، ورأس بنى بكرٍ نوفل بن معاوية الدّئلى[2] ـ وأسلم بعدذلك ـ فبيّتُوا خُزَاعَةَ ليلاً وهم غَارُون آمنون ـ وعامّتهُم صِبْيَانٌ ونساءٌ وضُعَفَاءُ الرِّجال ـ فلم يزالوا يقتلونهم حتى انتهوا إلى أَنْصَابِ الْحَرَم ، فقال أصحاب نَوْفَل بن / معاوية له : يا نوفل إلَهك إلَهك قَدْ دخلْتَ الحرم ! فقال : كلمةٌ عظيمة ، لا إله لى اليوم ، يا بنى بكر ، لعمرى إنكم لَتَسْرِقُون الحاج فى الحرم ، أفلا تدركون ثأْركم من عدوكم ، ولا يتأَخر أحدٌ منكم بعد يومه عن ثأْره ؟! فلمّا انتهت خُزَاعَةَ إلى الحرم دخلت دارَ بديل بن ورقاء ، وَدَارَ مولى لهم يقال له رافع ـ الْخُزَاعِيين ، وانتهوا بهم فى عِمَايةِ الصُّبْح ، ودخلت رؤساءُ قريش منازلَهُم وهم يظُنون أنهم لا يعرفُون ، وأنه لا يَبْلُغُ هذا رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأصبحتْ خُزَاعَةُ مُقَتَّلِين على باب بديل ورافع .

وقال سهيل بن عمرو لنوفل بن الحرث : قَدْ رأيت الَّذى صنعنا بك وبأَصحابك وَمَنْ قتلت من القوم ، وأنت قد حصدتهم تريد قتل مَنْ بقى ، وهذا ما لا نُطَاوعك عليه ، فاتركهم فتركهم ، فخرجوا وندمت قريش ، ونَدِمُوا على ما صَنَعُوا ، وعرفُوا أَنَّ هذا الذى صنعوه نقضٌ للذِّمة والعهد الذى بينهم وبَيْنَ رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وجاءَ الحارِثُ بنُ هِشَام ، وعبد الله بن أَبى ربيعة إلى صَفْوان بن أُمية ، وإلى سُهيل ابن عمرو وعكرمة بن أَبى جهل فَلامُوهم بما صنعوا من عَوْنِهم بنى بكر على خُزَاعَة ـ وقالوا : إنَّ بينكم وبين محمدٍ مُدَّةً وهذا نقض لها .

* * *

ذكر إعلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما حصل لخزاعة يوم اصيبوا

روى محمد بن عمر ـ رحمه الله تعالى ـ أَن رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ قال لعائشة صبيحة كانت وقعة بنى نُفَاثَة وخُزَاعة بالوَتِير : « يَا عَائِشَة : لَقَدْ حَدَثَ

(١) حويطب كذا فى الواقدى ٢ : ٧٨٣ وفى نهاية الأرب ١٧ : ٢٨٧ ، وسيرد فى شرح غريب المفردات « خويطب » بخاء معجمة مكسورة .

(٢) فى المغازى للواقدى ٢ : ٧٨٣ « الدؤلى » .

فِى خُزَاعَةَ أَمْرٌ[1] » فقالت عائشة : يَا رسول الله ، أَتَرى قريشاً تجترئ على نَقْض العهد الذى بَيْنَك وبينهم ، وقد أفناهم السيفِ ؟ فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : « ينْقُضُونَ الْعَهْدَ لِأَمرٍ يُرِيدُه اللهُ تَعَالَى » فقالت : يا رسولَ الله « خير » قال : « خير[2] »

وروى الطَّبَرَانِىُّ فى الكبير والصغير عن مَيْمُونَة بنت الحارث – رضى الله عنهما – أن رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بات عندها ليلةً ، فقام ليتوضأ إلى الصَّلاة ، فسمعته يقول فى مُتَوَضَّئِه : « لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ – ثلاثاً – نُصِرْتَ نُصِرْتَ نُصِرْتَ نُصِرْتَ – ثلاثاً – » فلما خرج ، قلتُ : يا رسولَ الله ، سمعتُك تَقُول فى متوضئك « لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ – ثَلَاثا » – نُصِرْتُ نُصِرْتُ » ثلاثا ، كأَنك تكلِّمُ إنساناً ، فهل كان معك أحد ؟ قال : « هَذَا رَاجِزُ بَنِى كَعْب يَسْتَصْرِخُنِى ، وَيَزْعُمُ أَنَّ قُرِيشاً أَعَانَتْ عَلَيْهِمْ بَكْرَ بْنَ وائِل » . قالت ميمونة : فأقمنا ثلاثا ثم صلَّى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – الصبح بالناس فسمعتُ الرَّاجز ينشد :

يَارَبِّ إِنِّى نَاشِـــدٌ مُحَمَّدَا   حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيــه الْأَتْلَــدَا

فذكرت الرجز الآتى .

* * *

ذكر قدوم عمرو بن سالم على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يخبره بما وقع لهم /

٢٢٨ و

روى الطَّبَرَانِىُّ فى الكبير والصَّغير عن ميمونة بنت الحارث ، والْبَزَّارُ بسندٍ جيِّد عن أَبِى هريرة – رضى الله عنه – وابنُ أَبِى شَيْبَةَ فى المصنف عن عكرمة ، والبيهقىُّ عن ابن إسحاق ، ومحمدُ بن عمر عن شيوخه : أن عَمْرَو بْنَ سالِم الْخُزَاعِى خرج فى أربعين راكباً من خُزَاعَةَ يستنصرون رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ويخبرونه بالذى أَصابهم ، وَمَا ظاهرت عليهم قريشٌ ومعاونتهم لهم بالرجال ، والسِّلَاح ، والْكُرَاع ، وحُضُورِ صفوان بن أُمية وعكرمة ، وَمَنْ حَضَرَ مِنْ قُرَيْش ، وَأَخْبَرُوه بِالخبر ورسولُ

(١) فى المغازى للواقدى ٢ : ٧٨٨ « لقد جرت فى أمر خزاعة » .

(٢) فى المرجع السابق « قالت عائشة : خير أو شر يارسول الله ؟ قال : خير »

الله – صلى الله عليه وسلم – جالس فى المسجد بين أَظْهُرِ الناس ، ورأس خزاعة عَمْرُو ابنُ سالم ، فلما فرغوا من قِصَّتِهِم ، قام عمرو بن سالم فقال[1] :

يارَبِّ إنِّى نَاشِدٌ مُحَمَّـــدَا ... حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيـــهِ الْأَتْلَـدَا

قَــدْ كُنْتُمْ وُلْداً وَكُنَّا وَالِدَا ... ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَــدَا

إِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُــوكَ المَوْعِدَا ... وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّــدَا

وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا[2] ... وَهُمْ أَذلُّ وَأَقَلُّ عَــــدَدَا

هُمْ بَيَّتُونَا بِالوَتِيـــرِ هُجَّدَا ... وَقَتَّلُونَا رُكَّعـــا وَسُجَّدَا[3]

وَجَعَلُـــوا لى فى كدَاءٍ رُصَّدَا ... فَانْصُرْ رَسُولَ اللهِ نَصْرًا أَيدا[4]

وادْعُ عِبَادَ اللهِ يَأْتُوا مَـــددا ... فيهم رسولُ اللهِ قَــدْ تَجَرَّدَا

أَنْ سِيمَ خَسْفًا وَجْهُهُ تَرَبَّـــدا ... فِى فَيْلَقٍ كَالبحْرِ يَجْرِى مُزْبِدَا

قَرْم لقرم من قروم أَصْيَـــدَا

فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – « نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بن سَالِم » فما برح حتَّى مرت عَنَانَةٌ[5] من السماءِ فرَعَدَت ، فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – : « إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةَ لَتَسْتَهِلُّ بِنَصْرِ بَنِى كَعْب » .

وروى أبو يَعْلَى بسندٍ جَيِّدٍ عن عائِشة – رضى الله عنهما – قالت : لقد رأيت

---

(١) انظر الشعر فى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٢٧ ، وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، وشرح المواهب ٢ : ٢٩٠ وقد وردت القصيدة بروايات مختلفة .

(٢) فى الأصول (أن ليس تدعو أحدا ..) والمثبت عن المغازى للواقدى ٢ : ٧٨٩ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٢٧ .

(٣) فى الأصول (.. تتلوا القرآن ركعاً وسجداً ..) والمثبت عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٢٧ ونهاية الأرب ١٧ : ٢٨٨ .

(٤) سيأتى فى شرح غريب المفردات أن المصنف اختار مكة « اعتدا » بدل « أيداً » وجعل أيدا رواية مرجوحة وقد أثبتها اتباعاً لنهاية الأرب . والسيرة النبوية لابن كثير ، وشرح المواهب وسيرة النبى لابن هشام .

(٥) العنانة : السحاب هامش السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٢٧ . وشرح المواهب ٢ : ٢٩٢

رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – غضب مِمَّا كان مِنْ شَأن بنى كَعْب غضباً لم أرهُ غضبه مُنْذُ زمان . وقال : « لَا نَصَرَنِى اللهُ – تعالى – إنْ لَمْ أنْصُرْ بَنِى كَعْب » .

وروى محمد بن عمر – رحمه الله تعالى – عن ابن عبَّاس – رضى الله عنهما – أن رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – لما سمع ما أصاب خُزَاعَة ، قام – وهو يَجُرُّ رِدَاءه – وهو يقول : « لَانصِرْتُ إنْ لَمْ أَنْصُر بَنِى كَعْبٍ مِمَّا أَنْصُر مِنْهُ نَفْسِى » .

وروى عبد الرزَّاق وغيره عن ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – أن رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – لَمَّا بلغه خَبَرُ خُزَاعَة قال : « والَّذِى نَفْسِى بِيَدِه لَأَمْنَعَنَّهُم مِمَّا أَمْنَعُ مِنْهُ نَفْسِى وَأَهْلِى وَبَيْتِى » .

قال ابن إسحاق وغيره : وقدم بذلك ورقاءُ الخزاعى فى نَفَرٍ من قومه على رسول الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فأخبروه بما حَصَلَ لهم .

قال ابن عقبة ، ومحمد بن عُمَر : إن رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال لعمرُو بن سالم وأصحابه : « أَرْجِعُوا وَتَفَرَّقُوا فِى الْأَوْدِيَة » . فرجعوا / وتفرقوا ، وذهبت فِرْقَةٌ إلى السَّاحل بعارِض الطَّريق ، ولزم بُدَيل بن وَرْقَاء فى نفرٍ من قومه الطَّريق . ٢٢٨ ظ

وروى محمد بن عمر عن مِحْجَن بن وهب قال : لم يَرُمْ بُدَيْلُ بن[1] ورقاء مكَّةَ من حين انصرف رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – من الْحُدَيْبِيَة حتى لقيه فى الْفَتْح بِمَرِّ الظَّهرَان . قال محمد بن عمر وهذا أثبت .

وأخبر عمرو بن سالم ومن معه أن أنس ابن زنيم هجا رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فأَهْدَرَ دَمه .

---

(١) عبارة محمد بن عمر الواقدى – كما فى شرح المواهب ٢ : ٢٩٢ « أن بديلا لم يفارق مكة من الحديبية حتى لقيه فى الفتح بمر الظهران » .

ذكر ما قيل أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لما بلغه خبر خزاعة أرسل الى قريش يخيرهم بين أمور ثلاثة

روى ابن عائذ عن ابن عمر – رضى الله تعالى عنهما ، ومحمدُ بن عمر عن حِزام بن هشام الْكَعْبِىِّ ومسدد فى مسنده بسندٍ صحيح عن محمد بن عباد بن جعفر أحد ثقات التَّابِعين وأَئِمَّتِهم – رحمهم الله تعالى – واللفظ لمحمد بن عمر ، قال حزام : إن قريشاً ندمت على عَوْنِ بنى نفاثة ، وقالوا : محمد غَازِينَا ، فقال عبد الله بن أبى سرح – وهو يومئذ عندهم حال رِدَّته عن الإسلام – وأسلم بعد ذلك – إنَّ عندى رأياً ، إن محمدا لن يغزوكم حتى يَعْذِر إليكم ، ويخيِّركم فى خصالٍ كلها أهون عليكم من غزوه ، قالوا ما هى ؟ قال : يرسل إليكم أن دوا[1] قَتْلى خزاعة وهم ثلاثة وعشرون قتيلاً ، أو تبرءُوا مِنْ حِلْفِ مَنْ نقض الصُّلح وهم بنو نُفَاثة ، أو ينبذ إليكم على سواء ، فما عندكم فى هذه الخصال ؟ فقال القوم : أَحْرِ بما قال ابن أبى سرح – وقد كان به عالما – قال سهيل بن عمرو : ما خلة أهون علينا من أن نبرأ من حِلْفِ بنى نُفَاثة . فقال شيبةُ ابن عثمان العبدرى[2] حفظت أخوالك ، وغضبت لهم. قال سهيل[3] : وأى قريشٍ لم تلده خُزَاعة ؟ قال شيبة : ولكن ندى قتلى خُزَاعَة فهو أهون علينا ، وقال قرظة[4] ابن عبد عمرو : لا والله لا يُودَوْنَ ولا نبرأ من حِلْفِ بنى نُفَاثَة ، ولكنا نَنْبِذُ إليه على سواء . وقال أبو سفيان : ليس هذا بشئ ، وما الرأى إلاَّ جَحْد هذا الأَمر ؛ أن تكون قريش دخلت فى نقض عَهْدٍ أو قَطْعِ مدة وإنه[5] قطع قوم بغير رضى مِنَّا ولا مشورة فما عَلَيْنَا . قالوا : هذا الرأى لا رأى غيره .

وقال عبد الله بنُ عمر – رضى الله تعالى عنهما – : إن رَكْبَ خُزَاعَةَ لَمَّا قدموا على رسولِ الله — صلى الله عليه وسلم — وأخبروه خبرهم ، قال رسولُ الله — صلَّى الله عليه

---

(١) دوا قتلى خزاعة : ادفعوا ديتهم .

(٢) الإضافة للتوضيح عن المغازى للواقدى ٢ : ٧٨٧ .

(٣) سقط فى الأصول والإثبات عن المرجع السابق .

(٤) فى الأصول قريظة والمثبت عن الواقدى وشرح المواهب ٢ : ٢٩٢ .

(٥) كذا فى الأصول . وفى المغازى للواقدى ٢ : ٧٨٨ « فإن قطعه قوم بغير هوى » .

وسلَّم ـ : « فمن تُهَمَتُكُم وظِنَّتكُم ؟ » قالوا : بنو بكر ، قال :« أكلها ؟ » قالوا : لا ، ولكن بنو نُفَاثة قَصْرَةً ورأس القوم نَوْفَلُ بن معاوية النُّفاثى . قال : « هَذَا بَطْنٌ مِنْ بَنِي بَكْرٍ ، وأَنَا بَاعِثٌ إلى أَهْلِ مَكَّةَ فسائلهم عن هذا الأمر ومُخَيِّرُهُم فى خِصَالٍ ثلاث » ، فبعث إليهم ضمرة ـ لم يسم أباه محمدُ بن عمر ـ يُخَيِّرُهُم بين إحدى خلال ، بين أَن يَدُوا قَتْلَى خُزَاعَة أو يبرءُوا من حلف بنى نفاثة ، أو ينبذ إليهم على سواء . فأتاهم ضمرة رسولُ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأناخ راحلته /بباب المسجد ، ٢٢٩ و فدخل وقريش فى أَنْدِيتها ، فأخبرهم أنه رسول رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأخبرهم بالذى أمره رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ به فقال قَرَظَة[1] بن عبد عمرو الأعمى : أمَّا أن ندى قتلى خُزَاعة فإن نُفَاثة فيهم عُرَام[2] فلا نديهم حتى لا يبقى لنا سَبَدٌ[3] ولا لبد ، وأما أن نتبرأ من حِلْف نُفاثة فإنه ليس قبيلة من العرب تحجّ هذا البيت أشد تعظيماً له من نُفَاثة ، وهم حلفاؤنا ، فلا نبرأ من حِلْفِهم ، أو لا يبقى[4] لنا سَبَدٌ ولا لَبَد ، ولكن نَنْبِذ إليه على سَواء ، فرجع ضمرةُ إلى رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بذلك من قولهم .

وندمت قريشٌ على ردِّ رسول رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ وبعثت أَبَا سُفيَان فذكر قصة مجيئه إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما سيأتى .

* * *

ذكر اخباره ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن ابا سفيان سيقدم ليجدد العهد فكان كما أخبر

روى محمد بن عمر عن حِزَام بن هشام عن أبيه ـ رحمهما الله ـ أن رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « لكأَنَّكُم بِأَبِى سُفْيَانَ قَدْ جاءَ يَقُول : جَدِّد العَهْدَ وَزِدْ فِى الْمُدْنَة[5] ، وَهُوَ رَاجعٌ بِسُخْطِه » .

---

(١) فى الأصول « قرنطة » وانظر التعليق قبل السابق .

(٢) العرام : الشدة والقوة والشراسة (النهاية فى الغريب ٣ : ٨٩) .

(٣) السبد : الشعر . واللبد : الصوف (القاموس) .

(٤) كذا فى الأصول ـ وفى المغازى للواقدى ٢ : ٧٨٧ « مابقى لنا » .

(٥) كذا فى المغازى للواقدى ٢ : ٧٩١ ـ وفى شرح المواهب ٢ : ٢٩٢ « المدة » وكذا فى البداية والنهاية ٤ : ٢٨٠

وروى عبد الرزّاق عن نعيم مولى ابن عباس ، وابن أبى شيبة عن عكرمة ، ومحمدُ ابن عمر عن شيوخه ، واللفظ له : أن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبى ربيعة مشيا إلى أبى سفيان بن حرب ، فقالا : هذا أمر لابُدَّ له من أن يُصْلح ، والله لئن لم يُصْلَحْ هذا الأمر لا يروعكم إلا محمد فى أصحابه ، فقال أبو سُفيان : قد رأت هند بنت عتبة رؤيا كَرِهْتها وأفظعتُها . وخفتُ من شَرِّها ، قالوا : وما هى ؟ قال : رأت دماً أقبل من الْحَجُون يسيل حتّى وقف بالْخنْدَمَة[1] مَلِيًّا ، ثم كأن ذلك الدَّم لم يكن . فكره القوم الرُّؤيا .

وقال أبو سُفيان : لما رأى ما رأى من الشَّر : هذا والله أمرٌ لم أشْهَدْه ، ولم أَغِبْ عنه ، لا يحمل هذا إلا علىّ ، ولا والله ما شوورتُ فيه ، ولا هَوِيْتُه حين بلغنى ، والله ليغزونا محمدٌ إن صدَقَنِى ظنى ، وهو صادق ، وما بد من أن آتى محمداً فأُكلمه أن يزيدَ فى الْمُدْنة وَيُجَدِّدَ العهد . فقالت قريشٌ : قد والله أَصَبْتَ ، ونَدِمَتْ قريشٌ على ما صنعت من عون بنى بكرٍ على خزَاعَة ، وتَحَرَّجُوا أن رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – لم يدعهم حتى يغزوهم . فخرج أبو سفيان ، وخرج معه مولى له على راحلتين ، فأَسرع السَّير وهو يرى أنه أوّل من خرج من مكة إلى رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فلقى بُدَيْلَ ابن وَرْقَاءَ بِعُسْفَان ، فأَشفق أبو سفيان أن يكون بُدَيْل جاءَ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بل كان اليقينُ عنده ، فقال للقوم : أخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها ؟ قالوا : لا علْم لنا بها ، فعلم أنهم كتموه ، فقال : أما معكم من تَمْرِ يثرب شئ تطعمونه ، فإن لِتَمْرِ يثْرب فضلا على تمور تِهَامة ؟ قالوا : لا . فأَبت نفسه / أن تُقِرَّه حتى قال : يا بُدَيْل : هل جئت محمداً ؟ قال :لا ما فعلت ، ولكن سِرْتُ فى بلاد بنى كعب وخزاعة من هذا السَّاحل فى قتيل كان بينهم فأَصلحت بينهم[2] . فقال أبو سُفيان : إنك – والله – ما علمت برٌّ واصلٌ ، ثم قايلهم أبو سفيان حَتَّى راح بُدَيْل وأصحابه ، فجاءَ

٢٢٩ ط

(١) الخندمة : جبل بمكة (معجم ما استعجم ٣١٩) .

(٢) الإضافة عن المغازى للواقدى ٢ : ٧٩٢ .

أبو سفيان مِنْزَلِهم فَفَتَّ أبعار أباعرهم فوجد فيها نوى[1] من تمر عجوة كأنها ألسنةُ الطَّير ، فقال أبو سفيان : أحلفُ بالله لقد جاء القومُ محمَّدًا .

وكان القومُ لما كانت الوقعة خَرَجُوا من صُبْح ذلك اليوم فسارُوا ثلاثاً ، وخرجوا من ذلك اليوم فساروا إلى حيث لقيهم أبو سُفيان ثَلاثاً ، وكانت بنو بكرٍ قد حبست خُزَاعَة فى دارى بُدَيْل ورافع ثلاثةَ أيام يكلمون فيهم ، وأئتمرت قريش فى أن يخرج أبو سُفيان ، فأقام يومين . فهذه خمس بعد مقتل خُزَاعة ، وأقبل أبو سُفْيَان حتى دخل المدينة ، فدخل على ٱبنته أم حبيبَة زوج النَّبى – صلَّى الله عليه وسلَّم – فأراد أن يَجْلِسَ على فِرَاشِ رسولِ الله – صلى الله عليه وسلَّم – فطوته دونه . فقال : يا بُنَيَّة !! أرغبت بهذا الفراش عنى أوبى عنه ؟ قالت : بل هو فراشُ رسولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلَّم – وأنت ٱمرؤٌ مشرك نَجِس ، فلم أُحب أن تجلس على فراش رسول الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – قال : يا بُنَيَّة لقد أصابك بعدى شرٌّ ، فقالت : بل هدانى اللهُ للإِسْلَام . وأنت يا أَبت سيِّد قُريش وكبيرها ، كيف يسقُط عنك الدّخول فى الإسلام ؛ وأنت تعبدُ حجراً لا يسمع ولا يبصر ؟ فقام من عندها ، فأتى رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وهو فى المسجد ، فقال : يا محمد !! إنِّى كنتُ غائباً فى صلح الحُدَيْبِيَة فاشدد العهد ، وزدْنا فى المدّة ، فقال رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – « فَلِذَلِكَ جِئْتَ يَا أَبَا سُفْيَان ؟ » قال : نعم . فقال رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – : « هَلْ كَانَ من قبلِكُم من حدث ؟ » قال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحُدَيْبِيَة لا نغير ولا نُبَدِّل ، فقال رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – : « فنَحنُ عَلَى مُدَّتِنَا وَصُلْحِنَا يَوْمَ الحُدَيْبِيَة لا نغيّر ولا نبدّل » فأعاد أبو سفيان على رسول اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – القَوْلَ ، فلم يردّ عليه شيئاً .

فذهب إلى أَبى بكر – رضى الله عنه – فكلمه وقال : تُكلمُ محمدا أو تجير أنت بين الناس ، فقال أبو بكر : جِوَارى فى جِوَار رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – زاد ابنُ عُقْبَة : واللهِ لو وجَدْتُ الذرَّ تقاتلكم لأَعنتها عليكم .

---

(١) فى الأصول « نوايتين » والمثبت عن المرجع السابق . ويؤكده عود الضمير فى « كأنها ألسنة الطير » .

فأتى عمرَ بن الخطاب – رضى اللهُ عنه – فكلمه بمثل ما كلَّم به أبا بكر ، فقال : أنا أشفعُ لكم عنْدَ رسولِ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم !! فوالله لو لم أجد إلاَّ الذرَّ لجاهدتكم به ، ما كانَ من حلفنا جديدا فأخلقه الله ، وما كان منه متيناً فقطعه الله / ، وما كان منه مقطوعاً فَلاَ وَصَلَهُ الله . فقال أَبُو سفيان جُوزِيتَ من ذِى رحم شرًّا .

٢٣٠ و

فأتى عثمانَ بْنَ عفَّان – رضى الله عنه – فقال إنَّه ليس فى القوم أحدٌ أقرب رحماً منك ، فَزِدْ فى المدة ، وَجَدِّدِ العهد ؛ فإنَّ صاحبك لا يرُدُّه عليك أبدا ، فقال عُثْمان : جوَارِى فى جوار رسولِ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم .

فأتى عليًّا – رضى الله تعالى عنه – فقال : يا على إنك أَمَسّ القوم بى رحما ، وإنى جئتُ فى حاجةٍ فلا أرجع كما جئت خَائبا ، فاشفع لى إلى محمد . فقال : وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفيان ! والله لقد عزم رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – على أمرٍ ما نستطيعُ أَن نكلمه فيه ، فأتى سعدَ بن عُبَادة – رضى الله تعالى عنه – فقال : يا أبا ثابت أنت سيد هذه البحيرة فأَجِرْ بين الناس ، وزِدْ فى المدة ، فقال سعد : جوارى فى جوار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وما يجير أحدٌ على رسولِ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – فأتى أشراف قريش والأنصار فكلهم يقول جوارى فى جوار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مَا يجير أحد على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلما أَيِسَ مِمَّا عندهُم ، دخل على فاطمة الزَّهراء – رضى اللهُ عنها – والحسن غلامٌ يَدِبُّ بين يَدَيْها فقال : يا بنت محمد ، هل لك أن تجيرى بين النَّاس ؟ فقالت : إنَّما أنا امرأة ، وأبت عليه ، فقال : مُرِى ٱبْنَكِ هذا – أى الحسن بن على – رضى الله عنهما – فيجير بين النَّاس ، فيكون سيِّد العرب إلى آخر الدّهر . قالت : والله ما بلغ ٱبنى ذلك أن يُجِيرَ بين الناس ، وما يجير أحدٌ على رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم .

فقال لعلى : يا أَبا الحسن ، إنى أَرى الأُمورَ قد اشتدَّت علىّ فانْصَحنى . قال : والله ما أعلم شيئاً يُغْنى عنك شيئاً ، ولكنك سيِّدُ بنى كنانة وقال : صدقت ، وأنا كذلك . قال : فقم فأَجِرْ بين الناس ثم الحق بأَرضك ، قال : أَوَ تَرَى ذلك مُغْنِيًا

عَنِّى شيئاً ؟ قال : لا والله[1] ، ولكن لا أجدُ لك غير ذلك ، فقام أَبُو سُفيان فى المسجد ، فقال : أَيُّهَا النَّاس إنِّى قد أَجَرْتُ بين الناس ولا والله ما أظن أن يخفرنى أحد ، ثم دخل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يا محمد إنى قد أجرت بين الناس فقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : « أَنْتَ تَقُولُ ذَلِكَ يَا أَبَا حَنْظَلَة !! » ثم ركب بعيره وانطلق .

وكان قد احتبس وطالت غيبته ، وكانت قريش قد اتَّهمته حين أبطأ أشدّ التهمة ؛ قالوا : والله إنّا نراه قد صبأ ، واتَّبَع محمداً سِرًّا وكتم إسلامه .

فلما دخل على هند امرأته ليلا ، قالت : لقد احْتَبَسْتَ حتَّى اتَّهمك قومُك ، فإن كنت مع الإقامة جئتهم بنُجْحٍ[2] فأنت الرجل ، ثم دنا منها فجلس مجلس الرجل من امرأته[3] . فقالت ما صنعت ؟ فأَخْبَرَها الخبر ، وقال : لم أجد إلاَّ ما قال لى عَلِىّ ، فضربت برجلها فى صدره وقالت : قُبِّحْتَ من رسُولِ قوم ، فما جئت بخير .

فلما أصبح أبو سفيان حلق رأسه عند إساف ونائلة ، وذبح لهما ، وجعل يمسح بالدم رءوسهما ويقول : لا أُفارق عبادتكما حتَّى أموت على ما مات عليه أَبى ، إبراءً لقريش مما اتهموه به ، فلما رأته قريش ، قاموا إليه فقالوا : ما وراءك ؟ هل جئت بكتابٍ من محمد أو زيادة فى مُدَّةٍ مَا نَأْمَن به أن يغزونا محمد ؟ فقال : والله لقد أَبى علىّ ، وفى لفظٍ : لقد كلمته ، فوالله ما ردَّ على شيئاً ، وكلمتُ أبا بكر فلم أَجِدْ فيه خيراً ، ثم جئت ابنَ الخطَّاب ـ رضى الله عنه ـ فوجدتُه أدنى العدو[4] ، وقد كلمت عِلْية أصحابه ، فما قدرت على شىء منهم إلا أَنَّهم يرموننى بكلمة واحدة ، وما رأيت قوماً أطوعَ لملك عليهم منهم له ، إلاَّ أن عليًّا لما ضاقت بى الأُمور قال : أنت سيد بنى كنانة ، فأَجِرْ بين النَّاس ، فناديتُ بالجوار ، فقال محمد « أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة !! »

---

(١) وفى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٩٣ « قال : لا والله ما أظنه » .
(٢) كذا فى ت ، ط ، م . وفى ص « جئتهم بشىء » .
(٣) كذا فى ت ، ط ، م . وفى ص « من أمته » .
(٤) وفى شرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٩٤ « أعدى العدو » وكذلك فى السيرة الحلبية ٣ : ٨٦ .

لم يزدنى . قالوا : رضيت بغير رضى ؛ وجئْتَ بما لا يُغنى عَنّا ولا عَنْكَ شيئا ، ولعمْرُ اللهِ ما جوارُكَ بجائِز ، وإنّ إخْفَارك عليهم لهيّن ، ما زاد[1] عَلِيٌّ من أن لَعِبَ بك تلعباً . قال : والله ما وجدت غير ذلك . /

٤٦٥ت
٢٣١م

* * *

ذكر مشاورته — صلى الله عليه وسلم — أبا بكر وعمر — رضى الله عنهما — فى غزو قريش

روى ابن أَبى شَيْبَة عن محمد بن الحنفيّة — رحمه الله — عن أَبى مالك الأَشْجَعىّ — رضى الله عنه — قال : خرج رسولُ اللهِ — صلَّى اللهُ عليه وسلَّم — من بعض حجره فجلس عند بابها — وكان إذا جلس وَحْدَه لم يأْته أحدٌ حتى يدعوه — ، فقال « اُدْعُ لى أَبا بكر » .فجاء فجلس أَبو بكر بين يديه ، فناجاه طويلاً ، ثم أَمَرَه فجلس عن يمينه ، ثمّ قال : « ادْعُ لى عمر » فجاءَ فجلس إلى أَبى بكر فناجاه طويلا ، فرفع عُمَرُ صوته فقال : « يا رسول الله هُمْ رأْس الكُفْرِ ، هم الذين زَعَمُوا أَنَّك سَاحر ، وأَنك كاهن ، وأَنك كذَّاب ، وأَنك مفتر » ، ولَمْ يَدَعْ عمر شَيْئًا ، مِمَّا كان أَهلُ مكة يقولونه إلاَّ ذَكَرَه ، فأَمره أن يجلس إلى الجانب الآخر ، فجلس أَحدهما عن يمينه والآخر عن شماله ثُمَّ دَعَا الناس فقال : « أَلا أُحَدِّثكم بمَثَل صاحبيكم هذين ؟ فقالوا : نعم يا رسولَ الله ، فأَقبل بوجهه إلى أَبى بكر فقال : « إِنَّ إبْرَاهيم كان أَلْيَن فى الله تعالى من الدّهن اللّيِّن ، ثم أَقبل على عمر ، فقال : « إِنَّ نُوحاً كان أَشَدَّ فى الله من الحَجَر ، وَإِنَّ الأَمْرَ أَمرُ عمر ، فتجهزوا وتعاونوا ، فتبعوا أَبا بكرٍ فقالوا : يا أَبا بكر ، إنا كَرِهْنَا أَن نسأَل عمرَ عمّا ناجاك به رسولُ الله — صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم — قال : قال لى : « كيف تأْمرنى فى غزو مكة ؟ » قال : قلت يا رسولَ الله هم قَوْمُك !! ، حتَّى رأَيتُ أَنّه سيطيعنى ، ثم دعا عمر فقال عمر : هم رأْس الكفر ، حَتَّى ذكر له كل سوء كانوا يقولونه ، وأَيم الله وأَيم الله لا تَذِلّ العرب حتى تذل أَهل مكة ، وقد أَمركم بالجهاد ليغزوا مكة .

---

(١) كذا فى ص . وفى ت ، ط ، م « مازاد على أن لعب بك » وفى شرح المواهب ٢ : ٢٩٤ « مازاد — أى على بن أبى طالب » .

ذكر جهاز رسول الله — صلى الله عليه وسلم / — وإجابة دعائه بأن لا تعلم قريش بمسيره ، وأمره بحفظ الطرق

٢٣١ و

ذكر ابن عقبة ، وابن إسحاق ، ومحمد بن عمر — رحمهم الله تعالى — أن رسولَ اللهِ — صلَّى الله عليه وسلَّم — مكث بعد خروج أبي سفيان ما شاءَ اللهُ أن يمكث ثم قال لعائشة : « جَهِّزِينَا وأخفى أمرك » . وقال : « اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يَرَوْنَا إلاَّ بغتة ، وَلَا يسْمَعُونَ بِنَا إلاَّ فجأَة[1] » وأمر رسولُ اللهِ — صلَّى الله عليه وسلَّم — جماعةً أن تقيم بالأَنقاب[2] ،وكان عمر بن الخطاب يطوفُ على الأَنقاب ، فيمر بهم فيقول : لا تَدَعُوا أَحدًا يمر بكم تُنْكِرُونه إلا رَدَدْتُمُوه ، وكانت الأَنقاب مُسلمة — إلا من سلك إلى مكة فإنه يتحفظ به ويسأَل عنه .

* * *

ذكر كتاب حاطب بن أبى بلتعة[3] — رضى الله عنه — الى قريش ليعلمهم بغزو رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إياهم ، وما وقع فى ذلك من الآيات

روى الإمام أحمد ، والخمسةُ عن أبي رافع عن على . وأبو يعلى ، والحاكم والضياء عن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — والإمام أحمد ، وعبد بن حُمَيْد عن جابر ، وابن مردويه عن أنس — رضى اللهُ عنهم — وابن مردويه عن سعيد بن جبير ، وابن إسحاق عن عُرْوَة ، وابن مردويه عن عبد الرحمن عن حَاطب بن أبي بَلْتَعَة ، ومحمد ابن عمر عن شيوخه — رحمهم الله تعالى : أن رسولَ اللهِ — صلَّى الله عليه وسلَّم — لَمَّا أَجمع السَّيْرَ إلى مكة ، كتب حَاطِبُ بن أَبي بَلْتَعَةَ — رضى الله عنه — كتاباً إلى قريش يُخْبِرهم بالذى أَجمع عليه رسولُ اللهِ — صلَّى الله عليه وسلَّم — من الأَمر فى المَسِير

---

(١) فى الأصول « إلا فلتة » والمثبت عن السيرة الحلبية » ٣ : ٨٦ ، والمغازى للواقدى ٢ : ٧٩٦ .

(٢) الأنقاب : الطرق ، كما فى السيرة الحلبية ٣ : ٨٦ .

(٣) هو عمرو بن عمير اللخمى ، حليف بنى أسد ، اتفقوا على أنه شهد بدرا . مات سنة ثلاثين من الهجرة (شرح المواهب ٢ : ٢٩٤) .

إليهم ، ثم أعطاه امرأةً ، قال ابن إسحاق ، زعم محمد بن جعفر أنها مِنْ مُزَيْنَة — قال محمد بن عمر : يقال لها كَنُود ، قال ابن إسحاق : وزعم لى غير ابن جعفر : أَنَّهَا سارة مَوْلَاةٌ لبعض بنى المطلب ، وجعل لها جُعْلاً ، قال محمد بن عمر دِينَاراً ، وقيل عشرة دنانير ، على أن تبلغه أهل مكة ، وقال لها : أخفيه ما استطعت ، ولا تَمُرى على الطريق ؛ فإن عليه حَرَساً ، فجعلته فى رَأْسِهَا ، ثم فَتَلَت عليه قُرونَها ، ثم خرجت به ؛ فسلكت غير نقب عن يسار المَحَجَّة فى الفُلوق[1] حَتَّى لَقِيَت الطريق بالعقيق .

وذكر السُّهيلى — رحمه الله — تعالى — أنه قد قيل إنه كان فى كتاب حاطب : إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد توجَّه إليكم بجيش كالليل ، يسير كالسَّيْل ، وأقسم بالله لو سار إليكم وَحْدَه لنصره الله تعالى عليكم ، فإنه منجزٌ له ما وعده فيكم ، فإن الله — تعالى — ناصره ووليّه .

٢٣١ ط وفى تفسير ابن سلام أنه/ كان فيه : إن محمداً — صلى الله عليه وسلم — قد نفر فإمَّا إليكم ، وإما إلى غيركم ، فعليكم الحذَر . انتهى .

وذكر ابن عقبة أن فيه : إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد آذن بالغزو ، وَلَا أَراه إلاَّ يريدكم ، وقد أَحْبَبْتُ ، أن يكون لى يَدٌ بكتابى إليكم .

وأتى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الخبر من السماء بما صنع حاطِب ، فبعث عليَّ بنَ أَبى طالب ، والزّبير بن العوام — زاد أبو رافع : المِقْدَاد بن الأَسود وفى رواية عن أَبى عبد الرحمن السلمى عن على : أَبا مَرْثَد ، بدل المقداد ، فقال رسولُ الله — صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم — « أدرك امرأَة قد كتب معها حاطِبٌ بكتابٍ إلى قريش ، يُحَذِّرهُم ما قد أَجْمَعْنَا له فى أَمْرِهم ، ولفظ أَبى رافع « انطلقوا حَتَّى تَأْتوا روضة خاخ[2] ،

(١) فى الأصول « العلوق » ويقول المصنف فى شرح الغريب ص « لم أجد له ذكرا » (والمثبت عن المغازى للواقدى ٢ : ٧٩٩ والفلوق جمع فلق بمعنى الشق . يقال مررت بحرة فيها فلوق أى شقوق) الصحاح ١٥٤٤ ،

(٢) روضة خاخ . موضع بين الحرمين بقرب حمراء الأسد من المدينة (مراصد الاطلاع) وهو على بريد من المدينة (شرح المواهب ٢ : ٢٩٥ (وفى وفاء الوفا ٤ : ١١٩٨) « وقال الواقدى : روضة خاخ بقرب ذى الحليفة على بريد من المدينة ، وفى حديث على بعثنى . . . الخ وبين فيه أن المكان على قرب من اثنى عشر ميلا من المدينة وبقرب خاخ خليقة عبد الله ابن أبى أحمد . . . » .

فإن بها ظعينة معها كتاب » فخرجوا – وفى لفظٍ : فخرجا ، حَتَّى إذا كان بالخَلِيقَة ، خليقة بنى أحمد[1]

وقال ابن عقبة : أدركاها ببطن ريم ، فاستنزلاها فالتمساه فى رَحْلِها ، فلم يجدا شيئاً ، فقال لها على بن أبى طالب – رضى الله عنه – : إنى أحلف بالله ما كذب رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – وما كذبنا ، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لَنَكْشِفَنَّكِ ، فلما رأت الجِدّ ، قالت : أَعْرِضَا . فحلَّت قُرُونَ رأسها ، فَاستخرجتْ الكتابَ منها ، فدفعته إليه فأَتى به رسول الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فإذا فيه : من حاطب بن أَبى بَلْتَعَة إلى أُناس من المشركين من أَهل مكة يخبرهم ببعض أَمر رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فدعا حَاطِبًا ، فقال : « يا حاطب ، مَا حَمَلَكَ عَلَى هذا ؟ قال : يا رسولَ الله . إنى والله لمؤمن بالله ورسوله ؛ ما غيَّرتُ ، ولا بدّلتُ ، ولكنى كنت امْرَأً ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولدٌ وأهل ، فصانعتهم عليهم - .

ولفظ أَبى رافع - فقال : يا رسولُ الله لا تعجل علىّ ، إنى كنت امْرَأً مُلْصَقاً فى قريش ، ولم أَكُنْ من أَنْفُسِهِم ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون أَموالهم بها وأَهليهم بمكة ، ولم يكن لى قرابة ، فأَحببت إذ فاتنى ذلك من بنيهم أَن أَتَّخذ فيهم يَدًا أَحمى بها قرابتى ، وما فعلت ذلك كُفْراً بعد إسلام . فقالَ رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – « إنَّه قَدْ صَدَقَكُم » . فقال عمر لحاطب : قاتلك الله !! ترى رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يأَخذُ بالأَنقاب وتكتب إلى قريش تحذرهم ؟ دعنى يا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أضرب عنقه ؛ فإن الرجل قد نافق ؛ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « ما يُدْريك يا عمر أن الله عز وجل اطَّلَع إلى أَصحاب بدر يوم بدر فقال : « اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُم » فَاغْرَورقت عينا عمر ، وقال : اللهُ ورسولُهُ أعلم ، حين سمعه يقول فى أَهل بدر ما قال .

---

(١) هى خليقة عبد الله بن أحمد بن جحش ، وهى أرض بنواحى المدينة يدفع فيها سيل العقيق بعد خروجه إلى النقع والتقائه بوادى ريم ، وبها مزارع وقصور ونخيل ، ويقال إنها على اثنى عشر ميلا من المدينة ، (وفاء الوفا ٤ : ١٢٠٢) .

وأنزل الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ » أى كفّار مكة « أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ » توصلون «إِلَيْهِمْ» قصد/النبى غَزْوَه الذى أَسره إليكم - وَوَرّى بخبره «بِالْمَوَدَّة» بينكم وبينهم « وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِنَ الحَقِّ » دين الإسلام والقرآن « يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ » من مكة بتضييقهم عليكم لأجل « أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً » للجهاد « فِى سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِى » وجواب الشَّرط دلَّ عليه ما قبله : أى فلا تتخذوهم أولياءَ « تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُم » أى إسرار خبر النبى إليهم « فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيل » أخطأ طريق الهدى ، والسواء فى الأصل : الوَسَطُ « إِنْ يَثْقَفُوكُمْ » يظفروا بكم « يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُم » بالقتل والضرب « وأَلْسِنَتَهُمْ بِالسّوءِ » بالسَّب ، والشتم « وَوَدُّوا » تمنوا « لَوْ تَكْفُرُونَ . لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ » قراباتكم « ولا أَوْلَادُكُمْ » المشركون ، الذين لأجلهم أسررتم الخبر من العذاب فى الآخرة « يَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَفْصِلُ » بالبناء للمفعول والفاعل « بَيْنَكُمْ » وبينهم فتكونون فى الجنة ، وهم فى جملة الكُفّار فى النار « واللهُ بِمَا تعْمَلُونَ بَصِيرٌ[1] » .

٢٣٢ و

* * *

ذكر إجماع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المسير الى مكة

قال ابن عقبة ، وابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وغيرهم : لَمَّا أرادَ رَسُولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – المسيرَ إلى مكَّة ، بعث أبا قَتَادَةَ بن ربعى إلى بطن إِضَم ؛ ليَظُنَّ الظَّانُّ أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – توجَّه إلى تلك الناحية ، وأن لا تذهب بذلك الأخبار وأبان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المسير إلى قريش ، وأرسل إلى أهل البادية ، ومن حولهم من المسلمين ؛ يقول لهم « من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة » وبعث رُسُلاً فى كل ناحية حتى قدموا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم .

(١) سورة الممتحنة الآيات ١ ، ٢ ، ٣ .

وقال حسّان بن ثابت – رضى الله عنه تعالى – يُحرّضُ الناس ويذكر مُصَابَ[1] رجال خزاعة :

عَنَانِى وَلَمْ أَشْهَدْ بِبطحاء مَكَّة ... رِجَالُ بَنِى كَعْبٍ تُحَزُّ رِقَابُهَا

بأَيْدِى رجالٍ لم يَسُلُّوا سُيُوفَهُمْ ... وَقَتْلَى كثِيرٌ لَمْ تُجَنَّ ثِيَابُهَا

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى هَلْ تَنَالَنَّ نُصْرَتِى ... سُهَيْلَ بنَ عَمْرٍو حَرُّهَا وَعِقَابُهَا

فَلاَ تأْمَنَنْها يَا ابنَ أُمِّ مُجَالِدٍ ... إِذَا احْتُلِبَتْ صِرْفاً وأَعْصَلَ نَابُهَا

وَلَا تجْزَعُوا مِنْهَا فَإِنَّ سُيوفنا ... لَهَا وَقْعَةٌ بِالْمَوْتِ يُفتَحُ بَابُهَا

قال ابن إسحاق : وقول حَسَّان – رضى الله عنه / : بأَيدى رجالٍ لم يَسُلُّوا سيوفهم : ٢٣٢ ظ يعنى قريشاً ، وابن أُم مُجَالِدٍ ؛ عِكْرِمَةُ بنُ أَبى جهل .

واستخلف رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – على المدينة أبا رُهْم كُلْثُوم بن حُصَين الغفارى ، ويقال ابن أم مَكْتُوم ، وذكره ابن سعد ، والبَلاَذُرِى ، والأوّل هو الصحيح ، وقد رواه الإمام أحمد والطبرانى بسندٍ حسن عن ابن عباس – رضى الله عنهما .

* * *

ذكر خروجه – صلى الله عليه وسلم – من المدينة قاصدا مكة

قال محمد بن عمر – رحمه اللهُ تعالى – خرج رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – يوم الأَربعاءِ بعد العصر [لعشر خلون][2] من رمضان ، ونادى مناديه : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلْيَصُمْ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُفْطِرَ فَلْيُفْطِر » وصام رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فما حَلَّ عُقْدَةً حَتَّى انتهى إلى الصُلْصُل[3] ، وخرج فى المهاجرين والأَنصار ، وطوائف من العرب ، وقادوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، وقدَّم رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم –

---

(١) وانظر الشعر فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٩٨ ، وشرح المواهب للزرقانى ٢ : ٢٩٤ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢٨٣ .

(٢) الإضافة عن الواقدى ٢ : ٨٠١ .

(٣) الصلصل : موضع على سبعة أميال من المدينة ، وهو جبل معروف اليوم فى أثناء البيداء على يمين المتجه إلى مكة شرق عظم إلى القبلة (وفاء الوفا ٢ : ٣٣٦ ط الآداب) .

أمامه الزُّبَيْر بنَ العوَّام فى مائتين من المسلمين ، ولما بلغ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - البيداء قال فيما رواه محمد بن عمر عن أبى سعيد الخُدْرِىّ : « إنى لأَرَى السَّحاب يُسْتَهَل بنصر بنى كعب » .

ولما دخلَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العَرْج[١] وهو صائِم ، صَبَّ الماء على رأسه ووجهه من العطش - كما رواه الإمام مالك ، ومحمد بن عمر عن رَجُلٍ من الصحابة- وروى الحاكم فى الإكليل بِسَنَدٍ صحيح عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : « رأيتُ رسولَ اللهِ - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - بالعَرْجِ يَصُبُّ الماء على رأسه من الحرِّ وهو صائم » ، ولما سار رسولُ الله - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - عن العَرْج - وكان فيما بين العَرْج والطَّلوب[٢] - نظر إلى كَلْبَة تَهِرُّ عن أولادها ، وهُنَّ حَوْلَها يَرْضَعْنَها ، فأَمَرَ جميل بن سراقة - رضى اللهُ عنه - أن يقوم حذاءها ؛ لا يعرض لها أَحَدٌ من الجيش ، ولا لأَولادها[٣] .

وقدم - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - بمائة جريدة[٤] تكون أمام المسلمين ، فلما كانوا بين العَرْج والطَّلوب أتوا بعَيْنٍ من هوازن ، فاستخبره رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبره أنّ هوازن تَجْمَعُ لَهُ فقال : « حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكيل » فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خالد بن الوليد أن يحبسه لئلا يذهب فيحذر الناس ، ولما بلغ قُدَيْدًا[٥] لقيَته سُلَيْم هناك ، فعقد الأَلوية والرّايَات ، ودفعها إلى القبائل[٦]

---

(١) العرج : قرية جامعة على ثلاثين ميلا من المدينة (وفاء الوفا ٤ : ١٢٦٣) .

(٢) الطلوب : ماء فى الطريق بين المدينة ومكة (معجم ما استعجم ٤٥٤) .

(٣) وفى شرح المواهب٢ : ٣٠٢ « روى البيهقى عن ابن شهاب: أن أبابكر قال : يارسول الله أرانى فى المنام وأراك دنونا من مكة فخرجت إلينا كلبة تهر ، فلما دنونا منها استلقت على ظهرها فإذا هى تشخب لبناً . فقال صلى الله عليه وسلم : ذهب كلبهم وأقبل درهم ، وهم سيأوون بأرحامهم ، وإنكم لاقون بعضهم فإن لقيتم أبا سفيان فلاتقتلوه » وسترد فى السياق فيما بعد .

(٤) وعبارة الواقدى فى المغازى ٢ : ٨٠٤ « تقدمت أمامه جريدة من خيل طليعة تكون أمام المسلمين » .

(٥) قديد : قرية جامعة بين مكة والمدينة ، كثيرة المياه (وفاء الوفا ٤ : ١٢٨٧ - شرح المواهب ٢ : ٢٩٩) .

(٦) دفع لبنى سليم لواء وراية ، وبنى غفار راية ، وأسلم لواءين ، وبنى كعب راية ، ومزينة ثلاثة ألوية ، وجهينة أربعة ألوية ، وبنى بكر لواء ، وأشجع لواءين (شرح المواهب ٢ : ٣٠٢ - السيرة الحلبية ٣ : ٩٠) .

وروى محمد بن عمر عن يزيد بن أسلم ، وأبى الحويرث – رحمهما الله تعالى – أن رسولَ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – لما آنتهى إلى قُدَيْدٍ قيل له : يا رسول الله هل لك فى بِيضِ النساء ، وأدْم/ الإبل ؟ بنى مُدْلِج ، فقال :– صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم –: « إن الله عَزَّ وَجَلَّ حرَّمَهُن عَلَىَّ بِصِلَةِ الرَّحم » . وفى لفظٍ « ببر الوالد ، ووَكْزهم فى لبّات الإبل » . ٢٣٣ و

وقَدم العباس على رسولِ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – مُسْلِمًا . قال ابن هشام : لقيه بالجُحْفَةِ[1] فأرسل ثقله إلى المدينة ، وسار مع رسولِ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم . قال البَلاذُرِى : وقال رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : « هِجرَتُكَ يا عَمُّ آخِرُ هِجْرَةٍ ، كما أنَّ نُبُوّتِى آخر نُبُوَّة »وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ، وعبد الله بن أبى أميّة بن المغيرة لَقِيَاهُ بنَقْبِ العُقَاب[2] ، وستأتى قصة إسلامهما فى ترجمتهما .

* * *

ذكر فطره – صلى الله عليه وسلم – وأمره به

روى مسلم ، والترمذى عن جابر ، والشيخان ، وأبو داود ، والنسائى ، والطحاوىّ عن ابن عباس – رضى الله عنهم – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خرج من المدينة فى غزوة الفتح فى رمضان يصوم ويصومون ، حتى بلغ الكُدَيْد بين عُسْفَان وقُدَيْد ، وفى روايةٍ بين عُسْفان وأَمَج[3] ، وفى حديث جابر : كُرَاع الغميم ، بلغه أنَّ النَاسَ شقَّ عليهم الصِيام ، وقيل له : إنما ينظرون فيما فعلتَ ، فلما آستوى على راحلته بعد العصر دعا بإناءٍ من لبن ، أو ماء ، وجزم جابر بأنه ماء . وكذا ابن عباس ، وفى روايةٍ : فوضعه على راحلته ليراهُ النّاسُ ، فشرب فأفطر ، فناوله رجلاً إلى جنبه فَشَرِبَ

---

(١) الجحفة : أحد المواقيت ، قرية كانت كبيرة ذات منبر على نحو خمس مراحل ، وثلثى مرحلة من المدينة وعلى نحو أربع مراحل ونصف من مكة ، وكانت أولا تسمى « مهيعة » (وفاء الوفا ٤ : ١١٧٤) .

(٢) نقب العقاب . ويقال نيق العقاب : موضع قرب الجحفة (وفاء الوفا ٤ : ١٣٢٥ – شرح المواهب ٢ : ٣٠١ – سيرة النبى لابن هشام ٤ : ١٤) .

(٣) أمج : بلد من أعراض المدينة ، وقيل واد من حرة بنى سليم يصب فى البحر بعد خليص بجهة مكة بميلين . وبعده بميل وادى الأزرق (وفاء الوفا ٤ : ١١٣٠) .

فقيل له بعد ذلك : إنَّ بعض الناس صَامَ ، فقال : « أولئكَ العُصَاة ، أولئك العُصَاة »
فلم يزل مفطراً حَتَّى آنسلخ الشهر .

وروى مسلم عن أبي سعيد الخُدْرِى – رضى الله عنه – قال سافرنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ونحنُ صِيَامٌ ، فنزلنا منزلاً ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « إنكم قَدْ دَنَوْتُم مِن عدوّكم ، والفطرُ أَقوى لكم » وكانت رخصة ؛ فَمِنَّا مَنْ صام ، ومِنَّا مَنْ أَفطر ، ثم نزلنا منزلاً آخر ، فقال : « إنكم مصبحوا عدوّكم ، والفطْرُ أَقوى لكم ، فافطروا » فكانت عزيمة ، فأَفطرنا .

* * *

ذكر نزوله – صلى الله عليه وسلم – بمر الظهران

قالوا : ونزل رسول الله – صلى الله عليه وسلم والمسلمون مرّ الظَّهْران عشاءً ، وأمر أَصحابه أن يوقدوا عشرة آلاف نار ، وجعل على الحرس عمرَ بن الخطاب – رضى الله تعالى عنه – قال عروةُ كما عند ابن عائذ ، وبه جزم ابنُ عقبة وابنُ إسحاق ، ومحمدُ ابن عمر وغيرهُم ، وعُمِّيَت الأَخبارُ عن قريش ، فلم يبلغهم حرفٌ واحدٌ عن مسير رسولِ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – ولايدرُون ما هو فاعلٌ ، وهم مُغْتَمُّونَ لما يخافون من غزوه إيّاهم ، فَبَعَثُوا أَبَا سفيان بن حرب .

وروى إسحاق بن راهويه ، والحاكم ، والبيهقيُّ بسندٍ صحيح عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : مضى رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – عَامَ الفتح حتى نزلَ مرّ الظَّهْران فى عشرة آلاف / من المسلمين ، وقد عُمِّيَت الأَخبار عن قريش فلا يأْتيهم خبرٌ عن رسولِ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – ولايدرون ما هو صانع . ٢٣٣ ط

وفى الصحيح عن عُرْوة قال : لمّا سار رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – عام الفتح بلغ ذلك قريشاً ، فخرج أَبُو سفيان بن حربٍ يتحسَّس الأَخبار . وقالت قريش : لأَبى سفيان : إن لقيت محمداً فُخذْ لنا منه أماناً ، فخرج هو وحكيم بن حزام ، فلقيا بُدَيْل بن ورقاء ، فاستتبعاه ، فخرج معهما يتحسَّسُون الأَخبار ، وينظرون هل يجدون

خَبراً ، أو يسمعون به ، فلما بَلَغُوا الأَرَاكَ من مرّ الظَّهْران ، وذلك عَشِيًّا رأَوْا العسكرَ والقِبَابَ والنِيرانَ كأَنها نيران عرفة[1] ، وسمعوا صهيل الخيل ، ورُغَاء الإِبل ، فَأَفْزَعَهم ذلك فَزَعَاً شديداً . قال عروة كما فى الصحيح — : فقال بُدَيْل بن ورقاء : هؤلاءِ بنو كعب — وفى روايةٍ بنو عمرو : يعنى بها خزاعة — حَمَشَتْهَا[2] الحرب . فقالَ أَبُوسُفيان : بنو عمرو أَقلُّ من ذلك .

* * *

ذكر المنام الذى رآه أبو بكر الصديق — رضى الله عنه

روى البيهقىُّ عن ابن شهابٍ — رضى اللهُ تعالى عنه — أن أبا بكر قال : يا رسولَ الله !! أُرَانى فى المنام وأُراك دَنَوْنَا من مكة ، فخرجتْ إلينا كلبةٌ تَهِرّ ، فلما دَنَوْنَا منها اَسْتلقَتْ على ظهرهَا ، فإِذَا هى تشخُبُ لبناً ، فقالَ رسولُ الله — صلَّى الله عليه عليه وسلَّم « ذَهَبَ كَلَبُهم وأَقبل دَرُّهم ، وهم سيأوون بأَرحامهم وإنكم لاقون بعضهم فإِن لقيتم أَبا سُفْيانَ فلا تَقْتلُوه .

* * *

ذكر إعلامه — صلى الله عليه وسلم — بالليل بأن أبا سفيان فى الأراك وأمره بأخذه

روى الطبرانىُّ عن أَبى لَيْلَى — رضى الله عنه — قال : كُنّا مع رسولِ الله — صلَّى الله عليه وسلَّم — بِمَر الظَّهْران ، فقال : « إِنَّ أَبَا سُفْيَان بالأَرَاك فَخُذُوه » فدخلنا ، فأَخذناه .

قال ابن عُقْبَة : فبينما هم ؛ يعنى أَبا سُفيان ، وحكيم بن حزام ، وبُدَيْلاً بن ورقاء كذلك لم يَشْعُرُوا حتى أَخذهم نَفَرٌ كان رسولُ الله — صلَّى اللهُ عليه وسلَّم — بعثهم عُيُوناً له ، فأَخذوا بِخُطُمِ أَبعرتهم فقالوا : من أَنتم ؟ فقالوا : هذا رسولُ الله — صلَّى اللهُ عليه وسلَّم — وأَصحابه ، فقال أَبو سُفْيان : هل سمعتم بمثل هذا الجيش ، نزلوا على أَكباد قومٍ لم يعلموا بهم .

---

(١) نيران عرفة : إشارة إلى ما جرت به عادتهم من إيقاد النيران الكثيرة ليلة عرفة (شرح المواهب ٢ : ٣٠٣) .

(٢) كذا فى الأصول — وجاء فى شرح الغريب : خمشتها : بالخاء والميم والشين ، وفى شرح المواهب ٢ : ٣٠٣ ، « جاشت بهم الحرب » . وفى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٤٧ « حمشتها الحرب » بالحاء المهملة والشين المعجمة أى أحرقتها ، وقيل بالسين المهملة : أى اشتدت عليها . من الحماسة وهى الشدة — وكذلك فى السيرة الحلبية ٣ : ٩١ .

وروى ابن أَبِي شَيْبَة عن أَبِي سَلَمة ، ويحيي بن عبد الرحمن بن حَاطِب - رحمهما اللهُ تعالى - قالا : أَخِذَ أَبُو سفيان وأصحابه [وكان][1] حَرَسُ رسولِ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - نفرٌ من الأَنصار ، وكان عمر بن الخطَّاب - رضى الله عنه - تلك الليلة على الحَرَس ، فجاءُوا بهم إليه ، فقالوا : جئناك بنفرٍ أخذناهم من أهل مكة ، فقال عمر وهو يضحك إليهم : والله لو جئتمونى بأَبى سفيان مازدتم . قالوا : قد والله آتيناك بأَبى سفيان . فقال : احبسوه فحبسوه حتى أَصبح . فغدا به على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : ابن عقبة : لما دخل الحرس بأَبى سفيان وصاحبيه، لقيهم العبّاسُ بنُ عبد المطَّلب ، فأَجارهم .

وروى ابنُ أَبِي شيبة عن عكرمة : أن أبا سفيان لما أخذه الحرس قال : دلُّونى على العبّاس ، فأَتى العباسَ فأَخبره الخبر ، وذهب به إلى رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم .

وروى إسحاق بن راهويه - بسندٍ صحيح عن ابن عبَّاسٍ - رضى الله عنهما - أن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - لما نزل مرّ الظهران ، رقَّت نفسُ العبَّاس لأَهل مكَّة فقال : واصباحَ قريش ، والله لئن دخلها رسولُ الله - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - عَنْوَة قبل أن يأْتوه فيستأْمنوه قبل أن يدخلها عليهم عَنْوَة ، [إنه][2] لهلاك قريش إلى آخر الدهر ، قال العبَّاسُ : فأَخذتُ بغلةَ رسولِ اللهِ - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - الشَّهْبَاء فركبتُها ، وقلتُ : أَلتمس حَطَّاباً ، أَو صاحبَ لبن ، أَو ذا حاجة يأْتى مكَّة فيخبرهم بمكانِ رسُولِ الله - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - ليخرجوا إليه فيستأْمنوه قبل أن يدخلها عليهم عَنْوَة ، فواللهِ إنِّى لفى الأَراك أَلتمس ما خَرَجْتُ إليه إذ سَمِعْت كَلام أَبى سُفْيَان ، وبُدَيْل بن وَرقَاء ، وهما يتراجعان ، وأَبو سفيان يقول : ما رأَيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا ! فقال بُدَيل بن ورقاء : هذه والله خُزَاعة خَمَشَتْهَا الحربُ ، فقال أَبُوسفيان : خُزَاعة أَقَلُّ وأَذَلُّ من أن تكونَ هذه نيرانُها وعسكرها ، قال العباس : فعرفتُ صَوْتَ أَبِى سُفيان ، فقلتُ : يا أَبا حَنْظَلَة ، فعرف صوتى ، فقال : لبَّيْك يا أَبا الفضل ،

---

(١) الإضافة عن شرح المواهب ٢ : ٣٠٤ .

(٢) الإضافة عن سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٠٢ .

مالك فِداك أَبى وأُمّى ! ! وعرف صوتى ، فقلتُ : وَيلك !! هذا رسولُ اللهِ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ فى عشْرَةِ آلاف [فقال][1] واصبَاحَ قريش والله بـأَبى أنت وأمى فما تـأْمرنى ، هلْ من حيلة ؟ قلت : نعم ، اركب عَجُزَ هذه البغلة ، فأَذْهَب بك إلى رسولِ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأَستأمنه لك ؛ فإنه والله إن ظُفِر بك دُونَ رسولِ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلم ـ لَتُقْتَلَن ، فركب خلفى ، ورجع صاحباه ـ كذا فى حديث ابن عباس وعند ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر : أَنهما رجعا ـ وذكر ابن عُقْبَة ، ومحمد بن عمر فى موضعٍ آخر : أَنهما لم يرجعا ، وأَنّ العباس قَدِمَ بهم إلى رسولِ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ انتهى .

قال العبَّاس : فجئتُ بـأَبى سفيان ، كُلَّما مررتُ بنارٍ من نيران المسلمين قَالُوا : من هذا ؟ فإذا رأَوا بغلةَ رسولِ الله ـ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ وأَنا عليها قالوا : عمّ رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على بغلته ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب ـ رضى اللهُ عنه ـ فلما رآنى ، قام ، فقال : مَنْ هذا ؟ قلتُ : العباس ، فذهب ينظر ، فرأَى أَبا سُفيان خلْفِى ، فقال : أَى عدوّ الله !! الحمدُ لله الَّذى أَمكن منك بغير عقد ولا عهد ، ثم خرج يَشْتَدُّ نَحْوَ رسولِ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ورَكضتُ البغلة فسبقته كما تسبق الدَّابة البطيئةُ الرجلَ البطىء ، فاجتمعنا على باب قُبَّةِ رسولِ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ فاَقتحمتُ عن البغلة فدخلتُ على رسول اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم / ـ ودخل عمر على أَثرى ، فقال عمر : يا رسولَ الله !! هذا أَبو سُفيان قد [أَمكن الله منه بغير عقد ولا عهد ، فدعنى فلأَضرب عنقه ، قال قلت : يا رسول الله إنى قد][2] أَجرته ، ثم التزمتُ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأَخذت برأْسه ، فقلتُ : والله لا يُناجيه اللَّيْلَةَ دونى رجلٌ . فلما أَكثر عمر فى شأْنه ، فقلتُ : مَهْلاً يا عمر ، فواللهِ لو كان من رجال بنى عدى بن كعب ما قلتَ هذا ، ولكنك قد عَرَفْتَ أنه مِنْ رِجَالِ بنى عبد مناف ؛ فقال : مَهْلاً يا عبَّاس ، وفى لفظٍ يا أَبا الفضل ، فواللهِ لإِسلامُكَ يومَ أَسلمتَ

٢٣٤ ط

(١) الإضافة عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٤٧ .

(٢) سقط فى الأصول والإثبات عن سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٠٣ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٩١ .

كان أَحبّ إلى من إسلام الخطَّاب لو أسلم ، وما بى إلا أنى قد عرفتُ أن إسلامَكَ كان أَحَبَّ إلى رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – من إسلام الخطاب لو أسلم .

وذكر ابنُ عقبة ، ومحمدٌ بن عمر فى موضع آخر : قال العباس ، فقلتُ : يا رسولَ الله !! أبُو سُفْيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبُدَيْل بن ورقاء قد أَجَرْتُهُم ، وهم يدخلون عليك ، فقالَ رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم « أَدْخِلْهُم » فدخلوا عليه ، فمكثوا عنده عامَّة اللَّيل يَسْتَخْبِرهم[1] رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ودعاهم إلى الإسلام ، فقالوا : نشهد أن لا إلٰه إلاَّ الله ، فقالَ رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – : « إشهدُوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فشهد بُدَيْل ، وحكيم بن حزام ، وقال : أبو سفيان : ما أَعلم ذلك ، واللهِ إنَّ فى النَّفْس من هذا لشئٌ بعد ، فأرجئها .

وعند أبى شيبة عن أبى سلمة ، ويحيى بن عبد الرحمن بن حَاطِب : أَنَّه قيل لحكيم ابن حزام : بَايِعْ ، فقال : أبايعك ولا أَخِرّ إلاَّ قائِما . فقال رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – « أما مِنْ قِبَلِنا فَلَنْ[2] تخِرَّ إلا قائِما » . انتهى .

وقيل لأَبى سفيان ذلك ، فقال : كيْفَ أَصْنَعُ بِاللَّات والعُزَّى ؟ فقال عمرُ بنُ الخطاب – وهو خارجُ القُبَّة : إخرأ عليها ، أما والله لو كنت خارج القبة ما قُلتَها ، فقال أبو سُفْيان : مَنْ هذا ؟ قالوا : عمر بن[3] الخطاب قال العبَّاس : فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – : « اذهب به يَاعَبَّاس إلى رَحْلِك ، فإذا أصبحت فأْتنى به » قال : فذهبت به إلى رحلى .

وعند ابن عقبة ، ومحمد بن عمر : فلما أَذَّنَ الصُّبْحُ أَذَّنَ العسكر كلهم : أى أَجَابُوا المؤذن – ففزع أَبُو سُفْيَان من أذانهم ، فقال : ما يَصْنَع هَؤُلَاء ؟ قال العبَّاس ، فقلتُ : الصَّلَاة . قال : كم يُصلون ؟ قلتُ : خَمْسَ صَلَواتٍ فى اليوم واللَّيْلَة ، ثم رآهم

---

(١) أى عن أهل مكة (المغازى للواقدى ٢ : ٨١٧) .

(٢) كذا فى ت ، ط ، م . وفى ص « فلاتخر » .

(٣) وفى رواية عبد بن حميد فقال أبو سفيان : ويحك ياعمر ، إنك رجل فاحش ، دعنى مع ابن عمى فإياه أكلم (شرح المواهب ٢ : ٢٣١) .

يتلقَّوْن وضُوءَ رسول اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقال : ما رأيت ملكاً قط كاليوم لا ملك كسرى ولا قيصر ، قال العبَّاس : فلمَّا صلَّى رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – الصُّبحَ غدوتُ به . وعند ابن عقبة ، ومحمد بن عمر : أن أبا سُفيان سأَل العبَّاس فى دخوله على رسول اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – ، وعند ابن أبى شيْبَةَ عن أبى سلمة ، ويحيى بن عبد الرحمٰن بن حَاطِب : فلمَّا أصبَحُوا قام المسلمونَ إلى / طَهُورهم ، فقالَ أبُو سُفيان : يا أَبا الفضل !! مَا للنَّاسِ أُمروا فى بشىء ؟ قال : لا ولكنهم قامُوا إلى الصَّلاة ، فأَمره العبَّاس فتوضأَ ، وذهبَ به إلى رسول اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – فلمَّا دخلَ رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – الصلاةَ كبَّر وكبَّر النَّاس ، ثم ركع ، فركعُوا ، ثُمَّ رَفَعَ ، فرفعوا ، ثم سَجَد فسجدُوا ، فقال أبُو سُفيان : ما رأيتُ كاليوم طاعة ، قوم جمعهم مِنْ هٰهنا وهٰهنا ، ولا فارس الأَكارِم ، ولا الرّوم ذات القرون بأَطوع منهم له ، يا أبا الفضل أصبَح ابنُ أخيك والله عظيمَ المُلْكِ ، فقال العبَّاس : إنه ليس بِمَلِك ، ولكنها النبوة ، قال : أو ذاك . قال العبَّاس : فلما فرغَ رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – قال : « يَا أَبَا سُفْيَان ! أَلم يأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لَا إِلٰهَ إلاَّ الله ؟! قال : بأَبى أنت وأمى !! ما أحلمك وأكرمك وأعظم عفوك ! إنَّه لو كان مع اللهِ إلٰهٌ لقد أغنى عَنِّى شَيْئًا بعد ، لقد استنصرتُ إِلٰهى ، واستنصرتَ إِلٰهَكَ ، فَواللهِ ما لقيتُك مِنْ مرةٍ ، إلا نُصِرْتَ عَلَىَّ ، فلو كان إلٰهى مُحِقًّا وإلٰهك مُبطلا لقد غلبتُكَ ، فقال : « ويْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَان أَلَمْ يأْن لك أَنِ تَعْلَمَ أَنِّى رسول الله ؟ قال : بأَبى أنت وأُمى ما أَحلمك وأكرمك وأعظم عفوك ! أَمَّا هذه فوالله إنَّ فى النَّفْس منها شيئاً حتَّى الآن ، فقال العبَّاس : ويحك ! أَسْلِم قبل أن تُضرب عُنُقَك . فشهِدَ شهادة الحقّ ، فقال : أَشهدُ أن لا إله إلاَّ الله ، وأَشهدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ الله . وظاهر كلام ابن عقبة ومحمد بن عمر فى مكان آخر أن أبا سفيان قال : أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله من غير أن يعرض ذلك عليه أحدٌ . قال : قال أبو سفيان ، وحكيم بن حزام : يا رسول الله جِئْتَ بأوباش النَّاس من يُعْرَفُ ومن لا يُعرف إلى أهلك وعشيرتك ! فقالَ رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – « أَنْتُم أَظْلَم وَأَفْجَر ؛ قَدْ غَدَرْتُم بِعَهْدِ الحُدَيْبِيَة ، وظَاهَرْتُم عَلَى بَنِى كَعْب بِالْإِثْمِ والعُدْوَان فى حَرَمِ الله – تعالى – وَأَمْنِه » ، فقال حكيم

٢٣٥ و

وأبو سُفيان : صدقت يا رسولَ الله : ثُمَّ قالا : يا رسولَ الله !! لو كنت جعلت جِدَّك ومكيدتك لِهَوَازِن ، فهم أَبْعَدُ رَحماً ، وأشد عداوة لك ؟ فقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : « إِنِّى لأَرْجُو مِنْ رَبِّى أَنْ يَجْمَعَ لى ذَلِكَ كله . فتح مكة ، وإعزاز الإِسْلَام بها ، وهَزِيمة هَوَازِن ، وَغَنيمة أَمْوالهم وَذَرَارِيهم ؛ فَإِنِّى أَرْغَبُ إِلَى الله ـ تعالى ـ فى ذلك » .

قال ابن عقبة : قال أَبُو سفيان ، وحكيم بن حزام : يا رسولَ الله ادعُ النَّاس بالأَمان ، أَرأَيت إِن اعتزَلَتْ قريشٌ وكفَّتْ أَيديها آمنون هم ؟ فقالَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ « نَعَم » قال العبَّاس ، قلتُ : يا رسولَ الله !! قد عرفت أَبا سفيان وجه الشرف والفخر ، فاجعل له شيئاً .

وعند ابن أَبى شيبة عن أَبى سلمة ، ويحيي بن عبد الرحمن : أَن أَبا بكر قال : يارسولَ الله / إِن أَبا سُفيان رجلٌ يحبُّ السَّماع ؛ يَعْنِى الشَّرَف ـ انتهى . فقال « مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِى سُفْيانَ فَهُو آمن » فقال : وما تَسَعُ دارى ؟ زاد ابن عقبة « وَمَنْ دَخَلَ دارَ حكيم بن حزام فَهُو آمن » ودار أَبى سُفيان بأَعلى مكَّة ، ودار حكيم بأَسفلها « ومن أَغلق بابه فهو آمن ، ومن دَخَلَ المسجد فهو آمن » فقال أَبُو سُفْيان : وما يسع المسجد ؟ قال : « وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَه فَهُو آمن » فقال أَبو سفيان : هذه واسعة .

٢٢٥ ط

* * *

ذكر ارادة ابى سفيان ، وحكيم بن حزام الانصراف الى قومهما ليعلماهم بذلك ووقوفهما ليريا جنود الله تبارك وتعالى

قال ابنُ عقبة : لما توجهوا ذاهبين ، قال العبَّاس : يا رسول الله إِنى لا آمن أَبا سُفيان أَن يرجع عن إِسلامه فاردده حتى يفقُه ، ويرى جنود الله ـ تعالى ـ معك .

وروى ابن أَبى شيبة عن أَبى سلمة ، ويحيي بن عبد الرحمن بن حَاطب : أَن أَبا سفيان لما وَلَّى ، قال أَبو بكر : يَارسولَ الله ، لو أَمرت بأَبى سفيان فحبس على الطريق ؟

وقال ابنُ إِسحاق ، ومحمد بن عمر : إِنَّ أَبا سفيان لَمَّا ذهب لينصرف ، قالَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لِلْعَبَّاس : « احْبِسْه بِمَضِيق الْوَادِى » . قال ابن عقبة ،

ومحمد بن عمر : فأدركه العبَّاسُ فحبسه ، فقال أَبُو سفيان أغدراً يا بنى هاشم ؟ فقال العبَّاس : إن أَهْلَ النُّبوَّةِ لا يغدِرُون . ولفظ ابن عقبة : إنَّا لَسْنَا بغدر ، ولكن[1] أَصْبِح حتَّى تنظر جنود الله ، وإلى ما أَعَدَّ الله للمشركين ، قال ابنُ عقبة فحبسهم بالمضيق دون الأَراك إلى مكَّة حتَّى أصبحوا .

وروى ابن عساكر عن عطاء قال : لا أحسبه إلا رفعه إلى ابن عباس – رضى الله – تعالى – عنهما – قال : قالَ رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – ليلةَ قُربه من مكَّة فى غزوة الفتح « إنَّ بمكة لأَربعة نفرٍ من قريش أَرْبَأُ بِهِم عن الشِّرْك ، وأَرغبُ لهم فى الإِسلام » قيل : ومن هُم يا رسولَ الله ؟ قال : « عَتَّاب بن أَسِيد ، وجُبَيْر بن مُطْعِم ، وحكيم بن حِزَام ، وسُهَيْل بن عمرو » .

* * *

ذكر تعبئة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أصحابه رضوان الله عليهم ومرورهم بأبى سفيان ، وما وقع فى ذلك من الآيات

قال ابنُ عقبة – رحمه الله تعالى – وأَمر رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – منادياً يُنادى ؛ لتصبح كل قبيلةٍ قد أَرْحَلت ، ووقفت مع صاحبها عند رايته ، وتظهر ما معها من الأَدَاة والعدّة . فأَصبح النَّاسُ على ظهر ، وقَدَّم بين يديه الكتائبَ . قالوا : وَمَرَّتْ القبائل على قادتها . والكتائبُ على راياتها .

قال محمد بن عمر : وكان أَوّل من قَدَّم رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – خالد ابن الوليد / فى بنى سُلَيم – بضم أوله ، وفتح ثانيه ، وسكون التحتية ، وهم ألف ، ويقالُ : تسعمائة ، ومعهم لواءان وراية ، يحمل أحد اللواءين العباسُ بن مِرْدَاس بكسر الميم ، والآخر يحمله خُفَاف – بخاء معجمة مضمومة – بن نُدبة – بنون مضمومة ، فدال مهملة – ويحمل الراية الحجاج بن عُلاَط – بعين مضمومة فطاء مهملتين ، فلمّا مرّوا بأَبى سُفيان ، كبَّرُوا ثلاث تكبيرات ، ثم مضوا ، فقال أَبُو سُفيان : يا عبَّاس !! من

٢٣٦ و

---

(١) وفى شرح المواهب ٢ : ٣٠٤ « ولكن لى إليك حاجة فتصبح فتنظر » .

هؤُلَاءِ ؟ فقال : هذا خالدُ بن الوليد ، قال : الغلام ؟ قال : نعم قال : ومن معه ؟ قال : بنو سُلَيم ، قال : ما لى وبنى سُلَيم !

ثم مَرَّ على أَثَرِه الزُّبير بن العوّام فى خمسمائة من المهاجرين وَأَفْنَاء العرب ، ومعه رايةٌ سوداء . فلما مَرُّوا بأَبى سُفْيان كبَّرُوا ثلاثاً ، فقال أَبُو سُفْيان : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قال : هذا الزّبير بنُ العوَّام ، قال : آبن أُختك ؟ قال : نعم ، ثم مَرَّت بَنُو غِفَار - بكسر الغين المعجمة - فى ثلاثمائة ، يحمل رايتهم أبو ذَرٍّ ، ويقال : إيماء - بكسر الهمزة ، وفتحها ، وسكون التحتية ؛ ممدود مصروف ، وقد يقصر مع الفتح - بن رَحضَة - بحاءٍ ، فضاد معجمة مفتوحات ، وَأَجاز ابن الأَثير : سكون الحاءِ ، واقتصر النَّوَوِىُّ على الفتح ، وقال السهيلى : بضم الرّاء - فلمَّا حاذوه ، كبَّرُوا ثَلاثاً ، فقال أَبو سُفْيَان مَنْ هؤلاء ؟ قال : بنو غِفار ، قال : مالى ولبنى غِفَار ؟ ثم مرت أسلم فى أَربعمائة ، فيهما لواءان يحملُ أَحدهما بُرَيْدَة - بلفظ تصغير البرد - بن الحُصَيب - بضم الحاءِ ، وفتح الصاد المهملتين ، فتحتية فموحدة - والآخر ناجية - بالنون ، والجيم - بن الأَعجم[1] ، فلما حاذوه كبّرُوا ثلاثاً ، فقال : من هؤلاء ؟ قال العباس : أَسلم ، قال : مالى ولأَسلم ؟ ثم مرت بنو كَعْب بن عمرو فى خمسمائة ، يحمل رايتهم بُسْر - بضم الموحدة ، وسكون السين المهملة - بن سفيان فلما حاذوه ، كبّرُوا ثَلَاثاً ، فقال : مَنْ هؤلاء ؟ قال العباس : بنو عمرو بن كعب بن عمرو ، إخوة أَسلم ، قال : نعم ، هؤلاء حلفاء محمد ، ثم مرت مُزَيْنَة - بضم الميم ، وفتح الزاي ، فى أَلفٍ فيها ثلاثة أَلوية ومائة فرس ، يحمل أَلويتها النعمان بن مُقْرِن - بضم الميم ، وسكون القاف ، [وبالراء][2] والنون ، وعبد الله بن عمرو بن عوف ، وبلال بن الحارث ، فلما حاذوه كبّروا ثلاثاً ، قال : من هؤلاء ؟ قال : العباس : مُزَيْنَة ، قال : مالى ولمزينة ؟ قد جاءتنى تقعقع مِنْ شواهقها ، ثم مرَّت جُهَيْنَة - بضمِّ الجيم ، وفتح الهاء وسكون التحتيَّة ، وبالنُّون - فى ثمانمائة ، فيها أَربعة أَلْوِيَة ، يحملها أَبو رَوْعة - بفتح الراءِ ، وسكون الواو - معبد

(١) انظر ترجمته فى الإصابة ٣ : ٥١١

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

ابن خالد ، وسويد بن صخر ، ورافع بن مَكِيث – بفتح الميم ، وكسر الكاف ، وبالمثلثة – وعبد الله بن بدر – بالموحدة – فلما حاذوه كبَّرُوا ثلاثاً ، فقال مَنْ هؤلاء ؟ قال : جُهَيْنَة ، قال : مالى ولجُهَيْنَة ؟ ثم مَرَّتْ كِنَانة – بكسر الكاف – بنو ليث وضَمْرَة ، وسعد بن بكر فى مائتين ، يحمل / لواءَهم أبو واقد – بالقاف – اللَّيْثِى ، فلمَّا حَاذُوه كَبَّروا ثلاثاً ، فقال : مَنْ هؤلاء ؟ قال العبَّاس : بَنُو بكر ، قال : نعم ، أَهل شُؤْمٍ والله ! هؤلاء الَّذِين غزانا محمَّدٌ بسببهم ، قال العبَّاس : قد خَارَ اللهُ – تعالى – لكم فى غَزْوِ محمد – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – أتاكم أمنكم ، ودخلتم فى الإِسْلام كَافة[1] ، ثم مَرَّت أَشجع – بالشين المعجمة ، والجيم – وهم آخر من مَرّ ، وهم ثلاثمائة معهم لواءَان ، يحمل أَحدهما معقل – بالعين المهملة ، والقاف – ابن سنان ، والآخر : نعيم بن مسعود . فَلَمَّا حاذوه كَبَّرُوا ثلاثاً قال أَبو سفيان : من هؤلاء ؟ قال العبَّاس : هؤلاءِ أَشجع ، قال أَبو سفيان : هؤلاء كانُوا أَشدّ العرب على محمد ، قال العبَّاس وأَدخل الله – تعالى – الإِسلامَ فى قلوبهم ، فهذا فضلٌ من الله ، ثم قال أَبُو سُفيان : أَبَعْدُ ما مضى محمد ؟ فقال العبَّاس : لا ، لم يمض بعد ، لو أَتت الكتيبة التى فيها محمد رأَيت فيها الحديدَ والخيل والرجال ، وما ليس لأَحدٍ به طاقة ، قال : ومن له بهؤلاء طاقة ؟ وجعل النَاسُ يمرّون ، كل ذلك يقولُ أَبُو سُفيان ما مرّ محمد ؟ فيقولُ العبَّاسُ : لا ، حتَّى طلعت كتيبةُ رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – الخضراءُ[2] الَّتى فيها المهاجرُون والأَنصار ، وفيها الرَّايات والأَلوية ، مع كلِّ بطنٍ من بُطون الأَنْصَار لواء وراية ، وهم فى الحديد لا يُرَى منهم إلا الحَدَق ، ولِعُمَر بن الخطاب – رضى الله عنه – فيها زَجَل[3] بصوتٍ عالٍ وهو يَزَعُهَا ويقولُ : رويداً [حتى][4] يلحق أَولكم آخركم – يقال : كان فى تلك الكتيبة أَلفا دارع ، وأَعطى رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – رايته سعدَ بن عُبَادة ، فهو

٢٣٩ ط

---

(١) زاد الواقدى فى المغازى ٢ : ٨٢٠ « وحدثنى عبد الله بن عامر عن أبى عمرة بن حماس قال : مرت بنو ليث وحدها وهم مائتان وخمسون ، يحمل لواءها الصعب بن جثامة ، فلما مروا كبروا ثلاثاً . فقال : من هؤلاء ؟ قال: بنوليث » .

(٢) سميت الخضراء للبسهم الحديد . والعرب تطلق الخضرة على السواد كما تطلق السواد على الخضرة (السيرة الحلبية ٣ : ٩٤) .

(٣) الزجل : التطريب (اللسان) .

(٤) إضافة عن السيرة الحلبية ٣ : ٩٤ .

أمام الكتيبة ، فلما مَرَّ سعدٌ برايةِ رسول اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – نادى أبا سفيان فقال : اليومُ يومُ الملحمة[1] ، اليومُ تُسْتَحَلُّ الحرمة[2] اليومُ أذلَّ اللهُ قريشا قال أبو سفيان : يا عباس ، حبَّذَا يوم الذِّمَار[3] . فمرت القبائِل ، وطلع رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وهو على ناقته الْقَصْوَاء . قال محمد بن عمر : بينَ أبي بكر الصِّدِّيق ، وأُسَيْد بن الحُضير ،– وهو يحدثهما – فقال العبَّاس : هذا رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم .

وفى الصحيح عن عُرْوَة أنَّ كتيبة الأَنْصارِ جاءَت مع سعد بن عُبادة ، ومعه الرَّاية ، قال : ولم يُرَ مثلها ، ثم جاءَت كتيبةٌ هى أقل الكتَائِب ، فيهم رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – وأصحابه ، وراية رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – مع الزُّبير ، قال فى العُيُون : كذا وقع عند جميع الرّواة . ورواه الحُمَيْدِيُّ فى كتابه : هى أجلّ الكتائب ، وهو الأَظهر انتهى .

فقال أبُو سفيان : لقد أَصْبَحَ مُلكُ ابن أخيك اليوم عظيما .قال العباس : قلت : يا أبا سفيان إنها النُّبُوّة ، قال : فنعم إذًا .

وروى الطبرانى عن العباس – رضى الله عنه – قال : لمّا بعث رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – قلتُ لأَبى سُفيانَ بن حرب : أَسلم بنا ، قال : لا والله حتَّى أرى الخيْل تطلعُ من كَدَاء ، قال العباس : قلتُ ما هذا ؟ قال شيء طلع بقلبي ، لأَنَّ الله لا يطلع خيلا هُناك أبدا ، قال العبَّاس : فلما طلع رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – من هناك ذكَّرْتُ أبا سفيان به فذكره . ٢٣٧ و /

(١) الملحمة : قال الحافظ : بالحاء المهملة – أى يوم حرب لايوجد منه مخلص ، أو يوم القتل ، ويقال : لحم فلانا إذا قتله (شرح المواهب ٢ : ٣٠٥) .

(٢) الحرمة : المقصود بها الكعبة (المرجع السابق ٢ : ٣٠٦) .

(٣) يوم الذمار : أى تمنى أن تكون له قوة فيحمى قومه ويدفع عنهم ، وقيل المعنى : حبذا يوم الغضب للحريم والأهل والانتصار لهم لمن قدر عليه ، وقيل معناه : هذا يوم يلزمك فيه حفظى وحمايتى لقربك للمصطفى وحبه لك وإقباله عليك (شرح المواهب ٢ : ٣٠٦) .

فلما مرَّ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – بأَبى سفيان ، قال : يا رسول الله أمرت بقتل قومك ؟! أَلمْ تعلمْ ما قال سعدُ بنُ عبادة قال : « ما قال » قال : كذا وكذا ، وإنى أَنشدك اللهَ فى قومك ، فأَنت أبرّ الناس ، وأَوصل الناس ، وأَرحم الناس ، فقال رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم « كَذَبَ سَعْد يَا أَبا سُفْيَان ، اليوم يوم المرحمة ، اليوم يوم يُعظم الله فيه الكعبة ، اليوم يوم تُكْسَى فيه الكعبة ، اليوم يوم أَعز الله فيه قريشا » .

وعند ابن إسحاق : أن سَعْدًا لما قال ما قال ، سمعه رَجُلٌ مِنَ المهاجرين ، قال ابن هشام : هو عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول الله ما نأمن أن يكون له فى قريش صَوْلَة : وأستبعد ذلك الحافظ من عمر هنا لكونه كان معروفاً بشدة البأس عليهم .

وعند محمد بن عمر : أن عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، قالا ذلك لرسول الله – صلى الله عليه وسلم .

وقال ضِرارُ – بضادٍ معجمة – بن الخطاب الفهرى – فيما ذكره محمد بن عمر ، وأبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى – شعراً يستعطف[1] رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – على أهل مكة حين سمع قول سعد ، قال أبو الربيع وهو من أجود شعر قاله .

وعند ابن إسحاق وعند ابن عساكر من طريق أَبى الزبير عن جابر – رضى اللهُ عنه – أن امرأة من قريش عارضت رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بهذا الشِّعر ، فكأَنّ ضِرَاراً أرسل به المرأة ليكون أبلغ فى انعطاف رسولِ اللهِ – صلى اللهُ عليه وسلَّم – على قريش[2] :

يا نبيَّ الهُدَى إليك لَجَا حيُّ قريش وَلَاتَ حِينَ لَجَاء[3]
حِينَ ضَاقَتْ عليْهِم سَعَةُ الأَرْ ضِ وعادَاهم إِلٰه السماء

(1) كذا فى ت ، ط ، م – وفى ص « يتعطف » .

(2) وهذا القول الذى ذهب إليه ابن إسحاق وابن عساكر موافق لما فى شرح المواهب ٢ : ٣٠٦ .

(3) انظر القصيدة فى شرح المواهب ٢ : ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٥٩ ، ٥٦٠ .

والْتقَتْ حلْقتَا البِطَان علَى الْقَوْ م ِ وَنُودُوا بِالصَّيْلَم الصَّلْعَاء

إنَّ سَعْدًا يُرِيدُ قَاصِمَةَ الظَّهْ رِ بِأَهْلِ الحَجُـون وَالْبَطْحَـاء

خَزْرَجِيٌّ لَوْ يَسْتَطِيعُ من الغيـ ظ رَمانا بالنَّسر والعَـوَّاء[1]

وغِـــرُ الصَّدْرِ لَا يَهُمُّ بِشَىءٍ غير سَفْكِ الدِّمَا وَسَبْى النِّسَاء

قَدْ تَلَظَّى عَلَى الْبِطَاحِ وَجَاءَتْ عَنْهُ هِنْدٌ بِالسَّوْءَةِ السَّـوْآء

إِذْ يُنَادِى بِذُلٍّ حَىّ قُـرَيْشٍ[2] وابن حَرْب بِذَا مِنَ الشُّهدَاء

فلَئِنْ أَقْحَمَ اللِّواءَ وَنَـادَى يَا حُمَاةَ الْأَدبَارِ[3] أَهل اللَّواء

ثُمَّ ثَابَتْ إِلَيْهِ من بُهَم الخز رج والْأَوْس أَنْجُمُ الْهيْجَاء

لتكونـن بالبطـاح قريشٌ فِقعَةُ الْقَاعِ فِى أَكُفٍّ الْإِمَاء

/ فأَنْهَيْنْه فإنه أَسدُ الأُسْـ ـد لَدَى الْغَاب والغ فى الدِّمَاءِ[4] ٢٣٧ ط

إِنَّه مُطْرقٌ يُرِيدُ لَنَا الأَمْـ رَ سكوتاً كَالْحَيَّـةِ الصَّماء

فأَرسل رسولُ اللهِ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ إلى سعد ، فنزع اللواءَ من يده ، وجعله إلى ابنه قيس بن سعد ، ورأى رسولُ اللهِ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ أن اللواءَ لم يخرجْ من يَدِ سعد ، حتى صار إلى ٱبنه .

قال محمد بن عمر : فأَبى سعد أن يسلم اللِّوَاءَ إلاّ بأَمارةٍ مِنْ رسولِ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ فأَرسلَ النَّبىُّ ـ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ بعمامته ، فدفع اللِّواءَ إلى ٱبنه قيس ، ويقالُ : إنَّ رسولَ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أمر عليًّا فَأَخذ الرَّاية ، فذهب بها إلى مكة حتّى غرزها عند الركن .

---

(١) فى الأصول « خزرجى لايستطيع من البغض رمـانا بالنسر والعـواء
والمثبت عن شرح المواهب ٢ : ٣٠٦ وسيرة ابن كثير ٣ : ٥٦٠ وشرح المواهب ٢ : ٣٠٧ .

(٢) فى الأصول : إذ ينادى ياذل حى قريش والمثبت عن المرجـع السابق

(٣) كذا فى الأصول . وفى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٦٠ (.: ياحماة اللواء أهل اللواء)

(٤) فى السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٥٦٠
فانهينـه فإنه الأسـد الأسـ ـود والليث والـغ فى الدماء

قال أبو عمر – رحمه الله تعالى – : قد رُوِىَ أَنَّ رسولَ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – أعطى الرَّايةَ للزبير إذْ نزعها من سعد .

وروى أبو يعلى عن الزبير – رضى الله تعالى عنهما – أَن رسولَ الله – صلى الله عليه وسلَّم – دَفَعهَا إليه فدخل بلواءَين ، وبه جزم موسى بن عقبة .

قال الحافظ : والذى[1] يظهر فى الجمع أَنَّ رسولَ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – أَرسل عليًّا لينزعها ، وأَن يدخل بها . ثم خَشِىَ تغيّر خاطر سعد ، فأَمر بدفعها لأَبنه قيس ، ثم إنَّ سعداً خشى أَن يقع من ابنه شىء يكرهه رسول الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فسأل رسولَ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – أَن يأْخذها ، فحينئذٍ أَخذها الزبير ، ويؤيّد ذلك ما رواه البزار بسند على شرط البخارى عن أَنَسٍ – رضى الله عنه – قال : كان قيسٌ فى مقدمة رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – لَمَّا قَدِمَ مكة ، فكلم سعدٌ النبى – صلى اللهُ عليه وسلَّم – أَن يصرفه عن المَوْضِع الذى هو فيه مخافة أَن يقدم على شىء فصرفه عن ذلك . انتهى .

وروى ابن أَبى شيبة عن أَبى سَلَمة ، ويحيى بن عبد الرحمن بن حَاطِب ، والطبرانى عن عُرْوة : أَن العبّاس قال : يا رسولَ الله !! لو أَذنت لى فأَتيتهم . أَى أَهل مكة – فدعوتهم فأَمنتهم ، فركبَ العباسُ بغْلَةَ رسولِ الله – صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم – الشهباءَ ، وانطلق ، فقال رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلم : « ردُّوا عَلَىَّ أَبِى ، رُدُّوا عَلَىَّ أَبى ، فإن عَمَّ الرجل صِنْوُ أَبيه – « إنى أَخافُ أَن تَفْعل بِهِ قُرَيْشٌ مَا فَعَلَت ثَقِيفٌ بِعُرْوَةَ ابن مسعود ؛ دَعَاهُم إلى الله – تعالى – فَقَتَلُوه ، أَما واللهِ لَئِن رَكِبُوهَا مِنْه لأَضرمنَّها علَيْهِمْ نَارًا » فكره عباسُ الرجوع ، وقال : يا رسولَ الله ، إن تُرْجع أَبا سفيان راغبا فى قلَّةِ النَّاس ، فيكفر بعد إسلامه فقال « احْبِسْه » فَحَبَسَه ، فذكر عرْضَ القبائل

---

(١) وقد ورد فى المواهب اللدينة وعليها شرح الزرقانى ٢ : ٣٠٧ « فهذه ثلاثة أقوال فيمن دفعت إليه الراية التى نزعت من سعد . والذى يظهر فى الجمع – كما قال الحافظ – أن عليا أرسل لينزعها ويدخل بها ثم خشى تغير خاطر سعد فأمر بدفعها إلى ابنه قيس . ثم إن سعداً خشى أن يقع من إبنه شىء ينكره النبى صلى الله عليه وسلم فسأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منه فحينئذ أخذها الزبير » ويستمر السياق على ما هنا فى المتن .

ومرورها بأَبى سفيان ، وفيه فقال أبو سفيان : امض يا عبّاس . فانطلق العباسُ حتى دخل مَكّة فقال : يا أهل مكة ! ! أَسْلِموا تَسْلَمُوا قد استبطنتم بأَشهب بازل . انتهى .

٢٢٨ و وفى حديث عُرْوَة عند الطبرانى/ : وكفهم اللهُ عزّ وجل - عن العباس - انتهى . قال العبّاس ، فقلت لأَبى سفيان بن حرب : أَنْجُ ويحك - فأُدرك قومَك قبل أن يدخل عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فخرج أبو سفيان ، فتقدمّ الناس كلَّهم حتّى دخل مكّةَ من كداء فصرخ بأَعلى صوته : يَامَعْشَرَ قُريش ، هذا محمد قد جاءَكم بمَا لا قِبَل لكم به ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا ، مَنْ دخل دَارَ أَبى سُفيانَ فهو آمن . قالُوا : قاتالك الله ! وما تُغْنِى دارك ؟! قال : وَمَنْ أَغْلَق بابَه فهو آمن ، ومَنْ دخل المسجد فهو آمن . فقامت إليه هندُ بنتُ عُتْبَة زوجتُه ، فأَخذت بشاربه ، وقالت : أَقْتُلُوا الحَمِيتَ[1] الدَّسِم الأَحْمَس ، قُبِّحَ مِنْ طَلِيعَةِ قَوْمٍ . فقالَ أَبُو سُفيان : ويلكم ! لا تغرنّكُم هذه مِنْ أنفسكم ، فإنَّه قد جاءَكم مالا قِبَلَ لكم به .

* * *

ذكر من امر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقتله يوم الفتح ، ولا يدخل فيما عقد من الأمان[2]

هم عبد العزى ابن خَطَل - بفتح الخاء المعجمة ، والطّاء المهملة ، وآخره لام وكان قد أَسلم ، وسماه رسولُ اللهِ - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - عبد الله وهاجر إلى المدينة ، وبعثه رسولُ الله - صلَّى اللهُ عليه وسلم - سَاعِياً ، وبعثَ معه رَجُلاً مِنْ خُزَاعة ، وكان يصنع له طعامه ويخدمه فنزلا فى مجمع - والمجمع حيث تجتمع الأَعراب يؤدون فيه الصدقة - فأَمره أن يصنع له طعاماً ، ونام نصف النهار ، واستيقظَ ، والخزاعى نائم ، ولم يصنع له شيئا ، فَعَدَى عليه فضربه فقتله ، وارتدَّ عن الإِسلام ، وهربَ إلى مكة ، وكان يقول الشعرَ يهجو به رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وكان له قينتان ، وكانتا فَاسقتين ، فيأمرهما ابن خَطَل أن يغنيا بهجاء رسولِ الله - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم .

---

(١) الحميت : زق السمن - والدسم : الكثير الودك . والأحمس : الذى لاخير عنده (نهاية الأرب ١٧ : ٣٠٢) ، وشرح المواهب ٢ : ٣١٣ ، وسترد المعانى فى شرح الغريب .

(٢) وانظر شرح المواهب ٢ : ٣١٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٦٣ ، ونهاية الأرب للنويرى ١٧ : ٣١٧ والمغازى للواقدى ٢ : ٨٢٦ ، وسيرة النبى لابن هشام بشرح الروض الأنف ٢ : ٢٧٣ .

وعن [أنس[1]] قال : دَخَلَ رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – مكة يومَ الفتح على رأسه المغفر ، فلما نزعه جاءَ رجلٌ فقال : ابن خَطَل متعلِّق بأَسْتَار الكعبة ، فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم : « اقْتُلُوه » رواه الإمام مالك والشَّيخان .

قال محمد بن عمر : لَمَّا دخل رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – إلَى ذِى طُوىً ، أقبل ابنُ خَطَلٍ مِنْ أعلى مكة مُدَجَّجًا فى الحديد على فرسٍ وبيده قناة ، فَمَرَّ ببنات سعيد بن العاص فقال لهن : أما والله لا يدخلها محمدٌ حتى تُرِيْنَ ضربا كأَفواه[2] المزاد ، ثم خرج حتّى انتهى إلى الخَنْدَمة ، فرأى خَيْلَ الله ، ورأى القتال فدخله رُعْبٌ ، حتّى ما يَسْتَمْسِكُ مِنَ الرِّعدة ، فرجع حتّى انتهى إلى الكعبة ، فنزل عن فرسه ، وَطَرَحَ سِلاَحَه وأتى البيت فدخل تحت أستاره ، فَأخذَ رَجُلٌ من بنى كعبٍ سِلاَحَه وَأَدْرَكَ فرسه عَائِراً فاَستوى عليه ، ولحق برسولِ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بالحَجُون .

وعبد الله بن سعد / بن أبى سَرْح – بفتح السِّين ، وإسكان الرَّاء ، وبالحاء المهملات – ٢٢٨ ط كان أسْلَم ، ثمَّ ارتد ، فشفع فيه عُثْمانُ يومَ الفتح ، فحقن دمه ، وأسلم بعد ذلك فقبل إسلامه ، وحَسُنَ إسْلاَمُه بعد ذلك ، وَوَلاَّه عمرُ بعْضَ أعماله ، ثُمَّ وَلاَّه عُثْمان ، ومات وهو ساجد فى صَلاَةِ الصُّبح ، أو بعدَ انْقِضَائها ، وكان أحد النُّجباء الكرماء العُقَلاء من قريش ، وكان فارس بنى عامر بن لؤى المقدم فيهم ، وسيأتى خبره مبسوطاً فى أبواب كتّابه – صلى الله عليه وسلم .

وعكرمَة بن أبى جهل ، أسلم فَقُبِل إسلامه .

---

(١) سقط فى الأصول ، والإثبات عن شرح المواهب ٢ : ٣٢١ ؛ فإن هذا الخبر من حديث مالك عن ابن شهاب عن أنس رضى الله عنه .

(٢) الكلمة غير واضحة فى الأصول ، والإثبات عن المغازى للواقدى ٢ : ٨٢٧ . وشرح محققه المزاد بقوله المزاد جمع مزادة وهى الراوية . قال أبو عبيد: لاتكون إلا من جلدين تفأم بجلد ثالث بينهما لتتسع (الصحاح ٤٧٩) وفى وفاء الوفا ٤ : ١٣٠٢ « المذاد – بالفتح وذال معجمة وآخره مهملة من ذاده، إذا طرده ، اسم أطم لبنى حرام من بنى سلمة غربى مسجد الفتح به سميت الناحية ، عنده مزرعة تسمى المذاد ، قال كعب بن مالك يوم الخندق : –

من سره ضرب يرعبل بعضه بعضاً كمعمعة الإناء المحرَق
فليأت مأسدة تسل سيوفها بين المذاد وبين جزع الخندق

والحُوَيْرث – بالتصغير – بن نُقَيْدر بضم النون ، وفتح القاف ، وسكون التَّحتية ، فدال مهملة ، فراء مهملة ، كان يُؤذِى رسولَ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – ونَخس بزينب بنت رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – لما هَاجرَت إلى المدينة ، فأَهدر دمه . فبينما هو فى منزله قد أَغلق عليه بابه ، فسأَل عنه على بن أَبى طالب – رضى الله عنه – فقيل هو بالبادية ، فأُخبِر الحويرث أَنّه يُطْلَب ، فَتَنَحى عَلِيٌّ عن بابه ، فخرج الحويرث يريد أن يَهْرب من بَيْتٍ إلى آخر ، فَتَلَقَّاه علىٌّ ، فضرب عنقه .

قال ابن هشام : وكان العباسُ بنُ عبد المطلب حمل فاطمة ، وأُم كلثوم بنتى رسولِ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – مِنْ مكَّة يُريدُ بهما المدينة ، فَنَخَسَ بِهِمَا الحويرثُ فرمى بهما الأَرض .

قال البلاذرى – رحمه اللهُ تعالى – وكان يُعْظِمُ القولَ فى رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، وينشدُ الهجاءَ فيه ، ويكثرُ أذاه وهو بمكة .

ومِقْيَس . بميم ، فقاف ، فسين مهملة – بنُ صُبَابة ، بصادٍ مهملة ، وموحدتين ، الأُولى خفيفة – ، كان أسلم ، ثم أَتى على رجلٍ من الأَنصار فقتله ، وكان الأَنصارى قتل أَخاه هِشَاماً خَطَأً فى غزوة ذى قَرد ، ظَنَّه مِن العدوّ ، فجاءَ مِقْيَس ، فأَخذ الدّية ، ثم قَتَلَ الأَنْصارى ، ثم ارتد ، فقتله نُمَيْلَة – تَصغير نملة – بن عبد الله يوم الفتح .

وهَبَّار – بفتح الهاءَ ، وتشديد الموحدة بن الأَسود ، أَسلم ، وكان قَبْلَ ذَلك شديدَ الأَذى للمسْلِمين ، وعرَضَ لزينبَ بنت رسولُ الله – صَلَى اللهُ عليه وسلَّم – لَمَّا هاجرت فنخسَ بها ، فأَسقطت ، ولم يزل ذلك المرضُ بها حتَّى ماتت ، فَلَمَّا كان يومُ الفتح ، وبلغه أَنَّ رسولَ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – أَهْدَرَ دَمَه ، فَأَعلن بِالإِسلام ، فقبله منه رسولُ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلَّم – وعَفَا عنه .

والحُوَيْرث بن الطلاطل الخُزَاعى ، قتله علىٌّ – رضى الله عنه – ذكره أَبو معشر .

وكعب بن زهير ، وجاءَ بعْدَ ذلك فأَسلم ، ومَدَحَ . ذكرَهُ الحاكمُ .

ووحْشِيٌّ بن حرب ، وتقدَّم شأْنه فى غزوة أُحد ، فَهَرَبَ إلى الطّائف ، فلما أَسلم أَهلها جاءَ فأَسلم .

وسارةُ مولاة عمرو بن[1] هاشم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت مغَنِيةً نوَّاحةً بمكة ، وكانت قَدِمَتْ على رسول الله – صَلَّى الله عليه وَسَلَّم – قبل الفتح ، وَطَلَبَتْ منه الصِّلة / وشكت الحاجة ، فقالَ رسولُ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلَّم « ما كان فى غنائِك ما يُغْنيك ؟ » فقالت : إنَّ قُرَيْشًا منذ قتل من قتل منهم ببدر تركوا الغناءَ ، فوصلها رسول الله – صَلَّى الله عليه وسلم – وأوقر لَهَا بعيراً طعاماً ، فرجعت إلى قريش . وكان ابنُ خَطَلٍ يُلْقى عليها هِجَاءَ رسولِ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فتغنى به . وهى التى وُجِدَ معها كتابُ حَاطِب ابن أَبى بَلْتَعَة ، فأَسلمت وعاشت إلى خلافة عمر بن الخطاب ٢٣٩ و

وهند بنت عُتْبَة امرأَةُ أَبى سفيان بن حرب ، وهى الَّتى شقَّت عن كَبِدِ حَمْزَة ابن عبد المطَّلب عمّ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – فأَسلمتْ ،فَعَفَا عنها :

وأَرنب مولاة ابن خَطَل ، وقينتان لابن خطَل ، كانتا تغنيان بهَجْو رسول اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – اسم إحدهما فَرْتَنَى – بفتح الفاء ، وسكون الرَّاء وفتح الفوقية ، فنون ، فأَلف تأْنيث مقصورة ، والأُخرى قَرِيبَة – ضدّ بعيدة ، ويقال : هى أَرنب السابقة ، فاستؤمن لإِحداهما فأَسلمت ، وقتلت الأُخرى ، وذكر عن ابن إسحاق أَن فَرْتَنَى هى التى أَسلمت ، وأَن قَرِيبة قتلت .

وأُم سعد قتلت فيما ذكره ابنُ إسحاق ، ويحتمل كما قال الحافظ – رحمه اللهُ – تعالى – أَن تكون أَرنب ، وأُم سعد القينتان . واختلف فى اسمِهما باعتبار الكُنيةِ واللَّقَب .

---

(١) جاء فى شرح المواهب ٢ : ٣١٤ « وسارة مولاة لبعض بنى المطلب بن هاشم بن عبد مناف – كذا وقع بإبهام البعض عند ابن إسحاق ، ويقال فى تعيين هذا البعض كانت مولاة عمرو بن صيفى بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ، وهى التى وجد معها كتاب حاطب » وقيل كانت مولاة العباس وانظر السيرة الحلبية ٣ : ١٠٧ .

ذكر دخوله – صلى الله عليه وسلم – مكة وارسال طائفة من اصحابه أمامه وارادة بعض المشركين صدهم عن دخولهم ، وقتل المسلمين لهم

قال ابنُ إسحاق – رحمه اللهُ تعالى – وغيرُه : لَمَّا ذَهَبَ أبو سفيان إلى مكّة بعد ما عاين جنودَ اللهِ – تعالى – تمرّ عليه ، فانتهى المسلمون إلى ذى طوًى ، فوقفوا ينتظرون رسولَ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – حتَّى تلاحَقَ النَّاسُ ، وأقبلَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – فى كتيبته الخضراء ، وهو على ناقته القصواء ، مُعْتَجرا بشقّ بُرد حِبَرة حمراء .

وعن أنسٍ – رضى اللهُ عنه – قال : لَمَّا دَخَلَ رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلم – استشرفه النَّاسُ ، فوَضَع رأسه على رحله متخشِّعًا ، رواه الحاكم بسندٍ جيّد قوىٍّ ، ورواه أبو يَعْلَى من طريق آخر ، وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : دخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يومئذ وعليه عمامة سوداء ، ورايتهُ سوداء ، ولواؤه أسود حتَّى وقف بذى طوًى ، وتوسَّطَ الناس ، وإنَّ عُثْنُونَهُ[1] ليَمَسّ واسطة رحله ، أو يَقْرُبُ منها تواضُعاً لله عزّ وجلّ حين رأى ما رأى مِنْ فتح الله تعالى ، وكثرة المسلمين ، ثم قال : « اللهُمَّ إنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرَة» قال : وجعلت الخيلُ تمعج بذى طُوى فى كل وَجْه ، ثُمَّ ثابت وسكنت حين توسطهم رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – رواه محمد ابن عمر .

وعن أنسٍ – رضى اللهُ تعالى عنه : أنَّ رسولَ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – دخل مكَّة وعليه عمامة سوداء بغير / إحرام ، رواه الإمام أحمد ، ومُسلم ، والأربعة . ٢٣٩ ظ

وعن عمرو بن حريث – رضى الله عنه قال : كأنِّى أنظر إلى رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يومَ فتح مكَّةَ ، وعليه عِمَامَةٌ سوداء خَرْقَانِيَّة[2] ، وقد أرخى طرفها

---

(١) العثنون : اللحية (شرح المواهب ٢ : ٣٣٠) .

(٢) كذا فى الأصول بالخاء : نسبة إلى خرقان قرية من قرى همذان (ياقوت) وبالحاء المهملة كما فى شرح المواهب ٢ : ٣١٩ – نسبة إلى الحرقة بالضم ثم الفتح . ناحية بعمان (ياقوت) .

بين كتفيه ، رواه مسلم ،وعن عائشة – رضى اللهعنها – قالت : دخلَ رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – يومَ الفتح من كَدَاءَ من أعلى مكّة ، رواهْ البخارى ، والبيهقىُّ .

وعن جابرٍ – رضى اللهُ عنه – قال : كان لواء رسولِ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – يومَ دخل مكة أبيض ، رواه الأَربعةُ .

وعن عائشة – رضى الله عنها – قالت : كان لواءُ رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يومَ الفتح أَبيض ، ورايته سوداء تُسَمَّى العُقاب ، وكانت قطعة مِرْط مُرَحّل ، رواه ابن إسحاق .

وعن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : لَمَّا دخل رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – مكة عام الفتح ، رأى النِّساءَ يَلطمْنَ وُجُوهَ الخيل بالخُمُر ، فتبسّم إلى أَبى بكرٍ ، فقال : « يا أَبا بكر كيف قال حسان » فأَنشده أبو بكر ، قول حسّان – رضى الله عنهما :

علمت بُنَيَّتِى إن لم تَرَوْهَـــا تثير النَّقعَ من كنفى[1] كداء
ينازعـــن الأَعنَّـــة مُسْرَجَات يُلَطِّمُهُنَّ بالخُمُـــر النساء

فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « ادخلوها من حيث قال حسّان » .

وفى الصحيح وغيره عن عروة : « أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أمر الزُّبَير ابن العوّام أن يَدْخُلَ مِنْ كَدَاء من أعلى مكة ، وأن يغرز رايته بالحَجُون ، ولا يبرح حَتَّى يأتيه » . وفى الصحيح أيضاً عن العبَّاس أنَّه قال للزبير بن العَوَّام : يا أبا عبد الله هَاهُنَا أمرك رسولُ اللهِ صَلَّى الله عليه وسلَّم – أن تركز الراية ؟ قال : نعم .

---

(١) كذا فى الأصول : وفى ديوان حسان بن ثابت ص ١٢ ط السعادة :

عدمنـــا خيلنـــا إن لم تـــروهـــا تثـــير النقـــع موعـــدها كداء

ومطلع القصيـــدة :

عفت ذات الأصابع فالجـــواء إلى عـــذراء منزلها خـــلاء

قال : وأَمَرَ رسولُ الله - صلى اللهُ عليه وسلَّم - خَالِدَ بنَ الوليد - وكان على المُجَنَّبَةِ اليُمْنى ، وفيها أَسْلَم ، وسُلَيم ، وغِفَار ، ومُزَيْنَة ، وجُهَيْنة ، وقبائل مِنَ العرب - أن يدخلوا من اللِّيط ، وهو أسفل مكة ، وأمره أن يغرز رايته عند أدنى البيوت[1]

وأمَّر[2] أبا عبيدة بن الجراح - رضى الله عنه - على الحُسَّر[3] ، كما عند الإمام أحمد.

وفى صحيح مسلم عن [عبد الله بن رباح[4]] أن أبا عبيدة كان على البَيَاذقة[5] ، يعنى الرجالة .

وعند ابن إسحاق وعبد الله بن أبى نجيح أن أبا عبيدة بن الجراح أقبل بالصَّفِ من المسلمين يَنْصَبُّ لمكة بين يدَى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

قالُوا : وأمر رسولُ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - أُمَراءَه أن يكفوا أَيْدِيَهم ، ولا يقاتلُوا إلاَّ مَنْ قاتلهم ، قال ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر رحمهما الله تعالى : إنَّ صَفْوَان بنَ أميّة وعِكْرِمة بن أَبى جَهْل ، وسُهَيْلَ بن عمرو ، - وأسلموا بعد ذلك - دَعوا إلى قتال رسول اللهِ - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - وَجَمَعُوا أُناساً بِالخَنْدَمَة وضوى إليهم ناسٌ مِنْ قريش ، وناسٌ من بنى بكر ، وهُذَيْل ، ولبسوا السلاح ، يُقْسِمُون بالله لا يَدْخُلها محمد عَنْوةً أبدا ، وكان رجل من بنى الدِّيل يقال له جِمَاش[6] / - بكسر الجيم وتخفيف الميم - وبالشين المعجمة - بن قَيْس بن خالد لَمَّا سَمِعَ بدخول رسولِ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - جعل يُصْلِحُ سلاَحَه ، فقالت له امرأَتُه : لمن تُعِدُّ هذا ؟

٢٤٠ و

---

(١) بعد هذا بياض فى ت ، ط ، م بمقدار خمس كلمات . أما فى ص فلا يوجد أى بياض ٢ : ٢٠٦ والكلام متصل كما ترى .

(٢) كذا فى الأصول . وفى شرح المواهب ٢ : ٣١٧ « وبعث أبا عبيدة الخ » .

(٣) الحسر : الذين بغير سلاح أولا دروع لهم (شرح المواهب) ٢ : ٣١٧ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٩٧) .

(٤) بياض فى الأصول ، والمثبت عن صحيح مسلم ٣ : ١٤٠٧ تحقيق عبد الباقى .

(٥) البياذقة : كلمة فارسية معربة تعنى الرجالة (شرح المواهب ٢ : ٣١٧) .

(٦) جماش - كذا هنا وهو يخالف ماسيرد فى شرح الغريب ص حيث جاء « حماس بكسر الحاء المهملة وتخفيف الميم وبعد الألف سين مهملة » ويصحح الأخير ما ورد فى المغازى للواقدى ٢ : ٨٢٧ ، ونهاية الأرب للنويرى ١٧ : ٣٠٦ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢٩٦ .

قال : لمحمد وأَصْحَابِه ، قالت : واللهِ ما أرى يَقُومُ لمحمد وأصحابه شيء . قال : والله إنى لأَرجو أن أُخْدِمَكِ بَعْضَهُم فإنّك محتاجةٌ إليه. قالت : وَيْلَك : لا تفعل ، ولا تقاتل محمدا والله لَيَضُلن عنك رأيُك ، لو قد رأيتَ محمداً ، وأصحابَه ، قال سترى ثم قال :

إنْ يُقْبِلُوا اليَوْمَ فَمَالِى عِلَّهْ هذا سلاح كَامِــــلٌ وأَلَّة
وَذُو غِرَارَيْن سَرِيْعُ السَّلَّة

ثم شهد الخَنْدَمَة مع صَفْوَان ، وسُهَيْل بن عمرو ، وعِكْرِمة ، فلما دخل خالدُ بنُ الوليد من حيث أمره رسولُ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم ــ وجد الجمعَ المذكور ، فمنعوه الدُّخولَ ، وشهرُوا له السِّلاح ، ورموه بالنبل ، وقالُوا : لا تدخلها عَنْوَةً ، فصاح فى أَصحابه فقاتلهم ، وقُتِلَ منهم أربعة وعشرون رجلاً مِنْ قُرَيش ، وأربعةٌ من هُذَيل .

وقال ابن إسحاق : أُصيبَ مِنَ المشركين قريبٌ من اثنى عشر أو ثلاثة عشر ، وانهزموا أقبح الانهزام ، حتَّى قتلوا باالحَزْوَرة ، وهم مُوَلُّون فى كُلِّ وَجْه ، وانطلقَتْ طائفةٌ منهم فوق رءُوس الجبال ، وأتبعهم المسلمون .

قال محمد بن عمر ــ رحمه الله تعالى ــ وجعل خَالِدُ ــ رضى اللهُ عنه ــ يتمثَّلُ بهذه الأَبيات :

إِذَا مَا رسُولُ اللهِ فِينَا رأيتـــه كَلُجَّةِ بحرٍ نالَ فيها سريرُهــا
إذا ما ارتدينا الفارسية فوقهــا رُدَيْنِيَة[1] يَهْدى الأَصمَّ خَرِيرُها
رأينا رسول الله فينا مُحَمَّـــــدًا لهـــا ناصِرًا عزّت وعَزَّ نصيرُها

قال ابن هشام : وكان شِعارُ المهاجرين من أصحاب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يومَ فتح مكَّة وحُنَين والطَّائف : يا بَنِى عبد الرحمن ، وشِعَارُ الخَزْرَج : يا بنى عبد الله ، وشِعَارُ الأَوْس : يا بنى عُبيد الله .

---

(١) الردينية : القناة والرمح الرديني . زعموا أنه منسوب لامرأة السمهرى وتسمى ردينة ، وكانا يقومان القناة بخط هجر (الصحاح ٢١٢٢)

وجعل أبُو سفيان بن حرب وحكيم بن حِزَام يصيحان : يا معشر قريش عَلاَم تَقْتُلُون أَنْفُسَكم ؟! مَنْ دَخَلَ داره فهو آمن ، وَمَنْ وضَعَ السِّلاحَ فهو آمن ، فجعل النَّاس يقتحمون الدُّور ويَغْلِقُون عليهم ، ويطرحون السِّلاح فى الطُرق حَتَّى يأخذه المسلمُون ، ورجع حمَاس[١] مُنْهَزِمًا حتى انتهى إلى بيته ، فَدَقَّه ، ففتحت له امرأته ، فدخل وقد ذهبت روحه ، فقالَتْ له : أين الخادم الذى وعَدْتَنى ؟ ما زلتُ منتظرةً لك منذ اليوم – تسخر منه – فقال : دَعِى هذا عنك ، وأغلقى عَلَىَّ بابى ، ثم قال :

إنَّكِ لَوْ شَهِدْتِ يَوْمَ الخَنْدَمَهْ   إذْ فَرَّ صَفْوَانُ وَفَرّ عِكْـرِمَهْ
وَأَبُو يَزِيدٍ كالعجوز المُؤْتِمَهْ   وَاسْتَقْبَلَتْهُمْ بالسُّيوفِ المُسْلِمَـهْ
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِـدٍ وجُمْجُمَهْ   ضَرْباً فلاَ تُسْمَعُ إلاَّ الغَمْغَمَهْ / ٢٤٠ ط
لَهُمْ نَهِيتٌ خَلْفَنَا وَهَمْهَمَـهْ   لَمْ تَنْطِقِى فِى اللَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَهْ[٢]

وأقبل الزّبير – رضى الله عنه – بمن معه من المسلمين حتى انتهى إلى الحَجُون عند منزلِ رسولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم – ولم يُقْتَل من المسلمين إلاَّ رجُلاَن من أصحاب الزُّبير ، أخطأا الطَّريق فسلكا غيره فَقُتِلاَ ، وهما كُرْز بن جابر[٣] الفِهْرِىّ ، وحُبَيْش[٤] – بحاء مهملة مضمومة ، فموحَّدَة مفتوحة ، فتحتية ساكنة فشين معجمة – بن خالد بن ربيعة بن الأشعر – بشين معجمة ، وعين مهملة – الكعبى – رضى الله عنهما – ومضى رسول الله – صَلَّى الله عليه وسلم – فدخل مكة من أذاخِر[٥] ، فلما ظهر على أذاخِر ، نظرَ إلى البارقة مع فَضَضِ المشركين ، فقال : « مَا هَذِهِ الْبَارِقة ؟! أَلَمْ أَنْهَ عَنْ القِتَال ؟ »

---

(١) أنظر التعليق فى الصفحة السابقة . فقد ورد أنه « جماش » بشين معجمة .

(٢) لم تنطق فى اللوم أدنى كلمة . كذا فى الأصول وفى السيرة الحلبية ٢ : ٢١٨ ط سنة ١٣٤٩ هـ « لاتنطق » .

(٣) هو كرز بن جابر بن حسن بن لاحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك القرشى الفهرى أسلم بعد الهجرة ، ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيش الذى بعثه فى أثر العرينين الذين قتلوا راعيه . (الاستيعاب فى أسماء الأصحاب ٣ : ٢٩٢ ، ٢٩٣) .

(٤) هو حبيش بن خالد بن سعد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن حبيش بن حرام بن كعب بن عمرو الخزاعى ، يكنى أباصخر ، وهو أخو أم معبد (الإصابة ١ : ٣٠٩) .

(٥) أذاخر : ثنية بين مكة والمدينة « شرح المواهب ٢ : ٣١٠ ، ويقال موضع قرب مكة ينسب إليه نبت أذاخر (وفاء الوفا ٤ : ١١٢٣) .

قالوا : يا رسول الله ، خالدُ بن الوليد قُوتل ولو لم يُقَاتَل ما قَاتَل ، وما كان يا رسول اللهِ ليعصيك ، وَلَا يخالف أمرك ، فقالَ رسولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عليهوسلَّم - « قضَاءُ اللهِ خَيْر » .

وروى الطَّبرانى عنْ ابن عبَّاسٍ - رضىَ الله عنهما - أن رسولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - خطبَ ، فقال : « إنَّ اللهُ حَرَّمَ مَكَّةَ[1] » الحديث ، فقيل : هذا خالد يَقْتُل ، فقال : « قُمْ يَا فُلَانَ فَقُلْ لَه فَلْيَرْفَع يَدَيْه من الْقَتْل » فأتاه الرَّجُل ، فقال له : إن رسولَ اللهِ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم - يقولُ لك ، اُقْتُل مَن قَدَرْت عليه ، فقتل سبعين ، فَأُتِى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - فَذُكِرَ له ذلك ، فأَرسلَ إلى خالد « أَلم أَنْهَكَ عن القتل ؟! » فقال : جاءَنى فلان فأمرنى أن أَقْتُلَ مَنْ قَدَرتً عليه ، فأَرسلَ إليه « أَلم آمُرك أَنْ تُنْذر خَالِدًا ؟ » قال : : أردتَ أمرا فأَرادَ اللهُ أمرا ، فكان أَمرُ الله فوقَ أمرِكَ ، وما استطعت إلاَّ الذى كان ، فَسَكَتَ رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - ماردّ عليه[2] .

وروى الإمام أحمد ، ومسلمُ ، والبيهقىُّ ، وغيرهم عن أَبى هريرة - رضى الله عنه - قال : لَمَّا كان يومُ فتح مكة ، وَبَّشت قريش أَوْبَاشًا لَهَا وأَتْبَاعا ، فقالوا : نُقدِّم هؤلاء ، فإن كان لهم شيء كنا معهم ، وإن أصيبوا أُعْطِينَا الذى سُئلنا فرآنى رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - فقال : « يَا أَبَا هُرَيْرَة » قلتُ : لبيك ، قال : « اهْتِفْ بِالْأَنْصَار ، وَلَا يَأْتِينِى إلاَّ أَنْصَارِى » قال : فَفَعَلْت ما أمرنى به ، فأتوه ، فقال : « انْظروا قريشاً وأَوْبَاشهم فَاحْصُدُوهُمْ حَصْدًا » ثم قال بيديه إحداهُمَا عَلَى الْأُخرى ، فَانطلقْنَا فما أَحَدٌ يوجّه إلينا شيئاً ، وما منا أَحدٌ يريدُ أحداً منهم إلاَّ أخذه ، فجاءَ أَبو سفيان

---

(١) ونص الحديث « أيها الناس ، إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهى حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة ، فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما ، أو يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص فيها لقتال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أحلت لى ساعة من نهار ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب » شرح المواهب ٢ : ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

(٢) قيل : وهذا الرجل أنصارى فيحتمل أنه تأول ، ويحتمل أنه سبق إلى سمعه ما أمر به خالداً كما قد يرشد إلى كل من الاحتمالين قوله : « وأراد الله أمراً » الخ (شرح المواهب ٢ : ٣١١) .

ابن حربٍ فقال : يا رسولَ اللهِ ــ أُبيدَت خَضْراءُ قريش ، لاَ قُرَيْشَ بعد اليوم . فقال رسولُ الله ــ صَلَّى الله عليه وسلَّم ــ « مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِى سُفْيَانَ فَهُوَ آمن ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلاَحَ فَهُوَ آمن » فأَلْقى النَّاسُ سِلاَحَهُم .

وروى محمد بن عمر عن جابر ــ رضى الله عنه ــ قال : كنت ممن لَزِمَ رسولَ الله ــ صَلَّى / الله عليه وسلم ــ فدخلتُ معه يوم الفتح فَلَمَّا أَشْرفَ رسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من أَذَاخِرِ ، ورأَى بيوت مكَّة ، وقف عليها فَحَمَدَ الله ــ وأَثنى عليه ، ونظر إلى موضعِ قُبَّته فقال : هَذَا منْزِلنَا يا جابر حَيْثُ تَقَاسَمَتْ[1] قُرَيْشٌ عَلَيْنَا فى كُفْرِهَا » قال جابر : فذكرتُ حديثاً كنتُ سمعته منه قبل ذلك بالمدينة ، « مَنْزِلُنَا إِذَا فَتَحَ الله علينا مكَّة فى خَيْفِ[2] بَنِى كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا على الكُفْرِ » .

٢٤١ و

* * *

ذكر قراءته ــ صلى الله عليه وسلم ــ سورتى الفتح والنصر فى يومه

عن عبد الله بن مُغَفَّل ــ بضم الميم ، وفتح الغين المعجمة ، والفاء المشددة ، وباللاَّم ــ رضى الله تعالى عنه ــ قال : رأَيتُ رسولَ اللهِ ــ صَلَّى الله عليه وسلَّم ــ يوم فتح مكَّة على ناقته ، وهو يقرأُ سورة الفتح ، يُرَجِّع صَوْتَه بالقراءة ، قال معاويةُ بن قُرَّة : لولا أَن يجتمع الناس حَوْلِي لرجَّعْتُ كَمَا رَجَّع عبدُ الله بنُ مُغَفَّل يحكى قراءَة النَّبى ــ صَلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال شعبة : فقلتُ لمعاويَة : كيف كان ترجيعه ؟ قال : ثلاث مرّات ، رواه البخاريّ فى التفسير وفضائِل القرآن والمغازى والتوحيد ، ومسلم فى الصَّلاة ، والنسائى ، والحاكم .

وروى الطبرانى عن أَبى سعيد الخُدْرى ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسولُ اللهِ ــ صَلَّى الله عليه وسلَّم ــ يوم الفتح « هَذَا مَا وَعَدَنى رَبِّى » ثم قرأَ : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ[3] ﴾

---

(١) المراد تحالف قريش و كنانة على بن هاشم وبنى المطلب ألا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (السيرة الحلبية ٣ : ٩٨ ، شرح المواهب ٢ : ٣٢٦) .

(٢) الخيف : هو ما انحدر من غلظ الجبل و ارتفع عن مسيل الماء (شرح المواهب ٢ : ٣٢٥) .

(٣) سورة النصر آية ١ .

ذكر منزل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الفتح

روى محمد بن عمر عن أبي جعفرٍ ـ رحمه الله تعالى ـ قال : كان أبو رافعٍ قد ضَرَبَ لرسولِ اللهِ ـ صَلَّى الله عليه وسلَّم ـ قُبَّةً بالحَجُون من أدمَ ، فأَقبل رسولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ حَتَّى انتهى إلى القُبَّة ، ومعه أُمُّ سَلَمَة ، ومَيْمُونَة زوجتاه .

وروى البخاريُّ وغيرهُ عن أُسامَةَ بنِ زيد ـ رضى اللهُ عنهما ـ أنه قال : يا رسولَ الله : أنَّى تَنْزِل غَدًا ؟ تنزل فى دارك ؟ قال : « وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عقِيل مِنْ رِباعٍ أَوْ دَار » وكان عَقِيل ورث أَبا طالب هو وأَخوه طالب ، ولم يرثه جعفر ولا على ـ رضى الله عنهما ـ لأَنَّهُما كانا مسلمين ، وكان عَقِيل وطالب كافرين ـ أَسلم عقيل بعد .

وروى البخارى ، والإمام أَحمد عن أَبى هُريرة ـ رضى الله عنه ـ : أَن رسولَ الله ـ صَلَّى الله عليه وسلم ـ قال : « منزلنا إنْ شَاءَ الله تعالى إذا فتح الله بِخَيْفِ بنى كِنَانة حيث تَقَاسَمُوا على الكفر » يعنى بذلك المُحَصّب ، وذلك أَن قُرَيشًا وَكِنَانة تَحَالَفت على بنى هاشم ، وبنى المطلب أَن لا يناكحوهم ولا يُبَايعوهم حَتَّى يُسْلِمُوا إليهم رسولَ اللهِ ـ صَلَّى الله عليه وَسَلَّم .

وروى محمد بن عمر عن أَبى رافع / ـ رضى اللهُ عنه ـ قال : قيل لِلنَّبِى ـ صَلَّى الله عليه وسلَّم ـ أَلاَ تنزل مَنْزِلَكَ مِنَ الشِّعْب ؟ فقال : « وهل تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مَنْزِلاً ؟» وكان عَقِيل قد باع مَنْزِل رسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ ومَنْزِلَ إخوته من الرِّجال والنِّساء بمكة ، فقيل لرسولِ الله ـ صَلَّى الله عليه وَسَلَّم ـ فانزل فى بعض بيوت مَكَّة غير منازلك ، فَأَبَى رسولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّم ـ وقال : « لا أَدْخُلُ البُيُوت » ولم يزل رسولُ الله ـ صَلَّى الله عليه وسلَّم ـ مضطربا بالحَجُون لم يدخل بيتاً ، وكان يأتى المسجدَ لكل صلاة مِنَ الحَجُون .

٢٤١ ط

ذكر اغتساله — صلى الله عليه وسلم — يوم الفتح وصلاته وقت الضحى شكرا لله تعـــالى

عن أُم هانىء[١] — رضى الله عنها — قالت : لما كان عام يوم الفتح فَرَّإِلَيَّ رجلان من بنى مخزوم فأَجرتهما ، قالت : فَدَخَلَ عَلَيَّ عَلِيٌّ فقال : أَقتلهما ، قالت : فلما سَمِعْتُه يقول ذلك أتيتُ رَسُولَ اللهِ — صَلَّى الله عليه وسلم — وهو بأَعلى مَكة ، فَلَمَّا رآنى رَسولُ الله — صلَّى الله عليه وَسَلَّم — رَحَّبَ وَقَال : « مَا جَاءَ بِكِ يَا أُمَّ هَانِئٍ ، قالت : قلت يا رسول الله ، كُنْتُ أَمَّنْتُ رَجُلين[٢] مِنْ أحمائى ، فأَراد عَلِيٌّ قتلهما ، فقال رسولُ الله — صَلَّى الله عليه وسلَّم — قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ » ، ثم قام رسولُ الله — صَلَّى الله عليه وسلم — إلى غُسله فَسَتَرته فاطمة ، ثم أَخَذَ ثَوْباً فَالتحف به ، ثمصلَّى رسولُ الله — صلى الله عليه وسلَّم — ثَمَانِ ركعاتٍ سُبْحَةَ الضُّحَى ، رواه مسلم والبيهقى .

وعنهما أَنَّ رَسُولَ الله — صَلَّى الله عليه وسلَّم — يوم فتح مكة اغتسل فى بيتها ، وَصَلَّى ثمانِ ركعات ، قالت : لم أَره صَلَّى صلاةً أخف منها ، غَيْرَ أَنَّه يتم رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا . رواه البخارى والبيهقى .

* * *

ذِكْرُ رَنِّ ابليس وحُزْنه وكيد الجن لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — وزجرهم عنه ودعاء نائلة بالويل

روى أبو يَعْلى ، وأبو نُعيم عن ابن عبّاس — رضى الله عنهما — قال لَمَّا فتح رسولُ الله — صلَّى الله عليه وسلَّم — مَكّة رَنَّ إبليس رَنَّةً فاجتمعَتْ إليه ذُرِّيَّته ، فقال : إيأَسوا أن تَردُّوا أُمَّةَ محمد إلى الشِّرك بعد يومكم هذا ، ولكن أَفْشُوا فيها — يَعْنِى مكة — النَّوْحَ والشِّعر .

---

(١) هى بنت أبى طالب الهاشمية قيل اسمها فاختة ، وقيل هند ، وقيل فاطمة . أسلمت عام الهجرة ولها صحبة ولها أحاديث وماتت فى خلافة معاوية وروى لها السبعة (شرح المواهب ٢ : ٣٢٦) .

(٢) الرجلان هما : الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشى المخزومى أبو عبد الرحمن المكى . شقيق أبو جهل . من مسلمة الفتح . استشهد فى خلافة عمر ، روى له ابن ماجة . والثانى : هو زهير بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومى أخو أم سلمة أم المؤمنين — ذكر فى المؤلفة قلوبهم . وقال عنه ابن إسحاق : كان ممن قام فى نقض الصحيفة ، وأسلم وحسن إسلامه كما قال ابن هشام عبد الملك ، وقيل الثانى هو عبد الله بن أبى ربيعة . وقيل أنهما : الحارث وهبيرة بن أبى وهب — وليس بشىء لأن هبيرة هرب عند الفتح . وقيل الثانى جعدة بن هبيرة ، وفيه أنه كان صغير السن فلا يكون مقاتلا عام الفتح . (شرح المواهب ٢ : ٣٢٧) .

وروى ابن أَبِى شيبة عن مَكْحُول ـ رحمه الله ـ أن رسول الله ـ صَلَّى الله عليه وسلَّم ـ لَمَّا دَخَلَ مَكَّة تلقَّته الجنُّ يرمونه بالشَّرَر ، فقال جبريلُ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ تعوَّذْ يا محمد بهؤلاءِ الكلمات : « أعوذ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ الَّتِى لا يُجَاوِزهُن بَرٌّ وَلَا فَاجر ، من شر ما ينزلُ مِنَ السَّماءِ وَمَا يَعْرجُ فِيها ، وَمِنْ شَرِّ مَا بُثَّ فِى الأَرْضِ، وَمَا يَخْرُجُ مِنْها ، وَمِنْ شَرِّ اللَّيْلِ والنَّهارِ ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ يَطْرُق إلاَّ بِخَيْرٍ يَا رَحْمٰن » .

وروى البيهقى عن ابن أَبْزَى ـ بفتح الهمزة ، وسكون الموحدة / وبالزاى ، وألف تأنيث مقصورة ـ رحمه الله تعالى ـ قال : لَمَّا فتح رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ مَكَّةَ جاءت عجوزٌ حَبَشِيَّةٌ شمطاءُ تَخْمِشُ وَجْهَهَا ، وتَدْعو بالوَيْل ، فقال : « تلك نَائِلَة ، أَيِسَتْ أَنْ تُعْبَدَ بِبَلَدِكُم هَذَا أَبَدًا » .

٢٤٢ و

* * *

ذكر إسلام ابى قحافة عثمان بن عامر والد ابى بكر الصديق ـ رضى الله عنهما(١)

روى الإمامَ أحمد ، والطبرانى برجالٍ ثقات ، ومحمد بن عمر ، والبيهقى عن أسماء بنتِ أَبِى بكر الصديق ـ رضى الله عنهما ـ قالت : لما كان عام الفتح ، ونزل رسولُ الله ـ صَلَّى الله عليه وسلَّم ـ بذى طَوًى ، قال أَبو قُحافة لابنة له ـ قال الْبَلَاذُرى ـ اسمها أسماءُ ، قال محمد بن عمر تسمى : قُرِيبَة ـ ضدّ بَعِيدَة ، كانت مِنْ أصغر ولده : يا بنيّة ، أشرفى بى على أَبِى قُبَيْس ـ وَقَدْ كُفَّ بَصَرُه ـ فَأَشْرَفَتْ بِهِ عليه ، فقال : أَى بُنَيَّة !! مَاذا ترين ؟ » قَالَت : أَرى سواداً مجتمعاً كثيراً ، وأَرى رجُلا يشتدُّ بين ذلك السواد مُقْبلاً ومُدْبِراً ، فقال : ذلك الرجل الوازع ، ثم قال : ماذا ترين ؟ قَالَت : أَرى السوْاد قد انتشر وتفرَّق ، فقال : والله إذن انتشرت الخيل ، فأَسرعى بى إلى بيتى ، فخرجتُ سريعاً حَتَّى إذا هبطتُ به الأَبْطَح لَقِيَتهَا الخيلُ ، وفى عُنقِهَا طَوْقٌ لها من وَرِق ، فاقتلعه إنسانٌ مِنْ عُنُقِهَا ، فلما دخل رسول الله ـ صلَّى الله عليه

(١) أنظر إسلام أبى قحافة فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٠٥ ، والسيرة الحلبية ٣ : ١٠٢ ، والمغازى للواقدى ٢ : ٨٢٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٥٧ ، ونهاية الأرب للنويرى ١٧ : ٣١٠ .

وسلَّم ـ المسجد ، خرج أَبو **بكر** بأَبيه ـ رضى الله عنهما ـ يقوده ، وكأن رأْس أَبى قُحافة ثَغَامَة ، فلما رآه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال : هلاَّ تركْتَ الشيْخَ فى بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتيه فيه » ؟ فقال أَبو بكر : يا رسولَ الله ، هو أَحق أَن يمشى إِليك من أَن تَمْشِى أَنت إِليه ، فأَجلسه بين يَدَىْ رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ فمسح رسولُ الله ـ صَلَّى الله عليه وسلم ـ صدْرَه ، وقال : أَسْلِمْ تَسْلَم ، فأَسلم ، ثم قام أَبو بكر فأَخذ بيد أُخته فقال : أَنشدكم بالله والإِسلام طَوْقَ أُختى. فوالله مَا جاءَ[1] به أَحد ، ثم قال الثالثة فما جاءَ به أَحد ، فقال : يا أُخيَّة ، احْتَسِبى طَوْقك ، فوالله إِنَّ الأَمانة فى الناس اليوم لقليل .

وروى البيهقى بسندٍ جيّد قوىٍّ قال : أَخبرنى ابن جُرَيج عن أَبى الزبير عن جابرٍ : أَن عُمَرَ بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أَخذ بيد أَبى قُحافة ، فَأَتَى به رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فلما وقف به على رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال : غَيِّرُوه وَلَا تُقَرِّبُوه سوادا .

قال ابن وهب : وأَخبرنى عمر بن محمد عن زيد بن أَسلم : أَن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ هنأَ أَبا بكرٍ بإِسلامِ أَبيه .

وروى الإِمام أَحمد ، وابن حِبَّان عن أَنس ـ رضى الله عنه ـ قال : جاءَ أَبو بكر بأَبيه أَبى قحافة إِلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يوم فتح مكة يحمله حَتَّى وضعه بين يديه فقال لأَبى بكر / : « لَوْ أَقْرَرْتَ الشَّيْخَ فِى بَيْتِهِ لأَتَيْنَاه » ـ تكرمةً لأَبى بكر ـ فأَسلم ورأْسه ولحيته كالثَّغَامَة ، فقال غيروهما قال قتادة هو أَول مخضوب فى الإِسلام . وروى مسلم عن جابر قال : أَتى بأَبى قحافة عام الفتح ورأْسه ولحيته مثل الثغامة؛ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : غيروا هذا بشئ وجنبوه السواد

٢٤٢ ط

قال الْبَلَاذُرِىُّ : وَرَمَى بعْضُ المسلمين أَبا قُحافة فشجّه ، وأُخِذَت قِلَادَةُ أَسماءَ ابنته ، فأَدركه أَبو بكر وهو يستدمى ، فمَسَح الدَّمَ عَنْ وجهه انتهى .

---

(١) كذا فى ت ، ط ، م . وفى ص « فما أجابه أحد » .

قالوا : وجاءَ خالد بن الوليد إلى رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فَقَال له : « لِمَ قاتَلْتَ ، وَقَدْ نهيت عَن القِتَال » ؟ قال : هم يارسول الله بَدَءُونَا بالقتال ، وَرَشَقُونَا بالنَّبْل ، وَوَضَعُوا فينَا السلاح ، وَقَدْ كَفَفْتُ ما استطعت ، وقد دَعَوْتهُم إلى الإسلام ، وأن يدخلوا فيما دَخَلَ فيه الناس ، فَأَبوا ، حَتَّى إذا لم أجد بُدًّا قاتلتهم فَظَفَّرنا الله – تعالى – عليهم ، فهربوا فى كُلِّ وجه يا رسول الله ؛ فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : « كُفَّ عَن الطَّلَب » قال : قد فعلت : فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – « قضاءُ اللهِ خير » ثم قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم : كُفُّوا السِّلَاحَ إلا خُزَاعَةَ عَنْ بَنِى بَكْرٍ إلى صلاة العصر ، فَخَبطَوهُم ساعة ، وهى الساعةُ التى أُحِلَّتْ لرسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ولم تَحِلَّ لأَحدٍ قبله .

* * *

ذكر دخوله – صلى الله عليه وسلم – المسجد وطوافه وما وقع فى ذلك من الآيات

قالوا : مكث رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم فى منزله ساعة من النَّهار حَتَّى اطمأَن النَّاس ، فاغتسل ، ثم دعا براحلته القصواء ، فأُدنيت إلى باب قُبَّته ، وعاد لِلُبْسِ السِّلاح والمغفَر على رأسه ، وقد حَفَّ الناس به ، فركب راحلته والخيل تمعج بين الخندمة إلى الحَجُون ، ومَرَّ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم – وإلى جنبه أبو بكر الصِّديق يسير معه يحادثه ، فَمَرَّ ببَنَاتِ أَبِى أُحَيْحَة وَقَدْ نَشَرْنَ شُعُورَهُنَّ – يَلطمن وُجُوهَ الخيل بالخُمُر ، فنظر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم إلى أَبى بكر فتبسم وذكر بَيْتَ حسان بن ثَابِتْ ، فأَنشده أَبو بكرٍ رضى الله عنه :

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ
يُلَطِّمُهُنَّ بِالخُمُرِ النِّسَـاءُ[1]

فلما انتهى رسول الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ إلى الكعبة فرآها ومعه المسلمون تقدَّم على راحلته ، واستلم الركن بمحجنه ، وكبر ، فكبَّر المسلمون بتكبيره ، فرجَّعُوا التكبير

(١) وفى شرح المواهب ٢ : ٣٠٩ فتبسم إلى أبى بكر وقال : يا أبا بكر كيف قال حسان . فأنشده قوله :

عدمت بنيتى إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مسرجات يلطمهن بالخمر النساء

والبيت المذكور يختلف فى شطره الأول عن المذكور فى شرح المواهب وعن السابق ذكره فى ص ٣٤٣ .

حَتَّى ارتجَّت مكة تكبيراً حَتَّى جَعَل رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم يُشيرُ إليهم أن اسكتوا – والمشركون فوق الجبال ينظرون – وطَافَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم بالبيت ، آخذًا بزمام النَّاقة محمد بن مسلمة ، فأقبل على الحَجَرِ فاستلمه ، ثم طاف بالبيت .

٢٤٣و وروى أبو نعيم ، والبيهقى مِنْ طريق / عبد الله بن دينار ، وأبو نعيم من طريق نافع كِلاَهُمَا عن ابن عمر – رضى الله عنهما – وأبو نُعيم والبيهقى من طريق سعيد بن جبير وابن اسحاق والبيهقى وأبو نعيم ، وابن مندة ، ومحمد بن عمر عن ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – أن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – دخل مكَّةَ يوم فتح مكة ، وحَوْلَ الكعبة ثلاثمائة وستون صَنَماً مُرَصَّعة بالرَّصَاص ، وكان هُبَلُ أعظمها وهو وجاه الكعبة ، وإساف ونائلة حيث ينحرون ويذبحون الذَّبائح ، وفى يَدِ رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وسلم – قَوْسٌ وقد أخذ بِسِيَةِ القوس ، فجعل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم كُلَّمَا مَرَّ بصنم مِنْهَا يشير إليه وَيَطْعَنُ فى عينه ويقول : ﴿ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً[1] ﴾ فَمَا يُشِير إلى صَنم إلا سقط لوجهه . وفى لفظٍ لقفاه ، من غير أن يَمَسَّه . وفى ذلك يقول تميمُ بن أسد الخزاعى :

فَفِى الْأَصْنَامِ مُعْتَبَرٌ وَعِلْمٌ
لِمَنْ يَرْجُو الثَّوابَ أو الْعِقَابَا

قال أئمة المغازى – رحمهم الله تعالى – : فطافَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم سبْعاً على راحلته يَسْتَلِم الرُّكنَ الأَسْوَدَ بِمِحْجَنِه كل طواف ، فلما فرغ من طوافه نزل عن راحلته .

وعند ابن أبى شيبة عن ابن عمر ، قال : فما وجدنا مَنَاخاً فى المسجد حَتَّى أُنزل على أيدى الرجال ، ثم خرج بها ، قالوا : وجاء مَعْمَر بن عبد الله بن نَضْلَة – بالنون ، والضاد المعجمة – فأخرج الرَّاحلة فأناخها بالوادى ، ثم انتهى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم ، إلى المقام – وَهُوَ لاَصِقٌ بالكعبة ، والدِّرع عليه والمِغْفَرُ وعمامته بين كتفيه ، فَصَلَّى

(١) سورة الإسراء آية ٨١ .

ركعتين ثم انصرف إلى زَمْزَم فاطلع فيها وقال : « لَوْلا أنْ تُغْلَبَ بَنُو عَبْدِ المُطَّلِبِ[1] لَنَزَعْتُ مِنْهَا دَلْواً » ، فنزع له العباس بن عبد المطلب - ويقال الحرث بن عبد المطلب - دَلْواً ، فشرب منه وتوضأ والمسلمون يبتدرون وَضُوءَ رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - يصبُّونه على وُجُوههم ؛ والمشركون ينظرون إليهم ويتعجَّبون ويقولون : ما رأيْنَا مَلِكاً قطّ أبلغ من هذا ولا سمعنا به .

وأمر بِهبَل فكُسِر وهو واقف عليه ، فقال الزُّبير بن العَوَّام لأبى سُفْيَان بن حرب : يا أباسفيان قد كُسِر هُبَل ، أما إنك قَدْ كنت منه يَوْمَ أُحُد فى غُرُور حين تزعم أنه أنعم ، فقال أبو سفيان : دع عنك هذا يابن العوام ؛ فقد أرى لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ماكان ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ناحية من المسجد والناس حوله .

وعن أَبى هريرة رضى الله عنه - قال : كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم يوم الفتح قَاعِداً ، وأبو بكرٍ قائم على رأس رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّمَ بالسيف . رواه البزار .

* * *

ذكر اكله - صلى الله عليه وسلم - عند أمّ هانىء رضى الله عنها[2]

روى الطبرانى عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنه أَنَّ رَسُولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قال لأُم هانئ يوم الفتح : هَلْ عِنْدَكِ / مِنَ طَعَامٍ نـأْكله » ؟ : قالت : ليس عندى إلَّا كِسرٌ يابِسَة ، وإنى لأَستحى أن ، أُقدِّمها إليك . فقال : « هَلُمِّى بِهِنَّ » فكسَّرهُن فى ماء ، وجاءت بملح ، فقال : « هَلْ مِنْ أدم » ؟ فقالت : ماعندى يارسول الله إلَّا شئٌ من خَلّ ، فقال : هَلُمِّيه » ، فَصبه عَلَى الطَّعَام وأَكَلَ مِنْه ثُم حَمِدَ الله ثم قال : « نِعْمَ الأُدُمُ الخَل ، يـأُمَّ هَانىء لَا يَفْقَرُ بَيْتٌ من أدم فيه خل »

٢٤٣ ظ

* * *

ذكر اطلاعه - صلى الله عليه وسلم - على ماهم به فضالة بن عمير بن الملوح

قال ابن هشام : حدثنى بعض أَهل العلم أَنَّ فَضَالَةَ بن عُمَيْر بن المُلَوَّ ح اللَّيْثى أَراد قَتْلَ رسولِ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّمَ وهو يَطُوفُ بالبيت - عام الفتح - فلما دَنَا منه

(١) أى يغلبهم الناس على وظيفتهم ، وهى النزع من زمزم (السيرة الحلبية ٣ : ١٠١) .

(٢) ورد هذا العنوان فى ت ، ط ، م قبل « ذكر اطلاعه صلى الله عليه وسلم على ما هم به فضالة الخ » وفى ص ورد بعد العنوان المذكور .

قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم « أَفَضَالَةٌ ؟ قال : نعم . قال : « مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ ؟ » قال : لاشئ ، كُنْتُ أذكر الله ، فَضَحِكَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّمَ ثم قَالَ : « اسْتَغْفِرِ الله » . ثم وضع يده على صدره فسكن ، وكان فضالَةُ يقول : والله مارفع يَدَه عن صدرى حتَّى ماخُلِقَ شئ أَحبّ إلىَّ منه ، ورجع فَضَالَة إلى أهله ، قال : فمررت بامرأة كنتُ أتحدث إليها ، فقالت : هلُمَّ إلى الحديث ، فقال لا . وانبعث فضالة يقول :

قالت هَلُمَّ إلى الحديث فقلت لَا
يـأْبى عَلَىَّ الله والإِسْلَامُ
إذ[1] ما رأَيْتِ محمّداً و قبيلَه
بالفتح يَوْمَ تُكَسَّرُ الأَصْنَـامُ
لرأَيتِ دِين الله أضحى بيِّناً
والشِّرْكَ يَغْشَى وَجْهه الإِظْلَامُ

ذكره أبو عمر فى الدُّرر ، ولم يذكره فى الاستيعاب ، وهو على شرطه ، وذكره القاضى فى الشفاء بنحوه .

* * *

ذكر الآية فى رفعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على بن أبى طالب رضى الله عنه ـ لالقاء صنم قريش

روى ابْن أَبى شيبة ، والحاكم عن على ـ رضى الله عنه ـ قال : انْطلق رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم حَتَّى أَتى بى الكعبة ، فقال : « اجْلِس » فَجَلَسْتُ بجنب الكعبة ، فَصَعِدَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ على منكبى فقال : « انهض » فنهضت ، فَلَمَّا رأى ضعفى تحته قال : « اُجْلِس » فجلست ، ثم قال : « يَاعَلِىّ ، اصْعَد عَلَى منكبى » ففعلت ، فلما نهض بى خُيِّل إلى لو شئتُ نِلْتُ أُفق السماء ، فصعدتُ فوق الكعبة ، وتنحَّى رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ فقال : « أَلقِ صَنَمَهُمْ / الأَكْبَر » وكان من ٢٤٤ و

(١) كذا فى الأصول ، وفى شرح المواهب ٢ : ٣٣٤ « لو ما رأيت محمداً وقبيله . . » .

نحاس موتَّدٍ بأَوتادٍ من حديد إلى الأَرض ، فَقَالَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم : « عَالِجْه » ويقول لى : « إيه إيه » « جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقا » . فلم أَزَلْ أُعالجُه حتَّى استمكنتُ منه

* * *

ذكر طلبه ــ صلى الله عليه وسلم ــ المفتاح من عثمان بن طلحة رضى الله عنه

روى محمد بن عمر عن عبد الله بن عمر ، وابن أَبى شيبة عن أَبى هريرة ـ رضى الله عنهما ـ ومحمد بن عمر عن علقمة بن أَبى وَقَّاص اللَّيثى ـ رحمه الله تعالى ـ ومحمد ابن عمر عن شيوخه يزيد بعضهم على بعض ، قال عبد الله : كان عثمان قد قدم على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ بالمدينة مُسْلِمًا مع خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص قبل الفتح ، فلَمَّا فرغ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم من طوافه أَرسل بِلاَلاً إلى عثمان ابن طلحة يأْتيه بمفتاح الكعبة ، فجاءَ بلال إلى عُثْمان ، فقال : إن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ يأْمُرُك أَن تأْتى بالمفتاح ، فقال : نعم هو عند أُمى سُلاَفة[1] ، فرجع بلال إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأَخبره أَنَّه قَالَ نعم ، وأَن المفتاح عِنْدَ أُمِّه ، فبعث إليها رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ رسولاً فجاءَ ، فقالت : لا ، واللاَّت والعُزَّى ، لَا أَدفعه إليك أَبدا ، فقال عثمان يا رسول الله أَرْسِلْنى أُخلصه لك منها ، فأَرسله ، فقال : يا أُمه ادفعى إلى المفتاح ، فإن رَسُولَ الله ـ صَلَّى الله عليه وسَلَّم ـ قَد أَرسل إلَىَّ ، وأَمرنى أَن آتيه به ، فقالت أُمُّه : لا . واللاَّت والعُزَّى لا أَدفعه إليك أَبدًا . فقال : لا لات ولا عزى إنَّه قَد جاءَ أَمرٌ غير ما كُنَّا عليه ، وإنَّك إن لم تَفْعَلى قُتِلْتُ أَنَا وَأَخى فأَنت قَتَلْتِينَا ، فوالله لَتَدْفَعِنَّه أَو ليأْتينَّ غيرى فيأخذه مِنك ، فأَدخلته فى حُجْزَتها ، وقالت : أَى رجل يدخل يده ههنا ؟ .

قال الزهرى فيما رواه عبد الرَّزاق ، والطبرانى : فَأَبطأَ عثمان ورسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم قائِمٌ ينتظره حَتَّى إنه لينحدر منه مثل الجمان من العرق ، ويقول : «مَايَحْبِسُه

---

(١) هى سلافة بنت سعيد الانصارية الأوسية ، أسلمت بعد عثمان (شرح المواهب ٢ : ٣٣٨) « وفى المغازى للواقدى ٢ : ٨٣٣ وسلافة بنت شيبة »

فَيَسْعَى إِلَيْه رَجُل » انتهى . فبينما هما على ذلك وهو يكلمها إذ سمعت صوت أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - فى الدَّار ، وَعُمَرُ رافعٌ صوته حين أَبطأَ عثمان ... يا عثمان اُخرج ، فقالت أُمُّه : يا بنىّ خذ المفتاح ، فإن تأخذه أنت أَحب إِلَىَّ مِنْ أَن يأخذه تيم وعدى ، فأَخذه عثمان ، فخرج يمشى به حَتَّى إذا كان قريباً مِن وجه رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلم - عثر عثمان فسقط منه المفتاح ، فقام رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - إلى المفتاح فحنى عليه بِثَوبه .

وروى الفاكهى عن ابن عمر : أَن بنى أَبى طلحة كانوا يقولون : لا يفتح الكعبة إلاَّ هم ، فتناول رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - المفتاحَ ، ففتح الكعبة بيده .

٢٤٤ ظ وروى ابن أَبى شيبة بسندٍ جَيِّدٍ عن أَبى السفر - رحمه الله تعالى - قال / : لما دخل رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - مكة دعا شَيْبَةَ بن عثمان بالمفتاح - مفتاح الكعبة - فتلكأَ ، فقال لعمر : قُمْ فاذْهَب مَعَه فإن جاءَ بِه وإلاَّ فَاجْلد رَأْسَه[1] » فجاءَ به فأَجاله[2] فى حجره .

* * *

ذكر أمره - صلى الله عليه وسلم - بإزالة الصور عن البيت قبل دخوله إياه

روى أَبو داود ، وابن سعد ، ومحمد بن عمر ، واللفظ له : أَن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم أَمر عمر بن الخطاب - وهو بالبطحاء - أَن يأْتى الكعبة فيمحو كُلَّ صورةٍ فيها ، فلم يدخلها حتَّى مُحِيَت الصُّور ، وكان عمر قد ترك صورة إبراهيم فلما دخل رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - رأَى صورةَ إبراهيم ، فقال يا عمر : « أَلَم آمُرْك أَلاَّ تَدَع فِيهَا صُورَةً ؟ ، قَاتَلَهُم الله ، جَعَلُوه شَيخًا يَسْتَقسِمُ بِالأَزْلاَم » . ثم رأَى صورة مريم ، فقال : « امسَحُوا مَا فِيهَا مِنَ الصُّور ، قَاتَلَ اللهُ قَوماً يُصَوِّرُونَ مَالاَ يَخلُقُون ».

وروى البخارى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - وابن أَبى شيبة عن عكرمة أَن رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ أَبى أَن يَدخُلَ البيت وفيه الآلهة يعنى الأَصنام ،

---

(١) كذا فى الأصول ، وفى شرح المواهب ٢ : ٣٣٩ « فأخله رأسه » .

(٢) كذا فى الأصول ، وفى شرح المواهب ٢ : ٣٣٩ « فوضعه فى حجره » .

فَأَمَرَ بها فأُخرجت صورة إبراهيم وإسماعيل فى أيديهما الأَزلام ،فقال رسولُ الله ــ صَلَّى الله عليه وسلم ــ : « قَاتَلَهُمُ الله لَقَد عَلِمُوا أَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَقسِمَا بهمَا قَطُّ » . زاد ابن أَبى شَيْبَةَ : ثم أَمر بثوبٍ فَبُلَّ وَمَحا به صورهما .

وعند ابن أَبى شيبة عن ابن عمر : أَن المسلمين تَجَرَّدوا فى الأُزر وأَخذوا الدِّلَاء ، وانجروا على زمزم يغسلون الكعبة ظَهْرَهَا وبطنها ، فلم يدعوا أَثَرًا من المشركين إلا محوه وغَسَلُوه .

* * *

ذكر دخول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ البيت وصلاته فيه

روى البخارى فى الصَّلاة ، ومُسْلم فى الحج ، عن الإمام مالك بن أنسٍ، والبخارى فى الصَّلَاةِ والمغازى عن جُوَيْرِيَة بن أَسماءَ ، والبخارى فى الصَّلَاةِ ، ومسلم فى الحج عن يونس ابن يزيد عن أَيوب ، والبخارى فى الصَّلاة والمغازى عن موسى بن عُقْبة ، والبخارى فى المغازى عن فُليح بن سليمان ، ومسلم فى الحج عن عبد الله بن عمر ، ومسلم فى الحج ، والنسائى فى الصَّلَاة عن خالد بن الحرث عن ابن عون ، وابن عَوَانة ، وابن ماجة فى الحج عن حَسَّان بن عطية كلُّهم عن نافع ، والبخارى فى الحج عن سالم بن عبدالله بن عمر ، وفى كتاب الصَّلاة عن مجاهد ، والإمام أَحمد عن ابن عمر ، وابن دينار ، والإمام أَحمد والنسائى عن ابن أَبى مُلَيْكَة،والإمام أَحمد ، والطبرانى عن أَبى الشعثاء كلهم عن عبد الله ابن عمر بن الخطاب ، وابن أَبى شيبة بسندٍ حسن،وأَبو جعفر الطحاوى عن جابر بن عبد الله ، وابن قانع عن أَبى بشرٍ / ومُسَافِع بن شيبة عن أَبيه شيبة بن عثمان ، وأَبو جعفر الطحاوى مِن طريقين عن عبد الله بن الزجاج ، والإمام أَحمد ، والأَزرقى عن ابن أَبى مليكة عن عبد الله بن الزبير ، والطبرانى برجال الصحيح عن عبد الرحمن بن صفوان، والإمام أَحمد والطحاوى ، وابن قانع بسندٍ حسنٍ ، وأَبو داود بسندٍ ضعيفٍ عن عمر بن الخطاب . والبزار بسندٍ ضعيفٍ عن أَبى هريرة ، والحاكم فى صحيحه ، والبيهقى عن عائشة ــ رضى الله تعالى عنها ــ قال يُونس بن يزيد : إن رسول الله ــ صلَّى اللهُ عليه وسلم ــ أَقبل يوم الفتح من أَعلىِ مكَّة على راحلته ، زاد فُليح : القصواءَ ــ وهو مُرْدِفٌ

٢٤٥ و

أسامة ، ومعه بلال ، وعثمان بن طلحة ، حتى أناخ فى المسجد . ولفظ فُلَيْح : عند البيت . وقال لعثمان : ائتنى بالمفتاح . قال أيوب : فذهب إلى أمِّه . فأبت أن تعطيه المفتاح فقال : والله لَتُعْطِيَنه أو لأُخرِجنَّ هذا السَّيْفَ من صُلبى ، فلما رأت ذلك أعطته إياه ، فجاء به ، ففتح عثمانُ له الباب ، ثم اتفقوا ، فدخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأسامة وبلال[1] وعثمان بن طلحة وقال ابن عوف – كما عند النسائى – والفضل بن عباس، ولأحمد نحوه عن ابن عباس – بعد أن ذكر الثلاثة الأول – ولم يدخلها أحد معهم ، زاد مسلم فأغلقوا عليهم الباب .

وعند محمد بن عمر عن شيوخه : فأمر رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – بالكعبة فأُغلقت . ولفظ الإمام مالك : فأغلقاها عليه ، وفى رواية ابن عوف : فأجاف عليهم عثمان الباب . زاد حسّان بن عَطِيَّة : من داخل .

وفى حديث صفية بنت شيبة عند ابن إسحاق ، فوجد رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلم – فى البيت حمامةً من عَيدانٍ ، فكسرها بيده ، ثم طرحها .

وفى حديث جابر أن رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – لمَّا دخل البيْتَ رأى فيه تمثال إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، وقد جعلوا فى يد إبراهيم الأزلام يَسْتَقسِمُ بها ، فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – : « قَاتَلَهُم الله ، لَقَد عَلِمُوا مَا كَانَ إبرَاهِيمُ يَسْتَقسِمُ بِالأَزْلَام » . ثُمَّ دَعَا رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم – بزعفران فلطخَه بتلك التماثيل .

وعند ابن أبى شيبة عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، ويحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب – رحمهما الله تعالى – قالا : إن رسول الله – صَلَّى الله عليه وسلم – لما دخل الكعبة كبّر فى زواياها وأرجائها ، وحمد الله تعالى ، ثم صَلَّى ركعتين بين أسطوانتين ، قال يونس : فمكث نَهَاراً طويلاً ، ولفظُ فُلَيْح : زماناً طويلاً ، ولَفُظ جويرية : فأطال ، ولفظ ابن عوف : فمكث فيها مليًّا ، ولفظ أيوب : فمكث فيها ساعة . وفى رواية ابن

---

(١) سقط فى الأصول . والإثبات عن شرح المواهب ٢ : ٣٤١ .

أبي مُليكة عن نافع : فوجدتُ شيئاً فذهبت ثم جئتُ سريعاً فوجدتُ النبي – صَلَّى الله عليه وسلم – خارجاً ، ولفظ سالم : فلما فتحوا الباب وكنت أول وَالِج ، وفي رواية فليح : فتبادر الناس الدُّخول فسبَقتهُم . وفي رواية أيوب : وكنت رَجُلاً شَابًّا قَوِيًّا فبادرتُ الناس فبدرتهم ، وفي رواية ابن عوف : فرقيت الدرجة / فدخلتُ البيت ، وفي ٢٤٥ ظ رواية مجاهد ، وابن أبي مليكة عن ابن عمر : وأجد بلالاً قائِماً بين البابين . وفي رواية سالم : فلقيت بلالا فسألته : زاد مالك فقلت : ما صنع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفي رواية سالم . هل صلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيه ؟ قال : نعم . وفي رواية مجاهد ، وابن أبي مليكة : فقلتُ هل صلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، في الكعبة ؟ قال : نعم ، وفي رواية العلاء بن عبد الرحمن عن ابن عمر : أنه سأل بلالا ، وأسامة وفي رواية أبي الشعثاء عن ابن عمر قال : أخبرني أُسامة بن زيد أنه رأى رسول الله – صَلَّى الله عليه وسلم – صلى فيه ههنا . وفي رواية خالد بن الحرث عن ابن عوف عن مسلم ، والنسائي عن ابن عمر : فرقيتُ الدرجة فدخلتُ البيتَ ، فقلتُ أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : ههنا . وفي رواية جويرية . ويونس ، وجمهور أصحاب نافع : فسألت بلالاً : أين – صلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم – ؟ قال : بين العمودين اليمانيين – ولفظُ جويرية : المقَدَّمَين – وفي رواية مَالك : جعل عموداً عن يمينه ، وعموداً عن يساره . وفي رواية : عموداً عن يمينه وعمودين عن يساره ، وجعل ثَلاثَة أعمدةٍ وراءه ، وفي روايةٍ عنه : عموداً عن يساره ، وعمودين عن يمينه . قال البيهقي : وهو الصحيح ، وفي رواية فليح : صَلَّى بين ذينك العمودين المُقَدَّمين من السطر وكان البيت على ستة أعمدة سطرين . صلى بين العمودين من السطر المقدم ، وجعل باب البيت خَلْفَ ظَهْرِهِ ، وعند المكان الذى صَلَّى فيه مَرْمَرَةٌ حمراء ، وفي رواية موسى بن عقبة عند البخاري ، ومالك في رواية ابن قاسم عن النسائي عن نافع : أن بين موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الجدار نحو ثلاثة أذرع . وفي رواية ابن مَهْدِي[1] عند

---

(١) هو عبد الرحمن بن مهدى بن حبان ، أبو سعيد البصري اللؤلئي الحافظ ، روى عن شعبة ومالك والسفيانين والحمادين وخلق . وعن خلائق منهم إبن وهب وابن المبارك وقال : كان أعلم الناس ، والإمام أحمد وقال : إذا حدث ابن مهدى عن رجل فهو حجة . مات بالبصرة سنة ثمان وتسعين ومائة عن ثلاث وستين سنة (شرح المواهب ٢ : ٣٤٤) .

أبي داود ، وابن وهب عند الدارقطنى فى الغزوات - كلاهما عن مالكٍ ، وهشام ، بن سعد عن أبي عَوَانَة عن نافع : صلَّى رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وبينه وبين الجدار ثلاثة أذرع .

قال الحافظ أبو الفضل العراق - رحمه الله تعالى - مُلَخَّصًا من طرق الأحاديث - : أن مُصلَّى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم من البيت أنّ الدَّاخِلَ مِنَ الباب يسيرُ تلقاء وجهه حين يدخل إلى أن يجعل بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع أو ذراعين أو ما بينهما لاختلاف الطُّرُق . قال : وَلَا ينبغى أن يجعل بينه وبين الجدار أقل من ثلاثة أذرع ، فإن كان الواقع أنه ثلاثة أذرع فقد صَادَفَ مُصَلاَّه ، وإن كان ذراعين فقد وقع وَجْهُ المُصَلِّ وذراعاه[1] فى مكان قَدَمَىْ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهذا أولى من المتقدم .

* * *

ذكر قدر صلاته - صلى الله عليه وسلم - فى الكعبة

٢٤٦ و فى رواية يحيى بن سعيد / عند الشيخين . وفى رواية أبي نعيم الفضل بين ذكين عند البخارى والنسائى ، ورواية أبي عاصم الضحاك بن مخلد عند ابن خزيمة ، ورواية عمر بن على عند الإسمٰعيلى ، ورواية عبد الله بن نمير عند الإمام أحمد ، كلهم عن سيف[2] ابن أبي سليمان عن مُجَاهد عن ابن عمر : أنه قال : سألتُ بلالاً ، أَصلَّى النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلم - فى الكعبة ؟ فقال : نعم : ركعتين . وتابع سيفا عن مُجَاهد خصيفٌ عند الإمام أحمد ، وتابع مجاهداً عن ابن عمر ابن أبي مليكة عند الإمام أحمد والنسائى وعمرُو بن دِينَار عند الإمام أحمد ، وفى حديث جابر : دخل رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - البيتَ يومَ الفتح ، فصلى فيه ركعتين ، ورواه الإمام أحمد برجالِ الصَّحيح ، والطَّبرانى عن عثمان بن طلحة . ورواه الإمام أحمد ، والأَزْرَقى[3] عن عبد الله بن الزّبير وَرَوَاه الطَّبرانى بسندٍ جيّدٍ ، وابن قانع وأبو جعفر الطَّحَاوِىّ من طريقين عن عثمان .

---

(١) وفى شرح المواهب ٢ : ٣٤٤ « أو تقع ركبتاه أو يداه أو وجهه إن كان أقل من ثلاثة أذرع » .

(٢) كذا فى الأصول ، وهو سيف بن سليمان المخزومى - مولاهم - المكى نزيل البصرة ، يروى عن مجاهد ، توفى سنة ١٥١ هـ . ويقول الخزرجى فى الخلاصة : وصوابه يوسف (الخلاصة للخزرجى ١٣٦) .

(٣) الأزرق : هو محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق بن عمرو الغسانى . أبو الوليد الأزرقى وقد نسب إلى جده الأزرق وله كتاب أخبار مكة (شرح المواهب ٢ : ٣٤٤) .

ورواه الطَّبَرَانى بِرِجَال الصَّحيح ، والبزار عن عبد الرّحمٰن بن صَفْوان – رضى الله عنه – قال : لَمَّا فتح رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – مكَّة انطلقتُ فوافقتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم – خرج من الكعبة ، وأصحابُه قد استلموا البَيْتَ مِنَ البَاب إلى الحَطِيم، وقد وضَعُوا خُدُودَهُم عَلَى البَيْتِ ورسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وسَطَهم ، فَسَأَلتُ من كان معه ، فقلت : كيف صنع رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – حين دخل الكعبة ؟ قال : صلَّى ركعتين . ورواه أبو داود والطحاوى عن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – والبزار عن أبى هريرة ، وأنس بن مالك ، رواه الطبرانى – ووقع فى رواية فليح ....[1] وأيوب عن نافع ، وأبو الشعثاء عن ابن عمر قال : ونسيتُ أن أسأله أى بلالاً ، كم صلَّى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وفى رواية ابن عون عن نافع بعد أن ذكر أن أُسامة وبلالا وعثمان بن شيبة دخلوا معه . فدخلت البيت ، فقلت : أين صلَّى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – ؟ قالوا : ههنا ، ونسيت أن أسألهم كم صلَّى ، وسيأتى الجواب عن ذلك فى التنبيهات .

* * *

ذكر خروج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من البيت وصلاته قبل الكعبة

رُوِى أن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – لَمَّا خرج من البيت صلى ركعتين قبل[2] الكعبة ، وقال : « هَذِه القِبلَة » .

قال محمد بن عمر : ثم خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من البيت والمفتاح فى يده ، وخالد بن الوليد يذبُّ النَّاسَ / عن الباب حتى خرج رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – ثم روى عن بَرَّة بنت أَبى تَجِرَاة[3] بفتح الفوقية ، وكسر الجيم ، وبالراء – رضى الله عنها – قالت : نظرتُ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وفى يده المفتاح ثم جعله فى كمه. ٢٤٦ ظ

---

(١) بياض فى ت ، ط ، م بمقدار كلمتين ، وهو فليح بن سليمان الأسلمى أو الخزاعى ، أبو يحيى المدنى ، واسمه عبد الملك . يروى عن ابن المسيب والزهرى ونافع ، توفى سنة ١٦٨ هـ (الخلاصة للخزرجى) ، أما فى ص فالسياق مضطرب وليس فيها بياض .

(٢) قبل : ضبطه الحافظ بضم القاف والموحدة ، وقد تسكن : أى مقابلة ، أو مستقبلك منه ، وهو وجه . وهذا موافق لقول ابن عمر عند الشيخين (شرح المواهب ٢ : ٣٤٤) وقد ضبط اللفظ فى ص ٢ : ٢١١ بالشكل . بكسر القاف وفتح الباء .

(٣) كذا ضبطه الشامى ، وفى مغازى الواقدى ٢ : ٨٣٥ ضبطه بكسر التاء .

روى الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنِّسائى ، وابن ماجة عن عبد الله بن عمر بن الخطاب،والبُخَارىّ فى صحيحه عن مجاهد ، وابن أبى شيبة ......[1] وابن إسْحَاقَ عن صفيّة بنت شيبة ، والبيهقى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وابن ابى شيبة عن عبد الله ابن عُبَيْدَة قالوا : إن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لما خرج من البيت استكفَّ[2] له الناس ، وأشرف على الناس وقد ليط بهم حوْلَ الكعبة ـ وهم جُلوس ـ قام على بابه فقال : « لا إلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَه لَا شَرِيكَ لَه ، صَدَقَ وَعْدَه » ولفظ الإمام أحمد ، ومحمد ابن عمر : « الحمْدُ للهِ الَّذِى صَدَقَ وَعْدَه ، ثُمَّ اتَّفَقُوا « وَنَصرَ عَبْدَه ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَه ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَاذَا تَقُولُون ؟ مَاذَا تَظُنُّون ؟ » قالوا : نقول خيرا ونظن خيرا ؛ نبى كريم ، وأخ كريم ، وابن أخ كريم ، وقد قدرت . فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ « فَإِنِّى أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِى يُوسُفُ : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُم اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين[3] ﴾ « اذْهَبُوا فَأَنْتُم الطُّلَقَاء » فخرجوا كأنما نُشِرُوا من القبور فدخلوا فى الإسلام ، ثم قال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ : « أَلاَ إنَّ كُلَّ ربًا فِى الْجَاهِلِيَّةِ أَوْ دَمٍ أَوْ مَأثرَة أَوْ مَالٍ يُدَّعَى فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَىَّ هَاتَيْن ـ وَأَوَّلُ دَمٍ أَضَعُه دَم رَبِيعَةَ بْنِ الحَارِثِ إلا سدانة البَيْت وَسِقَايَة الحَاجِّ ، أَلَاوَفِى قَتِيلِ الْعَصَا والسَّوطِ والخَطَأ شِبْهِ العَمدِ الدِّيَة مُغَلَّظَةٌ مَائةُ نَاقَة ؛ مِنْهَا أَربعُونَ فِى بُطُونِهَا أَوْلَادُهَا ، أَلاَ وإنَّ الله تَعَالَى ـ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُم نَخْوَةَ الجاهلية وتكبرها بآبائها ، كُلُّكُم لآدَم[4] وَآدمُ مِنْ تُرَاب » . ثم تلا هذه الآية : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ اللهِ أَتقَاكُم إنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِير[5] » « يَا أَيُّهَا النَّاس !! النَّاسُ رَجُلَان ؛ فَبَرٌّ تَقِىٌّ كَرِيمٌ وَكَافِرٌ شَقِىٌّ هَيِّن عَلَى الله ، أَلاَ إنَّ الله ـ تعالى ـ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْض ، وَوَضَعَ هَذَيْن الأَخْشَبَيْن ، فَهِىَ

---

(١) فى ت ، ط ، م بياض بمقدار ثلاث كلمات ، أما فى ص فلا بياض والكلام متصل كما أثبتنا .

(٢) استكف : اجتمع (السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٦٩ هامش) .

(٣) سورة يوسف آية ٩٢ .

(٤) فى ص « أولاد آدم » والمثبت عن بقية النسخ .

(٥) سورة الحجرات آية ١٣ .

حَرَامٌ بِحَرام[1] اللهِ ، لم تَحِل لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي ، ولن تَحِلَّ لِأَحَدٍ كَائن بَعْدِى ، لَمْ تَحِلَّ لى إلاَّ سَاعةً مِنْ نَهَار يُقَصِّرُهَا ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بيده هكذا ـ ولا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا ، ولا يُعْضَدُ عضاهها ، ولا تَحِلّ لُقَطَتهَا إلا لمُنْشِد ، ولا يُخْتَلَى خلاَها » فقال العباس ، وكان شيخاً مجربا : إلاَّ الإِذْخِرَ[2] يا رسول الله فإنه لابُدَّ لنا منه ـ لِلْقَيْنِ[3] وظهور البيوت ، فسكت رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ساعةً ثم قال : « إلاَّ الإِذْخِرِ فَإِنَّه حَلاَل ، وَلَا وَصِيَّةَ لِوَارِث ، وَإِنَّ الْوَلَدَ لِلْفِرَاش / وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَر ، وَلَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ أَنْ تُعْطِى مِنْ مَالِ زَوجِهَا إلاَّ بِإِذْنِ زَوجِهَا ، والمُسْلِمُ أَخُو المُسْلِم ، والمُسْلِمُونَ إخْوَة ، والمُسْلِمُونَ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُم ، تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُم ، وَهُمْ يردّ عليهم أَقْصَاهُم ، ويَعْقِل عَلَيْهم أَدْنَاهُم ، ومُشِدُّهم على مُضْعِفهم ومتريهم[4] على قَاعِدِهِم ، وَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بكَافِر ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِى عَهْدِه ، وَلَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْن ، وَلَا جَلَبَ وَلَا جَنَبَ ، وَلَا تُؤْخَذُ صَدَقَات الْمُسْلِمِين إلاَّ فِى بُيُوتِهم وَبِأَفْنِيَتِهِم ، ولا تُنْكَحُ الْمَرأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا وَلَا عَلَى خَالَتِهَا . والْبَيِّنَةُ عَلَى مَن ادعَّى ، واليَمِينُ عَلَى مَنْ أنكر ، وَلَا تُسَافِرُ امرأَةٌ مَسِيرَةَ ثَلاَثٍ إلاَّ مَعَ ذِى مَحْرَم ، وَلَا صَلاَةَ بَعْدَ العَصْرِ ، وَبَعْدَ الصُّبْح ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ صِيَامِ يَومَيْن يَوْمِ الأَضْحَى وَيَوْم الفِطْر ، وَعَن لبستَين أَلا يحتبى أَحدكم فى ثوبٍ واحِدٍ يُفْضِى بعَوْرَتِه إلى السَّمَاء ، وأَلا يَشْتَمِل[5] الصَّماء ، فقام رجلٌ فقال : يا رسول الله إنِّى قد عَاهَرتُ فى الجاهليّة ، فقال : من عَاهَر بامرأةٍ لاَيَمْلكها ـ أو أَمَةِ قَومٍ آخرين لا يملكها ـ ثُم ادّعى وَلَده بَعْدَ ذَلِكَ فَإِنَّه لا يجُوزُ لَه ، ولا يَرِثُ ولا يورّثُ ولا أَخالكم إلاَّ قَدْ عَرَفْتُمُوهَا ، يا مَعْشَرَ المسْلِمين كُفّوا السّلاح إلاَّ خُزاعة عن بنى بكر، من ضحوة نَهارِ الفَتح إلى صَلاَةِ العصر منه ـ فخبطوهم ساعة ـ وهى السّاعة التى أُحِلَّت لرسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ولم تُحَلّ لأَحد قبله ، ثُمَّ قال لَهُم : « كُفوا السِّلاح فقام أَبو شاة

(١) كذا فى الأصول . وفى المغازى للواقدى ٢ : ٨٣٦ « بحرمة » .

(٢) الإذخر : حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب (اللسان) .

(٣) رواية الواقدى للمغازى ٢ : ٨٣٦ « للقبر وظهور البيوت » .

(٤) فى المرجع السابق « ميسرتهم » .

(٥) فى المرجع السابق « ٢ : ٨٣٧ « لايحتب » « ولا يشتمل »
والاحتباء هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليها . (اللسان) .

فقال : اكتُب لِى يَارَسُولَ الله ، فَقَالَ « اكتُبُوا لِأَبى شَاة ، أَقُولُ قَولِى هَذَا وَأَستَغْفِرُ الله لِى وَلَكُم » .

قال الزهرى – فيما رواه عبد الرّزّاق ، والطّبرانى : ثم نزل – ونزل رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – ومعه المفتاح ، فتنحَّى ناحيةً من المسجد ، فجلس عند السقاية .

قال شيوخُ محمد بن عمر : وكان – صلَّى الله عليه وسلَّم – قد قبض مِفتاح السّقاية من العبّاس ، ومفتاح البيت من عُثمان .

وروى ابنُ أَبِى شَيْبَةَ عن عبد الله بن عبيدة : أَنّ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بعدَ خُطبته عَدَلَ إلى جَانب المسْجِد فأُتِىَ بدلوٍ من مَاءِ زَمْزَم ، فَغسَلَ منها وَجْهَه مَايَقَعُ مِنْه قطرة إلا فى يد إنسان إن كانت قَدْرَ مَا يَحْسُوها حَسَاها وإلا مسح جلده . والمشركون ينظرون فقالوا : ما رأينا مَلِكًا قط أعظم من اليوم . ولا قوماً أحمق من القوم .

* * *

ذكر تصديق النبى – صلى الله عليه وسلم – لعثمان بن طلحة قبل الهجرة بأن المفتاح سيصير بيده – صلى الله عليه وسلم – يضعه حيث شاء ونزل قوله تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها »[1]

روى ابن سعدٍ عن إبراهيم بن محمد العبْدَرىَّ عن أَبيه ، محمد بن عمر عن شيوخه ، قَالُوا : قَالَ عُثْمان بن طلحة : لَقِيَنِى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بمكَّة قَبْلَ الهجرة ، فَدَعَانى إلى الإِسْلَام فقلتُ : يا محمد العجبُ لك حيثُ تطمعُ أَن أتبعك ، وقد خالفْتَ دينَ قَوْمِك / وجئتَ بدينٍ مُحْدث ، وكنا نفتحُ الكعبَةَ فى الجاهليّة الاثنين والخميس ، فَأقبَلَ يوماً يريدُ أَن يدخلَ الكعبة مع النّاس فأَغلظتُ عليه ونِلْتُ منه ، فَحَلُم عَنِّى ، ثم قالَ : « يا عُثْمان لعلَّك سَتَرى هذا المفتاحَ يوماً بيدى أَضعُه حيثُ شئت » فقلتُ : لقد هَلَكَت قُريش وذلت . قال : « بل عَمِرَت يومئذ وعزّت » ، ودَخَلَ الكعبةَ ، فوقعتْ كلمتُه منِّى موقعاً فظننت أَن الأَمرَ سيصيرُ كما قال ، فأَردت الإِسلام

٢٤٧ ظ

(١) سورة النساء آية ٥٨ .

فإذا قومى يزبروننى[1] زبرا شديدا ، فلما كان يوم الفتح قال لى يا عثمان : « إئت بالمفتاح » فأتيته به . فأخذه منى ، ثم دفعه إلىّ وقال : « خذوها[2] خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلاّ ظالم ، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته ، فكلوا مما وصل إليكم من هذا البيت بالمعروف » فلما ولَّيْتُ نَادَانى ، فَرَجَعْت إليه ، فقال : « ألم يَكُن الَّذى قلتُ لَكَ ؟ فَذَكَرتُ قولَه لى بمكَّة قَبْلَ الهجرة « لعلَّك سَتَرى هَذَا المفتاح يوماً بيدى أضعُه حيْثُ شِئْت » فقلتُ : بَلَى . أَشهدُ أنك رسولُ الله ، فقامَ عَلِيُّ بن أبى طالب ومِفْتَاحُ الكعبةِ بيده فقال : يا رسولَ الله - اجْمَع لَنَا الحِجَابةَ مع السِّقَاية - صلَّى الله عليكَ وسلَّم - فقال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - أيْنَ عثمان بن طلحة ؟ فدعَا فَقَالَ : « هاك مفتاحَكَ يا عثمان ، اليوم يوم برٍ وَوَفاء » قالوا : وأعطاه المفتاح ورسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - مضطبع بثوبه عليه ، وقال « غَيِّبُوه . إنَّ الله تعالى رضى لكم بِهَا فى الجاهليّة والإِسْلاَم » .

وروى الفاكهى[3] عن جُبَيْر بْنِ مُطعم : أَنَّ رسولَ الله - صلَّى الله عْليه وسلَّم - لمّا ناولَ عثمانَ المفتاحَ قَالَ له « غَيبه » قال الزهرى : فلذلك يُغَيِّب المفتاح .

وروى ابن عائِذ ، وابن أَبِى شَيْبَة من مرسل عبد الرحمٰن بن سابط : أن رسول الله - صلىْ الله عليه وسلم - دفع مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة ، فقال : « خُذُوهَا خَالِدَةً مُخَلَّدَةً ، إِنِّى لَمْ أَدْفَعها إِلَيْكُمْ ، وَلكِنَّ الله - تَعَالَى - دَفَعَهَا إِلَيْكُم ، وَلَا يَنْزِعُهَا مِنكم إلا ظالم ».

وروى ابن عائِذ أَيضاً ، والأَزرقى عن ابن جُرَيْج - رحمه الله - تعالى - أن عليًّا - رضى الله عنه - قال للنبى- صلَّى الله عليه وسلَّم - : اجمع لنا الحجابة والسقاية فنزلت : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا[4] ﴾ فَدَعَا عثمانَ فقال : « خُذُوهَا يَا بَنِى شَيْبَةَ خَالِدَةً مُخَلَّدة » . وفى لفظٍ : « تَالِدَةً لَا يَنْزِعُهَا مِنكُمْ إلاَّ ظَالِم » .

---

(١) يزبروننى : يقال زبر الرجل انتهره وزجره ومنعه (اللسان)

(٢) خذوها : أى سدانة البيت (شرح المواهب ٢ : ٣٩٩) .

(٣) هو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهى المكى توفى بعد سنة ٢٧٢ هـ . وقد حقق قدراً كبيراً من كتابه « أخبار مكة » سماحة الشيخ عبد الملك بن دهيش فى ستة مجلدات طبع مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة .

(٤) سورة النساء آية ٥٨ .

وروى الأزرق عن جابر ومجاهد قال : نزلت هذه الآية « إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا » فى عثمان بن طلحة بن أبى طلحة . قبض رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – مفتاح الكعبة ودخل فى الكعبة يوم الفتح ، فخرجَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وهو يتلو هذه الآية ، فَدَعَا عثمان ، فدفع إليه المفتاح ، وَقَالَ – صَلَّى / الله عليه وسلم – « خذوهَا يَا بَنِى أَبِى طَلْحَة بأَمانة الله – سُبْحَانه وتعالى – لَا يَنْزِعُهَا مِنْكُم إلاَّ ظالم » .

٢٤٨ و

وقال عُمَرُ بنُ الخَطَّاب : لَمَّا خرج رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – مِنَ الكَعْبَةِ خَرَجَ وَهُوَ يَتْلُو هَذِهِ الآية ، مَا سَمِعتهُ يَتلُوهَا قَبْلَ ذَلِكَ .

وروى أيضاً نحوه عن سعيد بن المسيَّب قال : دَفَعَ رَسُولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم – مفتاح الكَعْبَةِ إلى عُثْمَان بن طلحة يوم الفتح ، وقال : « خُذُوها يَا بنِى طَلحَةَ خَالِدَةً تَالِدَةً لَا يَظْلمُكُمُوهَا إلاَّ كَافِر » .

وروى عبد الرَّزاق والطَّبَرَانى عن الزهرىّ : أَن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – لَمَّا خرج من البيت قَالَ عَلِىٌّ : « إنا أُعطِينَا النُّبوَّةَ والسِّقَايَة ، والحِجَابَة ، مَا قَومٌ بِأَعظَمَ نَصيباً مِنَّا . فَكَرِهَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – مقالَتَهُ ، ثمَّ دَعَا عثمان ابن طلحة فدفعَ المفتاحَ إليه وقال : « غَيِّبُوه » .

وقال عبد الرزّاق عن أبن جريج عن ابن أبى مليكة : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال لعلى يومئذٍ حين كلَّمَهُ فى المفتاح : « إنما أَعطيتكم ما تُرزَءُون ، ولم أعطكم ما تَرْزَءُون » يقول : « أَعطيتكم السِّقَايَةَ لأَنكم تَغرَمُون فيها ، ولم أَعطكم البَيْتَ » . قال عبد الرّزاق : أَى أَنهم يأْخُذُونَ من هديَّتِهِ .

وروى عبد الرّزاق عن ابن أَبى مليكة : أَنّ العبّاس – رضى الله عنه – قال للنبىّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – : يا نَبىَ الله !! اجْمَعْ لَنَا الحِجَابَةَ مع السّقاية ، ونزل الوحى عَلَى رسُولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقال : « ادعوا لى عثمان بنَ طلحة ، فَدعِىَ له فَدَفَعَ له النّبى – صلَّى الله عليه وسلَّم – المفتاح ، وستر عليه ، قال : فرسولُ الله – صلَّى

الله عليه وسلَّم - أوّل مَن ستر عليه ، ثُمّ قال : « خُذُوهَا يَابَنِى طلحةَ لَا ينتزعها منكم إلا ظالِمٌ » .

* * *

ذكر صلاته - صلى الله عليه وسلم - ركعتين فى قبل الكعبة

عن السائب بن يزيد - رضى الله عنه - قال : حضرتُ رسولَ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - يومَ الفتح صلى فى قُبل الكعبة ، فخلع نعليه فوضعهما[1] عن يساره ، ثم استفتح سورة المؤمنين ، فلما جاء ذكر موسى أو عيسى أخذته سعلة فركع . رواه ابن أبى شَيْبَة فى المصنف .

* * *

ذكر اطلاعه - صلى الله عليه وسلم - على ماقالته الانصار - رضى الله عنهم بينهم لما امن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قريشـا

روى أبو داود الطيالسى ، وابن أبى شيبة ، والإمام أحمد ، ومسلم عن أبى هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - أنّ رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلم - لَمَّا فرغ /من طَوَافِه ؛ أتَى ٢٤٨ الصَّفَا فَعَلاَ منه حتَّى يَرَى البيْتَ ، فَرَفَعَ يديْه ، وَجَعَلَ يحمدُ اللهَ - تعالى - ويذكره . ويَدْعُو مَا شَاءَ الله أن يدعو . والأَنصار تحته ، فقالَ بعضهُم لبعض : أمَّا الرَّجُلُ فأدركته رغبةٌ فى قريته ، ورأفةٌ بعشيرته - قال أبو هريرة - رضى الله عنه - وَجَاءَ الوحىُ - وكَانَ إذَا جَاءَ لَمْ يخف علينا : فليس أحدٌ من الناس يرفع طرفه إلى رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلم - حتى يُقْضَى فلما قُضِىَ الوحْىُ ، قال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - : « يَامعْشَرَ الأَنْصَار » قالوا : لبيّك يا رسولَ الله ، قال : « قُلْتُم أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رغْبَةٌ فِى قَرْيَتِه ، وَرَأْفَةٌ فِى عَشِيرَتِه » قَالُوا : قد قُلنَا ذلك يا رسولَ الله . قال : « فما أُسمَّى إذن !! كَلاَّ ، إنِّى عَبْدُ الله وَرَسُوله ، هَاجَرْتُ إلَى اللهِ وَإلَيْكُم ، المحْيَا مَحْيَاكُم وَالْمَمَاتُ مَمَاتكُم » فأقبلوا إليه يَبْكُون ، يقولون : والله يا رسول الله ما قلنا الّذى قلنا إلا الضِّنّ بالله وبرسوله . فقالَ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم : « فَإنَّ الله وَرَسُولَه يَعْذِرَانكُم وَيَصْدُقَانِكُمْ » .

---

(١) فى (ص) « فجعلهما عن يساره » والمثبت عن بقية النسخ .

ذكر اطلاعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ماهم به أبو سفيان وما أسره لهند بنت عتبة

روى ابن سعدٍ عن أبي إسحاق السبيعي ـ رحمه الله تعالى ـ والحاكم فى الإكليل ، والبيهقىّ عن ابن عبَّاس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قالا : رأى أبو سفيان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يمْشِي والناسُ يَطَئُونَ عَقِبَه ، فقال بينَهُ وبَيْنَ نفسه : لَوْ عَاوِدْتُ هذا الرّجلَ القِتَالَ ، وجمعتُ له جَمْعاً ؟ فجاء رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حتَّى ضرب بيده فى صدْرِه فقال : « إذَنْ يُخْزِيكَ الله » فقالَ : أتوبُ إلى الله ـ تعالى ـ وأستغفرُ الله ممّا تفوّهتُ به ، ما أيْقَنْتُ أنَّك نبي حتَّى الساعة ، إنى كنت لأحدث نفسى بذلك .

وروى محمد بن يحيي الذهلى ـ بالذال المعجمة ، واللاَّم فى كتابه ـ جمع حديث الزهرى ـ عن سعيد بن المسيّب ـ رحمه الله تعالى ـ قال : لمَّا دخل رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة ليْلةَ الفتح ، لم يزالوا فى تكبيرٍ وتهليلٍ وطواف بالبيت حتى أصبحوا فقال أبو سُفيان لهند : أترين هذا من الله ؟ قالت : نعم هذا من الله قال : ثم أصبح فغدا أبو سفيان إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقالَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ قُلْتَ لِهِنْد أترين هَذَا مِنَ الله ؟ ؟ قالت[1] : نَعَمْ هَذَا مِنَ الله » فقال أبو سُفيان : أَشهدُ أنَّك عبدُ الله ورسوله ، والذى يُحْلفُ به مَا سَمِعَ قولى هذا أحد من النَّاس إلا الله عز وجل وهند .

وروى ابن سعدٍ ، والحارث بن أبي أسامة ، وابن عساكر عن عبد الله بن أبي بكر ابن حزم ـ رحمه الله تعالى ـ قال : خرجَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأبو سُفْيَان جالسٌ فى المسجد/ فَقَالَ أبو سفيان : ما أدرى بما يَغْلِبُنَا محمّد ؟ فأتاه رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فَضَرَب صدْرَه وقال : : « باللهِ ـ تعالى ـ نغْلِبُك » فقالَ أبُو سفيان : أشهدُ أنّك رسولُ الله .

٢٤٩ و

(١) سقط فى الأصول والمثبت عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٧٧ .

وروى العَقيْلي وابن عساكر عن ابن عباس – رضى الله تعالى – عنهما – قال : لقى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – أبا سفيان بن حرب فى الطَّوَاف فقال : « يَا أَبَا سُفْيَان هَلْ كَانَ بيْنَكَ وَبَيْنَ هِنْدٍ كَذَا وَكَذَا ؟ فقال أبو سفيان : فَشَتْ عَلَيَّ هندٌ سِرِّى ، لأفعلن بها ولأفعلن ، فلما فرغ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من طوافه لحق بأبى سُفيان فقال : « يَا أَبَا سُفْيَان ، لَا تُكَلِّمْ هِنْداً فَإِنَّهَا لَمْ تُفْشِ مِنْ سِرِّكَ شَيْئًا » فقال أبو سفيان : أشهد أنك رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم .

* * *

ذكر مبايعته – صلى الله عليه وسلم – الناس على الاسلام

روى الإمام أحمد ، والبيهقى عن الأسود بن خلف – رضى الله تعالى عنه – أنه رأى رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يُبَايع النّاس يوم الفتح . قال : جلس عند قَرْنِ مَسْقَلَة[1] ، فبايع النَّاسَ على الإسلام فجاءه الكبار والصِّغار ، والرِّجال والنِّسَاء ، فبايعهم على الإيمان بالله – تعالى – وشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبدهُ ورسولُه .

وقال الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير – رحمه الله تعالى – : اجتمع الناس بمكّة لبيعةِ رسولِ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – على الإسلام ، فجلس لهم – فيما بلغنى – على الصفا ، وعمر بن الخطاب أسفل من مجلس رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فاخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا ، فلما فرغ من بيْعَةِ الرِّجال بايع النساء وفيهنَّ هند بنت عُتْبَة ، امرأة أبى سُفيان متنقِّبة متنكِّرَة خوفاً من رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – أن يُخبرها بما كان من صنيعها بحمزة ، فهى تخاف أن يأْخذها بحدثها ذلك ، فلما دَنَيْنَ من رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلم – قال : « بَايِعْنَنِى عَلَى أَلا تُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا » فرفعت هند رأسها وقالت : والله إنك لتأْخذ علينا ما لا تأْخذه على الرِّجال[2] فقال : « وَلَا تَسْرِقْنَ » فقالت : والله إنى كنت أَصَبْتُ من مال أبى سُفيان

---

(١) فى الأصول « مسقلة » وهى مسقلة ، ويقال مصقلة . . هو قرن بقيت منه بقية بأعلى مكة فى دبر دار سمرة عند موقف الغنم بين شعب ابن عامر وحرف فى دار رابغة فى أصله ، ومصقلة رجل كان يسكنه فى الجاهلية (أخبار مكة للأزرقى ٢ / ٢٧٠ ، معالم مكة للبلادى ٢٧٣ .

(٢) جاء فى السيرة الحلبية ٣ : ١١١ «ومعنى ذلك أنه كان صلى الله عليه وسلم يبايع الرجال على الإسلام وعلى الجهاد فقط» .

الهِنَة بعد الهنَة ، وما كنت أدْرى أكان ذلك حلالاً أم لا ؟ فقال أبو سفيان : ــ وكان شاهداً لما تقول ــ أمَّا مَا أصبْتِ فيما مضى فأَنْتِ منه فى حلّ ــ عفا الله عنك ــ ثم قال : « وَلَا تَزْنِين » فقالت : يا رسول الله : أو تزنى الحرة ؟! ثم قال : « وَلَا تَقْتُلْنَ أَوْلَادَكُنَّ » قالت : قد ربَّيْنَاهم صِغَاراً وقتلهم كبارا ، فأَنْت وهم أعلم ، فضحك[1] رسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وعمر ، ثم قال : « وَلَا تَأْتين بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِينَه بَيْنَ أيديكن / وأرجلكن» ٢٤٩ط فقالت : والله إنَّ إتيان البهتان لقبيح وَلَبَعْضُ التجاوز أمثل ، ثم قال : « وَلَا تَعْصِين » فقالت : فى معروف فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : لعمر : « بَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ الله إنَّ الله غَفُورٌ رَحِيم » فبايعهن عمر ، وكان رسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم . لا يُصَافح النساءَ ولا يمس[2] جِلْدَ امرأة لم يحلها الله ــ تعالى ــ له أو ذات مَحْرَم وروى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت لا والله ما مسَّت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط وفى رواية ما كان يبايعهن إلا كلاما ويقول إنما قولى لامرأة واحدة كقولى لمائة امرأة .

* * *

ذكر امره ــ صلى الله عليه وسلم ــ بتكسير الأصنام

قالوا : ونادى منادى رسولِ الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمكة من كان يُؤْمن بالله واليوم الآخر فلا يَدَعْ فى بيته صنَماً إلا كَسَرَه .

* * *

ذكر اذان بلال ــ رضى الله عنه ــ فوق الكعبة يوم الفتح وما وقع فى ذلك من الآيات[3]

روى أبو يعلى عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ وابنُ هشام عن بعض أهل العلْم ، والبيهقىٌّ عن ابن إسحاق ، وعن عروة ، وابن أبى شيبة عن أبى سلمة ، ويحيى بن عبد الرّحمن بن حاطب ، والأزرقىُّ عن ابن أبى مُليكة ، ومحمدُ بن عمر عن شيوخه ــ رحمهم الله تعالى ــ أَنَّ رسولَ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لَمَّا حانت الظهر أمر ــ بلالاً أَنْ يُؤذِّن بالظهر يومئذٍ فوقَ الكعبة ليغيظ بذلك المشركين ، وقريش فوق رءوس الجبال ،

---

(١) وفى المرجع السابق « فضحك عمر رضى الله عنه حتى استلقى وتبسم صلى الله عليه وسلم » .

(٢) كذا فى ت ، ط ، م وفى ص ٢ : ٢١٤ « ولا يمس إلا إمرأة أحلها الله له » .

(٣) فى ص ٢ : ٢١٤ « ذكر أذان بلال رضى الله عنه يوم الفتح على ظهر الكعبة وما وقع فى ذلك من الآيات » .

وقد فَرَّ جماعةٌ من وُجُوهِهِم وتغيَّبوا ، وأبو سفيان بن حرب ، وعتَّاب – ولفظُ ابنُ أبي شَيْبَةَ : خالد بنِ أسِيد[1] ، والحارث بن هشام - جلوسٌ بفناءِ الكعبة - وأسلموا بعد ذلك . فقال عتَّاب - أو خالد[1] - بن أسِيد : لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون يسمع هذا ، فيسمع ما يغيظه ، وقال الحارث : أما والله لو أعلم أنه محق لاتَّبعتُه ، فقالَ أبو سُفْيان : لا أقولُ شيئاً ، لو تكلمتُ لأخبرتْ عَنِّى هذه الحَصَا[2] ، وقال بعضُ بنى سعيد بن العاص ، لقد أكرم الله سعيدا إذْ قَبَضَه قَبْل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة. وقال الحكم بن أبي العاص : هذا والله الحدثُ العظيم أن يَصِيحَ عبدُ بنى جُمَح على بَنِيَّة أبي طلحة . وقال الحارث بن هِشَام : إن يكن الله – تعالى – يكرهه فسيُغَيِّره ، وفى روايةٍ : أن سُهيل بن عمرو . قال مِثْلَ قَوْلِ الحارث ، فأَتى جبريلُ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فأخبره خبرهم ، فخرج عليهم رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – فقال « قد علمتُ الَّذى قلتم » فَقَالَ الحارث وعتّاب : نشهد إنك رسولُ الله – صلَّى الله عليك وسلم – ما اطلع على هذا أحدٌ كان معنا فنقول أخْبَرَك .

* * *

ذكر أمره/- صلى الله عليه وسلم بتجديد انصاب الحرم يوم الفتح

روى الأزرقىّ عن محمد بن الأسود ، ومحمد بن عمر عن شيوخه قالوا : أولُ مَنْ نَصَبَ أنصابَ الحرم إبراهيم ، كان جبريلُ – صلَّى الله عليه وسلَّم – يدلُّه على مواضعها ، فلم تُحَرَّك حتى كان إسماعيل – صلى الله عليه وسلم – فجددها ، ثم لم تُحَرَّك حتى كان قُصَىٌّ بن كلاب فجدّدها ، ثم لم تحرك حتى كان يوم الفتح فَبَعَثَ رسولُالله - صلَّى الله عليه وسلَّم تميم بن أسد الْخُزَاعىّ فجدَّد أنصاب الحرم .

* * *

ذكر اسلام السائب بن عبد الله المخزومى — رضى الله عنه

٢٥٠ و

روى ابن أبي شيبة ، والإمام أحمد عن مجاهد عن السائب : أنه كان شاركَ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قبل الإسلام فى التجارة ، فلما كان يوم الفتح أتاه فقال :

---

(١) فى شرح المواهب ٢ : ٣٤٦ عتاب وخالد إبنا أسيد » .

(٢) فى المغازى للواقدى ٢ : ٨٤٦ « الحصباء » .

« مَرْحَبًا بِأَخِي وَشَرِيكِي ، كَانَ لَا يُدَارِى وَلَا يُمَارِى ، يَاسَائِب !! قَدْ كُنْتَ تَعْمَل أَعْمَالًا فِي الْجَاهِلِيَّة لَا تُتَقَبَّل مِنْكَ وهى اليوم تتقبل منك » وَكَانَ ذَا سَلَفٍ وَخُلَّة » .

وروى الإمام أحمد عن مجاهد عن السائِب بن عبد الله قال : جيء بى إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم فتح مكة فجعل عثمان وغيرُهُ يُثْنُون عَلَيَّ ، فقال رسول الله : « لَا تُعلمونِى بِه ، كَانَ صَاحِبى » .

* * *

ذكر اسلام الحارث بن هشام ــ رضى الله عنه

روى محمد بن عمر عن الحارث بن هِشَام قال : لما دخل رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – مكة ، دخلتُ أنا وعبد الله بن أبى ربيعة دار أُمّ هانئ ، فذكر حديث أن النّبي – صلى الله عليه وسلّم – أجاز جِوَارَ أم هانئ ، قال : فأنطلقنا ، فأقمنا يومين ، ثمّ خرجنا إلى منازلنا ، فَجَلَسْنَا بأفنيتها لاَ يَعْرِض لَنَا أَحَد ، وكنّا نخافُ عمر بن الخطاب ، فوالله إنى لجالسٌ فى ملاءة مورَّسة[1] على بابى ما شعرت إلا بعمر بن الخطاب ، فإذا معه عدة من المسلمين فسلَّم وَمَضَى ، وجعلتُ أستحيي أن يرانى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وأذكر رؤيته إيَّاى فى كلِّ موطن مع المشركين ثم أذكر بِرّه ورحمته وصِلَتَه فألقاه وهو دَاخِل المسجد ، فلقينى بالبِشْر ، فوقَفَ حتى جئته فَسَلَّمتُ عليه ، وشهدتُ بشهادةِ الحقّ ، فقال : الحمدُ لله الّذى هداكَ ، ما كان مثلك يجهل الإسلام قال الحارث : فوالله ما رأيت مثل الإسلام جُهِلَ .

* * *

ذكر اسلام سهيل بن عمرو ــ رضى الله عنه

٢٥٠ ظ روى محمد بن عمر – رحمه الله – عن سهيل بن عمرو قال / : لمّا دخل رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – مَكَّة وظهر ، اقتحمتُ بيتى وأغلقت بابى علىّ ، وأرسلت إلى ابنى عبد الله أن اطلب لى جِواراً من محمد فإنى لا آمن أن أُقْتَل ، فذهب عبد الله إلى رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقال : يا رسول الله !! أبى تؤمنه ؟ قال : « نَعم ، هُوَ آمِنٌ بِأَمَانِ اللهِ فَلْيَظْهر » ثم قال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – لمن حَوْلَه : « مَنْ

(١) فى المغازى للواقدى ٢ : ٨٣١ « فى الملاء المزعفر » والملاءة المورسة هى المصبوغة بالورس وهو نبات أصفر يصبغ به (النهاية ٥ : ١٧٣) .

لَقِيَ سُهَيْل بنَ عَمْرٍو فلا يُحِدَّ إليه النَّظَرَ فلَعَمْرِى إنَّ سُهَيْلاً له عَقْلٌ وَشَرَف ، وَمَا مِثْلُ سُهَيْلٍ جَهِلَ الْإِسْلَامَ ، وَلَقَدْ رأى مَا كَانَ يُوضِع فيه أنَّه لَمْ يَكُنْ بِنَافع له » فخرجَ ابنُه عبد الله إلى أبيه فأخبره بما قاله رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – فقال سهيل : كان والله برًّا صَغِيرًا ، بَرًّا كَبِيراً ، فكان سهيل يُقْبِل ويُدْبِر آمنا وخرج إلى حنين مع رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – وهو على شركه حتَّى أسلم بالجِعِرَّانَة .

* * *

ذكر اسلام عتبة ومعتب ولدى أبى لهب – رضى الله عنهما

روى ابن سعدٍ عن ابن عبَّاسٍ عن أبيه – رضى الله عنهما – قال : لما قَدِمَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – مكَّة فى الفتح قال لى : « أين ابْنَا أَخِيك عُتْبَة ومعتِّب ابْنَى أبى لَهَب . لاَ أَرَاهُمَا » ؟ قلت : تَنَحَّيَا فيمَنْ تَنَحَّى مِنْ مُشْرِكى قُرَيْش ، قال : « ائْتِنِى بِهِمَا » فركبتُ إليهما بِعُرَنَةَ فأتيت بهما ، فدعاهُما إلى الإسلام فأسلما وبايعا ، ثم قام رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فأخذَ بأيديهما وانطلق بهما حتّى أتى الملتزم ، فدَعا ساعةً ثم انصرف والسُّرورُ يُرَى فى وَجْهِهِ ، فقلتُ : يا رسولَ الله سَرَّكَ الله إنِّى أرى السُّرورَ فِى وجْهِك ، فقال : « إنى اسْتَوْهَبْتُ ابْنَىْ عَمِّى هَذَين من ربى فوَهَبَهُمَا لِى » .

* * *

ذكر اسلام عبد الله بن الزبعرى – رضى الله عنه

روى محمد بن عمر عن شيوخه قَالَ : هربَ عبد الله بن الزِّبَعْرى إلى نَجْرَان ، فأرسلَ حسّانُ بنُ ثابتٍ – رضى الله عنه – أبيَاتاً يريدُ بها ابنَ الزِّبَعْرى :

لَا تَعْدَمَنْ رَجُلاً أَحَلَّكَ بُغْضُهُ ... نَجْرَانَ فِى عَيْشٍ أَحَذَّ[1] لَئِيمِ
بَلِيَتْ قَنَاتُكَ فِى الحُروبِ فأُلْفِيت ... خَوَّارَةً[2] جَوْفَاءَ ذَاتَ وُصُومِ
غَضَبُ الإلَهِ على الزِّبَعْرى وابْنِهِ ... وعَذَابُ سُوءٍ فى الحياة مقيم

وذكر ابنُ إسحاق البيتَ الأوَّلَ فقط فلمّا جاءَ ابنَ الزِّبَعْرى شعرُ حسَّان ، خرجَ إلى رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – وهو جالس فى أصحابه ، فلَمَّا نظر إليه رسولُ الله – صلى

---

(١) ورد هذا الشعر فى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٨٥ وفى المغازى للواقدى ٢ : ٨٤٧ .

(٢) فى المغازى للواقدى ٢ : ٨٤٨ « خانة » وفسر اللفظ بالضعيفة .

٢٥١ و الله عليه وسلَّم ـ قال : « هذا ابنُ الزِّبَعْرى ، ومعه وجه فيه نور الإسلام فَلَمَّا / وقف على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال السّلامُ عليكَ يا رسُولَ الله ، أشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وأنك عبده ورسولُه ، الحمد لله الَّذى هَدَانِى للإسلاَم ، لقد عاديتُكَ ، وأجلَبْتُ عليك وركبتُ الفَرَس والبعيرَ ، ومشيتُ على قَدَمَىَّ فى عَدَواتِك ، ثم هربتُ منك إلى نجران ، وأنا أُريدُ أن لا أُقِرَّ بالإسلام أبدا ، ثم أرادنى[1] الله منه بخير ، وألقاه فى قلبى ، وحَبَّبَهُ إلىّ . وذكرتُ ما كنتُ فيه من الضّلالة واتباع ما لا ينبغى من حَجَرٍ يُذبح له ويُعْبَد ، لا يَدْرِى مَنْ عبدَه ، ولا مَنْ لَا يَعْبُدُه . قال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ « الْحَمْدُ لِلهِ الذى هَدَاكَ لِلإِسْلاَم ، إنَّ الْإِسْلاَمَ يُجبُّ مَا كَانَ قَبْلَه »

وقال عبد الله حين أسلم :

يارســول المليك إن لسانى ... راتِقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنابُــــورُ

إذْ أُبَارِى الشَّيْطَانَ فى سَنَن الغَىِّ ... ومَنْ مَـــال مَيْلَهُ مَثْبُــورُ

آمنَ اللحْــمُ والعِظَامُ لِرَبِّىَ ... ثُمَّ قَلْبِى الشهيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ

إنَّنِى عَنْكَ زَاجِــرٌ ثَمَّ حَيًّــا ... مِنْ لُؤَىٍّ وَكُلُّهُمْ مَغْــرُورُ

وقال عبد الله أيضا حين أسلم[2] :

مَنَع الرُّقَــادَ بَلاَبِلٌ وَهُمُــومُ ... واللَّيْلُ مُعْتَلِجُ الرِّوَاقِ بَهِيـمُ

مِمَّـــا أَتَانِى أَنَّ أَحْمَــدَ لاَمَنِىَ ... فِيهِ فَبِتُّ كَأَنَّنِى مَحْمُــومُ

يَاخَيْرَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَى أَوْصَالها ... عَيْرَانَةٌ سُرُحُ اليَدَيْنِ غَشُــومُ

إنِّى لَمُعْتَذِرٌ إلَيْكَ مِــنَ الَّذِى ... أَسْدَيْت إذْ أنَا فِى الضَّلاَلِ أَهِيمُ

أَيَّامَ تَأْمُــرُنِى بَأغْوَى خُطَّــةٍ ... سَهْمٌ وَتَأْمُــرُنِى بِهَا مَخْــزُومُ

---

(١) فى المغازى للواقدى ٢ : ٨٤٨ « أراد بى الله منه بخير » .

(٢) قال ابن كثير فى السيرة النبوية ٣ : ٥٨٦ « قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له ، قلت : كان عبد الله بن الزبعرى السهمى من أكبر أعداء الإسلام ومن الشعراء الذين استعملوا قواهم فى هجاء المسلمين ثم من الله عليه بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الإسلام والقيام بنصره والذب عنه » وأنظر أيضاً سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٨٧٦ تحقيق محيى الدين .

وأمُـــدُّ أَسْبَابَ الردَى وَيَقُودُنِي — أَمْرُ الوُشَاةِ وَأَمْرُهُم مشئـومُ
فَالْيَوْمَ آمـــنَ بِالنَّبِيِّ محمّدٍ — قلبِي وَمُخْطِئُ هَـــذِهِ مَحْرُومُ
مَضَتْ العَدَاوَةُ فَانْقَضَتْ أَسْبَابُها — ودعَتْ أواصر بَيْنَنا وَحُلُـومُ
فَاغْفِرْ فِدًى لَكَ وَالِدَاى كِلَاهُمَا — زَلَلِي فإنك رَاحِمٌ مَرْحُـــومُ
وَعَلَيْك مِنْ عَلَم[1] المَلِيكِ عَلَامَةٌ — نُورٌ أغر وَخَاتِمٌ مَخْتُـــومُ
أَعْطَاكَ بَعْدَ مَحَبَّة بُرْهَانَـــهُ — شَرَفاً وَبُرْهَانُ الإِلَهِ عَظِيـــمُ
وَلَقَدْ شَهِدْتُ بِأَنَّ دينكَ صَادِقٌ — حَـــقٌّ وأَنَّكَ فِى العِبَادِ جَسِيمُ
واللهُ يَشْهَدُ أَنَّ أَحْمَدَ مُصْطَفَى — مُسْتَقْبَلٌ فِى الصَّالِحِينَ كَـرِيمُ
قَرْمٌ عَلَا بُنْيَانُه مِـــنْ هَاشِمٍ — فَرْعٌ تَمَكَّنَ فى الـــذُّرَى وأُرُومُ

* * *

ذكر اسلام عكرمة ـــ رضى الله عنه ـــ بن ابى جهل

روى محمد بن عمر عن شيوخه ـ رحمه الله تعالى ـ وإيَّاهُم : أن عِكْرِمَة ـ رضى الله عنه ـ قال : بَلَغَنِى أَنَّ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليهْ وسلَّم ـ نَذَرَ دَمِي يَوْمَ الفَتْح ، وكنتُ فى جَمْعٍ مِنْ قُرِيش بأسفل مكَّة ـ وقد ضَوَى إِلَيَّ مَنْ ضَوَى ـ فَلَقِيَنَا هُنَاكَ خالدُ بنُ الوليد ، فَأَوْقَعَ بنا ، فهربتُ منه أُرِيدُ / والله ـ أَن أُلْقِيَ نفسى فى البحر ، ٢٥١ ط وأموتُ تائِهاً فى البِلَادِ قَبْلَ أَنْ أَدْخُلَ فِى الإِسْلَام ، فخرجتُ حتَّى انتهيتُ إلى الشُّعْبَةَ ، وكانت زوجتِى أُمّ حكيم بنت الحارث أمرأة لها عَقْل ، وكانت قد اتَّبعت رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فَدَخَلت عَلَى رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ فقالت : يا رسولَ الله ، إنَّ ابن عمِّى قد هَرَبَ يُلْقِى نفسه فى البحر فأَمنه .

وروى ابنُ أَبِى شَيْبَة وأبو دَاود ، والنسائىّ عن سعد بن أَبِى وَقاص ـ رضى الله تعالى عنه ، والبيهقىُّ عن عُرْوَة ـ رحمه الله تعالى : أَنَّ عِكْرِمَة ركب البَحْر فأصابَتْهُم ريحٌ عاصِفٌ ، فنادى عِكْرِمَةُ اللاَّتَ والعُزَّى ، فقال أهلُ السَّفِينة : أخلصوا فإن آلهتكم لا تُغْنِى

(١) فى نهاية الأدب للنويرى ١٧ ـ ٣١٢ من سمة المليك .

عَنْكُم شيئاً ، فقال عِكْرِمَةُ : والله لئِن لم يُنْجِنِي مِنَ الْبَحْر إلاَّ الإخلاص لا يُنْجِينِي في البَرِّ غَيْرُه ، اللَّهم لَكَ عَهْداً إنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فيه أن آتِ[1] مُحَمَّداً حتَّى أَضَعَ يدى فى يده ، فلأَجِدَنَّهُ عَفُوًّا غفورا كريماً ، فَجَاءَ وَأَسلم .

وروى البيهقى عن الزّهرى ، ومحمد بن عمر عن شيوخه : أن أم حكيم[2] امرأة عِكْرِمَة بن أبى جهل قَالَتْ لرسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يا رسول الله : قد ذَهَبَ عِكْرِمَةُ عنك إلى اليمن ، وخاف أن تقتله ، فأَمنهُ يا رسولَ الله ، فقال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - « هو آمن » فخرجتْ أُمُّ حكيمٍ فى طلبه ، ومعها غلامٌ لها روميٌّ ، فراوَدَها عن نفسها فَجعَلَت تمنيه حتى قَدِمَت به على حَيٍّ من عَكّ[3] فاستعانتهم[4] عليه ، فأَوثقوه رباطاً ، وأدركتْ عِكْرِمة وقد انتهى إلى البحر ، فركب سفينة ، فجعلَ نوتيٌّ يقولُ له : أَخْلِصْ أَخْلِص ، قال : أى شيء أقول ؟ قَالَ : قُلْ لَا إله إلاَّ الله ، قال عِكْرِمَة : ما هَرَبْتُ إلا مِنْ هذا ، وَإن هذا أَمر تعرفه العربُ والعجمُ حتَّى النَّواتى !! مَا الدِّينُ إلاَّ مَا جَاءَ به محمد ، وغَيَّرَ اللهُ قَلْبِى ، وَجَاءتنِى أُمُّ حَكِيمٍ عَلَى هَذَا الأَمر ، فجعلت تُلِيحُ إلَيَّ وتقول : يا ابن عَمِّ ، جِئتُكَ من عِنْدِ أَبَرِّ النَّاس ، وأَوْصَلِ النّاس ، وخَيْرِ النّاس ، لَا تُهْلِكْ نَفْسَك ، فوقف لها حتَّى أدركته ، فقالت له : إنِّى قد اسْتَأْمَنْتُ لك رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فَأَمَّنَك ، فَرَجَعَ مَعَهَا وقالت : ما لقيته من غلامك الرومى وأخبرته خبَره فقتله وهو يومئذ لم يُسْلِم ،

فلمَّا وافى مكَّة قال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - « يَأْتيكم عِكْرِمَةُ بن أَبِى جَهْلٍ مُؤْمِنًا مُهَاجِرًا فَلاَ تَسُبُّوا أَبَاه ، فَإِنَّ سَبَّ الميتِ يُؤْذِى الحَيَّ [ولا يبلغ الميت[5]] فجعل

---

(١) كذا بالأصول .

(٢) فى الأصول أم الحكم ومثله فى سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٤١٨ والمثبت عن طبقات ابن سعد ٣ : ٢٦٦ وأسد الغابة ٥ : ٥٧٧ وهى أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومية وأمها فاطمة بنت الوليد أخت خالد .

(٣) عك : مخلاف من مخاليف مكة التهامية (معجم ما استعجم البكرى ص ٢٢٣) .

(٤) فى المغازى للواقدى ٢ : ٨٥١ « فاستغاثتهم عليه » .

(٥) الإضافة عن المغازى للواقدى ٢ : ٨٥١ .

عِكْرِمَةُ يطلبُ آمرأتَه يُجَامِعها فتَأبَى عليه وتَقُول : أَنْتَ كَافِرٌ وأَنَا مُسْلِمَة ، فقال : إنَّ أَمْرًا مَنَعَكِ مِنِّى لأَمْرٌ كَبِيرٌ. قال ابن عقبة والزهرىفيما رواه البيهقى وعروة وغيرهما : فلما رأى رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عكرمةَ وثَبَ إليه ـ وَمَا عَلَى رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ رداء فَرحاً بعكرمة ، ثُمّ جَلَسَ رَسُولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فوقف عكرمةُ بين يديه ومعه زوجَتُه مُتَنَقِّبة[1] ، فقال : يا محمد !! إنَّ هذه أَخْبَرَتْنِى أَنَّكَ أَمَّنْتَنِى ، فقالَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم / « صَدَقَتْ فَأَنْتَ آمن » قال عكرمة : فإلاَمَ تَدْعُو يا محمد ؟ قال : « أَدْعُو إِلَى أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَٰهَ إلاَّ الله ، وَأَنِّى رَسُولُ الله ، وتُقِيمَ الصَّلاَةَ ، وَتُؤْتِى الزَّكَاةَ ، وتفعل وتفعل » حتَّى عَدَّ خِصَالَ الإِسْلاَم ، فقالَ عِكْرِمةُ : والله مَا دَعَوْتَ إلاَّ إِلَى خَيْرٍ وأَمْرٍ حَسَنٍ جَمِيل ، قد كُنتَ فينَا يا رسُولَ الله قَبْلَ أَنْ تَدْعُونَا ـ إلى ما دَعَوتَنَا إليه ـ وأنت أَصْدَقُنا حَديثاً ، وَأَبَرُّنَا بِرًّا ، ثُمَّ قال عِكْرِمَةُ:فَإِنِّى أَشْهَدُ أَن لا إلَه إلاَّ الله ، وأَنَّ محمَّداً رسولُ الله ـ صَلَّى الله عليه وسلَّم ـ فَسُرَّ بِذَلِك رسولُ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ ثم قال : يا رسولَ الله : عَلِّمْنِى خير شَىْءٍ أقوله . قال : « تَقُول أَشْهَدُ أَن لَا إِلَٰهَ إلاَّ الله ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُه وَرَسُولُه » ، قَالَ عكرمة : ثُمَّ مَاذَا ؟ قالَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم : « تَقُول : « أُشْهِدُ الله وأُشْهِدُ مَنْ حَضَرَ أَنِّى مُسْلِم مُجَاهِدٌ مُهاجر » ، فقال عِكْرِمَة ذلك . ٢٥٢ و

* * *

ذكر إسلام صفوان بن أمية ـ رضى الله عنه

روى ابن إسحاق عن عُرْوَةَ بن الزّبير ، والبيهقىُّ عن الزُّهرى ، ومحمد بن عمر عن شيوخه قَالُوا : خَرَجَ صَفْوَانُ بنُ أُميَّةَ يريدُ جِدّة ليركبَ مِنْهَا إِلَى اليمن ، فقال عُمَيْر بنُ وَهْب : يَا نَبِيَّ الله ـ إنْ صَفْوَان بن أُمَيَّةَ سَيِّدُ قومى وقد خرج هارباً منك ، ليقذفَ نَفْسَه فى البحر ، فَأَمنه صلَّى الله عليك وسلَّم ـ قال : « هُوَ آمِن » فخرج عُمَير حتَّى أدركَه ـ وهو يُريدُ أَنْ يركَبَ البحر ـ وقال صفوانُ لغلامه يسار ـ وليس معه غيره ـ ويْحَك !! أُنظُرْ مَنْ تَرَى ؟ قَالَ : هَذَا عُمَيْر بنُ وَهْب ، قَالَ صَفْوَان : مَا أَصنَعُ بعمير ابن وهب ، والله مَاجَاءَ إلاَّ يريدُ قَتْلِي قَدْ ظَاهَرَ عَلَيَّ محمَّدًا ، فلحقه فقالَ : يا أَبا وهب

---

(١) كذا فى الأصول وفى المغازى للواقدى ٢ : ٨٥٢ « منتقبة »

جُعِلْتُ فِدَاك ، جِئْتُ مِنْ عِنْدِ أَبَرِّ النَّاسِ ، وَأَوْصَلِ النَّاسِ ، فداكَ أَبِى وأُمِّى اللهَ اللهَ فى نفسك أن تهلكها ، هذا أمان من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد جئتك به . قال : ويحك أُغرب عنى فلا تكلمنى . قال : أى صفوان فداك أبى وأمى .أفضلُ النَّاسِ وأَبَرُّ النَّاسِ وخيرُ النَّاس ابن عَمِّك ، عِزُّه عِزُّك ، وشَرَفُه شَرَفُك ومُلْكُهُ مُلْكُك ، قال : إنى أخافه على نفسى . قال : هُوَ أَحْلَمُ مِنْ ذَلك وأَكْرَم ، قَالَ : ولا أرجعُ مَعَك حتَّى تـأْتينى بعلامة أعرفها ، فقال : امكثْ مكَانَك حتَّى آتيك بِه ، فرجع عُمَيْر إلى رسُولِ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم – فقال : إنَّ صَفْوَان أَبَى أَنْ يأنَس لى حتَّى يرى منْكَ أَمارةً يعرفها ، فنزعَ رسولُ الله –صلَّى الله عليه وسلَّم – عِمَامَته فَأَعْطَاه إِيَّاهَا ، وهى البرد الَّذِى دخَلَ فيه رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – معتجرا به بُرْد حِبَرَة ، فرجعَ معه صَفْوانُ حتَّى أنتهى إِلَى رسولِ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – وهو يُصَلِّى بالمسلمين العَصْرَ فى المسجد ، فلمَّا سلَّم رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – صَاحَ صفْوان : يا محمد ، إنَّ عُمَير بن وَهْب جَاءَنِى ببُرْدِكَ ، وَزَعَمَ أَنَّك دَعَوْتَنِى إِلَى القُدُوم عَلَيْكَ ، فإن رَضِيت أمراً وإلا سيَّرتنى شهرين . فقال : « انْزِلْ أَبَا وَهْب » قال : لا وَالله حَتَّى تُبَيِّن لى.قال : « بل لك تَسْيِير أَربعة أَشهر » فنزل صفوان ، ولَمَّا خَرَجَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – إلى هَوَازِن وفرق غنائمها فرأى رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم – صفوان ينظر إلى شِعب ملآن نَعَمًا وشَاءً ورعاءً ، فأَدام النَّظَر إليه ، ورسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم – يرمقه فقال : « يَا أَبَا وَهْب يعجبك هذا الشِّعب ؟ » قال : نَعَم.قال : « هُوَ لَكَ وَمَا فِيه » فَقَبَضَ صَفْوَانُ مَا فِي الشِّعب ، وقال عِنْدَ ذَلِك : مَا طَابَتْ نَفْسُ أحد بمثلِ هَذَا إلاَّ نَفْسُ نَبىّ ، أشهدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ الله ، وأَنَّ محمَّداً عَبْدُه وَرسُولُه . وأَسلَم مكانه

* * *

ذكر اسلام هند بنت عتبة وما وقع فى ذلك من الآيات رضى الله عنها

عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : قالت هندُ بنت عُتْبَة : يا رسول الله ما كان على ظهر الأَرْضِ خباء–أو قالت من أهل خباء–أريد أن يذلُّوا من أهل خبائك،ثم ما أَصْبَحَ اليوم على ظهر الأرض خباء أو قالت مِنْ أَهْلِ خباءٍ أَحبّ إِلىّ مِنْ أَنْ يَعِزُّوا من أَهْلِ خباء أو قالت : خبائك ، رواه الشيخان .

وروى محمَّدُ بنُ عُمَر عن عمر بن عبد العزيز – رحمه الله تعالى – قال : سمعت مولاة لمروان بن الحكم تقول : سمعت هندا بنت عُتبة بن ربيعة تقول وهى تَذْكُر رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فتقول : أنا عَادَيْتُه كلَّ العَدَاوَةِ ، وفعلتُ يوم أُحُدٍ ما فعلتُ من المثلى بعمِّه وأصحابه ، وكُلَّما سيرت قريشٌ مسيرةً فأنا معها بنفسِي أَوْ مُعِينَةً لقريش ، حتَّى أن كنت لأُعينُ كلَّ مَنْ غَزَا إلى محمد ، حتَّى تجردتُ مِنْ ثِيَابِى ، فرأيتُ فى النَّوْمِ ثلاث ليال وِلاءً بعد فتح مكة ، رأيت كأنى فى ظلمةٍ لا أُبْصِرُ سَهْلاً ولا جَبَلاً ، وأرى تِلْكَ الظُّلْمة انفرجتْ علىَّ بضوء كأنَّه الشّمس ، وإذا رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يَدْعُونِى ، ثُمَّ رأيتُ فى اللَّيْلَةِ الثَّانية ، كأنِّى على طريقٍ يدْعُونِى ، وَإِذَا هُبَلُ عَنْ يمينِى يَدْعُونى ، وَإِذَا إسَاف عَنْ شِمَالى يدعُونِى ، وإذا بِرَسُول الله – صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم – بَيْنَ يدىَّ يقولُ : « هَلُمِّى إلَى الطَّرِيق ؛ ثُمَّ رأيتُ اللَّيْلَة الثَّالثة كأنِّى واقفةٌ على شفير جَهَنَّم ، يُرِيدُونَ أن يَدْفَعُونى فيها ، وَإِذَا بهبل يقول أدخلوها[1] فَالتَفَتُّ فَأَنْظُر رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – من ورائى آخذٌ بِثِيَابى ، فتباعدتُ مِنْ شَفِير النَّار فَلاَ أَرى النَّار ، ففزعتُ فقلت : ما هذا ، وقد تبيَّن لى ، فغدوتُ مِنْ سَاعَتِى إلى صنم فى بيتٍ كُنَّا نجعلُ عليه منديلا ، فأخذت قدوماً فجعلتُ أفلذه وأقول : طَالَمَا كُنَّا مِنْكَ فى غُرُور ، وأسلمْتُ .

وروى أيضاً عن عبد الله بن الزبير – رضى الله عنهما – أَنَّ هِنْداً أَتَتْ رسولَ الله – صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم – وهو بالأبطح ، فأسلمت ، وقالت : الحمدُ للهِ الَّذِى أَظْهَرَ الدِّين الَّذِى آخْتَارَه لِنَفْسِه لتمسنى رحمتُك يا محمد ، إنى امرأةٌ مُؤْمِنَة بِالله ، مُصَدِّقَةٌ به ثم كَشَفَتْ عَنْ نِقَابِهَا ، فَقَالَت : أنا هند بنت / عتبة ، فَقَالَ رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلم – : « مَرْحَبًا بِك » فَقَالَتْ يا رسولَ الله : واللهِ ما كانَ على وجه الأَرضِ مِنْ أَهْلِ خباء أحب إلىّ من أن يذلُّوا من خبائك ، ولقد أَصبحتُ وَمَا عَلَى الأَرضِ أَهل خباء أَحب إلى أن يَعزُّوا من خبائك . ٢٥٣ و

وروى أيضاً عن أبى حُصَين الهُذَلِىّ قال : لَمَّا أَسْلَمَتْ هند بنت عتبة ، أرسلتْ

(١) فى (ص) ٢ : ٢١٧ « ادخل » .

إِلَى رسولِ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – بهَدِيَّةٍ – وهو بالأَبطح – مع مَوْلَاةٍ لَهَا بجَدْيَيْن مَرْضُوفَيْن وقدٍ[1] ، فأنتهت الجَارِيَةُ إِلَى رَسُولِ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فقالت : إِنَّ مَوْلَاتِي أرسلتْ إِليكَ هذه الهديَّة ، وهي تعتذرُ إليكَ وتَقُول : إِنَّ غَنَمَنَا اليومَ قَلِيلَةُ الوالدة ، فقالَ رسولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عليه وسلم : « بَارَكَ اللهُ لَكُمْ فِي غَنَمِكُم وَأَكثر والدتها » وكانت المولاةُ تقول : لقد رأينا مِنْ كَثْرَةِ غَنَمِنَا ووالدتها مَا لَمْ نكنْ نَرَى قَبْل ولا قريباً ، فتقولُ هند : هَذَا بدُعَاء رسولِ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – ثُمَّ تقول : لقَدْ كُنْتُ أرى فِي النَّومْ أنِّي فِي الشَّمْسِ أبداً قائمة والظلُّ مِنِّي قريب لَا أقدرُ عليه ، فلمَّا دَنَا رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – رأيتُ كَأَنِّي دخلتُ الظِّلَّ .

* * *

ذكر سبب خطبته – صلى الله عليه وسلم – ثاني يوم الفتح وتعظيمه حرمة مكة

رَوَى ابنُ أبي شَيْبَةَ عن الزّهري ، ومحمدُ بنُ عمر عن شُيُوخِهِ ، قَالُوا : خرج غَزِيٌّ مِنْ هُذَيْلٍ في الْجَاهِلِيَّةِ وفيهم جُنَيْدِبُ بن الأَدْلَع[2] الهُذلى يريدون حيّ أحمر بأسا مِنْ أَسْلَم – وكانَ أحمر بأسا رجلاً من أَسْلَم شُجاعاً لا يُرام ، وكان لا ينامُ في حَيِّه إلاَّ ينام خارجاً من حاضره ، وكانَ إِذَا نَامَ غَطَّ غطيطًا مُنْكَراً لا يخفى مكانه ، وكان الحاضر إذا أتاهم فَزَعٌ صرخوا : يا أحمر بأسا . فيثورُ مِثْلَ الأَسَد ، فلمَّا جَاءَهُمْ ذَلِكَ الْغزيُّ مِنْ هُذَيل قَالَ لَهُمْ جنَيْدِبُ بنُ الأدلع : إِنْ كانَ أحمر بأسا قد قتِل في الحاضر فليس إليهم سبيل ، وإنَّ له غَطِيطاً لا يخفى ، فدُعونِي أتَسَمّع .فتسمع الحسّ فسمعه ، فأتاه حتَّى وجده نَائِماً فَقتَلَه ، وضعَ السَّيفَ على صدْرِه ، ثُمَّ اتَّكأَ عليه فقتله ثم حَمَلُوا على الحيِّ فصاحَ الحيّ يا أحمر بأسا ، فَلاَ شيءَ لأحمر بأسا ، قد قُتِل – فنالُوا مِنَ الحيِّ حَاجَتَهُم ، ثُم انصرفُوا وتشاغَلَ النَّاسُ بِالإِسْلَام ، فلمَّا كان بعْدَ الْفَتْحِ بيوم

---

(١) القد جلد السخلة (القاموس المحيط) . وانظر أساس البلاغة - ق د د .

(٢) كذا في الأصول وفي البداية والنهاية ٤ : ٣٠٥ الأثوغ وفي السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٨٠ « الأكوع » وفي السيرة الحلبية ٣ : ١١٨ « الأقرع » وهو جندب بن الأدلع الهزلي . قال ابن اسحاق والواقدي قتله خراش بن أمية يوم الفتح بذحل كان بينهما في الجاهلية ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم خزاعة أن يدوه . وحكى الطبري عن ابن اسحق القصة وسماه جنيدب مصغرا .

(الإصابة لابن حجر ١ : ٢٤٩)

دَخَلَ جُنَيْدِبُ بنُ الأَدلع الهُذلى مَكَّةَ يرتادُ وينظر والناس آمِنُون ، فرآه جُنْدُب بن الأَعْجَم الأَسْلَمِيُّ فقالَ : جُنَيْدب بن الأَدلع قاتل أحمر بأسا ؟ قال : نَعَمْ فَمَه ، فخرجَ جُنْدُب يستجيشُ عليه حَيَّه ، فَكَانَ أول من لقى خراش بن أُمَيَّة الكَعْبى فأخبره .

فاشتمل خِرَاش / على السَّيْف ثُمَّ أَقْبَلَ إليه - والنَّاس حَوْلَه ، وهو يحدِّثُهُم عن قَتْلِ أحمــــر بأسا ، فبينما هم مُجتمِعُــونَ عليه إذْ أَقْبَـــلَ خِرَاش بنُ أُميَّـــةَ ٢٥٣ ط فَقَال : هكذا عن الرجل . فوالله ما ظَنَّ النَّاسُ إلاَّ أنه يُفَرِّجُ النَّاسَ عنه لينصرفوا ، فانفرجوا فحمل عليه خِرَاشُ بنُ أُميَّة بالسَّيْف فطعنه به فى بَطْنه وابن الأَدلع مستند إلى جدار مِنْ جُدُرِ مَكَّة ، فجعلت حَشْوَته تسيلُ مِنْ بَطْنِه ، وإن عينيه لَتُزَنِّقَانِ[1] فى رَأْسِه ، وهو يَقُول : فَعَلْتُمُوهَا يا مَعْشَرَ خُزَاعَة ؟ فانْجَعَفَ فَوَقَع فمات . فَسَمِعَ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - بذلكَ فقالَ : « يَا مَعْشَرَ خُزَاعَة » ارفَعُوا أَيْدِيكُم عَن الْقَتْل ، فَقَدْ كثر القتل ، لَقَدْ قَتَلْتُم قَتِيلاً لأَدِيَنَّه ، إنَّ خِرَاشاً لَقَتَّال - يعيبه بذلك . لَوْ كُنْتُ قَاتِلاً مؤْمِناً بكَافِرٍ لَقَتَلْتُ خِرَاشاً .

وروى الشيخان والتِّرمذى عن ابن شريح خويلد بن عمرو العدوى ، والشيخان عن ابن عباس ، وابن منيع بسندٍ صحيح ، وابن أبى عمرو . والإمام أحمد ، والبيهقى عن ابن عمر ، وابن أبى شيبة ، والشَّيخان عن أبى هُرَيْرَة - رضى الله عنهم - وابن أبى شيبة عن الزُّهْرى ، وابن إسحاق عن بعضِ أهلِ العلم ، ومحمد بن عمر عن شُيُوخِه ، قالُوا : لمَّا كان الغدُ من يوم الفتح عَدَت خُزَاعةُ على رجل من هُذَيْلٍ فقتلوه - وهو مُشْرِك - فَقَامَ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - خطيباً بعد الظهر ، وأسند ظهره إلى الكَعْبَة .

وعند ابن أبى شيبة عن أبى هريرة : أنه - صلَّى الله عليه وسلَّم - ركب راحلته فحمدَ الله وأثْنَى عليه ، وقال : « أَيُّهَا النَّاس إنَّ الله تَعَالَى حَرَّم مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السموات والأَرْض وَيَوْمَ خَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، وَوَضَعَ هَذَيْنِ الْجَبَلَيْن ، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاس ،

---

(١) كذا فى الأصول وسيأتى شرحها فى غريب المفردات وفى المغازى للواقدى ٢ : ٨٤٤ « لتبرقان فى رأسه » .

فهى حَرَامٌ إلى يَوْم الْقيَامة ، فلا يَحِلُّ لامْرِءٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ فِيهَا دَماً ولا يعْضِدَ فيها شَجَراً ، لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحدٍ يَكُونُ بَعْدِى ، وَلَمْ تَحِلَّ لِي إلاَّ هَذِه السَّاعَةِ غَضَباً عَلَى أَهْلِهَا - أَلاَ قَدْ رَجَعَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهدُ منْكُم الغائبَ ، فَمنْ قَالَ لَكُم إنَّ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلّم - قَد قَاتَلَ فِيهَا فَقُولُوا له : إن الله تَعَالَى قَدْ أَحَلَّهَا لِرَسُولِ اللهِ - صَلَّى الله عليه وسلَّم - وَلَمْ يحِلَّها لَكُم ، أَيُّهَا النَّاس ، إن أَعْدَى النَّاسِ عَلَى اللهِ مَن قَتَلَ فى الْحرَم ، أَوْ قَتَلَ غَيْرَ قَاتِله ، أَوْ قَتَل بِذُحُولِ الْجَاهِلِيَّة[1] ، يَا مَعْشَرَ خُزَاعَة ارْفَعُوا أَيْدِيكُم عن الْقَتْلِ فَقَدْ وَاللهِ كَثُر إنْ نَفَع ، فَقَدْ قَتَلْتُم قتيلاً لَأَدِيَنَّهُ ، فَمَنْ قُتِلَ بَعْدَ مَقَامِى هَذَا فَأَهْلُه بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ إنْ شَاءُوا فَدِيتُهُ كَامِلَة ، وَإنْ شَاءُوا فَقَتْله[2] ثم وَدَى رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - ذلك الرَّجُلَ الَّذى قتلته خُزَاعة . قال ابن هِشَام : مائة ناقة . قال ابن هشام : وبلغنى أَنَّه أَوَّلُ قتيلٍ وَدَاه / رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم . ٢٥٤ و

* * *

ذكر قوله - صلى الله عليه وسلم - فى قريش انها لا تقتل صبرا

روى مسلم عن عبد الله بن مطيع بن الأَسود عن أَبيه - رضى الله عنه - قال : سمعتُ رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يقولُ يوم فتح مكة : « لاَ يُقْتَلُ قُرَيْشِيٌّ صَبْراً بَعْدَ الْيَوْم إلَى يَوْمِ الْقِيَامَة[3] » .

وروى محمد بن عمر عن أَبِى حُصين الهذلى قال : لما قُتِلَ النفرُ الذين أَمرَ رسولُ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - بقتلهم سُمِعَ النَّوْحُ عليهم بمكَّة ، وجاءَ أَبو سفيانَ بن حرب إلى رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : فداكَ ابى وأُمى البَقِيَّةَ فى قَوْمِك ، فقالَ رسولُ الله - صلَّى اللهُ علية وَسَلَّم - : « لا يُقْتَلُ قُرَيْشِيٌّ صَبْراً بَعْدَ الْيَوْم » قال محمد بن عمر : يعنى على الكُفْرِ[4] .

---

(١) الذحول : جمع ذحل وهو الثأر ، وقيل هو العداوة والحقد ، ويجمع أيضاً على أذحال . (اللسان) .

(٢) كذا فى الأصول وفى المغازى للواقدى ٢ : ٨٤٤ والسيرة الحلبية ٣ : ١١٨ والبداية والنهاية ٤ : ٣٠٦ « إن شاءوا فدم قاتله وإن شاءوا فعقله » .

(٣) صحيح مسلم ٣ : ١٤٠٩ تحقيق فؤاد عبد الباقى .

(٤) المغازى للواقدى ٢ : ٨٦٢ .

وروى أيضاً عن الحارث بن البرصاء - رضى الله عنه - قال : سمعتُ رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يقول : « لا تُغْزَى قُرَيْشٌ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ على الكُفْرِ[1] » .

* * *

ذكر استسلافه - صلى الله عليه وسلم - مالا وتفريقه على المحتاجين ممن كان معه

روى محمد بن عمر عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومى قال : أرسلَ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يوم الفتح ، فاستسلف مِنْ عبد الله ابن أبى ربيعة بن المغيرة أربعين أَلْفَ دِرْهَم ، فأعطاه ، فَلَمَّا فتح الله تعالى هَوَازن ، وغنَّمهُ أموالها رَدَّها ، وقال : « إنَّما جَزَاءُ السَّلَف الحمدُ والأَداء » ، وقال : « بَارَكَ اللهُ لَكَ فِى مَالِكَ وَوَلَدِكَ[2] » .

ورُوِى أَيْضاً عن أَبى حُصَيْن الْهُذَلى قال : استقرض رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - من ثلاثةِ نَفَرٍ من قريش ، من صَفْوان بن أميّة خمسين أَلفَ دِرْهَم فأقرضه . وَمِنْ عَبدالله ابن أبى ربيعة أربعين ألفَ دِرْهَم ، ومن حُوَيْطِب بن عبد العُزّى أربعين ألف درهم ، فكانت ثلاثين ومائة ألف درهم ، فَقَسَّمَهَا رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - بين أصحابه من أَهْلِ الضَّعْف ، قال أبو حُصَين ، فأخبرنى رجالٌ من بنى كِنَانة كانوا مع رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فى الفتح أنه قسّم فيهم دراهم فيصيب الرجلُ خمسين درهماً أو أقل أو أكثر من ذلك[2] .

* * *

ذكر نهيه - صلى الله عليه وسلم - عن ثمن الخمر والخنزير وعن الميتة وبعض فتاويه وأحكامه

روى ابن أبى شَيْبَة عن جابر - رضى اللهُ عنه / قال : سمعتُ رسولَ الله - صلَّى الله ٢٥٤ ظ عليه وسلَّم - عام الفتح يقول : « إنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ بَيعَ الخَمْر والخَنَازِير والْمَيْتَة

---

(١) المرجع السابق ٢ : ٨٦٢ .

(٢) المغازى للواقدى ٢ : ٨٦٣ .

وَالأَصْنَام » فقال رجلٌ : يا رسولَ الله !! مَا تَرى فى شُحُومِ الميتة فإنَّه يدهن بها السّفن والجلُود ، ويستصبح بها ؟ قال : « قَاتَلَ اللهُ اليَهُودَ ؛ إنَّ الله لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِم شُحُومَهُمَا أخذوها فجملُوهَا ثُمَّ بَاعُوهَا وَأَكَلُوا ثَمَنَهَا[1] » .

وروى ابنُ أَبِي شَيْبَةَ عن عبد الرّحمن بن الأَزهر – رضى الله عنه – قال : رأيت رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – عامَ الفتح – وأنا غلامٌ شاب – ينزل عند منزل خالد ابن الوليد ، وأُتي بِشَارِبٍ فأَمرهم فضربوه بِما فى أَيديهم ، فمنهم من ضَرَبَ بالسَّوط ، وبالنَّعْل ، وبالعَصَا وحثا رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – التُّراب[2] .

وروى الشَّيخانِ عن عائشةَ أَنَّ هِنْداً بنتَ عُتْبَة سأَلت رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يومَ الفتح قالت : يا رسولَ الله إنَّ أَبا سُفيان رجلٌ مِسِّيك ، فهلْ مِنْ حَرَجٍ أَن أُطْعِمَ مِنَ الذى له عِيَالَنَا ؟ فقال لها : « لَا عَلَيْكِ أَنْ تُطْعِمِيهِمْ بِالمَعْرُوف[3] » .

وعن عَائِشَةَ – رضى اللهُ عنها – قالتْ : كانَ عُتْبَةُ بنُ أَبِي وقَّاص عهد إلى أخيه سعد أَن يَقْبِضَ عبْدَ الرّحمٰن بن وَلِيدَة زَمْعَة ، وقال عُتْبَة : إنَّه ابنى ، فلمَّا قدِمَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – مكَّة فى الفتح رأى سعدٌ الغلام فعرفه بالشَّبه فاحتضنَه إليه وقَالَ : ابنُ أَخِى وربِّ الكعبة ، فأقبلَ به إلى رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وأَقبلَ معه عَبْدُ بنُ زَمْعَة ، فقال سعدُ بن أَبى وقاص : هذا ابن أَخى عَهِدَ إلىّ أَنَّه ابنُه ، فقال عَبْدُ بنُ زَمْعَة : يا رسولَ الله ، هذا أَخى ، هذا ابنُ زَمْعَة وُلِدَ على فراشه ، فنظر رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – إلى ابن وليدة زَمْعَة فإذا هو أَشْبَهُ النَّاسِ بعُتْبَةَ بن أَبى وَقَّاص فقالَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – « هُوَ » – أى الولد « لَكَ هُوَ أَخُوكَ يَا عَبْدُ ابنُ زَمْعَه ؛ من أَجل أَنه ولد على فِرَاشِهِ ، الوَلَدُ لِلْفِرَاشِ ، وَلِلْعَاهِرِ الحجرُ ، واحْتَجِبِى مِنْهُ يَا سَوْدَة ، لما رَأَى مِنْ شَبه عُتْبَةَ بن أَبى وقَّاص بِالْوَلَد . رواه البخارى[4] .

---

(١) مسند احمد ٣ : ٣٢٤ ط الميمنية وبهامشه منتخب كنز العمال .

(٢) السنن الكبرى للبيهقى ٨ : ٣١٩ ، ٣٢٠ من رواية عبد الرحمن بن الأزهر .

(٣) إرشاد السارى ٦ : ١٧١ .

(٤) إرشاد السارى ٦ : ٣٩٨ .

وعن عروةَ بنِ الزُّبير عَنْ عَائشةَ ـ رضى اللهُ عنها ـ : أَنَّ آمرأَةً سرقت فى عَهْدِ رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فى غزوةِ الفتح ، فقالوُا : مَنْ يُكَلِّم فيها رسولَ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ؟ فقيل : ومن يجترئُ عليه إلا أُسامة بن زَيْدٍ حِبّ رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ؟ ففزعَ قومُهَا إلى أُسَامَةَ بْنِ زَيد يستشفعونَ به إِلَى رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فلما كلَّمَه أُسامةُ فيها تَلَوَّنَ وَجْهُ رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال : « أَتُكَلِّمُنِى » وفى لفظِ « أَتَشَفَعُ فِى حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله ؟! » قال أُسامة : يا رسولَ الله إستغفر لى فلما كان العشِىُّ قَامَ رسولُ الله ـ صلَّى الله / عليه وسلَّم ـ خطيباً ٢٥٥ و فأَثْنَى على الله ـ تعالى ـ بما هو أهلُه ، ثُم قال : « أَمَّا بَعْد فَإِنَّمَا أَهلَكَ النَّاسَ » وفى لفظِ « هلك بنو إِسْرَائيل » وفى لفظِ « الَّذِين مِنْ قَبْلِكُم » أنهُم كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهم الشَّرِيفُ تركُوه ، وَإِذَا سَرَقَ فيهم الضعيف وفى لفظِ الْوَضيعُ قَطَعُوه » وفى لفظ : أَقَامُوا عَلَيْه الحَدَّ ، والَّذِى نَفْسِى بِيَدِه لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لقطَعْتُ يَدَهَا » ثم أَمر رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بتلك المرأة وفى رواية النَّسائى « قم يا بلال ، فخذ بيدَها فاقطعها » فحسُنَتْ توبتَهَا بعد ذلك ، وتزوَّجَتْ رجلاً من بنى سُليم ، قالت عائشةُ : فكانتْ تَأْتينى بَعْدَ ذلك فأَرفعُ حاجتها إلى رسُولِ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ رواه الإِمام أحمد والشَّيْخَان[1] والنَّسائى والبيهقى .

* * *

ذكر من نذر ان فتح الله تعالى مكة على رسوله ان يصلوا ببيت المقدس

عن جابرٍ ـ رضى الله عنه ـ أَنَّ رجلاً قال يومَ الفتح ، إِنِّى نذرتُ إن فتح اللهُ عليك مكَّةَ أن أُصلِّى فى بيتِ المقدس ، فقالَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « صَلِّ هَهُنَا » فسأَله فقال : « صَلِّ هَهُنَا » فسأله ، فَقَالَ : شأْنك إذن ، رواه الإمام أحمد[2] ، وأَبو داود بإسناد صحيح والحاكم وقال : على شرط مسلم ، والإمام أحمد وأبى داود . وفى رواية عن

(١) إرشاد السارى ٦ : ٤٠٠ .

(٢) مسند الأمام احمد ٣ : ٣٦٣ ط الميمنية .

بعضِ الصّحابة ، فقالَ رسولُ الله – صلَّى اللهُ علية وسلَّم – : « والَّذِى بَعَثَ مُحَمَّداً بالحقّ لَوْ صَلَّيْتَ هَهُنَا لَقَضَى عنْك ذلك كُلَّ صلاة فى بيت المقدس » .

* * *

ذكر قوله – صلى الله عليه وسلم – لا تغزى مكة بعد اليوم

عن الحارث بن مالك – رضى الله عنه – قال : سمعتُ رسولَ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – يقولُ يومَ فتح مكَّة : « لاَ تُغْزَى هَذِه بَعْدَ اليَوْم إلَى يَوْم القِيَامَة » رواه الإمام أحمد ، والتِّرمذىّ ، وقال : حديث حسنٌ صحيح . قال العلماء : معنى قوله : « لَا تُغْزَى » يعنى على الكُفْر[1] .

* * *

ذكر ارساله – صلى الله عليه وسلم – السرايا لهدم الأصنام التى حول مكة ، والاغارة على من لم يسلم

روى محمد بن عمر عن عبيد بن عمير – رحمه الله تعالى – قال : : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى يوم فتح مكة : لم تحل لنا غنائم مكة . وروى أيضاً عن يعقوب بن عتبة قال : لم يغنم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من مكة شيئاً ، وكان يبعثُ السَّرايَا خارجةً من الحرم ، وعرفة ، والحل ، فيغنمون ويَرْجعُون إليه ، قَالُوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بنَ الوليد لهدم العُزَّى ، وخالدَ بن سعيد بن العاص قِبل عُرَنَة ، وهشامَ بن العاص قِبَل يَلَمْلَم ، وسعدُ بن زيد الأَشْهَلى إلى مَنَاة ، وغيرهم ، وسيأتى بيان ذلك مبسوطاً فى السَّرايا – إن شاء الله تعالى

* * *

/ ذكر قوله – صلى الله عليه وسلم – لا هجرة بعد الفتح

٢٥٥ ظ

وذلك أن مكَّة شرّفها الله تعالى كانت قَبْلَ الفتح دَارَ حَرْبٍ ، وكانت الهِجْرَةُ منها واجبةٌ إلى المدينة ، فلمَّا فُتِحَتْ مَكَّة صارت دَارَ إسْلَام ؛ فانقطعت الهِجْرَة منها .

---

(١) هذا الحديث من رواية الإمام احمد عن يحيى بن سعيد وسفيان بن عيينة ويزيد بن عبيه كلهم عن زكريا عن أبى زائدة عن عامر الشعبى عن الحارث بن مالك بن البرصاء الخزاعى ، ورواه الترمذى عن بندار عن يحيى بن سعيد القطان . وقال ابن كثير : فإن كان نهيا فلا إشكال وإن كان نفياً فقال البيهقى معناه على كفر أهلها (السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٨١) .

عن ابن عباسٍ - رضى الله عنهما - قال : قال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يوم الفتح فتح مكة : « لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْح ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّة وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُم فَانْفِرُوا » رواه الشيخان[1] .

وعن عطاء بن أَبي رباح - رحمه الله تعالى - قال : زرتُ عائشة - رضى الله عنها - مع عُبَيد بن عمير الليثى ، وهى مجاورة بثبير فسأَلها عن الهجرةِ فقالت : « لَا هِجْرَةَ اليَوْمَ ، كَانَ المُؤْمِنُونَ يفرُّ أَحدُهُم بِدِينِه إلى اللهِ وَرَسُولِهِ مَخَافَةَ أَن يُفْتَن عنه ، فَأَمَّا اليَوْمَ فَقَدْ أَظْهَرَ اللهُ تعالى الإِسلام ، فالمؤمنُ يعبدُ ربَّه حيثُ كَانَ ؛ ولكن جهادٌ ونِيَّة » . رواه الشَّيخان[2] .

وعن يَعْلَى بن صَفْوَان بن أُميَّةَ - رضى الله عنهما - قال : جئتُ بأَبى يومَ الفتح ، فقلت : يا رسولَ الله بايع أَبِى عَلَى الهِجْرَة ، فقالَ رسولُ اللهِ - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - « بل أُبايعه على الجهاد ، فقد انقضت الهِجْرَة » . رواه الإِمام أَحمد[3] والنّسائى .

وروى ابن أَبي أُسامة عن مجاهدٍ - مُرْسَلا . قال : جاء يَعْلى بن صَفْوَان بن أُمية - رضى الله عنهما - بعد الفتح فقال : يا رسولَ الله - اجعل لأَبى نصيباً فى الهجرة ، فقال : « لَا هِجْرَةَ بَعْدَ اليَوْم » فأَتى العباس فقال : يا أَبَا الفضل ، أَلستَ قَدْ عرفتَ بَلَائِى ؟ قال : بَلَى ، وماذَا ؟ قال : أَتيتُ رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - بِأَبى ليبايِعَه على الهِجرَة فَأَبى ، فقامَ العباسُ معه فى قيظٍ ما عليه رداء ، فقال لرسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - أَتاك يَعْلَى بأَبيه لتبايعَهُ على الهِجرة فلم تفعل ، فقال : إنه لَا هِجْرَة اليَوْم » قال : أَقسمتُ عليكَ يا رسول الله لتبايعه ، فمدَّ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يدَه فبايعه فقال : « قَدْ أَبْرَرْتُ عَمِّى وَلَا هِجْرَةَ » .

---

(1) صحيح مسلم ٣ : ١٤٨٨ .
(2) إرشاد السارى ٦ : ٤٠٠ .
(3) مسند الإمام احمد ٦ : ٤٦٦ .

ذكر قدر اقامته ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمكة

عن ابن عباس – رضى الله عنهما –قال : أقام رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بمكة تِسْعَةَ عَشَرَ يوماً يُصَلِّي رَكْعَتَيْن[1] »، وفى لفظٍ[2] « أَقَمْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة تِسْعَةَ عَشَرَ نقصرُ الصَّلاَةَ » رواه البخاريّ . وأبو داود ، وعنده سبعة عشر بتقديم السِّين على المُوحدة وعن عمْرَان بن حُصين – رضى الله عنهما – قال : غَزَوْتُ مع رَسول الله – صلَّى الله عليه / وسلَّم – الفَتْح ، فَأَقَامَ بمكَّة ثَمَانِى عَشْرَةَ لَيْلَةً لَا يُصَلِّى إلاَّ رَكْعَتَيْن » . رواه أبو داود . ٢٥٦ و

وعن أنسٍ – رضى الله عنه – قال : « أقمنَا مع رسول الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – عشرة نقصِّرُ الصَّلاَةَ » . رواه البخاريّ فى باب مُقَامِ النَبى – صلَّى الله عليه وسلَّم – بمكَّةَ زمان الفتح[3]

وعن عُبيد اللهِ بنِ عبد الله بن عُتبة بن مسعودٍ عن ابن عباس رضى الله عنهما : « أن رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – أقامَ بمكَّة عَامَ الفتْح خَمْسَ عَشْرَةَ يقصرُ الصَّلاَةَ » رواه أبو داود مِنْ طريق ابْنِ إسْحاق ، والنّسائى من طريق عراك بن مالك كِلاَهُمَا عن عُبيد الله ، وصحَّحه الحَافِظ .

* * *

ذكر اخباره ــ صلىالله عليه وسلم ــ ذا الجوشن(٤) بانه سيظهر على قريش

روى ابنُ سعدٍ عن ابن إسحاق السبيعى – رحمه الله تعالى – قال : قَدِمَ ذُو الجوشن الكلابى على رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقال له : « ما يَمْنَعُكَ مِنَ الإسْلاَمِ ؟ »

---

(١) رواه البخارى من طريق عاصم عن عكرمة عن ابن عباس (شرح المواهب ٢ : ٣٤٦) .

(٢) أى فى رواية أخرى عن ابن عباس (المرجع السابق) .

(٣) رواه البخارى فى أبواب التقصير . وقال الحافظ ابن حجر . ولا معارضة بينهما أى حديث البخارى الذى رواه عن ابن عباس وحديثه هذا عن أنس . فحديث ابن عباس فى فتح مكة وحديث أنس فى حجة الوداع (شرح المواهب ٢ : ٣٤٧)

(٤) ورد فى هامش (ت) « اسمه أوس بن الأعور ، وقيل شرحبيل بن الأعور بن عمرو بن معاوية – روى عنه أبو اسحاق السبيعى ، وقيل إن أبا اسحاق لم يسمع منه وإنما سمع حديثه من ابنه شمر بن ذى الجوشن عن أبيه ، وذكر ابن المبارك عن يونس بن أبى اسحاق عن أبيه عن ذى الجوشن قال : وكان اسمه شرحبيل وسمى ذا الجوشن من أجل صدره كان ناتئاً – الاستيعاب » .

قال : رَأَيْتُ قَوْمَكَ كَذَّبُوكَ وَأَخْرَجُوكَ وَقَاتَلُوك ، فَأَنْظر ، فَإن ظَهَرتَ عَلَيْهِم آمنْتُ بِك واتَّبَعْتُكَ ، وإنْ ظَهَرُوا عَلَيْكَ لَمْ أَتَّبِعْكِ ، فقال لَهُ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عليه وَسلَّم - « يَاذَا الْجَوْشَن لَعَلَّكَ إن بقِيتَ قَلِيلاً أَنْ تَرَى ظُهُورِى عَلَيْهِم » قال فوالله إنى لَبضريّه[1] إذْ قَدِم علينا راكبٌ من قِبَلِ مكة ، فقلنَا مَا الخبر ؟ قال : ظَهَرَ محمدٌ على أَهلِ مكَّة ، فكان ذُو الجوشن يتوجَّعُ على تركه الإسلام حين دَعَاهُ إليه رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - قلتُ : وأَسلم بعد ذلك ، وروى عن النبي - صلى الله عليه وسلَّم .

* * *

ذكر بعض ما قيل من الشعر فى فتح مكة - زادها الله تعالى شرفا

قال / حسان بن ثابت - رضى الله عنه - فى غزوة الحُدَيْبِيَة مشيراً إلى الفتح ، وبعضها فى الجاهلية ، كما ورد ذلك عنه ، وهو ما أسقطته منها فى وَصف الخمر[2] : ٢٥٦ ظ

عَفَتْ ذَاتُ الأَصَابعِ فالجِوَاءُ ... إلَى عَذْرَاءَ مَنْزِلُهَا خَلاَءُ

دِيَارٌ مِنْ بَنِى الحَسْحَاسِ قَفْرٌ ... تُعَفِّيهَا الرَّوَامِسُ والسَّمَاءُ

إلى أن قال :

عدمنا خَيْلَنَا إن لم تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ موعدها كَدَاءُ

يُنَازِعْنَ الأَعِنَّةَ مُصْغِيَاتٍ ... على أكتافها الأَسَلُ الظِّمَاءُ

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ... يُلَطِّمُهُنَّ بالخُمُرِ النِّسَاءُ

فإمّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وَكَانَ الفَتْحُ وَانْكَشَفَ الغِطَاءُ

وَإلاَّ فَاصْبِرُوا لِجلاَدِ يَوْمٍ ... يُعِينُ اللهُ فيه مَنْ يَشَاءُ

وجِبْرِيلٌ رسولُ اللهِ فينَا ... وَرُوحُ القُدْسِ لَيس له كِفَاءُ

---

(١) ضرية : قرية سميت باسم بئر يقال لها ضرية ، وقيل سميت بضرية بنت نزار وقيل صقع واسع بنجد ينسب إليه حمى ضرية ، وقيل هى على عشرة أيام من مكة . (وفاء الوفا ٣ : ١٠٩٢ تحقيق محى الدين) .

(٢) وانظر القصيدة فى ديوان حسان بن ثابت تحقيق د . سيد حنفى ص ٧١ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٢١ ، السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٨٧ - ويلاحظ أن هناك اختلافاً كثيراً فى ألفاظ هذه الأبيات وترتيبها لاداعى لذكره هنا .

وَقَالَ اللهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْداً … يَقُولُ الحقَّ إنْ نَفع البَلَاءُ

شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صَدِّقُوهُ … فَقُلْتُمْ لَا نَقُومُ ولَاَ نَشَاءُ

وقَالَ اللهُ قَد سَيَّرْتُ جُنْداً … هُمُ الأَنْصارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ

لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِن مَعَدٍّ … سِبَابٌ أَو قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ

فَنُحْكِمُ بالقَوافِي مَنْ هَجَانَا … ونضربُ حين تَخْتَلِطُ الدِّمَاءُ

ألا أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي … مُغَلَّظَةً فَقَدْ بَرِحَ الجَفَاءُ

بَأَنَّ سُيُوفَنَا تَرَكَتْكَ عَبْداً … وَعَبْدُ الدَّار سَادَتُها الإِمَاءُ

هَجَوْتَ مُحَمَّداً وَأَجَبْتُ عَنْهُ … وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الجَزَاءُ

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفءٍ … فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ

هَجَوْتَ مُبَارَكاً بَرًّا حَنِيفاً … أَمِينَ اللهِ شِيمَتُهُ الوَفَاءُ

أَمَنْ يَهْجُو رَسولَ اللهِ مِنْكُمْ … وَيمْدَحُهُ وَيَنْصُرُه سَواءُ

فإنَّ أَبِي وَوَالدَي وعِرْضِي … لِعرْضِ مُحَمَّد مِنْكُمْ وِقَاءُ

فَسَوْفَ يَجِيئُكُم عنه حُسَامٌ … يَصُوغُ المحكمَات كما يَشَاءُ

لِسَانِي صَارِمٌ لاَ عَيْبَ فِيهِ … وبَحْرِى لا تكَدِّرُهُ الدِّلَاءُ

وقال كعب بن مالك ـ رضى الله عنه[1] ـ :

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةَ كُلَّ إربٍ … وخَيْبَرَ ثُمَّ أجملنا السيُوفَا

نُخَيِّرُها ولو نَطَقَت لَقَالَتْ … قَوَاطِعُهُنَّ دَوْساً أَوْ ثَقِيفَا

فلستُ لحاضِنٍ إن لَمْ تَرَوْهَا … بساحةِ دَارِكُم مِنَّا أُلُوفَا

ونَنْتَزِعُ العَرُوشَ بِبَطْنِ وَجٍّ … وَتُصْبِحُ دَارُكُمْ منكم خُلُوفَا

ويأتِيكُمْ لَنَا سَرْعَانُ خَيْلٍ … يُغَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعاً كَثِيفَا

---

(١) قال ابن هشام فى سيرة النبى ٢ : ٤٦٨ : أن كعب بن مالك قال هذه القصيدة حين أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى الطائف وذلك بعد أن فرغ من حنين ، وانظر القصيدة أيضاً فى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٥٢ والمغازى للواقدى ٢ : ٨٠٢ ويلاحظ الاختلاف بين ألفاظ الروايات .

إذَا نَزَلُوا بساحتِكُمْ سَمِعْتم ... لَهَا مِمَّا أَنَاخَ بِها[1] رَجيفَا
بأَيْدِيهِمْ قَوَاضِبُ مُرْهَفَاتٌ ... يُزِرْنَ المصطلين بها الحُتُوفَا
كأَمثال العَقَائق أخلصتْها ... قُيُونُ الهِنْدِ لَمْ تُضرب كتِيفاً
تخال جديَّةَ الأَبْطَال فِيهَا ... غَدَاة الزَّحْفِ جاديًّا مَدوفَا
أَجَدَّهُمُ أَلَيْسَ لَهُمْ نَصِيحٌ ... مِن الأَقْوَامِ كَانَ بنَا عَرِيفَا
يُخَبِّرُهُم بأَنَّا قَدْ جَمَعْنَا ... عِتَاق الخَيْلِ والنُّجُبَ الطُّرُوفَا
وأَنَّا قَدْ أَتَيْنَاهُم بِزَحْفٍ ... يُحِيطُ بِسُورِ حِصْنِهِمُ صُفُوفَا
رئيسُهُمُ النَّبِيُّ وَكَانَ صُلْباً ... نَقِيَّ القَلْبِ مُصْطَبِراً عَزُوفَا
رَشِيدَ الأَمْرِ ذَا حُكْمٍ وعِلْمٍ ... وحِلْمٍ لَمْ يَكُنْ نزِقاً خَفِيفَا
نُطِيعُ نَبِيَّنَا ونُطِيعُ رَبًّا ... هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بِنَا رَءُوفَا
فَإِنْ تُلْقُوا إِلَيْنَا السِّلْمَ نَقْبَلْ ... ونَجْعَلْكُمْ لَنَا عَضُداً وريفا
وإِنْ تَأْبَوا نُجَاهِدْكُم وَنَصْبِر ... ولايَكُ أَمْرُنَا رَعِشاً ضَعِيفَا
نُجَالِدُ ما بَقِينَا أَو تُنِيبُوا ... إلى الإِسلام إِذْعَاناً مُضِيفا
نُجَالِدُ لَا نُبَالِي مَنْ لَقِينَا ... أَأَهْلَكْنَا التِلَادَ أَمِ الطَّرِيفَا
/وَكَمْ مِنْ مَعْشَرٍ أَلِبُوا عَلَيْنَا ... صمِيمَ الجِذْمِ مِنْهُم والحَلِيفَا
أَتَوْنَا لَا يَرَوْنَ لَهُمْ كِفَاءً ... فجدَّعْنَا المَسَامِعَ والأُنوفَا
بكُلِّ مُهَنَّدٍ لَيْنٍ صَقِيلٍ ... نَسُوقُهُم بِهَا سَوْقاً عَنِيفَا
لِأَمْرِ اللهِ والإِسْلَامِ حَتَّى ... يقومَ الدينُ مُعْتَدِلاً حنيفَا
وتُنْسَى اللَّاتُ والعُزَّى وَوَدٌّ ... ونَسْلُبُها القَلَائِدَ والشُّنُوفَا
فأَمْسَوْا قَدْ أَقَرُّوا واطْمَأَنُّوا ... ومَنْ لَا يَمْتَنِعْ يَقْبَل خُسُوفَا

٢٥٧ و

(١) كذا في ط ، ص ، وفي ت ، م « أناخ به » .

وقال أنس بن زُنَيْم الدّيلي – رضى الله عنه – : يعتذر إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – مما كان قال فيه عمرو بن سالم الخزاعي – رضى الله عنه[1] :

أأنت الذى تُهْدَى مَعَدٌّ بِأَمْـرِه ... بلِ اللهُ يَهْدِيهِم وَقَالَ لَكَ اشْهَدِ
وَمَاحَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا ... أَبَرَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدِ
أَحَثَّ عَلَى خَيْرٍ وأَسْبَغَ نَائِلاً ... إِذَا رَاحَ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ المُهَنَّدِ
وأَكْسَى لِبُرْدِ الخَالِ قَبْلَ ابْتِذَالِهِ ... وَأَعْطَى لِرَأْسِ السَّابِقِ المتجرِّدِ
تعلَّمْ رسول الله أنك مدركى ... وأن وعيدًامنك كالأخذ باليد
تعلم رسول الله أنكَ قَادِرٌ ... على كل صِرْمٍ مُتْهِمين ومُنْجِد
تَعَلَّم بأَنَّ الرَّكْب رَكْبَ عُوَيْمِرٍ ... هُمُ الكَاذِبُونَ المُخْلِفُو كُلَّ مَوْعِدِ
ونَبَّوْا رَسُولَ اللهِ أَنِى هَجَوْتُه ... فَلاَ حَمَلَتْ سَوْطِى إِلَىَّ إِذًا يدى
سِوَى أَنَّنِى قَدْ قُلْتُ وَيْلُ أُمِّ فِتْيَةٍ ... أُصِيبُوا بِنَحْسٍ لاَبِطَلْقٍ وَأَسْعُدِ
أَصَابَهُمُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِم ... كِفَاءً فَعَزَّتْ عَبْرَتِى وَتَبَلُّدى
وإنَّكَ قَدْ أَخفَرْتَ إِنْ كُنْتَ سَاعِيًا ... بِعَبْدِ بنِ عَبْدِ اللهِ وابنةِ مَهْوَدِ
ذُؤَيْبٌ وكُلْثُومٌ وسَلْمَى تتابعوا ... جميعا فإلاَّ تَدْمَعِ العَيْنُ أَكْمَدِ
وَسَلْمَى وسَلْمَى لَيْسَ حىٌّ كمِثْلِهِ ... وإخوتُهُ أَوَهَلْ مُلُوكٌ كأَعْبُدِ
فإِنِّى لاَ ذَنْبًا فَتَقْتُ ولاَ دَمـاً ... هَرَقْتُ تَبَيَّنْ عَالِمَ الحَقِّ واقصدِ

ويرحم الله تعالى الإمام أبا محمد عبد الله بن أبى زكرياء الشقراطيسى[2] حيث قال :

ويومُ مَكَّة إذ أَشْرَفْتَ فِى أُمَمٍ ... تَضِيقُ عنها فِجَاجُ الوَعْثِ والسَّهَلِ
خَوَافِقٍ ضَاقَ ذَرْعُ الخَافِقَيْنِ بِها ... فى قَاتِمٍ من عَجَاجِ الخَيْلِ والإبلِ
وجَحْفَلٍ قُذُفِ الأَرْجَاءِ ذِى لَجَبٍ ... عَرَمْرَمٍ كَزُهَاءِ السَّيلِ مُنْسَحِلِ
وأَنتَ صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ تَقْدُمُهُم ... فى بَهْوِ إِشْرَاقِ نُورٍ مِنْكَ مُكْتَمِلِ

---

(١) وانظر القصيدة فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٢٢ ، والمغازى للواقدى ٢ : ٧٩٠ ، والسيرة النبوية لا بن كثير ٣ : ٥٨٩ . ويلاحظ اختلاف بعض ألفاظ الروايات .

(٢) هو أبو محمد بن عبد الله بن أبى زكريا يحى بن على الشقراطيسى نسبة إلى شقراطسة : بلدة من بلاد الجريد الإفريقية . (شرح المواهب ٢ : ٣٢٨) . وانظر القصيدة هناك .

يُنِيرُ فَوْقَ أَغَرِّ الوَجْهِ مُنْتَجِبٍ مُتَوَّجٍ بعَزِيزِ النَّصرِ مُقْتَبِلِ
يَسْمُو أَمَامَ جُنُودِ اللهِ مُرْتَدِياً ثَوْبَ الوَقَارِ لأمرِ اللهِ مُمْتَثِلِ
خَشَعْتَ تَحْتَ بَهاءِ العِزِّ حِينَ سَمَتْ بِكَ المَهَابَةُ فِعْلَ الخَاضِعِ الوَجِلِ
وقد تَبَاشَرَ أَمْلاَكُ السَّماءِ بمَـــا مُلِّكْتَ إذ نِلْتَ مِنْهُ غَايَةَ الأَمَلِ
/والأَرْض تَرجُفُ مِن زَهْوٍ ومِن فَرَقٍ والجَوُّ يَزْهَرُ إِشْرَاقاً مِنَ الجَذَلِ
والخَيْلُ تَخْتَالُ زَهْوًا فِى أَعِنَّتِهَا والعِيسُ تَنْثَالُ زَهْوًا فى ثِنَى الجُدُلِ
لَوْلَا الَّذِى خَطَّتِ الأَقْلامُ مِن قَدَرٍ وَسَابق مِنْ قَضَاءٍ غَيْرِ ذِى حِوَلِ
أَهَلَّ ذُهْلاَنُ بالتَّهْلِيلِ مِنْ طَرَبٍ وذَابَ يَذْبُل تَهْلِيلاً من الذُّبُلِ
المُلْكُ لِلهِ هَذَا عِزُّ مَنْ عُقِدَت لَهُ النُّبُوَّةُ فَوْق العَرْشِ فِى الأَزَلِ
شَعَبْتَ صَدْعَ قُرَيْشٍ بَعْدَمَا قَذَفَتْ بِهِم شَعُوبُ شِعَابَ السَّهْلِ والقُلَلِ
قَالُوا مُحَمَّدُ قَدْ زَادَتْ كَتَائِبُه كَالأُسْدِ تَزْأَر فى أَنْيَابِهَا العُصُلُ
فَوَيْلُ مَكَّةَ مِنْ آثَارِ وطْأَته وَوَيْلُ أُمِّ قُرَيْشٍ من جَوَى الهُبَلِ
فَجُدْتَ عَفْواً بِفَضْلِ العَفْوِ منك وَلَمْ تُلْمِمْ وَلَا بأَلِيمِ اللَّوْمِ وَالعَذَلِ
أَضْرَبْتَ بالصَّفحِ صَفْحًا عن طَوَائِلِهِمْ طَوْلا أَطَالَ مَقِيلَ النَّوْمِ فى المُقَلِ
رَحِمْتَ وَاشِجَ أَرْحَامٍ أُتِيحَ لَهَا تَحْتَ الوَشِيجِ نَشِيجُ الرَّوْعِ والوَجَلِ
عَاذُوا بِظِلٍّ كَرِيمِ العَفْوِ ذِى لَطَفٍ مُبَارَكِ الوَجْهِ بالتَّوْفِيقِ مُشْتَمِلِ
أَزْكَى الخَلِيقَةِ أَخْلاقاً وأَطْهَرُهَا وَأَكْرَمُ النَّاسِ صَفْحاً عن ذَوِى الزَّلَلِ
زَانَ الخُشُوعَ وَقارٌ مِنْه فى خَفَرٍ أَرَقَّ مِنْ خفَرِ العَذْرَاءِ فِى الكِلَلِ
وَطُفْتَ بِالبَيْتِ مَحْبُوراً وَطَافَ به مَنْ كَانَ عَنْهُ قُبَيْلَ الفَتحِ فى شُغُلِ
والكُفْرُ فِى ظُلُمَاتِ الرِّجْسِ مُرْتَكِسٌ ثَاوٍ بِمَنْزِلَةِ البَهموتِ مِنْ زُحَلِ
حَجَزْتَ بالأَمن أَقطارَ الحِجَازِ مَعًا وَمِلْتَ بالخَوْفِ عَنْ خَيْفٍ وعن مَلَلِ
وَحَلَّ أَمنٌ ويُمْنٌ منك فى يَمَنٍ لمَّا أَجابت إلى الإيمان عن عجل

٢٥٧ ظ

وأصبح الدِّينُ قَدْ حُفَّتْ جَوانِبُه بِعِزَّةِ النَّصر وَاسْتَوَلَى عَلَى الْمِلَلِ

قَدْ طاعَ مُنْحَرِفٌ مِنهُم لِمُعْتَرِف وانْقَادَ مُنْعَدِلٌ مِنْهُم لِمُعْتَدِل

أَحْبِبْ بخُلَّةِ أَهْلِ الحَقِّ فِى الخِلَلِ وَعِزِّ دَوْلَتِه الْغَرَّاء فى الدُّوَلِ

أَمَّ اليَمَامَةَ يَوْمٌ مِنْهُ مُصْطَلِمٌ وَحَلَّ بالشَّام شُؤْمٌ غيرُ مُرْتَحِلِ

تَفرَّقَتْ مِنْهُ أَعْرافُ العِراقِ ولَمْ يَتْرُكْ مِنَ التُّرْكِ عِظْمًا غَيْرَمُنْتَثِلِ

لَمْ يَبْقَ لِلْفُرْسِ لَيْثٌ غيرُمُفْتَرِسٍ ولَا مِنَ الجَيْشِ جَيْشٌ غيرُمُنْجَفِلِ

ولَامِنَ الصِّينِ سُورٌ غَيْرُ مُبْتَذَلٍ وَلَا مِنَ الرُّومِ مرْمًى غَيْرُمُنْتَضَلِ[1]

وَلَا مِنَ النُّوبِ جَذْمٌ غَيْرُمُنْجَذِمٍ ولَا مِنَ الزَّنْجِ جَزْلٌ غَيْرُ مُنْجَدِلِ

ونِيل بالسَّيْفِ سِيفُ البَحْرِواتَّصَلَتْ دَعْوَى الجُنُودِ فَكُلٌّ بالجِهَادِ صَلِى

وسُلَّ بالغَرْبِ غَرْبُ السَّيْفِ إِذْشَرِقَتْ بالشَّرْقِ قَبْلُ صُدُورِ البيضِ والأَسَلِ

وعَادَ كُلُّ عَدُوٍ عزَّ جَانِبُهُم قَدْ عَادَ مِنْكَ بِبَذْلٍ غَيْرِ مُبْتَذَل

أَصْفَى مِنَ الثَّلْج إِشْراقاً مَذَاقَتُهُ أَحْلَى مِنَ اللَّبَنِ المَضْرُوب فِي العَسَلِ[2]

تَنبِيهَاتٌ

الأول : لَا خلافَ أن هذه الغزوةَ كانتْ فى رمَضَان ، كما فى الصَّحيح ، وغَيْرِه ، وعن ابن عباسٍ قَالَ : ابن شهاب كما عِنْدَ البيهقىّ من طَرِيق عقيل : لا أدرى أخرجَ فى شَعْبَان فاستقبلَ رَمَضَانَ ، أو خَرَجَ فى رمضانَ / بعدَ مَا دَخَلَ ؟ ورواه البيهقىّ من طريق ابن أبى حفصةَ عن الزهرى بإسنادٍ صحيح . قال : صَبَّح رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مكَّةَ لثلاثِ عشرةَ خلتْ من رمضَان .

٢٥٨ و

وروى الإمام أحمد بإسنادٍ صحيح عنْ أبى سعيدٍ ـ رضى اللهُ عنه ـ قال : خرجْنَا مع رسولِ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ عام الفتح لِلَيْلَتينِ خَلَتَا من شهر رمَضَان ، وهذا

---

(١) فى (ص) ٢ : ٢٢١ « منفصل » .

(٢) فى (ص) ٢ : ٢٢١ « المضروب بالعسل » والمثبت عن بقية النسخ .

يدفعُ الترددَ الماضى[1] ، ويعيّن يومَ الخروج ، وقولُ الزهرى يعيّن يوم الدخول ، ويعطى أنه أقام فى الطريق اثنى عشر يوماً[2] .

قال الحافظ : وأمّا ما قاله الوَاقِدىُّ أنّه خرجَ لعشر خَلَوْن من رمضانَ فليسَ بقوىٍّ لمخالفَتِهِ ما هو أصحّ منه ، قلتُ : قد وافَقَ الواقِدِىُّ على ذلك ابنُ إسحاق وغيرُه ، ورواه إسحاق بن رَاهَويه بسندٍ صحيح عن ابن عبّاس ، وعند مسلم أنه دخلَ لستّ عشرة ، ولأحمد لثمانى عشرة ، وفى أخرى لثنتى عشرة ، والجمع بين هاتين بحمل إحداهُمَا على مَا مَضَى والأُخْرَى عَلَى مَا بَقِى ، والّذى فى المَغَازِى : دخَلَ لتسْعِ عَشْرَةَ مَضَتْ وهو محمولٌ على الاختلافِ فى أوّلِ الشّهر .

ووقع فى أُخرى : بالشكّ فى تسعِ عشرَة أو سَبْعِ عشرة وروى يعقوبُ بنُ سفيان من طرِيق الحسن[3] عن جماعةٍ من مشايخه : أَنَّ الفتحَ كانَ فى عِشْرِينَ[4] منْ رمضان ؛ فإن ثبتَ حُمِلَ على أنَّ مراده أنّه وقع فى العشر الأَوسط قبل أن يدخل الأَخير .

الثانى : اَخْتَلَفَت الرِّواياتُ فيمن أَرسله رسولُ اللهِ — صلَّى الله عليه وسلَّم — ليأتى بكتاب حَاطِب : فَفِى روايةِ أَبى رافع[5] عن علِىٍّ قال : بَعَثَنِى رسولُ اللهِ — صلَّى اللهُ عليه وسلَّم — أنا والزّبَيْر والمِقْدَاد . وفى رواية أَبِى عَبْدِ الرحمن السّلمى عنْ علِىٍّ قال : بَعَثَنِى رسولُ اللهِ — صلَّى اللهُ عليه وسلَّم — وأبا مرثد الغَنَوِى ، والزّبَيْر بن العّوام ، قال الحافظ : فيحتملُ أَن يكونَ الثلاثة كَانُوا معه ، وذَكَرَ أَحدُ الرَّاويينِ عنه ما لَمْ يَذْكُر الآخر ، ثم قال : والَّذِى يظهر ؛ أَنّه كان مع كلٍّ واحد منهما آخر تَبَعاً لَه .

الثالث : جزم ابن إسحاق بأَن جميع من شهد الفتح من المسلمين عشرة آلاف . ورواه البُخَارِىّ[6] فى صحيحه عن عُرْوَة ، وإسحاق بن رَاهَوَيه من طريق آخر بسند

---

(١) أى يدفع ماعند البيهقى من طريق عقيل المتضمن التردد بين الخروج فى شعبان أو الخروج فى رمضان ، وانظر إرشاد السارى شرح صحيح البخارى ٦ : ٣٨٨ .

(٢) وانظر فتح البارى ٨ : ٢ فقد ورد فيه كل ما هنا عن هذا الخلاف من أول التنبيه إلى آخره .

(٣) كذا بالأصول وفى فتح البارى ٨ : ٣ « من رواية ابن إسحاق عن جماعة من مشايخهم » .

(٤) فى المرجع السابق « فى عشر بقين من رمضان » .

(٥) أى عبيد الله بن أبى رافع كما أخرجه الشيخان . (شرح المواهب ٢ : ٢٩٤) .

(٦) أنظر إرشاد السارى ٦ : ٣٨٨ .

صحيح عن ابْن عبَّاس ، وقال عُرْوَة أيضاً والزهرى وابن عقبة كانوا اثنى عشر ألفا[1] ، وجُمِعَ بأَن العشرة آلاف خرج بها من نفس المدينة . ثم تلاحق الأُلفان[2]

الرابع : وقع فى الصّحيح من رواية مَعْمَر عن الزّهرى عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعودٍ عن ابن عبّاس « وذلك على رأس ثمان سنين ونصفٍ مِنْ مَقْدَمِ رَسُولِ/ ٢٥٨ ظ اللهِ ــ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ــ المدينَة » قَال الحافظ[3] : وهو وَهْم ، والصَّواب على رأسِ سَبْعِ سِنِين ونصف ، وإنَّما وقَعَ الوهمُ مِنْ كَوْنِ غزوة الفتح كَانَتْ فى سنةِ ثمان ، من أثناء ربيع الأَول إلى أثناء رمضان نصف سنة سواء ، والتحرير أنها سبع سنين ونصف ويمكنُ توجيهُ روايةِ مَعْمَر : بأَنه بناء على التَّاريخ بأَولِ السَّنة من المحرَّم ، فإذا دخل منَ السَّنَةِ الثَّانية شهران أو ثلاثة أُطلقَ عليها سنةً مجازاً ؛ مِنْ تسميةِ البَعْضِ باسمِ الكُل ، ويقعُ ذلك فى آخر ربيع الأَوّل . ومِنْ ثَمَّ إلى رمضان نصف سنة سواء ، ويقالُ : كانَ آخر شعبان تِلْكَ السَّنة آخر سبع سنين ونصف[4] ، أَو أَن رأْس الثَمان كان أَول ربيع الأَوّل وما بعده نصف سنة .

الخامس : ورد أنَّه ــ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ــ أفطر بالكديد ، وفى روايةٍ بغيره كما سبق فى القصة ؛ والكلُّ فى سفرةٍ واحدة ، فيجوزُ أَن يكونَ فطرهُ ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فى أَحَدِ هذه المواضع حقيقة إما كديد ، وإما كُراع الغَمِيم ، وإما عُسْفَان ، وإما قُدَيد ، وأُضيف إلى الآخر تَجَوّزاً لِقُرْبه منه ، ويجوزُ أَن يكونَ قد وقع منه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ الفعلُ فى المواضع الأَربعة ، والفطرُ فى موضعٍ منها ، لكن لم يره جميعُ النَّاس فيه ؛ لكثرتهم ، وكَرَّره ليتساوى النَّاس فى رؤية الفعل ، فأَخبر كل عن رؤية عينٍ وأَخبر كلٌ عن محلِّ رؤيته .

---

(١) المرجع السابق ٦ : ٣٨٨ ، وفتح البارى ٨ : ٣ .

(٢) أنظر فتح البارى ٨ : ٣ فقد ورد فيه كل ماجاء فى هذا التنبيه .

(٣) الإضافة عن فتح البارى ٨ : ٣ .

(٤) جاء بعد هذا فى فتح البارى ٨ : ٣ من أول ربيع الأول فلما دخل رمضان دخل سنة أخرى ، وأول السنة يصدق عليه أنه رأسها فيصح أنه رأس ثمان سنين ونصف » .

السادس: وقع فى الصَّحيح[1] : ثم جاءت كتيبةٌ ، وهى أقلّ الكتائب ؛ أى عدداً فيهم رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – قال القاضى – رحمه الله تعالى – : كذا لجميع رواة الصَّحيح بالقاف ، وقدْ وقعَ فى الجَمْع لِلْحُمَيْدِىّ « أَجَلّ » بالجيم بدَلَ القَاف – من الجلاَلَة ، قال القَاضِى : وهو أظهر انتهى .

وكلٌّ منهما ظاهرٌ لاَ خفاء فيه ولا ريب كما فى مصابيح الجامع للدَّمامينى : أن المراد قلة العدد لاَ[2] الاحتقار ، هذا ما لا يُظَنُّ بِمُسْلِمٍ اعتقادُه وتوهُّمُه ؛ فهو وجه لا محيدَ عنه ، ولاَ ضَيْرَ فيه بهذا الاعتبار . والتَّصريحُ بأَنَّ النبىَّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – كان فى هذه الكَتيبة الَّتى هى أقل عددا مِمَّا سواهَا مِنَ الكَتَائِب قَاضٍ بجلالةِ قَدْرِهَا ، وَعِظَمِ شَأنها ، ورُجْحَانِها على كلِّ شىء سواهَا ، ولو كَانَ ملءَ الأرض بل وأضعاف ذلك[3] .

السابع: وقع فى الصَّحيح[4] عن عُروة قال : وأَمَرَ النَّبىُّ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – يومئذٍ خالدَ بن الوليد أن يَدْخُلَ مِنْ أَعْلى مكَّة من كَدَاء – أى بالمدّ – ودخلَ رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – من أسفل مكة من كُدًى ؛ أى بالقصر . وهذا مخالفٌ للأَحاديث الصَّحيحة . ففى الصَّحيح وغيره أَنَّ خالد بن الوليد دخلَ من أسفل مكَّة ، ودخلَ رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – من أعلاها ، وبه جزمَ ابنُ عقبة ، وابنُ إسحاق وغيرهما .

٢٠٩ و **الثامن:** / الحكمة فى نزولِ النَّبى – صلَّى الله عليه وسلَّم – بِخَيْفِ بنى كِنَانة الَّذى تقاسَمُوا فيه على الشِّرك ؛ أى تحالَفُوا عليه من إخْراجِ النَّبى – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – وبنى هاشمٍ إلى شِعْبِ أبى طَالب ، وحصرُوا بَنِى هَاشم وبنى المطَّلب فيه ، كما تقدَّم ذلك فى أبْواب البعثة ، ليتذكَّر ما كانَ فيه من الشِّدَّة فيشكر الله – تعالى – على ما أنعمَ عليه من الْفَتْحِ العظيم ، وتمكنه من دُخول مكَّة ظاهراً على رغْمِ مَنْ سعى فى إخراجِهِ

---

(١) أنظر إرشاد السارى ٦ : ٣٩١ فقد ورد فيه كل ماجاء فى هذا التنبيه .

(٢) فى (ص) « ليس للاحتقار » والمثبت عن بقية النسخ وهو موافق لما جاء فى إرشاد السارى ٦ : ٣٩١ .

(٣) أضاف إرشاد السارى ٦ : ٣٩١ بعد ذلك « فما هذا الذى يشم من نفس القاضى فى هذا المحل » .

(٤) أنظر إرشاد السارى ٦ : ٣٩١ : فتح البارى ٨ : ٨ فقد عرض الخلاف بأوضح مما هنا .

منها ، ومُبالغةٌ فى الصَّفحِ عن الَّذين أساءُوا ، ومُقَابَلَتِهِمْ بالمَنّ والإِحْسَان ، وذلِكَ فضلُ اللهِ يؤتيه مَنْ يَشَاء .

التاسع : قَالَ القاضِى أبُو بكر بن العربى ـ رحمه الله تعالى ـ إنَّما أنكر العباسُ عَلَى أبى سُفيانَ ذِكْرَ المُلْكِ مجرَّدًا مِنَ النُبُوَّة ، مع أنَّه كانَ فى أوّل دخوله الإِسْلاَم ، وإلاَّ فجائِزٌ أن يُسَمّى مثل هذا مُلكًا وإن كان لنبىّ ، فقد قَالَ الله سبحانه وتَعالَى فِى داود ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ[1] ﴾ وقال سُليمان ﴿ وَهَبْ لِى مُلْكًا لَا يَنْبَغِى لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِى[2] ﴾ غير أن الكراهة أظهر فى تَسْمِيَة حَال النَّبى ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ ملكاً ، لما جَاءَ فى الحديث : أن النَّبىّ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ خُيِّرَ بين أن يكونَ نبيًّا عبداً ، أو نبيًّا ملكاً ، فالتفتَ إلى جبريل ، فأشار إليه أن تواضع ، فقالَ : بل نبيًّا عَبْداً ، أشبعُ يوماً وأجُوعُ يوماً » . وإنكارُ العبَّاس على أبى سُفيان يقوِّى هذَا المعنى ، وأمرُ الخلفاءِ الأربعة [بعده[3]] أيضاً يكره أنْ يُسَمَّى ملكاً ، لقوله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم « تكونُ بعدى خُلفاء ، ثم تكونُ أمراء ، ثم يكونُ ملوك ، ثم يكون جبابرة » .

العاشر : السَّاعةُ الَّتى أحِلَّ لِلنبىِّ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ القتل فيها بمكَّةَ من صَبِيحةِ يومِ الفَتْحِ إلى العَصْر كما رواه الإمام أحمد عن عَبْد الله بْنِ عَمْرِو بنِ العاص ـ رضى الله تعالى عنهما .

الحادى عشر : لَا مُخالفةَ بين حَديثِ نُزُوله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ بالمحصَّب ، وبينَ حديث أمِّ هَانىء ، أنه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نزل فى بيت أم هَانِىء ، لأنَّه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لمْ يُقِمْ فى بيتِ أُمِّ هَانىء وَإنَّما نزلَ به حتَّى اغتسلَ وصلَّى ، ثُم رجعَ إلى حيثُ ضُربتْ خيمَتُه عند شِعْب أبى طَالب ، وهو المكانُ الَّذى حصَرَتْ فيه قريشُ المسلمين قبلَ الهِجرة كما تقدّم بيانُ ذلك .

---

(١) سورة ص آية ٢٠ .

(٢) سورة ص آية ٣٥ .

(٣) الإضافة عن شرح المواهب ٢ : ٣٢٠ .

الثانى عشر : اختُلِفَ فى قاتل ابن خَطَل ، روى ابنُ أَبِى شيبةَ مِنْ طريقِ أَبِى عُثْمان النهدى : أن أَبَا بَرْزَةَ الأَسْلَمِىّ قتلَ ابنَ خَطَل ، وهو مُتعلِّق بأَستارِ الكَعْبَة وإسناده صحيح مع إرساله ، وله شاهدٌ عند ابْنِ المبارك فى كتابِ البِرِّ والصِّلَة من حديثِ أَبِى بَرْزَةَ نفسه . ورواه الإِمام أَحمد منْ وجهٍ آخر . قال الحافظ : وهو أَصحّ ما وردَ فى تَعْيِين قاتله ، وبه جزَمَ البلاذرى وغيرُه من أَهْلِ العلم بالأَخبار . وتُحْمَلُ بقيَّةُ الرِّوايات على أَنهم ابتدرُوا قَتْلَه ؛ فكَانَ المُبَاشِرَ له منهم أَبُو بَرْزَةَ ، ويحتملُ أَنْ يكونَ غيره شاركه فيه ؛ فقد جزمَ ابنُ هِشَامٍ / بأَن [سعيد[1] بن حُريث] وأَبا بَرْزَةَ الأَسْلَمى اشتركا فى قتله ، وقد قيل : قتله الزُّبَير بن العوّام . وقيل شريك بن عبدة العجلانى[2] . ٢٥٩ ظ

الثالث عشر : وقعَ فى حديثِ أم هَانِىء عنْدَ البُخَارى : أن النبى – صلَّى الله عليه وسلَّم – اغتسلَ فى بيتها ، وفى حديثها عند مُسْلم : أَنَّها ذهبتْ إِلى رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وهو بأَعلى مكَّة ، فوجدتْه يغتسل ، وفاطمة تستره ، ويُجْمَعُ بينهما بأن ذلك تكرَّرَ منه ، ويؤيدُه ما رواه ابن خزيمة من طريق مجاهد عن أم هانىء وفيه : أن أَبا ذر ستره لَمَّا اغتسَل ، ويحتملُ أَنْ يكونَ نزل فى بَيْتِهَا بأَعلى مكَّة وكانت هى فى بيتٍ آخر بمكَّة ، فجاءَت إِليه [فوجدته[3]] يغتسل ، فيصحّ القولان ، وأَما المتستر فيحتملُ أَن يكونَ أَحدهما ستره فى ابتداء الغسْل ، والآخر فى أَثنائه .

الرابع عشر : قال السُّهيلى : ولا يجهرُ فيها بالقراءَة أَى صلاة النّبى – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فى بيتِ أُمِّ هانىء فى ثمان ركعات ؛ وهى صلاةُ الفتْح ، تُعرفُ بذلك عنْدَ أَهل العِلْم ، وكانَ الأمراءُ يُصلونَها إِذَا فَتَحُوا بلداً . قال أَبو جعفر بن جرير : صلَّى سعد بنُ أَبِى وقَّاص حين افتتح المدائِنَ ثمان ركعاتٍ فى إِيوانِ كِسْرَى ، قال : وهى ثَمَان رَكعاتٍ لَا يفصلُ بينها ، وَلَا تصلى بإِمام ، قال السُّهيلى : ولا يجهر فيها بالقراءَة[4] .

---

(١) بياض فى الأصول والإثبات عن فتح البارى ٨ : ١٣ ، وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤١٠ .

(٢) وانظر فى شأن هذا التنبيه ماجاء فى فتح البارى ٨ : ١٣ وشرح المواهب ٢ : ٣٢٢ .

(٣) الإضافة عن شرح المواهب ٢ : ٣٢٦ .

(٤) وانظر حديث أم هانىء وما قاله السهيلى فى أمر هذه الصلاة فى شرح المواهب ٢ : ٣٢٦ – وفى فتح البارى ٨ : ١٦ وإرشاد السارى ٦ : ٣٩٥ .

الخامس عشر : وقع فى روايةِ العلاء بن عبد الرحمن عن ابن عمر : أَنَّه سأَل أُسَامَة وفى رواية أَبى الشعثاء عن ابن عمر قال : أَخبرنى أُسامة أن النَّبى – صلَّى الله عليه وسلَّم – صلى فيه ههنا ، وفى رواية خَالد بن حارث عن ابن عوف عن نافع عن ابن عمر : فقلتُ : أَينَ صلَّى ؟ فقالُوا ؛ هٰهُنَا . قال الحافظ : فإنْ كانَ محفوظاً حُمل على أنه ابتدأ بلالاً بالسُّؤال ، ثم أَراد زيادةَ الاستثباتِ فى مكانِ الصَّلاة ، فسأَل أُسامة ، وعثمان أَيضاً . ويؤيدُ ذلك رواية ابن عوف عند مسلم : « ونسيتُ أَن أَسْأَلَهُمْ كَمْ صَلَّى » بصيغةِ الجَمْعِ. قال الحافظ : وهذا أَولى مِنْ جَزْمِ القاضِى بِوَهْمِ الرِّواية الَّتِى عِنْدَ مُسلِم ، وكأَنه لم يَقِفْ على بَقيَّةِ الروايات[1] .

السادس عشر : قولُ مَنْ زعَمَ أَنَّ يحيى بن سعيد القطَّان غَلطَ فى قوله ركعتين [لقول ابن عمر : نسيت[2]] وأَنَّ الوهْمَ دخلَ عليه من ذكرِ الرَّكعَتَيْن بعد خُروجِه – صلَّى الله عليه وسلَّم – « [والمغلِّطُ] هو الْغَالِط ، وكلامُه مردود ؛ فإنَّ يحيى ذكر الركعتين قبل وبعد ، فلم يَهِم من موضع إلى موضع ، ولم ينفردْ [يحيى بن سعيد[3]] بذلك حتَّى يغلط ، بل تَابعه مَنْ سبق ذكرهم فى القِصَّة ، والعجب من الإقدام / على تغليط جبل من جبال الحفظ بقول من خفى عليه وَجْهُ الجمع بين الحديثين ، فقال بغير علم ، ولو سكت لسلم .

٢٦٤ت ٩٥٩م

السابع عشر : قال الحافظ[4]: رحمه الله تعالى – جمع بين / روايتى فليح ، وأَيوب ، وابن عون عن نافع عن ابن عمر أنه قال : « نَسِيتُ أَنْ أَسْأَلَ بِلاَلاً » وفى لفظٍ : « أَسأَلهم كَمْ صلَّى » وبين رواية غير نافع عن ابن عمر أنه سَأَلَ عَنْ ذٰلِك ، فقيل له ركعتان باحتمال أَنَّ ابنَ عُمر اعتمدَ فى قوله فى رواية مُجاهد ، وابن أَبى مُليكة وغيرهما عنه ركعتين على القدر المتحقَّق ، وذلك أَن بلالاً أَثبت له أَنَّه صلَّى ، ولم ينقل أَن النبي

٢٦٠و

---

(١) أنظر فتح البارى ٣ : ٣٧٢ فقد ورد فيه كل ماجاء فى هذا التنبيه .

(٢) بياض فى ت ، ط ، م والمثبت عن شرح المواهب ٢ : ٣٤٢ – أما فى ص فالعبارة كما يلى: (غلط فى قوله ركعتين وأن الوهم دخل عليه) دون وجود أى بياض ؟

(٣) الإضافة عن شرح المواهب ٢ : ٣٤٢ .

(٤) وانظر فتح البارى ١ : ٤١٩ فقد ورد فيه أكثر مافى هذا التنبيه .

- صلَّى الله عليه وسلَّم - تنفل فى النَّهار بأقل مِنْ ركعتين ، وكانت الركعَتَان متحقَّقاً وقوعهما ، لِمَا عُرفَ بالاستقراء مِنْ عادته - صلَّى الله عليه وسلَّم - وعلى هذا فقولُه : ركعتين منْ كلامِ ابنِ عمر ، لاَ من كَلامِ بِلاَل ، قال الحافظ : ووجدتُ ما يؤيدُ هذا ، ويستفادُ منه جمعٌ آخر بين الحديثين ، وهو ما أخرجه عمرُ بنُ شبَّة فى كتاب مكّة من طريقِ عبد العزيز بن أبى داود عن نافع عن ابن عمر فى هذا الحديث : « فاستقبلنى بلالٌ فقلتُ : ما صنع رسولُ الله - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- ههنا ؟ فأشار بيده أَنْ صلَّى ركعتين بالسَّبابة والوُسْطَى » ؛ فعلى هذا فيحملُ قولُه : « نسيتُ أَنْ أسأله كم صَلَّى على أنه لم يسأله لفظا ولم يجبه لفظاً وإنما استفاد منه صلاة ركعتين بإشارته لا بنطقه ، وأما قوله فى رواية أُخرى : ونسيت أن أسأله كم صلى » فيحمل على أن مراده أنَّه لم يتحقق هل زَادَ على ركعتين أوْلَا ؟ ، وقال شيخُه الحافظ أبو الفضل العراقى : فيحتملُ أن ابن عمر وإنْ كانَ سَمِعَ من بلال أنَّه صلَّى ركعتين لمْ يكْتَفِ بذلك فى أنه لم يُصَلِّ غيرهما ؛ لانَّ مَنْ صلَّى أربعاً أو أكثر ، يَصْدُقُ عليه أَنَّهُ صلَّى ركعتين على القولِ بأَنَّ مفهومَ الْعَدَدِ ليسَ بِحُجَّةٍ كما هُوَ المرجَّحُ فى الأُصُول ، فلعلَّ الذى نسى أن يسأل عنه بلالاً فى أنَّه هل زاد على ركعتين بشىءٍ أم لاَ ؟ . قال الحافظ ابنُ حجر : وأمَّا قولُ بعضِ المتأخرين : يجمع بين الحديثين بأَنَّ ابن عمر سأل بلالاً ، ثم لقيه مرَّةً أخرى ، فسأله ، ففيه نَظَرٌ مِنْ وَجْهَيْنِ : أحدُهُمَا أنَّ الذى يَظْهر أَنَّ القِصَّة وهو سؤال ابن عمر عن صَلَاتِه فى الكَعْبَةِ لم يتعدد ؛ لأنَّه أتى فى السُّؤالِ بالفاء المُعَقِّبَة فى الرِّوَايتين معا ، فدَلَّ على أَنَّ السؤال عن ذلك كَانَ واحداً فى وقتٍ واحد . ثانيهما أنَّ راوى قول ابن عمر « نسيت » هو نافعٌ مولاهُ ، ويبعُدُ مع طُولِ مُلاَزَمَتِه له إلى وقت موته أَنْ يستمرَّ على حكاية النسيان ، ولا يتعرض لحكاية التذكر لقدر صَلَاتِه - والله تعالى أعلم .

الثامن عشر : قال الحافظ : لا يعارضُ إثباتَ أُسامة فى رواية ابن عمر عنه أنَّ النَّبى - صلَّى الله عليه وسلَّم - صلَّى فى البيت ما رواه ابنُ عبَّاسٍ عن أُسَامَةَ أَنَّ النَّبى - صلَّى الله عليه وسلَّم - لم يُصلِّ فى البيت لإمكان الجمع بينهما ، لأن أُسَامَةَ حينَ[1] أثبتها

---

(١) فى (ص) ٢ : ٢٢٣ ، شرح المواهب ٢ : ٣٤٥ (حيث) والمثبت عن ت ، ط ، م .

اَعْتَمد فى ذلك على غيره ، وحيثُ نفاها أراد ما فى علمه بكونه لَمْ يَرهُ – صلَّى الله عليه وسلَّم – حين صَلَّى ، وقال الحافظُ فى موضعٍ آخر : تعارضت الروايةُ عن أُسامَةَ فى ذلك فتترجَّح / روايةُ بلال مِنْ جِهَة أنه مُثْبِت وغيره نافٍ ، ومن جهةٍ أنَّه لم يختلفْ عليه فى الإِثْباتِ ، واَختلف على مَنْ نَفَى[1] .

٢٦٠ ظ

وقال الإمام النَّووىُّ وغيره : يجمع بين إثبات بلال ، ونفى أُسامة بأَنهم لَمَّا دخلُوا الكعبةَ اشتَغلُوا بِالدُّعاء ، فرأى أُسامةُ النبى – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – يدعو ، فاشتغلَ أُسامَةُ بالدُّعَاءِ فى ناحية ، والنَّبى – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فى ناحية ، ثم صلَّى رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فرآه بلال لِقُرْبِه منه ولم يره أُسامة لِبُعْدِه منه واشتغاله بالدُّعاء ، ولأَن بإغلاق الباب تكون ظلمة مع احتمال أن يحجبه بعض الأَعمدة ، فنفاها عملا بظنه .

وقال الإمام المحب الطبرىّ : يحتمل أن يكون أُسامة غاب عنه بعد دخوله لحاجة[2] فلم يشهد صلاته – انتهى . ويشهدُ له ما رواهُ أَبُو داود الطيالسى فى مُسْنده بإسنادٍ جيِّدٍ رجالُهُ ثِقَات عن ابن أَبى ذؤيب عن عبد الرحمن بن مهران عن عُمير مولى ابن عبَّاسٍ عن أُسَامَةَ قال : « دخلتُ مع[3] النَّبىِّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – فى الكَعْبَةِ فرأى صُوراً ، فَدَعا بِدَلْوٍ مِنْ ماء ، فَأَتيْتُه بِه ، فَضَرَبَ بِه الصُّورَ » ، قال القرطبى فلعله [استصحب النَّفْى[4]] بسرعَة عَوْدِه انتهى قلتُ : هو مُفرّع على أن هذه القصَّة وقعتْ عامَ الفتح ، فإن لم يكن فقد روى عمر بن شَبَّةَ فى كتابِ مكَّة من طريق على بن بَذِيمَة بالموحدة ، وزن عظيمة التَّابعى ، قال : « دخلَ رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – الكعبةَ . ودخَل معه بلالٌ ، وجَلَس أُسَامَةُ على الباب ، فلمَّا خرج وَجَدَ أُسامة قد احتبى ، فأَخذ بحبوته[5]

---

(١) وانظر فتح البارى ٣ : ٣٧٥ فقد أورد كل ماجاء فى هذا التنبيه .

(٢) جاء فى شرح المواهب ٢ : ٣٤٥ « غاب أسامة لأمر ندبه – حثه ووجهه –إليه ، وهو أن يأتى بماء يمحو به الصور التى كانت فى الكعبة ، فأثبت بلال الصلاة لرؤيته ونفاها أسامة لعدم رؤيته لها » .

(٣) فى (ص) ٢ : ٢٢٣ « على النبى » وفى فتح البارى ٣ : ٣٧٥ « على رسول الله » .

(٤) بياض فى الأصول بمقدار كلمتين والمثبت عن فتح البارى ٣ : ٣٧٥ وشرح المواهب ٢ : ٣٤٥ .

(٥) فى ت ، ط ، م « بحثوته » والمثبت عن (ص) ٢ : ٢٢٣ ، وفتح البارى ٣ : ٣٧٥ .

فحلها » . الحديث فلعله احتبى فاستراح فنعس ، فلم يشاهد صلاته ،فلما سئل عنها نفاها مستصحباً للنفى ، لقصر زمن احتبائه ، وفى كل ذلك إنما نفى رؤيته ، لا ما فى نفس الأمر . وبعضُ العلماء حمل الصلاة المُثْبَتَة على اللُّغَوِيَّة ، والمنفيَّةَ على الشَّرعيَّة ، ويَرُدُّ هذا الحمل ما تقدَّمَ فى بَعْضِ طُرقه الصَّحيحة : أَنَّه صلَّى ركعتين ، فَظَهر أَنَّ المرادَ الشَّرعيّة لا مجرد الدّعاء . وقال المهلب[1] شارح البخارى : يحتملُ أَن يكونَ دخول البيت وقع مَرَّتين . صلَّى فى إحداهما ولم يُصَلِّ فى الأُخرى ، وقال ابنُ حِبَّان : الأَشبه عنْدِى فى الجَمْع ؛ أَن يجعلَ الخبران فى وقعتين ؛ فيقال : لَمَّا دخل الكعبة فى الفَتْح صَلَّى فيها على ما رواه ابنُ عمر عن بلال ، ويجعلُ نفى ابن عباسٍ الصَّلاَة فى الكعبة فى حجتِهِ الَّتى حجّ فيها ؛ لأَن ابْنَ عبَّاسٍ نفاها وأَسنَدَ ذلك إلى أُسامة وأَخيه الفضل ، وابن عمر أَثبتها ، وأَسند ذلك إلى أُسامة ، وإلى بلال وأُسامة أَيضاً ، فإذا حمل الخبر على ما وصفنا بطل التعارض .قال الحافظ : وهو جمع حسنٌ لكن تعَقَّبَه النووى بأَنه لا خلاف / أنه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ دخل يوم الفتح لا فى حَجَّةِ الوداع ، ويشهدُ له ما رواه الأَزرقى[2] عن سُفيان بن عُيَيْنَة عن غيرِ واحدٍ من أَهلِ العلم : أَنَّه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم إنما دخل الكعبة مرةً واحدةً عامَ الفتح ، ثم حَجَّ فلم يَدْخُلْهَا ، وإذا كان الأَمرُ كذلك فلا يمتنعُ أَن يكونَ دخلها عَامَ الفتح مرَّتين ويكون المراد بالوحْدةِ الَّتى فى خبر ابنِ عُيَيْنَة وَحْدَةُ السَّفر لاَ الدّخول ، وقد وقع عند الدَّارقطنى من طريق ضعيفة ما يشهد لهذا الجمع . قلتُ : قال الدَّرَاقُطْنى فى سُنَنه : واعتمد القاضى عز الدين بن جماعة ذلك . واستدلَّ له أَيضاً بأَن الإِمام أَحمد قال فى مسنده : حدثنا هشيم قال : أَخبرنا عبد الملك عن عطاء ، قال : قال أُسامة بن زيد : دخلتُ مع النَّبِىِّ ــ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم ــ البيتَ فجلَسَ فحمِدَ اللهُ تعالى وأَثْنَى عَليه وهلَّلَه وكبَّرَه ، وخرج ولم يُصَلِّ ، ثم دخلتُ معه فى اليومِ الثَّانى ، فقامَ ، ودعا ثُمَّ صلَّى ركعتين ،

١٦١ و

---

(١) هو المهلب بن أحمد بن أسيد الأسدى التميمى ــ أبو القاسم بن أبى صفرة فقيه محدث من أهل المرية ، سمع بقرطبة من أبى محمد الأصيل ورحل إلى الشرق ، وروى عن أبى ذر الهروى ، وعلى بن فهد ، وعلى بن محمد القزوينى وغيرهم. ومن آثاره شرح الجامع لصحيح البخارى توفى سنة ٤٣٥ هـ وقيل ٤٣٣ . (معجم المؤلفين لكحالة ١٣ : ٣٢) .

(٢) أى فى كتاب أخبار مكة . (فتح البارى ٣ : ٣٧٦) .

ثُمَّ خرج فصلَّى ركعتين خارجَ البيت مستقبل وَجْهِ الكعبة ، ثم انصرفَ ، فقال : « هَذِهِ[1] القِبْلَة » ورواه أحمد بن منيع . قلتُ : لم أَقفْ على هذا الحديث فى مجمع الزوائِد للهيثمى ، ولا فى إتحافِ المهرة للأبوصيرى ؛ لَا فِي كِتَابِ الصَّلاةِ ، وَلَا فِي كِتَابِ الحج فاللهُ أعلم . والَّذى فى مجمع الزَّوائد عن ابن عَبَّاسٍ قال : دخل النبىّ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلم ـ الكعبةَ ، فصلَّى بين السَّارِيتينِ ركعتين ، ثم خرجَ وصلَّى بين الباب وبين الحِجْر رَكْعَتَين ، ثم قال : « هَذِهِ الْقِبْلَة » ثم دخل مرة أُخرى ، فقامَ يدعُو ولَمْ يُصَلِّ. رواه الطبرانى فى الكبير ، قال الهيثمى : فيه أبو مريم ، روى عن صغار التَّابعين ، ولم أَعرفه ، وبقيةُ رجَالِه مُوَثَّقُون ، وفى بعضهم كلامٌ .

وروى الأَزرقىُّ عن عبد المجيد بن عبد العزيز عن أبيه قال : بلغنى أَنَّ الفضلَ ابن عباس دخلَ مع رسولِ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ يومئذٍ ـ أى يومَ الفتح ـ فقال : لم أَره صلَّى فيها ، قال أبى : وذلِكَ فيما بلغنى أن النبىَّ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ استعانه فى حاجةٍ فجاء وقد صلَّى ولم يَرَه . قال عبد المجيد : قال أبى ؛ وذلك أنه بعثه فَجَاءَ بِذَنُوب[2] من مَاء زَمْزَمَ يطمس به الصُّور الَّتى فى الكعبة ؛ فلذلك لم يره صلَّى . قلتُ : وأيضاً أنَّه ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ أَرسله وأُسامة فى ذلك ـ كما تقدَّم فى أُسامة ـ واعتمد الإمام تقىُّ الدِّين الفاسىّ[3] فى تاريخه من هذه الأَجوبة ما رواه أَبُو داود الطَّيالسى عن أُسامة ، وتعقب ما سواه بكلام نفيس جداً فراجعه فإنَّك لا تجده فى غير كتابه ، وذِكْرُه هنا ليس من غرضنا .

٢٦١ ظ **التاسع عشر :** تقدَّمَ أَنَّه صلَّى الله عليه وسلَّم / ـ صلَّى فى الكعبة ، وأنه جعلَ عمودين

---

(١) الإشارة إلى الكعبة . (شرح المواهب ٢ : ٣٤٥) .

(٢) الذنوب : الدلو فيها ماء ، وقيل الدلو التى يكون الماء دون ملئها أو قريبا منه ، وقيل هى الدلو الملأى ، ولا يقال لها وهى فارغة ذنوب . (اللسان) .

(٣) هو محمد بن احمد بن على ـ تقى الدين أبو الطيب المكى الحسنى ـ مؤرخ عالم بالأصول ، حافظ للحديث ، أصله من فاس ومولده وموته بمكة ، دخل اليمن والشام ومصر مراراً ، وولى قضاء المالكية بمكة مدة ـ وكان أعشى يملى تصانيفه على من يكتب له ، ثم عمى سنة ٨٢٨ هـ قال المقريزى كان بحر علم لم يخلف فى الحجاز بعده مثله ، من كتبه العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، وغيره من الكتب وتوفى ٨٣٢ . (الأعلام للزركلى ٦ : ٢٢٧) .

عن يساره وعموداً عن يمينه[1] وثلاثة أعمدة وراءه ، وفى روايةٍ جعلَ عموداً عن يَسَارِه وعمودين عن يمينه وفى أخرى[2] عموداً عن يساره وعموداً عن يمينه وفى روايةٍ بين العمودين اليمانيين[3] ، وفى أخرى بين العمودَيْن تِلْقَاءَ وجهه ، وبين العمودين المقدمين[4] ، قال المحبُّ الطَّبرى فى الأَحكام الكبرى : وهذا يُؤيد روايةَ مَنْ روى أَنَّه جَعَلَ عمودين عن يمينه وعموداً عن يساره لأَن الباب قريب من الحجر الأَسود ، جانح إلى جهة اليمين ، ويفتح فى جهة المشرق فإذا دخل منه وصلى تلقاءَ وجهه بين العمودين المقدمين اليمانيين والبيت يومئذ على ستة أعمدة فقد جعل عمودين عن يمينه وعموداً عن يساره ، وثلاثة أعمدة وراءه ، وصَلَّى إلى جهةِ المغرب ، وقوله اليمانِيَّيْنِ قد يشكل فإنها ثلاثة صَفٌّ[5] وَجَعْلُ اثنين منها يمانيين ليس بأَولى من جعلهما شاميَّيْن ، والجوابُ : أنه إنَّما جَعَلَ اثنين منهما يمانيين لأَنَّ مقرَّ الثلاثة بصفة يمانىٍّ وبصفةِ شامىٍّ ، فمن وقف بين المتمحض يمانيا وبين المشترك بين اليمن والشام جاز أن يُقال فيه وقف بين اليمانيين بأعتبار ما نسب منه إلى اليمن تَجَوُّزًا ومَنْ وقفَ بين المتمحض شاميا وبين المشترك جاز أن يُقال فيه : وقف بين الشَّاميين لما ذكرناه ، أو تقول لما وقف بينهما كان هو إلى جهة اليمن أقرب ، فأَطلق عليهما يمانيين اعتبارا به ، والأَولُ أظهر ، ولا تَضَادَّ بين هَذَا وبين قوله عموداً عن يمينه وعموداً عن يَسَاره ، فإنَّ مِن ضرورةِ جعلِ عَمُودَين عن يمينه أن يكونَ عموداً عن يمينه والآخر مسكوتاً عنه ، وليس فى اللَّفظ ما ينفيه ، وقال الحافظ[6] : ليس بَيْنَ رِوَايَة : جعل عموداً عن يمينه وعموداً عن يساره مُخَالَفة ، لكن قوله فى رِوَايَةِ مالك : وكان البيتُ يومئذٍ على سِتَّةِ أَعمدةٍ مشكل ؛ لأَنه يشعر بكون مَا عن

---

(١) هى رواية لمسلم عن يحيى بن يحيى النيسابورى عن مالك . (شرح المواهب ٢ : ٣٤٣) .

(٢) هى رواية إسماعيل بن أبى أويس بن مالك الأصبحى المدنى ، وجزم بترجيحها البيهقى ووافقه عليها عبد الرحمن بن القاسم والقعنبى وأبو مصعب ومحمد بن الحسن الشيبانى وأبو حذافة السهمى والإمام الشافعى .
(المرجع السابق ،وفتح البارى ١ : ٤٧٨) .

(٣) هى إحدى روايات البخارى من رواية الزهرى عن سالم عن أبيه .
(المرجع السابق)

(٤) هى رواية جويرية عن نافع المروية فى البخارى بلفظ « صلى بين العمودين المقدمين » (المرجع السابق)

(٥) كذا فى الأصول وفى ابن حجر(فتح البارى) أيضا وهى وصف بالمصدر على أنها : مصفوفة .

(٦) وانظر فتح البارى ١ : ٤٧٧ فقد ورد فيه أكثر ما فى هذا التنبيه .

يمينه أو يساره كان اثنين ، ويُمْكِنُ الجمعُ بين الرِّوايتين بأَنَّه حيثُ ثَنَّى أَشَار إلى مَا كَانَ عليه البيتُ فى زَمَنِ النَّبى - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - وحيث أَفرد أشار إلى ما صار إليه بعد ذلك ، ويرشد إلى ذلك قولُه : وكانَ البيتُ يومئذٍ ؛ لأَنَّ فيه إشعارا بأَنَّه تغيَّر عَنْ هيئَتِهِ الأُولى . قال الكرمانى : لفظُ العَمُودِ جِنْسٌ يشمل الواحد والاثنين فهو مُجْمَلٌ بَيَّنَتْه رِوَايةُ « وعَمُودَين » ويُحْتَمَلُ أن يُقالَ : لم تَكُن الأَعمدةُ الثَّلاثَةُ على سمتٍ واحد ، بل اثنان على سَمْت ، والثالثُ على غير سمتهما ، ولفظُ المقدَّمَيْنِ [فى الحديث السابق[1]] مُشْعِرٌ به قال الحافظ : ويؤيده رواية مجاهد [عن ابن عمر[1]] عند البخارى فى باب « وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إبراهيم مُصَلًّى » ، « فإن فيها بين السَّاريتين اللَّتَيْنِ عن يسار الدَّاخل » وهو صريح فى أنه كان هناك عمودان على اليسار ، وأَنَّه صلَّى بينهما ، فيحتمل أنه كان ثمّ عمودٌ آخر عن اليمين ، لكنَّهُ بعيد أو على غير سَمْت العمودين / فَيَصِحُّ قَوْلُ مَنْ قال : جعلَ عن يمينه عَمُودَين ، وقولُ مَنْ قال : جعل عموداً عن يمينه ، وجوّز الكرمانى احتمالاً آخر ، وهو أَنْ يكونَ هناكَ ثلاثة أعمدة مصطفَّة ، فصلَّى إلى جنْبِ الأَوسط فمن قال : جعلَ عموداً عن يمينه وعموداً عن يساره لم يعتبر الَّذِى صلَّى إلى جنْبه ، ومنْ قال : عمودَيْنِ اعتبره وجمع بعضُ المتأَخِّرين باحتمالِ تعدُّدِ الواقعة ؛ وهو بعيدٌ لاتحادِ مخرج الحديث ، وقد جزمَ البيهقىُّ بترجيح روايةِ أَنه جَعَلَ عمودين عن يمينه وعموداً عن يساره . وقال المحبُّ الطبرى فى صفوة القرى إنه الأَظهر .

٢٦٢ و

العشرون : لَا خلافَ فى دخوله - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - الكعبةَ يومَ الفتح ، وتقدَّم فى التنبيه الثامن عشر : أَنَّه دخلَ فى ثانى الفتح ، وذكر بعضُهم أَنَّه دخلها فى عُمرة القَضِيَّة ، والصَّحيحُ خلافه ؛ فقد قال البخارى عن عبد الله بن أَبى أوفى - رضى اللهُ عنه - أنه لم يدخلها ، وذكر بعضهُم أَنَّه دخلها فى عُمْرَةِ القَضِيَّة وحجة الوداع ، وسيأتى هناك تحقيق ذلك إن شاءَ الله تعالى .

الحادى والعشرون : اختُلِفَ فى قدر إقامته - صلَّى الله عليه وسلَّم - بمكة كما تقدَّم

---

(١) الإضافة عن فتح البارى ١ : ٤٧٨ .

فى القصة ، وجمع الإمام البيهقى بين هذا الاختلاف بأن مَنْ قال تسع عشرة[1] عدّ يوم الدُّخول والخُرُوج ، ومَنْ قال سبع عشرة[2] حذفهما ، ومن قال ثمانى عشرة[3] عدَّ أحدهما . وأما رواية خمس[4] عشرة فضعفها النَّوَوِىّ فى الخُلَاصَة . قال الحافظ[5] : وليس بجيد لأنَّ رواتها ثِقَات ، ولم ينفرد بها ابن إسحاق كما تقدم بيانه فى القصة ، وإذا ثبتَ أنَّهَا صحيحة فَلْتُحْمَلْ على أن الرّاوى ظنّ أنَّ الأَصل سبع عشرة فحذف منها يومى الدُّخول والخروج ، فذكر أنها خمسة عشر ، واقتضى ذلك أن رواية تسع عشرة ، أَرجح الرِّوايات ، ويرجِّحُهَا أَيضاً أنها أَكثر الرِّوايات الصَّحيحة ، قال الحافظ[6] : وحديثُ أَنسٍ لا يعارضُ حديث ابن عبَّاس أى السَّابق فى آخر القصَّة ؛ لأَن حديث ابن عبَّاسٍ فى الفتح وحديث أَنسٍ كان فى حَجَّةِ الوداع ، وبسط الكلام على بيان ذلك ، وقال فى موضع آخر : الذى أعتقده أَنَّ حديثَ أَنسٍ إنَّما هو فى حَجَّةِ الوداع فإنها هى السفرة الَّتى أَقام فيها بمكَّة عشرة أَيام ؛ لأَنَّه دخل اليوم الرّابع وخرج اليوم الرّابع عشر ، ثُمَّ قال الحافظ : ولعلَّ البخارى أَدخله فى هذا الباب إشارةً إلى ما ذكَرْتُ ، ولم يفصح بذلك تشحيذاً للأَذْهَان ، ووقع فى رواية الإسماعيلى : فأَقامَ بها عشراً يقصرُ الصَّلَاة حتىً رجع إلى المدينة ، وكذا هو فى باب قَصْرِ الصَّلاة عند البخارى ، وهو يُؤَيِّدُ ما ذكرته ؛ فإنَّ مدَّة إقامتهم / فى سَفْرَةِ الفتح حتَّى رجعُوا إلى المدينة أكثر من ثمانين يوما . ٢٦٢ ط

الثانى والعشرون : فى بيان غريب ما سبق .

الأَطْنَاب : جمع طُنُب – بضم الطاء المهملة والنون حَبْل الخِبَاء – بكسرِ الخاء المعجمة أى الخيمة .

---

(١) هى رواية البخارى من طريق عاصم عن عكرمة عن ابن عباس . (شرح المواهب ٢ : ٣٤٧) .

(٢) هى رواية أبى داود . (المرجع السابق)

(٣) هى رواية الترمذى و رواية أبى داود من حديث عمران بن حصين (المرجع السابق) .

(٤) هى رواية أبى داود من طريق ابن إسحاق عن الزهرى عن عبد الله بن عباس .

(المرجع السابق ٢ : ٣٤٦)

(٥ ، ٦) انظر فتح البارى ٧ : ١٧ وكذلك ارشاد السارى ٦ ، ٣٩٧ .

الجَوْزاء – بفتح الجيم وسكون الواو ، وبالزَّاى والمدّ : نجمٌ يُقالُ إنها تَعْرِضُ فى جَوْزِ السَّماءِ ، أى وسطها .

الأَفواج والأَفاويج – جمع فَوْج : الجماعة من الناس .

الابتهاجُ : السرور .

خُزَاعَة – بضم الخاءِ المعجمة وتخفيف الزاى وعين مهملة .

الدِئْل – بكسر الدَّال المهملة ، وسكُون الهمزة[1] وتسهل .

رِزْن – براءٍ تفتح وتكسر – كما ذكره صاحبا المحكم والباهر – فزاى ساكنة ، وتفتح ، كما فى الإملاء ، فنون .

ذُؤَيْب : تصغيرُ ذئب .

سَلْمَى – بفتح السين المهملة .

كُلثُوم – بضم الكاف ، وسكون اللاَّم ، وبالثَّاء المثلثة .

أنصابُ الحَرَم – بالنّون ، والصاد المهملة : حجارةٌ تُجعلُ علامات بيْنَ الحِل والْحَرَم .

منْخَر بنى كنانة – بنون ، فخاء معجمة ، فراء : أى المتقدِّمُون منهم : لأن الأَنْفَ هو المتقدِّمُ مِنَ الوجه .

كِنَانَة – بكسر الكَاف .

يُودُون – بضمِّ التَّحتيَّةِ ، وبالمهملة : من الّدِيَة .

بَنُو بَكْر – بفتح الموحدة ، وسكون الكَاف .

حَجَزَ الإسلامُ : منع .

---

(١) قال الزرقانى : فى قول الشافعى كسر الدال وسكون الهمزة وتسهل نظر لأن الذين قالوا بكسر الدال إنما قالوا : بعدها تحتية لاهمزة ، والذين قالوا همزة إنما قالوا بكسرها والدال مضمومة . وانظر شرح المواهب ٢ : ٢٨٩ .

(٢) فى متن الخبر ص ٣٠٤ « فحجز بالإسلام » .

الحُدَيْبيَة : تقدَّم الكلامُ عليها فى غَزْوتها .

الحُلَفَاء : جمع حليف ، وهو المُحَالف على النّصرة .

السَّرَوَات – بفتحات : جمع السّراة ، كذلك جمع سرى – وهو الرَّئيس.

ما أشرق : أى مدَّةَ إشراقه .

ثَبير – بثاء مثلثة ، فموحدة ، فتحتيّة ؛ وزْن عظيم : جبل بمكَّة .

حِرَاء – بكسر الحاء المهملة : تقدَّمَ الكلامُ عليه فى المبعث .

السَّرْمَد : الدَّائِم .

الحِلْفُ – بكَسْر الحاء المهملة ، وسكون اللاَّم ، والمحالفةُ : المؤامرة والمناصرة بالحلف على ذلك .

* * *

شرح غريب ذكر نقض قريش العهد

قوله : «بَنِى نُفَاثَة » : بنون مضمومة ، ففاء مخفّفة ، فألف ، فثاء مثلثة .

الثَّأْرُ – بالثَّاء المثلَّثة : طلبُ دمِ القتيل .

ناشَدُوهُم بأرحامهم : ذكَّرُوهُم وسألوهم بها .

الكُرَاع – بضم الكاف ، وبالراء ، والعين المهملة : جماعةُ الخيْل خاصَّة .

الوَتِير : بفتح الواو ، وكسر الفوقيَّة ، وسكون التَّحتية ، وآخره راء : اسمُ موضع أو ماءٍ فى ديار خُزَاعة .

حُوَيْطِب – بضم الحاء المهملة ، وفتح الواو ، وسكون التحتية ، وكسر الطاء المهملة ، وبالموحدة .

مِكْرِز – بكسر الميم ، وحكى ابنُ الأثير فتحها ، وسكون الكاف ، وكسر الرّاء وآخره زاى .

أَجْلَبُوا : اَستعانوا .

بَيَّتوهم : قصدوهم ليلاً من غير أَن يَعْلَمُوا فأَخذوهم بَغْتَة .

إِلَهكَ إِلَهكَ – بنصبهما بفعل محذوف ؛ أَى اتّق .

عماية الصبح : بقية ظلمة الليل .

* * *

شرح غريب ذكر اعلامه — صلى الله علية وسلم — بما حصل لخزاعة(١)

أَتُرَى – بفتح أَوّله ، وضم ثانيه : أَى أَتظن .

٢٦٣ و تجترئ عليه : تسرع بالهجوم عليه / من غير تَرَوٍّ .

خيرٌ : خَبَرُ مبتدإٍ محذوف ؛ أَى هو خَيْرُ .

المُتَوَضّأ – بميم مضمومة ، فمثناة فوقية ، فهمزة فضاد معجمة مفتوحات : مكان الوضوء .

لَبّيْكَ : يأْتى الكلام عليه مبسوطاً فى حَجَّة الوداع .

الرَّاجزُ : قائل الرجز ، وهو نوعٌ من الشِّعر .

بنو كَعْب بن عمرَ : بطن من خزاعة .

اسْتَصْرَخَنى(٢) : اَسْتَغَاثَنِى .

وائِل – بكسْر التَّحْتِيَّة .

* * *

شرح غريب ذكر قدوم عمرو بن سالم

ظَاهَرَتْ : عَاوَنَت .

بين ظَهْرَى النَّاس : أَى بينهم .

عَمْرُو بن سالم : يجوز فى عمرو الضمّ ، وفى ابن الفتح ، ويجوزُ فتحهما وضمهُّما .

---

(١) العنوان فى ص ٢ : ٢٢٥ « إطلاعه صلى الله عليه وسلم بما حصل لخزاعة » والمثبت عن بقية النسخ .

(٢) فى المخطوطات « يستصرخنى ولعل ما أثبتناه هو الصواب .

نَاشِدٌ : طالبٌ وَمُذَكِّرٌ .

الأَتْلَدا – بفتح أَوّله ، وسكون الفوقيه ، وفتح اللاَّم وبالدّال المهملة : القديم .

وُلْداً – بضمِّ الواو ، وسكون اللاَّم : أى وَلَداً وذلك أن بنى عبد مناف أُمُّهم من خزاعة ، وكذلك أُمّ قُصَىّ .

ثُمَّتَ : حرف عطف ، أدخل عليه تاء التأنيث .

أَسْلَمْنَا – قال السهيلى : من السّلْم ، لأنهم لم يكونُوا أَسلموا بعد ، وقال غيره : إنه قال : رُكَّعاً وسُجَّداً فدَلَّ على أنه كان فيهم من صَلَّى فَقُتِل ، وقال غيره : إنَّ قولَه بعد « وقَتَّلُونا رُكَّعاً وَسُجَّداً » ينافيه إلاَّ أن يُحمَل ذلك على المجاز ، وقال بعضهُم : مرادُه بقوله : « رُكَّعاً وسُجَّداً » أَنَّهم حُلفاءُ الَّذين يركعُونَ ويسجدُون ، قال الحافظ فى الإِصابة : ولا يخفى بُعْدُه .

لَسْت – بفتح الفوقية على الخطاب ، وبالضَّم ، ووجهه ظاهر .

بيَّتُونا : أَخذُونَا بَيَاتاً ؛ أى ليلاً ونحن غافلون .

هُجَّداً – بضم الهاء ، وتشديد الجيم المفتوحة : جمع هاجد ، وهو النَّائِم هنا .

كَداءٍ – بفتح الكاف وبالمد : الثنية التى بأعلى مكة .

الرَّصَد : الطالبُ المراقب .

عَتِداً[1] – بعين مهملة مفتوحة ، ففوقية مكسورة ، فدال مهملة : والعتيد الشىء الحاضر المهيأ ، ويحتملُ أن يكونَ من القوة ، ويروى نصراً أَبَداً من التَّأبيد .

تجرَّدَا – من رواه بحاءٍ مهملة أَراد : غضب ، ومن رواه بالجيم أَراد شمرَّ وتهيَّأَ لحربهم .

---

(١) العتد والعتيد : يقال شىء عتيد : معد حاضر . وفرس عتد وعتد بفتح التاء وكسرها : شديد تام الخلق سريع الوثبة معد للجرى ليس فيه اضطراب ولا رخاوة وقيل هو العتيد الحاضر المعد للركوب . (اللسان)

سِيم – بكسر السين المهملة ، وسكون التَّحتية ، وبالميم ، وبالبناء للمفعول .

خَسْفا – بفتح الخاء المعجمة ، وضمها ، وسكون السين المهملة ، وبالفاء : يقال سمتُه خَسْفاً إذَا أوليته ذُلاًّ ، ويقال كلفته مشقة .

تَرَبَّدَا – بفوقيَّة – مفتوحةٍ ، فراء فموحدة – يقال اربَدَّ وَجْهُه : أى تغيَّر إلى الغُبْرةِ .

الفَيْلَقِ – بفاءٍ مفتوحةٍ ، فتحتيةٍ ساكنة ، فلام مفتوحة ، فقاف : العسكر الكثير .

مُزْبَدا[1] – بميم مضمومة ، فزاى ساكنة ، فموحدة مفتوحة ، فمهملة .

القَرْم – بفتح القاف : السَّيِّد ، وأصله الفَحْل من الإبل الَّذى أقرم ؛ أى تُرِكَ من الرُّكُوب والعَمَلِ وَوُدِّعَ[2] للفحلة .

الأَصْيدَ : الَّذى يرفع رأسَه كثيراً ، ومنه قيل للملك أَصْيَد ، وأصله البعير يكونُ به داء فى رأسه يرفعه ، وقيل إنَّما قيل للملك أصيد ؛ لأنه لا يلتفتُ يميناً وشمالاً .

مَابَرِحَ : ما زال .

عنانة : واحدةُ العَنان – بفتح العين المهملة ، ونونين بينهما ألف ، وهو السَّحَاب .

تستهل : [تبشر][3] .

بُدَيْل – بضمٍّ الموحدَّة ، وفتح الدَّال ، وسكون التَّحتية ، وباللاَّم .

مَرّ – بفتح الميم ، وتشديد الراء .

الظَّهْران – بفتح الظَّاء المعجمة المشالة ، وسكون الهاء ، بلفظِ تثْنِية ظهر ؛ اسم أُضيفَ إليه مرّ : اسم مكان قرب مكة .

---

(١) المزبد : يقال بحر مزبد أى مائج بالزبد . (اللسان) .

(٢) أى يعلق له الودع ، وانظر ماسبق

(٣) بياض بالأصول المثبت يقتضيه السياق .

شرح غريب ذكر ما قيل – ان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما بلغه خبر خزاعة

تُهْمَتُكُم : مَنْ تَتَّهِمُونه .

ظِنَّتُكُم : من تظنُّون ، وهو بمعنى ما قبله .

قُصْرَة – بضمّ القاف ، وسكون الصاد المهملة : أى خاصة .

نَنْبذ إليه على سَواء : نطرحُ عهده وننقضه .

الأَنْدِية : جمعُ نادٍ وهو متحدَّثُ القوم .

قَرَظَة – بفتح الْقَاف ، والرّاء ، والظاء المعجمة المشالة .

فيهم عُرام – بضم العين المهملة : الشِدَّة والقُوَّةُ والشَّراسة ؛ يقالُ رجلٌ عارمٌ خَبيثٌ شِرِّير .

السَّبَدُ – بسينٍ ، فموحدةٌ مفتوحتين ، فدالٌ مهملة : الشَّعر .

اللَّبَد – بفتح اللاَّم والموحدة : أى الصُّوف ، أى ما يبقى لنا شىء .

* * *

شرح غريب ذكر اخبار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بان ابا سفيان سيقدم

قوله : الْهُدْنَة : الصُّلح .

يَرُوعُكم : يفزعكم .

الحَجُون – بحاءٍ مفتوحة مهملة ، فجيم : الجبل المُشْرِف على مقْبَرةِ مكَّة .

الخَنْدَمَة – بفتح الخَاء المُعجمة ، وسكونِ النُّون ، وفتح الدَّال المهملة : جبل بمكَّة .

مَلِيًّا[1] : زماناً .

تَحَرَّجُوا : وقعُوا فى الحرج ، وهو الضِّيق ، وفى لفظٍ : رَهِبُوا – بكسر الهاء ، خافوا .

---

(١) مليا : أى مدة العيش أو الزمان الطويل . (اللسان)

عُسْفان : بعين مضمومة ، فسين ساكنة ، مهملتين ، ففاء ونون .

تُمُور : جمع تَمْر .

تِهَامة – بالكَسر .

قايلهم : اسم فاعل من قال ، قيلا ومقيلا ، وقيلولة : نام القائِلة ؛ وهى الظهيرة .

ائتمرت قريش : آمر بعضهُم بعضاً .

أُم حبيبة : زوج النبي – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : تأتى فى تراجم الأَزواج – رضى الله عنهن .

مُشْرِكٌ نجس : أَى نجسُ الاعتقاد ، لَا أَنَّه نجسُ العَيْن .

الذَّرُّ : النمل الصِّغَار ، وليس قول عمر : فوالله لو لم أَجد إلاَّ الذَّرَ لقاتلتكم عليه[1] بكذب وإن كان الذَّرّ لا يقاتل به لأَنه جَرَى فى كلامهم كالمثل .

أَخْلَقَه الله – بالقاف : أَبلاه ومُحَقَه .

المتِينُ : القَوىّ .

أَمَسّ القوم بِى رَحِماً : أَقربهم رحما .

البحيرة : من أَسماء المدينة ؛ تقدم بيانه فيها .

وَيْح : كلمة تَرَحُّم وتَوَجّع ، تُقالُ لمن وقع فى هلكة **لا** يستحقها ، وقد يقالُ بمعنى التَّعَجُّب والمَدْح ، وهو منصوبٌ على المصدر .

أَجِرْ بين الناس – بفتح الهمزة ، وكسْرِ الجيم ، وسكون الرّاءِ : من الإِجارة .

يَدِبّ بكسرِ الدَّال المهملة ، وتَشْدِيد الموحّدة : يمشى على هينة .

أَوَ تَرى – بتحريك الواو على الاستفهام ، ويجوزُ فتحَ الفوقيّة وضمها .

---

(١) كذا فى الأصول وهى فى سياق المتن ص « فوالله لولم أجد إلا الذر لجاهدتكم به » .

يَخْفِرُنِى ـ بالخاءِ المُعْجمة ، والفاءَ : ينقضُ عهدى .

النجح : الفوز بالمطلوب .

إسَاف ـ بكسر الهمزة ونَائِلة : أى أسماء صَنَمَيْن .

أَبَى : أى امْتَنَع .

أَدْنَى العَدُو : أقرب أعدائنا عداوة .

لَعَمْرُ الله ـ بفتح اللاَّم والعين ، وضم الرَّاءِ : بقاء الله تعالى .

الحُجَر : جمع حُجْرة وهى البيت .

* * *

شرح غريب ذكر جهاز رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكتاب حاطب

الجِهَاز ـ بفتح الجيم وكسْرها .

بَغْتَةً : فجْأَةً ؛ تقولُ بَغَتَهُ الأمْرُ ، وفَجَأَهُ إذا جاءَه ولم يعلم به .

الأَنْقَابُ ـ جمع نقب : الطريق .

مسلمة : سالمة لا حَرَسَ فيها .

المَحَجَّة : الطَّرِيق المسْلُوك .

الفلوق ـ كذا ذكره محمد بن عمر ولم أرَ له ذكرا فى مختصر معجم البلدان ، ولا فى النهاية ، والصحاح[1] ، وتاريخ المدينة ، ومعجم البكرى .

العقِيق : واد من أودية المدينة .

أَبُو مَرْثَد ـ بفتح الميم ، والثَّاء المثلَّثة ، وسكون الرَّاء بينهما .

---

(١) الفلوق: هكذا قال المصنف ولكن ورد فى الصحاح ص١٥٤٤ « والفلوقجمع فلق وهو الشق ، يقال مررت بحرة فيها فلوق أى شقوق » والمعنى يوافق السياق وفى اللسان وقال أبو حنيفة قال أبو خيرة أو غيره من الأعراب الفالقة بالماء تكون وسط الجبال تنبت الشجروتنزل ويبيت فيها المال فى الليلة القرة فجمل الفالق من جلد الأرض وفى حديث الدجال فأشرق على فلق من أفلاق الحرة ـ الفلق بالتحريك المطمئن من الأرض بين ربوتين .

ويؤيده ماجاء فى المغازى للواقدى ٢ : ٧٩٩ .

رَوْضَةُ خَاخ – بخاءين مُعْجَمتين بينهما ألف : على بريد من المدينة ، وصحفَّهُ أبو عوانة كما فى الصحيح فقال : حاج بحاءٍ مهملة وجيم ، ووهم فى ذلك .

الظَّعينةُ : الهودج كانت فيه امرأة أو لم تكن ، والجمعُ الظُّعُن بضمتين وتسكن [العين](1) وظعائن . والظعينة : المرأةُ ما دامت فى الهودج ، وكل بعير يُوَطَّأُ للنِّساءِ ظعينة ، وقال فى النهاية : الظعينةُ المرأةُ فى الهودج ، ثم قيل للمرأة بلا هودج وللهودج بلا امرأة .

الخَلِيقَة – بالقاف كسفينة : منزلٌ على اثنى عشر ميلاً من المدينة .

بطن رِئْم – بكسر الراء ، وسكون التَّحتية ، بالهمز وتركه : واد بالمدينة .

الجدّ – بكسر الجيم ، وتشديد الدَّال المهملة : ضد الهزل .

قُرُونُ رأسها : ضفائِر شعر رأسها ، وفى روايةٍ عِقَاصِها – بكسر العين المهملة ، وبالقاف والصاد المهملة المكسورة : وهو الخيطُ الَّذِى يعتقص به أطراف الذَّوائب ، والشَّعْرُ المضفُور ، وفى روايةٍ : أخرجته من حُجْزَتها – بضمٍّ الحاء المهملة ، وسكون الجيم ، وفتح الزاى : وهو معقد الإزار ، قال فى النور : وأيضاً إن الكتاب كان فى ضَفَائِرِهَا وجعلت الضفائر فى حُجْزَتها .

المُلْصَق – بضم الميم وفتح الصاد المهملة : الرَّجُل المقيم فى الحىّ والحليف لهم .

اغرَوْرَقَت عيناه : امْتَلأَتَا دموعا .

* * *

شرح غريب شعر حسان

قوله عنانى [أهمنى](1) .

بطحاء مكة : ما بين الأخشبين .

تُحَزّ رقابها – بضم الفوقية وفتح الحاء المهملة ، وبالزاى .

٢٦٤ ظ لم تُجنّ – بالجيم والنون / والبناء للمفعول : أى لم تُسْتَر ، يريد أنهم قُتِلُوا ولمْ يُدْفَنُوا .

---

(١) بياض بالأصول والمثبت يقتضيه السياق لأن المصنف يعرض اللفظ ثم يعقبه بضبطه أو يشرح معناه .

ألا : حرف تنبيه واستفتاح .

ليت شعرى : ليتنى أعلم . أو ليْتَ عِلْمى ، هل يكونَ كذا .

حَرّها – بحاء مهملة مفتوحة فراء جمع للحرة بفتح الحاء : وهى الأَرض ذات حجارة سُود نخرة كالحرار ، والحرات ، والحرّين والأَحرّين .

وعِقَابُها – بعين مهملة مكسورة فقاف فألف فموحدة : جمع عَقَبَة ؛ وهى مرقىً صعبة من الجبال .

ابن أُمّ مجالد : عِكرمَةُ بنُ أَبى جهل .

أُحْتُلِبَتْ – بسكون الحاءِ المهملة ، وَضَمٍّ الفوقية ، وكسْرِ اللاّم .

الصِّرْف – بكسر الصَّاد المهملة : اللبن الخالص هنا .

أَعْصَل – بعين مهملة فصاد مهملة مفتوحة فلام : أعوج ، والعَصَــل اعوجاج الأَسنان .

النَّاب – بنون ، فألف فموحدة : السِّنُ خلْفَ الرَّباعية ، مؤنث .

أَبو رُهْم – بضمٍّ الراء ، وسكون الهاء .

كُلْثُوم – بضمٍّ الكاف ، وسكون اللاّم .

حُصَين – بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين فى كل الأَسماء إلا حُضَيْن بن المنذر ابن سنان فإنه بالضاد المعجمة ، وهو فرد ، والكنى بفتح الحاء وكسر الصاد .

* * *

شرح غريب ذكر خروجه – صلى الله عليه وسلم – من المدينة

قوله – فما حل عقدة [أى ما استراح[1]]

الصُلْصُل – بصادين مهملتين – مضْمُومَتَيْن ، وسكونِ اللاّم الأُولى بينهما : جبل معروف فى أثناء البيداءِ ، وهو الشرف الذى قُدَّام ذى الحُلَيْفة .

---

(١) بياض بالأصول والمثبت عن شرح المواهب ٢ : ٣٠٠ .

يستهل بنَصْر بنى كعب : قبيلة .

العَرْج ـ بفتح العين ، وسكون الرَّاءِ المهملتين ، وبالجيم : قريةٌ جامعة قريب مكة على نحو ثلاث [مراحل][1] من المدينة بطريق مكة .

الطَّلُوب ـ بفتح الطَّاء المهملة : اسم ماء .

تَهرٌّ : هريرُ الكلبِ صوتُه ، وهو دونَ النُّبَاحِ .

الجَرِيدَةُ : جماعةُ من الخيل جردت من سائرها[2] .

العَيْنُ : الجاسوس .

قُدَيْد ـ بلفظ التَّصغير : قريةٌ جامعة قريب مكة .

وكْزَهم ـ بفتح الواو ، وسكون الكاف وبالزاى : طعنَهُم .

الجُحْفَةُ ـ بضم الجيم ـ وسكون الحاءِ المهملة : قرية كبيرة على خَمْسِ مراحل وثلث مرحلة من المدينة .

* * *

شرح غريب ذكر فطره ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمره به

الكَدِيْد ـ بفتح الكاف ، وكسرِ الدَّال المهملة الأُولى ، بعدها تحتية فدال مهملة : موضعٌ بين مكَّةَ والمدينة بين منزلَى أَمَج وعُسفَان ، وهو اسم ماء ، وهو أقربُ إلى مكَّةَ من عُسَفَان .

عُسْفَان ـ بضمٍّ العين ، وسكون السِّين المهملتين ، وبفاءٍ ونون ، قريةٌ جامعة على ثَلاَث مراحل من مكة .

أَمَج بفتح الهمزة والميم وبالجيم المخففة : اسم وادٍ .

كُرَاع الغَميم ـ بضم الكاف [من كراع] وفتح الغين المعجمة [من الغميم] موضعٌ بين رَابغ والجُحْفة يضاف إليه كُرَاع : وهو جبل أَسود بطرف الحرَّة .

---

(١) الإضافة عن المرجع السابق .

(٢) ويقال الجريدة جماعة من الفرسان خرجت مخفة متجردة من أثقالها . ويقال هى التى لا رجالة فيها . (التاج) .

عزيمة : أمرٌ واجبٌ حقٌّ .

* * *

شرح غريب ذكر نزوله — صلى الله عليه وسلم — بمر الظهران

عَمِيَت الأَخبار – بفتح العين وكسر الميم ، ويجُوز ضم العين وكسر الميم المشدَّدة / . ٢٦٥ و

يتحسب الأَخبار : يتعرفُّها .

الأَرَاك – بفتح الهمزة : شجر معروف .

خَمَشَتهَا – الحرب – بالخاءِ المعجمة ، والجم ، والشين المعجمتين المفتوحات :أحرقَتْها وهيَّجَتْها ، ومنْ رواه بالحاءِ ، والسِّين المهملتين ، فمعناه : اشتدَّت عليها ، من الحماسةِ وهى الشِّدَّةُ والشَّجَاعة .

* * *

شرح غريب ذكر منام ابى بكر — رضى الله عنه

تَشْخُبُ : تدرُّ وتسيل .

كَلَبُهُم – بفتح الْكَاف واللاَّم : شِدَّتُهم .

دَرُّهُم – بفتح الدَّال المهملة : لَبَنهُم .

* * *

شرح غريب ذكر اعلام — صلى الله عليه وسلم — بان ابا سفيان فى الأراك وارادة ابى سفيان الانصراف

خَطْمُ الجبل – بفتح الخاء المعجمة ، وسكون الطاء المهملة ، والعقبة ، شيءٌ يخرجُ منه ويَضِيق معه الطريق ، وفى روايةٍ فى الصَّحيح : حطم – بالحاء المهملة – الخيل – بالخاء المعجمة والتحتية : وهو موضعٌ ضيِّقٌ تتزاحمُ الخيل فيه حتى يحطم بعضهم بعضا .

وَاصَبَاح قُريش : منادى مستغاث : يقال عند استنفار من كان غافلا عن عدوه

العَنْوَةُ – بفتح العين المهملة أَخذُ الشَّىء قَهْراً .

الشهباءُ : البيضاء .

حطَّاباً بحاءٍ فطاءٍ مشددة مهملتَيْن .

يشتَدُّ : يعدو .

أقتحمتُ : رميتُ بنفسى من غير رَويَّة .

أجَرْته ـ بالرَّاء : أمَّنْته ، فهو فى أمانى .

لاَ يُنَاجيه : لا يُسَارُّه .

مهْلاً : يُقالُ للمفرد والمثنىَّ والجمع ، يعْنِى أمهل .

أرخْهَا : اتركها .

ألَمْ يأْن : يقربُ .

الأَوْبَاش من النَّاس : الأَخلاطَ .

الرَّحْل بالحاءِ المُهملة : المنزل والمأْوى .

أفرخ لروعتى بالفاء والخاء المعجمة : أذهب لخوفى .

أربأُ بهمْ عَن الشِّرك : أنزِّه مَقَامَهُم وأرفعه عن الإقامَةِ على الشِّرك.

* * *

شرح غريب ذكر تعبئة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه ومن امر بقتله

أرحلت : أعدت رحلها .

الأَدَاةُ : الآلة .

الكَتَائِب : جمع كتيبة وهى الطَّائفة من الجيش المجتمعة .

القَادَات : جمعُ قائد : وهو أمير الجيش .

على أثره بكسر أوَّله وسكون ثانيه ، وبفتحهما .

أفْناء العرب : جمع فِنْو ، وهو الَّذى لا يعلم ممن هو[1] .

---

(١) والأفناء : أى الأخلاط ورجل من أفناء القبائل أى لا يدرى من أى القبائل هو . وقيل إنما يقال قوم من أفناء القبائل ولا يقال رجل وليس للأفناء واحد ، ويقال هو من أفناء الناس إذا لم يعلم من هو . (اللسان)

الكتيبةُ الخضراء : سُمِّيتْ بذلك لغلبةِ الحديد على أهلها ، شَبَّه السَّوادَ بالخُضْرة ، والعربُ تطلقُ الخضرةَ على السَّواد .

سنابكُ الخَيْل : طرفُ حوافرها .

الْحَدَق : العُيُون .

لِعُمَرَ فيها زَجَل : صوتٌ رفيعٌ عَال .

يَزَعُها ـ بالزَّاى ، يُقَالُ : وزَعَه يزعه وزعا فهو وازع : وهو الذى يَكُفُّ النَّاس ويحملُ أولَهُم على آخِرهم[1] .

رُوَيْداً : إسم فعل أمر ، بمعنى أمهل .

اليوم يوم : برفع اليومين ، ونصب الأول ورفع الثانى .

الملحمة : الحرب وموضع القتال ، والجمع / ملاحم ، مأْخوذٌ من اشتباك النَّاس ٢٦٥ ظ وأختلاطهم فيها كاشتباك لُحْمَة الثوب بالسَّدى ، وقيل هى من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيهما .

تُسْتَحَلُّ ـ بالبناء للمفعول . الحرمةُ ـ بالرفع نائب الفاعل .

حَبَّذَا ـ بحاءٍ مهملة مفتوحة ، فموحدة ، فذال معجمة ، :أى هو حبيب ، جعل « حَبَّ » و« ذا » كشىءٍ واحد ، وهو اسم ، وما بعده مرفوع به ، وَلَزِمَ « ذَا » حَبَّ .

الذِمار ـ بالذَّال المعجمة المكسُورَة ، وتخفيف الميم ، وبالرَّاء : الهلاك أو حين الغضب للحريم والأَهل ، يعنى الأنتصار لمنْ بمكَّةَ ، قاله غلبةً ومحجزاً ، وقيل : أراد حَبَّذَا يومٌ يلزمُكَ فيه حِفظِى وحمايتى مِن المكرُوه .

الْقَصْوَاء ـ كحمراء

---

(١) والوازع فى الحرب الموكل بالصفوف ، يزع من تقدم منهم بغير إذنه . وفى الحديث إن إبليس رأى جبريل عليه السلام يوم بدر يزع الملائكة أى يرتبهم ويصفهم لحرب ، والوازع الحابس للعسكر الموكل بالصفوف يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر والجمع وزعة ووزاع (اللسان) .

أنشُدكُ الله ــ بفتح الهمزة ، وضمٍّ الشين المعجمة ــ سأَلتك وأَقسمتُ عليك به .

كذب سعد : أَخْطأَ .

المرحمة : الرقة والتَّعطُّف .

صَوْلة ــ بفتح الصَّادِ المهملة ، وسكون الواو : أَى حملة .

* * *

شرح غريب شعر ضرار بن الخطاب ــ رضى الله عنه

لجأَ إليه بالهمز وتركه للوزن .

لات حين لجاء : أَى ليس الوقت وقت لجاء .

سَعة الأَرض ــ بفتح السّين .

حلقتا : تثنية حلقة .

البطان ــ بكسر الموحدة ــ للقتب : الحِزامُ الَّذى يُجعل تَحْتَ بَطْن البعير ، يقال الْتقَتْ حَلَقَتَا البطان للأَمر إِذَا اشتدَّ .

نُودُوا ــ بالبناء للمفْعُول .

الصَّيْلَم ــ بصادٍ مهملةٍ مفتوحة ، فتحتية ساكنة ، فلام مفتوحة : الدَّاهِيَةُ .

الصَّلْعَاء ــ بصادٍ مهملة مفتوحةٍ ، فلام ساكنة ، فعين مهملة ممدودة ؛ قال فى النور : كأَنَّه عطف الصَّلعاء على الصَّيْلَم ، وحذف حرف العطف للنَّظم ، وهو جائزٌ فى غير النَّظم أَيضاً .

قاصِمَةُ الظَّهْر : كاسرته .

الحَجُون ــ بفتح الحاء المهملة ، وضَمٍّ الجيم المخففة : الجبل المشرف على مقبرةِ مكة .

البطْحَاء : الأَبطح .

النَّسْر – بفتح النُّون : النجمُ المعروف ، وهما نَسْران ؛ النَّسْرُ الطَّائر ، والنَّسْرُ الواقع

العَوَّاء – بعينٍ مهملةٍ مفتوحة ، فواو مشددة ، ويقالُ بالعدوة من منازل القمر ، وهى خمسة أنجم يقال لها ورك الأَسد ، ومن مدها[1] فهى عنده من عويت الشيء إذا لويت طرفه .

وقال السُّهَيْلِىُّ : والأَصحُّ فى معناها أن العَوَّاء من العوّة ؛ وهى الدّبر ، وكأَنهم أسموها بذلك لأنها دبر الأَسد من البُروج .

وَغِرُ الصَّدر – بفتح الواو وكسر الغين المعجمة ، وبالرَّاء : إسم فاعل ، ، والوغرة : شدة توقد الحَرّ .

لا يَهُم – بفتح التحتية وضم الهاء .

تَلَظَّى : أصله تَتَلَظَّى : تلهب .

جاءت : أَخْبَرَت .

هند : هى بنت عُتْبَة .

بالسَّوْءَةِ السَّوءاء ، بالخلة القبيحة .

ابن حرب : هو أبو سُفيان بن حرب .

أَقْحَمَ اللِّواءَ : الإقحامُ ؛ إرسَالٌ فى عجلة .

يا حُمَاةَ الأَدْبَار : جمع دُبُر ، والمراد به هُنَا الظَّهر .

ثَابَتْ – بثاءٍ مثلثة وبعد الأَلف موحدة ففوقية سَاكِنة : أى رجعَت .

البُهَم – بضمٍّ الموحَّدة ، وفتح / الهاء ، قال أبو عبيدة البُهمة بالضَّمِّ : الفارِسُ ٢٦٦ و الَّذِى لا يُدْرَى من أين يُؤْتى من شِدَّة بأْسه ؛ والجمع بُهَم ، ويُقَالُ أيضاً للجيش بُهَمة[2]

---

(١) هو قول القالى (شرح المواهب ٢ : ٣٠٧) .

(٢) وفى شرح المواهب ٢ : ٣٠٧ « ويقال لجيش بهم » وانظر تاج العروس ٨ : ٢٠٧ وأساس البلاغة ١ : ٧١ .

الهَيْجَاء – بالمد وتقصر : الحرب .

الفِقْعَةُ – بفاءٍ مَكْسُورَة ، فقاف ، فعين مهملة مفتوحة ، جمع فِقْع – بكسر الفاء وفتحها وسكون القاف ضربٌ من الكمأة ، وهى البيضاء الرِّخْوة ، يشبه به الرجل الذَّليل يقال هو فَقْع بقَرْقَر[1]؛ لأن الدَّوَاب تنجله[2] بأَرجلها .

الْقَاعُ : المكانُ الواسعُ المستوى فى وطاة من الأَرض .

الإِماء : جمعُ أَمة ؛ وهى خلافُ الحُرَّة .

إِنْهَيَنْهُ : فعل أمر من نَهَى أُكِّد بالنُّون .

الأُسْد – بضمٍّ الهمزة وسكون المهملة جمع أَسَد بفتح الهمزة والمهملة .

لدى : بمعنى عند .

الْغَاب ، والغابات : جمعُ غابة ؛ وهى هُنا أَجَمَةُ الأَسد .

وَالِغٌ – بالغين المعجمة : إسم فاعل من وَلَغَ فى الإِنَاء .

الحيَّةُ الصَّماء : التى لا تُسْمَع .

صنْوُ أَبيه ، الصِّنْوُ : الْمِثْلُ .

أَمَا وَالله – بفتح الهَمْزَة ، وتخفيف الميم .

ركبوها منه : [أَى فعلوها معه][3] .

لاضرمنَّها عليهم نارا : أَشعلها عليهم .

أَستبطنتم : يقال أَستبطن الوادى وتبطَّنَه : دخل بطنه .

---

(1) القرقر : الأرض المنخفضة . (التاج)

(2) فى م تنقله والمثبت عن بقية النسخ ، والمعنى تضربه بمقدم أرجلها ، وقيل تثيره . (التاج)

(3) بياض بمقدار كلمتين فى الأصول والمثبت يقتضيه السياق .

أَشهَب بازل : أى رُمُوا بأَمرٍ صعْب شديد لا طاقةَ لهم به يُقَالُ يومٌ أَشهب وسنةٌ شهبَاء ، وجيشٌ أَشهب : أى قوىٌّ شديد ، وأكثر ما يستعملُ فى الشِّدَّةِ والكراهة ، وجعله بازلا لأَن بُزُولَ البعير نهايته فى الشدة والقُوَّة .

النجاء : السرعة ، يقالُ هو ينجو نجاءً إذا أسرع .

قِبَل - بكسر القاف وفتح الموحدة : أى طاقة وإنَّما عطفها عليه لتغاير اللَّفظ .

قَاتَلَهُ الله : أى قتلَهُ ولَعَنَه ، أَو عاداه ، وقد ترد بمعنى التَّعجُّب من الشَّىء ، كقولهم : تَربَتْ يَدَاه ، ولا يراد بها وقوع الشىء .

الحَمِيت - بفتح المهملة ، وكسْر الميم ، وسكون التَّحتية ، وبالفوقية - وهى فى الأَصل المتين مِنْ كلِّ شىء ، والمرادُ هنا : زقّ السمن . [بالسين والميم][1] ، متن بالرُّبِّ ولا يُسْعر عليه ، شبهته بنحى السَّمن فى لونه وسمنه .

الدَّسِم - بدالٍ فسين مكسورة مهملتين : الكثير الوَدَك .

الأَحمس[2] : الشُّجَاع .

قَبُحَ : القبْحُ : ضد الحُسْن ، وقد قَبُحَ قباحة فهو قبيح ، ويقالُ قَبَّحه الله ؛ أى نَحَّاه عن الخير ، فيجوز فى لفْظِ الكثرة قَبُح - بفتح القاف ، وضم الموحدة ، وقُبِّح بالبناء للمفعول .

الطَّلِيعَةُ : الذى يحرسُ القوم .

* * *

---

(١) بياض فى الأصول بمقدار كلمة والمثبت عن التاج - ح م ت .

(٢) الأحمس : بحاء وسين مهملتين ، قال فى الروض : أى الذى لاخير عنده ؛ من قولهم عام أحمس إذا لم يكن فيه مطر . وفى النهاية الدسم الأحمس أى الأسود الدنىء (شرح المو اهب ٢ : ٣١٣) .

شرح غريب ذكر من أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقتله يوم الفتح وشرح غريب ذكر دخوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة وأين نزل

الساعى هنا : الذى يأْخذُ الزكاةَ ، وفى رواية مصَدِّقا ـ بفتح الصَّاد وتشديد الدَّال مع كسْرها ، ويجوزُ إسكانُ الصَّادِ مع كسْر الدَّال المخفَّفة .

القَيْنَة ـ بقاف مفتوحة فتحتية ساكنة فنون فتاء تأنيث : الأَمة غنَّت أَو لم تغنّ ، ٢٦٦ ظ والماشطة ، وكثيراً ا يطلق على المغنية من الإماء / .

المِغْفر ـ بكسر الميم ، وسكون الغين المعجمة ، وفتح الفاء ، وبالراء : زردٌ ينسجُ منه الدُّروع على قدر الرأْس ، يلبسُ تحت القلنسوة .

ذو طُوًى ـ بتثليث الطَّاء المهملة ، والفتح أَشهر : واد بمكَّة ، مقصورٌ مُنونٌ ، وقد يُمدّ ، يصرفُ ولا يصرف .

المُدَجَّج ـ بضمٍّ الميم ، وفتح الدَّال المُهْمَلَة والجيم الأُولى المشددة .

شاك فى السلاح تدَجَّج فى شكته وحَدّق سلاحه .

القناةُ : الرُّمح .

الأَفْواه : جمع فُوه : وهو الفم .

المَزاد ـ بفتح الميم ، والمزايد جمع مزادة ، وهى شِطْرُ الراوية .

الخَنْدَمَة ـ بفتح الخاء المعجمة ، وسكون النّون ، وفتح الدَّال المهملة ، فميم فتاء تأْنيث : اسم جبلٍ بمكَّة .

الرعدة ـ بكسر الرَّاء .

فرسٌ عَاير ـ بعين مهملة فتحتية : ذاهب .

معتجراً[1] ؛ الاعتجار : التعمُّمُ بغير ذُؤابة[1] .

(١) وفى (ص) ومتعجرا بميم فتاء فوقية والاعتجار التعمم بغير ذؤابة » والمثبت عن بقية النسخ .

شقة برد : نِصْفُهُ .

حَبِرَة - بفتح الحاء المهملة وكسر الموحدة[1] : ضربٌ من ثياب اليمن .

اْستشرفه النَّاس ، قال فى الصَّحاح : استشرفْتَ الشَّىء : رفعتَ نظرك لتنظر إليه ، وبسْطتَ كفك فوق حاجبك كالَّذى يستظلٌّ من الشَّمس .

العُثْنُون - بضم العين المهملة والنون وبينهما ثاء مثلثة ساكنة : اللِّحية .

واسطة الرَّحل : مقدمته .

تمْعَج[2] : [تسير فى كل اتجاه] .

ثابَتْ - بثاءٍ مثلَّثةٍ فألف ، فموحدة ففوقية : رجعت .

عِمَامَة خَرْقانِيَّة - بفتح الْخَاءِ المعجمَةِ وضمِّها ، وسكون الراءِ ، وبالقاف ، وكسر النُّون ، وتشديد التحتية ، قال فى النِّهاية: كأنَّه لَوَاها ثم كوَّرَهَا كما يفعله أهل الرَّسَاتِق[3] ، ورُويت بالحاء المهملة .

المِرْطُ - بكسر الميم ، وسُكُون الرَّاء ، وبالطَّاء المهملة : كساءُ من صوف ، أو خز، أو كتان ، والجمع مُروط .

مُرَحَّل[4]- بضم الميم ، وفتح الراء والحاء المهملة المشددة : ضربٌ من بُرود اليمن ، عليه تصاوير رحل وما أشْبَهَه، وفى التكملة هو الموشى بالرحال ، كما أنَّ المسهَّمُ الموشى تشبيهاً بالسِّهام .

تُثِير : ترفع .

---

(١) وفى النهاية ١ : ٣٢٨ ط الحلبى يقال برد حبير وبرد حبرة بوزن عنبة على الوصف والإضافة ، وهو برديمان ، والجمع حبر وحبرات .

(٢) فى الأصول « تعج » والمثبت عما سبق ص ٣٤٢ وعن التاج واللسان . وما بعدها بياض بمقدار ثلاث كلمات والمثبت عن التاج واللسان .

(٣) الرساتق : جمع رستاق للسواد أو القرية وهو معرب (أقرب الموارد،التاج) .

(٤) كذا فى الأصول بالحاء المهملة ، وفى رواية ابن هشام مرجل بالجيم أى فيه صور رجال . (السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٥٥) .

النَّقْع : الغبَار .

الأَعنَّةُ : جمعُ عنَان – بكسر العين وهو سير اللِّجام .

مُسْرَجَاتٍ – بميمٍ مضمومة ، فسين مهملة فراء فجيم : مشدودٌ عليها السَّرْج[1] .

الخُمر – بضمٍّ الخاءِ المعجمة ، وبالرَّاء : جمع خمار ، وهو ثوبٌ تُغَطِّى به المرأةُ رأْسَهَا ، والخَمَرُ – بفتح الخاء المعجمة ، والميم : ما واراك من شجر .

مُجَنِّبَة الجيش – بميم مضمومة فجيم مفتوحة : فنون مكسورة مشددة فموحدة فهاء : وهى الَّتى تكون فى الميمنة والميسرة وهما مُجَنِّبَتَان ، وقيل : هى الكتيبة تأْخذُ إحدى ناحيتى الطَّريق ، والأَوَّل أصح .

سُلَيم – بضمٍّ السِّين المهملة .

غِفَار – بكسر الغين المعجمة .

مُزَيْنَة – بضمٍّ الميم ، وفتح الزَّاى ، وسكون التْحتية ، وبالنُّون .

اللِّيط – بكسر اللاَّمِ الثَّانية ، وسكون التْحتية ، وآخره طاء مهملة .

٢٦٧ و الحُسَّر – بضمٍّ الحاء ، وفتح السِّين المشـددَة المهملتين وآخره راء : وهم / الَّذين لَا دِرْعَ عليهم .

البَيَاذقَةُ بفتح الموحَّدة ، وتخفيف التحتيَّة ، وبعد الألف ذال معجمة ، فقاف ، فتاءُ تأْنيث : وفُسِّرَ بالرَجَّالَة ؛ وهى لفْظَةٌ فارسيَّةٌ مُعَرَّبة .

أَقبل بالصَّفِ من المسلمين[2] ....

يَنْصَبُّ – بفتح التْحتية ، وسكُون النُّونِ ، وفتح الصَّادِ المهملة ، وتشديد الموحَّدة .

عَنْوَةً : يقالُ عَنَا عنوة : أَخذ الشَّىء قهراً وصلْحاً ، والمرادُ هنا الأَوَّل .

---

(١) فى ص ٢ : ٢٢٨ « عليها سرجها » والمثبت عن بقية النسخ .

(٢) بياض بمقدار كلمة فى ت ، ط ، م ولعلها « الجيش » .

ضَوَى إليه : آوى إليه وانضم .

هُذيْل – بضمّ الهاءِ ، وفتح الذَّالِ المعجمة ، وسكُون التَّحتية ، وباللاَّم .

الدِيل – بكسرِ الدَّالِ المهملة ، وسُكُون التَّحتية .

فمَالِي عِلَّة ....[1]

وألَّة – بفتح الهمزة ، وتشديد اللاَّم المفتوحة ، فتاء تأنيث : الحَرْبَة التى فى نصلها عرض ، وجمعها ألّ – بفتح الهمزة ، وتشديد اللاَّم ، والأَلّ[2] كجفنة وجِفَان .

ذُو غِرَارَيْن بغين معجمة مكسورة ، وراءين بينهما ألف : شَفْرَتَا السَّيْف وكل شيء له حَدٌّ فحَدُّه غِرارُهُ ، والجمع أَغِرَّة .

السلَّة – بكسر السِّين المهملة ، وتشديد اللاَّم المفتوحة فتاء تأْنيث : الحالة مِن السَّيف ومنْ أَرادَ المصدر فتح . قال فى الصَّحاح : أَتيناهم عند السَّلَّة ؛ أى عند إِسْلالِ السُّيوف .

الحَزْورة : بحاء مهملة مفتوحة فزاى ساكنة فواو مفترحة فراء : كانت سوقاً بمكة وأدخلت فى المسجد لَمَّا زيد فيه .

لُجَّة الْبَحْرِ – بضمّ اللاَّم وتشديد الجيم : معظمه ، ومنه بحر لُجِّىٌّ ، واسع اللُّجَّة .

نالَ ......[3]

الفارِسِيَّة ....[4]

---

(١) بياض بمقدار كلمتين فى ت ، ط ، م ولعل المراد « بكسر العين وفتح اللام المشددة أو فمالى سبب أتعلل به » .

(٢) وفى التاج « والأل جمع آلة بحذف آخره للحربة العريضة النصل ، سميت بذلك لبريقها ولمعانها . . وفرق بعضهم بين الألة والحربة فقال الألة كلها حديد والحربة بعضها خشب وبعضها حديد . والإلال ككتاب جمع آ لة كجفنة وجفان .

(٣) بياض فى الأصول بمقدار كلمة .

(٤) بياض فى الأصول بمقدار كلمتين . ولعل المراد الزرد السابغ الفارسى .

الشِّعَار – ككتاب : العلامة فى الحرب .

حِمَاس – بكسر الحاء المهملة ، وتخفيف المم ، وبعد الألف سين مهملة .

إنْك – بكسر الكاف ، خطاب المؤنث .

بويزيد : حذف همزته تخفيفاً ؛ لضرورة الشِّعر ، وأراد به سُهَيْل ابن عمرو[1] .

المُؤْتَمة – بميم ، فواو ، ففوقية مفتوحة : التى قُتِلَ زوجُها وبقى لها أيتام ، ومن رواه بكسر الفوقية : أراد لها أيتام ، يقال منه أَيْتَمَتْ فهى مُؤْتِمة .

الجُمْجُمَةُ : الرأس .

تُسْمَعُ – بالبناء للمفعول . وفى كثيرٍ من النُّسخ تَسْمَعِى .

الغَمْغَمَةُ – بغينين معجمتين مفتوحتين بعد كل واحدةٍ ميم ، الأولى ساكنة ، والثَّانية مفتوحة : أصواتٌ غير مفهومة من اختلاطها . قاله فى الرَّوض ، وقال فى الإملاء هى أَصواتُ الأَبطال فى الحرب .

النَّهِيْتُ – بفتح النُّون ، وكسر الهاء ، وسكون التحتية ففوقية : نوعٌ من صياح الأَسد كالزَّئير إلا أنه دونه .

هَمْهَمةٌ : صوتٌ فى الصَّدر .

كُرْز – بكافٍ مضمومةٍ ، فراءٍ ساكنة فزاى .

الفِهْرِىّ – بكسر الفاء ، وسكون الهاء .

البَارقَة : لَمعَان السيُوف .

فضض المشركين – بفاءٍ وضادَيْن مُعجمتين : كل مُتَفَرِّق ومُنْتَشِر .

فَأُتِى – رسول الله صلى الله عليه وسلم – فَذُكِرَ له ببنائهما للمفعول .

---

(١) وكان خطيب قريش كما فى الروض الأنف ٢ : ٢٧٣ .

وبشت : بفتح الواو وبالموحدة المشددة وبالشين المعجمة : جمعت الأَوباش ، الجموع مِنْ قبائل شتَّى .

اهْتِفْ : صحْ والهاتف الصائح .

المناوشة فى القتال : تَدَانِى الفريقين وأخذ بعضهم بعضا / . ٢٦٧ ظ

اَحْصُدُوهُم ـ بهمزة وصل ، فإنْ ابتدأتَ ضممْتَ ، وبالحاء والصَّادِ المهملتين : أى اقتلُوهم وبَالِغوا فى استئصالهم .

أبيدَت ـ بالبناء للمفعول : أُهْلِكت ، وفى رواية أُبيحَتْ ـ بالبناء للمفعول أى انْتُهِبَتْ وتَمَّ هَلاَكُهَا ، والإباحةُ كالنَّهْب وما لا يُرَدّ عنه .

خَضْرَاءُ قريش ـ بخاءٍ مفتوحة فضادٍ ساكنة معجمتين وبالمد : جماعتهم وأَشخاصُهُم والعربُ تكنِّى بالسَّوادِ عن الخُضْرة ، وبالْخُضرةِ عن السَّواد ومنه سوادُ العِرَاق .

لا قُرَيْش بعد اليوم : .....(١)

تقاسموا : تحالفوا .

الخَيْف : ما انحدر منْ غِلَظِ الجبل وارتفع عن مسيل الماء .

كِنَانة ـ بكسر الكاف ، ونونين .

رَجّع صَوْتَه ـ بفتح الرَّاءِ ، والجيم المشدَّدة : رَدّدَهُ فى القراءة ، قال ....

مُضْطَرِباً بالحَجُون : مقيما به .

* * *

شرح غريب ذكر اغتساله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورن ابليس واسلام أبى قحافة وغريب خطبته ـ صلى الله عليه وسلم

سُبْحةُ الضحَى ـ بضم السِّين المهملة ، وسكون الموحَّدة ، وبالحاء المهملة : من التسبيح كالسخرَةِ من التسخير ، وأكثر استعمالها فى التَّطَوع من الذكر والصَّلاة .

---

(١) بياض فى الأصول بمقدار ثلاث كلمات ، وفى شرح المواهب ٢ : ٣١٧ وهذا صريح فى أنهم اثخنوا فيهم القتل بكثرة فهو مؤيد لرواية الطبرانى أن خالداً قتل منهم سبعين .

الرَّنَّة – بفتح الرَّاءِ والنُّون : الصوت بحزن .

النَّوْح – بفتح النّون ، وواو ساكنة ، فحاء مهملة : البُكاء .

الشَّرَر – بشينٍ معجمةٍ مفتوحة فراءين أولاهما مفتوحة : ما تطاير من النار .

التَّامَّات : الكاملات فلا يدخلهنَّ نقصٌ ولا عيب ، وقيل : النافعات الشَّافيات .

لاَ يُجَاوِزُهنَّ – بمثناة تحتية مضمومة ، ثم جيم وزاى ، لا يخلفهن ويتخطَّاهن .

البَرُّ – بفتح الموحدة ، والبار : الصادق أو التَّقى ، وهو خلافُ الفاجر ، وجمع الأوَّل أبْرَار ، والثَّانى بَرَرَة .

الطَّارق : الَّذى يأْتى ليلاً .

حَبَشِيَّةٌ : منسوبة إلى الحبشة .

شَمْطَاء : خالط سوادَ شعرها بياض .

خَمَشَتْ المرأَةُ وَجْهَهَا بظفرها خَمْشًا من باب ضرَب : جرحت ظاهر البشرة ، ثم أُطلق الخَمْش على الأَثر ، والجمع خمُوش مثل فلس وفلوس .

الوَيْلُ : كلمةٌ تقال لمن وقع فى هلكة أو بَلِيّة لا يُتَرَحَّمُ عليه .

إسَاف بكسر الهمزة ، ونائِلة – بنون فألف ، فهمزة على صورةِ الياء : اسما صنمَيْن .

قُحَافة – بضمٍّ القاف ، وبالحاء المهملة ، والفاء : عثمان بن عامر والد أبى بكر الصّديق – رضى الله تعالى عنهما .

أَشْرِفى بى ، ارتفعى بى .

الْوَازِعُ – بالزَّاى : الَّذى يَكُفُّ الجيش ، أَى يقدم بعضه على بعض ، يقالُ وزعته عن كذا إذا كففته عنه .

الطَّوْقُ هُنَا : القلادَة .

الوَرِق – بفتح الواو ، وكسر الرَّاء ، الفضة .

الثَّغَامَةُ – بثاءٍ مثلَّثةٍ مفتوحة ، فغين معجمة : شجرةٌ إذَا يبست أَبْيَضَّت أغصَانها يُشَبَّهُ بها الشَّيْبُ .

أَنْشُدُ الله رجلاً : أذكِّره به وأستعطفه أو أسأله به مُقْسِما / . ٢٦٨ و

أُخَيَّة : تصغير أخت .

لِمَ قَاتَلْت : ما الاستفهامية دخلت عليها اللاَّم الجارة فحذفت ألفها .

رَشَقُونَا : رمونا .

وَضَعُوا فينا السِّلاح : حَطوه .

خَبَطُوهُم – بخاءٍ معجمةٍ فموحدة . فطاء مهملة : ضربوهم ضرباً شديدا .

أبو أُحيْحَة – بمهملتين – مصغر .

الجيَادُ – بجيمٍ مكسورة ، فتحتية مفتوحة ، فألف ، فدال مهملة ؛ جمع جيِّد : ضد الرّدىء .

مُتَمَطِرَات – بضمٍّ الميم ، وفتح الفوقية ، وكسر الطَّاء المهملة المشددة ، وبالراء ، يقال : تَمَطَّرَ به فرسه : إذَا جرى وأسرع ، وجاءت الخيلُ مُتمطِّرةً ؛ أى سبَقَ بعضُها بعضاً .

المحجَن – بميم مكسورة ، فحاء مهملة ساكنة ، فجم مفتوحة فنون ؛ وهى عصاً مقنعة[1] الرأس كالصولجان .

ارْتَجَّت مكَّة : اضطربَ أهلها .

الرَّصَاصُ – بفتح الرَّاءِ ، والمفرد رصاصة .

هُبَل – بضمٍّ الهاء وفتح الموحَّدة ، وباللاَّم .

---

(١) كذا فى ت ، ص.وفى ط ، م « مكسرة الرأس »

وِجَاه – بواوٍ مكسورةٍ فجيم : مقابل .

آخِذٌ–بمدٍّ الهمزة ، وكسر الخاء ، وبالذَّال المعجمتين : اسم فاعل .

سِيَةَ الْقوْسِ – بكسر السين المهملة ، وفتح التحتية المخففة : وهو ما عطف من طرف القوس .

يطعن – بضم العين وفتحها .

الاسْتِلَامُ : افتعالٌ من السَّلام ، كأنَّه حَيَّاهُ بذلك ، وقيل : هو افتعالٌ من السِّلام بكسر السِّين ؛ وهى الحِجَارَةُ ، ومعناه : لمسهُ .

الحَجر – بفتح الحاء والجيم .

المُلَوَّح بضم الميم وفتح اللاَّم ، وتشديد الواو المفتوحة ، فحاء مهملة .

إيه إيه ....[1]

يَسْتَقْسِمُ : يضربُ .

بالأَزْلَام ، جمع زُلم – بضمٍّ الزَّاى ، ويقالُ : بفتحها ؛ وهو السَّهم .

حَمَامَةٌ مِنْ عَيْدَان – بفتح العين المهملة ، وسكون التَّحتية ؛ جمع عَيْدَانَة ؛ وهى النَّخْلَة الطَّويلة .

سطرين بسين مهملة ، ووقع فى رواية السهيلى بالشين المعجمة ، وخطَّأه القاضى .

قوله : وعند المكان الَّذى صلَّى فيه مَرْمرَةٌ – بسكون الرَّاء بَيْنَ الميمين المفتوحين ، واحدةُ المَرْمَر ، وهو جنسٌ من الرُّخَام لطيفٌ نفيسٌ معروف ، وكان ذلك فى زمن النَّبىِّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – ثُمَّ غُيِّرَ بناءُ البَيْتِ بَعْدُ فى زَمَن ابن الزُّبَيْر كما تَقَدَّم .

بَرّة – بموحَّدة مفتوحة ، فراء مشددة فمثناة فوقية .

* * *

---

(١) بياض فى الأصول بمقدار كلمتين ، وإيه اسم فعل الاستزادة من حديث أو فعل .

اُستكَف له الناس – بفتح أوّله ، وسكون السِّين المهملة ، وفتح الكاف ، وبالفاء : أى استجمع ، من الكافة ، وهى الجماعة ، وقد يجوزُ أن يكون اُستكفَّ هنا بمعنى نظروا إليه ، وحدقوا أبصارهم فيه ، كالّذى ينظر فى الشَّمس ، من قولهم : استكف بالشَّىء إذا وضعت كَفَّك على حاجبك ونظرت إليه ، وقد يجوزُ أن يكون استكف هذا بمعنى استمد ؛ قاله فى الإملاء .

«وأول دَمٍ أضعه دَمَ ربيعة بن الحارث» قال السُّهَيْلِىّ ، وابن حزم ، والبلاذرى : كان لربيعة بن الحارث / ابنا مُسْتَرضَعاً فى بنى سعْدِ بن ليث فقتلَتْه هُذَيل فى الجاهلية ، ٢٦٩ م فأهدر رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – دمه فى فتح مكة وسماه البلاذرى ، والزُّبَيْر ابن بَكار ، وابن حزم وغيرهم : آدَم ، وقيل : اسمه تمام ، وقيل إياس .

الأَحزاب : وهم الّذين تحزّبُوا على رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بالْخَنْدَق مِنْ قريش وغيرهم .

لاَ تَثْرِيبَ : لا تعنيفَ وَلَا لوم .

الطلَقَاء – بطاءٍ مهملة مضمومةٍ، فلام مفتوحة فقاف : الّذين خلَّى سبيلَهُم .

مأثُرَة – بهمزة ساكنة فثاءٍ مثلثة مفتوحة[1] : الخصلةُ المحمودة التى تُؤْثَرُ ويُتَحَدّثُ بها .

سِدَانَةُ الْبَيْتِ – بكسر السِّين ، وبالدَّال المفتوحة المهملتين ، وبعد الألف نون : خِدْمَتُه .

النَّخْوَةُ : العظمةُ والكِبْر .

لاَ يُعْضَدُ – بالعين المهملة ، والضَّاد : لا يقطعُ .

---

(١) كذا فى الأصول والمشهور بضم الثاء المثلثة .

عِضَاها ، العضاةُ ككتاب شَجَرُ الشَّوْك كالطَّلْح[1] والْعَوْسَج[2] .

ولا يُختلى – بضم التحتية وسكون الخاء المعجمة : لا يقطع .

الخلى – بالقصر : الرَّطبُ من الحشيش ، الواحدة خلاة .

وَكَانَ شَيْخاً مُجَربا – بضمِّ الميم ، وفتح الجيم والراء : أى جرَّبته الأُمور وأحكمته .

الإِذْخِر – بكسر الهمزة وسكون الذَّال ، وكسر الخاء المعجمتين : نباتٌ معروف ذَكِيٌّ إذا جَفَّ ابْيَضَّ .

القَيْن – بفتحِ القاف ، وسكون التحتيَّة ، وبالنُّون : الحدَّاد ، ويطلقُ على كلِّ صانع ، والجمع قُيُون ، مثلُ عين وعيون .

ولِلْعَاهِر الحَجَر : أى إنما ثبت الولد لصاحب الفراش وهو الزوج ، وللعاهر الخيبةُ ولا يثبت له نسب ، وهو كما يقال : وله التُّراب ؛ أى الخيبة ؛ لأَنَّ بعضَ العرب كان يُثبت النسب من الزَّانى ، فأَبطله الشرع .

لاَ جَلَبَ – بفتح الجيم واللاَّم ، وبالموحَّدة ، فُسِّرَ بأَنَّ رَبَّ الماشية لا يُكَلَّف جَلْبَهَا إلى البلد ليأْخُذَ السَّاعى منها الزَّكاةَ ، بل تُؤْخَذُ زكاتها عند المياه .

ولا جَنَب – بفتح الجيم والنُّون ، وبالموحدة : أى إذا كانت الماشية فى الأَفنية فتتْرَكُ فيها ولا تخرج إلى المرعى ، فيخرجُ السَّاعى لأَخْذِ الزَّكاة لما فيه من المشقَّة . فأَمر بالرِّفق من الجانبين .

الأَفنية : جمع فِنَاء ككتاب : الوصيد ، وهو سعةٌ أَمام البيت ، وقيل : ما امتدَّ من جوانبه .

اشْتِمَالُ الصَّماء : أى يُجَلِّل جسدَه كله بكساءٍ أَو إزارٍ لا يرفعُ شيئاً منْ جوانبه .

---

(١) الطلح شجر عظام من شجر العضاه ترعاه الإبل (المعجم الوسيط) وهى أعظم العضاه شوكاً وأصلبها عوداً وأجودها صمغاً (اللسان) .

(٢) العوسج شجر من شجر الشوك له ثمر أحمر كأنه خرز العقيق وهو كثير الشوك .

أَخَالكم : أظنكم .

خَالِدَةً : دائمةً لكم .

تَالِدَة - بالفوقية كصاحبة ، والتَّالِدُ : القديم ، قال المحبُّ الطَّبَرِىُّ - رحمه الله تعالى - : إنَّها لكم من أوَّل ومن آخر ، وتكون تالدةً إتباعاً لخالدة بمعناه .

مُضطَبِعٌ بثوبه : اسمُ فاعل من الأضطباع : وهو أن يدخل ثوبه من تحت إبطه اليمنى ويلقيه على عاتقه الأيسر ، ويتعدى بالباء ، فيقالُ : اضْطَبَعَ بثوبه ، قال الأزهرى : والاضْطِباعُ والتوشُّح والتأبط / سواء .

٢٦٩ م
٢

أمَّا الرجل - بفتح الهمزة وتشديد الميم .

يُقْضَى - بالبناء للمفعول ، وكذلك قُضى ، والوحْىُ ، نائبٌ للفاعل .

الضِّنّ برسول الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - بكسر الضَّادِ المعجمة الساقطة ، وتشديد النّون ؛ أى بُخْلاً بهِ ، وَشُحًّا أَنْ يُشَارِكَنَا فيه أحد غيرنا .

يطئون عقبه : يتبعونه ، ومُوَطَّأُ العَقِب : سلطان يُتَّبَع .

تفوَّهْتُ : تَلَفَّظتُ .

قَرْن - بقافٍ مفتوحة ، فراء ساكنة ، وهى فى الأصل : الجبل الصغير .

المُسْفَلَة[1] - بميمٍ مفتوحة فسين مهملة ساكنة ففاء ، فلام مفتوحتين : موضع بأسفل مكَّة .

يُوضِعُ فيه : يُسْرِع .

الجِعِرَّانَة - لا خِلَافَ فى كسر الجيم ، وأهل الحديث يكسرون عينه ، وأهل الأدب يسكنون العين ويخفِّفُونَ الرّاء

قال فى المراصد : والصحيح أنهما لغتان ، قال علىبن المدنى : أهلُ المدينة يثقِّلُون الجعِرَّانة ، وأهلُ العراق يخفِّفُونها ، وهى منزلٌ بين الطائف ومكَّة ، وهى إليها أقرب .

عُرَنَة - بضم العين المهملة وفتح الراء وبالنون : واد قرب عرفات .

* * *

(١) صوابه قرن مسقلة ويقال مصقلة : قرن بقيت منه بقية بأعلى مكة . وانظر أخبار مكة للأزرقى ٢ / ٢٧٠ ، ٢٧١ ومسند الإمام أحمد ٣ : ٤١٥ ، وأسد الغابة ١ : ٨٤ ، وانظر ما سبق ص ٣٧١ .

شرح غريب ذكر إسلام عبد الله بن الزِّبعرى - رضى الله عنه

[الزبعرى][1] هو بزاى ، فموحَّدةٍ مكسورتين ، فعين مهملة ساكنة ، فألف مقصورة[2]

لا تَعْدَ بفتح الفوقية وسكون العين المهملة .

مِنْ حرف جر ، وفى روايةٍ لا تَعْدَ مَنْ مِن العَدَم ، أُكِّدَ بالنُّون . ورجلاً - عليها - مفعول .

نَجْرَان - بنون مفتوحة ، فجيم ساكنة ، فألف فنون : مدينة باليمن .

الأَحَذ - بالحاء المهملة ، والذَّال المعجمة : القليل المنقطع ، ومن رواه بالجيم والدال المهملة : فهو منقطع أيضاً . وقد يجوزُ أن يكونَ معناه فى عَيْشٍ لَئِيم جدًّا

بليت ٍ من البلى وهو العَدم[3] والقدم .

الْقَنَاةِ : الرمح .

خَوّارة - بخاء معجمةٍ مفتوحة ، فواو مشددة فراء : ضعيفة .

جوفاء - بجيم مفتوحة فواو ساكنة ففاء فألف فهمز . : واسعة .

ذَاتِ وُصُوم - بواو مضمومة فصاد مهملة فواو فميم : فتور وكسل وتَوَان

أجْلَبَ عليه : جمع ما قدر عليه من جنده .

يَجُبُّ ما قبله : يَقْطَعُه ويمحاه .

لسانى رَاتِق : سَادٌّ ، تقولُ : رتَقْتُ الشَّىءَ إذا سَدَدْتُه .

ما فتقت : أحدثتُ من ذنب ، فكلُّ إثمٍ فَتْقٌ وتمزيق ، وكلُّ تَوْبَةٍ رَتْقٌ

البُور - بالموحَّدة : الهلاك .

---

(١) الإضافة يقتضيها السياق .

(٢) وأيضاً بكسر الزاى وفتح الباء والراء وانظر التاج وكذلك ترجمته فى أسد الغابة ٣ : ١٩٥ .

(٣) بياض فى الأصول بمقدار ثلاثة كلمات ولعل المراد ما أثبته .

أُبَارِى : أعارض ، وأجارى .

سَنَنَ الغىّ : طرقه .

المَثْبُورُ : الهالك .

الْبَلَابل : الوساوس .

الهُمُوم : الأحزان .

مُعْتَلِج : مضطرب يركبُ بعضُه بعضاً .

الرِّوَاقُ : طائفةٌ من الليل ، وأرواقه : أثناء ظلمته ،

البهيم : الّذى لا ضياء فيه .

عَيْرَانَة : ناقةٌ تشبه العَيْر فى شِدَّته ونشاطه والعَيْرُ – بفتح العين : حمارُ الوحش .

غَشوم – بغينٍ ، فشين معجمة : ظلوم ؛ يعنى أن مَشْيهَا فية خفاء ، ومَنْ رواه رُسُوم ، فمعناه : أنها ترسم الأرض وتؤثّرُ فيها من شِدَّةِ وطئها ، والرّسمُ : ضربٌ من سير اللَّيْل .

أَسْدَيْتُ : صنعت وحكيت ، يعنى ما قاله من الشِّعْر قبل إسلامه .

أَهِيْمُ : أذهب على وجهى مُتَحيراً .

أَغْوَى – بالغين المعجمة .

خُطَّةً – بضمّ الخاء المعجمة ، وبطاءٍ مهملة : أى بأَشَرِّ أمر وأقبحه .

سَهْم – بفتح السِّين المهملة ، وسكون الهاء .

مخزوم – بالخاء والزّاى المعجمتين .

أَسْبَاب الردى : طُرُق الهلاك .

الوُشَاة – بضم الواو : جمع واشٍ وهو النَّمَّام .

الْأَوَاصِرُ : قرابةُ الرَّحم من النَّاس .

الحُلُوم ــ بضم الحاء المهملة ، واللاَّم : العقول .

فِدًى ــ بكسر الفاء ، وتفتح ، قال فى الصحاح : إِذَا كُسِرَ يُمَدُّ ويقصر ، وإذا فتح فهو مقصور انتهى والمُفَادَاة : أَنْ تدفع رجلاً وتأْخُذَ رجلا ، فالفداء أن تشريه أو تنقذَه بمال ، وفديته بأَبى وأُمى كأَنك اشتريته وخلَّصتَهُ بهما ، إِذَا لم يكنْ أسيراً ، فإنْ كان أسيراً مملوكاً قلت : فاديته ، والمرادُ بالفداء هُنا التَّعظِم ؛ لأَنَّ الإِنسانَ لايُفْدى إلا من يُعظِّمُه . فيذل نفسه ، ومن يعز عليه به .

زَلَلِى : خطيئتى .

عَلَم ــ بفتح العين واللاَّم .

الجسيم : العظيم .

القَرْم ــ بفتح الْقَاف ، وسكون الرَّاء : السَّيِّد ، وأَصله الفحل من الإبل

الذُّرى ــ بضمِّ الذَّال المعجمة : الأَعالى .

الأُروم : الأُصول .

* * *

شرح غريب ذكر اسلام عِكْرِمَةَ وصفوان بن أُمَيَّة وهند بنت عتبة

ضَوَى إليه بفتح الضَّاد المعجمة : مال

الشُّعُيْبَة ـ بالشِّين المعجمة ، والعين المهملة تصغير شعبة : مَرْفأ السفن بجدة[1] .

والمَرْفَأ ـ بميم فراء فهمز : الموضع الذى تشدُّ فيه السُّفن .

عَكّ ــ بفتح العين المهملة وتشديد الكاف : حَىٌّ منسوبٌ إلى عَكّ بن عُدْنَان ــ بضمِّ العين ، وسكون الدَّال المهملتين ، وبالثَّاء المثلَّثةِ ابن عبد الله بن الأَزد .

تليح بمثناة فوقية فلام فمثناة تحتية فحاء مهملة : تبصر ، يقال لحته أَبصرته ، والاستلاحُ التَّبَصُّر .

(١) كذا بالأصول : والصواب أن الشعيبة كانت مرفأ قبل التحول إلى جدة فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه سنة ٢٦ هـ ـ ومحل الشعيبة على مرحلتين من جدة على طريق اليمن .

(أخبار مكة ١ : ١٥٧ ، ٢ : ١٣١) .

النُّوتِيُّ : الملاَّح الَّذى يدبّر أَمر السَّفينة فى البحر . /

أَغْرَبَ – بغينٍ معجمة : أَبعد .

الاعْتِجَارُ بالعمامة : وهو أَنْ يلفها على رأْسه ، ويردّ طرفها على وجهه ، ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه .

آمنه – بمدّ الهمزة وفتح الميم المخففة .

سَيَّره شهرين – بفتح السين والتحتية المشددة[١] .

شفير النَّار : جانبها .

القَدُوم – بقافٍ مفتوحةٍ ، فدال مضمومة تخفف وتشدد هنا : آلة النجار .

أُفْلذه – بهمزة مضمومة ففاء ساكنة فلام فذال معجمة : أُقطعه .

مَرْضُوفَين – بميم فراء [فضاد][٢] فواو ففاء مفتوحة : مشويين على الرَّضْف وهى الحجارة المحماة .

قَدّ – بقافٍ مفتوحة فدال مهملة : جلد السَّخلة .

* * *

شرح غريب ذكر خطبته – صلى الله عليه وسلم – ثانى يوم الفتح

قوله غَزِىٌّ – بغينٍ فزاى معجمتين ، وتشديد التحتية : جماعة القوم الذين يغزون .

جُنَيْدب بن الأَدلع .

هُذَيْل – بضم الهاء وفتح الذَّال المعجمة ، وسكون التَّحتية ، وباللام .

الْغَطِيطُ : ما يسمعُ من صوتِ الآدميِّين إِذَا ناموا ، وهو صوتٌ من الحلْق .

---

(١) شرح المصنف بعد هذا لفظى تستجيش وحشوته ولما كان مكانهما فى العنوان التالى فقد نقلا إلى هناك .

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

الْحَاضِر : القومُ الَّذين ينزلُون على الماء.

فمَهْ : ما الاستفهامية أُبدلت ألفها هاءً فى الوقف ، والمعنى فما تريدون أن تصنعوا.

يسْتجيشُ[1] . [عليه : بمثناة فسين مهملة فمثناة فوقية فجيم فتحتية : أقبل إليهم يطلب سكون الجأش - بهمز وقد لا يهمز . وهو رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع وتنفس الإنسان][1]

هكذا عن الرجل : هى هنا اسم سُمِّىَ به الفعلُ ، ومعناه : تنحوا عن الرَّجل ، وعن متعلقة بما فى هكذا من معنى الفعل.

الحشوة - بالحاء المهملة المفتوحة : ما اشتمل عليه البطن من الأمعاء وغيرها تسيل [تخرج][2].

تزنقان - بفوقية فزاى فنون فقاف:أى قربتا أن تنغلقا ، يقالُ زنقت الشمس إذا دَنَتْ للغروب وزنقَهُ النُّعَاسُ إذا ابتدأه قبل أن تنغلق عينه

انْجَعَف - بنون فجيم فعين مهملة ففاء : سقط سقُوطاً ثقيلاً.

* * *

شرح غريب قصيدة حسّان بن ثابت - رضى الله عنه

عفَت : درست وتغيَّرَت.

ذاتُ الأَصابع ، والجوَاءُ - بكسر الجيم ، وتخفيفِ الواو ، وعذْراء بفتح العين المهملة ، وسكون الذَّال وراء وبالمد : الثلاثة مواضع بالشَّام ، والأَخيرة قرية بقرب دمشق[3].

مَنْزِلُهَا خَلَاءُ : فارغ.

(١ ، ١) ما بين الرقين منقول إلى هنا لمناسبته.

(٢) بياض فى الأصول بمقدار كلمة ولعل المراد ما أثبته.

(٣) وجاء فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٢١ كان الجواء منزل الحارث بن أبى شمر الغسانى وكان حسان كثيراً مايفد على ملوك غسان بالشام يمدحهم ، كذلك يذكر هذه المنازل.

الحَسْحَاس – بحاء مفتوحة فسين فحاء فألف فسين مهملات : حَيٌّ من بنى أسد .

قَفْر – بفتح القاف ، وسكون الفاء ، وبالرَّاء : المَفَازَة الَّتى لا نبْتَ فيها ولا ماء .

تُعَفّيها – بضمٍّ الفوقية ، وفتح العين المهملة ، وكسر الفاء المشددة : تغيرُها .

الرَّوَامِس – بالرَّاء والسِّين المهملتين : الرِّياح التى تُرْمُسُ الآثار ؛ أى تغطيها وتسترها .

السَّماء – هنا – المطر .

تُثِيرُ – بضم الفوقية وكسر الثَّاء المثلَّثة ، وسكون التَّحتية وبالراء : ترفع .

النَّقْع – بفتح النُّون وإسكان القاف وبالعين المهملة : الغبَار .

كَدَاء – بفتح الكاف والمد .

الأَعِنَّة : جمع عِنَان – بكسر العين المهملة : وهو سير اللجام .

مُصْغِيَات : مُستمعات .

الأَسَل – بفتح الهمزة والسِّين المهملة : الرِّماح .

الظِّماء – بكسر الظَّاء المعجمة المُشَالة وبالمد : العطاش .

الْجِيَادُ – هنا : الخيل .

مُتَمَطِّرَاتٍ – بطاء مهملة مكسورة مشددة مصونات أو مسرعات يسبق بعضهن بعضا .

يلطمهن : يضربهن بالخمرُ – بضمٍّ الخاء المعجمة ، والميم ، جمع خمار .

إمَّا – بكسر الهمزة ، وتشديد الميم ، أصله إن الشَّرطية وما زائده .

تُعْرِضُوا – حذف النون للجازم .

الْجِلاَد – بكسر الجيم : الضَّرب بالسُّيوف ونحوها فى القتال .

لَيْسَ لَه كِفَاء – بكسر الكاف وبالمد : أى مثلا .

وقال الله قد أرسلت عبداً : أى قال الله – تعالى – معناه ، وليس هذا اللفظ فى القرآن وكذا وقال الله قد سَيَّرتُ جُنداً .

الْبَلَاء : الاختبار .

عُرْضَتُهَا – بضمٍّ العين المهملة ، وسكون الرّاء وبالضّاد المعجمة – اللقاء : عادتها تعرض للقاء عدوها .

نحكم بالقَوَافِى مَنْ هجانا – بضَمٍّ النُّون ، وفتحها : أى نردْ ونَقْدَع ، من حَكْمة الدّابة بفتح المهملة وسكون الكاف وهو لجامها ، والمعنى :نغمهم ونخزيهم فتكون قوافينا كالْحَكْمَات للدّواب .

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب – قيل أسلم فى السّفر ، وهذا مما يُقَوِّى أَنَّ بعض هذه القصيدة قالها قبل السفر للفتح .

مُغَلْغَلَةً – بغينينٍ معجمتين ، الأُولى مفتوحة ، والثّانية مفتوحة أيضاً[1] وبعد كل منهما لام الأولى ساكنة والثانية مفتوحة وهى الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد .

بَرِحَ : زال .

الجفاء : الإعراض والتباعد .

بَرًّا – بفتح الموحدة والرّاء : وهو الكثير الخير .

الْحنيفُ : المسلم ، وسُمِّى بذلك لأنه مَالَ عن الباطل إلى الحق ، والْحَنَفُ : الميل .

الشِّيْمَةُ – بكسر الشِّين المعجمة ، وسكون التحتية : الْخُلُق بضم الخاء المعجمة ، واللاّم وتسكن .

الكفو – بتثليث الكَاف : المِثْلُ والنظير .

---

(١) فى الأصول « الثانية ساكنة » وهو خطأ والمثبت يقتضيه المقام .

فشركما لخيركما الفداء : هذا نصف بيت قالته العرب ، وهو من باب قوله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ شرٌّ صفوف الرجال آخرها ، يريدُ نقصان حَظِّهم عن حَظِّ الصَّفِّ الأَول ، ولا يجوز أن يريد صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ التفضيل فى الشَّر . قال سيبويه ـ رحمه الله ـ تعالى ـ تقول مرَرت برجل شَر منك إذا نقص عن أن يكون مثله .

صارم : قاطع .

لا عيب ـ بالتحتية والموحدة ـ وهو الظاهر ـ ويروى بالفوقية أى لا لَوْمَ فيه .

الدِّلَاء ـ بكسر الدَّال المهملة : جمع دَلو بفتحها .

تنبيه : وقع فى صحيح مسلم فى مناقب حسان رضى الله تعالى عنه فى هذه القصيدة أبيات

أولها : هجوتَ محمدا إلى آخره ، وثانيهما : هجوتَ محمدا بَرًّا تقيًّا ، وثالثها : فإن أبى ووالدتى وعرضى ، ورابعها : ثكلتُ بنيتى إنْ لم تروها تثير النقع غايتها كداء ، وخامسها : يُبَارين الأَعنَّة مصعدات كذا فى مسلم ، وفى السِّيرة مُصْغيات ، وسادسها تظل جيادنا إلى آخره ، وسابعها : فإن أعرضتم إلى آخره ، وثامنها : وإلا فَاصْبرُ والضِّرَاب يَوْمٍ وتاسعها : قد أرسلت عبدا وقال الله يقول الحق ليس به خفاء / . ٢/٢٧١

وعاشرها : وقال اللهُ قد سَيَّرتُ جندا ، وحادى عشرها : تلاقى كل يوم من مَعَدٌّ ، وثانى عشرها : فمن يهجو ، وثالث عشرها : وجبريلٌ رسول الله فينا .

* * *

شرح غريب ابيات انس بن زنيم ـ رضى الله عنه

وأبوه [زنيم][1] بضم الزَّاى ، وفتح النُّون وسكون التحتية .

الذِمة ـ بكسر الذَّال المعجمة : العهد :

أَحَثّ بالحاء المهملة ، والثَّاء المثلثة : أَسرع / . ٤٤٨ ظ

(١) الإضافة يقتضيها السياق .

أَسْبَغ ـ بالسين المهملة والموحدة والغين المعجمة : أكمل .

النَّائِلُ : العطاء .

المُهَنَّدُ : : السيف المطبوع من حديد الهند .

الْخَالُ ـ بالخَاء المعجمة : ضرب من برود اليمن ، سُمِىّ بالخال الذى بمعنى الخيلاء قبل ابتذاله : [أى بلاه][1]

السابق ـ هنا ـ الفرس .

المتجرد ـ بكسر الراء : اسم فاعل . الذى يتجرد من الخيل فيسبقها .

تَعَلَّم ـ بفتحات واللاَّم مشدَّدة : بمعنى إعلم .

الوعيد : التهديد .

الصِرم ـ بكسر الصاد المهملة وسكون الرّاء وبالميم : البيوت المجتمعة .

المُتْهِمُون : الذين يسكنون بتهامة ، وهو ما انخفض من أرض الحجاز .

المُنْجد : من سكن بنجد ، وهو ما ارتفع من الأَرض .

عُوَيْمر : تصغير عمرو ، وهو بن سالم كذا فى النور .

الْمُخْلِفُو كُلِّ مَوْعِدِ ـ بجر كل بإضافة أسم الفاعل إليها ، ويجوز نصبها فى لغة .

نَبَّوْا ـ بنونٍ فموحدة مشدَّدة : أخبروا .

الطَّلْق ـ بفتح الطاء ، وسكون اللاَّم : الأيام السَّعيدة ، يقال يومٌ طلق إذْ لم يكن فيه بَرْد ولا حَرٌّ ولا شىء يؤذى ، وكذلك ليلة طلق .

عزت : اشتدّت .

العَبْرَة ـ بفتح العين المهملة : الدَّمعه .

التَّبَلُّد : التحير. تبلدى : تصبرى . أخفرت : نقضت العهد

أَكْمَد : من الكمد وهو الحزن .

---

(١) بياض فى الأصول بمقدار كلمتين والمثبت يقتضيه السياق .

فَتَقْتُ ـ بفاء ففوقية فقاف : أحدثت ، أو خرجت .

* * *

شرح غريب ابيات الشقراطيسى ـ رحمه الله تعالى

وهو بشين معجمة فقاف ساكنة فراء مفتوحة فطاء فسين مهملات فتحتية .

يوم مكة ـ جوّز الإمام أبو شامة ـ رحمه الله تعالى نصبَ يوم ورَفْعَه وجره .

إذْ : ظرفُ زمانٍ بدل من يوم .

أَشْرَفْتَ / علوت عليها وظهرت على أخذها .

الأُمم : جمع أُمّة ؛ وهى جماعة الحيوان على الإطْلاق ، ومِنَ الزّمان وغير ذلك .

تضيق ـ بالفوقية والتحتية .

الفِجَاج ـ جمع فجٍّ : الطّريق الواسع بين جبلين .

الوَعْثُ ـ بواوٍ مفتوحة ، فعين مهملة ساكنة ، فثاء مُثَلَّثة : المكانُ الواسع .

الدّهَس ـ بدال مهملة، فهاء مفتوحتين فسين مهملة : مَالَانَ من الأَرض وسَهُل ، ولم يبلغ أَنْ يكونَ رَمْلاً تغيب فيه الأَقْدَام ويشقُّ على مَنْ مَشَى فيه .

السَّهْل ـ بسكون الهاء ـ وفتحها ضرورة ـ وفى بعض النُّسخ بضمَّتَين ؛ جمع سَهْل وهو ما لان من الأَرض ، والمعنى أَنَّ جميع الطُّرُق تضيقُ عن ذلك الجيش .

الْخَوَافِق ـ بالصَّرْفِ للضّرورة ، وبالْجَرِّ بدل من أمم ؛ أى أشرفت فى أُمم خوافق ، يقالُ خفقت الرَّايةُ تَخْفِقُ وتَخْفُق ـ بكسر الفاء وضَمِّهَا خَفْقاً وخَفَقاناً ، وكذلك القلبُ إذَا اضْطرب ، ويجوز أن تكون خوافق صفة لأُمم لا بدل ؛ وصَفهَا بالمفردِ بعد أَنْ وصفَهَا بالجُملة ، من قولهم خَفَقَ الأَرْضَ بنعله خَفْقاً وهو صوت النَّعْل ، وكلُّ ضربٍ بشيءٍ عريض خفق ومنه خَفَقَه بالسَّيْف ، وخفق فى البلاد خُفُوقاً : ذهب ، وخفق البرقُ خَفْقاً : لَمَع ، وخفقت الريحُ خفقاناً : وهو خفقها أى دوّى جريها ، وخَفَقَ الطّائر ؛ أى طار ؛ وصف تلك الأُمم بسرعَةِ الطّير[1] والسير ولمعان الحديد ، وصوت وقع الحوافر ، وما يناسبُ ذلك مما يليقُ بالمعنى المقصود المستنبط من هذه

---

(١) فى (ص) بسرعة السير .

الألفاظ . فى اللُّغَة ، وفى بعض النسخ خوافق بالرفع جَعَلها مبتدأ على تقدير لها خوافق يعنى رايات ، أو خبرا أى هى خوافق ، يعنى الأُمم ، ويجوزُ أن يكونَ التَّقدير فى ذَاتِ خوافق وحذف المضاف ، وكذا يجوزُ أَنْ يكونَ التَّقديرُ على إعراب خوافق بالجر أى ذوى خوافق ؛ فمهما قدرنا حذف مضاف ، أو قلْنَا هى مبتدأ أو جررنا ها على البدل ، فالمرادُ بخوافق الرَّايات ، وإن جررناها صفة لأُمم أو قلنا : التقدير هى خوافق فالخفق للأُمم لا الرايات .

ضَاقَ : ضعف .

ذَرْعُ الْخَافِقِيْن : وسعهما .

الْخَافِقَان : أفقا المشرق والمغرب ؛ لأن اللَّيل والنَّهار يخفقان فيهما .

الْقَاتِمُ : المُغَبَّرُ والقَتَامُ : الغُبَار .

العَجَاجُ - بالعين المهملة وجيمين : الغبار .

الجَحْفَل - بالجرِّ : وهو الجيش العظيم ، قال فى المحكم : ولا يكون الجيش جَحْفلاً حتَّى تكون فيه خيل .

قَذَف بفتح القاف والذَّال المعجمة ، وبضمهما : أى مُتباعد .

الأَرجاء : النَّواحى والأَطراف .

اللَّجَب : الصَّوت والجَلَبَة .

العَرَمْرم : الكثير .

زُهَاء السَّيل - بضم الزَّاى : قدره .

المُنْسَحِل - بضمِّ الميم ، وسكون النُّون ، وفتح السين ، والحاء المهملتين : وهو الماضى فى سيره ، المسرع فيه . يتبع بعضه بعضا كأَنه جار .

البَهْوُ : الْبِنَاءُ العالى كالإيوان ونحوه ؛ شبه النورَ ، الذى يغشاه - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ببهو أحاط به .

مُكْتمل بضم الميم : تام .

ينير – بضم التحتية – أى النور المذكور ينير أى يضىء « أغر الوجه : أبيضه منتجب : متخير من أصل نجيب أى كريم.

المُتَوَّجُ : الَّذى لبس التَّاج وهو الإكليل الَّذى تلبسه المُلوك ، وهو شبه عصابةٍ تُزَيَّنُ بالجواهر ، وصف النبيّ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – بأنه أبداً متوج بعزة النصر .

مُقْتَبِل – بضمّ الميم ، وسكون القاف ، وفتح الفوقية ، وكسر الموحَّدة : من اقتبل أَمْرَه أى استأنفه ، واقتبل الخُطْبَة أى ارتجلها ، والاقتبال : الاستئناف .

يَسْمُو – بالتحتية : يعلو .

أَمَام : قُدَّام .

جُنُود : جمع جند .

مُرْتَدِياً : حال من الضّمير فى يسمو .

ثوبَ الْوَقَار : مفعولُ مرتدياً على إسقاط / الخافض، والوقار العظمة .

٢٧٢
٢

ممتثل : أى منتهج على مثاله ، يقال : امتثلَ فلانٌ الأَمْرَ إذَا فعله على المثال الَّذى رسم له .

خَشَعْتَ : خَضَعْتَ – حسًّا ومعنى .

البهاء : الحسن .

سَمَتْ : ارتفعت .

الْمَهَابَة : الهيبة ، فكلاهما مصْدر هابه ، ومعناها الإجلال والمخافة .

الوَجِلُ : الخائف ، جمع النَّاظِم بينهما لاختلاف اللَّفْظ تأْكيداً للمعنى ، أى فَعَلت فى زمان نهاية عزك ما يفعله الخائفُ الوجل .

تَبَاشَرَ الْقَوْم : بَشَّرَ بعضُهم بعضاً فرَحاً .

أَمْلاَك : جمع مَلَك مثل حَمَل وأَحْمَال .

مُلِّكْت – بضمّ الميم ، وكسر اللَّام المشدَّدة ، وفى بعض النُّسخ بفتحهما من غير تشديد ، وكلاهُما واضح .

نِلْتَ : حصلت [غاية الأمل][1] : مطلوبك .

تَرْجُفُ : تهتز .

الزَّهْو : الخفَّةُ من الطَّرب ، يقالُ : زَهَاهُ الشئ ازدهاء : إذا استخفه ، والزَّهْو أيضاً : الكِبْر ؛ وليس مرَاداً هنا .

الفَرَقُ : الفزع ، يقالُ اهتزت الأَرضُ فرحاً بهذا الجيش وفَرَقاً من صَولته ؛ أى كادت تهتزُّ كما قال تعالى : ﴿ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجر ﴾[2] أى كادت تبلغ .

الْجَوّ : ما تحتَ السَّماء من الهواء .

يَزْهَرُ : يضئ .

الإِشْرَاقُ : الإضاءة .

الجَذَل – بفتح الجيم ، والذَّال المعجمة : السُّرور والفرح .

تَختَالُ : تتبختر فى مشيتها .

زَهْواً : كبراً وإعجاباً ، وهذَا غيرُ معنى الزَّهو السَّابق ، فليس بتكرار .

العِيْس – بكسر العين : الإبلُ فى ألوانِهَا عَيَسٌ – بفتح العين والتحتية ، وهو بياضٌ مخالطٌ بحمرة .

تَنْثالُ – بفوقيةٍ مفتوحةٍ فنون ساكنة فثاء مثلثة ولام : أى تَنْصَبُّ من كلٍّ جهة ، يقالُ تَنَاثَلَ النَّاسُ إليه إذا انصبُّوا .

رهواً بالرَّاء : أى ذات رَهْوٍ ، وهو السَّيْرُ السَّهل .

ثِنَى – بكسر الثَّاء المثلَّثة ، وفتح النُّون ، كأنَّه جمع ثِنَّى ، لأَنَّ كلَّ أحدٍ له ثِنى إلاَّ أنَّ هذا الجمع غير مسموع ، وفى بعْض النُّسخ بضمٍّ المثلَّثةِ وكسرِها كحِلِّ وحُلِى .

---

(١) إضافة عن شرح المواهب ٢ : ٣٢٩ .

(٢) سورة الأحزاب آية ١٠ .

الجُدُلُ – بضمٍّ الجيم ، والدال المهملة : جمعُ جديل ، وهو الزِّمام المجدُول ؛ أى المضفُور المحكم الفَتْل ، والزِّمام ما كان فى الأَنْفِ ، والخطام غيره ، وثنِى الجُدُل ما أُثْنِى منها على أعناق هذه الإبل ؛ أى انعطف وانطوى[1]

الحِوَلُ – بكسرِ الحاء المهملة ، وفتحِ الواو : التَّحوُّل ، وهو الأنتقالُ والتغيُّر .

أَهَلَّ – بفتحاتٍ واللَّام مشدَّدَة : أى رفع صوْتَه

ثَهْلَان – بثاءٍ مثلَّثةٍ : جبل .

التَّهْلِيلُ : مصدر هَلَّلَ إذَا قال : لا إله إلاَّ الله .

ذاب – بفتحِ الذَّالِ المعجمة .

يَذْبُل – بفتح التَّحتِيَّة ، وسكونِ الذَّالِ المعجمة وضمٍّ الموحدَّةِ وباللاَّم : جبل .

التَّهْليلُ – هُنَا : الجُبْنُ والفَزَعُ ، يقالُ هَلَّ الرَّجلُ عن الشَّىء إذا فزع[2] منه فرقاً وجُبْناً .

الذُّبُلُ – بضم الذَّال المُعجمة ، والموحَّدة : الرِّماح الذَّوابِلُ الَّتى لم تقطع من منابتها حتى ذَبُلَت أى جفت ويَبِسَتْ ، وإذا قطعت كذلك كانت أجود ، وأصله لولا القَدَرُ الَّذى خطَّته الأَقلام فى اللَّوح المحفوظ ، ولِمَا سبق من قضاء الله فيه الَّذى لا يتحوّل أن الجماد لا ينطق ولا يعقل لرفعَ ثَهْلانُ صوتَه فهَلَّل اللهُ – تعالى – من الطَّرَب ، ولَذَابَ يَذْبُل من الجزع والْفَرَق .

عُقِدَتْ : بالبناء للمفعول .

الأَزل – بفتح أَوّله والزَّاى : القِدَم بكسر القاف .

شَعَبْتَ – بفتح الشِّين المعجمة ، والعين المهملة ، وسكون الموحدة ، وفتح الفوقية : أى جمعت وأصلحت .

---

(١) وفى شرح المواهب ٢ : ٣٣٠ « والتوى » .

(٢) فى (ص) ٢ : ٢٣٠ « إذاً كل عنه » .

الصَّدْعُ : الشَّقّ .

قَذَفَت : رَمَت .

شَعُوب : اسم عَلَم على المنيَّةِ لا ينصرف ؛ لأَنَّه مشتقٌّ من شعب إذا تفرق ، لأَنَّها تُفَرِق الجماعات .

شِعَابُ السهل ؛ جمع شِعب : الطَّريق فى الجبل . —

السَّهْلُ : خلاف الجبل ، وهو ما سهل ولان من الأَرض .

القُلَلُ : جمع قُلَّة ، وهى أَعلى الجبل ، وقُلةُ كلٍّ شىء أَعلاه .

زَادَتْ : من الزِّيادة .

الْكَتَائب : جمعُ كتيبة ، وهى الجماعة من الخيل .

الزئير — بالهمز : صوت الأَسد فى صدره .

العُصُل — بعينٍ فصاد مهملتين : جمع أَعْصَل ، وهو النَّاب الشَّديد المُعْوَجّ .

وَيْلُ : كلمة يُعَبَّر بها عن المكروه ويدعى بها فيه .

آثار وطئته : مصدر وَطِىء بقدمه يَطَأُ وَطْأً ووطأَة للمرة من ذلك ، ويعبر بها أَيضاً عن موضع القَدِم ، وعن الأَخذة والوقعة ؛ فالمعنى على الأَول : من آثار وطأَته الأَرض ، وعلى الثَّانى من آثار نكايته .

الجَوَى — بفتحِ الجيم ، فى الأَصل فساد الجوف ، ثم سمى كل ما بطن من حزن أَو هوى ، أَو همّ جوًى .

الْهَبَلُ بفتحِ الهاء ، والموحدة : الثُّكْل ؛ مصدر هبلته أمه ؛ أَى ثكلته[1] .

جُدْتَ عَفْواً — يقالُ أَعطانى فلانٌ كذَا عَفْواً ؛ أَى سهلاً من غيرِ عناءٍ ولا كَدٍّ فى السُّؤال والْعَفْوُ : التَّجَاوُز عن الذَّنب ، وترك العقوبة[2] .

ولم تُلْمِمْ من اَلْمَمْتَ بالشَّىء إذَا دنوتَ منه ونلْت منه نيلاً يسيراً .

---

(١) فى (ص) ٢ : ٢٣٠ « إذا فقدته » والمثبت عن بقية النسخ .

(٢) أضاف شرح المواهب ٢ : ٣٣٠ بعد ذلك « بشرط القدرة على العقاب » .

الأَلِيمُ : الموجع .

اللَّوْمُ والْعَذَلُ – بفتح الذَّال المعجمة وسكونها مُتَقَارِبَان ، فلمَّا ٱختلفَ اللَّفظُ حسُن التكرير – يعنى أنَّ النَّبى – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – لم يقابل أهل مكَّة – ولم يعْذِلهم ، بل عَفَا عنهم وصفح .

أَضْرَبْت : أَعرضْتَ وتركت .

بالصَّفْح : بالعفو .

صَفْحاً : أى إعراضاً .

الطَّوائِل : جمع طائِلة ؛ أى عداوة ؛ أى أعرضْتَ عن نتاج طوائلهم وهى جنايتهم عليه صلَّى الله عليه وسلَّم .

طَوْلا – بفتحِ الطَّاءِ : المَنّ والإِنْعَامُ والتَّفضُّلِ .

المَقِيلُ فى الأَصْلِ مصدر قَالَ يَقيلُ قَوْلا وَمُقِيلاً وقَيْلُولَة : إِذَا نَامَ فى الظَّهيرة أو استراح ، وإِنْ لم يَنم ، وٱستعار ذلِكَ هُنَا للنَّوْم ، وجعل له مقيلاً فى أعينهم ، وكنىَّ بذلك عن لُبثه وٱستقراره بسبب العفْو عنهم والصَّفح ، وكان قبل ذلك نافراً عنهم بسبب الخوف من القتل والغمِّ من الطرد .

المُقَل – بضمِّ الميم ، وفتح القاف ، جمع مُقْلة ؛ وهى شحمةُ العين الَّتى تجمع السَّوادَ والبياض .

وَاشِج الأَرْحَامِ – بشينٍ معجمةٍ مكسورة ، فجيم : مختلطها ومشتبكها ، من قولهم وشجت العروق والأَغصان أى ٱشتبكت وتداخَلَتْ وٱلتفَّتْ وَشْجاً ووشيجا .

أُتِيحَ – بضمِّ أَوّله وكسر الفوقية ، وسكونِ التَّحتية / وبالحاءِ المهملة : قُدِّرَ وقُيِّضَ . (٢٧٣/٢)

الوَشِيجُ – بفتحِ الواوِ ، وكسرِ الشِّين المعجمة ، وسكونِ التحتية ، وبجيم ، ما نبت

من القنا والقُضُب[١] مُلْتَفًّا ، وقيل : سمِّيت بذلك لأَنَّها تنبت عروقُها تحت الأَرض ، وقيل : هى عامة الرِّماح .

النَّشِيْجُ – بفتحِ النَّونِ وكسرِ الشِّين المعجمة ، وسكونِ التَّحتيَّة ، وبجيم : بكاءٌ يخالطُه شهيق وتوجّع .

الرَّوْعُ : الفزع ، والوَجَلُ : الخوف – وهما مُتقارِبَان أَو مترادفان ، عطف أَحدهما على الآخر لمَّا اختلف اللَّفظان ؛ ومعنى البيت : إنَّ القوم الَّذين رحمتهم فأَمنتهم قرابَتُهُم شديدةُ الاتصال بك[٢] .

عَاذُوا – بذالٍ معجمة : لجئوا بالجيم .

اللَّطَف – بفتح الَّلام – والطَّاء المهملة ، والفاء : اسم لِمَّا يبر به ، يقال : أَلطفَه بكذَا ؛ أَى بَرَّه به ، أَى لجئوا مما كانُوا فيه من حَرِّ الخوف ، والغمِّ إلى ظلِّ عَفْوِ رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم .

أَزْكَى : أَكثر وأَوسع وأَطهر .

الخليقة : الخلائق .

أَخْلاقاً : جمع خُلُق – بضمِّ الخاء المعجمة ، واللاَّم : وهى السَّجيَّة .

الزَّلَل : التنحِّى عن الحق .

زَانَ – من الزِّينة .

الخُشُوعُ : الخضوع .

الْوَقَارُ : الحِلْمُ والرَّزَانة .

الخَفَرُ – بفتحِ الخاءِ المعجمة ، والفاء : شدة الحياء .

الْعَذْرَاءُ : البِكر .

---

(١) القضب كذا فى ت ، م – فى ط ، ص « القصب » وجاء فى اللسان « الوشيج شجر الرماح ، وقيل هو ماينبت من القنا والقصب معترضاً ، وفى المحكم ملتفا دخل بعضه بعضاً » .

(٢) أضاف شرح المواهب ٢ : ٣٣١ (فراعيت القرابة وأزلت عنهم البكاء والحزن لخوفهم من سطوة جيشك الذى نزل بهم فاشتد روعهم ووجلهم) .

الْكِلَلُ – بكسرِ الكاف : جمع كِلَّة : وهى الصَّومعة ؛ وهى السِّتر الرَّقيق يُخاط كالبيت .

مَحْبُوراً : مسروراً منعماً .

فى شُغُلٍ – بضمِّ الشِّين والغين المعجمتين : ممنوعٌ من الوصول إليه .

الْخِزْىُ : الهوانُ والذُّل ، ويُروى الرِّجْس – وهو القَذَرُ – موضع الخزى .

الرِّكس : ردّ الشَّىء مقلوباً ، ويُروى منتكس ؛ أى منقلب .

ثاوٍ–بثاء مثلَّثة : مقيم .

الْبَهمُوتُ : الحوت الذى عليه قرار الأَرض .

زُحَل : نجمٌ معروف .

حَجَزْتَ : منعت .

الأَقطار : النَّواحى ، واحدها قُطر – بضم القاف .

الحجاز: أرض خاصة فى جزيرة العرب حاجز بين نجد وتهامة .

مَعاً : ظرفٌ لَازِمُ الإِضَافة ؛ بمعنى المُصاحبة ، وموضعها نَصْبٌ على الحال ، ولَمَّا أن قطعت عن الإِضافة نُوِّنَت تنوين العِوَض .

مِلْتَ بالخوف : أى أملته ونحَّيْتَه ، وفى نسخة بالْحيْفِ وهو الجور والظلم ، والأَوَّل أَحسن لمقابلة الأَمن ويجانس الخيف بالخاء المعجمة : وهو ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ، ومنه خيف منى الّذى فيه مسجد الخيف ، وخيف بنى كنانة الّذى نزل فيه رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – عام حجة الوداع ، وهو الأَبطح .

مَلَل – بفتح الميم واللاَّم الأُولى : موضعٌ بين مكَّة والمدينة على سبعة عشر ميلاً من المدينة .

حَل – بفتح الحاء المهملة وتشديد اللاَّم : نزل .

اليمن – بضمِّ التحتية : البركة .

اليمَن – بفتح التحتية : الإقليم المعروف .

حُفَّت جوانِبُه – بالبناء للمفعول ، يقال حَفُّوا حوله ، يَحُفُّون حفًّا : أى طافُوا به واستداروا .

المِلَلُ – بكسر الميم ، وفتح اللاَّم الأُولى : الأَديان واحدها مِلة .

أطاع : انقاد .

الْمُنْحَرِفُ : المائل عن دين الحق ، وهو هُنَا الإسلام .

المُعْتَرِفُ : المقر بالشيء .

المُنْعَدِلُ – بضمٍّ أوله ، وسكونِ النُّون ، وفتح العين المهملة وكسر الدَّال المهملة ، وباللاَّم : الناكب عن طريق الهدى .

المعتدل – بوزنه لكنْ بعد العين مثنَّاةٌ فوقية ، وهو المستقيم على طريق الهدى .

أَحْبِبْ – بحاءٍ مهملة وموحدتين .

الخُلَّةُ – بضمٍّ الخاء المعجمة : المودَّةُ والصَّداقة ، وجمعها خلل – أى ما أحبها من خلةٌ إلينا .

وعز دولته ؛ أى أَحبب بعزٍّ دولته ؛ أى ما أَحبها عزة .

الدَّوْلَةُ – بفتح الدَّال المهملة : بمعنى الإدالة وهى الْغَلَبَة .

الغرَّاءُ : البيضاء الشريفة .

الدُّوَلُ – بضمٍّ الدَّال : جمع دولة .

الباب الثامن والعشرون

فى غَزْوَةِ حُنَيْن[1]

وتسمى أيضاً غزوةُ هَوَازِن[2] ، لأنهم الّذين أتوْا لِقِتَالِ رسولِ الله – صلّى الله عليه وسلّم – قال محمد بن عمر الأسلمى : حدّثنى ابن أبى الزِناد عن أبيه : أقامت هوازنُ سنةً تجمع الجموعَ وتسير رؤساؤهم فى العرب تجمعهم – انتهى .

قال أئِمة المغازى : لمّا فتح رسولُ الله – صلّى اللهُ عليه وسلّم – مكّةَ مشتْ أشرافُ هَوَازِن ، وثَقيف بعضها إلى بعض ، وأشفقوا أن يغزوهم رسولُ الله – صلّى اللهُ عليه وسلّم – وقالوا : قد فرغَ لنا فَلاَ نَاهِيَة له دُونَنَا ، والرأى أن نَغْزُوَه ، فَحشدُوا وبغوا وقالوا : والله إن محمدًا لاقى قوماً لا يُحسنون القتال فأَجْمِعُوا أمركم ، فسيروا فى النّاس وسيرُوا إليه قبل أن يسير إليكم ، فأجمعت هَوَازِنُ أمرَها ، وجَمَعَها مالك بن عوف ابن سعد بن ربيعة النَّصْرىّ[3] بالصاد المهملة – وأسلم بعد ذلك ، وهو – يوم حنين – ابن ثلاثين سنة ، فأجتمع إليه مع هَوَازِن ثقيف كلها ونَصر وجُشَم كلها ، وسعدُ ابن بكر ، وناسٌ من بنى هلال ، وهم قليل . قال محمد بن عمر : لا يَبْلُغون مائة ، ولم يشهدْها من قيس عَيْلاَن – أى بالعين المهملة – إلا هؤلاء ، ولم يحضرها من هَوَازِن كعب ولا كلاب ، مشى فيها ابن أبى براء فَنَهَاها عن الحضور وقال : واللهِ لو ناوأ محمّداً مَنْ بَيْن[4] الْمَشْرِقِ والمغرب لَظَهَرَ عليهم .

---

(١) وانظر شرح المواهب للزرقانى ٣ : ٥ ، وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٣٧ ، والسيرة الحلبية ٣ : ١٢١ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦١١ ، والمغازى للواقدى ٣ : ٨٨٥ .

(٢) وتسمى أيضاً غزوة أوطاس باسم الموضع الذى كانت فيه الوقعة . (شرح المواهب ٣ : ٥) .

(٣) ويقال مالك بن عبد الله : والمشهور ابن عوف بن سعد بن يربوع بن واثلة – بمثلثة عند أبى عمرو وتحتيه عند ابن سعد – ابن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن النصرى ، بالصاد المهملة نسبة إلى جده الأعلى نصر المذكور . (شرح المواهب ٣ : ٥) .

(٤) فى الأصول « مابين المشرق والمغرب » والمثبت عن المغازى للواقدى ٣ : ٨٨٦ .

وكان فى جُشَم دُرَيْد[1] بن الصِّمَّة وهو يومئذٍ ابن ستين ومائة . ويقال عشرين ومائة سنة ، وهو شيــخٌ كبيرٌ قد عَمِى ، ليس فيه شىء إلاَّ التَّيمن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مجرِّباً قد / ذُكِرَ بالشَّجَاعَةِ والفروسيَّةِ وله عشرون سنة ، فلمَّا عزمتْ هَوَازِنُ على حربِ رسُولِ الله ـ صلى اللهُ عليه وسلَّم ـ سأَلت دُرَيداً الرياسة عليها فقال : وما ذاك وقد عمى بصرى وما أستمسك[2] على ظهر الفرس ، ولكن أَحضرُ معكم لأَن أُشير عليكم برأْيِى على أن لا أُخَالف ، فإن كنتم تظنون أنى أُخَالف أَقمتُ ولم أَخرج قالوا : لا نُخَالِفُك ، وجاءَه مالك بن عوف ، وكان جماع أمر الناس إليه ، فقالوا له : لا نُخَالِفُك فى أمرٍ تراه .

٢٧٤ / ٢

فقال له دُرَيْد : يا مالك إنك تُقَاتل رَجُلاً كريماً ، قد أَوطأَ العربَ ، وخافته العجمُ ومَنْ بِالشام ، وأَجلى يهودَ الحجاز ، إمَّا قتلاً وإما خُروجاً على ذُلٍّ وصَغَار ، ويومُك هذا الَّذى تلقَى فيه محمداً له ما بَعده .

قال مالِكٌ : إنى لأَطمع أن تَرَى غداً ما يسرك .

قال دُرَيْد : منزلى حيثُ ترى ، فإذا جمعْتَ النَّاس صرتُ إليك ، فلما خرَج من عنده طَوَى عنه أن يسير بالظعن والأَموال مع الناس .

فلما أَجمع مالك المسير بالناس إلى رسولِ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ أَمر النَّاس فخرجوا ـ معهم أموالهم ونساؤهم وأبناؤهم ـ ثم انتهى إلى أَوْطَاس ، فعسكر به ، وجعلت الأَمْدَادُ تأْتى إلى جهته[3] ، وأَقبل دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّة فى شجار له يُقَادُ به من الكبر ، فلما نزل الشيخ لمس الأَرض بيده وقال : بـأَىِّ وادٍ أنتم ؟ قالوا : بـأَوْطَاس . قال : نعم مجالُ الخيل ، لا حَزْنٌ ضَرِسٌ[4] ، ولا سهْل دَهِس . مالى أَسمع بُكَاءَ الصَّغير ، ورُغَاءَ البعير ، ونُهاقَ الحمِير ، وبُعَار الشَّاء وخُوارَ البقر ؟ قالوا : ساق مالكٌ مع

---

(١) هو دريد بن الصمة واسم الصمة فيما ذكر أبو عمرو معاوية الأصغر بن الحارث بن معاوية الأكبر بن بكر بن علقمة، وقيل علقمة بن خزاعة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن . واختلف فى اسم دريد وانظر الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى المجلد التاسع ط بيروت .

(٢) كذا فى (ط) وفى بقية النسخ « ما ذاك فى ما أبصر » .

(٣) فى (ص) ٢ : ٢٣٣ « وجعلت الأمداد تأتيه من كل جهة » .

(٤) كذا الضبط فى المغازى للواقدى ٣ : ٨٨٧ ولكن المصنف ضبط اللفظين فى شرح الغريب بإسكان الراء والهاء .

الناس أبْنَاءهم ونساءهم وأموالهم. فقال دريد : قد شرط لى ألا يخالفنى فقد خالفنى فأنا أرجع إلى أهلى وتارك ما هنا . قيل : أفتلقى مالكاً فتكلمه ؟ فَدُعِى له مالك ، فقال : يا مالك إنك قد أصبحت رئيس قومك. وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام . مالى أسمع بكاء الصغير ورغاء البعير ونهاق الحمير ويعار الشاء وخوار البقر ؟! قال : قد سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم . قال : ولم؟ قال : أردتُ أن أجعل خلْف كل إنسان أهله وماله يُقاتل عنهم . فأنْقَضَ[1] به دُرَيْدٌ وقال : راعى ضأن والله ، ما له وللحرب . وصفَّق دُرَيْدٌ بإحدى يديه على الأُخرى تعجُّباً وقال : هل يردُّ المنهزمَ شىءٌ ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلاَّ رجُلٌ بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضِحْت فى أهلك ومالك ، يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة ، بيضة هوازِن إلى نحور الخيل شيئاً ، فارفع الأَموال والنِّساء والذَّرارى إلى عُلْيَا قومهم ، ومُمْتَنَعِ بلادهم ، ثم الْقَ القوم على مُتُونِ الخيل والرجال بين أصفاف الخيل أو متقدمة دريّة[2] أمام الخيل فإن كانت لك لَحِق بك مَنْ وراءك ، وإن كانت عليك أَلْفَاك ذلك ، وقد أحرزْت أهلك ومالك . فقال مالكُ بنُ عوف : والله لا أفعل ولا أُغيِّرُ أمراً صنعته ؛ إنَّك قد كَبِرْتَ وكَبِرَ علمك ، أو قال عقلك . وجعل يضحك مما يشير به دُرَيد ، فغضب دُريدٌ وقال : هذا أيضاً يا معشر هَوَازِن ، والله ما هذا لكم برأى ، إنَّ هذا فاضِحُكُم فى عورتكم ، ومُمكِّنٌ منكم عدوَّكم وَلَاحِقٌ بحصْنِ ثقيف وتارككم ، فانصرِفُوا واتركوه ، فسَلَّ مالكٌ سيْفَه ثُمَّ نكَّسه ، ثم قال : يا معشر هَوازِن !! واللهِ لتطيعننى أو لأتَّكِئَنَّ على هذا السَّيف حتَّى يخرجَ منْ ظهْرِى - وكره أن يكون لدُرَيد فيها ذكرٌ أو رأى - فمشى بعضُهم إلى بعضٍ وقالُوا : واللهِ - لئن عصينا مالكًا ليقتلنَّ نفسه وهو شابٌّ ، ونبقى مع دُرَيْد وهو شيخ كبير لا قتال معه ، فأجمعُوا رأيكم مع مالك . فلما رأى دُرَيْدٌ أنهم قد خالفوه قال :

يا ليتنى فيها جَذَع ... أَخُبُّ فيها وأضع

أَقودُ وطْفَاءَ الزَّمَع ... كأنَّها شاةٌ صَدَع

(١) ناقض به أى زجره كما تزجر الدابة وهو أن يلصق اللسان بالحنك الأعلى ويصوت به . (السيرة الحلبية ٢ : ٢٣٠) وفى المغازى للواقدى ٣ : ٨٨٨ « فانقض بيده » وشرحها المحقق بقوله أى صفق بإحدى يديه على الأخرى حتى يسمع لها نقيض أى صوت - النهاية ٤ : ١٧١ .

(٢) « درية » كذا فى الأصول وسترد كذلك فى شرح الغريب . ولعلها تسهيل لدريئة من الدرء وهو الدفع .

قال ابن هشام : أنشدنيه غير واحدٍ من أهل العلم :

ثم قال دُرَيْدٌ : ليتنى فيها جذع يا معشر هَوازِن ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : ما شهدها منهم أحد . قال : غاب الحدُّ والجِدُّ ، لو كانَ يومَ عَلَاءٍ ورِفْعةٍ ، وفى لفظٍ : لو كان ذِكْراً وشَرفاً ما تخلَّفُوا عنه ، يا معشر هوَازِن ارْجِعُوا وافعلوا ما فعل هؤُلَاء ، فأَبوا عليه ، قال : فمن شهدها منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر وعوف بن عامر ، قال : ذانك الْجذَعَانِ من بنى عامر لا ينْفَعان ولا يضُرَّان . قال مالِك لدُرَيْد : هل من رأى غير هذا فيما قد حضر من أمر القوم ؟ قال دُرِيْد : نعم تجعلُ كميناً ، يكونون لك عوناً / ، إنْ حملَ القومُ عليك جاءهُم الكمينُ من خَلْفهم ، وكررْتَ أنت بمن معك ، وإنْ كانت الحملةُ لك لم يُفْلت من القوم أحدٌ . فذلك حين أمر مالك أصحابه أن يكونوا كميناً فى الشِّعاب وبطون الأَودية ، فحملُوا الحملةَ الأُولى التى انهزم فيها رسُولُ الله ــ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ــ قال دُرِيْد : مَنْ مُقَدِّمَةُ أصحابِ محمد ؟ قالوا : بنى سُلَيم ، قال : هذه عادةٌ لهم غير مُسْتَنْكرة ، فليت بعيرى يُنَحّى من سنن خيلهم ، فنحِيّ ، بعيرُه مُولِّيًا من حيث جاءَ .

٤٨٦ت

* * *

ذكر استعماله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عتاب بن اسيد أميرا على مكة ومعاذ بن جبل ــ رضى الله عنهما ــ مُعَلِّما لأهلها /

٢٧٥ / ت

قالوا : لما بلغَ رسُولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ خبرُ هوازِن وما عزمُوا عليه أراد التَّوجُّه لقتالهم ، واستخلفَ عَتَّاب بن أَسيد أميراً على أهل مكة ، ومُعَاذَ بن جَبَل يعلمهم السُّنَنَ والفقه ، وكان عُمْرُ عَتَّاب إذ ذاك قريباً من عشرين سنة .

* * *

ذكر استعارته ــ صلى الله عليه وسلم ــ أدْرَعاً من صفوان بن امية

روى ابن إسحاق من رواية يونس بن بكير عن جابر بن عبد الله ــ رضى الله عنهما ــ وعن عمرو بن شعيب وعبد الله بن أَبى بكر بن عمرو بن حزم والزهرى : أن رسولَ الله ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ لما أجمع السَّير إلى هَوَازِن ذُكِرَ له أن عند صفوان بن أُمَيَّة أَدْرُعاً وسلاحاً ، فأَرسل إليه ــ وهو يومئذ مشرك ــ فقال : «يَا أَبَا أُمَيَّةَ أَعِرْنَا سِلَاحَكَ هَذَا نَلْقَى فِيه عَدُوَّنا» فقال صفوان : أَغَصْبا يا محمد ؟ قال : « لا بَلْ عَارِيَة مَضْمُونَة

حتَّى نَرُدَّهَا إِلَيْكَ» قال : ليس بهذا بأْس . فأَعطى له مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فسأَله رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ أن يكفيهم حملها ، فحملها إلى أَوْطَاس . ورواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائى عن أُميَّة بن صَفْوَان ، وسيأْتى فى أبواب معاملاته ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ ويُقال إنه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ استعار منه أَربعمَائة درع بما يصلحها .

قال السُّهَيْلى : واستعار رسولُ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فى غزوةِ حُنَيْن من نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب ثلاثة آلاف رُمح ، فقال ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ كأَنى أنظر إلى رماحك هذه تقصف ظهْر المشركين .

* * *

ذكر ارساله ـ صلىالله عليه وسلم ـ عبدالله بنابى حدرد ليكشف خبرالقوم

روى ابن إسحاق فى رواية يونس بن بكير عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله تعالى عنهما ـ وعمرو بن شعيب ، وعبد الله بن أَبى بكر بن عمرو بن حزم ـ رحمهم الله تعالى ـ أَنَّ رسولَ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ لَمَّا سمع بخبر هَوَازِن بعث عبد الله بن أَبى حَدْرَد ـ ـ رضى الله عنه ـ فأَمره أَن يدخل فى القوم فيقيم فيهم ، وقال : « إِعْلَمْ لَنَا عِلْمَهُم »[1] فأَتاهم فدخل فيهم فأَقام فيهم يوماً وليلة أَو يومين ، حتَّى سمع وعلم ما قد أَجمعوا عليه من حرْبِ رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وسمع من مالك ، وأَمر هوازن وما هم عليه .

وعند محمد بن عمر أَنه انتهى إلى خباء مالك بن عَوف فيجد عنده رؤساءَ هوَازن ، فسمعه يقول لأَصحابه : إنَّ محمدا لم يُقَاتل قوماً قط قبْل هذه المرة ، وإنما كان يلقى قوماً أغمارا لا علم لهم بالحرب فيظهر عليهم ، فإذا كانَ السَّحَر فصفُّوا مواشيكم ونساءكم من ورائكم ، ثم صُفُّوا ، ثم تكونُ الحملة منكم ، واكسروا جفون سيوفكم فَتَلْقَوْنَه بعشرين أَلفَ سيف مكْسُورَةِ الجفون ، واحملوا حملة رجلٍ واحد ، واعلموا أَنَّ الغلبة لمن حمل أَولاً . انتهى .

ثم أَقبل حتَّى أَتى رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأَخبره الخبر ، فقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لعُمَرَ بْنِ الخطَّاب « أَلاَ تَسمَعْ مَا يَقُولُ ابنُ أَبِى حَدْرَدْ » ؟ فقال :

---

(١) فى (ص) ٢ : ٢٣٤ « إعلم لنا من علمهم » والمثبت عن بقية النسخ .

عمر : كذب . فقال ابن أبي حَدْرَدْ : والله لئن كذبتني يا عمر لرُبّما كذبت بالحقّ .
فقال عمر : ألا تسمع يا رسولَ الله ما يقول ابن أبي حَدْرَد ؟ فقال رسولُ الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قد « كُنْتَ ضَالاً فَهَدَاكَ الله » .

* * *

ذكر خروج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للقاء هوازن

روى البخارى عن أبي هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنَّ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم قال حين أراد حُنَيْناً « مَنْزِلُنَا غَدًا ـ إنْ شَاءَ الله تَعَالَى بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر . وفى رواية قال : منزلنا إن شاء الله تعالى إذَا فَتَحَ اللهُ الْخَيْف حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْر » .

قال جَمَاعة من أئمة المغازى : خرج رسولُ الله ـ صلّى الله عليه وسلم فى اثنى عشر ألفاً من المسلمين ؛ عشرة آلافٍ من المدينة وألفين من أَهْل مكّة .

وروى أبو الشيخ عن محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الَّليْثى ـ رحمه الله تعالى ـ قال : كان مع رسولِ الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أربعة آلافٍ من الأنصار ، وألف من جهينة وألف من مزينة . وألف من أسلم . وألف من غفار ، وألف من أشجع ، وألف من المهاجرين وغيرهم ، فكان معه عشرة آلاف ، وخرج باثنى عشر ألفاً ، وعلى قولِ عُرْوَة والزهرى وابن عُقبة يكون جميع الجيش الذين سار بهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أربعة عشر ألفاً ، لأنهم قالوا : إنه قَدِمَ مكّة بإثنى عشر ألفاً ، وأضيف إليهم ألفان مِنْ الطُّلَقَاء .

قال محمد بن عمر ـ رحمه الله تعالى ـ غدا رسول الله ـ صلىّ الله عليه وسلّم ـ يومَ السبت لستٍّ خَلَون من شوّال .

وقال ابن إسحاق لخمس ، وبه قال عُرْوة ، واختاره ابن جرير ، وروى عن ابن مسعود

قال ابن عُقبة ، ومحمد بن عمر ـ رحمهم الله تعالى ـ ثم بعد فتح مكّة خرج رسولُ صلى الله عليه وسلم / لحنين وكان أهل حنين وفى رواية أهل مكة يظنـــون حين دنا منهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ أنّه مبادرٌ بهوازن ، وصنع الله لرسوله أحسن من ذلك ؛ فتح له مكة وأقرّ بها عينه وكَبَتَ بها عدوّه ، فلما خرج إلى حُنَيْن

٢٧٦ ت

خرج معه أهل مكة لم يغادر منهم أحدا - ركباناً ومشاة حتى خرج معه النساء يمشين على غير دينٍ نُظَّاراً ينظرون ويرجون الغنائم ، ولا يكرهون أن تكونَ الصَّدمة لرسولِ اللهِ - صلى اللهُ عليه وسلم .

وكان معه أبو سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية ، وكانت آمرأته مسلمة وهو مشرك لم يفرق بينهما ، وجعل أبو سفْيان بن حرب كلما سقط تُرسٌ أو سَيْف أو متاع من أصحاب رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - نادى رسول اللهِ - صلى الله عليه وسلم - : أن أعْطِنِيه أحمله حتى أوْقَرَ بعيره .

قال محمد بن عمر : وخرج رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وزوجتاه أم سلمةَ وميمونة فضُربَت لهما قبة .

* * *

ذكر قول بعض من أسلم ، وهو حديث عهد بالجاهلية - اجعل لنا ذات أنواط

روى ابن إسحاق ، والترمذى - وصححَه - والنسائى وابن أبى حاتم عن أبى قتادة الحارث بن مالك - رضى الله عنه - قال : خَرَجْنا مع رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى حُنيْن - ونحن حديثو عهدٍ بالجاهلية فسِرْنا معه إلى حُنين ، وكانت لكفار قريش وَمَن سِواهم مِنَ العرب شجرةٌ عظيمة ، وعند الحاكم فى الإكليل سِدْرَةٌ خضراء - يُقال لها « ذاتُ أنواط » - يأْتونها كل سنةٍ ، فيعلِّقُون أسلحتهم عليها ، ويذْبحونَ عندها ، ويعكُفُونَ عليها يوماً ، فرأينا ونحن نسير مع رسولِ الله - صلى اللهُ عليه وسلم - سدرةً خضراءَ عظيمة ، فتنَادَيْنا مِنْ جَنبَابِ الطريق : يا رسولَ الله ، اجعلْ لنا « ذَاتَ أنواط » كما لهم « ذاتُ أنواط » فقال رسولُ الله - صلى اللهُ عليه وسلم - « اللهُ أكْبر اللهُ أكْبر الله أكْبر ، قلتم - والذِى نفْسى بِيَدِه - كمَا قالَ قوْمُ مُوسَى لِموسَى ﴿ اجْعَلْ لَنا إلَها كَمَا لَهم آلِهةٌ قالَ إنكم قوْمٌ تَجْهلُون ﴾[1] إنها لسننٌ ، لَتَرْكُبن سَنَنَ مَنْ كَان قبلكم حَذوَ الْقذة بِالْقُذة » .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٣٨ .

ذكر الآية فى قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما قيل له ان هوازن قد اقبلت

عن سهل بن الحنظلية – رضى الله عنه – إنهم سارُوا مع رسولِ اللهِ – صلى اللهُ عليه وسلم – يومَ حُنيْن فأَطنبوا فى السَّير حتى إذا كان عشية حضرتُ صلاةَ الظهر عند رسول الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فجاءَ رجلٌ فارس فقال : يا رسول الله ، إِنى ٱنطلقتُ بين أَيديكم حتى طلعتُ جبل كذا وكذا ، فإذا[1] بهوازن قد جاءَت عن بَكْرَةِ أَبيهم بِظُعُنِهم ونَعَمِهِم وشائِهم ، اجتمعوا ، فتبسمَّ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وقال : « تِلْكَ غَنيمةُ لِلْمُسْلِمِينَ غَداً إنْ شَاءَ اللهُ تعَالى » . ثم قال : « مَنْ يَحْرُسُنا اللَّيْلة ؟ » قال أَنس بن أَبِي مرثد : أَنا يا رسولَ الله ، قال : « فارْكَبْ » فركب فرساً له ، وجاءَ إلى رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فقال له رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : « اسْتَقْبِلْ هَذَا الشِّعْبَ حَتَّى تكُونَ فِى أَعْلاَه ولا نُغَرَّن مِنْ قِبَلِكَ اللَّيْلَة » . فلما أَصبحنا خرج رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – إلى مُصَلاَّه فركع ركعتين ثم قال : « هَلْ أَحْسَسْتُم فَارِسَكُم ؟ » قالوا : يا رسول الله ما أَحسسناه ، فثوب بالصلاة فجعل رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلم – يُصلى وهو يَلْتَفِتُ إلى الشِّعب ، حتَّى إذا قضى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صلاته قال : « أَبْشِرُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ فَارِسُكُم » فجعل ينظر إلى خلال الشجر فى الشِّعب ، وإذا هو قد جاءَ حتى وقف على رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فقال إِنِّى انطلقْتُ حتى كنتُ فى أَعلى هذا الشِّعب حيث أَمرنى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلما أَصبحت طلعت الشعبين كليهما فنظرت فلم أَر أَحداً ، فقال له رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – : « هَلْ نَزَلْت اللَّيْلَةَ ؟ » قال : لا إلا مُصلِّياً ، أَو قاضى حاجة ، فقال له رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – : « قَدْ أَوْجبت فَلاَ عَلَيْكَ أَن لا تَعْمَل بعْدَهَا » رواه أَبو داود والنسائى .

---

(١) فى السيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٣٢٥ فإذا أَنا بهوازن .

ذكر شعر عباس بن مرداس – رضى الله عنه – ناصحا لهوازن

أَبْلغْ هَوَازن أَعْلاَهَا وأَسْفَلَهَــا ... مِنِّى رِسَالَةَ نُصْح فِيهِ تِبْيَانُ

إِنِّى أَظُنُّ رَسُولَ اللهِ صَابِحَكُمْ ... جَيْشاً لَه فِى فَضَاءِ الْأَرْضِ أَرْكَانُ

فِيهِمْ سُلَيْمٌ أَخُوكُمْ غَيْرَ تَارِكِكُمْ ... وَالْمُسْلِمُونَ عِبَادُ اللهِ غسَّانُ

وَفِى عِضَادَتِه الْيُمْنَى بَنُو أَسد ... وَالْأَجْربَان بَنُو عَبْسٍ وَذُبْيَانُ

تَكَادُ تَرْجُفُ منه الْأَرْضُ تَرْهَبُهُ ... وَفِى مُقَدَّمِهِ أَوْسٌ وَعُثْمَــانُ

قال ابن إسحاق : أوس وعثمان قبيلا[1] مُزَيْنة .

* * *

ذكر الآية فى حفظه – صلى الله عليه وسلم – ممن أراد الفتك به

روى محمد بن عمر عن شيوخه قالوا : قال أبو بُرْدة – بضمٍّ الموحدة ، وسكون الرَّاء وبالدَّال المهملة – بن نِيَار – رضى الله عنه – لَمَّا كنا بأَوْطَاس نزلنا تحت شجرة ونظرنا إلى شجرة عظيمة فنزل رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – تحتها وعلَّق سيفه وقوسه ، وكنتُ أقرب أصحابى إليه ، فما راعنى[2] إلا صوته : يا أَبا بُرْدَة ، فقلت : لبَّيك يا رسولَ الله ، فأَقبلت سريعاً فإذا رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – جالس وعنده رجل جالس ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : إنَّ هذا الرَّجل جاءَنى وأنا نائِم ، فسلَّ سيْفى ، وقام به على رأسى ، فأنتبهت وهو يقول : يا محمد من يمنعُك منِّى ؟ فقلت : اللهُ تعَالى ، قال أبو بُردة : فسللتُ سيفى ، فقال رسولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم – : شِمْ[3] سَيْفَكَ. فقلت : يا رسولَ الله ، دعنى أَضربْ عنُق عدُوِّ الله ؛ فإِنَّه من عيونِ المشركين . فقال لى : « اسْكُتْ يَا أَبَا بُرْدَة » . قال : فما قال له رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – شيئاً ولا عاقبه . قال : فجعلت أصيح به فى العسكر لأُشهره[4] للنَّاس فيقتله قاتل بغير أَمرِ رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فأَما أَنا فقد كفَّنى

---

(١) فى ص ٢ : ٢٣٥ قبيلتا » والمثبت عن بقية النسخ .

(٢) فى المغازى للواقدى ٣ : ٨٩١ « فما أفزعنى » .

(٣) شم سيفك أى أغمده (الصحاح)

(٤) فى المغازى للواقدى ٣ : ٨٩٢ « ليشهده الناس »

رسولُ الله ــ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ــ عن قتله ، فجعل النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول : « يا أَبا بُرْدَة كف عن الرجل . فرجعت إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فقال : يا أَبا بردة إِنَّ اللهَ مَانِعِي وَحَافِظِي حَتَّى يُظْهِرَ دِينَه عَلَى الدِّين كُلِّه »[1] .

* * *

ذكر الآية التى حصلت لجواسيس المشركين فى هذه الغزوة

روى أَبو نُعيم والبيهقى من طريق ابن إسحاق قال : حدَّثنى أُمية بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان بن عفان أنه حُدّث أن رسولَ الله ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ قد انتهى إلى حُنَيْن مساء[2] ليلة الثلاثاء لعشرٍ خلوْنَ من شوال، وبعثَ مالكُ بنُ عوف ثلاثةَ نفرٍ من هَوَازن ينظرون إلى رسول الله ــ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ــ وأَصحابِه ، وأَمرهم أَن يتفرَّقُوا فى العسكر فرجعوا إليه وقد تفرّقت أَوصالُهم ، فقال : ويلكم ما شأْنكم ، فقالوا : رأَيْنا رجالاً بيضاً على خَيْلٍ بُلْق ، فوالله ما تماسكنا أَن أَصابنا ما ترى ، والله ما نُقَاتِلُ أَهل الأَرض ، إنْ نقاتِلُ إلاَّ أَهل السماوات وإن أطعتنا رجعت بقومك ، فإِنَّ الناس إن رَأَوا مثل الذى رأَينا أَصابهم مِثْلُ ما أَصابنا . فقال : أُفٍّ لكم ، أَنتم أَجبن أَهل العسكر . فحبسهم عنده فرقاً أَن يشيع ذلك الرعب فى العسكر ، وقال : دلُّونى على رجُل شجاع . فأَجمعوا له على رجل ، فخرج ثم رجع إليه قد أَصابه كنحو ما أَصاب مَنْ قَبْلَه منهم ، فقال : ما رأَيت ؟ قال : رأَيتُ رجالاً بيضا على خيلٍ بُلْق ، ما يُطاق النظر إليهم ، فوالله ما تماسكت أَن أَصابنى ما ترى ، فلم يُثْنِ ذلك مَالِكًا عن وجهه ، وروى محمد بن عمر نحوه عن شيوخه .

* * *

ذكر تعبئـــة المشركين عسكرهم

قال شيوخ محمد بن عمر : لما كان ثلثا[3] الليل عَمَد مالك بن عوف إلى أَصحابه فعبأَهم فى وادى حُنَين ، وهو وادٍ أَجوف خطوط ذو شعاب ومضايق ، وفرق النَّاس فيها ، وأَوعز إليهم أَن يحملوا على رسولِ الله ــ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ــ وأَصحابه حملةً واحدة .

---

(١) ورد فى هامش (ت) « وتقدم فى غزوة ذات الرقاع قصة شبيهة لهذه ، والظاهر أنها لغير هذه » .

(٢) فى (ص) ٢ : ٢٣٥ عشية ليلة » والمثبت عن بقية النسخ .

(٣) عبارة ابن عمر الواقدى فى المغازى ٣ : ٨٩٥ « لما كان من الليل » .

وعبأ رسولُ الله – صلّى الله عليه وسلم – أصحابَه وصفَّهم صُفوفاً فى السَّحر ، ووضع الألوية والرّايات فى أهلها ، ولبس درعين والمغفر والبيضة ، وركب بغلته البيضاء ، وأستقبل الصفوف ، وطاف عليهما بعضها خلف بعض ينحدرون ، فحضهم على القتال وبشَّرهم بالفتح إنْ صدقوا وصبروا ، وقدّم خالدَ بنَ الوليد فى بنى سُلَيْم وأهل مكة ، وجعل ميمنةً وميسرةً وقلْبا ؛ كان رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم فيه

* * *

ذكر اعجاب المسلمين كثرتهم يوم حنين

روى يونس بن بكير فى زيادات المغازى عن الربيع بن أنس قال : قال رجلٌ يوم حُنَيْن : لن نُغلب من قلَّة ، فشق ذلك على رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وكانت الهزيمة .

وروى ابن المنذر عن الحسن قال : لمَّا اجتمع أَهلُ مكَّة وأَهلُ المدينة قالوا : الآنَ نُقاتِلُ حين اجتمعنا ، فكره رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ما قالوا مما أعجبهم من كثرتهم ، فالتقوا فهزموا حتى ما يقوم أحد على أَحَد .

وروى أبو الشيخ والحاكم – وصححه – وابن مردويه والبزار عن أنس – رضى الله عنه – قال : لما اجتمع يوم حنين أهل مكة وأهلُ المدينة أعجبتهم كثرتهُم فقال القوم : اليوم والله نقاتل ، ولفظُ البزّار ؛ فقال غلامٌ من الأنصار يَوْمَ حُنَيْن لن نُغْلَبَ اليومَ من قَلة . فما هو إلاَّ أن لقينا عدوّنا فانهزم القومُ ، وولُّوا مُدبِرين .

وروى محمد بن عمر عن ابن شهاب الزّهرى ، قال رجلٌ من أصحاب رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – لو لقينا بنى شيبان ما بالينا ، ولا يغلبنا اليومَ أَحدٌ من قلَّة .
قال ابن إسحاق : حدثنى بعْضُ أهل مكة : أَنَّ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال حين فَصَل من مكَّةَ إلى حُنيْن ، ورأى كثرةَ مَنْ معه مِنْ جنُودِ الله تعالى : « لن نُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ قلَّة » ، كذا فى هذه الرواية .

والصَّحيح أَنَّ قائِل ذلك غير النبى – صلَّى الله عليه وسلَّم – كما سبق .

قال ابن إسحاق/ : وزعم بعضُ الناس أَنَّ رجلا من بنى بكر قالها .   ٢٧٨ت

وروى محمد بن عمر عن سعيد بن المسيب – رحمه اللهُ تعالى – أنَّ أبا بكر – رضى اللهُ عنه – قال : يا رسول الله لن نُغْلَبَ اليومَ من قلة ،كذا فى هذه الرِّواية ، وبذلك جزم ابنُ عبد البر .

قال ابنُ عقبة : ولمَّا أَصبح القومُ ونظَرَ بعضُهم إلى بعض ، أشرف أبو سفيانَ ، وأبنه معاوية ، وصفوان ابن أُمية ، وحكيم بن حِزَام على تَلٍّ ينظرون لمن تكون الدائرة

* * *

ذكر كيفية الوقعة وما كان من اول الأمر من فرار اكثر المسلمين عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم كانت العاقبة للمتقين، وما وقع فى ذلك من الآيات

قال ابن سعد : أَشهد رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – إلى حُنَيْن مساءَ لَيْلَةِ الثُّلاثاء لعشرِ ليالٍ خلَوْن من شوال .

روى ابنُ إسحاق ، والإمام أحمد وابن حبان عن جابر بن عبد الله ، والإمام أحمد من طريقين ، وأبو يَعْلَى . ومحمد بن عمر عن أنس ابن مالك – رضى الله تعالى عنهما – لَمَّا أستقبلْنا وادِىَ حُنَيْن انحدرنا فى وادٍ أجوف خطُوط له مضايق وشعاب ، وإنما ننحدرُ فيه انحداراً ، وفى عَمَاية الصُّبْح ، وقد كان القوم سبقونا إلى الوادى فمكثوا فى شِعَابه وأَجْنَابه ومضايقه وتهيَّئُوا ، فوالله ما راعنا ونحن مُنْحَطُّونَ إلاَّ الكتائِب قد شدُّوا علينا شَدَّةَ رجلٍ واحد ، وكانوا رماة .

قال أَنسٌ – رضى اللهُ عنه – استقلبنا من هوازن شىء ، لَا وَاللهِ ما رأَيتُ مثله فى ذلك الزَّمان قط ، من كثرةِ[1] السَّواد ، قد ساقوا نساءَهُم وأَبناءَهم وأَموالهم ثم صفُّوا صفوفاً ، فجعلوا النِّساءَ فوق الإبل وراءَ صفوف الرجال ، ثم جاءُوا بالإبل والبقر والغنم ، فجعلوها وراءَ ذلك لئلا يفرّوا بزعمهم ،فلما رأينا ذلك السَّواد حسبناه رجالاً كلهم ، فلمَّا انحدرْنَا فى الوادى ، فَبَيْنَا نحنُ فى غبشِ الصَّبح إنْ شعرنا إلاَّ بالكتائِب قد خرجت علينا منْ مضيق الوادى وشعبه ، فحملُوا حملةَ رجل واحد ، فأنكشفتْ أَوائلُ

---

(١) فى (ص) ٢ : ٢٣٦ « من الكثرة والسواد » وفى المغازى للواقدى ٣ : ٨٩٧ « من السواد والكثرة » .

الخيل - خيلُ بنى سليم - مُوَلِّية وتبعهم أَهل مكة وتبعهم النَّاسُ منهزمين مَا يَلْوُون على شيء وارتفع النقع فما منا أَحدٌ يُبصر كفَّه .

وقال جابر : وٱنحاز رسولُ اللهِ - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - ذات اليمين ، ثم قال[1] : « أَيُّهَا النَّاس هلم إلى أَيُّهَا النَّاس ، هَلُمَّ إلى أَنَا رَسُولُ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - أَنَا مُحَمَّدُ بنُ عبد الله »[1] .

قال : فلا شيء، وحملت الإِبل بعضها على بعض ، فٱنطلق النَّاسُ .

وذكر كثيرٌ منْ أَهل المغازى : أَن المسلمين لما نزلوا وادى حُنَيْن تقدمهم كثير ممن لا خبرة لهم بالحرب ، وغالبهم من شبّان أَهل مكّة ، فخرجت عليهم الكتائب من كل جهة ، فحملوا حملة رجلٍ واحد والمسلمون غارون ، فَرَّ مَن فَرَّ ، وبلغ أَقصى هزيمتهم مكّة ، ثم كَرُّوا بَعْد .

وفى الصحيح عن البراء بن عازب - رضى الله عنهما - قال : عجِل سرْعَانُ[2] القَوْمِ - وفى لفظة : شبان أَصحاب رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - ليس عليهم سلاح أَو كثير سلاح ، فإِنَّا لَمَّا حملنا على المشركين انكشفوا ، فاقبل الناس على الغنائم ، وكانت هَوَازنُ رُمَاةَ فٱستقبلتنا بالِسِهام كأَنما رِجْلُ جَرَاد ، لا يكادُ يسقطُ لهم سَهْمٌ - انتهى .

قال : وكان رجل على جملٍ له أَحمر ، بيده رايةٌ سوداء على رمح طويل أَمام هَوَازِن ، وهوازنُ خلفه ، إِذا أَدْرَكَ طَعَنَ برمحه ، وإِنْ فاته النَّاس ، رفع رُمحَه لمن وراءه فاتَّبعوه . فبينما هو كذلك إِذْ هَوَى له علىٌّ بنْ أَبى طالب ، ورجلٌ من الأَنصار يُريدانه ، فأَتاه علىّ بن أَبى طالب من خلفه فضربَ عرقوبى الجمل ، فوقع على عَجُزِه ، ووثَبَ الأَنصارىُّ على الرَّجُلِ فضربه ضربةً أَطَنَّ قَدَمَه بنصف ساقه ، فٱنجعفَ عنْ رحله ، واجتلد النّاسُ ، فوالله مَا رَجَعتْ راجعةُ النَّاس من هزيمتهم حتى وجدوا الأَسرى مُكَتَّفِين عنْدَ رسول اللهِ - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم .

(١ - ١) وفى (ص) ٢ : ٢٣٦ « إلى أيها الناس هلم إلى أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله » والمثبت عن بقية النسخ .

(٢) السرعان : سرعان القوم أوائلهم المستبقون إلى الأمر . وسرعان الخيل أوائلها . (اللسان) .

قال ابن إسحاق : لما انهزم النّاس ورأى من كان مع رسول الله – صلى اللهُ عليه وسلّم – من جُفَاةِ أهل مكة الهزيمةَ تكلّم منهم رجال بما فى أنفسهم من الضِّغْن . قال أبو سفيان بن حرب وكان إسلامه – بَعْدُ – مَدْخُولاً : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر ، وإنّ الأزلام لمعه فى كنانته ، وصرخ جَبَلَةُ بن الحَنْبَل – وقال ابن هشام : كَلَدَة بن الحنبل – وأسلم بعد ذلك ، وهو مع أخيه لأُمه صفوان بن أُمَيَّة ، وصفوانُ مشرك فى المُدةِ الّتى جعل له رسولُ الله – صلّى الله عليه وسلّم – : ألا بَطَل السِّحْرُ اليومَ ! ! فقال له صفوان : اسكتْ فضّ اللهُ فاك ! والله أن يَرُبَّنِى رجلٌ من قريش أحبّ إلىّ من أن يَرُبَّنى رجُلٌ مِن هَوَازِن .

وروى محمد بن عمر عن أبى بشير – ككريم – المازنى – رضى الله عنهم – قال : لمّا كان يومُ حُنَيْن صلَّيْنا الصُّبحَ ، ثمّ رجعنا على تعبئةٍ من رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلّم – فما شعرنا – وقد كاد حاجِبُ الشّمس أن يطلع ، وقد طلع – إلا بمقدمتنا قد كرّت علينا ، قد انهزموا ، فاختلطتْ صُفوُنا ، وانهزمنا مع المقدِّمة ، وأكر ، وأنا يومئذٍ غُلامٌ شابٌّ ، وقد علمت أن رسولَ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلّم – متقدِّم فجعلتُ أقول : يالَلأنصار ، بأَبى وأُمّى ، عن رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلّم – تولُّون ؟ وأكرُّ فى وُجُوه المنهزمين ، ليس لى همَّة إلاّ النظر[1] إلى سَلَامة رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلّم – حتى صرت إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو يصيح : « يَالَلأَنْصَار » فَدَنَوْتُ من دابّته ، والتفتُّ من ورائها ، وإذَا الأنصارُ قد كَرُّوا كَرَّة رجل واحد ورسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلّم – واقفٌ على دابّته فى وُجُوه العدُوّ ، ومضت الأنصار أمامَ رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلّم – يُقاتلون ، ورسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلّم – سائرٌ معهم يفرِّجُون العدوّ عنه ، حتّى طردناهم فرسخاً ، وتفرّقوا فى الشِّعاب ، حتّى فلُّوا من بين أيدينا ، فرجع رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلّم – إلى منزله وقُبَّتِهِ ، وقد ضُرِبَت له – والأسرى مكتّفون حوله ، وإذَا نفرٌ حولَ قبّته ، وفى قبته زوجاته أم سلمة وميمونة ، حولها النَّفَرُ الّذين يحرسُون رسولَ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلّم – وهم عباد بن بِشْر ، وأبو نَائِلَة ، ومحمد بن مَسْلمة .

---

(١) ى (ص) ٢ : ٢٣٦ « فى سلامة » والمثبت عن بقية النسخ .

قال ابن عقبة : ومرَّ رجلٌ من قريش بصفوانَ بْنِ أُمَيَّة فقال : أَبشِرْ بهزيمةِ محمَّدٍ وأصحابه ، فوالله لا يجبرونها[1] أبداً . فقال صفوان : أَتُبَشِّرُنِى بظهور الأَعراب » فوالله لرَبٌّ من قريش أحبّ إلىَّ من رَبٌّ من الأَعراب ، وغضب صفوانُ لذلك ، وبعث صفوان غلاماً له فقال : اسمع لمن الشِّعَارُ؟ فجاءه فقال: سمعتهم يقولون : يا بنى عبدالرحمٰن يا بنى عُبيد الله ، يا بنى عبد الله ، فقال : ظَهَر محمدٌ وكان ذلك شِعَارُهم فى الحرب.

وروى محمّد بن عمر عن أَبى قتادة ـ رضى الله عنه ـ قال : مضى سَرْعانُ النَّاس مِنَ المنهزمين ، حتى دخلوا مكَّة ، ساروا يوماً وليلة ـ يُخبرون أهلَ مكَّة بهزيمة رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وعتَّاب ـ ابن أَسِيد بوزن أمير ـ على مكَّة ومعه مُعَاذُ بن جَبَل ، فجاءَهم أمرٌ غمَّهم ، وسُر بذلك قومٌ من أَهل مكَّة وأظهروا الشَّمَاتة ، وقال قائِل منهم : ترجع العرب إلى دين آبائِها ، وقد قُتِل محمد وتفرَّق أصحابُه ، فتكلم عَتَّابُ بن أَسِيد يومئذٍ فقال : إنْ قُتِلَ محمد ، فإنَّ دينَ اللهِ قائم ـ والَّذى يعبده محمد حىٌّ لا يموت ، فما أَمسوا من ذلك اليوم حتَّى جاءَ الخبرُ أَن رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أَوْقَع بهَوَازن ، فَسُرَّ عتَّابُ بنُ أَسِيد ، ومُعَاذُ بن جَبَل ، وكَبَتَ اللهُ ـ تعالى ـ مَنْ هُنَاك مِمَّن كان يَسُرُّه خلافُ ذلك .

فرجع المنهزمون إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فلحقوه بأَوطاس وقد رحل منها إلى الطائف .

* * *

ذكر ارادة شيبة بن عثمان ـ قبل أن يسلم ـ الفتك برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما رآه فى نفر قليل ، وما وقع فى ذلك من الآيات[2]

روى ابنُ سعد وابن عساكر عن عبد الملك بن عبيد ، وأَبو القاسم البغَوَىّ ، والطَّبرانى ، والبيهقى ، وأَبو نُعيم ، وابن عساكر عن عكرمة ـ رحمهم الله تعالى ـ قالا : قال شيبة : لَما كان عام الفتح دخل رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مَكَّة عَنْوَةً ، وغزا حُنَيْناً ، قلتُ أَسير مع قريش إلى هَوَازِن ، فعسى إن ٱختلطوا أَن أُصِيبَ من محمد غِرَّة ،

(١) كذا فى الأصول وفى البداية والنهاية ٤ : ٣٣٠ والمغازى للواقدى ٣ : ٩١٠ « يجتبرونها ، ويجتبرها » .

(٢) وانظر سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٤٤ ، والسيرة الحلبية ٣ : ١٢٨ ، والمغازى للواقدى ٣ : ٩٠٩ ، والبداية والنهاية ٤ : ٣٣٣ .

وتذكَّرت أَبى وَقَتَلَهُ حمزةُ ، وعمِى وَقَتَلَهُ علىٌّ بن أَبى طالب ، فقلتُ : اليومَ أُدرك ثَأْرِى من محمد ، وأَكون أنا الَّذى قمت بثأْر قريش كلها ، وأَقول : لو لم يبْقَ من العرب والعجم أَحدٌ إلا اَتَّبع محمداً ما تَبِعْتُه أَبَداً ، فكنت مرصداً لما خرجتُ له ، لا يزداد الأَمر فى نفسى إلاَّ قوَّة ، فلَمَّا اختلطَ النَّاس ، اقتحم رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عن بغلته ، وأَصلتَّ السَّيْفَ ، ودَنَوْتُ منه ، أُريدُ ما أُريد ـ وفى رواية فلما انهزم أَصحابه جئته من عن[1] يمينه فإذا العبَّاس قائم عليه درع بيضاء ، فقلت : عمّه لن يخذله ، فجئته من عن يساره ، فإذا بأَبى سُفيان بن الحارث فقلت : ابن عمه لن يخذله ، فجئته منْ خلفه ، فلم يبْق إلا أَن أُسَوِّرَه سَوْرَةً بالسَّيف إذا رُفعَ إلَىَّ فيما بينى وبينه شُوَاظٌ من نار كأَنَّه بَرْقٌ . فخفت أَن يتمحشنى فوضعتُ يدى على بصرى ، خوفاً عليه » ، ومشيتُ القهقرى ، وعلمت أَنَّه ممنوع . فالتفتَ إلَىَّ وقال : « يا شَيْبُ أُدْنُ مِنِى » فدنوتُ منه ، فوضع يده على صدْرِى وقال : « اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْه الشَّيْطَان » . فرفعتُ إليه رأْسى وهو أَحب إلَىَّ من سَمْعِى وبصرى وقلبى ، ثم قال : « يَاشَيْبَةُ قَاتِل الكُفَّار » قال : فتقدَّمتُ بين يديه أُحِبُّ ـ والله ـ أَن أَقيه بنفسى كلَّ شىء[2] ، فلما انهزمَت هوَازنُ رَجَع إلى منزله ودخلت عليه فقال : « الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِى أَرَادَ بك خَيْراً مِمَّا أَردت » ثمَّ حدثنى بِمَا هممت به ـ صلَّى الله عليه وسلَّم .

* * *

ذكر ارادة النضير بن الحارث الفتك برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما وقع فى ذلك من الآيات

قال محمد بن عمر : حدثنا إبراهيم بن محمد بن شُرَحْبيل العَبْدَرِى عن أَبيه قال : كان النضير من أَحلم قريش. وكان يقول : الحمدُ لِله الذى أَكرمنا بالإسلام ومَنَّ علينا بمحمد ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ ولم نَمُت على ما مات عليه الآباء ، فذكر حديثاً طويلاً ، ثم قال : خرجتُ مع قومٍ من قريش ، هم على دينهم ـ بَعْدُ ـ أَبو سفيان ابن حرب ، وصفوان بن أُميَّة ، وسُهَيل بن عمرو ، ونحنُ نريد إنْ كانت دَبْرَة على محمد أَن نُغِير عليه فيمن يُغير ، فلما تراءَت الفِئَتَان ونحن فى حيز المشركين حملَت

(١) فى (ص) ٢ : ٢٣٧ « من على يمينه » والمثبت عن بقية النسخ .

(٢) فى المغازى للواقدى ٣ : ٩١٠ « بنفسى وبكل شىء » .

٢٨٠ / ٢ هوازنُ حملةً واحدةً ، ظَنَنّا أنَّ المسلمين / لا يجبرونها أبداً ، ونحن معهم وأنا أريد بمحمد ما أُريد . وعمدتُ له فإذا هو فى وُجُوه المشركين واقفٌ على بغلةٍ شهباء حولها رجالٌ بيضُ الوجوه ، فأقبلتُ عامداً إليه ، فصاحوا بى : إليك ، فأُرْعِبَ فُؤادى وأُرْعِدَت جوارحى . قلتُ : هذا مثل يوم بدر ؛ إنَّ الرَّجُلَ لعلى حَقٍّ ، وإنه لمعصوم ، وأدخل اللهُ تعالى فى قلبى الإسلام وغيَّره عما كنتُ أهم به ، فما كان حلبَ ناقة حتى كَرَّ أصحابُ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – كَرَّة صادقة ، وتنادت الأنصار بينها : الكَرة بعد الفَرَّة : يا للخزرج ، يا للخزرج ، فحطمونا / حطاماً ، فرقوا شملنا ، وتشتت أمرنا ، ٤٩٤ت وهمَّةُ كلِّ رجلٍ نفسه فتنحيت فى غُبَّرات الناس حتى هبطتُّ بعض أودية أَوْطاس فكمنتُ فى خَمَر شجرةٍ لا يَهْتدِى إلىَّ أحدٌ إلاَّ أن يدلَّه الله – تعالى – علىّ ، فمكثتُ فيه أيّاماً وما يُفارقنى الرُّعْبُ مما رأيتُ ، ومضى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – إلى الطَّائف ، فأقام ما أقام ، ثُمَّ رجع إلى الجِعرَّانة ، فقلتُ : لو صرتُ إلى الْجِعرانة ، فقاربتُ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ودخلتُ فيما دخل فيه المسلمون ، فما بقى أحدٌ فقد رأيتُ عِبراً ، وقد ضربَ الإسلامُ بجرانه ، ولم يبق أحدٌ ، ودانت العربُ والعجمُ لمحمَّدٍ – صلَّى الله عليه وسلَّم – فَعِزُّ محمَّدٍ لنا عِزٌّ ، وشرفُه لنا شَرَفٌ ، فوالله إنِّى لعلى ما أنا عليه إن شعرت إلاَّ برسول الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – يلقانى بالجعرانة كِنَّةً لكِنَّة فقال : « النضير ؟ » قلت : « لبَّيك ، فقال : « هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِمَّا أَرَدْتَ يَومَ حُنَيْن مِمَّا حَالَ اللهُ بينك وبينه » فأقبلت إليه سريعاً ، فقال : « قد آن لك أن تُبصر ما أنت فيه توضع . قلت : قد أرى أن لو كان مع الله – تعالى – إلهاً غيره لقد أغْنى شيئاً ، وإنى أشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأنك رسولُ الله . قال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم : « اللَّهُمَّ زِدْهُ ثَبَاتاً » قال النَّضير : فواللهِ الَّذى بعثه بالحقِّ لكأنَّ قلبى حجر ثباتا فى الدين وبصيرةً فى الحق ، وذكر الحديث .

* * *

ذكر ثبات رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ورميه الكفار ، ونزوله عن بغلته ، ودعائه ربه سبحانه وتعالى ، وما وقع فى ذلك من الآيات

روى ابنُ إسحاق ، والإمام أحمد عن جابر بن عبد الله ، وابن إسحاق ، وعبد الرزَّاق ، ومسلم عن العباس عم رسول الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، قال العبَّاس : شهدتُ

مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : يومَ حُنَيْن ، فلزمتُ أنا وأبو سُفيان بن الحارث رسولَ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فلم نفارقْه ، ورسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – على بغلة له شَهْبَاء ، قال عبدُ الرَّزَّاق: وربما قال معمر : بيضاءُ ، أهداها له فَرْوَةُ بن نُفَاثة الجذامى ، قال[1] فلما التقى المسلمون والكفار وَلَّى المسلمون مدبرين ، فطفِق رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – يركُض بغلتَه قِبَلَ الكُفَّار ، وأنا آخذٌ بلجام بغلة رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، وفى رواية : أَكُفُّها أن لاَ تُسرع ، وهو لا يَأْلُو ما أسرع نَحْوَ المشركين ، وأبو سُفيان ابن الحارث آخذٌ ، بركاب رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – وفى رواية بغرزه ، وفى رواية بثفره[2] ، فالتفتَ رسولُ الله – صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم – إلى أبى سُفيان بن الحارث وهو مُقنَّعٌ فى الحديد ، فقال : «مَنْ هٰذَا» فقال : ابنُ عمك يا رسولَ الله ، وفى حديث البراء : وأبُو سفيان بن عمه يقود به ، قال بن عقبة – رحمه الله تعالى: وقام رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فى الرِّكابين ، وهو[3] على البغلة ، فرفع يديه إلى الله – تعالى – يدعو يقول : «اللَّهُمَّ إِنِّى أَنْشُدُكَ مَا وَعَدْتَنِى .. اللَّهُمَّ لاَ يَنْبَغِى لَهُمْ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَيْنَا» انتهى .

قال العباس : فقال رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم « يا عبَّاس !! نَادِ يامَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، يا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ ، يَا أَصْحَابَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ » .

قال العبَّاس – وكنت رجلا صيتاً – فقلت بأعلى صوتى : أين الأنصار ، أين أَصحاب السَّمُرَة ، أين أصحاب سورة البقرة ، قال : واللهِ لكأنما عطفتهم حين سمعُوا صوتى عطفة البقر على أولادها .

وفى حديثِ عُثمان بن شيبة عند أبى القاسم البغوى ، والبيهقى « يا عبَّاس ، اصرخ بالمهاجرين الَّذين بَايَعُوا تحت الشَّجرة ، وَبِالْأَنْصَارِ الَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا » قال : فما شبهت عطفة الأنصار على رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – إلاَّ عطفة الإبل على أولادها . حتى تُرِك رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – كأنه فى حَرَجة[4] ، فَلرمَاح الأنصار كانت

---

(١) أى العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم .
(٢) الثفر : هو السير فى مؤخرة السرج . (القاموس المحيط) .
(٣) فى (ص) ٢ : ٢٣٧ « وموجها البغلة » والمثبت عن بقية النسخ .
(٤) الحرجة : شجر ملتف كالغيضة . (شرح المواهب ٣ : ١٢)

أخوف عندى على رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – من رِمَاح الكفَّار – انتهى . فقالوا : يا لَبَّيْك يا لبيْك يالَبَّيْك . قال : فيذهبُ الرجل يُثْنِى بعيرَه ولا يقدرُ على ذلك ؛ أى لكثرة الأعراب المنهزمين – كما ذكره أبو عمر بن عبد البر – فيأْخذ دِرْعه فيقذفها فى عنقه ويأْخذ سيفه وتُرْسَه ويقتحم عن بعيره ، فيخلِّى سبيلَه ، فيؤمّ الصوتَ حتَّى ينتهى إلى رسولِ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – حتَّى إذا اجتمع منهم مائة ، استقبلُوا النَّاسَ فاقتتلواهم والكُفَّار ، والدَّعوةُ فى الأَنصار يا معشَرَ الأَنصار ، ثم قصرت الدَّعوةُ على بنى الحارث بن الخزرج ، وكانوا صُبرًا عند الحرب ، وأشرف رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فى ركابيه ، فنظر إلى مُجْتَلَدِهم وهم يَجْتَلِدُون / وهو على بغلته كالمُتَطاول عليها إلى قتالهم ، فقال رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : – « هَذَا حين حَمِىَ[1] الوطيس ، ثم أخذ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – حصيات فرَمَى بهنَّ وُجُوهَ الكفَّار ، ثم قال : « انْهَزِمُوا وَرَبِّ مُحَمد » فذهبتُ أنظرُ فإذا القتالُ على هيئته فيما أرى ، فوالله ما هو إلاَّ أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حَدَّهم كَلِيلاً وأَمْرَهُم مُدبِراً ، فوالله ما رَجَعَ النَّاسُ إلا وأُسَارَى عند رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – مُكَتَّفُون ، قتل الله – تعالى – منهم من قتل ، وانهزم منهم من انهزم ،وأفاءَ الله تعالى على رسوله أموالهم ونساءَهم وأبناءَهم .

281 / 2

وروى ابن سعد ، وابن أبى شيبة ، والإمام أحمد ، وأبو داود ، والبغوى فى معجمه ، والطبرانى وابن مردويه ، والبيهقى برجال ثقات عن أبى عبد الرحمن بن يزيد الفِهْرى – يقال اسمه كرز – رضى الله تعالى عنه – قال : كنت مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى حُنَيْن فى يومٍ قائظ شديد الحرّ ، فنزلنا تحت ظلال السُّمُر[2] ، فلمَّا زالت الشمس لبستُ لأَمتى ، وركبت فرسى فأَتيتُ رسولَ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – وهو فى فُسطاطه ، فقلتُ : السَّلام عليْكَ يا رسولَ الله ورحمته ، الرواح قد حان ، الرواحُ يا رسولَ الله ، قال : « أَجَلْ » ثم قال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : « يَا بلاَل » فثار من تحت سَمُرَة كأَنَّ ظِلَّه ظِلُّ طائر ، فقال : لَبَّيْك وسَعْدَيْك ، وأنا فداؤك . قال :

---

(1) فى المغازى للواقدى 3 : 899 « الآن حمى الوطيس » .

(2) فى (ص) 2 : 238 « الشجر » والمثبت عن بقية النسخ .

« أَسْرِجْ لِي فَرَسى » فأتاه بسرجٍ دفَّتاه مِن لِيف ليس فيهما أَشرٌ ولا بَطَر ، فركب فَرَسَه ، ثم سِرْنا يَوْمَنَا ، فلقِينَا العَدُوَّ ، وتشامت الخيلان ، فقاتلناهم فوَلَّى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى[1] ، فجعل رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلم – يقول : « يَاعِبَادَ اللهِ . أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه ، يَاأَيُّهَا النَّاس إِنِّى أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه » فاَقتحم رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – عن فرسه ، وحدثَّنى مَنْ كان أَقرب إِليه منِّى أَنَّه أَخذ حفنةً من تراب فَحَثَاها / فى وُجُوهِ القوم ، وقال : « شَاهَت الوُجُوه » قال يعلى بن[2] عطاء : ٤٩٦ت
وأَخبرنا أَبناؤُهم عن آبائهم أَنَّهم قالوا : ما بقِى منَّا أَحدٌ إِلاَّ امتلأَتْ عيناهُ وَفَمُهُ من التُّراب ، وسمعْنَا صلصَلَةً من السَّماءِ كَمَرِّ الحديد على الطَّست ، فهزمهم اللهُ تعالى .

وروى أَبو يَعْلى والطبرانى برجالٍ ثقاتٍ عن أَنس – رضى اللهُ عنه – أَن رسولَ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – أَخذ يومَ حُنَيْنٍ كَفًّا من حصىً أَبيض فَرَمَى به وقال : « هُزموا وربِ الكعبة » وكان علىٌّ – رضى الله عنه – يومئذٍ أَشدّ النَّاسِ قِتالاً بين يديه .

وروى أَبو نُعيم بسندٍ ضعيفٍ عن أَنسٍ – رضى اللهُ عنه – والطَّبرانى عن عكرمة – رحمه الله تعالى – قالا : لما انهزم المسلمون بِحُنَيْن ورسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلم – على بغلته الشهباء – وكان اسمها دُلْدُل – فقال لها رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – « دُلْدُلُ الْبَدِى » فأَلزقت بطنها بالأَرض ، فأَخذ حفنةً من تراب فرمى بها فى وجوههم وقال : « حَمْ لَا يُنْصَرُون » فانهزمَ القوم ، وما رَمَيْنَا بسهمٍ ولا طَعَنَّا برمح ، كذا فى هذه الرواية اسمها دُلْدُل ، والصَّحيح أَنَّ دُلْدُل أَهداها المُقَوْقِس فهى غير التى أَهداها فروةُ بنُ نفاثَة .

وروى أَبو القاسم البغوى ، والبيهقى ، وأَبو نُعيم ، وابن عساكر عن شيبةَ بْنِ عثمان – رضى الله عنه – : أَنَّ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال يوم حُنَين : [يَا عَبَّاس نَاوِلْنِى مِن الْحَصباء.قال : وأَفْقَهَ اللهُ – تعالى – البغْلَةَ كلامَه ، فانخفضت به حتَّى

---

(١) وهو قوله تعالى (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) التوبة ٢٥ . .

(٢) وهو يعلى بن عطاء العامرى ويقال الليثى الطائفى الثقة توفى سنة ١٢٠ هـ أو بعدها وروى له مسلم والأربعة . (شرح المواهب ٣ : ١٤) .

كادَ بَطْنُهَا يمسُّ الأَرض ، فتناول رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم من البطحاء فحثا فى وُجُوههم وقال : « شَاهَتِ الْوُجُوه ، هُمْ لَا يُنْصَرُون » .

وروى عَبْدُ بن حُمَيْد فى مُسْنَده ، والبخارىُّ فى تاريخه ، والبيهقىُّ وابنُ الجوزىّ عن يزيد بن عامر السُّوائى – رضى الله عنه – وكان شهد حُنَيْناً مع المشركين ثم أسلم – قال : أخذ رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – يومَ حُنَيْن قبضةً من الأَرض ، ثم أقبل على المشركين فرمى بها فى وُجُوهِهِم وقال : « ارْجِعُوا ، شَاهَتِ الْوُجُوه » قال : فما من أَحَدٍ يَلْقَى أخاه إلاَّ وهو يشكُو القَذَى فى عينيه ويمسح عينيه .

وروى الإمام أَحمد ، والطَّبرانى ، والحاكم ، وأَبو نُعَيْم ، والبيهقىُّ برجال ثقات عن ابن مسعود – رضى اللهُ تعالى عنه – قال : كنتُ مع رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يومَ حُنَيْن ، فولَّى النَّاسُ عنه ، وبقيتُ معه فى ثمانين رَجُلاً من المهاجرين والأَنصار ، فقمنا على أقدامنا ولم نولِّهِم الدُّبُر ، وهم الذين أنزل اللهُ – تعالى – عليهم السَّكينة ، ورسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – على بغلته لَمْ يمض قُدُماً ، فحادت به بغلتُه فمال عن السَّرْج ، فقلت له ارْتفع رَفعك الله . فقال : « نَاوِلْنِى كَفًّا مِن تُرَاب » فناولته ، فضرب وُجُوهَهُم فَامتلأَت أعينهم تُرَاباً ، ثم قال : « أَينَ المهاجرُون والأَنصار ؟ » قلت : هم أولاء ، قال : « اهْتِفْ بِهِمْ » فهتفت بهم ، فجاءُوا وسيوفهم بأَيْمَانهم كأَنها[1] الشُّهُب ، وولَّى المشركون أدبارهم .

وروى ابن أَبى شيبة والإمام أَحمد ، والحاكم ، وابن مردويه ، والبيهقى عن أَنسٍ – رضى الله عنه – قال : جاءت هوازِنُ يومَ حُنَيْن بالنِّسَاءِ / والصِّبْيَان والإبل والغَنَم فجعلُوهم صُفُوفاً ، ليكثرُوا على رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فَالْتقى المسلمون والمشركون ، فولَّى المسلمون مُدْبِرِين – كما قال الله تعالى – وبقى رَسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – وَحْدَه / فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : « يَا عِبَادَ الله أَنَا عَبْدُ الله وَرَسُولُه » ونادى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – نِداءَيْن لم يخلط بينهما كلاماً ، فالْتَفَتَ عن يمينه فقال : « يَا مَعْشَرَ الأَنْصَار أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه » فقالوا : « لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله ،

٢٨٢ / ٢

٤٩٧ ت

(١) فى الأصول كأنهم ولعل الصواب ما أثبته .

نَحْنُ مَعَكَ » ثم التفت عن يساره فقال : يا معشر الأنصار أنا عبد الله ورسوله ، فقالوا : لبيْك يا رسول الله نحن معك.فهزم اللهُ تعالى المشركين ، ولم يضربْ بسيف ، ولم يطعن برمح .

وروى ابن سعد وابن أبي شيبة ، والبخارى ، وابن مردويه ، والبيهقى من طُرُق عن أبي إسحاق السُّبَيْعى – رحمه الله تعالى – قال : جاءَ رجلٌ من قيسٍ إلى البراء بنِ عَازِبٍ – رضى الله عنهما – فقال : أَكُنْتُم وَلَّيْتُم ؟ وفى رواية : أَوَلَّيْتَ ؟ وفى أخرى : أوليتم مع رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم ؟ وفى أخرى : أفَرَرْتُم يومحُنَيْن يا أبا عمارة؟ فقال : أشهدُ على رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – أنَّه ما وَلَّى ، وفى رواية : لَا والله ما وَلَّى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يومَ حُنَيْن دبُرَه ، ولكنه خرج بشُبَّان أَصْحَابِهِ وهم حسَّر ليس عليهم سِلَاح أو كثير سلاح ، فلقوا قَوْماً رُمَاة لا يكاد يسقُطُ لهم سهم فلما لقيناهم وحَمَلْنَا عليهم انهزموا ، فأَقبلَ النَّاسُ على الغنائم ، فاستقبلونا بالسِهام كأَنها رِجْلُ جَرَاد لا يكادون يخطئُون ، وأَقبلُوا هناك إلى رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ورسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – على بغْلَته البَيْضَاء ، وأبو سُفيان بن الحارث يقودُ به ، فنزلَ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ودعا واستنفر ، وقال – صلَّى الله عليه وسلَّم – : « أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِب ، أَنَا ابْن عَبْد الْمُطَّلِب ، اللَّهُمَّ أَنْزِل نَصْرَك » .

قال البراءُ : وكنا إذا احمَرَّ البَأْس نَتَّقِى برسولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – وإن الشجاعَ منا الذى يُحَاذيه : يعنى النَّبِيَّ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم .

وروى البخارى ، ومسلم ، والبيهقى عن سلمة بن الأكوع – رضى اللهُ عنه – قال : غزونا مع رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – حُنَيْناً . فلما واجهنا العدوّ تقدمتُ فأَعلو ثنيّة فاستقبلنى رجلٌ من المشركين فأَرميه ، بسهم ، وتوارى عنِّى فما دريتُ ما صنع ، ثم نظرتُ إلى القوم فإذا هم طلعوا من ثنيّة أخرى ، فالتقوا هُمْ وأَصحابُ رسولِ[1] الله – صلَّى الله عليه وسلم – فولَّى أَصحابُ رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فأَرجع منهزما . وعلَيَّ بُرْدَتان مؤتزرا بإحداهما مرتديا بالأُخرى ، فاستَطْلَق إزارى ، فجمعتهما

(١) فى (ص) ٢ : ٢٣٩ « النبى » والمثبت عن بقية النسخ .

جميعاً ، ومررتُ برسولِ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ وأنا منهزم ـ وهو على بغلته الشهباء ، فقالَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ : « لَقَدْ رَآى ابنُ الأَكْوع فزعا » فلما غشوا رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نَزَل عن بغلته ثم قبض قبضةً من تُرَاب من الأَرض ، ثم إنه استقبل به وجوهَهُم ، وقال : « شَاهَتِ الْوُجُوه » فما خلَّ اللهُ تعالى منهم إنسانا إلاَّ ملأَ عينيه تُرَاباً من تلك القبضة ، فولَّوا مُدْبِرين . وقَسَّم رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ غَنائمهم بين المسلمين .

وروى أبو الشَّيخ عن عِكْرِمَة ـ رحمه الله تعالى ـ قال : لَمَّا كان يوم حُنَيْن وَلَّى المسلمونَ ، وثبتَ رسولُ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ فقال : « أَنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله » ثلاث مرات ، وإلى جنبه عمُّه العبَّاس ـ الحديث .

وروى ابن سعد ، والبخاريُّ فى التاريخ ، والحاكم ، والبيهقى عن عياض ابن الحارث ـ رضى الله عنه ـ قال : أخذ رسولُ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ كَفًّا من حَصْباء / فرمى بِها وُجُوهَنَا فانهزمنا . ٤٩٨ت

وروى البخارى فى التاريخ ، والبيهقى فى الدلائل عن عمرو بن سفيان ـ رضى الله عنه ـ قال : قَبَضَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يَوْمَ حُنَيْنٍ قبضةً من الحصباء فرمى بها وُجُوهَنَا فانهزمنا ، فما خُيِّلَ إلينا إلا أَنَّ كُلَّ حجر وشَجَرِ فارسٌ يطلبنا . وروى ابن عساكر عن الحارث بن زَيْد مثله .

وروى ابنُ أبى شيبة ، والإمام أحمد ـ برجالِ الصَّحيح ـ عن أنس بنِ مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : كان من دُعَاء النَّبىِّ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يوم حُنَيْن : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَشَاء لا تُعْبَد بَعْدَ الْيَوْم » .

وذكر محمد بن عمر ـ رحمه الله تعالى ـ قال : كان من دعاء رَسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حين انكشفَ عنه النَّاسُ ولم يبقَ معه إلاَّ المائة الصَّابرة « اللَّهُمَّ لكَ الْحَمْدُ ، وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكى ، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَان » فقال له جبريل : « لَقَدْ لَقِنْتَ الْكَلِمَاتِ الَّتى لقَّنَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ مُوسَى يَوْمَ فَلْقِ الْبَحْر ، وَكَانَ الْبَحْرُ أَمَامَه وَفِرْعَونُ خَلْفَه » ،

* * *

ذكر ما قيل ان الملائكة قاتلت يوم حنين والرعب الذى حصل للمشركين

روى ابن أبى حاتم عن السُّدى الكبير – رحمه الله تعالى – فى قول الله عزَّ وجلّ : ﴿ وأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا ﴾[1] قال : هم الملائكة ﴿ وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[1] قال : قتلهم بالسيف . وروى أيضاً عن سعيد بن جبير – رحمه الله تعالى – قال : فى يَوْمِ حُنَيْن / أَمَدَّ اللهُ – تعالى – رسولَهُ – صلى الله عليه وسلم – بخمسة آلاف من الملائكة مُسَوِّمِين ، ويومئذ سمىَّ اللهُ تعالى الأنصار مؤمنين قال : « ثُم أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ[1] » .

٢٨٣ت

وروى ابنُ إسحاق ، وابنُ المنذر ، وابنُ مردويه ، وأبو نُعَيْم ، والبيهقى عن جُبَيْر ابن مُطْعِم – رضى الله عنه – قال : رأيتُ قبلَ هَزِيمة القوم – والناسُ يقتتلون – مثل البِجَاد الأسود أقبل من السَّماء حتَّى سقط بين القوم ، فنظرتُ فإذا نَملٌ أسود مبثوث قد ملأ الوادى ، لم أَشُكَّ أنها الملائكة ، ولم يكن إلا هزيمة القوم .

وروى محمد بن عمر عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن عن شيوخ من قومه من الأنصار ، قالوا : رأَيْنَا يومئذٍ كالبُجُد السُّود هوَتْ مِن السماء رُكَاماً ، فنظرنا فإذا رملٌ مبثوث ، فكنا ننفضه عَنْ ثيابنا ، فكان نصرُ الله – تعالى – أَيَّدَنَا به .

وروى مُسَدَّد فى مسنده ، والبيهقى . وابنُ عساكر عن عبد الرحمن مولى أم بُرْثُن قال : حدثنى رجل كان من المشركين يوم حُنَين قال : لَمَّا الْتقينا نحن وأصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم يقوموا لنا حَلْبَ شاة أن كببناهم[2] ، فبينما نحن نسوقهم فى أدبارهم إذ التقينا[3] بصاحب البغلة – وفى رواية – إذ غَشِيَنَا ، فإذا هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فَتَلَقَّتْنَا عنده ، وفى رواية : إذا بيننا وبينه رجالٌ بيضٌ حِسَانُ الوجوه قالوا لنا : شَاهَت الوجُوه ، ارجعوا ، فرجعنا – وكانت إيَّاها[4] .

---

(١) سورة التوبة آية ٢٦ .

(٢) فى ت ، م « كفيناهم » والمثبت عن النسختين الأخريين وسيرد كالمثبت بشرح المفردات .

(٣) فى (ص) ٢ : ٢٣٩ « إذ التقانا صاحب البغلة » وفى شرح المواهب ٣ : ١٥ « إذ انتهينا إلى صاحب » .

(٤) وكانت إياها : أى الهزيمة . (شرح المواهب ٣ : ١٥)

وروى ابن مردويه ، والبيهقى ، وابن عساكر عن مُصْعَب بن شيبة بن عثمان الْحَجَبِىِّ عن أبيه – رضى الله عنه – قال : خرجتُ مع رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يومَ حُنَيْن ، واللهِ ما خرجتُ إسلاماً ، ولكن خرجتُ أنفاً[1] أن تظهر هَوَازِنُ على قُريش، فإنى لواقفٌ مع رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – إذ قلتُ : يا رسولَ الله إنى لأَرى خَيْلاً بُلْقاً ، قال : « يَا شَيْبَةُ إِنَّه لَا يَرَاهَا إِلاَّ كَافِر » فضرب بيده فى صدرى وقال : « اللَّهُمَّ اهْدِ شَيْبَة » / فعل ذلك ثلاث مرات – فوالله ما رفع رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – الثالثةَ حتى ما كان أَحَدٌ مِن خلق اللهِ تعالى أَحَبَّ إلىَّ منه ، فالْتقى المسلمون فَقُتِلَ مَن قُتِل . ثم أَقبل رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – وعمرُ آخذ باللِّجام ، والعبَّاسُ آخذٌ بالثَّفر ، فنادى العباسُ : أَينَ المهاجرون ، أَين أَصحاب سورَةِ الْبَقَرة – بصوت عالٍ – هذا رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فأَقبلَ المسلمونَ والنبىُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول : « أَنَا النَّبِىُّ لَا كَذِب ، أَنَا ابنُ عَبْدِ المُطَّلب » فجالدوهم بالسيُوف ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « الآن حَمِىَ الوَطِيس » .

٤٩٩ت

وروى عبدُ بنُ حُمَيْد ، والبيهقى عن يزيد بن عامر السُّوَائى – رضى الله عنه – وكان حضر يومئذ ، فسئل عن الرعب فكان يأْخذ الحَصَاةَ فيرمِى بها فى الطَّسْت فَيطِنُّ فيقول : أَنْ كُنَّا نجدُ فى أَجوافنا مثلَ هذا .

روى محمد بن عمر عن مالك بن أَوس بن الحدثان قال : حدثنى عِدَّة من قومى شهدوا ذلك اليوم يقولون : « لقد رَمَى رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – تلك الرَّمية من الحصى فما مِنَّا أَحدٌ إلاَّ يَشْكو القذى فى عينيه ، ولقد كنا نجدُ فى صدورنا خفقانا كوقع الحصى فى الطاس ما يهدأُ ذلك الخفقان ، ولقد رأَينا يومئذٍ رجالاً بيضاً ، على خيل بُلْق ، عليهم عمائم حُمْر ، قد أَرْخوْهَا بين أَكتافهم ، بين السَّماءِ والأَرض كتائب كتائب ما يَلِيقون[2] شيئا ، ولا نستطيع أن نتأَملهم من الرُّعْب منهم .

وروى أَيضاً عن ربيعةَ بن أَبزى قال : حدَّثنى نَفَرٌ مِنْ قومى ، حضروا يومئذ قالوا :

---

(١) فى شرح المواهب ٣ : ١٥ « إتقاء أن تظهر » وفى البداية والنهاية ٤ : ٣٣٣ « ولكن أبيت أن تظهر هوازن على قريش » .

(٢) فى (ص) ٢ : ٢٣٩ « مايلتقون شيئاً » والمثبت عن بقية النسخ ، وما ورد فى شرح الغريب من المفردات .

كُنَّا لهم فى المضايق والشِعاب ، ثمَّ حملْنا عليهم حملة ، رَكِبْنَا أَكْتَافَهم حتَّى انتهينا إلى صاحِبِ بغلةٍ شهباء ، وحوله رجالٌ بيضٌ حِسَانُ الوُجُوه ، فقالوا لنا : شَاهَتِ الوُجُوه ارْجِعُوا . فانهزمنا ، وركب المسلمونَ أكتافَنَا ، وكانت إيَّاها ، وجعلنا نلتفت وإنا لننظر إليهم يكدُّوننا فتفرَّقَت جماعَتُنَا فى كلِّ وجه ، وجعلت الرِّعدة تَسْتَخِفُّنا حتى لحقنا بِعَلْيَاءِ بلادنا ، فإن كنا لَيُحْكى عنا الكلامُ ما ندْرى به ، لِمَا كانَ بنَا من الرُّعْبِ ، وقَذَفَ اللهُ - تعالى - الإسلام فى قُلُوبنا .

وروى أيضاً عن شيوخ من ثقيف أسلموا بعد ما كانوا حضروا ذلك اليوم قالوا : ما زال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فى طلبنا - فيما نرى - ونحن مولُّون حتَّى إنَّ الرَّجُل ليدخل منَّا حصنَ الطائف وإنه لَيَظُنُّ أنه على أثره من رُعب الهزيمة .

* * *

ذكر من ثبت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم حنين

روى البيهقىُّ عن حارثة بن النعمان - رضى اللهُ عنه - قال : لقد حزرت منْ بقى مع رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - حين أدبرَ الناسُ ، فقلتُ : مائة واحد .

وروى ابن مردويه عن ابْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - قال : لقد رأينا يوم بَدْر وإن الفئتين لموليتان ، وما مع رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - مائة رجل .

وروى الإمام أحمد ، والحاكم ، والطَّبرانى ، والبيهقى ، وأبو نُعيم ، برجالٍ ثقاتٍ عن ابن مسعودٍ قال : كنَّا مع رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يومَ حُنَيْن فولَّى النَّاسُ وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار ، فنكصْنَا على أعقابنا نحواً من ثمانين قدما ، ولم نولِّهِم الدُّبُر إلى آخره ، وتقدم . /

٥٠٠ت
٢٨٤
٢

قال محمد بن عمر يقال : إنَّ رسولَ اللهِ - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - لَمَّا انكشفَ النَّاسُ عنه يومَ حُنَيْن - قال لحارثة « يَا حَارِثَة ، كَمْ تَرَى النَّاسَ الَّذِيْنَ ثَبَتُوا » قال : فما التفتُّ ورائى تحرُّجاً ، فنظرتُ عن يمينى وعن شمالى ، فحزرتهم مائة ، فقلتُ : يا رسولَ الله !! هم مائة فما علمت أنهم مائة حتَّى كان يومٌ مررتُ على النَّبى - صلَّى الله عليه وسلَّم - وهو يُناجى جبريل عند باب المسجد ، فقال جبريل : « يا محمد مَنْ

هَذَا ؟ » قالَ رسُولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ – « حَارِثَةُ بنُ النُّعْمَان » فقال جبريل : هو أحد المائة الصَّابرة يوم حُنَيْن ، لو سَلَّم لَرَدَدْتُ عليه ، فأخبر رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – حَارِثَة ، قال : « ما كنتُ أظنه إلاَّ دِحْيَة الكَلْبي واقفاً مَعَك » .

وروى ابن أبي شيبة عن الحكم بن عُتَيْبَةَ – بلفظ تصغير عَتَبة الباب – رحمه الله تعالى – قال : لمَّا فَرَّ النَّاس يوم حُنَيْن عن النَّبيِّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – جعل يقول :

« أنا النَّبِيُّ لا كَــــذِب أنا ابنُ عبـــد المطَّلب »

فلم يبْقَ معه إلا أربعة ، ثلاثةٌ مِنْ بنى هاشم ، ورجُلٌ من غيرهم ؛ علىٌّ بن أبي طالب ، والعبَّاس وهما بين يديه ، وأبُو سُفيان بن الحارث آخذٌ بالعنان ، وابن مسعود من جانبه الأيسر ، قال : فليس يُقْبِلُ أحدٌ إلاَّ قُتِلَ ، والمشركون حَوْلَهُ صَرْعَى ، فمن أهل بيته عَمُّه العبَّاس ، وأبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطَّلب ، وأخوه ربيعة أبناءُ عمٍّ رسول اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – والفضلُ بنُ العبَّاس ، وعلى بن أبي طالب ، وجعفر بن أبي سفيان بن الحارثُ وقُثَم بن العبَّاس – قال فى الزهر : وفيه نظر ؛ لأن المؤرِّخين قاطبةً فيا أعلم عَدُّوه فيمن تُوُفِّيَ رسُولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – وهو صغيرٌ ، فكيف شهد حنيناً !! وعُتْبَة ومُعَتِّب ابنا أبِى لهب ، وعبد الله بن الزُّبَير بن عبد المطلب ، ونوفل بن الحارث ، وعُقيل بن أبي طالب ، وأسامة بن زيد ، وأخوه لأُمه أيمن بن أم أيمن ، وقُتِلَ يومئذٍ ، ومن المهاجرين : أبو بكرٍ – رضى الله عنه – وعمر بن الخطاب – رضى الله عنه – وعثمان بن عفان – رضى الله عنه – روى البَزّارُ عن أنسٍ – رضى الله عنه – : أن أبا بكرٍ وعمر وعثمان وعليًّا – رضى الله تعالى عنهم – ضرب كل منهم يومئذ بضعة عشر ضربة – وابن مسعود – رضى الله عنه – ومن الأنصار : أبو دُجَانة ، وحارثة بن النعمان – قد ذكر فى ذلك عند محمد بن عمر – وسعد بن عبادة ، وأبُو بشير – كما فى حديثه عند محمد بن عمر – وأُسَيْد بن الحُضَيْر ، ومن أهل مكَّة : شيبة بن عثمان الْحَجَبِيّ – كما تقدَّم – ومن نساءِ الأنصار : أم سُلَيْم بنت مِلْحَان أم أنس بن مالك ، وأم عمارة نَسِيبَة بنت كعب ، وأم الحارث جَدَّة عمارة بن غَزِيَّة – بفتح الغين ، وكسر الزَّاى المعجمتين – وأمّ سليط بنت عبيد – قال محمد بن عمر : يقالُ إنَّ المائة الصَّابرة يومئذ ثلاثةٌ وثلاثون من المهاجرين وستَّةٌ وستُّون من الأنصار .

نَسِيبَة – بفتح النُّون ، وكسر السِّين المهملة ، وسكون التَّحتية ، وبالموحَّدة : بنت كعْب – رضى الله تعالى عنها . قال ابن إسحاق : حدَّثنى عبد الله بن أبى بكر : أنَّ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسـلَّم – رأى أمَّ سُلَيْمٍ بنت مِلْحَان ، وكانتْ مع زوجها أبى طلحة ، وهى حامل بعبد الله بن أبى طلحة ، وقد خشيت أن يَغُرَّ بها[1] الجَمَل ، فأَدْنَت رأسه منها ، وأدخلتْ يَدَها فى خِزَامِهِ[2] مع الخطام ، فقالَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم : « « أم سُلَيْم » ؟ قالَت : نَعَمْ بِأَبِى أَنْتَ وأُمِّى يَارَسُولَ الله ، أَقْتُلُ المنهزمين عنك كما تقْتُل الَّذِين يُقَاتِلُونَكَ ؛ فإنهم لِذَلك أَهْلٌ » فقال رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وَسلَّم – : « أَوَيَكْفِى الله يَا أم سُلَيْم » .

وعند محمد بن عمر : « قَدْ كفى اللهُ تَعَالَى عَافِيَة الله تَعَالَى أَوْسَع» .

وروى ابن أبى شيبة ، والإمام أحمد ، ومسلم عن أنسٍ – رضى الله عنه – قال : اتخذتْ أمُّ سُلِيم خِنْجَراً أيَّامَ حُنَيْن ، فكان معها ، فلقى أبو طلحة أم سُلَيم ومعها الخِنْجَر ، فقال أبو طلحة : ما هذا ؟ قالت : إنْ دَنا منِّى بعضُ المشركين أبْعَجُ به بطنه ، فقال أبُو طلحة : أما تسمعُ يا رسولَ الله ما تقُول أم سليم ؟ فَضَحكَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقالت : يا رسولَ الله أُقتل مَن يعدونا من الطُّلقاء ؛ انهزموا عنك.فقال : « إنَّ الله تَعَالَى قَدْ كَفَى وَأَحْسَن يَا أُم سُلَيم » .

وروى محمد بن عمر عن عمارة بن غَزِيَّة قال : قالت أم عمارة : لَمَّا كان يوم حُنَيْن والناسُ مُنْهَزِمُون فى كل وَجْه ، وكُنَّا أربع نسوة ، وفى يدى سيف لى صارم ، وأم سُلَيم معها خِنْجَر قد حزمته على وسطها ، وإنَّها يومئذ حامل بعبد الله بن أبى طلحة ، وأم سليط ، وأم الحارث .

قال شيوخُ محمد بن عمر : فجعلتْ أمّ عمارة تصيح يا للأَنصار : أَية عادة هذه .

---

(١) كذا فى الأصول ، وفى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٤٦ « أن يغرها الجمل » بمعنى يقلبها الجمل .

(٢) الخزام : بكسر الخاء المعجمة حلقة تصنع من شعر وتجعل فى أنف البعير (اللسان) .

مالكم والفرار ؟! قالت : وأنظر إلى رجلٍ من هَوَازِن على جمل أَوْرَق [معه لواء][1] يوضِع جمله فى [أثر][2] المسلمين ، فأَعْتَرِضُ له فأَضْرِبُ عرقوبَ الجمل . فوقع على عجزه وأَشد عليه ، ولم أَزل أَضربه حتَّى أَثْبَتُّه ، وأَخذت سيفاً له . ورسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ قائمٌ ، مُصْلِتٌ السيْفَ بيده ، قد طرح غِمدَه يُنادى : « يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرة » فكرّ الأَنصار ، ووقفتْ هوازِنُ قَدْر حَلْبِ ناقةٍ فَتُوح ، ثم كانت إيَّاها ، فَوَالله ما رأيتُ هزيمةً قط كانت مثلها / ، قد ذهبُوا فى كلٍّ وَجْه ، فرجع إلَىّ أبنائى جميعاً : خُبَيْبُ وعَبْد الله أبناء زيد بأَسارى مُكَتَّفِين ، فأَقوم إليه من الغيظ فأَضرب عنق واحد منهم ، وجعل النّاسُ يأْتون بالأَسارى فرأَيت فى بنى مازن وبنى النجار ثلاثين أَسيرا ، وكان المسلمون بلغ أَقصى هزيمتهم مكة ، ثم كَرُّوا بعدُ وتراجعوا ، فَأَسْهَم لهم رسولُ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ جميعاً ، وكانت أُم الحارث الأَنصارية آخذةٌ بخطام جمل الحارث زوجها ، وكان يسمى المِجْسَار فقالت : يا حارِ أَتتركُ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ والنَّاسُ يولُّون مُنْهزمين ؟! وهى لا تُفَارقه ، قالت : فمر علَىَّ عمر بن الخطاب فقلتُ : يا عمر ما هذا ؟ قال : أَمر الله تعالى .

285
2

* * *

ذكر انهزام المشركين

قال محمد بن عمر ـ رحمه الله تعالى ـ لما نادى رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأَنصار كرُّوا راجعين فجعلوا يقولون : يا بنى عبد الرحمن ، يا بنى عبد الله ، يا بنى عبيد الله ، يا خيل الله . وكان رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد سَمَّى خَيلَه خيْلَ الله ، وجعل شعارَ المهاجرين : بنى عبد الرحمن ، وجعل شعار الأَوس : بنى عبيد الله ، وشعار الخزرج : بنى عبد الله .

روى محمد بن عمر عن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن أَبى صعصعة / : أَن سعْدَ بنَ عبادة جعل يصيح يومئذ : يَالَلْخَزْرَج ثلاثاً ، وأُسيْدَ بن الحُضير يصيح : يَالَلْأَوْس ـ ثلاثاً فثابُوا من كلِّ ناحيةٍ كأَنهم النحل تأْوى إلى يعسوبها ، قال أَهل المغازى فحنق المسلمون

502ت

---

(1) وفى المغازى للواقدى 3 : 904 « من جاوز بعيرى فاقتله » .

(2) الإضافة عن المغازى للواقدى 3 : 903 .

على المشركين فقتلوهم حتَّى أَسرع[1] القتلُ فى ذرارى المشركين . فبلغ ذلك رسولَ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فقال : « ما بال أقوام بلغ بهم القتل حتى بلغ الذريّة ! ألا لا تقتل الذرية ، ألا لا تقتل الذرية » ثلاثا – فقال أُسَيْدُ بنُ الحُضَير : يا رسولَ الله ، أليس إنَّما هُم أولادُ المشركين ؟ فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : « أَلَيْسَ خِيَارُكُمْ أَوْلَادُ الْمُشْرِكِين ! كُلُّ نَسَمَةٍ تُولَدُ عَلَى الْفِطْرَة حَتَّى يُعْرِبَ عَنْهَا لِسَانُها ، فَأَبَوَاهَا يَهَوِّدَانِهَا أَوْ يُنَصِّرَانِهَا » .

قال محمد بن عمر : قال شيوخ ثقيف ، ما زالَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فى طلبنا ، فيما نرى – ونحن مولُّون حتى إنَّ الرَّجلَ منَّا ليدخلُ حِصْنَ الطَّائِفِ وإنه ليظن أنَّه على أثره ؛ من رعُبِ الهزيمة .

قال أنسُ بنُ مالكٍ كما رواه الإمام أحمد : كان فى المشركين رجلٌ يحمل علينا فيدقنا ويحطمنا ، فلمَّا رأى ذلك رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – نزل ، فهزمهم الله – تعالى – فولُّوا ، فقام رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – حين رأى الفتح ؛ فجعل يُجَاء بهم أُسَارى رجلٌ رجلٌ ، فيُبَايِعُونَه على الإسلام ، فقال رجلٌ من أصحابِ رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – إنّ علىَّ نذراً لئن جئ بالرَّجل الذى كان منذ اليوم يحطمنا لأضربَنَّ عُنُقَه فسكت رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – وجئ بالرجل فلما رأى رسولَ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال : يا نَبِىَّ الله تُبتُ إلى الله ، فأمسك رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – عن مبايعته ليوفى الآخذُ بنذره ، وجعل ينظرُ إلى رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – ليأمره بقتْله ، وهابَ رسولَ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فلما رأى رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم الرَّجُلَ لا يصنعُ شيئاً بايعه ، فقالَ : يَا رسولَ الله نَذْرِى ؟ قال : « لَمْ أُمسِكْ عَنْهُ إلاَّ لِتُوفى بِنَذْرِك » فقال : يا رسولَ الله ألا أومأتَ إلىّ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : إنه لَيْسَ لِنبِيٍ أن يُومِئ .

قالوا : وهزم اللهُ تعالى أعداءه منْ كلِّ ناحية ، واتبعهم المسلمون يقتُلُونَهم ، وغنَّمَهم اللهُ – تعالى – نساءهم وَذَرَارِيهم وأموالهم ، وفرَّ مالكُ بنُ عوفٍ حتَّى بلَغَ حِصْن

---

(١) فى رواية ابن عمر الواقدى فى المغازى ٣ : ٩٠٥ « حتى أسرع المسلمون فى قتل الذرية » .

الطَّائف . هو وأُناس من أَشراف قومه ، وأَسلم عند ذلك ناسٌ كثير من أَهل مكَّة حين رأَوا نصرَ الله – تعالى – رسولَه وإعزاز دينه .

قال ابن إسحاق : ولما هزم اللهُ تعالى المُشْركين من أَهل حُنَيْن ، وأَمكنَ رسولَ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – منهم ، قالت امراة من المسلمين – رضى الله عنها – وعنهم :

قَدْ غَلَبَتْ خَيلُ اللهِ خَيْلَ اللاَّتِ   واللهُ أَحَقُّ بالثَّبَاتِ[1]

ويُرْوَى : وخيله أَحقّ بالثبات .

زاد محمد بن عمر :

إن لنا ماءَ حنين فخلوه[2]   إن تشربوا منه فلَن تَعْلُوه

هذا رسول الله لن تغلوه

ورجع رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – من جهة المشركين بعد انهزامهم إلى العسكر ، وأَمر أَن يقتل كل من قدر عليه ، وثَابَ من انهزم من المسلمين .

روى البَّزار بسند رجالُه ثقات عن أَنس – رضى الله تعالى عنه – : أَن رسول الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – قال يوم حُنين : « اجْزُرُوهُم جَزْراً » وأَومأَ بيده إلى الحلْق .

قال محمد بن عمر : وذُكِر للنبي – صلَّى الله عليه وسلَّم /– أَن رَجُلاً كان بحُنيْن قاتل قتالاً شديدا ، حتَّى اشتدَّت به الجِرَاح ، قال : « إنَّه من أَهل النَّار » فارتاب بعض النَّاسِ منْ ذلك ، ووقع فى قلوب بعضهم مَا الله تعالى به أَعلم ، فلما آذته جراحتُه ، أَخذ مِشْقَصاً من كِنَانَتِه فانتحر به ، فأَمر رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – بِلالاً [أن][3] يُنادى : أَلا لَا يَدْخُل الجَنْةَ إلاَّ مُؤْمِن ، إنَّ الله – تَعَالَى – يُؤيِّدُ هَذَا الدِّين بالرَّجُلِ الْفَاجِرِ » .

٥٠٣ ت

---

(١) فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٤٩ « .. وخيله أحق بالثبات » .

(٢) كذا فى الأصول وفى المغازى للواقدى ٣ : ٩١٢ « وقالت إمرأة من خزاعة يوم حنين :

إن ماء حنين لنا فخلوه   إن تشربوا منه فلن تعلوه

هذا رسول الله لن يعلوه

(٣) إضافة عن المرجع السابق . ٣ : ٩١٧ .

قال محمد بن عمر : وأمر رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بطلب العدوِّ وقال لخيله : إن قدرتم[1] على « بِجَادٍ »[2] رجل من بنى سعد [بن بكر][3] فلا يفلتن منكم . وقد كان أحدث حدثاً عظيماً ، كان قد أتاه رجلٌ مسلم فأخذه فقطعه عُضْواً عُضْواً ثم حرَّقه بالنار ، وكان قد عرف جُرْمه فهرب فأخذته الخيلُ فضموه إلى الشيماء بنت الحارث بن عبد العُزَّى ، أخت رسول الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ من الرَّضَاعة ، وأتعبوها[4] فى السِّياق ، فتعبت الشَّيْمَاءَ بتعبهم ، فجعلت تقولُ : إنِّى والله أختُ صَاحبكم ، فلا يُصدِّقُونها ، وأخذها طائفةٌ من الأَنْصار ، وكانوا أشد النَّاس على هوازن ـ فأَتوْا بها إلى رسولِ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ فقالتْ : يا محمد !! إنى أُخْتُكَ . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « وَمَا عَلاَمَةُ ذَلِك ؟ فأَرتْه عضَّة بإِبْهَامِهَا ، وقالت : عضة عَضَضْتَنِيهَا وأنَا مُتَوَرِّكَتُكَ بوادى السِرَر[5] ونحنُ يومئذٍ نرعى البَهْم ؛ وأبوك أبى ، وأمك أمى ، وقد نازعْتُك الثَّدى ، وتذكَّرْ يا رسولَ الله حِلاَبى لك عنز أبيك أطلال ، فعرفَ رسولُ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ العَلاَمَة ، فوثب قائماً ، فبسَطَ رداءَه ، ثُمَّ قال : « إجْلِسِى عَلَيْه » ورحَّبَ بها ، ودمعتْ عيناهُ ، وسألها عن أُمِّه وأبيه[6] ، فأخبرته بموتهما فقال : « إنْ أَحْبَبْتِ فأَقِيْمِى عِنْدَنَا مُحَبَّبَةً مُكَرَّمَةً ، وَإنْ أَحْبَبْتِ أنْ تَرْجِعِى إلَى قَوْمِك وَصَلْتُكِ وَرَجَعْتِ إلَى قَوْمِك » ـ قَالت : بل أَرجعُ إلى قومى ـ فأَسلمت ، فأَعطاها رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ ثلاثة أعبد وجارية وأمر لها ببعير أو بعيرين[7] وقال لها : « ارجعى إلى الجِعْرانة تكونين مع قومك ، فأَنا أمضى إلى الطائف » فرجعت إلى الجِعْرانة ، ووافاها رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالجِعْرانة فأَعطاها نِعَماً وشَاءً ، ولمن بقى من أهل بيتها ، وكلمته فى بَجَاد أن يهبه لها ويعفو عنه ففعل ـ صلى الله عليه وسلم .

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) انظر قصة «بجاد» مع قصته والشيماء » فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٥٨ .

(٣) إضافة عن المرجع السابق ٢ : ٤٥٨ .

(٤) ورواية ابن اسحاق « سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٥٨ » « فعنفوا عليها فى السياق » ، وكذا فى الواقدى ٣ : ٩١٣ .

(٥) فى الأصول « السرى » وضبطت فى شرح الغريب بضم السين وكسرها والمثبت عن الواقدى ٣ : ٩١٣ تصويباً عن طبقات ابن سعد ٤ : ٦٩ – وهو واد على أربعة أميال من مكة ، (ياقوت معجم البلدان) .

(٦) كذا فى النسخ ماعداً (ص) ففيها « عن أمها وأبيها » ٢ : ٢٤١ .

(٧) وعند ابن اسحاق ٢ : ٤٥٨ « فزعمت بنو سعد أنه صلى الله عليه وسلم أعطاها غلاماً له يقال له « مكحول » وجارية فزوجت أحدهما الأخرى ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية » .

ذكر قتل دريد بن الصمة(1)

قال ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وغيرهما : لما هَزَمَ اللهُ - تعالى - هَوازِنَ أتوا للطَّائف ومعهم مالكُ بنُ عوف ، وعسكر بعضُهم بأَوْطَاس ، وتوجَّه بعضُهم نحو نَخْلَة بَنُو غِيرَة(2) منْ ثقيف ، فبعثَ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - خيلاً تتبع من سلك نخلة ولم تتبع من سلك الثَّنَايَا ، وأدرك ربيعةُ بنُ رُفَيْع بن أُهْبَان بن ثعلبة من بنى سُليم(3) دُرَيْدَ بنَ الصِّمة ، فأَخذ بخطام جمله ، وهو يظن أنَّه امرأة ، وذلك أنه فى شِجار(4) له ، فإذا هو رجل ، فأَناخ به وهو شيخ كبير ، ابن ستين ومائة سنة ، فإذا هو دُرَيْد ولا يعرفه الغُلاَمُ ، فقال له دُرَيْدُ : ما تريد ؟ قال : أَقتلك . قال : وما تُريد إلى المرتعش الكبير الفانى ؟ قال الفتى : ما أُريدُ إلاَّ ذاك ، قال له دُرَيْد : من أنت ؟ قال : أنا ربيعة ابن رُفَيْع السُّلَمى ، قال : فضربه فلم يغن شيئاً ، فقال دُرَيد : بئس ما سلَّحَتْك أُمك ، خذ سيفى من وراء الرحل فى الشِجَار ، فاضرب به وارفع عن العظم واخفض عن الدماغ(5) ، فإنى كذلك كنت أَقتلُ الرِّجال ، ثم إذا أَتيتَ أُمَّكَ فأَخبرها أنَّك قتلْتَ دُرَيْد بنَ الصِّمَّة ، فَرُبَّ يوم قد منعتُ فيه نساءَك . فزعمت بنو سليم أنَّ ربيعة [لما](6) / ضربه فوقع تكشف للموت فإذا عِجَانه(7) وبطون فخذيه مثل القِرْطَاسِ من رُكُوب الخيل ، فلمَّا رجع ربيعة إلى أُمه أَخبرها بقتله إيَّاه ، قالتْ : والله لقد أَعتق أُمَّهَاتٍ لك ثلاثاً فى غداة واحدة ، وجَزَّ ناصيةَ أَبيك ، فقال الفتى : لم أَشعر .

504 ت

ووقف مالك بن عوف على ثنِيَّة من الثَّنايا ، وشُبَّان أَصحابه ، فقال : قفوا حتَّى يمضى ضعفاؤكم وتلتئم إخوانكم . فبصر بهم الزُّبَيْر بن العوام - رضى الله عنه - فحمل

---

(1) انظر الخبر فى سيرة النبى لابن هشام 2 : 453 والسيرة الحلبية 3 : 129 والبداية والنهاية لابن كثير 4 : 337 .

(2) كذا فى الأصول . وفى مغازى الواقدى 3 : 914 « بنوعنزة » .

(3) ويقال له : ابن الدغنة ، وهى أمه فغلبت على اسمه ، ويقال : ابن لذعة فيما قاله ابن هشام (سيرة النبى لابن هشام 2 : 453 - البداية والنهاية لابن كثير 4 : 337) .

(4) الشجار : الهودج (هامش الواقدى 3 : 914) .

(5) وفى الواقدى 3 : 915 « وارفع عن الطعام واخفض عن الدماغ » .

(6) إضافة يقتضيها السياق .

(7) العجان : الدبر وقيل مابين القبل والدبر . (هامش الواقدى 3 : 915 وانظر شرح الغريب) .

عليهم حتى أهبطهم من الثنيّة ، وهرب مالك بن عوف ، فتحصن فى قصرٍ بليّة[1] ، ويقال دخل حصن ثقيف .

* * *

ذكر من استشهد[2] بحنين

أيمَن بن عُبيد الله بن زيد الخزرجي وابن أم أيمن ، وسُراقة بن الحارث الأنصارى ، ورُقَيْم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لَوْذَان ، وأبو عامر الأشعرى [أصيب][3] بأوطاس ، كما سيأتى فى السرايا ، ويزيد بن زمعة بن الأسْود جمح به فرسٌ يقالُ له الجناح فَقُتل . وٱستحرَّ القتلُ من ثقيف فى بنى مالك ؛ فَقُتِلَ منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم ، فيهم عُثمان بن عبد الله بن الحارث ، وكانت رايتهم مع ذى الخِمَار[4] ، فلما قتل أخذها عثمانُ بنُ عبد الله ، فقاتل حتّى قُتل ، ولمّا بلغ رسول اللهِ ـ صلى الله عليه وسلّم ـ قتلُه ، قال : « أَبْعَدَه الله ، فإنّه كَانَ يُبْغِضُ قُرَيْشًا .

وروى البيهقىُّ عن عبد الله بن الحارث عن أبيه قال : قُتِلَ من أهل الطَّائف يوم حُنَيْن مثل مَنْ قُتل يَوْمَ بدر .

* * *

ذكر عيادته ـ صلى الله عليه وسلم ـ خالد بن الوليد رضى الله عنه ـ من جرح اصابه

وروى عبد الرَّزاق ، وٱبن عساكر عن عبد الرحمٰن بن أزهر ـ رضى الله عنه ـ قال : كان خالدُ بنُ الوليد جُرِحَ يوم حُنَيْن ، وكانَ على خيْلِ رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فجُرِحَ يومئذ ، فلقد رأيتُ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بعد ما هزمَ اللهُ تعالى الكفارَ ، ورَجَعَ المسلمونَ إلى رِحَالِهِم ـ يَمْشِى فى المسلمين ويقول : « مَنْ يَدُلُّنِى عَلَى رَحْلِ خَالد بن الوليد ؟ » فأُتِىَ بشارب فأمر مَنْ عنده فضربُوه بما كان فى أيديهم ، وحَثَا عليه التُّراب .

---

(١) لية : من نواحى الطائف (معجم البلدان ٧ : ٣٤٨) .

(٢) انظر من استشهد من المسلمين يوم حنين فى السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٤٥٩ ، والمغازى للواقدى ٣ : ٩٢٢ .

(٣) الإضافة عن المغازى للواقدى ٣ : ٩٢٢ .

(٤) هو عوف بن الربيع كما فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٥٠ هامش . وفى شرح الغريب اسمه سبيع بن أبى الحارث ابن مالك لم يعلم له إسلام .

قال عبد الرحمن : فمشيتُ ، أو قال : سعيتُ بين يدى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأنا غلامٌ محتلم ، أقولُ : من يدل على رحل خالد ، حتَّى دُلِلْنَا عليه ، فإذَا خالد مستندٌ إلى موخّرة رحله ، فأتاه رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فنظر إلى جُرحه ، فتفل فيه فبرأ ـ رضى الله تعالى عنه ـ .

* * *

ذكر بركة يده ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى برء جرح عائذ بن عمرو ـ رضى الله عنه

روى الحاكم ، وأبو نُعَيم ، وابن عساكر عن عائذ بن عمرو ـ رضى الله عنه ـ قال : أَصابتنى رميةٌ يوم حُنَيْن فى جبهتى ، فسال الدَّمُ عن وجْهى وصدرى ، فسلَتَ النبيُّ ـ صلى اللهُ عليه وسلَّم ـ الدَّمَ بيده عن وجهى وصدْرى إلى ثُنْدُوَتِى ، ثمَّ دعا لى . قال حشرجُ والدُ عبد الله : فرأينا أثرَ يَدِ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلَّم ـ إلى مُنتهى ما مسح من صدره ، فإذا غُرَّة سابلة كغرَّة الفرس .

* * *

ذكر بركة يده ـ صلى الله عليه وسلم فى الماء بحنين

روى أبو نُعيم عن سلمة بن الأكوع ـ رضى الله عنه ـ قال : غزونَا مع رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ هوازن فأصابنا جهدٌ شديد ، فدعا بنطفة من ماء فى إدَاوَة ، فأمر بها فصبت فى قدح فجعلنا نَطَّهَّرُ به حتَّى تَطَهَّرنا جميعاً .

* * *

ذكر نهيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن قتل النساء يوم حنين(١)

روى الإمام أحمد ، وأبو داود عن رَبَاح بن رَبيع ـ رضى اللهُ عنه / ـ أنه خرج مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فى غزوة غزاها وعلى مقدمته خالدُ بنُ الوليد ، فمرَّ رَبَاح وأصحابُ رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على امرأة مقتولة مما أصابت المقدِّمة ، فوقفوا ينظرون إليها ، يعنى ويعجبون من خلقها ـ حتَّى لحقهم رسولُ اللهِ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ على راحلته ، فأنفرجوا عنها . فوقف عليها رسولُ الله ـ صلَّى اللهُ عليه

٥٠٠ ت

---

(١) وانظر ذلك أيضاً فى البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٣٧ .

وسلَّم ـ فقال : « مَا كَانَتْ هَذِه لِتُقَاتِل » فقال لأحدهم : « الْحَقْ خَالِداً وَقُلْ لَه لَا تَقْتُل ذُرِّيَّةً وَلَا عَسِيفاً .

* * *

ذكر قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم حنين أنا ابن العواتك

روى الطَّبَرَانِيُّ عن سَيَابة[1] بن عاصم السُّلَمى ـ رضى الله عنه ـ أَنَّ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال يوم حنين : « أَنَا ابْنُ الْعَوَاتِك »[2]

* * *

ذكر قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم حنين من قتل كافرا فله سلبه

روى ابنُ أَبِى شيبة ، والإمام أحمد ، وابن حبان عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « مَنْ قَتَلَ قَتِيْلاً[3] فَلَهُ سَلَبُه » قال : فقتل أبو طلحة يومئذٍ عشرين رجُلا وأخذ أَسْلاَبهم .

وقال أبو قتادة : يا رسولَ الله إِنِّى ضربتُ رجلاً على حَبْلِ عاتقه ، وعليه درع فأُجْهضْت عنه فانظر فى أخذها ، فقام رجلٌ قال محمد بن عمر : اسمه أَسود بن خُزَاعى الأَسلمى ، حليف بنى سلمة ـ كذا قال وفى الصحيح كما سيأْتى : أنه قرشى ، فقال : يا رسولَ الله : أنا أخذتها فأَرضه منها وأعطنيها ، قال : وكان رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لا يُسْأَل شيئاً إلاَّ أعطاه ، أَو سكت ، فسكتَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال عمر : والله لا يغنها اللهُ تعالى على أَسدٍ مِنْ أُسْدِ الله ـ تعالى ـ ويُعْطِيكَهَا ، فقال رسولُ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : « صَدَقَ عُمَر » .

وروى الشيخان ، وأَبو داود ، والتِّرمذى ، وابن ماجة عن أَبى قتادة الحارث بن رِبْعِى ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : خرجْنَا مع رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عام حُنَيْن ،

---

(١) وكذا فى الأصول وفى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٢٢ « عن شبابة » عن عاصم السلمى » وشبابة هو ابن سوار الفزارى أبوعمرو المدائنى .

(٢) فى هامش «ت» قال هشيم أحد رواته « وسئل عن العواتك فقال : أمهات كفء له من قيس . قال أبو عمرو يعنى جدات لآبائه وأجداده .

(٣) ورواية الإمام أحمد فى البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٢٧ « من قتل كافراً فله سلبه » ويتفق ابن اسحاق فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٤٨ مع الأصل .

فلما ألتقينا كانت للمسلمين جَوْلة. فرأيتُ رجلاً من المشركين قد علا رجلا من المسلمين.
وفى رواية نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلا من المشركين وآخر من المشركين يَخْتِلُه[1] فضربتُه مِنْ ورائه على حبل عاتقه بالسيف فقطعتُ الدِّرع، وأقبل علَّ فضمَّنِى ضَمَّةً، وجدت منها ريح الموت، ثمّ أدركه الموت، فأرسلنى، فلحقتُ - وفى روايةٍ - فلقيت عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فى النَّاس الَّذين لم يُهْزَمُوا، فقلتُ: ما بال النَّاس؟ قال: أمر الله تعالى، فرجعوا وجلس رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم فقال: «مَنْ قَتَل قَتيلاً لَه عَلَيْه بَيِّنَةٌ فَلَه سَلَبُه» فقمتُ فقلتُ: مَنْ يشهد لى؟ ثُمَّ جلستُ، فقال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - مثله. فقمتُ فقلتُ: من يَشْهد لى؟ ثُمَّ جلستُ، فقالَ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلَّم - مثله، فقال: «مَالَكَ يَا أَبَا قَتَادَة؟» فأخبرته.

وذكر محمد بن عمر: أنَّ عبد الله بن أنيس شهد له فقال رجلٌ: صَدَق سَلَبُه عندى فأَرْضِهِ منى - أو قال مِنِّيَه - فقال أبوبكر: لا هاالله إذًا، لا تعمد إلى أَسَدٍ من أُسْدِ الله تعالى يقاتل عن الله - تعالى - ورسوله فيعطيك سلبه! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «صدق فأعطه إياه فأعطانيه، وعند محمد ابن عمر فقال لى حاطب بن أبى بلتعة: يا أبا قتادة، أتبيع السلاح؟ فبعته بسبع / أواقٍ، فابتعت به مَخْرفًا، وفى رواية: خِرَافاً فى بنى سَلِمَة، فإنَّه لأَوْلُ مالٍ تأَثَّلْتُه، وفى روايةٍ: اعتقبته - فى الإسلام، زاد محمد / بن عمر يقال له الرُّدَيْنِىّ[2] قال فى البداية فى الرواية السابقة عن أنس: إن عمر قال ذلك، وهو مُسْتَغْرب، والمشهور أن قائل ذلك أبو بكر كما فى حديث أبى قتادة، وقال الحافظ: الراجح أن الذى قال ذلك أبو بكر كما رواه أبو قتادة، وهو صاحب القصة، فهو أتقن لما وقع فيها من غيره، قالا: فلعل عمر قال ذلك متابعةً لأبى بكر ومساعدةً له، وموافقة، فاشْتبه على الراوى.

٥٠٦ت

٢٨٨ / ٢

(١) وانظر رواية ابن اسحاق فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٤٨، ورواية البخارى فى البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢٣٩ ففيها تفصيل.

(٢) فى المغازى للواقدى ٣ : ٩٠٩ «فاشتريت مخرفاً فى بنى سلمة يقال له الرديني» والمخرف هو الحائط من النخل - النهاية ١ : ٢٨٩.

قال العلماء : لو لم يكنْ من فضيلةِ أبي بكر الصدِّيق - رضى الله عنه - إلاَّ هذا [لكفى][1] فإنَّه بثاقب علمه ، وشِدَّة صرامته ، وقوَّة إنصافه ، وصحَّةِ توفيقه ، وصدق تحقيقه بادر إلى القوْلِ بالحقّ ، فزجر ، وأفتى ، وحكم ، وأمضى ، وأخبر فى الشَّريعة عن المصطفى بحضرته وبين يديه ، وبما صدَّقه فيه وأجراه على قوله .

وروى البخارى عن سلمة بن الأكوع - رضى الله عنه - قال : غزونا مع رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - هوازن فبينما نحن نتضحى مع رسولِ الله - صلى الله عليه وسلَّم - إذْ جاءَ رجلٌ على جملٍ أحمر ، فأناخه ، ثم انتزع طلقا من حقبه فقيَّد به الجمل ، ثم تقدم فتغدَّى مع القوم وجعل ينظر وفينا ضعفة ورقَّة من الظهر ، وبعضُنَا مُشاة ، إذْ خرج يشتد فأتى الجمل فأطلق قيده ، ثم أناخه ثم قعد عليه فاشتد به الجمل واتبعه رجلٌ من أسلم من أصحابِ رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - على ناقة ورقاءَ ، وفى روايةٍ : أتى عين من المشركين إلى رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وهو فى سفر ، فجلس عند أصحابه يتحدث . انتهى . ثم انفتل ، فقالَ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - : « اطْلُبُوه وَاقْتُلُوه » قال سلمة : وخرجتُ أشتَدُّ فكنتُ عند وَرِك الناقة ، ثم تقدمت حتَّى كنتُ عند ورك الجمل ، ثم تقدَّمت حتَّى أخذت بخطامِ الجمل ، فأنختُه ، فلمَّا وضع ركبته على الأرض ، اخترطت سيفى فضربتُ رأس الرجل فَنَدر ، ثمَّ جئتُ بالجمل أقُوده عليه رحله وسلاحه ، فاستقبلنى رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - والناسُ معه ، فقال : « مَنْ قَتَلَ الرَّجُل » ؟ قالوا : ابن الأكوع ، قال : « لَه سَلَبُه أجْمَع » .

* * *

ذكر جمع غنائم حنين

لما انهزم القومُ أمر رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم بالغنائم أن تُجْمع ، ونادى مناديه : من كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فلا يَغُلّ ، وجعل الناسُ غنائمهم فى موضع حيث[2] استعمل عليها رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم .

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) كذا فى الأصول ، وفى المغازى للواقدى ٣ : ٩١٨ « حتى استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها » .

وروى الحاكم بسندٍ صحيح عن عبادةَ بن الصّامت ـ رضى الله عنه ـ قال : أَخَذَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يومَ حُنَيْن وَبَرَةً من بعير ، ثم قال : « يا أَيُّها النَّاس ، إنَّه لَا يَحِلُّ لى مِمَّا أفاءَ الله ـ تعالى ـ عَلَيْكم قَدْرَ هذه إلاَّ الخُمُس ، والخُمُسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُم ، فَأَدُّوا الْخَيْطَ والمَخِيْط ، وَإِيَّاكُم والغلول فإنَّه عارٌ على أَهْلِه يَوْمَ الْقِيَامة » وذكر الحديث .

وكان عقيل بن أَبى طالب دخل على زوجته[1] وسيفُه ملطَّخٌ بدم ، فقالت : إنِّى علمتُ أنَّك قاتلتَ اليومَ المشركين ، فماذا أَصبْتَ من غَنَائمهم ؟ فقال : هذه الإِبرة ، تخيطين بها ثيابك ، فدفعها إليها ، ثم خرج فسمع مُنَادِىَ رسولِ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ يقولُ : من أَصابَ شيئاً من المَغْنَمِ فليردّه ، فرجع عقيل إلى امرأته وقال : والله ما أَرى إبرتك إلا قد ذهبت منك ، فأَخذها فأَلقاها فى المغانم .

وجاءَ رجلٌ[2] بِكُبَّةٍ من شعر فقال : يا رسولَ الله أَضْربُ بهذه برذعة لى : فقال رسولُ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ : « أَمَّا ما كَان لِى وَلِبَنِى عَبْد المطَّلب / فَهُو لَكَ » . ٥٠٧ت

وأَتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الناس يوم حنين فى قبائلهم يدعوهم وأنه ترك قبيلة من القبائل وجدوا فى بَرْذَعَة رجلٍ منهم عِقْداً من جَزَعٍ غُلولاً ، فأَتاهم رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فكَبَّر عليهم ، كما يُكَبِّر على الميت .

وأَصابَ المسلمون يومئذٍ السَّبايا ، فكانُوا يكرهون أن يقعُوا عليهنَّ ولهنَّ أَزواج فسأَلُوا رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عن ذلك ، فأَنزل الله تعالى ﴿ والمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم ﴾[3] وقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ يومئذ : « لا توطأُ حاملٌ من السَّبْى حتّى تضع ، ولا غير ذات حمل حتّى تحيض » .

---

(١) وهى فاطمة بنت شيبة بن ربيعة (البداية والنهاية لابن كثير ٢ : ٤٩٢) وفى المغازى للواقدى ٣ : ٩١٨ : فاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة .

(٢) فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٩٢ « فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط » والكبة : ماجمع من غزل (لسان العرب) .

(٣) سورة النساء آية ٢٤ .

ولمَّا جُمعت الغنائم أمر رسولُ اللهِ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ أن تنحدر إلى الجعْرانة ، فوقف بها إلى أن انصرف رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من حصار الطائف .

قال ابن سعد وتبعه فى العيون : كان السَّبى ستة آلاف رأس ، والإبل أربعة وعشرين ألف بعير ، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أُوقية فضة .

وروى الطَّبرانى عن بُدَيْل ـ بموحدة مضمومة فدال مهملة فتحتية ساكنة فلام ، بن وَرْقَاء ـ رضى الله تعالى عنه ـ : أنَّ رسولَ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ أمر أن تحبس السَّبايا والأَموال بالجعرانة حتَّى يقدم فحبست .

قال ابن إسحاق : وجعل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على الغنائم مسعود بن عمرو الغِفَارى ، وروى عبد الرَّزَّاق عن سعيد بن المسيَّب قال : سبى رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلَّم ـ يومئذ سِتَّة آلاف سَبْيٍ بين امرأة وغلام ، فجعل عليهم رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أبا سفيان بن حرب . وقال البلاذرى : بُدَيْل بن ورقاء الخزاعى ـ والله تعالى أعلم .

* * *

ذكر صلاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ الظهر بحنين وحكومته بين عُيَيْنَة بن حصن والأقرعِ بن حابس فى دم عامر بن الأضبط الأشجعى الذى قتله مُحَلِّم بن جثامة كما سيأتى

نقل محمد بن إسحاق ، ومحمد بن عمر عن شيوخه قالوا : صلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الظهرَ يوماً بحُنَيْن ثم تَنَحَّى إلى شجرة فجلس إليها ، فقام إليه عُيَيْنَةُ ابنُ حِصْن يطلب بدم عامر بن الأَضْبَط الأَشجعى وهو يومئذ سيد قيس ومعه الأَقْرَعُ ابن حَابِس يدفع عن مُحَلِّم بن جَثَّامَة لمكانه من خِنْدِف فاختصما بين يَدَىْ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعُيَيْنَه يقول : يا رسول الله ، والله لا أَدَعُه حتى أُدْخِلَ على نسائِهِ من الحَرَب والحُزْن ما أَدْخل على نسائى ، فقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم : « تأخذ الدِّيةَ ؟ » فأَبى عُيَيْنة حتَّى ارتفعت الأَصواتُ وكَثُر اللَّغط ، إلى أن قام رجلٌ من بنى

ليث يُقال له مُكَيْتِل – قصير مجتمع عَلَيْه شِكَّة[1] كاملة ودرقة[2] فى يده فقال : يا رسولَ الله ، إنِّى لم أجد لما فعل هذا شبهاً فى غُرَّةِ الإسلام إلا غنماً وردت فَرُمِىَ أَوَّلُها فَنَفر آخرها . فاسنن اليوم وغيره غدا[3] فرفع رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يده [وقال][4] تقبلُونَ الدِّيَة خَمْسِين فِى فَوْرِنا هذا ، وَخَمْسِين إذَا رَجَعْنَا إلى المَدِينَة » فلم يزل رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – [بالقوم][4] حتَّى قبلوا الدِّيَة وفى رواية : فقام الأَقرع ابنُ حابسٍ فقال : يا معشر قُريش ، سأَلكم رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قتيلا تتركونه ليصلح به بين الناس فمنعتموه إياه ، أَفأَمنتم أَن يغضب عليكم رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فيغضب اللهُ – تعالى عليكم – لغضبه ، أَو يلعنكم رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فيلعنكُم الله تعالى بلعنته/ ، والله لتسلمنه إلى رسولِ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم – أو ليأتين بخمسين من بنى ليث كلهم يشهدون أَنَّ القتيل ما جُلِّىَ قط فلأُبطلن دمه . فلما قال ذلك [قبلوها][5] . ومحلِّم القاتل فى طرف الناس ، فلم يزالوا يُؤَزِّونَه ويقولون : إِئت رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يستغفر لك ، فقام محلم وهو رجل ضَرْبٌ طويل آدم محمر بالحناء عليه حُلَّة قد كان تهيأً فيها للقتل للقصاص ، فجلس بيْنَ يَدَىْ رَسُولِ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – وَعَيْنَاه تدمعان ، فقال : يارسولَ الله ، قد كان من الأَمر الذى بلغك وإنى أَتوبُ إلى الله ، فاستغفر لى ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم – «مَا اسْمُكَ»؟ قال : أَنا مُحَلِّم بن جَثَّامة . فقال «أَقَتَلْته بسلاحك فى غُرَّة الإسلام ؟ ! اللهم لا تغفر لمحلِّم» بصوت عالٍ يُنْفِذُ به[6] النَّاسَ ، قال فعاد مُحَلِّم فقال : يا رسولَ الله ، قد كان الَّذى بلغك ، وإنى أَتوبُ إلى الله فاستغفر لى ، فعاد رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لمقالته بصوت عالٍ ، يُنْفِذُ به النَّاسَ « اللَّهُمَّ لاَ تَغْفِر لمُحَلِّم بن جُثَامة » حتَّى كانت الثالثة ،

٥٠٨ ت

---

(١) الشكة : السلاح (الصحاح) .

(٢) الدرقة : الترس (محيط المحيط) .

(٣) وفى المغازى للواقدى ٣ : ٩٢٠ « فرميت أولاها فنفرت أخراها ، فاسنن اليوم وغير غدا » وجاء فى التعليق بالهامش « أى اعمل بسنتك التى سننتها فى القصاص . ثم بعد ذلك إذا شئت أن تغير فغير . (النهاية ٢ : ١٨٦) .

(٤) سقط فى الأصول والإثبات عن المغازى للواقدى ٣ : ٩٢٠ .

(٥) بياض الأصول ، والإثبات عن المغازى للواقدى ٣ : ٩٢٠ .

(٦) فى المغازى للواقدى ٣ : ٩٢٠ « يتفقد به الناس » والمثبت فى كل الأصول ، وشرح الغريب .

فعادَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لمقالته ، ثم قال له رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم «قُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَىَّ» فقام من بين يَدَىْ رَسُولِ اللهِ — صلَّى اللهُ عليه وسلَّم — وهو يتلقَّى دمْعَه بفَضْل رِدَائه ، فكانَ ضمرة السلمى يحدث — وقد كان حضر ذلك اليوم — قال : كنا نتحدث فيما بيننا أن رسولَ اللهِ — صلَّى اللهُ عليه وسلَّم — حرَّك شفتيه بالاستغفار له ، ولكنه أراد أن يُعلم النّاسَ قَدْرَ الدمِّ عنْدَ الله تعالى .

* * *

ذكر البشير الذى قدم المدينة بهزيمة هوازن

روى محمد بن عمر عن داود بن الحصين قال : كان بشير رسول الله — صلَّى الله عليه وسلَّم — إلى أهل المدينة بِفَتْح اللهِ — تعالى — عليه وهزيمة هوَازِن ، نَهِيك بن أوس الأشهلى ، فخرجَ فى ذلك اليوم مُمْسِيًا ، فأخذ فى أَوْطَاس حتىَّ خرج على غَمْرة ، فإذا الناس يقولون هُزِمَ محمد هزيمةً لم يهزم هزيمةً مثلها قط ، وظهر مالك بنُ عوف على عسكره ،قال : فقلتُ : الباطلَ يقولون ، واللهِ لقد ظَفَّرَ الله — تعالى — رسولَه صلَّى الله عليه وسلَّم وغنَّمه نساءَهُم وأبناءَهم . قال : فلم أزل أطأُ الخبر حتى انقطع بمَعْدِن بنى سُلَيْم أو قريباً منها ، فقدمتُ المدينة وقد سرتُ من أوّل أوطاس ثلاث ليال وما كنت أُمسى على راحلتى أكثر مما كنت أركبها فلما انتهيتُ إلى المصلَّى ناديت : أبشروا يا مَعْشَرَ المسلمين بسلامة رسولِ اللهِ — صلَّى اللهُ عليه وسلَّم — والمسلمين ، ولقد ظَفَّرَه اللهُ — تعالى — بهوازِن ، وأوقع بهم ، فسَبَىَ نساءَهم ، وغَنَمَ أموالهم ، وتركت الغنائِم فى يديه تجمع ، فاجتمع النَّاسُ يحمدونَ الله — تعالى — على سَلَامَةِ رسولِ الله — صلَّى اللهُ عليه وسلَّم — والمسلمين ، ثم انتهيت إلى بيوت أزواج النَّبى — صلَّى اللهُ عليه وسلَّم — فأخبرتهن ، فحمدن الله — تعالى — على ذلك .

قال وكانت الهزيمة الأُولى التى هزم المسلمون ذهبت فى كلِّ وجه حتى أكذَب اللهُ — تعالى — حديثهم .

* * *

ذكر ما أنزل الله تبارك وتعالى فى شأن هذه الغزوة

قال الله عز وجل يُذَكِّر المؤمنين فضله عليهم وإحسانه لديهم ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِى مَوَاطِنَ ﴾[1] للحرب ﴿ كَثِيرَةٍ ﴾ كبدر وَقُرَيْظَة والنَّضِير ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ يَوْمَ حُنَيْن ﴾ وادٍ بين مكَّة

(١) الآيات ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ من سورة التوبة .

والطَّائف ، أى يوم قتالكم فيه هوَازن ، وذلك فى شوال سنة ثمان ﴿ إِذْ ﴾ بدل من يوم ، ﴿ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾/ ـ فقلتم : لن نُغْلبَ اليومَ مِنْ قِلَّة ، وكانوا إثنى عشر ألفاً ، والكفار أربعة آلاف ـ كذا جزم به غيرُ واحد ، وجزم الحافظ وغيره بأَنَّهم كانوا ضعف عدد المسلمين ، وأكثر من ذلك كما سيأتى ، فعلى هذا كان المشركون أربعةً وعشرين ألفاً ، ﴿ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْض بِمَا رَحُبَتْ ﴾ ما مصدرية أى مع رحبها أى سعتها . فلم تجدوا مكاناً تطمئنون إليه لشدَّة ما لحقكم من الخوف ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرِينَ ﴾ منهزمين وثبت النبيُّ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ على بغلته البيضاء ، وليس معه غير العباس ، وأبو سُفيان آخذٌ بركابه ، ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ ﴾ طمأْنينته ﴿ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فردوا إلى النبى لَما ناداهم العباسُ بإذنه وقاتلوا ﴿ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا ﴾ ملائكة ﴿ وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بالقتل والأَسر ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾ منهم بالإسلام ﴿ والله غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

٢٩٠ / ٢

* * *

ذكر ما قيل فى هذه الغزوة من الشعر

قَالَ عباس بن مِرداس الْسُّلمى يذكر قَارَب بن الأَسود وفرازه من بنى أَبيه،وذا الْخِمَار وَحَبْسه[1] قومه للموت .

أَلاَ مَنْ مُبْلغ غَيْلاَن عَنىً ... وَسَوْفَ إِخَالُ يَأْتِيهِ الْخَبِيرُ[2]

وَعُرْوَةَ إِنَّمَا أَهْدَى جَوَابًا ... وَقَوْلا غَيْرَ قَوْلِكُمَا يَسِيرُ

بأَنَّ محمدًا عبدٌ رسولٌ ... لربٍّ لا يَضِلُّ ولا يَجُورُ

وَجَدْنَاهُ نَبِيًّا مثلَ مُوسَى ... فكل فتى يُخايره مَخِيرُ

وَبِئْسَ الأَمْرُ أَمرُ بنى قَسىٍّ ... بِوَجٍّ إِذَا تُقُسِّمَت الأُمُور

أَضَاعُوا أَمْرَهُمْ وَلِكُلِّ قَوْم ... أَمِيرٌ والدَّوَائِرُ قَدْ تَدُورُ

فَجِئْنَا أُسْدَ غابات إليهم ... جنودَ الله ضَاحِيَةً تَسِيرُ

تَؤُمُّ الْجَمْعَ جَمْعَ بَنى قِسِىٍّ ... عَلَى حَنَق نَكَادُ لَهُ نَطِيرُ

(١) فى البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٣٥ « وحبسه نفسه وقومه للموت » وانظر أيضاً سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٥١ .

(٢) وردت القصيدة فى المرجعين السابقين .

وأَقْسِـمُ لَـوْ هُمُـو مكثوا لَسِرْنَا ... إليهم بالجنـودِ وَلَمْ يَغُـورُوا

فـكنا أُسْـدَ لِيَّـة ثَمَّ حَـتَّى ... أَبَحْنَـاهَا وأَسـلمت النُّصُـور

ويومٌ كانَ قَبْـلُ لَـدَى حُنَـيْنٍ ... فأَقْـلع والـدماءُ بـه تَمُـورُ

مِنَ الأَيَّام لَـمْ تَسْمَـعْ كَيَـوْم ... ولم يَسْمَـعْ بِهِ قَـوْمٌ ذُكُور

قَتَلْنَـا فى الْغُبَـارِ بَـنِي حُطَيْطٍ ... عَـلَى رَايَاتِهَـا والخيـلُ زُورُ

ولم تَـكُ ذُو الْخِمَـارِ رَئِيسَ قَـوْم ... لهـم عقـلٌ يُعاقَـبُ أَو نَكِيرُ

أَقَامَ بهـم عـلى سَنَن المنـايا ... وَقَـدْ بَانَـتَ لمبصـرها الأُمُـورُ

فأَفلت من نجـا منهم حَرِيضـاً ... وَقُتِّـلَ منهـمُ بَشَـرٌ كَثِـيرُ

ولا يُغْـنِى الأُمورَ أَخُـو التَّـوانِى ... وَلَا الْغَـلِقُ الصُّـرَيِّرَةُ الْحَصُورُ

أَمَانَهُـمُ وحَـانَ وَمَلَّـكُوهُ ... أُمُـورَهُمُ وَأَفْلَتَـتْ الصُّقُورُ

بنو عَـوْفٍ تمِيـجُ بهم جيَـادٌ ... أُهِـينَ لَهَـا الْفَصَافِـصُ وَالشَّعِيرُ

فَـلولا قَارِبٌ وبنـو أَبيـه ... تُقسَّمَـت المزارِعُ وَالْقُصُـورُ

ولـكِنَّ الرياسَـة عُمِّمُـوهَا ... عَـلَى يُمْـنٍ أَشَـارَ بِهِ الْمُشِيرُ

أَطَاعُـوا قاربًا ولهـم جُـدُودٌ ... وأَحْـلامٌ إلى عـزٍّ تَصِـيرُ

فإِنْ يُهْـدَوا إلى الإِسلام يُلْـفَوا[1] ... أُنُـوفَ النَّـاسِ ما سَمَرَ السَّمِيرُ

وإِن لم يُسْـلِمُوا فهـم أَذَانٌ ... بِحَـرْبِ اللهِ ليسَ لَهُـمْ نَصِيرُ

كما حَـكَّـتْ[2] بَنِي سَعْدٍ وَحَرْبٍ ... بِرَهْـطِ بَـنى غَـزِيَّة عَنْقَفِـيرُ

كَـأَنَّ بَـنى مُعَاوِيَةَ بن بَـكرٍ ... إلى الإِسْـلَامِ ضَائِنَـةٌ تَخُـورُ

فَقُلْنَـا أَسْلِمُوا إنَّا أَخُـوكم ... وقـد بَرِئَـت من التِّرَة[3] الصُّدُورُ

كـأَنَّ الْقَـوْمَ إذْ جاءُوا إلينـا ... من البغضـاءِ بعـد السِّلمِ عُـورُ

٥١٠ت /وقال بجير بن زهير بن أَبى سلمى :

لـولا الإِلَـهُ وَعَبْـدُهُ وَلَّيْـتُمْ ... حين استخفَّ الرُّعْبُ كلَّ جَبَـان

بالْجِـزْع يـومَ حيالنـا أَقرانُنَـا ... وسَـوابحٌ يَـكبُـونَ لِلأَذْقَان

---

(١) فى ت ، م « يبقوا » .

(٢) فى البداية والنهاية لابن كثير « حكمت » .

(٣) فى المرجع السابق « الإحن » .

من بين ساع ثَوْبُه فى كَفِّهِ وَمُقَطَّر بسنابِكٍ وَلَبَانِ

والله أكرمَنَا وَأظْهَرَ دِينَنَا وأعَزَّنَا بِعِبَادَة الرَّحْمٰنِ

والله أهلكَهم وَفَرقَ شَمْلَهُم وَأذَلهُم بعبادَةِ الشيطانِ

«قال ابن هشام[1] وَيَرْوِى فيها بعض الرُّواة» .

إذْ قَامَ عَمُّ نَبِيِّكُم وَوَلِيُّه يَدْعُونَ يا لِكَتِيبَةِ الإيمانِ

أيْنَ الذِينَ هُمُ أجَابُوا رَبهم يَوْمَ الْعُرَيْضِ وَبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ

«وقال عباس بن مِرداس :

فَإنِّى وَالسَّوَابحُ يَومَ جَمْع وَمَا يَتْلُوا الرسُولُ مِنَ الْكِتَابِ[2]

لَقَدْ أحْبَبْتُ مَا لَقِيَتْ ثَقِيفٌ بِجَنْبِ الشِّعْبِ أمْسِ مِن الْعَذَابِ

هُمُ رَأْسُ الْعَدُوِّ مِنَ اهْلِ نَجْدٍ فَقَتْلُهُمُ ألَذُّ مِنَ الشَّرَابِ

هَزَمْنَا الْجَمْعَ جَمْعَ بَنِي قَسِيٍّ وَحَكَّتْ بَرْكَهَا بِبَنِى رِئَابِ

وَصِرْمًا مِنْ هِلَال غَادَرَتْهم بِأوْطَاسٍ تعفرُ فى التُّرَابِ

وَلَوْلَاقَيْن جَمْعَ بَنِي كِلَابٍ لَقَامَ نِسَاؤُهُمْ والنَّقْعُ كابى

رَكَضْنَا الْخَيْلَ فِيهِمْ بَيْنَ بسٍّ[3] إلَى الأوْراد تَنْحِطُ[4] بالنِّهَابِ

بِذِى لَجَبَ رَسُولُ الله فِيهِمْ كَتِيبَتُهُ تَعَرَّضُ للضِّرَابِ

«وقال عباس بن مِرْداس أيضاً» .

يَا خَاتِمِ النُّبَّاءِ إنَّكَ مُرْسَلٌ بِالْحَقِّ كُلُّ هُدى السَّبِيل هداك[5]

إنَّ الإلَه بَنى عَلَيْكَ محبَّةً فى خَلْقِهِ ومُحمَّدًا سمَّاكَا

إنَّ الَّذِينَ وفَوا بِمَا عاهَدْتَهُم جُنْدٌ بعثْتَ عَلَيْهمُ الضَّحاكَا

---

(١) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٦٠ .

(٢) وردت القصيدة فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٦٠ والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٤٠ .

(٣) البس : بفتح الباء : الجهد والطلب أو الزجر – وبضم الباء : جبل قرب ذات عرق وأرض لبنى نصر بن معاوية ، وبيت لغطفان – وانظر القاموس المحيط .

(٤) تنحط : النحيط هو الزفير ، وداء فى صدور الخيل والإبل . والنحط صوت الخيل من الثقل والإعياء كالنحيط (القاموس المحيط) .

(٥) وردت القصيدة فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٦١ والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٤١ .

/ رجـلا بِهِ درب السِّلاح كَـأَنَّه   لَمَّـا تَـكَنَّفَـهُ الْعدُوُّ يـراكَـا
يغْشَى ذَوِى النَّسـب الْقَريب وإنَّما   يبْـغِى رضَى الرَّحْمٰنِ ثُمَّ رضَـاكا
أُنبِيـكَ أَنِّى قَـدْ رأَيْتُ مـكَرَّهُ   تَحْتَ الْعجاجـة يـدْمغُ الإِشْراكَا
طَـوْلا يُعانِـقُ بِالْيـديْنِ وتَارةً   يفْـرى الْجماجـم صارِمًا بتَّـاكَا
[يغشى به هـام الْكماة ولو ترى   منـه الذى عاينت كان شـفاكاً]
وبنُو سُـلَيْم مُعْنِقُـونَ أَمامـه   ضَـرْبًا وطَعْنًـا فى الْعـدُوِّ دِراكَـا
يمْشُونَ تَحْـتَ لِـوائِهِ وكَأَنَّهُـمْ   أُسْـدُ الْعرِينِ أَردْنَ ثَـمَّ عِـراكَا
ما يرْتَجُـونَ مِنَ الْقَـريبِ قَرابةً   إلاَّ بِطَـاعـةِ ربِّهِـم وهـواكَا
هَذِى مشاهِدُنَا الَّتِى كَانَـت لَنَـا   معْـرُوفَـةٌ ووليُّنَـا مـوْلاَكَا

«قال عباس بن مِرداس أيضاً :

عفَا مِجْدلٌ مِنْ أَهْـلِهِ فَمُتَالِـعُ   فَمِطْلى أَرِيك قَـدْ خلاَ فَالْمصانِعُ[1]
دِيارٌ لَنَا يا جُمْلُ إِذْ جُـلُّ عيْشِنَـا   رخِىٌّ وصرْفُ الدّهْرِ لِلْحىِّ جامِـعُ
حُبَيِّبَةٌ أَلْوتْ بِهَا غـرْبة النَّـوى   لِبَيْنٍ فَهَلْ ماضٍ مِنَ الْعيْشِ راجِعُ
فَإِنْ تَبْتَـغِى الْكفَّار غَيْر ملومـةٍ   فإِنِّى وزِيـرٌ لِلنَّـبِىِّ وتَابِـعُ
دعانَا إِلَيْـهِ خَيْرُ وفْـدٍ علِمْتهمْ   خزَيْمـة والْمرَّارُ مِنْهمْ وواسِـعُ
فَجِئْنَا بِأَلْفٍ مِنْ سُـلَيْم علَيْهِـمُ   لَبُـوسٌ لَهـمْ مِنْ نَسْج داوُد رائِع
نبايِعُـهُ بِالْأَخْشَبَـيْنِ وإِنَّمـا   يـدُ اللهِ بـيْنَ الْأَخْشَبَـيْنِ نبايِعُ
فَجُسْنَا مع الْمهْدِىِّ مـكَّةَ عنْـوةً   بِأَسْيافِنَا والنَّقْـعُ كَابٍ وسـاطِعُ
علَانِيـةً والْخَيْـلُ يغْـشَى مُتونَهَـا   حمِـيمٌ وآنٍ مِنْ دم الْجـوْفِ نَاقِـعُ
ويوْم حُنَيْنٍ حِينَ سـارتْ هَـوازِنٌ   إِلَيْنَـا وضَاقَتْ بِالنُّفُوسِ الْأَضَالِعُ
صبرْنَا مع الضَّحَّـاكِ لَا يسْتَفِزُّنَا   قِـراعُ الْأَعادِى مِنْهـمُ والْوقَـائِـعُ
أَمام رسُولِ اللهِ يخْفِـقُ فَوْقَنَـا   لِـواءٌ كَخـذْرُوفِ السَّحابَةِ لامِـعُ
عشِيَّةَ ضَحَّاك بْن سُفْيـانَ مُعْتَـصٍ   بِسيْفِ رسُولِ اللهِ والْمـوْت كَانِـعُ
نذودُ أَخَانا عنْ أَخِينا ولَـوْ تَـرى   مصالا لَكُنَّـا الْأَقْـربِينَ نتـابعُ

(١) وردت القصيدة فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٦٣ والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٤١ .

ولَـكِنَّ دِينَ اللهِ دِيـــن محمَّـــد رضِينا بهِ فِيـــهِ الهــدى والشَّرائعُ
أَقام بِهِ بعْـــد الضَّـلالَةِ أَمْــرنَا ولَيْس لأَمْــر حمَّـــهُ اللهُ دافِـــعُ

«وقال عباس بن مِرداس أَيضاً» :

/ ما بالُ عيْنك فِيهَا عائِــرٌ ســهِرُ مِثْــلُ الْحماطَةِ أَغضَى فوقَهَا الشُّفر[1] ١١ه ت
عــيْنٌ تأَوَّبهَـا مِنْ شَجْوِهَا أَرق فَالمــاءُ يغْمــرُهَا طَـوْرًا وينْحــدِرُ
كَأَنَّـــهُ نَظْـــمُ دُرٍّ عِنْـد نَاظِمـةٍ تَقَطَّـــع السِّلْك مِنْـــهُ فَهْـو مُنْبَـتِرُ[2]
يَا بُعْدَ مَنْزِلِ مَنْ تَرْجُـــو مَــوَدَّتَـــهُ وَمَنْ أَتَى دُونَـــهُ الصُّمَّـــان فَالْحَفَــرُ
دَعْ مَا تَقَــدَّمَ مِنْ عَهْدِ الشَّبَاب فَقَدْ وَلَّى الشَّبَابُ وزَارَ الشَّــيْبُ وَالزَّعَرُ
وَاذْكُرْ بَلَاءَ سُــلَيْم فِى مَوَاطِنِهَـــا وَفِى سُــلَيْم لأَهْــلِ الْفَخْــرِ مُفْتَخَرُ
قَوْمٌ همُوا نَصَــرُوا الرَّحْمٰنَ وَاتَّبَعُوا دِينَ الرَّسُولِ وَأَمْرُ النَّــاسِ مُشْتَجِــرُ
لَا / يَغْرِسُونَ فَسِيلَ النَّخْل وَسْطَهُمُ وَلَا تَخَاوَرُ فِى مَشْتَـــاهُمُ الْبَقَــرُ ٢٩١ ط
إِلَّا سَوَابِحَ كَالْعُقْبَـــانِ مُقْــربَةً فِى دَارَةٍ حَــوْلَهَا الْأَخْطَــارُ وَالعكرُ
تُدْعَى كُفَافٌ وَعَــوْفٌ فى جَوَانِبِهَـــا وَحَيُّ ذَكْــوَانَ لَا مِيــلٌ وَلَا ضُجُــرُ
الضَّــارِبُونَ جُنُودَ الشِّرْكِ ضاحيــةً بِبَطْنِ مَــكَّةَ وَالْأَرْوَاحُ تُبْتَـــدَرُ
حَتَّى رَفَعْنَــا وَقَتْــلَاهُمْ كَأَنَّهُـــمُ نَخْـــلٌ بِظَاهِــرَةِ الْبَطْحَـاءِ مُنْقَعِــرُ
وَنَحْن يَوْمَ حُنَيْنٍ كَان مَشْهَـدُنَا لِلدِّينِ عِــزًّا وَعِنْــدَ اللهِ مُــدَّخَرُ
إِذْ نَرْكَبُ الْمَوْتَ مخضَـرًّا بَطَائِنهُ وَالْخَيْــلُ ينْجَابُ عَنْهَا سَاطِعٌ كَــدِرُ
تَحْتَ اللِّوَاءِ مَــعَ الضَّحَّاكِ يَقْدُمُنَــا كَمَا مَشَى اللَّيْث فى غَابَاتِهِ الْخَــدِرُ
فِى مَأْزِقٍ مِنْ مَجَرِّ الْحَرْبِ كَلْكَلها تَــكَادُ تَأْفُلُ منه الشَّمْسُ وَالْقَمَـرُ
وَقَدْ صَـبَرْنا بِأَوْطَــاسٍ أَسِنَّتنـــا للهِ تَنْصُــرُ مَنْ شِئْنَـــا وَنَنْتَصِــرُ
حَــتَّى تَأَوَّبَ أَقْـــوامٌ مَنَازِلَهُــمْ لَـــوْلَا الْمَلِيكُ وَلَوْلَا نَحْنُ مَا صَدَرُوا
فَمَا تَــرَى مَعْشَــرًا قَلُّوا وَلَا كَثُرُوا إِلَّا قَــدْ أَصْبَحَ مِنَّــا فِيهُــمُ أَثَـــرُ

---

(١) وردت القصيدة فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٦٦ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٤٣ .
(٢) فى «ص» «منتثر» وكذلك فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم لابن هشام ، والبداية والنهاية لابن كثير . والمثبت عن بقية النسخ ويؤكده ما يأتى فى شرح الغريب .

وقال عباس بن مِرْدَاسٍ أيضاً :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الَّذِى تَهْوِى بِهِ ... وَجْنَاءُ مُجْمَرَةُ الْمَنَاسِمِ عِرْمِس[1]
إِمَّا أَتَيْتَ عَلَى النَّبِيِّ فَقُلْ لَهُ ... حَقًّا عَلَيْكَ إِذا اطْمَأَنَّ الْمَجْلِسُ
يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطِيَّ وَمَنْ مَشى ... فَوْقَ التُّرَابِ إِذَا تُعَدُّ الأَنْفُسُ
إِنَّا وَفَيْنَا بِالَّذِى عَاهَدْتَنَا ... وَالْخَيْلُ تُقْدَعُ بِالْكُمَاةِ وَتُضْرَسُ
إِذْ سَالَ مِنْ أَفْنَاءِ بُهْثَةَ كُلِّهَا ... جَمْعٌ تَظَلُّ بِهِ الْمخَارِمِ تَرْجُسُ
حَتَّى صَبَحْنَا أَهْلَ مَكَّةَ فَيْلَقًا ... شَهْبَاءَ يَقْدُمُهَا الْهُمَامُ الأَشْوَسُ
مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ مِنْ سُلَيم فَوْقَهُ ... بَيْضَاءُ مُحْكَمَةُ الدِّخَالِ وَقَوْنَسُ
يُرْوِى الْقَنَاةَ إِذَا تَجَاسَرَ فِى الْوَغَى ... وَتَخَالُهُ أَسَدًا إِذَا مَا يَعْبِسُ
يَغْشَى الْكَتِيبَةَ مُعْلَمًا وَبِكَفِّهِ ... عضْبٌ يَقُدُّ بِهِ وَلَدْنٌ مِدْعَسُ
وَعَلَى حُنَيْنٍ قَدْ وَفَى مِنْ جَمْعِنَا ... أَلْفٌ أُمِدَّ بِهَا الرَّسُولُ عَرَنْدَسُ
كَانُوا أَمَامَ الْمُسْلِمينَ دريئَةً ... وَالشَّمْسُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهِم أَشْمُسُ
نَمضِى وَيَحْرُسُنَا الْإِلَهُ بِحِفْظِهِ ... وَاللهُ لَيْسَ بضَائِعٍ مَنْ يَحْرُسُ
وَلَقَدْ حُبِسْنَا بِالْمَنَاقِبِ مَحْبِسًا ... رضِىَ الإِلَهُ بِهِ فَنِعْمَ الْمَحْبِسُ
وَغَدَاةَ أَوْطَاسٍ شَدَدْنَا شَدَّةً ... كَفَتِ الْعَدُو وَقِيلَ مِنْهَا : ياَاحْبِسُوا
تَدْعُو هَوَازِنُ بِالإِخَاوَةِ بَيْنَنَا ... ثَدْىٌ تَمُدُّ بِهِ هَوَازِنُ أَيْبَسُ
حَتَّى تَرَكْنَا جَمْعَهُم وَكَأَنَّهُ ... عَيْرٌ تَعاقبه السِّبَاعُ مُفَرَّسُ

وقال عَباس بن مرداس أَيضاً :

نَصَرنَا رسولَ اللهِ مِنْ غضَبٍ لَهُ ... بِأَلْفِ كَمِىٍّ لا تُعَدُّ حَوَاسِرُهْ[2]
حَمَلْنَا [له][3] فى عَامِلِ الرُّمْح رَايَةً ... يَزُودُ بِهَا فى حَوْمَةِ الْمَوْتِ نَاصِرُهْ
وَنَحْن خَضَبْنَاهَا دَمًا فَهْوَ لَوْنُهَا ... غَدَاةَ حُنَيْنٍ يَوْمَ صَفْوَانُ شَاجِرُهْ
وَكُنَّا عَلَى الْإِسْلام مَيْمَنةً لَهُ ... وَكَانَ لَنَا عَقْدُ اللِّوَاءِ وَشَاهِرُهْ

---

(١) وردت القصيدة فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٦٧ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٤٣ .

(٢) وردت القصيدة فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٦٨ .

(٣) الإضافة عن المرجع السابق .

وَكُنَّا لَـهُ دُون الْجُنُـودِ بِطَـانَـةً ... يُشَاوِرُنَا فِى أَمْـرِهِ وَنُشَـاوِرُهُ
دَعَانَا فَسَمَّـانَا الشِّعَـارُ مُقَـدَّمًا ... وَكُنَّـا لَـهُ عَـوْنًا عَلَى مَنْ يُنَـاكِرُهْ
جَزَى اللهُ خَـيْرًا مِنْ نَـبِىٍّ مُحَمَّدًا ... (وَأَيَّـدَهُ بِالنَّصْـرِ وَاللهُ نَاصِـرُهُ)[1]

«وقال عباس بن مِرْدَاسٍ أيضاً» :

مَنْ مُبْلغُ الْأَقْـوَامِ أَنَّ مُحَمَّـدا ... رَسُولَ الإِلَـه رَاشِـدٌ حَيْثُ يَمَّمَا[2]
دَعَا رَبَّـهُ وَاسْتَنْصَرَ اللهَ وَحْـدَهُ ... فَأَصْبَـحَ قَـدْ وفَّى إِلَيْـهِ وَأَنْعَمَا
سرَيْنا وَوَاعَـدْنَا قُـدَيْدًا مُحَمَّـدًا ... يَؤُمُّ بِنَـا أَمْرًا مِـنَ اللهِ مُحْكَمَـا
تَمَارَوْا بِنَا فِى الْفَجْـرِ حَتَّى تَبيَّنُوا ... مَعَ الْفَجْـرِ فِتْيَانًا وَغَابًا مُقَـوَّمَا
عَلَى الْخَيْلِ مَشْدُودًا عَلَيْنَـا دُرُوعُنَـا ... وَرَجْلاً كَدُفَّاعِ الْأَتِىِّ عَـرَمْرَمَـا
فَإِن سَرَاةَ الْحَىِّ إِنْ كُنْـتَ سَائِلا ... سُـلَيْمٌ وفِيهِم مِنْهُمُ مَـنْ تَسَلَّمَا
وَجُنْدٌ / مِن الْأَنْصَارِ لاَ يَخذُلُونَـهُ ... أَطَاعُـوا فَمَا يَعْصُـونَهُ مَا تَـكَلَّمَا
فَإِنْ تَكُ قَـدْ أَمَّرْتَ فِى الْقَوْمِ خَالِدًا ... وَقَدَّمتَـهُ فَإِنَّـه قد تَقَـدَّمَـا
بِجُنْدٍ هَدَاهُ اللهُ أَنْـتَ أَمِـيرُهُ ... تُصِيبُ بِهِ فى الْحَقِّ مَنْ كَانَ أَظْلَمَـا
حَلَفْـتُ يَمِينًا بَـرَّةً لِمُحَمَّـدٍ ... فَأَكْمَلْتهَـا أَلْفًـا مِنَ الْخَيْـلِ مُلْجَمَا
وَقَالَ نَـبِىُّ الْمُؤْمِنِين تَقَـدَّمُوا ... وَحُبٌّ إِلَيْنـا أَنْ نَكُونَ الْمُقَـدَّمَا
وَبِتْنَـا بِنَهى الْمُسْتَدِيرِ وَلَمْ يَكُنْ ... بِنَا الْخَـوْفُ إِلاَّ رَغْبَـةً وَتَحَزُّمَا
أَطَعْنَاكَ حَتَّى أَسْلَمَ النَّاسُ كُلُّهُـم ... وَحَتَّى صبَحْنَا الْجَمعَ أَهْلَ يَلَمْلَمَا
يَضِلُّ الْحِصَانُ الْأَبْلَقُ الْوَرْدُ وسطه ... وَلَا يَطْمَئِنُّ الشَّيْخُ حَـتَّى يُسَوَّمَا
لَـدُنْ غُـدْوَةً حَتَّى تَرَكْنَا عَشِيَّـةً ... حُنَيْنًـا وَقَـدْ سَالَتْ دَوَامِعُـهُ دَمَـا
سَمَوْنَا لَهُمْ وِرْدَ الْقَطَا زَفُّهُ ضُحًى ... وَكُلٌّ تَـرَاهُ عَنْ أَخِيـهِ قَد احْجَمَا
إِذَا شِئْتَ مِنْ كُلٍّ رَأَيْـتَ طِمِـرَّةً ... وَفَارِسَهَا يَهْـوِى وَرُمْحًـا مُحَطَّمَـا
وَقَـدْ أَحْـرَزَتْ منا هَوازِنُ سَرْبَهَا ... وَحُـبٌّ إِلَيْهَـا أَنْ نَخِيـبَ وَنُحْرَمَا

٥١٢ت

---

(١) سقط فى الأصول والإثبات عن المرجع السابق .

(٢) وردت القصيدة فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٦٩ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٤٤ .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال أهل المغازى : خَرَج رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – إلى حُنَيْن لستٍّ خَلَت منْ شوال ، وقيل : لليلتين بقيتا من رمضان ، وجمع بعضهم بأنه بدأ بالخروج من أواخِر رمضان ، وسَارَ سادس شوَّال ، وكان وصولُه إليها فى عاشره .

قال فى زاد المعاد : كان الله – تعالى – قد دعا رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – وهو الصَّادق الوعد – أنه إذا فَتح مكَّة دَخَل النَّاسُ فى دينه أفواجًا ، ودانت له العرب بأسرها ، فلمَّا تَمَّ له الفتحُ المبينُ ، اقتضتْ حكمَةُ الله – تعالى – أن أَمْسك قلوب هَوَازن ومن تبعها عن الإسلام وأن يتجمَّعوا ويتأهبوا لِحَرْبِ رسولِ الله – صلَّى / الله عليه وسلَّم – والمسلمين ، ليظهرَ أَمْرُ اللهِ – سبحانه وتعالى – وتمامُ إعزازه ، لرسوله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وَنَصْرُهُ لدينه ، ولتكون غنائمهم شُكرًا لأهل الفتح ؛ ليظهر اللهُ ورسولهُ وعبادُه وقهرُه لهذه الشوكة العظيمة التى لم يلْقَ المسلمونَ مثلَهَا ؛ فلا يقاومهم بعْدُ أحدٌ من العرب . ويتبين ذلك من الحكم الباهرة التى تلوح للمتأملين واقتضت حكمتُهُ – تعالى – أن أذاق المسلمين أولا مرارة الهزيمة والكَبوة – مع كثرة عَدَدِهم وَعُدَدِهم وقُوَّة شوكتهم – لِيطَأْ مِنْ رءُوسٍ رفعت بالفتح ولم تدخل بلده وحرمه كما دخله رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم واضعاً رأسه مُنْحَنِيًا على فرسه ، حتىَّ إنَّ ذقنه تكاد أن تمسَّ سرجه تواضعًا لربه تبارك وتعالى ، وخُضوعًا لعظمته ، واستكانةً لعزته أن أَحَلَّ له حرمةَ بلده ، ولم يحله لأحد قبله ، ولا لأحد من بعده ، وليبيِّن عزَّ وجلَّ لمن قال : لن نُغْلَبَ اليومَ من قِلَّة أن النَّصر إنما هو من عنده ، وأنه من ينصره فلا غالب له ، ومن يخذله فلا ناصر له غيره ، وأنه – تعالى – هو الذى تولَّى نصرَ رسوله ودينهلا كَثْرَتَكُمْ التى أعجبتكم ، فإنها لم تغن عنكم شيئاً فولَّيْتُم مُدْبرين فلما انكسرت قُلُوبهم أرسلت إليها خِلَع الْجَبْر مع مزيد ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِين وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا[1]﴾ وقد اقتَضَتْ حكمته – تبارك وتعالى – أنَّ

٢٩٢ ظ

(١) من سورة التوبة آية ٢٦ .

خِلَعَ النَّصر وجوائزه إنما تفضى على أهل الانكسار ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى الأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْن وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾[1] .

الثانى : وافتتح الله ـ سبحانه وتعالى ـ غَزْو العربِ بغزوةِ بدْر ، وختم غَزْوهم بغزوة حُنَيْن ، ولهذا يُقْرِنُ هاتين الغَزَاتَيْن / بالذكر فيقال « بدر وحنين » وإن كان بينهما سبع سنين ٥١٣ت والْمَلاَئِكَةُ قاتلت بأنفسها مع المسلمين بهاتين الْغَزَاتين ، والنبى صلَّى الله عليه وسلم رمى وُجُوهَ المشركين بالحصا فيهما ، وبهاتين الغزاتين طفئت جمرةُ العرب لِغزْوِ رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ والمسلمين ، فالأُولى خوفتهم وكسرت من حدتهم . والثانية : استفرغت قواهم ، واستنفدت سهامهم ، وأذلت جَمْعَهم ، حتَّى لم يجدوا بُدًّا من الدُّخول فى دين الله ـ تعالى ـ وجبر الله تبارك وتعالى أَهْلَ مكَّة بهذه الغَزْوة ، وفرَّحهم بِمَا نَالُوا من النَّصر والمغْنَم . فكانت كالدَّواء لِمَا نالهم من كَسْرِهم ، وإِن كَان عَيْنُ جَبْرِهم وقَهْرِهِم تمامُ نعمتِه عليهم بما صرفه عنهم من شرِّ مَنْ كان يُجَاورهُم من أشراف العرب منْ هوازن وثقيف ، بما أَوقع بهم من الكسْرة ، وبما قيَّض لهم من دُخولهم فى الإِسلام ، ولولا / ذلك ما كان أَهْلُ مكَّة يطيقون مُقاومة تلك القبائِل مع شِدَّتها . ومن تمام التوكُّل ٢٩٣ت استعمال الأسباب التى نصبها الله سبحانه وتعالى لمسبباتها قدرا وشرعا فإِن رسول الله صلَّى الله عليه وسلم ـ أكمل الخَلْقِ توكُّلاً ، فقد دخل مكَّة والبيضةُ على رأْسه ، ولَبِس يوْم حُنَين دِرْعين ، وقد أنزل الله ـ سبحانه وتعالى ﴿ واللهُ يَعْصِمُكَ مِن النَّاس ﴾[2] وكثيرٌ ممن لا تحقيق عنده يستشكل هذا ويتكايس فى الجواب ، تارةً بأَنَّ هذا فعله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تعليماً لأُمَّته ، وتارةً بأَنَّ هذا كان قبل نزول الآية !! لو تأَمل أَن ضمان الله ـ سبحانه وتعالى ـ له العصمة لا ينافى تعاطيه لأَسبابها فإِنَّ هذا الضمان له من ربِّهِ ـ تبارك وتعالى ـ لا يُنافى احتراسه من الناس ولا يُنافيه[3] ، كما أن إخبار الله ـ عز وجل ـ له بأَنه يُظهره على الدِّين كله ويُعليه ، لا يُناقضُ أَمره بالقتال ،

---

(١) سورة القصص الآيتان ٥ ، ٦ .

(٢) سورة المائدة آية ٦٧ .

(٣) كذا فى الأصول ولعلها « يناقضه » .

وإعداد العُدة والقُوَّة ، ورباط الخيل ، والأَخذ بالجدِّ والحذر ، والاحتراس من عدوه ، ومحاربته بأَنواع الحرب ، والتورية ، فكان إذا أَراد غزوة ورَّى بغيرها ، وذلك لأَنه إخبارٌ من الله – تعالى – عن عاقبة حاله ومآله فما يتعاطاه من الأَسباب التى جعلها الله – تعالى – بحكمته موجبة لِمَا وعده به من النَّصْر والظَّفر، وإظهار دينه وغلبته عدوَّه انتهى .

الثالث : اختلف العلماء فى العارية هل تُضمن إذا تَلِفَت ، فقال الشافعى وغيره يضمن ، وقال أبو حنيفة وغيره : لا يضمن ، وفى بعض طُرُقِ الحديث « بَلْ عَارِيَةٌ مَضْمُونةٌ » ، وقد اختلفوا فى هذا القيد وهو مضمونة ، أَنه صفةٌ مُوضِّحَة أَو مُقَيِّدَة ، فمن قال بالأَول قال : تضمن ، ومن قال مقيدة قال : لا إلا بشرط ، قاله فى النُّور .

الرابع : تضَمَّنَ قولُ السَّائِل لِلْبَرَاءِ فى الرواية الثانية: أَوَلَّيْتُم مع رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – وفى الثالثة أَفررتُم مع رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلم – وقول البراء رضى الله عنه – فأَشهد على رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلم – أَنه لم يُوَلِّ ، وقوله فى الرِّوايةِ الثانية « لكِنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلَّم – لم يقر إِثبات عدم الفرار . لكن لا على طريق التَعْمِيم ، وأَراد أَنَّ إطلاق السَّائل يشمل الجميع حتَّى النبى – صلَّى الله عليه وسلَّم – بظاهر الرِّواية الثانية ، ويمكن الجمع بين الثَّانية والثَّالثة بحمل المعية على ما قبل الهزيمة فبادر إلى استثنائه ، ثم أَوضح ذلك وختم حديثه بأَنه لم يكن ٥١٤ت أَحدٌ / يومئذ أَشد من رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – ويحتمل أَن البراءَ فَهِمَ أَنَّ السائل ٢٩٣ظ اشتبه عليه حديث سلمة بن الأَكوع ، ومررتُ برسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلم –/ مُنْهزِماً ، فلذلك حَلَفَ البراءُ أَنَّ النبى – صلَّى الله عليه وسلم – لم يُوَلِّ . ودلّ ذلك على أَن مُنْهَزِماً حال من سَلَمَة[1] ، ولهذا وقع فى طريق أُخرى[2] « وَمَرَرْتُ عَلَى رَسُول اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ – مُنْهَزِماً وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ » فقال : لقد رأَى ابن الأَكوع فزعاً ، ويحتمل أَن يكون السائل أَخذ العُمُومَ من قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرِين ﴾[3] فبيّن البراءُ أَنه من العُمُوم الَّذى أُريد به الخُصُوص .

---

(١) وانظر التخريج فى السيرة الحلبية ٣ : ١٢٤ .

(٢) وهى رواية مسلم من حديث عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه . وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٣١ .

(٣) سورة التوبة آية ٢٥ .

الخامس : يجمع بين قوْل أنس - رضى الله عنه - : بقى رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - وحده وبين الأخبار الدَّالة أنه بقى معه جماعة بأن المراد بقى وحده متقدماً مُقْبلاً على العدو ، والذين ثبتوا كانوا وراءه ، أو الوحدة بالنسبة لمباشرة القتال ، وأبو سفيان بن الحارث وغيره كانوا يخدمونه فى إمساك البَغْلة ، ونحو ذلك .

السادس : لا تخالفُ بين قول ابن عمر ، لم يبْق مع النَّبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - مائة رجلٍ ، وبين قوْلِ ابن مسعود ، ثبت مع رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - ثمانون من المهاجرين والأنصار فإن ابن عمر نفى أن يكونُوا مائة ، وابن مسعود أثبت أنهم كانوا ثمانين .

وذكر النووى أن الَّذين ثبتوا مع رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - آثنا عشر رجُلاً ، ووقع فى شعر العبَّاسِ بن عبد المطلب - رضى الله عنه - أن الذين ثبتوا معه كانوا عشرةً فقط ، وذلك لقوله :

نَصَرْنَا رَسُولَ اللهِ فِى الْحَرْبِ تسعة وقد فر من قد فرَّ عَنْه فأَقشعوا

وَعَاشِرُنَا لاَقَى الْحِمَــامَ بِنَفْسِــه لِمَا مَسَّهُ فِى اللهِ لَا يَتَوَجَّعُ

قال الحافظ : ولعلَّ هذا هو الأثبت ، ومن زاد على ذلك يكون عجلَ فى الرجوع فعُدَّ فيمن لم ينهزم .

السابع : البغلةُ البيضاء : وفى مُسْلم عن سَلَمة بن الأكوع الشهباء التى كان عليها يومئذٍ أهداها له فَرْوَة - بفتح الفاء ، وسكون الراء ، وفتح الواو ، وبالهاء - ابن نُفَاثة - بنون مضمومة ، ففاءٍ مخففة ، فألف ، فثاء مثلثة - ووقع فى بعض الرِّوايات عند مُسلم فروة بن نعامة بالعين والميم ، والصحيح المعروف الأول ، ووقع عند ابن سعد وتبعه جماعة مِمَّن أَلَّفَ فى المغازى أنه - صلَّى الله عليه وسلم - كانَ على بغلته دُلْدُل ، وفيه نظر ، لأنَّ دُلْدُل أَهْداها له المُقَوْقِس . قال القطب : ويحتمل أن يكون النبى - صلى الله عليه وسلَّم - ركب يومئذٍ كُلاًّ من البغلتين ، وإلاَّ فما فى الصَّحيح أَصح .

الثامن : قال العلماء : ركوبه - صلَّى الله عليه وسلم - البغلة يومئذ دلالة على النهاية فى الشجاعة والثبات ، لأن ركُوبَ الفحولة مظِنَّةُ الاستعداد للفرار / والتولِّى ، وإذا كان ٢٩٤ت

رأْسُ الجيش قد وَطَّن نفسه على عدم الْفِرار والأَخذ بأَسباب ذلك كان ذلك أَدعى لأَتباعه .

التاسع : وقع فى الصحيح حديث البراء :وأَبو سفيان ابن عمه يقودُ به ، وفى حديث العباس أَنه كان آخذاً بلجام رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأَبو سفيان آخِذٌ بركابه ، ويجمع بأَن أَبا سفيان كان آخذاً أَولا بزمام البغلة ، فلما ركضها رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ إلى جهة الكفار خَشِى العبَّاس وأَخذ بلجامِ الْبَغْلَة يكُفُّها ، وأَخذ أَبو سُفيان بالركاب وترك / اللِّجام للعباس إجْلالاً له لأَنه كان عمه . ٥٠٠ت

العاشر : وقع فى حديث ابن عبد الرحمن الفهرى ـ رضى الله عنه ـ أَنَّ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ اقتحم عن فرسه « فأَخذ كَفًّا مِنْ تُرَاب » انتهى قلتُ : وهى رواية شاذة ، والصحيح أَنه ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ كان حينئذ على بغلة .

الثالث عشر : فى قوله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ « أَنَا النَّبِىُّ لا كذِب » إشارة إلى صفةِ النُّبُوة يستحيل معها الكذب ، وكأَنَّه ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ قال : لأَنا النبى ، والنبى لا يكذب ، فلستُ بكاذبٍ فيما أَقول حتى أَنهزم ، وأَنا متيقن أَنَّ الذى وعدنى به الله من النصر حق فلا يجوز علىَّ الفرار ، وقيل معنى قوله « لا كَذِب » أَى أَنا النبى حَقًّا لا كذب فى ذلك .

الحادى عشر : قوله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أَنَا النَّبِىُّ لَا كَذِب » بسكون الموحَّدة من كذب وهذا وَإنْ وقع موزوناً لا يُسَمَّى شِعْراً لأَنه غير مقصود كما سيأْتى بسطُ ذلك فى الخصائِص .

الثانى عشر : انتسب ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ إلى عبد المطلب دُون أَبيه عبد الله لشهرة عبد المطَّلب بين النَّاس لِمَا رُزِقَ مِنْ نَبَاهَةِ الذِّكر وطُولِ العُمْر ، بخلاف عبد الله فإنه مات شابًّا ولهذا كان كثيرٌ من العرب يدعونه ابن عبد المطلب كما فى حديث حماد فى الصحيح.وقيل لأَنه كان اشتهر بين الناس أَنه يخرج من ذرية عبد المطلب .رجل يدعو إلى الله ويهدى اللهُ ـ تعالى ـ الخلق على يديه ، ويكون خاتم الأَنبياء ، فانتسب ليتذكَّر ذلك من كان يعرفه ، وقد اشتهر ذلك بينهم ، وذكره سيفُ بن ذِى يزن قديماً

لعبد المطلب قبل أن يتزوَّج عبد الله آمنة، وأراد ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ تنبيه أصحابه بأنه لا بُدَّ من ظهوره ، وإن العاقبة له لتقوى قلوبهم إذا عرفوا أنه ـ صلَّى الله غليه وسلم ـ ثابت غير منهزم .

الرابع عشر : فى إشهاره ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نفسه الكريمة فى الحرب غاية الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو .

الخامس عشر : فى تقدمه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قِبَل الكفار نهاية الشجاعة ، وفى نزوله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ عن البغلة حين غشوة مبالغة فى الثَّبات والشَّجاعة والصبر ، وقيل : فعل ذلك مواساةً لمن كان نازلاً على الأَرض من المسلمين .

السادس عشر : فى حديث سلمة بن الأَكوع وغيره « أن رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسَلَّم ـ نَزَلَ عن الْبَغْلَة ثُم قَبَضَ قَبْضَةً من تُراب » إلخ . وفى حديث ابن مسعود أن رَسُولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال له حين انهزم أَصحابه « نَاوِلْنِى كَفًّا مِنْ تُرَاب » فناوله ، وفى حديث ابن عباس عن البراء أن عليًّا نَاولَ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ التُّراب فرمى به فى وُجُوهِ الكُفَّار ، والجمع بين ذلك أَنّ النبى ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ أولا قال لصاحبه « نَاوِلْنِى » فناوله ، فرماهم ، ثم نزل عن الْبَغْلَة فأَخذ بيده فرماهم أَيضا ، فيحتمل أن الحصى فى إحدى المرتين وفى الأُخرى التُّراب ، وأن كُلاًّ ممن ذُكِر[1] نَاوَله .

السابع عشر : فى رَمْيه ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ الكفارَ ، وقوله « انْهَزِمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَة » إلخ ، معجزتان ظاهرتان لرسُولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ إحداهما فِعْلِيَّة ، والأُخرى خبرية ، فإنه ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ أخبر بهزيمتهم ورماهم بالحصى فولوا مدبرين . وفى رواية اسْتَقْبل وُجُوهَهُم فقال « شَاهَت الْوُجُوه » . وهنا أيضاً معجزتان فعلية وخبرية .

الثامن عشر : فى قول العباس : فوالله لكأَن فى عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على أَولادها . إلخ / دليل أَنَّ فرارهم لم يكن بعيداً .

٥١٦ت

(١) ولخصت السيرة الحلبية ٣ : ١٢٦ ذلك فقالت « قيل ناوله العباس ذلك ، وقيل ناوله على ، وقيل ابن مسعود رضى الله عنهم » .

التاسع عشر : فى عَقْرِ علىٍّ – رضى الله عنه – بَعِيرَ حَامِلِ رَايَة الكُفَّار دليلٌ على جواز عقْر فَرَسِ العدُو ومركوبه إذا كان ذلك عوناً على قتله .

العشرون : فى انتظارِ رسُولِ الله – صلَّى الله عليه وسلم – بقسم غنائِم هَوَازِن إسلامهم جوازُ انتظَار الإمام بقسم الغنائم إسلام الكفار ودخولهم فى الطاعة فيه وردِّه عليهم غنائمهم ومتاعهم .

الحادى والعشرون : اتفقوا على أنه لا يُقبَلُ قول من ادَّعى السَّلب إلاَّ بِبَيِّنة تشهد له . ونقل ابن عطِيَّةَ عن أكثر الفقهاء أَنَّ الْبَيِّنَةَ هُنَا شاهدٌ واحِد يكتفى به .

الثانى والعشرون : قال فى العيون أَخْذاً من الرَّوْضِ: فِرَارُ من كان معه – صلَّى الله عليه وسلم – يوم حُنَيْن قد أَعْقبه رجوعهم إليه بسرعة ، وقتالهم معه حتى كان الفتح ، وفى ذلك نزل ﴿ ويَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتكُم كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُم شَيْئاً ﴾[1] إلى قوله : (غَفُورٌ رَحِيم)[1] كما قال فيمن تَوَلَّى يوم أُحُد (وَلَقَد عَفَى اللهُ عَنْهُم) إن اختلف الحال فى الوقعتين . وقال الحافظ : العذر لمن / انهزم من غير المؤلفة أن العدوّ كانُوا ضِعْفَهم فى العدد وأكثر من ذلك ، وكذا جزم فى النور بأَنَّ هَوَازن كانوا أضعاف الَّذين كانُوا معه – صلَّى الله عليه وسلم .

٢٩٥
٢

الثالث والعشرون : فى بيان غريب ما سبق :

حُنَين – بحاءٍ مهملة ونون مصغر : وادِ إلى جنب ذِى المجاز قريب من الطائِف ، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا ، قال أبو عبيد البكرى سمى باسم حنين بن قانية ابن مهلائيل . والأغلب عليه التذكير ، لأنّه اسم ماء . وربما أنثته العرب ؛ لأنّه اسم لِلْبُقْعَة . فسُمِّيَتْ الغزوةُ بِاسْمِ مَكَانِهَا .

هَوَازِن – بفتح الهاء وكسرِ الزَّاى ، قبيلة كبيرةٌ من العرب ، فيها عدة بطون ، وهو : هَوَازِن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة – بخاءٍ معجمة فصاد مهملة ففاء مفتوحة –

---

(١) سورة التوبة الآيات ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

ابن قيس عَيْلاَن – بعينٍ مهملة – بن إلياس بن مُضر أَبو الزِّناد – بكسرِ الزَّاى ، وبالنُّون ؛ وبالدَّال المهملة .

ثَقِيفٌ – بثاء مثَلَّثةٍ بوزن أَمير : اسمه قَسِيّ – بفتح القَافِ وكسْرِ السِّين المهملة وتشديد الياء – بن مُنَبِّه بن بكر بن هَوَازِن بن منْصُور بن عِكرمَة بن خَصَفَة – بفتح الخاء المعجمة ، والصَّاد المهملة ، وباالفاء – ابن قيْس عَيلان .

أَشْفَقُوا : خافوا .

لاَ نَاهِيَة له : أَى نهى : أَى مانع .

حَشَدُوا : اجتمعوا .

أَجْمَعُوا أَمرا : أَى عزموا عليه .

نَصْر – بفتح النون ، وسكون الصاد المهملة ، وبالراء : اسم قبيلة .

جُشم – بضم الجيم وفتح الشين المعجمة : لا ينصرف للعلمية والعدل عن جَاشِم : أَبو قبيلة كبيرة ؛ وهو مُعاويةُ بنُ بكر بن هوازن بن قيس عَيْلاَن – بفتح المهملة ؛ لقب قيس باسم عبد كان يملكه[1] ،وقيل باسم فرس له

كعب وكلاب بن أَبى براء – بفتح الموحدة وتخفيف الراء وبالمد . وحكى القصر .

ناوأَه : عاداهُ .

دُرَيْد – بضمٍّ الدَّال المهملة ، وفتح الرَّاء ، وسكون التحتية وبالدال المهملة .

الصِّمَة – بكسرِ الصَّادِ المهملة ، وتشديد الميم – واسمه ؛ الحارث بن بكر أَو ابن الحارث بن بكر بن علقمة بن معاوية بن بكر هوازن الجُشَمى – بضم الجيم وفتح

---

(١) فى ت ، م « يكفله » .

الشين – من بنى مِحْرَبَ – بكسر الميم وإسكان الحاء المهملة ثم راء مفتوحة ثم موحدة

٥١٧ت يقالُ رجلٌ مِحْرَب – بكسر الميم : صاحب حروب /

أَوْطَأَ الْعَرَب : علاهم وقهرهم .

أَجلى يهود : أَخرجهم .

الذُّل – بضمٍّ الذَّال المعجمة : الضعف والهوان .

الصَّغَارُ – بفتح الصَّاد المهملة : الضيم .

يومك هذا له ما بعده .

طَوَى عَنْه الْخَبر : كتمه .

الظُّعُن – بضمٍّ الظاء المعجمة المشالة ، والعين المهملة .

٢٩٥ظ أَوْطاس – بفتح أَوله وسكون الواو وبالطاء والسين المُهملتين : واد فى ديار هوازن ، / والصحيح أنه غير وادى حُنَيْن ، وسيأْتى بيانُ ذلك فى السَّرايا .

عَسْكَر بموضِعِ كَذَا : جمع عسكره به .

الأَمْدَاد : جمع مَدَد بفتحتين ، وهو الجيش .

الشِّجار – بكسرِ الشِّين المعجمة وبالجيم والراء : مَرْكَبٌ مكشوف دون الهودج . ويقال له شجر أَيضاً .

مَجَالُ الخَيْل – بفتح الميم ، وبالجيم المخففة ، وباللاَّم .

الحَزْن – بفتح الحاءِ المُهملة ، وسكونِ الزَّاى ، وبالنُّون : ما غلظ من الأَرض

الضِّرْس – بِكَسْرِ الضَّادِ المعجمة ، وسكونِ الرَّاء ، وبالسِّين المهملة : الأَكمة الخشنة ، وفى الإِملاء : هو الموضع فيه حجارة مُحدّدة .

السهلُ : ضد الحَزْن .

دَهَس – بفتح الدَّال المهملة ، والهاء ، وبالسِّين المهملة . والدهاس مثل اللَّبْث واللَّباث : المكانُ السّهل اللَّيِّن الذى لا يبلغُ أَن يكونَ رَمْلاً وليس هو بتراب . ولا طين ، وفى الإِملاء : ليِّن كثير التراب .

رُغَاء الإبل – بضم الراء وبالغين المعجمة والمد : صوتها .

نُهَاق الحمير بضم النون وتخفيف الهاء وبالقاف : صوتها .

يُعَارُ الشَّاء – بضمٍّ التَّحتية وبالعين المهملة المخففة وبالراء : صوتها .

خُوَارُ الْبَقَرِ – بضمٍّ الخاء المعجمة ، وبالواو والراء : صوتها .

ولِمَ – بفتح الميم : على الاستفهام .

فَأَنْقَض به – بفتح الهمزة ، وسكون النون ، وفتح القاف ، وبالضَّاد المعجمة السَّاقطة قال فى الرَّوض : صوَّت بلسانه من فيه ، من النقيض وهو الصَّوْت ، وقيل : الإنقاضُ بالإصبع الوُسْطى والإبهام كأنه يدفع بهما شيئاً ، وفى الإملاء ، أى زجره كما تزجر الدابة ، والإنقاض للدابة أن تلصق لسانك بحنكك الأعلى وتصوت به .

راعى ضَأْنٍ : يُجَهِّلُه بذلك .

فُضِحَ – بالبناء للمفعول .

البيضة هنا – الجماعة ، وبيضة الثانية بالجر بدلاً من الأُولى .

عُليا – بضمٍّ العين المهملة مقصور .

مُمْتَنِع – بضمٍّ الميم الأُولى ، وسكونِ الثَّانية وفتح الفوقية ، وكسر النون وبالعين المهملة .

الصُّبَّاء[1] – بضمٍّ الصَّادِ المهملة ، وتشديد الموحدة ، قال فى الإملاء : جمعُ صابىء ؛ وهم المسلمون عندهم كانُوا يسمونهم بهذا الاسم لأَنهم صبئوا من دينهم أى خرجوا. وقال فى النُّور : أى الَّذين يشتهون الحرب ويميلون إليها ، ويحبون التَّقدُّم فيها والبراز :؛ قاله فى النهاية .

المُتُون – جمع مَتْن : الظَّهر .

بين أضعاف الخيل : بين أثنائها أو متقدمة دريئة .

---

(١) « الصباء » لم ترد هذه الكلمة فى سياق الغزوة .

ألفاك ذلك – بالفاء أى وجدك أو صادفك][1] .

كَبِرَ عَقْلُكَ – بكسر الموحدة : يشير إلى أنه قد خَرِف .

الجَذَعُ – بفتح الجيم ، والذَّالِ المعجمة ، وبالعين : ما قبل الثَّنِى ، والجمع جذعان وجِذَاع مثل جبل وجِبال ، والأُنثى جذعة ، والجمع جُذُعات – بضم الجيم وكسرها : أى يا ليتنى فى هذه الحرب جَذعٌ ؛ أى شاب .

الخَبَبُ : ضربٌ من السَّير وهو خطوٌ فسيحٌ دون العَنَق .

الوضَعُ : ضربٌ من السَّير وهو الإسراع ، قال الفراء : هو مثل الخَبَب .

٢٩٦/٢ الوَطْفاء بفتح / الواو وبطاء مهملة ساكنة وبالفاء والمد : الطويلة الشعر .

الزَّمَع – بفتح الزَّاى ، والميم ، وبالعين المهملة : الشعر الَّذى فوق مربط قيد الدَّابة ؛ يريدُ فرساً صفتها كذا ، وهو محمودٌ فى وصف الخيل .

الشَّاةُ – هنا الْوَعْل – بفتح الواو ، وكسر العين المهملة ، وتُسَكَّن ، وباللام : ذكر ٥١٨ت الأَرْوى وهى الشَّاة الجبلية والجمع : وُعُول / مثل : فلس وفلوس ، والأُنثى : وعِلة – بكسرِ العين ، وسكونها ، والجمع : وعَال ، مثل كلبةٌ وكِلاَب .

صَدَع – بفتح الصَّاد ، والدَّال ، وبالعين المهملات : وصفٌ للوعل ، وهو الوسط منها ، وليس بالعظيم ولا الصَّغير ، ولكنَّه وعلٌ بين الوعلين .

الحَدّ – بفتح الحاء وبالدال المهملة : المنع .

الجِد – بجيمٍ مكسورة : الشَّجاعة والجُرأة .

يوم عَلاء – بفتح العين المهملة وبالمد – الرفعة ، وإنَّما عطفها عليه لاختلاف اللفظ .

ذانك : تثنية ذا اسم إشارة .

الجذعان : تثنية جذع ، يريدُ أنَّهما ضعيفان فى الحرب بمنزلة الجذع فى سنه

---

(١) حروف فى الأصول لاتقرأ ولعل الصواب ما أثبته .

الكَمِينُ : الجيشُ المستخفى فى مَكْمَن - بفتح الميمين - بحيث لا يُفْطَن به ثم ينهضُ على العدوّ ،على غفلة منهم ، وجمعه كُمَنَاء ، كأَمير وأُمراء ، يقال كَمَن كُمُوناً ، من باب قَعَدَ قُعُودا : توارى واستخفى .

كَرَّ - بفتح الكاف والراء المشددة : رجع .

الحَملَةُ لَك : الغلبة .

لم يُفْلِت - بضمٍّ التحتية وسكون الفاء .

مقدِمة الجيش - بكسر الدال وقد تفتح : الجماعة تتقدمه .

بنو سُلَيْم : بالتصغير

يُنَحَّى يُعْدَل به .

السَّنَن - بفتح السين المهملة والنون الأُولى : الطريق .

* * *

شرح غريب استعماله - صلى الله عليه وسلم - عتابا ، واستعارته من صفوان بن أمية ادرعا ، وبعثه عبد الله بن أبى حدرد : وخروجه للقاء هوازن

عَتَّاب - بفتح العين المهملة ، والفوقية المشددة ، وبالموحدة .

أَسِيد - بالسِّين والدَّالِ المهملتين وزن أمير .

أَجْمَعَ السَّيْرَ : عزم عليه .

ذُكِرَ له : بالبناء للمفعول .

أَعِرْنَا - بفتح أوله .

أبو حَدْرَد - بمهملات كجعفر ، واسمه سلامة بن عمير .

الخِبَاءُ - بكسر الخاء المعجمة ككتاب : واحدُ الأَخبية من وَبَر أو صوف ، ولا يكونُ من شعر ، وهو على عمودين أو ثلاثة ، وما فوق ذلك فهو بيت .

الأَغْمَارُ - بفتح أوله ، وبالغين المعجمة : جمع غمرْ بضمتين وتسكن الميم : وهو الرَّجُل الَّذى لم يجرِّب الأمور .

الجُفُون – بضمٍّ الجيم : جمع جَفْن – بفتح الجيم ، وهو هُنا غلافة السَّيف ، وقد يُجمع على أَجفان .

الخيْف – بفتحِ الخاءِ المعجمة ، وسكون التحتية وبالفاء ، وهو فى الأَصل المُنْحَدَر من غلظ الجبل ، قد ارتفع عن مسيل الماء ، فليس شرفاً ولا حضيضاً .

كنانَة – بكسرِ الكاف ، وبنُونين مخفَّفاً .

تَقَاسَمُوا : تحالفوا وتعاهدوا .

جُهَيْنَة – بالجيم : مُصَغَّر .

مُزَيْنَةَ : مصغر ، بالزَّاى والنُّون .

٢٩٦ ظ أَسْلَم بهمزةٍ مفتوحة ، فسين مهملة / ساكنة ، فلام مفتوحة ، فميم .

غِفَار – بكسرِ الغين المعجمة وبالفاء .

أَشجع – بفتح أوله ، وبالشِّين المعجمة ، والعين المهملة : الجميع أَسماء قبائل .

الطُّلَقاءُ – بضمٍّ الطَّاء المهملة ، وفتح اللاَّم : الذين أَسلموا يوم فتح مكَّة من أهلها مِمَّنْ غلبهم رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – وأَطلقهم أَو خَلىَّ سبيلَهُم .

دَنَا : قَرُبَ .

بَدَأَ بكذا : قدمه .

كَبَتَ الله عَدُوَّك : أَخزاه وأَذلَّه وصرفه وغاظه وأَهلكه .

لم يغادر : لم يترك .

النُّظَّار – بضم النون : جمع ناظر .

الصَّدمة – بفتح الصاد المهملة .

أَوْقرَ بَعِيْرَه : حَمَّلهُ .

ذات أَنواط : شجرةٌ عظيمة قُربَ مكّة ، كانت الجاهلية تأتيها كَلَّ سنة تَعظمها .

وتعلّقُ عليها سلاحها ويذبح عندها . يقالُ ناط الشّىء ينوطه نوطاً علّقه ، وكل ما عُلِّق من شئ فهو نَوط – بفتح النُّون ، والجمع : أَنواط ؛ وهى المعاليق .

يعكُفُونَ عَلَيْهَا : يلزمونها ويُوَاظبُونَ على خدمتها .

الحَذْو - بفتح الحاء المهملة ، وسكون الذّال المعجمة : القَدْر - بفتح القاف/ ، وسكون الدّال .

القِدَّةُ بالقِدة – بكسرِ القاف فيها أَخص من القِدِّ : وهو سير يُقَدُّ من جلد غير مدبوغ . ٥١٩

أَطنبوا السَّير : بالغُوا فيه .

عن بَكْرة أَبيهم – بفتح الموحدة ، وسكون الكاف : هذه كلمةٌ للعرب يُريدون بها الكثرة وتوفُّر العَدَد ، وأَنهم جاءُوا جميعاً لم يتخلف منهم أَحد ، وليس هناك بكرة فى الحقيقة ؛ وهى الَّتى يُستقى عليها الماء ، فاُستعيرت فى هذا الموضع .

أَبُو مَرْثَد – بفتح الميم ، وسكون الرَّاء ، وبفتح الثّاء المثلثَّة ، وبالدَّال المهملة .

نُغَرَّن – بضم النون وفتح الغين المعجمة والراء المشددة .

قِبَلكَ – بكسر القاف ، وفتح الموحدة ، واللاَّم : أَى من جهتك .

ثَوَّبَ بِالصَّلاَةِ : التَّشويبُ هُنا إقامةُ الصَّلاَة ، والأَصلُ فى التَثْوِيب أَن يجئَ الرَّجُلُ مستصرخاً فيلوح بِثَوْبه لِيُرى ويَشْتَهر ، فسُمِّىَ الدُّعَاءُ تَثْوِيباً لذلك ، وكلُّ داعٍ مُثوِّب ، وقيل إنَّما سُمِّى تثويباً من ثاب يثوبُ إذا رجع ، فهو رجوعٌ إلى الأَمر بالمبادرة إلى الصلاة ؛ فإن المؤذِّنَ إذا قال حىّ على الصَّلاة ، فقد دعاهم إليها ، فإذا قال بعده : الصَّلاةُ خيرٌ من النَّوم فقد رجع إلى كلام معناه المبادرة إليها .

خِلاَل الشَّجَر : أَى الفُرَج بينها .

أَوْجَبْت : أَى عملت عملاً موجباً للجنَّة .

التِّبْيان : البيان .

سُليم – بضمِّ السِّين المهملة ، وفتح اللاَّم ، وسكون التحتية .

غَسَّان – بفتح الغين المعجمة وتشديد السين المهملة ، قال النَّوَوِىُّ : المسموع فى كتب [أهل][1] الحديث ورواياتهم غير منصرف وذكره ابن فارس فى باب غسن ، وهذا تصريح بأنه يجوز صرفه .

العضَادَةُ – بكسرِ العين المهملة ، وبالضَّاد المعجمة : جانب الشيء .

الأَجْرَبَان : سماهم بذلك تشبيهاً بالأَجرب الذى يغرَّب[2] .

عَبْس – بفتح المهملة وسكون الموحدة : بطن من غطفان ومن الأَزد بن مراد .

ذُبْيَان – بضمِّ الذَّال المعجمة وكسرها من زُبيَت شفته أى ذبلت من العطش ، وهو إذا فعلان لاينصرف للعلمية والزيادة .

شِمْ سيفك : أدخله فى غمده .

عيون المشركين : جمع عين وهو الجاسوس ، يقال جسَّ الأَخبار وتجسسها تتبعها لأنه يتبع الأَخبار ويفحص عن بواطن الأمور ، ثم استعير لنظر العين .

وتفرقت أوصالهم : أى مفاصلهم جمع وصل بالكسر ، وهو كل عظم على حدة لا يكسر ولا يخلط به غيره .

الذعر : بضم الذال المعجمة : الخوف .

لم يُثْنِه الأَمر : لم يَرُده .

وَادٍ أَجْوَف : متسع .

خَطُوط – بخاءٍ مفتوحةٍ فطاء مضمومة ، فواو ساكنة فطاء أُخرى مهملات: منحدر .

أَوعَز إليه – بالعَيْن المهملة والزَّاى : تقدم إليه .

ربيع بن أَنس بلفظ اسم الشهرة .

بَنُو شَيْبَان – بفتح الشِّين المعجمة ، وسكون التَّحتية ، وبالموحَّدة ، والنون : هو شيبان ابن ذُهل ، قبيلة من بكر بن وائل .

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) يغرب : أى يبعد ويطرد .

فَصَلَ مِنْ مَكَّة : خرج .

حِزَام – بالزَّاى والد حكيم ، وكذا كل مكى قرشى ، وحِرَام بالراء فى الأَنصار .

* * *

شرح غريب ذكر كيفية الوقعة

مضايق – جمع مضيق .

عَمَايَة الصبح – بفتح العين المهملة وتخفيف الميم : بقية ظلمته .

شعابه – جمع شعب : وهو ما آنفرج بين الجبلين .

أجنابه : جوانبه .

رَاعَنَا : أفزعنا .

الكَتَائِبُ – بالفوقية جمع كتيبة : وهى الطائفة المجتمعة من الجيش

شدوا علينا : حملوا يقتلوننا .

سَوَادُ العَسْكَر : ما يشتمل عليه من الدَّواب والمضارب وغيرهما .

الغَبَش – بفتح الغين المعجمة ، وسكون الموحدة ، وبالمعجمة : ظلامه .

إن شعرنا : / ما علمنا . ٥٢٠ت

انكشف الخيل وتبعهم الناس منهزمين هذا مجاز ، لم ينهزم كل الناس ، ولا نعرف فى موطن من المواطن أن كل الناس انهزموا .

ما يلوون على شىء : لا يبقون عليه .

النَّقْع – بفتح النُّون ، وسكون القاف : الغبار .

انحاز إلى كذا: تنحَّى إليه .

هَلُمَّ إلى : اسم فعل فى لُغة الحجازيين فلا يَبْرُزُ فاعلها ، وفعل فى لغة تميم فيقولون هلمَّ وهلمِّى وهلمُّوا وهلممن .

الشُّبَّان – بضم الشين : جمع شاب ، وهو سن قبل الكهولة .

سَرعان الناس – بفتح السين والراء : أوائلهم .

كَأَنَّها رِجْلُ جَرَاد-بكسر الراء وسكون الجيم : الجماعة الكثيرة من الجراد خاصة ، وهو جمع على غير لفظ الواحد .

أَطَنَّ قدمه بنصف ساقه : قطعها ، يرادُ بذلك صوت القطع .

انْجَعَفَ : وقع .

إجْتَلَدَ الناس : تضاربوا بالسُّيوف .

الجُفَاة – جمع جَاف : وهو الغليظ الطبع ، والمرادُ هنا – والله أعلم –:من كان غليظاً على الإسلام . مِمَّن لم يتمكن الإيمان فى قلبه .

الضِّغْنُ – بكسرِ الضَّاد ، وإسكانِ الغين – المعجمتين – وبالنون – الضغينة بالفتح – وهما : الحقد .

الأَزْلَامُ : القِدَاح الَّتى كانت فى الجاهليَّة ، واحدها زَلَم – بفتحات – عليها مكتوب الأَمر والنهى ، إفعل ولا تفعل ، كان الرَّجُلُ من المشركين يضعهَا فى وعاء له ، فإذا أراد سفراً أو زواجاً أَوْ أمراً مُهِما أدخل يده وأخرج منها زلَمَا ، فإن خرج الأَمر مضى لشأْنه ، وإن خرج النَّهْى كفَّ عنه فلم يفعله .

الْكِنَانَة : جعبة السهام[1] .

جَبَلَةُ : كذا عند ابن إسحق ، وهو تصحيف ، وصوابه كَلَدة – بفتح الكاف واللام -بن الْحَنْبَل- بفتح الحاء المهملة وسكون النون وبالموحدة ، ويُقَال : ابن عبد الله ابن الحنبل ، أسلم بعد ما قال بحنين ما قال .

فَضَّ الله فَاه : أَسقط أَسنانه ، والفضَّ : الكسر بالتفرقة .

يَرُبُّنى – بضم الراء : يملكنى ويدبر أَمرى ويصير لى ربًّا ، أى سيِّداً .

المازِنِى – بكسر الزاى والنون .

---

(١) بياض بالأصل والمثبت يقتضيه السياق .

كَادَ : قرُب .

حاجب الشمس : ناحيتها .

يا لَلْأَنصار – بفتح اللام .

عَبَّاد – بفتح العين المهملة وبالموحدة المشددة .

بِشر بكسر الموحَّدة ، وسكون المعجمة .

أَبو نَائلة – بهمزة بعد الأَلف على صُورَة الياء .

لا يجبرونها : أَى : لا مجبر منها[1] .

الشِّعَار – بكسرِ الشِّين المعجمة ، وبالعين المهملة : العلامة التى كانوا يتعارفون بها .

* * *

٥٢٠ ت
٢٨٩ م

شرح غريب ذكر ارادة شيبة بن عثمان والنضير / بالتصغير بن الحرث[2] الفتك برسول الله – صلى الله عليه وسلم

الفتك : القتل على غفلة ، أَو القتل مطمئنا مجاهرة .

عَنْوَةً – بعين مهملة مفتوحة ، فنون ساكنة ، فواو مفتوحة ، فتاء تأْنيث : قهراً وغلبة .

المَرْصِد – بكسرِ الصَّاد المُهملة : اسم فاعل .

اقْتَحَمَ عن بغلته : أَلقى نفْسَه عنها .

أَصْلَتَ السَّيفَ : سله من غِمْده .

أُسَوِّرُه – بفتح السِّين المهملة وكسر الواو المشدَّدة : أَعلوه .

سَوْرَة – بفتح السِّين المهملة ، وسكونِ الواو ، وفتح الرَّاء ، وسورة الخَمْر وغيرِه : حِدَّتُها ، والمجد: أَثرُه وعلامته وارتفاعه ، والبرد:شدَّته ، والسلطان:شدته واْعتداده .

---

(١) بياض بالأصل والمثبت عن اللسان ، فسر بها يجتبرونها ، وفى البداية والنهاية ٤ : ٣٣٠ ومغازى الواقدى ٣ : ٩١٠ «يجتبرونها» .

(٢) ورد فى هامش ت ورقة ٥٢٠ مقابل شيبة بن عثمان مايلى : «قال اسماعيل بن اسحاق ، قال نصر بن على هو النضير – بفتح النون ، وقال أبو حاتم يقال نضير ونضير بضم النون ؛ قيده الدار قطنى» .

الشُّواظ – بضمٍّ الشِّين المعجمة وكسرها : اللَّهبُ الَّذى لا دَخَانَ فيه .

يتَمَحَّشنى – بتحتية ففوقية مفتوحتين ، فميم مفتوحة ، فحاء مشددة وشين معجمة : يحْرِقُنى .

مشيت القهقرى : المشى إلى خلْف من غير أن يعيد وجهه إلى جهة مشيه .

يا شيب : منادى مُرَخّم ، ويجوز فيه ضم الموحدة وفتحها .

شُرَحْبِيل – بضم الشين المعجمة وفتح الراء وسكون الحاء المهملة ، وكسر الموحدة ، وبالّلام .

٥٢١ ت /العبدرى ، بفتح العين المهملة ، وسكون الموحَّدة ، وآخره راء فَيَاءُ نسب .

الدَّبْرة – بفتح الدال المهملة وبالموحدة وتسكن : الهزيمة ، وهو اسم من الإدبار .

الفِئَتَان – تثنية فِئة بكسر الفاء وبالهمز : الفرقة من النَّاس وجمعها فئون وفئآت .

الحَيز – بالحاء المهملة المفتوحة والتحتية الساكنة وبالزاى[1] :الناحية .

عمَدْتُ له : قصدت .

إليْكَ إليك : اسم فعل بمعنى [الزم أو انتبه] [2]

الرُّعب : الفزع .

حَلْب ناقة : أى قدر ذلك .

ياللخزرج – بفتح الّلام .

أَرعدت جوارحى : ارتعشت .

غُبَّرات الناس بضم الغين المعجمة وفتح الموحدة المشددة : جمع غُبر كذفر : وهو جمع غابر ، وهو هنا بمعنى الباقى .

خَمَر الشجر– بفتح الخاء المعجمة والميم وبالراء : ما وَارَاك منه .

---

(١) كذا فى ط ، م وفى ت « المحيز » ويخالفه ما ورد من الضبط بالحروف وفى القاموس –ح وز – الحوزة: بهاء الناحية – والحيز : السوق الشديد والرويد – ضده –

(٢) إضافة للتوضيح .

الجِعْرَانة – بكسر الجيم وسكون العين – خفَّفَ الأَكثرُ الراءَ وشدَّدَها غيرهم : موضع على سبعة أميال من مكة من جهة الطائف .

الْعِبَرُ – بكسر العين المهملة وفتح الموحدة جمع عَبِرَة بفتح أوله وكسر ثانيه : وهى الأعتبار والتفكر فى عواقب الأُمور .

لقيته كفَّة كفَّة[1] – بكسر الكاف فيهما ، أى كفاحا ، وذلك إذا استقبلته مواجهة ، وهما أسمان جُعِلاَ واحداً وبُنيا على الفتح مثل خمسة عشر

آن لك وحان:أى قرب فيه .

توضع : تسرع .

* * *

شرح غريب ذكر ثبات رسول الله – صلى الله عليه وسلم

فَرْوَة : بلفظ اسم الملبوس .

نُفَاثة – بضم النون وتخفيف الفاء وآخره ثاء مثلثة .

الْجُذَامِى بضم الجيم ، وبالذال المعجمة .

طفق : شرع .

قِبَل – بكسر القاف ، وفتح الموحدة : تلقاءَه أى جهته .

يَرْكُض : يسرع .

آخِذ – بمد أوّله ، وكسر الخاء المعجمة .

الْحَكَمَة – بفتح الحاء المهملة ، والكاف ، والميم ، وبتَاء تأْنيث : حديدة فى اللِّجام تكون على أنف الفرس ، وحنكيه تمنعه من مخالفة راكبه .

شَجَرْتُها – بشين معجمة ؛ أى ضربتها بالحَكَمَة حتّى فتحت فاها .

---

(١) وفى القاموس « كفة كفة لخمسة عشر ، وكفة لكفة ، وكفة عن كفة – على فك التركيب – أى كفاحاً كأن كفك مس كفه ، أو ذلك إذا لقيته فنعته من النهوض ومنعك » .

المُقَنَّع – بضمٍّ الميم وفتح القاف ، والنُّون المشدَّدَة ، وبالعين المهملة : الذى على رأسه البيضة .

أنشدك ما وعدتنى : أسأَلك ذلك .

لا يظهرُوا علينا : يغلبونا .

أَصْحَاب السَّمُرَة ، يشيرُ بذلك إلى أَصحاب بيعة الحُدَيْبية ، لأَنَّهم بايعوا تحت الشَّجرة ، وكانت سَمُرَة .

يا أَصْحَابَ سُورة البَقَرَة : خُصَّت بالذِّكْر حين الفرار لتضمنها ﴿ كَمْ من فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ ﴾[1] أو لتضمنها ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾[2] ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَه ٱبْتِغاءَ مَرْضَاةِ اللهِ ﴾[3] .

الحَرَجة – بفتح الحاء المهملة والرَّاء ، وبالجيم : مجتمع شجر ملتف كالغَيْضة ، والجمع حرج وحراج .

يَثْنِى بعيره بفتح أوله : يديْر رأسه صوْبَ رسولِ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلم .

الدرع من الحديد : مؤنثة ، ولهذا قال فيقذفها ، أى يرميها .

يؤم الصوت : يقصده .

صُبُرٌ عند اللقاء – بضم الصَّاد المهملة ، وتشديد الموحدة المفتوحة : أى أَشداء أَقوياء .

مُجْتَلَدهم – بميم مضمومة ، فجيم ساكنة ، فمثناة فوقية ، فلام مفتوحتين : موضعُ جِلَادِهم ، أى ضرابهم .

المُتَطَاوِل : الذى مدَّ عُنُقَه لينظُرَ إلى الشىء يبعد عنه .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٤٩

(٢) سورة البقرة آية ٤٠ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٠٧ .

الْوَطِيسُ : هو شئٌ كالتنور يخبز فيه شبه شدة الحرب به ، وقيل : حجارةٌ مدوَّرة إذا حميت منعت الوطء عليها ، فضُربَ مثلا[1] للأمر يشتد .

حَدُّهُم - بفتح الحاء : قُوَّتهم .

كليلا : ضعيفا .

أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ أَمْوَالَهُم : غَنَّمه ذلك .

الفِهْرِى - بكسر الفاء ، وسكون الهاء .

كُرْز - بضمِّ الكافِ ، وسكون الرَّاء ، وبالزَّاى .

قَائِظٌ : شديد الحر .

اللَّأْمة : الدِّرع / . ٥٢٢ت

الفُسْطَاط - بضمِّ الفاء وتكسر بيت من شَعْر :

حان الرواح : قرُب .

أَجَل : كنَعَم ، وزناً ومعنى .

دفتاه : دفّ الرَّجل وَدَفَّته - بالفتح ، وتشديد الفاء جانب كور البعير وهو سرجه ؛ والدَّف والدفة : الجانب من كل شيء .

الْأَشَرُ - بفتحتين : البطر وكفر النِّعْمة وعدم شكرها . قال الراغب : الْأَشَرُ : أبلغ من البطر ، والبطر : أبلغ من الفرح ، فإنَّ الفرح وإن كان فى أغلب أحواله مذمُوماً كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الفَرِحِين ﴾[2] فقد يحمد تارة إذَا كان على قدر ما يجب ، وفى الموضع الذى يجب قال تعالى : ﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾[3] وذلك أن الفرح

---

(١) وفى شرح المواهب للزرقانى ٣ : ١٣ « قال فى الروض من وطست الشىء إذا كدرته وأثرت فيه . وهو كما قال جماعة : التنور يخبز فيه ، وقال ابن هشام : حجارة توقد العرب تحتها النار ويشوون فيها اللحم ، وفى الروض : الوطيس نقرة فى حجر يوقد حوله النار فيطبخ فيه اللحم ، والوطيس التنور يضرب مثلا - بعد نطقه عليه السلام به ؛ لأنه أول من قاله - لشدة الحرب الذى يشبه حر ألمها الحاصل فيها حر التنور الحاصل ملاقاته ، إذ ليس فيها حرارة حسية تشبه بحره .

(٢) سورة القصص آية ٧٦ .

(٣) سورة يونس آية ٥٨ .

قد يكون من سرور بحسب قضيَّة العقل فليس بمكروه ، والأَشَرُ لا يكون إلاَّ فَرَحاً بحسب قضيَّةِ الهوى .

تَسَامَت الْخيْلَان : [تبلدت وتطاولت][1]

حثاها : ألقاها

شاهت وجوههم : تَشَوَّهَت وقَبحَت[2] .

الصَّلْصَلَة : صوت كل ذى صوت .

الطست : تقدَّم الكلام عليه فى الرضاع وفى الكلام على شقِّ صدره الشَّريف فراجعه .

دُلْدُل – بضم الدّالين المهملتين ، وسكون اللام الأُولى بينهما ، وسيأْتى الكلام عليها فى ذكر بغاله – صلَّى الله عليه وسلَّم .

حم : أشبعتُ الكلام على الحروف المقطعة فى أوائل كتاب « القول الجامع الوجيز الخادم للقرآن العزيز » فراجعه .

السُّوَائى – بضمِّ السِّين المهملة ، وتخفيف الواو وبالهمزة بعد الأَلف.

القَذَى – بالقاف والذال المعجمة : ما يقع فى العين والماء والشراب من تراب أو طين أو وسخ أو غير ذلك : جمع قذاة ، وجمع القَذَى أقذاء .

اهتف بهم : صح وادعهم .

الشهب : جمع شهاب .

السَّبِيعى – بفتح السين المهملة وكسر الموحدة فتحتية فعين مهملة

حُسَرَ[3] – بضم الحاء وفتح السين المهملتين وبالراء .

---

(١) إضافة للتوضيح عن القاموس .

(٢) وهى خبر بمعنى الدعاء ، أى اللهم قبح وجوههم ، ويحتمل أنه خبر لوثوقه بذلك (شرح المواهب للزرقانى ٣ : ١٣) .

(٣) كذا ضبطه المصنف . ولعله خطأ لأن حاسر تجمع على حسر بفتح السين المشددة . وفى شرح الزرقانى ٣ : ١٦ « حسر بضم الحاء وشد السين » وهم الرجالة فى الحرب أو الذين يحسرون عن وجوههم ورءوسهم، أو يكونون لا درع عليهم ولا بيض .

الثَّنِيَّة : كلُّ عقبة مسلوكة .

رِاحْمَرَّ البَأْس – بكسرِ أوله ، وسكون الحاء المهملة ، وفتح الميم ، وتشديد الرَّاء : اشتدت الحرب .

غشَوْه : ازدحموا عليه وكثروا .

* * *

شرح غريب ما قيل ان الملائكة قاتلت يوم حنين

قوله مُسَوَّمين : معلمين .

الْبِجاد – بكسرِ الموحَّدة ، وتخفيف الجيم ، وبالدَّال المهملة : الكساء ، جمعه أبجد[1]

نَمْلٌ مَبْثُوث : متفرق .

أم بُرْثُن – بضم الموحدة ، وسكون الراء ، وضمٌ الثَّاء المثلثة ، وبالنون – وقيل بالميم

كَبَبْناهم : قلبناهُم راجعين .

تطِنُّ – بفوقيَّة ، فطاء مهملة ، تُصَوِّت .

الخَفَقَان : الأضطراب والتحرك .

الطِّسَاس[2] – جمع طَسْت /وتقدم الكلام عليه فى الكلام على شَقِّ صدره الشَّريف . ٢٩٩ أ

الْكَتَائِب – جمع كَتِيبةٍ بفتح الكاف ، وكسر الفوقيَّة : وهى الطَّائفةُ المجتمعةُ من الجيش .

ما يليقون – بيائين تحتيين بينهما لام مكسورة فقاف ، يقال : لا يليق بك : لا يَعْلَق .

الرِّعْدَةُ – بالكسر : اسم من أرتعد إذا أضطرب .

* * *

---

(١) كذا فى الأصول ، وفى شرح المواهب ٣ : ١٦ « بجد » .

(٢) الطساس : هذا اللفظ لم يرد فى سياق الغزوة .

حَارِثَةُ بنُ النُّعمان – بحاء مهملة ، فألف ، فراء ، فمثلَّثة .

نَكَصَ عَلَى عَقِبِه بنونٍ ، فكاف ، فصاد مهملة مفتوحات:رجع .

الحَكَمُ – بفتحتين .

عُتْبة بن أَبِي لَهَب – بضمّ العين المهملة ، وسكون الفوقية ، وبالموحدة .

مُعَتِّب – أخوه بضمّ الميم ، وفتح العين المهملة وكسر الفوقية المشددة وبالموحدة .

أبو دُجَانَة – بضمّ الدّال المهملة ، وبالجيم المخففة ، والنون .

أَبُو بَشِيرٍ الْمَازِنِىّ كأمير .

الحُضَير- بضم الحاء المهملة ، وفتح[1] الضَّادِ المعجمة ، وسكون التّحتيَّة .

أمُ سُليم – بضمّ أوّله .

مِلْحَان – بكسر الميم ، وفتحها ، قال فى المطالع : والأوّل أشهر ، وعليه اقتصر ابن الأثير والنووى .

٥٢٣ت نَسِيبَة ككريمة وقيل / بالتصغير .

يغُر بها[2] الجمل بالغين المعجمة .

الخِزَام – بكسرِ الخاء المعجمة .

بُرَة – بضَمّ الموحَّدة ، وتخفيف الراء : حلقة من صفر ونحوه يشد فى أنف النّاقة ، يشد بها الزّمام .

الخِطَام – بكسرِ الخاء المعجمة : ما يقادُ به الجمل .

الخِنْجر – بفتح الخاء المعجمة وكسرها:سكّينٌ كبير .

---

(١) فى الأصول « بكسر » ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) كذا بالأصول وفى سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٦٠ « يعزها الجمل » بالعين والزاى وكذا فى المغازى للواقدى ٣ : ٩٠٤ .

بَعَجَ بطنه : شَقّه .

جَمَلٌ أَوْرَق : فى لوْنه بياضٌ إلى السّواد ، أو يضرب لونه إلى الخضرة .

يُوضِعُ به جَمَلُه : يُسْرِع .

أَثْبَتَه : أصاب مَقْتَلَهُ .

مُصلِتُ السيف : مُخْرِجُه من غِمْدِه .

الغِمْدُ ـ بكسرِ الغين المعجمة : قِرَابُ السَّيف .

ناقَةٌ فَتُوح ـ بفتح الفاء ، وضمٍّ الفوقية المخففة : واسعة الإِحْليل .

بنُو مَازِنٍ ـ بكسر الزَّاى .

المجسار [اسم جمل زوج أُم الحارث الأَنصارية][1]

الشِّعَار : العلامة فى الحرب .

صَعْصَعَة بمهملات وفتح أوله ، وسكون ثانيه .

اليَعْسُوبُ ـ بفتح التحتيَّة ، وسكون العين ، وضمٍّ السِّين المهملتين .وبالموحدة : ملك النحل .

النَّسَمَة ـ بفتحات : الإِنسان[2] .

لن تعلوه : لن تشربُوا منه مرَّةً ثانية .

لن تغلوه : لن تغلبوه[3] .

ثاب ـ بالمثلَّثة : رجع .

اجْزُرُوهُم : استأْصِلُوهم .

---

(١) بياض بالأصول والإثبات عن ص ٤٨٧ .

(٢) مابين الرقين كلمات لاتقرأ فى الأصول ، ولعل الصواب ما أثبته ويؤيده ما ورد فى ص ٤٨٨ فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل نسمة تولد من قطرة » .

(٣) وانظر رواية الواقدى ٣ : ٩١٢ وقد أوردناه فى تعليقات ص ٤٨٩ .

المِشْقَصُ – بكسرِ الميم ، وسكون الشِّينِ المعجمة ، وفتح القاف : سهم فيه نصلٌ عريض .

الْكِنَانَة – بكسرِ الكَافِ : ما يُجْعَل فيه السِّهام .

بجَاد – بفتح الموحدة وبالجيم والدال المهملة ، ولم أر له ذكراً فى الصحابة وكأنه لم يُسْلِم .

الشَّيْمَاء : تقدَّم الكلامُ عليها فى الرِّضاع .

وَمَا عَلاَمَةُ ذَلِكِ – بكسرِ الكاف : خطاب المؤنث .

مُتَورِّكَتُك : أى جعلتك على وركى .

٢٩٩ب وادى السُّرَر – بكسر السين المهملة وبضَمِّهَا / وفتح الرَّاء : على أَربعةِ أَميال من مكَّة[1] .

البَهم – بفتح الموحدة .

أطلال بِفتح الطاء المهملة وباللاَّم .

مُحبَّبَةً – بضم الميم ، والموحدة المشددَة اسم مفعول وكذا مُكَرَّمَة .

وافَاهَا : [لحق بها][2]

عسكروا[3] بـأَوْطَاس : اجتمعوا .

نَخْلة – بالخاء المعجمة : اسم موضع .

بنُو غِيَرَة – بكسرِ الغين المعجمة ، وفتح التحتية ، وبالرَّاء : بطنٌ من ثقيف .

رَبيعَة – براءٍ ، فموحدة ، فمثناة ، فعين مهملة .

رُفَيع بالتصغير .

أُهْبان – بضم أوله .

---

(١) وفى القاموس والسرر كصرد وعنب مكان قرب مكة كانت به شجرة سر تحتها سبعون نبياً أى قطعت سررهم .

(٢) بياض بالأصول والمثبت يقتضيه السياق .

(٣) من هنا يبدأ شرح غريب مقتل دريد بن الصمة .

العِجانُ ـ بكسر العين المهملة ، وبالجيم ، والنُّون : ما بين الخصية وحلقة الدُّبُر .

الثَّنيَّة : الطريق فى الجبل .

لِيَّة ـ بكسر الَّلام ، وفتح التحتية المشدَّدَة : جبلٌ بالطائِف ، كان به حصْنُ مالك بن عوف

سُرَاقَةُ ـ بضمٍّ السِّين المهملة .

رُقَيْم ـ بضمٍّ الرَّاء ، وفتح القاف .

لَوْذَان ـ بفتح الَّلام ، وسكونِ الواو ، وبالذَّال المعجمة .

زَمْعَة ـ بفتح الزَّاى والميم وبسكونها ، وبالعين المهملة .

جَمَحَ بِه فَرَسُه : استَعْصى عليه .

الْجَنَاحُ ـ بلفظ جناح الطَّائر .

اسْتَحَرَّ القتلُ : اشتدَّ وكثر . وهو استفعل من الحرّ .

ذُو الْخِمَار : اسمه سبيع بن الحارث بن مالك لم يعلم له إسلام .

* * *

شرح غريب ذكر بَرَكة رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى برء جرح عائذ بن عمرو وفى الماء ، ونَهيه عن قتل النساء ، وقوله : أنا بن العواتك

عَائِذ ـ بهمزة بعد الألف ، فذال معجمة .

الثُّنْدُؤة ـ بالثَّاءِ المثَلَّثة ، وسكون النون ، وضمٍّ الدَّالِ المهملة ومَنْ ضَمَّ الثَّاءَ : همز ، ومن فتحها لم يهمز كالثَّدْى للمرأة .

حَشْرَج ـ بفتح الحاء المهملة ، وسكون الشين المعجمة ، وفتح الراء وبالجيم .

سَابِلَةٌ : مستطيلةٌ عريضة .

غُرَّةُ الْفَرَسِ : بياضٌ فى جبهته فوْقَ الدِّرهم .

النُّطَفةُ ـ بضمٍّ النُّون : والمراد بها هنا الماءُ الصَّافى القليل .

الإداوة-بكسر أوّله وبالدَّال المهملة : المطهرة .

رَبَاح – بفتح الرَّاء ، وتخفيف الموحَّدة ، وبالحاء المهملة .

رَبيع بفتح الراء .

العَسِيفُ : الأَجير لفظاً ومعنىً ، وهو أيضاً المملوك .

٥٢٤ت سَيَابة – بفتح السِّين المهملة وتخفيف / التحتية وبالموحدة[1] .

* * *

شرح غريب ذكر قوله – صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه

السَّلَبُ – بفتح السِّين المهملة ، واللاَّم : ما يُسْلَبُ ؛ أى ينزع .

حَبْلُ العَاتِق : وهو الوريد ، والعَاتِقُ : موضع الرِّداء من المنكب .

أَجهضت عنه : غيبت عنه وأزيلت .

أَسْوَد بن خُزاعى – بضم الخاء المعجمة .

رِبعى-بكسر الراء .

الجَوْلَة : حركةٌ فيها اختلاط .

يَخْتِلُه – بفتح التَّحتية ، وسكون الخاء المعجمة ، وكسرِ الفوقية : يأُخذه على غِرّة .

٣٠٠ فَقَطَعْتُ الدِّرْعَ : أى الَّتى كان لابسها ، وخلصت الضربة إلى / يده فقطعتها .

وَجَدْتُ مِنْهَا رِيْحَ المَوْتِ : أى شدّتها .

أَرْسَلَنِى : أَطْلَقَنِى .

أَمْرُ الله : حُكْمه وقضاؤُه .

لَاهَا الله – قال الجوهرى : « ها » للتنبيه ، وقد يقسم بها ، يقال : ها الله ما فعلتُ كذا ، قال ابنُ مالك : فيه شاهدٌ على جَوَازِ الاستغنَاء عن واو القسم بحرف التَّنبيه ،

---

(١) كذا بالأصول وانظر التعليق ص ٤٩٤ .

قال : ولا يكونُ ذلك إلاَّ مع الله ؛ أى لم يُسْمَع لَاهَا الرَّحمٰن ، كما سُمِعَ لَا والرَّحمٰن ، قال : وفى النُّطْقِ بها أَربعة أَوجه ، أَحدها : هالله باللاَّم بعد الأَلف ، بغير إظهار شىء من الأَلفين ، ثانيها مثله ، لكن بإظهار أَلفٍ واحدةٍ بغيرهمز ؛ ثالثها بثبوت الأَلفين وبهمزة قطع ، رابعها بحذف الأَلف وثُبُوتِ همزة القطع ، انتهى . والمشهورُ فى الرِّواية الثَّالث ثم الأَوَّل .

إذًا ـ قال الحافظ أَقوال كثير مِمَّن تكلَّم على هَذا الحديث : أَنَّ الَّذى وقع فيه بلفظ إذاً خطأ ، وإنَّما هو ذَا تبعاً لأَهلِ العربية ، ومن زعم أَنَّه ورد فى شىء من الرِّواياتِ خلافُ ذلك فلم يُصب ، بل يكونُ ذلك من إصلاح بعض من قلَّد أَهل العربية ، قد ثبَتَ فى جميع الرِّوَايَات المُعْتَمَدَة والأُصُولِ المحقَّقة من الصَّحيحين وغيرهما بكسر الأَلف ، ثم ذال معجمة منونة ، قال الطيبى : ثبت فى الرِّوَايَات « لَاهَا الله إذن » والحديث صحيح ، والمعنى صحيح ، وهو كقولك لمن قال لك : أَفعلُ كذا ؟ فقلتَ : لَا وَالله إذنْ لَا أَفْعَل ، فالتَّقدير : والله إذن لا يعمدُ إلى أَسد .. إلخ . قال أَبو العبَّاس القُرْطُبِىُّ : الَّذِى يظهرُ لى أَن الرِّوايةَ المَشْهُورَةَ صوابٌ وليسَتْ بخطأ ؛ وذلك أَنَّ الكلامَ وقع على جوابِ إحْدَى الكلمتين للأُخرى ، والهاء هى الَّتى عُوِّضَ بها عن واو القسم ، وذلك أَنَّ العرب تقولُ فى القسم : آللهِ لأَفعلنَّ ، بمدِّ الهمزة وبقصرها ، فكأَنَّهم عوضوا من الهمزة هاء فقالوا « هالله » لتقارب مخرجيها ، وكذلك قَالُوا : « ها » بالمدِّ والقصر ، وتحقيقُه أَنَّ الَّذى مد مع الهاء كأَنَّه نطق بهمزتين أَبدل من إحداهما أَلفا ، إستثقالاً لاَجتماعهما ، كما تقولُ : « آلله » . والَّذى قصر كأَنه نطق بهمزةٍ واحدة كما تقول : « الله » . وأَمَّا إذا فهى بلا شكٍّ حرفُ جواب وتعليل ، وهى مثلُ الَّذِى وقعَتْ فى قوله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وقد سُئل عن بيع الرطب بالتَّمر فقال « أَينقص الرّطب إذا جفَّ » قالوا : نعم قال : « فَلاَ إذَن » فلو قال : فلا والله إذاً كان مُساوياً لما وقع هنا ـ وهو قوله : « لاها الله إذا » من كلِّ وجه ، لكنَّه لم يحتج هنا إلى القَسَم فتركه ، قال : فقد وضح تقديرُ الكلام ومناسَبتُه واستقامَتُه معنىً ووضعاً من غيْرِ حاجةٍ إلى تَكَلُّفٍ بعيدٍ يخرج عن البلاغة ، ولا سيَّمَا من ارتكب وأَبعد وأَفسد ، فجعل « الهاءَ » للتَّنبيه « وذا » للإشارة ، وفَصَلَ بينهما بالمُقْسم به ، قال : وليس هذا

٣٠٠ب قياساً فيطرد / ، ولا فصيحاً فيحملُ عليه الكلام النَّبوى ، ولا مرويًّا / برواية ثابتة . قال :
٥٢٥ وما وُجِدَ للعذرى والهروى فى مسلم « لا ها الله ذا » فإصلاحُ مِمَّن اغترَّ بما حُكِى عن بعض أهل العربية ، والحقُّ أحقُّ أنْ يُتَّبع .

وقال أبُو جعفر الغرْنَاطى نزيل حلب – رحمه الله تعالى – استرسل جماعةٌ من القُدَماء فى هذا الإشكال إلى أنْ جعلُوا المخلص من ذلك أن اتهموا الإثبات فى التصحيف فقالوا : الصَّواب « لاها الله ذا » باسم الإشارة ، قال : ويا عجباً من قوم يَقْبَلُون التَّشكيك على الرِّوَايَات الثَّابِتَة . ويطلقون لها تـأْويلاً ، وجوابهم أنَّ « ها الله » لا يستلزم اسم الإشارة . كما قال ابن مالك ، وأمَّا من جعل لا يعمد جواب فأَرضه فهو سبب الغلط وليس بصحيح ممن زعمه وإنمَّا هو جوابُ شرطٍ مقدَّرٍ يدلُّ عليه قوله « إن صَدَقَ فأَرضه » فكأَنَّ « أبو بكر » قال : إذا صَدَقَ فى أنه صاحب السَّلَب إذاً لا يعمد إلى السَّلَب فيعطيك حقه ، فالجزاءُ على هذا صحيح لأَنَّ صِدْقَه سَبب ألا يَفْعَلَ ذلك ، قال : وهذا واضحٌ لا تَكَلُّف فيه ، قال الحافظ : فهو توجيهٌ حسن ، والَّذى قبله أقعد ويؤيده كثرة وقوع هذه الجملة فى كثير من الأَحاديث . وسردها الحافظ ، وبسط الكلام على هذا اللفظ هو والشيخ فى شرح الموطأ ، فمن أراد الزِّيادة على ما هنا فليراجع كلامهما رحمهما الله تعالى .

لا يعمد – بالتحتية للأَكثر ، وللنووى بالنون : أى لا يقصد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى رجلٍ كأَنه أسد فى الشَّجاعة يقاتلُ على دينِ الله ورسولِهِ – فيأخذ حقه ويعطيكه بغير طيبة من نفسه .

كَلاَّ : حرف ردع وزجر .

أُصيبغ[1] – بمهملة ، ثم معجمة عند القابسى . وبمعجمة ثم مهملة عند أبى ذرّ ، قال ابن التين : وصفه بالضعف والمهانة . والأَصيبغ نوعٌ من الطَّير ، أو شبَّهَهُ بِنَبَاتِ ضعيفٍ يقال له الصيغا إذا طلع من الأَرض يكون أَوّل ما يلى الشمس منه أصفر ، ذكر ذلك الخطابى ، وهذا على روايةِ القَابِسِى ، وعلى الرواية الثَّانيه تكون تصغير الضَّبُع على

(١) لم يرد هذا اللفظ فى سياق الغزوة .

غير قياس ، كأنه لمَّا عظَّمَ أبو قتادة » بأنه أسَد صغَّر خصمه وشبهه بالضَّبع لضعف افتراسه ، وما يُوصف به من العجز ، وقال ابن مالك : أُضيبع – بمعجمة وعين مهملة – تصغير أضبع ، ويكنى به عن الضعيف ،

ويدع – بالرفع والنصب والجزم أى يترك .

صَدَقَ : أى القائل .

فَأَعْطِه – بصيغة الأمر ، يقولُ : اعترف بأن السَّلب عنده .

المَخْرَف – بفتح الميم ، والرَّاء ، وسكون الخاء المعجمة بينهما ، ويجوزُ كسر الراء ؛ أى بستاناً سُمِّىَ بذلك لأنه يُخْتَرَفُ منه التَّمر أى يُجْتَنَى ، وأما بكسر الميم فهو اسم الآلة الَّتى يُخْتَرَفُ بها .

فى روايةٍ خِرافاً – بكسر الخاء : وهو التَّمر الذى يُخْتَرَف أى يُجْتَنَى ، وأطلقه على / البستان مجازاً فكأنه قال : بستان خراف . ٣٠١ أ

فى بنى سَلِمَة – بكسر اللاَّم : بطنٌ من الأنصار ؛ وهم قومُ أَبى قَتَادَة .

تأثَّلْته بالفوقية والثَّاء المثلَّثة : أى تأصَّلْته ، وأثلة كل شئ أصله .

اعتقدته جعلته عقدة ، والأصل فيه من العقد لأن من ملك شيئاً عقد عليه .

نَتَضَحَّى معه : نأكلُ وقتَ الضُّحَى .

انْتَزَع طَلْقاً : قيداً من جُلُودٍ .

من حَقَبه – بفتح المهملة والقاف : حبلٌ يشدُّ به الرَّحْل إلى بطْنِ البعير ممَّا يلى ثِيْله[1] .

رقة من الظهر : ضعف .

ناقة ورقاء: فى لونها بياض إلى السواد ويَضْرِبُ لونُها إلى الخضرة .

اخْتَرَطَ سَيْفَه : سَلَّه منْ غِمْدِه ، / وهو افتَعَل من الخرط . ٥٢٦ ت

---

(١) الثيل : وعاء قضيب البعير أو هو قضيبه . (القاموس).

شرح غريب جمع غنائم حنين وحكومة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين عيينة والأقرع فى دم عامر بن الأضبط الذى قتله محلم بن جثامة

الوَبرَة من البعير ـ بفتح الواو والموحدة .

عُيَيْنَة ـ بضم العين المهملة وكسرها وفتح التحتية الأُولى وسكون الثانية .

حِصْن ـ بكسر الحاء ، وسكون الصَّاد المهملتين ، وبالنون .

ابن الأَضْبَط ـ بوزن الأَحْمَر بالضَّاد المعجمة ، والموحَّدة ، والطَّاءِ المهملة .

مُحَلِّم ـ بضمِّ الميم ، وفتح الحَاءِ المهملة ، وكسر اللاَّم المشددَة ، وبالميم .

جَثَّامة ـ بفتح الجيم ، وتشديد الثَّاءِ المُثَلَّثَة وبعد الأَلف ميم مفتوحة وتاءُ تأْنيث واسمه زيد بن قَيْس .

خِنْدِف ـ بكسرِ الخَاءِ المعجمة وسكون النُّون ، وكسر الدَّال المهملة ، وبالفاء .

مُكَيْتِل ـ بضمِّ الميم ، وفتح الْكَاف ، وسكُونِ التَّحتية ، وكسر الفَوْقيَّة ، واللاَّم ، ويُرْوى بكسرِ الثَّاءِ المُثَلَّثَة ، وباللاَّم .

الشِّكة ـ بكسر الشين المعجمة : السلاح .

والرَّجُلُ المجتمع : الذى بلغ أَشُدَّه .

غُرَّة الإسلام بالغين المعجمة : أوله .

« فَوْرِنا » بفتح الفاء وسكون الواو وبالراءِ هنا : الوقت الحاضر : الذى لا تأْخير فيه ، ثُمَّ استعمل فى الحالة التى لا بُطْءَ فيها .

يؤزونه ـ بالزَّاى يغرون ويهيجون .

ضَرْبٌ ـ بفتح الضاد المعجمة وسكون الرَّاء ، وبالموحَّدة ، وهو هُنا الخفيفُ اللَّحمْ المشوق المستدق .

آدم ـ بالمد : أَسْمَر .

يُنْفِذُ بِهِ النَّاسَ ـ بالنُّونِ ، والفاء ، والذَّال المعجمة : يسمعهم .

الحُصَين ـ بضمِّ الحاء ، وفتحِ الصَّاد المهملتين مصغر .

شرح غريب ذكر البشير الذى قدم المدينة بهزيمة هوازن

نَهِيك ـ ككريم ـ آخره كاف .

غمْرة – بغينٍ – معجمةٍ مفتوحة ، فميم ساكنة : منهلٌ من مَنَاهِلِ طريق مكَّة ، يصل بين تِهامة ونجد[1] .

أَطَأُ الخَبَر : أُعْلنه وأُبينه .

مَعْدِن – بفتح الميم ، وكسرِ الدَّال المهملة .

سُلَيْم – بضمٍّ السين .

المُصَلَّى – بضمٍّ الميم ، وفتح الصَّاد المهملة ، واللاَّم المشدَّدة : موضع الصلاَّة ؛ وهو موضع مُصَلَّى النَّبِيِّ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فى الأَعياد خارج المدينة بالعَقيق معروف .

* * *

شرح غريب شعر العباس بن مرداس رضى الله عنه / ٣٠١ ب

الرَّابِيَة : المكانُ المرتفع .

إِخَالُ – بالخاءِ المعجمة .

يُخَايِرُه : يقولُ أَنَا خيرٌ منه .

المَخِير – بفتح الميم وكسر الخاء المعجمة : أى يُغْلَبُ فى الخير .

قَسِيٌّ – بفتحِ القاف ، وكسرِ السِّين المهملة ، وتشديد التَّحتية : تقدم .

وَجّ – بفتح الواو وتشديد الجيم : موضع بالطائف .

الغَابَات – جمعُ غَابة .

ضَاحِيَة – بالضَّاد المعجمة ، والحاءِ المهملة : بارِزَةٌ لا تخفى

نَؤُمّ : نقصد .

الحنق – بالحاءِ المُهملة والنُّون : الغضب .

يغوروا – بالغين المعجمة : يذهبوا .

---

(١) وفى وفاء الوفا للسمهودى ٤ : ١٢٧٨ « غمرة بالفتح ثم السكون . مايغمر الشىء ويعمه ، اسم موضع بطريق نجد أغراه النبى صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن ، وسماه ابن سعد « غمر مرزوق ، بغير هاء ، قال : وهو ماء لبنى أسد .

لِيَّة – بكسر اللام تقدم .

ثَمَّ – بفتحِ الثَّاءِ المثَلَّثة .

النُّصُورُ – بضم النُّونِ ، والصَّاد المهملة : يعنى بنى نصْر .

تَمُور : تسيل .

ويُرْوَى قوله : بنى خطيط بالخاءِ المعجمة والحاء المهملة ، وبطَاءَيْنِ مهملتين بينهما تحتية .

زُور – بضم الزَّاى : مائلة .

سَنَن المنايا – بفتح السين والنون : طُرقُها .

الجَرِيْضُ – بفتحِ الجيم ، وكسْرِ الرَّاء ، وسكونِ التْحتيَّةِ ، وبالضَّاد المعجمَةِ السَّاقطة : المنخنق بِرِيقِه .

التَّوَانى : الفترة ، والإبطاءُ والكسل .

الغَلِقُ – بفتحِ الغين المعجمة ، وكسرِ اللَّام : الكثير الحرج كأنَّه تنغلقُ عليه أموره .

الصُّرَيِّرَة – تصغير صرورة : وهو الَّذى لا يأْتى النساءَ وهو فى الإسلام الذى لم يحج .

الحَصُورُ – بفتح الحاء ، وضمِّ الصَّاد المهملتين : وهو هنا العَيِىّ .

أَحَانَهُم : أهلكهم .

تميح : تمشى مشياً حسناً .

الفَصَافِصُ – بفتح الفاءِ ، وكسرِ الثَّانية بعْدَ كلِّ صاد مهملة جمع فصفصة : وهو النَّبَاتُ الذى تأْكله الدَّوَاب .

عُمِّمُوها – بضمِّ العين وكسر الميم الأُولى : أُسْنِدَتْ إليهم وقُدِّمُوا لها .

يُمْن بضم التحتية وسكون الميم .

الجدود : الحظوظ .

أُنُوفُ النَّاس : المقدَّمون فيهم .

مَا سَمَرَ السَّمِيرُ : أى أهله ، فحذف المضاف ويكون فيهم السمير ، أسماءَ الجماعة السُّمَّار / .

٥٢٧ت

غَزِيَّة – بفتح الغين المعجمة ، وكسرِ الزّاى ، وتشديد التحتية .

العَنْقَفِيرَ بفتحِ العين المهملة ، وسكونِ النُّونِ ، وفتح القاف ، وكسرِ الفاء ، وسكون التَّحتية ، وبالرَّاء : من أسماء الدَّاهية .

* * *

شرح غريب قصيدة العباس بن مرداس – رضى الله عنه – العينية

عَفَا : درس .

الْمِجْدَل – بكسر الميم ، وسكونِ الجيم ، وفتح الدَّال المهملة ، وباللاَّم : وهو هنا بلد طيب بِالْخَابُور إلى جانبه ، عليه قصر ، والأصل فيه اسم القصر ، ويقال الحصن[1] .

ومُتَالِع – بضمِّ الميم ، وكسرِ اللاَّم : جبل بنجد ، وبناحية البحرين بين السودة والإحساء ، وقيل : جبل لغنى ، وقيل : لبنى عبيلة ، وقيل : اسم ماء فى شرقىِّ الظَّهْرَان عند الفَوَّارة فى جبل القنان[2] .

المِطْلَى – بكسر الميم ، وسكونِ الطَّاء المهملة يُمد ويقصر : أَرض تُقْعِدُ[3] الرجُل عن المشى .

أَرِيك – بفتح الهمزة ، وكسرِ الرَّاء ، وسكونِ التحتيَّة ، وبالكاف : موضع فى ديار غنىّ أو ذُبْيان .

المَصَانِع /– بفتح الميم ، وتخفيف الصَّاد المهملة ، وبعْدَ الأَلفِ نون ، فعين مهملة : مواضع تُصنع للماء ، تُشْبه الصَّهَاريج .

٣٠٢أ

(١) وفى وفاء الوفا ٤ : ١٢٩٩ « المجدل : أطم بمزرعة تقابل سقاية سليمان بن عبد الملك ، وقال ياقوت : هو بالفتح ثم السكون ، وفتح الدال المهملة : منزل لهذيل .

(٢) متالع : ويقال متابع : جبل عن يمين أمرة ، بحمى ضرية ، وقال ياقوت : متالع بضم الميم وكسر اللام ، ماء شرق الظهران عند الفوارة فى جبل القنان ، والظهران جبل فى أطراف القنان . وهو غير الوادى الذى قرب مكة . (وفاء الوفا ٤ : ١٢٩٩) .

(٣) كذا فى الأصول . وفى الروض الأنف على السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٩٦ « تعقل الرجل » .

جُمْل – بجيمٍ مضمُومة ، فميم ساكنة ، فلام: اسم امرأة ، لا ينصرف للعلمية والتأنيث المعنوى .

جُلّ – بضمٍّ الجيم : معظم .

الرَّخِىُّ : الواسع .

صَرْف الدَّهر : تغيره .

حُبَيْبِيَّة – بضمٍّ الحاءِ المهملة ، وفتح الموحَّدة ، وسكون التَّحْتَانيّة الأُولى وكسر الموحَّدة ، وفتح التَّحتيَّةِ المُشَدَدَة : منسوبة إلى بنى حُبَيْب بالتصغير ، وحبيبة منسوبة إلى بنى حَبِيْب بوزن عَلِيمْ وحُبَيْبِيَّة تصغير حبيبة ، وكلها روايات .

أَلْوَت : ذهبت[1] .

غَرْبَةُ – بفتحِ الغين المعجمة ، وسكونِ الرَّاءِ ، وفتح الموحَّدة ، فتاء تأنيث :بُعْدُ .

النَّوَى : الفراق .

مَلُومَة – من اللَّوم : وهو الْعِتَاب .

خُزَيْمة – بضم الخاء المعجمة وفتح الزّاى ، وسكون التحتية –بن جُزِىء[2] بفتح الجيم وقيل بضمها وكسر الزاى ، وآخره بعد المدّ همزة ، أو تُسهل فتصير الياء مدغمة كذا ذكر الحافظ فى التبصير .

وقال فى الإصابة : إنَّه بكسرِ الزَّاى . وقال فى التَّقريب : بفتح الجيم ، وسكون الزّاى ، بعدها همزة ، : صحابى .

والمَرَّاد – بفتحِ الميم ، وتشديد الرَّاء ، وبعد الألف راء أُخرى ابن[3] صحابى .

وواسع : صحابى أيضاً لم أقف على اسم أبويهما[4] ، الثلاثة سُلَيْمِيُّون . وفدُوا إلى رسول الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم .

---

(١) فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٦٢ « ألوت بها : غيرتها » .

(٢) وكان الدارقطنى يقول فيه : جزى بكسر الجيم والزاى (الروض الأنف ٢ : ٢٩٦) .

(٣) بياض فى الأصول بمقدار كلمة .

(٤) فى الأصول « أبيه » ولعل الصواب ما أثبت .

لَبُوس – بفتح اللاَّم ، وضمٌ الموحَّدة المخففة .

رَائِع – بِرَاءٍ ، وبعد الأَلف تحتية ، وبعين مهملة : معجب .

الْأَخْشَبَان – بالْخَاءِ ، والشين المعجمتين فموحدة ، يُضَافَان مرَّة إلى مكَّة ، ومرَّةً إلى منىً ، وهُمَا واحد ، أَحدهما أَبو قبيس ، والآخر قعيقعان ، ويقال بل الجبل المشرق الأَحمر هنالك وقال . ابن وهب : الأَخْشَبَان : الجبلان اللَّذان تحت العقبة بمنىً فوق المسجد .

يَدَ الله – منصوب على التعظيم .

نُبَايع : نقدم عليه .

جُسْنَا : وَطِئْنَا ، قال تعالى ﴿ ... فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ ... ﴾[1] : تخلَّلُوها فطَلَبُوا ما فيها

عَنْوَةً – بفتح العين المهملة : قهرا .

النقْعُ – بفتحِ النّون ، وسكونِ القَاف ، وبالعين المهملة : الغُبَار .

كَابٍ – بالموحدة : مُرْتَفِع .

سَاطِع : متفرق .

عَلاَنِيَةً – بعين مهملة مفتوحة فلام فأَلف فنون مكسورة فتحتية مفتوحة فتاءُ تأْنيث : أَى جَهْرًا من غير استخفاء .

الخيل مبتدأ . مُتُونَها : مفعول مقدم ، والفاعل : حميم ، وهو هنا العرق .

آن – بمد الهمزة : الدَّم المُسَخَّن الْحَار .

ناقع – بنون وبعد الأَلف قاف مكسورة فعين مهملة : طرِى ، وقال أَبو ذر : كثير .

الْأَضَالِع – جمع ضِلْع بضادٍ معجمة مكسُورة ، فلام مكسورة وقد تسكن تخفيفاً / ٥٢٨ح فعين مهملة ، سُمِّى بذلك من الضِّلَع وهو الاعْوِجَاج .

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٥ .

٣٠٢ب الضَّحَّاك بن سُفيان السلمى / وليس الكلبي كما ذكره ابن البرق .

لاَ يَسْتَفِزُّنَا : يستخفنا .

قِرَاعُ الأَعادى – بقافٍ مكسورة فراء فألف فعين : ضَرْبُهم .

أَمَام رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلم – قُدَّام .

يخْفِق : يضطرب .

الخُذْرُوف – بضم الخاء ، وسكون الذال المعجمة فراء مضمومة ، فواو ساكنة ، ففاء : البرق اللامع المتقطع منها ، وقال أبو ذر : خُذْروف السحابة طرفها ، وأراد به هنا السُّرعة فى تحرك هذا اللواء واضطرابه .

مُعْتَصٍ بالسَّيف – بميم مضمومة ، فعين مهملة ساكنة ، ففوقية مفتوحة ، فصاد مهملة ، قال فى الإملاء : أى ضَارِب ، يُقال : اعتصوا بالسيوف إذَا ضَارَبُوا بها ، وفى الصحاح : العصى مقصور مصدر قولك عَصِىَ – بالكسر – بالسيف يعصى : إذَا ضرب ، وفلان يعتصى على عصىً : أي يتوكَّأُ عليها ، ويَعْتَصِى بالسيف : أى يجعله عصىً .

٣٠٢ب كَانِع – بنون مكسورة ، فعين مهملة : حاضر نازل / ، وفى الإملاء أنه يقال : كَنَعَ به عند الموت إذا دنا .

نَذُودُ أَخَانَا مِنْ أَخِينَا : أى يريد أنه من سليم ، وسليم من قيس كما أن هوازن من قيس كلاهما ابن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس ، والمعنى : نقاتِلُ إخوتنا ونَذُودُهم ، أى نمنعهم عن إخْوَتنا من سليم .

وَلَوْ نرى : أى حُكْمِ الدِّين .

مَصَالاً – بفتحِ الميم ، وبالصَّاد المهملة : من الصَّولة .

لكُنَّا الأَقربين : يعنى هوازن .

نتابع بنونٍ ففوقية .

ولَكِنَّ – بتشديد النُّون .

دِين الله بالنصب – اسم لكن .

دينُ محمد بالرفع : خبرها .

حَمَّه الله – بفتح الحاء المهملة ، وتشديد الميم فهاء ،حَمَّه : أى قصده ، يُقَال حَمَمْتُ حَمَّكَ ؛ أى قصدت قصدك .

* * *

٥٢٨ت
٣٠٣م

شرح غريب قصيدة العباس / الرائية

قوله : الْعَائِرُ – بعين مهملة وبعد الأَلف تحتية وبالراء : وجع العين .

سَهِرٌ – بكسرِ الهاء : اسم فاعل من السَّهر ؛ وهو امتناعُ النَّوم ، وجعله سهرا ، وإنما السهر أمر جميل لأَنه لم يفتر فَكَأَنَّه قد سهر ولم ينم .

الْحَمَاطَة – بفتح الحاء وتخفيف الميم وبعد الأَلف طاء مهملة فتاءُ تأْنيث : وهى هنا بزّة تكون فى جفن الْعَيْن ، وقال فى الروض : هى من ورق الشجر ما فيه خشونة .

أَغْضَى – بالغين ، والضَّاد المعجمتين وزن أعطى .

الشُّفُرُ – بضم الشين المعجمة ، والفاء . قال فى الإملاء : جفون العين .

تَأَوَّبَهَا – بفوقية ، فهمزة مفتوحة ، فواو مشدَّدة مفتوحة فموحدة : جاءها مع الليل .

الشَّجْو – بفتح الشين المعجمة ، وسكون الجيم وبالواو : الْحُزْن .

الْأَرَقُ – بفتح الهمزة والراء والقاف : السهر ، وهو امتناع النوم .

والماءُ : المراد به هنا الدَّمع .

يَغْمُرُه – بالغين المعجمة وضم الميم : يُغَطيه .

طوراً : تارة .

السِّلْكُ – بكسر السِّين المهملة ، وسكون الَّلام ، وبالكاف : الخيطُ الذى ينظم فيه .

مُنْبَتِرُ – بميم مضمومة ، فنون ساكنة فموحدة مفتوحة ففوقية مثناة : أى منقطع ، ويروى منتثر – بالنون ففوقية فثاء مثلثة / .

٢٠٣

الصُّمَّان[1] – بضمٍّ الصَّاد المهملة ، وتشديد الميم ، وبعد الألف نون : موضع إلى جنب أَرض عالِج ، أى بالعين المهملة ، فألف ، فلام مكسورة فجيم : مكان بالبادية كثير الرِّمال .

الحَفَرُ – بفتح الحاء المهملة والفاء ، كما ذكره أبوَ عبيد البكرى ، والحازمى وخلائِق : اسمٌ لِعِدَّةِ مواضع[2] والله أعلم أَيُّها أَراد العباس . وقول مَنْ قال يعنى به : حفَر الذى بالكوفة أو بالبصرة ليس بِبَيِّن لأَن العباس قال هذه القصيدة فى غَزْوة حنين ، والبصرةُ والكوفة حَدَثَتا بعد النَّبى – صلَّى الله عليه وسلم – بدهر .

٥٢٩ب الزَّعَرُ – بفتح الزاى والعين/ : قلة الشَّعر ، وفى نسخة : الذُّعُر – بالذَّال المعجمة والعين المهملة المضمومتين : وهو الفزع .

البَلاَء – بفتح الموحدة : الصُّنْع .

سُلَيْم الأُولى والثانية – بضمٍّ السين المهملة وفتح اللام .

مُفْتَخَر – بالخاء المعجمة .

مُشْتَجِرُ – بكسر الجيم[3] .

لاَ يَغْرِسُون فَسيل النَّخْل – بفتحِ الفاء وكسر السِّين المهملة ، فتحتية ساكنة ، فلام والجمع فسلات ، وهو الْوَدِىّ بفتح الواو ، وكسر الدال وتشديد التحتية : النَّخل .

وسْطَهُمُ – بإسكان السِّين ، وإن جاز فيه الفتح من حيث اللُّغة ، لكنه ساكن لأَجل الوزن مضموم الميم يُعَير بذلك أَهل المدينة الشريفة .

---

(١) الصمان : جبل أحمر ينقاد ثلاثة أيام وليس له ارتفاع يجاور الدهناء ، وقيل قرب رمل عالج – قاله ياقوت (وفاء الوفا للسمهودى ٤ : ١٢٥٤) .

(٢) وفى وفاء الوفا ٤ : ١١٩٢ « حفر بجانب الحفير الذى هو بين مكة والمدينة ، وقال ياقوت : الحفر بفتح الحاء وسكون الفاء من مياه على بطن واد يقال له مهزول – انتهى – والمعروف بالحفر اليوم منزل الأشراف من آل زيان وبه آبار ومزارع ، وليس هو الحفر المذكور فى حدود جزيرة العرب لأن ذاك محرك ، وهو بقرب البصرة » .

(٣) مشتجر : أى مختلف ، والاشتجار الاختلافُ وتداخل الحج بعضها إلى بعض (سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٦٦ هامش) .

ولا تَخَاور – بفوقية ، فخاء معجمة ، فألف ، فواو مفتوحة وبالراء من الخُوَار ؛ وهو أصوات البقر ، ويروى : يجاور بالجيم والراء ، ويُحَاوز بالحاء المهملة والزاى ، وصوّب فى الإملاء الأول .

السَّوابِح – بفتح السين المهملة وبعد الألف موحدة مكسورة : جمع سَابح يقال : سَبَحَ الفرسُ فى جريه فهو سابِح .

العقْبَان – جمع كثرة للعقاب ، وهو طائر من الجوارح ، ولفظه مؤنث

مُقْرَب – بضمٍّ الميم ، وسكون القاف وفتح الرَّاء وبالموحدة : الفرس الذى يُدْنَى ويُكْرَم ، والأُنثى مقربة ولا تترك أن ترود[1] وإنما يفعل ذلك بالإناث لئلا يقرعها فحلٌ لئيم .

الدارة : أخص من الدار .

الأَخْطَار – جمع خِطْر – بكسر الخاء المعجمة وإسكان الطاء المهملة والراء : وهو القطيع من الإبل .

العَكَر – بفتح العين المهملة والكاف ، ويجوز إسكانها ، وهنا محركة لا غير للوزن : جمع عكرة : وهو القطيع الضَّخْمُ من الإبل ما بين الخمسين إلى المائة ، وقيل : الخمسون إلى الستين إلى السبعين ، وقيل إلى المائة ، وقيل ما فوق الخمسمائة من الإبل ، يُقال : أعكر الرَّجُلُ إذا كان عنده عكرة .

خُفَاف – بضمٍّ أوله ، وتخفيف الفاء – بن عُمَير بن الحارث بن رشيد السلمى المعروف بابن ندبة – بنون – وهى أمه ، كان من فرسان قيس وشعرائها المذكورين ، شهد حنيناً ، وثبت على إسلامه فى الرِّدَّة .

وعوف بن مالك بن أَبى عوف الأَشجعى شهد الفتح وكانت معه راية أشجع – رضى الله عنه .

---

(١) أى لاتترك أن تطلب الكلأ (اللسان) .

وحيّ ذَكْوَان – بفتح الذال المعجمة وسكون الكاف .

الميل : بكسر الميم وإسكان التحتية وباللام جمع أَمْيَل : وهو الذى لا سلاح معه

الضُّجر – بضم الضاض المعجمة والجيم ، جمع ضَجُور ، والضَّجرُ : الحرج وسوءُ الاحتمال .

الضاربون : جمع ضارب .

جُنُودَ – بالنَّصب : مفعول اسم الفاعل .

ضَاحِية – بفتح الضَّاد المعجمة ، وبعد الألف حاء مهملة مكسورة ، فتحتية فتاء تأْنيث : منكشفة بارزة .

الظَّاهر بالظاء المعجمة المشالة :وهو من الأَرض ما غلظ منها .

مُنْقَعِر : منقلع من أَصله .

يَنْجَاب – بفتح التَّحتيّة وسكون النون وبالجيم والموحدة : ينكشف .

السَّاطع هنا : الغُبَار .

كدر : متغير إِلى السَّواد .

تحت اللّواء مع الضَّحَّاك ، يَقْدُمُنَا : كذا فى الرِّوَايَةِ ، وقال فى الإملاءِ ، ورواه الْخُشَنِيُّ : تَحْتَ اللوامع . والضَّحَّاك هو ابن سُفيان السلمى[1] .

الليثُ – بالثاء المثلَّثة :من أَسماء الأَسد .

الخَدِرُ : الدَّاخلُ فى خِدْرِه ، والخدرُ هنا:غابة الأُسود .

---

(١) فى الروض الأنف ٢ : ٢٩٥ « الضحاك بن سفيان بن عوف بن كعب بن أبى بكر بن كلاب الكلابى ، يكنى أباسعيد وكان يقوم على رأس النبى صلى الله عليه وسلم متوشحاً بالسيف ، وكان يعد وحده بمائة فارس ، وكانت بنو سليم يوم حنين تسعمائة فأمره عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره أنه قد تممهم به ألفاً . . وقال البرقى : ليس الضحاك بن سفيان هذا بالكلابى إنما هو الضحاك بن سفيان السلمى ، وذكر من غير رواية البكائى عن ابن اسحاق نسبه مرفوعاً إلى بهثة بن سليم ولم يذكر أبو عمر فى الصحابة إلا الأول وهو الكلابى » .

المـأْزِق – بهمزة ساكنة : بعد الميم ، والزّاى المكسورة وبالقاف : موضع الحرب ، وأصله الضيق .

الْكَلْكَل – بفتح الكافين وإسكان اللّام الأُولى : الصّدْر .

يَكَادُ : يَقْرُبُ .

تَأْفُلُ – بضم الفاء : تغرب .

تـأَوَّب – بتشديد الواو المفتوحة وبالموحدة : رجع .

منازِلَهُم : بالنَّصْب .

إلا قد أَصْبَح بالنقل للوزن[1] .

* * *

شرح غريب قصيدته السينية

/ قوله : تَهْوِى به : تُسْرِع . ٥٣٠

الوَجْنَاء – غليظة الوجنات بارزتها ، وذلك يدُلُّ على غور عينيها ، وهم يَصِفُونَ الإبل بغور العينين عند طول السّفاد ، ويقالُ فى الوجنة من الآدميين رجال موجنة وامرأة موجنة ، ولا يُقَال وجناء .

مُجْمَرَة : مجتمعة منضمة .

الْمَنَاسِم – جمع مَنْسِم ، بفتح الميم ، وسكون النون وكسر السين المهملة ، وهو مقدم طرف خف البعير .

الْعِرْمِس – بكسر العين المهملة ، وسكون الراء ، وكسرِ الميم وبالسّين المهملة : الحجارة الصلبة ، تشبَّه بها النّاقة الشّدِيدة الجلدة ، وهى المرادهنا .

الْمَطِىُّ – جمع مطية : البعير لأنه يُرْكب مَطاهُ أى ظهره .

تَقْدَع – بِفَتحِ الفوقية ، وسكون القاف ، وفتح الدّال ، وبالعين المهملة : تكُف .

الكُمَاة – بضم الكاف : الشجعان واحدهم كَمِى .

---

(١) أى بنقل حركة همزة أصبح إلى الدال فى قد .

تُضْرَس – بضم الفوقية ، وسكون الضَّاد المعجمة ، وفتح الرَّاء ، وبالسين المهملة ، قال فى الإملاء : تُجَرَّح ، وقال فى الروض : تضربُ أطرافها باللجم ؛ يقال ضُرِس أى أصيبت أضراسه ، كما تقول : رأس أى أصبت رأسه .

سَالَ : ارتفع .

١/٣٠٤ الْأَفْناء – كأحمال / : هنا أخلاط الناس .

بهْثَة – بفتح الموحدة وسكون الهاء ، وبالثَّاء المثلثة ، وبتاء التأْنيث : قبيلةٌ من سُليم .

الْمَخَارِم – بالخاء المعجمة والراء : الطرق فى الجبال ، واحدها مخرم .

ترْجُس – بالجيم : تهتزّ وتتحرك .

الفَيْلَق – بالفاء المفتوحة فالتحتية الساكنة ، فاللام ، فالقاف : الجيش .

شهباء : كثيرة السِّلاح .

الْهُمَام – بضم الهاء : السَّيد .

الْأَشْوَس – بفتح أوله وسكون الشِّين المعجمة ، وفتح الواو ، وبالسين المهملة : الذى ينظر بمؤخر عينيه متكبراً .

الأَغْلب : الشَّديد الغليظ .

مُحكَمَة : متقنة .

الدِّخَال – بكسر الدال المهملة وبالخاء المعجمة والّلام : يعنى نسيج الدروع .

القَوْنَس – بفتح القاف ، وسكون الواو ، وفتح النون وبالسين المهملة : أعلى بيضة الخوذة .

يُرْوِى – بضم التحتية ، وسكون الراء .

القناة – بالقاف والنون : الرُّمح .

الْوَغَى – بفتح الواو ، والغين المعجمة : الحرب .

تَخَالُهُ : تظنه .

العَضْبُ – بفتح العين المهملة ،وسكون الضّاد المعجمة السَّاقطة وبالموحدة : السيف القاطع.

لَدْنٌ – بفتح اللام وسكون الدال المهملة:اللّين من كل شئ .

مِدْعَس : بكسر الميم وسكون الدال ، وفتح العين وبالسين المهملتين : الشديد من الرماح الغليظ .

العَرَنْدَس – بفتْح العين وبالسين المهملتين .[الأَسد](1) الشديد .

دريئةً – من روى دريئة بالهمز فمعناه : مدافعة ، ومن رواه دَرِيَّةً بتشديد التحتية فمعناه : تستر ، وفى الروض الدريَّة : الحلقة التى يتعلم عليها الرمى ، أى كانوا كالدرية للرماح .

والشَّمس يومئذٍ عليهم أشمس : يُريد لمعان الشمس فى كُلٍّ بيضة من بيضات الحديد كأَنها شمس ، وهو معنى صحيح وتشبيه مليح .

كفت : قلبت ومنعت .

الإِخَاوَة : [مصدر أخا وآخى ، والمعنى طلب اتخاذ الأُخوة](1)

العَيْر – بفتح المهملة : حمار الوحش .

تعَاقبه السباع : مُفَرَّس – بضمٍّ الميم ، وفتح الفاء ، والراء المشددة وبالسين المهملة : تَعتَوِرُ فرْسَتَه السِّباعُ .

* * *

شرح غريب قصيدته الهائية

قوله : الْحَوَاسِر : الجموع الذين لا درع عليهم ، ويقال : رجل حَاسِرٌ إذا لم يكن عليه درع .

عامل الرُّمح : أعلاه .

يَذُودُ – بالذَّال المعجمة ، وبعد الواو المهملة : يطرد .

---

(١) الإضافات بين الحواصر من اللسان .

حومة الموت : معظمه .

شَاجِره : مُخَاصِمُه ومُخَالِطُه ، ويحتمل أن يكون شَاجِره هنا مُخَالِطُه بِالرُّمْح ، يقال شجرته بالرُّمح إذَا طعنته به . وشجرت الرِّمَاح إذَا دخل بعضُها فى بَعْض .

٥٣١ت بِطَانَةُ الرَّجلِ : من كَانَ حَاطَ / به مُطَّلِعا على سِرِّه .

الشِّعَارُ : ما يلى جسد الإنسان من الثِّيَاب ، فاستعاره هنا .

* * *

٣٠٤ب شرح / غريب قصيدته الميمية

قوله قُدَيدًا : تصغير قد ، اسم موضع .

تَمارَوْا بنَا : شكُّوا فينا .

فتيان – جمع فَتًى .

الْغاب بالمعجمة هنا : الرِّماح .

دُفَّاع – بضمٍّ الدال المهملة وتشديد الفاء .

الْأَتِيّ – بفتح أوله ، وكسرِ الفَوْقِيَّة ، وتشديد التحتية : السَّيْلُ يأْتى من بَلدٍ إلى بلد .

الْعَرمْرَم : الكثير الشَّديد .

سَراة : سادتهم .

تَسَلَّمَا – بتشديد اللام ، يريد فى سليم من اعتزى أى انتهى إليهم من حلفائهم فتسلّم بِذَلِك كما تقول تَقَيَّس الرجل إذا اعتَزَى إلى قيس

وَحَبَّ إلينا – بفتح الحاء المهملة وتشديد الموحدة فعل ماض وأصله حَبُبَ – بضمٍّ الموحدة ، ثم أُسكنت وأُدغمت فى الثانية .

النَّهى – بفتح النُّون ، وكسرها ، وسكون الهاء ، وآخره تحتية : الْغَدِيرُ من الماء .

يلَمْلَما – بفتح التحتية ، واللّامين ، وسكون الميم بينهما : اسم موضع[1] .

الحِصَانُ – بكسر الحاء المهملة : الفرس العتيق ، ثم كثُر حتَّى سُمِّىَ به كُلُّ ذكر من الخيل .

الْوَرْدُ – بلفظ المشموم ، ما بين الكميت والأشقر .

يُسَوِّمَا – بضم التحتية وتشديد الواو : يعلم نفسه بعلامة يعرف بها .

لدن : ظرف مكان بمعنى عند .

غُدْوَةً – بالنَّصب والتنوين .

دوَافِعه : مجارى السيول فيها .

زَفَّه – بالزَّاى ، والفاء : ساقه سَوْقا رفيقا .

قد أَحْجَمَا – بحاءٍ مهملة ، فجيم : رجع وانقبض . وأحجم بالجيم فالحاء بمعناه .

الطِّمِرَّةُ : الْفَرَسُ السريعة الوَثَّابة .

مُحَطم : مُكَسَّر .

السَّرْبُ – بفتح السين وسكون الرَّاء : المالُ الرَّاعى .

---

(١) يلملم ، أو ألملم : ميقات الحاج للقادم من جهة اليمن ، وهو جبل على مرحلتين من مكة . (هامش سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٧٠) .

الباب التاسع والعشرون

فى غَزْوَةِ الطَّائِف[1]

لَمَّا قدم فَلُّ ثقيفٍ الطائف رَمُّوا حصنهم وأغلقوا عليهم أبواب مدينتهم ، وتهيئوا للقتال ، وكانوا أدخلوا فيه قوت سنة لو حُصِروا، وَجَمَعُوا حجَارة كثيرة ، وأعدوا سككا من الحديد، وأدخلوا معهم قَوْما من العرب من عقيل وغيرهم ، وأمروا بسرحهم أن يرفع فى موضع يأمنون فيه ، وَقَدَّمَ رَسُولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – بين يديه خالد بن الوليد فى ألْفٍ من أصحابه إلى الطائف ، فأتى خالد الطائف فنزل ناحية من الْحِصْن، وقامت ثقيف على حِصْنِها بالرِّجَال والسِّلاح ، ودنا خالد فى نفر من أصحابه فدَارَ بالحصن من كان متنحيا عنه، ونظر إلى نواحيه ، ثم وَقَف فى ناحية من الْحِصْن فنادى بأعلى صوته : ينزلُ إلىَّ بعضُكُم أكلِّمه وهو آمن حتى يرجع ، أو اجعلوا لى مثل ما جعلت لكم ، وأدخل عليكم حصنكم أكلمكم . قالوا : لا ينزل إليك رَجُلٌ منا ولا تصِلْ إلينا ، وقالوا : يا خالد إنَّ صَاحِبَكُم لم يَلْقَ قوما يُحْسِنُون قتاله غيرنا . قال : خالد : فاسمعوا / من قولى ، نزل رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – بأهل الحصون والقوة بيثرب وخيبر ، وبعثَ رجلاً واحداً إلى فَدَك فنزلوا على حكمه ، وأنا أحذركم مثل يوم بنى قريظة ، حَصَرَهم رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – أيَّاما ، ثم نزلوا على حكمه ، فَقَتَلَ مُقَاتلتهم فى صعيد واحد ثمَّ سبى الذُّرية ، ثم دَخَل مكة فافتتحها وأوطأ هوازن فى جمعها ، وأنتم فى حصنٍ فى ناحيةٍ من الأرض ، لو تركَكم لقتلكم مَنْ حَوْلَكُم مِمْن / أسْلَم . قالوا : لا نُفَارِقُ ديننا ، ثم رجع خالد بن الوليد إلى منزله .

٣٠٥ أ

٥٣٢ ت

وسار رسول اللهِ – صلَّى الله عليه وسلم – بعد خالدٍ ولم يرجع إلى مكة ، ولا بها عرج على شىء إلا على غزو الطائف قبل أن يقسم غنائم حُنَيْن وقبل كُلِّ شىء، وَتَرَكَ السَّبْىَ بالْجِعْرَانة، وملئت عُرُش مكة منهم .

[1] وانظر هذه الغزوة فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٧٨ ، البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٤٥ ، والمغازى للواقدى ٣ : ٩٢٢ ، والسيرة الحلبية ٣ : ١٣١ وشرح المواهب للزرقانى ٣ : ٢٩ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١٠٩ .

وكان مسيره فى شوال سنة ثمان ، وقال شدَّاد بن عَارض الْجُشَمِىّ – رضى الله عنه – فى مسير رَسُولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – :

لاَ تَنْصُروا اللاتَ إنّ اللهَ مُهْلِكُهَا وَكَيْفَ يُنْصَرُ مَنْ هُو لَيْسَ يَنْتَصِرُ ؟
إنّ الَّتى حُرِّقَتْ بِالسَّدِّ فاشْتَعَلَتْ وَلَمْ تُقَاتِل لَدَى أَحْجَارِهَا هَدَرُ
إنَّ الرَّسُولَ مَتَى يَنْزِلْ بِلادكُم يَظْعَنْ ولَيْسَ بها من أَهْلِهَا بَشَرُ

قال ابن إسْحٰق – رحمه الله تعالى – فَسَلَكَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – يَعْنى مِنْ حُنَين إلى الطائِف على نَخْلَة اليَمَانِيةِ[1] ، ثم على قَرْن[2] ثم على الْمُلَيْح[3] ، ثم على بُحْرَة[4] الرُّغاء من لِيَّة ، فابْتَنَى بها مسجداً فصلَّى فيه ، وأَقَادَ يومئذٍ بِبُحْرَة الرُّغاء حين نَزَلها بِدَمٍ ، وهو أَوّلُ دمٍ أُقِيدَ به فى الإسلام ، أُتِى بِرَجُلٍ من بنى لَيْثٍ قَتَلَ رجُلاً من هُذَيْلٍ فَقَتَلَه به . وأَمر رسُول الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – وهو بلِيَّة بِحِصْنِ مالك بن عوف فَهُدِم[5] . وصلَّى الظُّهر بليَّة . ثم سَلَك فى طريقٍ يُقَالُ لها الضَّيقَةَ ، فَلَمَّا توجّه إلَيْهَا رسولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم – وَسَأَلَ عن اسْمِها فقيل : الضَّيقة ؛ فقال : « بَلْ هِىَ الْيُسْرَى » فخرج منها على نَخْب[6] حتَّى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة[7] قريبا مِنْ مَالِ رجُلٍ من ثقيف ، قد تَمَنَّع فيه ، فأرسل إليه رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – : « إمَّا أَنْ تَخْرُجَ وإمّا أَن نحرق[8] عَلَيْكَ حَائِطَكَ » فَأَبَى أَن يخرج فَأَمَرَ رسول الله – صَلَّى الله عليه وسلم – بإحراقه .

---

(١) نخلة اليمانية : واد يصب فيه يدعان ، وبه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبه عسكرت هوازن يوم حنين . (ياقوت) .

(٢) قرن : قرية بينها وبين مكة واحد وخمسون ميلا . (ياقوت)

(٣) المليح : واد بالطائف (ياقوت)

(٤) بحرة الرغاء : موضع فى لية من ديار نصر (معجم ما استعجم ص ١٤٠)

(٥) فى المغازى للواقدى ٣ : ٩٢٤ ، ٩٢٥ « أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بإحراقه ، فحرق من حين العصر إلى أن غابت الشمس » .

(٦) نخب واد بالطائف (المغازى للواقدى ٣ : ٩٢٥) .

(٧) فى الأصول « نزل صادرة يقال لها السدرة » والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٨٠ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٥٥ والمغازى للواقدى ٣ : ٩٢٥ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١١٠ .

(٨) كذا فى الأصول وفى المواهب اللدنية ٣ : ٣٠ ، والمغازى للواقدى ٣ : ٩٢٥ وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٨٠ « إما أن تخرج إلينا وإما أن نخرب عليك حائطك فأبى أن يخرج ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخرابه » .

ذكر اعلامه ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقبر أبى رغال ، وما وقع فى ذلك من الآيـــــات

روى ابن إسحٰق ، وأبو داود ، والبيهقى عن عبد الله بن عمر ــ رضى الله عنهما ــ

٣٠٥ب قال : سمعتُ رسولَ الله/ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ حين خرجنا معه إلى الطَّائف فَمَرَرْنَا بِقبر فَقَالَ رسولُ اللهِ ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ « هذا قَبْرُ أَبِى رغال ، وهو أَبو ثقيف ، وَكَانَ مِنْ ثَمُود ، وكَانَ بِهذَا الْحَرَمِ يَدفعُ عَنْهُ ، فَلَمَّا خرجَ أَصَابَتْه النِّقْمَةُ الَّتِى أَصَابتْ قوْمَه بِهذَا الْمَكَان فَدفِنَ فيه ، وآيَةُ ذلك أَنَّهُ دُفِنَ معه غُصْنٌ من ذهبٍ إن أَنتُم نَبَشْتُمْ عنه أَصَبْتُموه » . قال : فَٱبتدره الناس فَنَبَشُوه فَٱستخرجوا منه الْغُصْن .

* * *

ذكر محاصرته ــ صلى الله عليه وسلم ــ الطائف

قال ابن إسحٰق ــ رحمه الله تعالى ــ : ثم مضى رسُولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ حتَّى نزل قريبا من الطَّائف ، فضربَ عَسْكَرَه ، وأشرفتْ ثَقِيف على حصنهم ــ ولا مِثَالَ له فى حصونِ العرب ــ وأَقاموا رُمَاتهم ، وهم مائة رَامٍ ، فَرموا بالسِّهَام والْمَقَالِيع مَنْ بَعُدَ من حِصْنِهِمْ ، ومن دخل تحت الحصن دَلُّوا عليه سِكَكَ الحديد محماةً بالنَّار يطير مِنْهَا الشرر ، فرموا المسلمين بالنَّبْلِ رَمْيا شديداً ، كأَنه رِجْلُ جراد حتى أُصِيبَ نَاسٌ من المسلمين بجراح ، وقُتِلَ منهم اثنا عشر رجلاً ، فارتفع ــ صَلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى موضع مسجده اليوم ، الذى بنته ثقيف بَعْدَ إسْلاَمها ؛ بناه أُمية بن عمرو بن وهب [بن معتب بن مالك][(1)] ، وكانت فيه سَارِية لا تَطْلُع عليها الشمس صبيحة كل يوم

٥٣٣ت حتى يُسْمَعَ لها نَقِيض[(2)] أكثر من عشر مرات ، فكانوا / يرون أن ذلك تسبيح ، وكان معه من نسائه أُم سلمة وزينب ، فضرب لَهُمَا قُبَّتَيْنِ وكان يُصَلِّى بين الْقُبَّتَيْنِ [طول][(3)] حصار الطائف كله ، وقال عمرو بن أُميّة الثَّقفِى ــ وأَسلم بعد ذلك ، ولم يكن عند العرب أدهى منه ــ لا يخرج إلى محمد [أَحدٌ][(4)] إذا دعَا أَحدٌ من أَصْحَابه إلى البراز ، ودعوه يُقيم ما أَقام ، وأَقْبَلَ خالد بن الوليد ونادى : مَنْ يُبَارز ؟ فلم يَطْلُع

(١) الإضافة عن المغازى للواقدى ٣ : ٩٢٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٥٦ وشرح المواهب ٣ : ٣١ .

(٢) النقيض : الصوت . (المرجع السابق والصحاح) .

(٣) إضافة عن تاريخ الخميس ٢ : ١١٠ .

(٤) إضافة عن شرح المواهب ٣ : ٣٠ .

إليه أحد ، ثم عاد فلم ينزل إليه أحد ، ثم عَادَ فَلَمْ ينزل إليه أحد ، فنادى عَبْدُ يا لِيلْ : لا يَنْزِل إليك أحد ، ولكِنَّا نُقِيم فى حِصْنِنَا ، خبأْنا فيه ما يصلحنا سنين ، فإذا أقمت حتى يذهب هذا الطعام خرجنا إليك بأَسيافِنا جميعاً حتى نموت عن آخرنا .

فقاتلهم رسولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - بالرمى [عليهم وهم يقاتلونه بالرمى][1] من وراء الحصْن ، فلم يخرج إليه أحد ، وكثرت الجراحات له من ثقيف بالنَّبل ، وقُتِلَ جَمَاعَةٌ من المسلمين .

* * *

ذكر بعثه - صلى الله عليه وسلم - مناديا ينادى : من نزل من العبيد فهو حر /

[٣٠٦]

قال ابن إسحٰق فى رواية يونس بن بكير : حدثنى عبد الله بن المكرم الثقفِى ، ومحمد بن عمر عن شيوخه قالوا : نادى منادى رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - « أَيّما عبد نزل من الحِصْنِ وخرج إلينا فهو حُرٌّ » فخرج من الْحِصْنِ بضعة عشر رجلا : المُنْبعِث ، وكان اسمه المضطجع فسمّاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المنبعث حين أسلم ، وكان عبْداً لعثمان بن عامر بن مُعَتِّب ، وكان جواداً رُوميًّا ، والأَزْرَق بن عُقْبة ابن الأَزرق وكان عبداً لكَلَدة - بفتح الكاف وسكون[2] اللام ، وبالدال المهملة - الثقفى ثم صَار حليفا فى بنى أُمية ، ووِرْدَان[3] وكان عبْداً لعبد الله بن ربيعة الثَّقفى ، ويُحَنَّس - بضم التَّحْتِية وفتح الحاء المهملة والنون المشدَّدَة وبالسين المهملة - النَّبَّال وكان عبداً ليسار بن مالك الثَّقفِى ، وأَسلم سَيِّدُه بعد ، فرَدّ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - إليه ولاءه ، وإبراهيم بن جابر ، وكان عبداً لخَرَشَة - بفتح الخاء المعجمة والراء والشين المعجمة الثَّقَفِى ، وَيَسَار ، وكان عَبْداً لعثمان بن عبد الله . وأَبو بَكْرة نُفَيْع - بضم النون وفتح الفاء وسكون التحتية - بن مَسْرُوح - بفتح الميم وسكون السين المهملة وضم الراء وبالحاء المهملة - وكان عبداً للحارث بن كلَدة ، وإنَّما كُنِّىَ بأَبِى بَكْرَة لأَنه نزل فى بَكْرَةٍ من الحصن ، ونافع أبو السائب ، وكان عَبْداً لِغَيْلَان بن سلمة ، فأَسلم غَيْلَانَ

(١) الإضافة عن المرجع السابق ٣ : ٣٠ .

(٢) كذا فى الأصول - وفى القاموس المحيط كلدة بفتحات .

(٣) كذا فى الأصول وفى شرح المواهب ٣ : ٣٢ « وردانه » وضبط فى المغازى للواقدى ٣ : ٩٣١ وردان بفتح الواو .

بعد ، فردَّ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ولاءه إليه ، ونافع بن مسروح ، ومرزوق غلام لعثمان بن عبد الله .

وروى الإمام أحمد عن ابن عبّاس – رضى الله عنهما – قال : قالَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يوم الطَّائف « مَنْ خرج إليْنَا من الْعَبِيدِ فهو حُرٌّ » فخرج عبيد[1] من العبيد فيهم أبو بكرة ، فأعتقهم رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم .

وروى الشيخان عن أَبى عثمان النَّهْدِى قال : سمعتُ سعدا – وهو أَوَّلُ من رمى بسهمٍ فى سبيل الله – وأبا بكرة – وكان قد تَسَوَّر حصن الطائف قالا[2] : سمعنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : « من ادعى إلى غير أَبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام[2] » .

وفى روايةٍ نزل إلى النَّبِى – صلَّى الله عليه وسلَّم – ثلاثة وعشرون من الطائف – فشق ذلك على أهل الطَّائف مشقةً شديدةً ، واغتاظُوا على غِلْمَانهم – فأَعتقهم رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – ودفع رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – كلَّ رجل منهم إلى رجلٍ ٥٢٤ت /من المسلمين يمونه ويحمله،فكان أبو بَكرة إلى عمرو بن سعيد بن العاص ، وكان الأَزرق إلى خالد بن سعيد بن العاص ، وكان ورْدَان إلى أَبان بن سعيد بن العاص ، وكان يُحَنَّس النَّبال إلى عثمان بن عَفّان ، وكان يَسَار بن مالك إلى سعد بن عبادة ، وكان إبراهيم بن جابر إلى أسيد بن الحضير ، وأمرهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يُقْرِئُوهم القرآن ، ويعلموهم السنن ، فلما أَسْلَمَتْ ثقيف تكلمت أَشرافهم فى هؤلاءِ المعتقين ، منهم الحارثُ بن كلدة يردونهم إلى الرِّق ، فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم : « أُولئِكَ عُتقاءُ الله ، لا سبِيلَ إلَيْهم »

* * *

ذكر رميه – صلى الله عليه وسلم – حصن الطائف بالمنجنيق

قال محمد بن عمر : قالوا : وَشَاوَرَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – أَصْحابَه ، فَقَال له سَلْمَانُ الْفارِسى – رضى الله عنه – : يا رسول الله أَرى أَنْ تَنْصِب الْمَنْجَنِيقَ على حصنهم ، فإنَّا كُنّا بأَرض فارسَ نَنْصِب المنجنيقات على الحُصُون . وتُنْصَب

---

(١) فى تاريخ الخميس ٢ : ١١١ « فخرج منهم بضع عشرة وأسلموا فيهم أبو بكرة وعند مغلطاى ثلاثة وعشرون عبداً وكذا فى البخارى » .

(٢ – ٢) مابين الرقين وارد فى هامش ت

علينا ، فَنُصِيبُ مِنْ عَدُوِّنا وَيُصِيبُ مِنَّا بالمنجنيق ، وإن لم يكن منجنيق طَالَ الثَّواء ، فَأَمَرَه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعمل منجنيقا بيده ، فنصبه على حصن الطائف ، وهو أَول منجنيق رُمِي به فى الإسلام .

وروى ابن سعد عن مكحول - رحمه الله تعالى - أَن رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - نَصب المنجنيق على أَهْل الطَّائِفِ أَربعين يوما ، ويُقَال : قدِمَ بِه يزِيد بن زَمعةَ ابن الأَسود وبِدبَّابتين ، ويُقَالُ : الطُّفَيل بن عمرو ، ويُقَالُ : خالد بن سعيد قَدِمَ من جُرش بمنجنيق وَبِدبّابتين ، وَنَثَر رسُولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - الحسك ، شقتين من حسك[1] من عيدان حول حِصْنِهِم ، ودخل المسلمون من تَحْتِ الدَّبابة ، وهى من جلود الْبقَر . وذلك اليوم يُقَالُ له يوم الشَّدْخَةِ لما شُدِخَ فيه من الناس ، ثُمَّ زَحفوا بها إلى جدار الْحِصْن ليحفِروه ، فَأَرسَلَتْ ثقيف بِسَكَك الحديد الْمُحْمَاةِ بالنَّار ، فحرَّقَتِ الدَّبَّابة ، فخرج المسلمون مِنْ تَحْتِهَا وَقَدْ أُصِيْبَ مِنْهُم مَنْ أُصِيب ، فَرَمَتْهُم ثقيف بالنَّبْلِ ، فَقُتِلَ مِنْهم رِجَالٌ فأَمر رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - بقطع أَعْنَابِهِم وَنخِيلِهِم وتَحْرِيقها ، قال عرْوَةُ : أَمر رسولُ الله - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - كُلَّ رجلٍ مِنَ المسلمين أَنْ يَقْطَعَ خمس [نخلاتَ وخمس][2] حبْلات ، فقطع المسلمون قَطْعا ذَريعا . فَنَادَتْ ثقيف : لمَ تَقْطَع أَمْوالَنا ؟ إِمَّا أَن تأْخُذَها إنْ ظَهرْتَ علَيْنَا ، وَإمَّا أَن تَدَعَها لله وللرَّحِم. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : فإِنى أَدعها لله وللرحم. فتركها رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم .

وكان رَجُلٌ يَقُومُ على الْحِصْن فيقول : رُوحوا رعاءَ الشاءِ رُوحوا جَلابيبَ مُحَمَّد أَتروننا نبتئس على أَحْبُل[3] أَصَبْتُمُوها من كُرُومِنَا ؟ فَقَال رسُولُ اللهِ - صَلَّى الله عليه وسلَّم « اللَّهُمَّ رَوِّحْ مُرَوِّحا إلى النَّار » / .قالَ سعد بن أَبى وقَّاص فأَرْميه بِسَهْمٍ فوقع فى نحره فهوى من الحصن مَيِّتا ، فَسُرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بذلك .

٣٠٧ أ

(١) الحسك : نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم ، ويعمل على مثاله شوكة أداة للحرب من حديد أو قصب فيلقى حول العسكر ، ويسمى باسمه (القاموس المحيط) .

(٢) الإضافة عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٥٦ ، وشرح المواهب ٣ : ٣١ - والحبلة - بفتح الحاء وضمها ، وفتح الباء - هى الكرمة .

(٣) أحبل : جمع حبلة ، وهى الأصل أو القضيب من شجر الأعناب (النهاية ١ : ١٩٨) .

ذكر استئذان عيينة بن حصن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى اتيان أهل الطائف يدعوهم الى الاسلام ، وما وقع فى ذلك من الآيات

روى أبو نُعَيم والبيهقى عن عُرْوَةَ بن الزبير ـ رحمه الله تعالى ـ قال استأذن عُيَيْنَةُ ابنُ حصن رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يأْتى أَهْلَ الطائف يُكَلِّمهم لَعَلَّ الله تعالى ـ أَن يَهْدِيَهُم ، فَأَذن له ، فَأَتَاهم وَدَخلَ فى حِصْنِهم ، وَقَالَ بِأَبِى أَنتم تمسكوا بِمَكَانِكُم فَوَالله لَنَحْنُ بِأَذَل من العبيد ، وأقسم بالله لو حَدَثَ به حدث ليملكن العرب عزاً ومنعةً ، وَإِيَّاكُم أَنْ تُعْطُوا بِأَيديكم ، وَلا يَتَكاثر عَلَيْكُم قطع هَذا الشجَر ، ثم رجع إلى رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ فَقالَ له : « مَا قُلْتَ لَهُمْ يَا عُيَيْنَةَ ؟ » قَالَ : أَمَرْتُهُم بالإِسلام ، وَدَعَوْتُهُم إليه ، وحذَّرتهم النَّار ، وَدَلَلْتُهم على الْجَنَّة ، فقال له رسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « كَذَبْت، بَلْ قُلْتَ لَهُم كذا وَكَذا » وَقَصَّ عليه قوله ، فقال : صَدَقْتَ يا رسول الله ، أَتوبُ إلى الله وإليك من ذَلك .

* * *

ذكر اشتداد الامر وحثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الرمى

قال : وعن عمرو بن عبسة[١] ـ رضى الله عنه ـ حَاصَرْنَا قصر الطائف مع رَسُولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسمعته يقول : « مَن بلغ بسهمٍ فله دَرَجَة فى الجنة » فبلغت يومئذ سِتَّةَ عَشَرَ سَهْماً ، وسَمِعْتُهُ يقول : « مَنْ رمى بسهم فى سَبيل الله فَهُوَ عَدْلُ مُحَرَّر ، وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فى سَبيل اللهِ كَانَتْ لَه نوراً يَوْمَ الْقِيامَة ، وأَيّما رَجُل أَعْتَق رَجُلاً مسلماً فإِنَّ الله سُبْحَانَه وتَعَالى جَاعِلٌ كلَّ عظم مِنْ عظامه وقاءَ كل عظم بعظم ، وأَيّما امرأَة مُسْلِمة أَعتقت امرأَةً مسْلِمَةً فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ جاعلٌ كُلَّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهَا وقاءَ كل عظم مِنْ عِظَامِهَا فِى النَّار » رواه يونس بن بكير وأبو داود والترمذى وصححه النَّسَائى[٢] .

---

(١) هو ابن أبى نجيح السلمى (البداية والنهاية ٤ : ٣٤٩) .

(٢) فى البداية والنهاية ٤ : ٣٤٩ « صححه النسائى من حديث قتادة .

ذكر نهيه — صلى الله عليه وسلم — عن دخول المخنثين على النساء(١)

روى يونس بن بكير فى زيادة المغازى ، والشيخان عن أم سلمة — رضى الله عنها — قَالَت : كان عندى مُخَنَّث — وهو فى عُرْفِ السَّلَف : الذى لَا هَمَّ له إلى النِّسَاءِ لا غير ذلك . كما سيأْتى :

/ فقال لعبد الله أخى : إن فتح الله عليكم الطائِفَ غداً فَإِنِّى أَدُلُّكَ على ٱبنة غَيْلَان فَإِنَّها تُقْبِل بأَربعٍ وتُدْبر بثمان . فَسَمِعَ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قوله . فقال : « لا أَرَى هَذَا يعلم ما ها هنا لا تُدْخِلْنَ هؤلاءِ عليكن » وكانوا يرونه من غير أُولى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ، قال ابن جُرَيْج : اسمه هِيْت . قال ابن إسحق : كان مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مولى لخالته فَاخِتَةَ بنت عمرو بن عائِذ مُخَنَّث يُقَال له مَاتِع يدخل على نسَاءِ رسولِ الله — صلى الله عليه وسلم — ويكون فى بيته وَلا يَرَى رسولُ اللهِ — صَلَّى الله عليه وسلَّم — [أنه](٢) يفطِنُ لشيءٍ مِنْ أُمور النِّسَاء مِمَّا يفطنُ الرِّجَالُ إليه ، وَلا يَرَى أَن له فى ذلك إربا ، فسمعه وهو يقولُ لخالد بن الوليد : يا خالد إن فتح رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — الطَّائِفَ فلا تُفْلِتَنَّ مِنْكَ بَادِيَة بنتُ غَيلان ؛ فإِنَّهَا تُقْبِل بأَرْبَع وتُدْبِرُ بثمان . فَقالَ رسولُ الله — / صلَّى الله عليه وسلم — حين سمِعَ هذا منه « لا أَرى الخبيث يفطن لما أَسمع » ثم قال لنسائه « لا تدخلنه عليكن » فَحُجِبَ عن بيت رسولِ الله — صلَّى الله عليه وسلَّم .

٣٠٧ب

* * *

ذكر منام رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الدال على عدم فتح الطائف حينئذ واذنه بالرجوع واشتداد الرجوع على الناس قبل الفتح

قال ابن إسحٰق : وبلغنى أَنَّ رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — قال لأَبى بكر : « إِنِّى رأَيتُ أَنى أُهْدِيَتْ لى قَعْبَةٌ مَمْلُوءَة زُبْدا فَنَقَرَها ديك ، فَهَرَاق مَا فيها » فقال

(١) انظر الخبر فى السيرة الحلبية ٣ : ١٣٣ « وقد جاء فى ص ١٣٤ منها « كان المخنثون فى زمانه صلى الله عليه وسلم ثلاثة : هيت ، ومانع ، وهذم ، ومثل لهم ذلك لأنه كان فى كلامهم لين وكانوا يختضبون بالحناء كخضاب النساء لا أنهم يأتون بالفاحشة الكبرى » .

(٢) إضافة عن السيرة النبوية لإبن كثير ٣ : ٦٦١

٥٣٦ت أبو بكر : ما أَظُنُّ أن تُدرك منهم يومك هذا ما تريد ، فقال رسولُ الله – صلّى الله / عليه وسلّم – « وَأَنَا لا أَرَى ذَلِك » .

وروى محمد بن عمر عن أَبي هريرة – رضى الله عنه – قال : لمَّا مضت خمس عشرة من حصار الطَّائف ، استشار رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – نوفلَ بن معاوية الديلى – رضى الله عنه – فقال : « يَا نَوْفَل مَا تَرَى فِى الْمقَامِ عَلَيْهِم » قال : يا رسولَ الله ثعلبٌ فى جُحْرٍ إنْ أَقمتَ عليه أَخذته ، وإن تركته لم يضرك .

قال ابن إسحٰق : ثم إنَّ خَوْلَةَ بنْتَ حَكيم السُّلمية ، وهى امرأة عثمان بن مظعون ، قالت : يا رسولَ الله ، اعطنى ، إن فتح الله عليك الطائف – حُلِىَّ بَادِيَةَ بنت غيلان ، أو حُلِىَّ الْفَارِعَة بنت عَقِيل – وكانتا من أحلى نساءِ ثقيف – فروى[1] : أن رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – قال لها : « وإنْ كَانَ لَمْ يُؤْذَن لَنَا فى ثَقِيْفٍ يَا خَوْلَة ؟ » فخرجت خولة ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطَّاب – رضى الله عنه – فدخل على رسولِ اللهِ ٣٠٨أ – صَلَّى الله عليه وسلَّم –فقال / : يا رسولَ الله ما حَدِيثُ حَدَّثَتْنِيه خَوْلَةُ ؟ » زَعَمَتْ أنك قلته ؟ قال « قد قلته» قال أَوما أُذِنَ فيهم » قال: « لا» قال : أَفلا أُؤذن النَاس بالرَّحيل ؟ قال : « بلى » فأَذَّن عمرُ بالرَّحيل .

وروى الشيخان عن ابن عمرو أو ابن عمر – رضى الله عنهم – قال : لمّا حاصر رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – الطائف ولم ينل منهم شيئا قال « إنَّا قَافِلُون غَداً إنْ شَاءَ الله تعالى » فثقُلَ عليهم ، وقالُوا : أَنذهب ولا نفتح ؟ وفى لفظ ، فقالُوا : لا نبرح أو نفتحها ، فقال : « اغْدُوا عَلَى الْقِتال » فغدوا فقاتَلُوا قتالاً شديداً ، فأَصابهم جِرَاح ، فقال : « إنَّا قَافِلُون غَداً إنْ شَاءَ الله تعالى » قال : فأَعْجَبهم ، فضحك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال عروة – رحمه الله تعالى – كما رواه البيهقى – وأَمر رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – النَاسَ أَن لا يُسَرِّحُوا ظَهْرَهُم ، فلما أَصبَحُوا ، ارْتَحَلَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – وأَصحابه ودَعَا حين ركب قَافِلاً وقال : « اللَّهُمَّ اهْدِهِمْ واكْفِنَا مؤنتهم » .

---

(١) كذا فى ص ، ط ، وفى ت ، م « فذكر » .

وروى الترمذى – وحسنه عن جابر – رضى الله عنه – قال : قالَ يا رسولَ الله أحرقتنا نارُ ثقيف ، فادع الله – تعالى – عليهم فقال : « اللَّهمَّ اهْدِ ثَقِيفا وأت بهم » .

قال ابن إسحٰق فى رواية يونس وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، وعبد الله بن المكرم عمن أدركوا من أهل العلم : أنَّ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – حاصر أهل الطائف ثلاثين ليلة أو قريبا من ذلك،ثم انصرف عنهم ولم يؤذن فيهم ، فقدم وفدهم فى رمضان فأسلموا ، قلت : وسيأْتى بيان ذلك فى الوفود إن شاءَ الله تعالى . قال ابن إسحاق فى رواية زياد : « وحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة ، وقيل : عشرين يوماً وقيل : بضع عشرة ليلة ، قال ابن حزم : وهو الصحيح بلا شك .

وروى الإمام أحمد ، ومسلم عن أنس : أنهم حاصروا الطائف أربعين ليلة . واستغربه فى البداية .

قال محمد بن عمر : فقالَ رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم لأَصحابه حين أرادوا أن يرتحلوا : « قُولُوا لَا إِلٰهَ إلاَّ الله وَحْدَه لَا شَرِيكَ لَه ، صَدَقَ وَعْدَه وَنَصَرَ عَبْدَه ، وأعَزَّ جُنْدَه ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَه » فلما ارتحلوا واستقبلوا قال : قُولُوا آيبُونَ ، إنْ شَاءَ الله تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُون » .

* * *

ذكر من استشهد من المسلمين بالطّائف وهم اثنا عشر رجلا[١]

سعيد بن سعيد بن العاص بن / أُميّة ٥٣٧ت

وعُرْفُطَة – بضمٍّ العين المهملة ، وسكونِ الرَّاءِ ، وضمٍّ الفاء ، وبالطَّاءِ المهملة – ابن حُبَاب[٢] – بضمٍّ الحاءِ المهملة ، وتخفيف الموحدة .

ويزيد بن زَمْعَة – بفتح الزّاى – وسكونِ الميم – بن الأَسود ، جمح به فرسه إلى حِصْنِ الطَّائِف فقتلوه .

---

(١) انظر أسماء من استشهد من المسلمين بالطائف فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٨٦ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٥١ ، وشرح المواهب للزرقانى ٣ : ٣٠ .

(٢) كذا فى الأصول ، وفى المغازى للواقدى ٣ : ٩٣٨ ، وفى البداية والنهاية ٤ : ٣٥١ وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٨٦ « بن جناب بجيم ونون – وفى شرح المواهب ٣ : ٣٠ : أثبت الروايتين دون ترجيح لإحداهما .

وعبد الله بن أبى بكر الصِّديق – رضى الله عنهما – رُمى بسهمٍ فلم يزَلْ جريحا حتّى ٣٠٨ب مات بالمدينة بَعْدَ رسولِ الله – صلّى الله عليه وسلّم – / وهو غيرُ شهيدٍ عِنْدَ الشّافعية لأنه تُوفى بعد انقضاء الحرب بمدّةٍ مديدة .

وعبد الله بن أبى أُمية بن المغيرة المخزومى ، رمى فى الحصن .

وعبد الله بن عامر بن ربيعة .

والسَّائب بن الحارث بن قيس السّهمى ، وأخوه عبْدُ الله [بن الحارث][1] ابن قيس .

وجُلَيْحَة – بضمِّ الجيم ، وفتح اللاّم ، وسكون التّحتية ، وبالحاء – المهملة ابن عبد الله .

وثابت بن الْجَذَع – بفتح الجيم والذّال المعجمة وبالعين المهملة ، واسمه ثَعْلَبَة السَّلَمى – بفتح السِّين ، واللاّم .

والحارث بن سَهْل بن أبى صَعْصَعَة .

والمنذر بن عبد الله بن نوفل .

وذكر فى العيون هنا : رُقَيْم بن ثابت بن ثعلبة مع ذكره له فيمن استشهد بحنين ، تبع هناك ابن إسحٰق ، وهنا ابن سعد .

* * *

ذكر مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم – من الطائف الى الجعــرانة

قالوا : خرج رسولُ الله – صلّى الله عليه وسلم – من الطائف فأخذ على دحْنا[2] ، ثُمَّ على قرْن المنازل[3] ، ثم على نَخْلَة ، ثم خرج إلى الجِعْرَانة وهو على عشْرَة أميالٍ من مكّة ، قال سراقَةُ بنُ جُعْشُم[4] رضى الله عنه : لقيتُ رسولَ الله – صلّى الله عليه وسلّم – وهو منحدر من الطّائف إلى الجِعرانة فتخلصت إليه – والنّاس يمضون أمامه

---

(١) إضافة تقتضيها السياق .

(٢) دحنا : من مخاليف الطائف (ياقوت ٤ : ٤٣ ، والمغازى للواقدى ٣ : ٩٣٩) .

(٣) قرن المنازل : جبيل قرب مكة يحرم منه حاج نجد (ياقوت ٨ : ١٦٣) .

(٤) انظر ترجمته وقصته حين هاجر النبى صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة : فى أسد الغابة ٤ : ٣٦٤ .

أرسالاً – فوقفت فى مِقْنَب[1] من خيل الأنصار ، فجعلوا يقرعوننى بالرِّماح ويقولون : إليك إليك ، ما أنت ؟ وأنكرونى ، حتَّى إذا دنوت وعرفت أنَّ رسولَ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم – يسمعُ صوتى أخذت الكتابَ الَّذى كتبه لى أبو بكر فجعلته بين إصبعين من أصابعى ، ثم رفعتُ يدى به وناديت : أنا سراقة بن جُعْشُم ، وهذا كتابى ، فقالَ رسولُ الله – صلَّى اللهُّ عليه وسلَّم – : « هَذَا يومْ وَفَاءٍ وَبِرٍّ ، ادْنوه فَأُدْنِيتُ منه ، فكأنَّى أَنْظُرُ إلى سَاقِ رَسُولِ الله – صَلَّى الله عليه وسَلَّم – فى غرزه[2] كأنها الجمارة ، فلمَّا انتهيتُ إليه سلمتُ وسُقْتُ الصَّدَقة إليه ، وما ذكرت شيئا أسأله عنه إلا أنِّى قلتُ : يا رسولَ الله أرأيت الضالة من الإبل تغشى حياضى وقد ملأْتُها لإبلى هل لى من أجرٍ إنْ سقيتُهَا ؟ قال رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم / – « نَعَمْ فِى كُلِّ ذات كبد حَرَّى أجْر »[3] رواه قال محمد بن عمر : وقد كان رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – كَتَبَ لِسُرَاقَةَ كِتابَ مُوَادَعةٍ سأل سراقة إياه ، فأمر به فكتب له أَبُو بكر، أو عامر بن فهيرة ، وتقدم بيان ذلك فى أبواب الهجرة إلى المدينة .

وروى محمد بن عمر عن أَبِى رُهْم الغفارى – رضى الله عنه – قال : بينا رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يسير وأنا إلى جنبه ، وعلَىَّ نعلان غليظان ، إذ زحَمَتْ ناقتى نَاقَة رسولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم / – ويقع حرفُ نعلى على ساقِ رسولِ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – فأوجعته ، فقال رسولُ اللهِ – صَلَّى الله عليه وسلَّم / – « أَوْجَعْتَنِى أَخِّر رجلكَ[4] وقرع رجلى بالسوط فأخذنى ما تقدم من أمرى وما تأخر ، وخشيت أن ينزل فىَّ قرآنٌ لعظم ما صنعت ، فلمَّا أصبحنا بالجعرانة / ، خرجتُ أرعى الظَّهْر وما هو يومى ، فرقاً أن يأْتى رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ورسول الله يَطْلُبُنِى ، فلمَّا رَوَّحْت الرِّكاب سألتُ : فقيل لى طَلَبَكَ رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم – فقلتُ : إحداهن والله ، فجئتُ وأنا أترقب ، فقال « إنَّكَ أَوْجَعْتَنِى بِرِجلِك ، فَقَرَعْتُكَ بِالسَّوط فَأَوْجَعْتُكَ ،

٣٠٩ أ

٥٣٨

---

(١) المقنب : مابين الثلاثين إلى الأربعين من الخيل (الصحاح ٢٢٠٦) .

(٢) الغرز : ركاب الرحل ، وقيل : ركاب الرحل من جلود مخروزة (اللسان) .

(٣) بعد كلمة رواه علامة تأشير بالهامش ولم يذكر شيء . وكما ترى فلم يذكر الراوى .

(٤) كذا فى المغازى للواقدى ٣ : ٩٣٩ ، و ط ، وفى ت « احذر رجلك » وفى ص وم « احذر رجليك » .

فَخُذْ هَذِهِ الْغَنَم عِوَضاً عَن ضَرْبِى[1] » قال أبُو رهم : فَرِضَاهُ عنِّى كان أحبَّ إلى من الدُّنيا وما فيها .

وقال ابن إسحٰق فى رواية سلمة : حدَّثنى عبد الله بن أبى بكر أن رجلا ممن شهد حنيناً قال والله إنى لأسير إلى جنب رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – على ناقة لى وفى رجلى نعلٌ غليظة إذْ زحَمَتْ ناقتى نَاقَةَ رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ويقع حرفُ نعلى على ساق رسولِ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم – فأوجعته فقرع قدمى بالسَّوط ، وقال : « أَوْجَعْتَنى فَتَأَخَّرْ عَنِّى » فانصرفت ، فلمَّا كان من الغد إذَا رسولُ الله – صَلَّى الله عليه وسلَّم – يلتمسنى ، فقلت : هذا والله لِمَا كنت أصبت من رِجْل رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بالأَمس ، قال فجئته وأنا أترقب[2] فقال « إِنَّكَ أَصَبْتَ رِجْلِى بالأَمْسِ فَأَوْجَعْتَنِى فَقَرَعْتُ قَدَمَك بِالسَّوْط فَدَعَوْتُك لِأُعَوِّضَكَ مِنْها » فأعطانى ثمانين نعجة بالضربة التى ضربنى .

قال ابن إسحاق وغيره : ونزلَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – الجِعرانة فيمن معه ، ومعه سَبْىُ هوازن ستَّة آلاف من الذَّرارى والنساء ، ومن الإبل والشاء ما لا ندرى عدته . وذكر محمد بن عمر ، وابن سعد ، أن السَّبْىَ كان ستَّةَ آلاف رأْس . والإبل أربعةً وعشرين ألف بعير ، والغنم لا يُدْرى عِدَّتُها وقال ابن سعد : أكثر من أربعين ألفاً ، وأربعة آلاف أوقية فضة ، فاستأْنى رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – بالسَّبْى لكى يقدم عليه وفدهم .

* * *

قدوم وفد هوازن ورد السبى اليهم

قالابن إسحاق فى رواية يُونس بن بكير عن[3] ابن عمرو – رضى الله عنهما – قال : كنَّا مع رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بحُنَيْن ، فلمَّا أصاب من هوازن ماأصاب من أموالهم وسباياهم أدركه وَفْدُ هَوَازِن بالجِعْرَانة ، وهم أربعة عشر رجلاً ، ورأسهم

(١) كذا فى ط ، ص ، وفى ت وم « عن ضربتى » .

(٢) فى الأصول « وأنا اتر . . . » ولعل الصواب ما أثبته .

(٣) وفى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٨٨ ، ٤٨٩ « قال ابن اسحاق : وحدثنى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله ابن عمرو ، وساق قصة حضور وفد هوازن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى البداية والنهاية ٤ : ٣٥٢ « وفى رواية يونس بن بكير عنه (أى ابن اسحاق) قال عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : كنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وساق الحديث – وإذن فابن عمرو هو عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه .

زُهير بن صُرَد ، وفيهم أبُو بُرْقان عمّ رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - من الرَّضاعة وقد أسلموا - فقالوا : يا رسولَ الله إنَّا أصلٌ وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يَخْفَ عليك فامنن / علينا منَّ الله عليك . ٣٠٩ب

وقام خطيبُهم زُهير بن صُرَد فقال : : يا رسولَ الله إن ما فى الحظائر من السَّبايا عمّاتُك وخَالَاتُك وحواضِنُك اللاتى كن يكفلنك . ولو أنا مَلَحْنَا - وقيل : منحنا - للحرث بن أبى شِمْر ، أو للنُّعمان بن المنذر ثم أصابنا منهما مثل الذى أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما ، وأنت يا رسولَ الله خيرُ المكفولين ، ثم أنشأ يقول : فذكر بعض الشعر الآتى :

أخبرنا الأئمة المسندون ، أبو فارس عبد العزيز ابن الحافظ عمر بن فهد الهاشمى العلوى بقراءتى عليه بالمسجد الحرام ، وأبو الفتح جمال الدين بن الإمام أبو الفتح علاء الدين القلقشندى . قرأه عليه وأنا أسمع بمنزله بحارة بهاء الدّين من القاهرة ، وأبو الفضل عبد الرحيم بن الإمام محبّ الدين بن الأَوجاقى فى إجازة خاصّة - الشّافعيُّون رحمهم اللهُ تعالى .

قال / الأول : أخبرنا المشايخ الأَربعة قاضى القضاة شهاب الدِّين أبو جعفر محمد ابن شهاب الدِّين أحمد بن عمر بن الضِّياء القرشى الأَموى الشهير بابن العجمى ، وابن أمير الدَّولة محمد بن على بن عبد الرحمن بن عبد الغفور الحلبيان ، وقاضى المسلمين عِز الدِّين أبو محمد عبد الرحيم بن ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفُرَات الحنفى ، والأَصيلة أم محمد سارة بنت عمر بن عبد العزيز بن جماعة المصريان مكاتبةً فى كل منهم ، قالُوا : أنبأَنا مسندُ الدُّنيا صلاح الدِّين محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أبى عمر الصَّالحى - زاد ابن الفرات وسارّةُ فقالا : والنجم أحمد ابن النجم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبى عمر ، البهاء[1] حسن بن أحمد بن هلال بن الهبل ، وزين الدين أبو حفص عمر بن حسن بن يزيد بن أمية[2] المراغى ، وزاد ابن الفرات ٥٣٩ت

---

(١) كذا فى ص ، ط ، وفى ت وم « البدر حسن بن احمد . الخ » .

(٢) فى ت « أميلة » .

فقال : وأم محمد ستُّ العرب ابنةُ محمد بن على بن البخارى ، قالوا : أخبرنا رحَّالةُ الدُّنيا فخر الدِّين أبو الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد بن البخارى ، قالت حفيدتُه : حضوراً - وقال الآخرون : إجازة ، قال فى رواية حفيدته : أنبأنا أبو جعفر محمد ابن نصر الصيدلانى ، وقال فى روايةِ الآخرين : أنبأنا أبو القاسم عبد الواحد بن القاسم الصَّيدلانى ، وأم هانئ عفيفة ابنة أحمد الأَصبهانية ، وقال شيخنا الثانى : أخبرنا المسند الرحالة زين الدّين أبو زيد عبد الرحمٰن القِبابِى إجازة مكاتبة وأُم الحسن فاطمة إبنة الخليل بن أحمد وقريبتها أم أحمد عائشة بنت على بن أحمد الحنبليتان - إجازة ، إنْ لم يكنْ سماعا ، قالوا : أخبرنا أبو الحزم محمد بن محمد القلانسى قال الأَولون[1] إجازةً ، وقالت الأَخيرة قراءةً وأنا حاضرة ، أنبأَتْنَا المسنِدَةُ / مؤنسة خاتون ابنة الملِكِ العادل أَبى بكر بن أيوب قراءةً عليها وأنا أسمع : أنبأنا أبو الفخر سعد[2] بن سعيد ابن رَوْح . وأبو سعد أحمد بن محمد بن أبى نصر ، وأم هانئ عفيفة بنت أحمد ابن عبد الله الفارقانى ، وأم حبيبة عائشة بنت معمر بن الفاخر ، - إجازة - وقال شيخنا الثالث أخبرنا شهابُ الواسطى - قراءةً عليه وأنا أسمع - قال : أخبرنا مسند الوقت ، الصدر أبو الفتح الميدومى عن أَبى العباس أحمد بن عبد الدَّايم بن يحيى بن محمود أخبره - إن لم يكن سماعا فإجازة - قالوا : أخبرتنا أم إبراهيم فاطمة بنت عبد الله بن أحمد الْجُوْزَدَانِية ، زاد يحيى بن محمود ومحمد بن أحمد بن المظفّر - حضوراً - قالوا : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن المظفّر ريذة الضَّبِّى قال : أخبرنا الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمى الطبرانى قال : حدثنا عبيد الله بن رُمَاحِس القيْسِى برمادة الرمْلة سنة أربع وسبعين ومائتين قال : حدثنا أبو عمر ، وزياد بن طارق ، وكان قد أتَت عليه مائة وعشرون سنة قال : سمعت أبا جَرْوَل زُهَيْر بن صُرد الجُشَمى - رضى الله عنه - يقولُ : لما أَسرَنا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يوم حُنَين ويوم هوازن وذهب يُفرِّق السَّبْىَ والشاء أتيته وأنشأْت أقول هذا الشعر :

٢١٠
١

(١) فى ت « الأولان » والمثبت عن بقية النسخ .

(٢) فى ت ، م « أسعد بن سعيد » والمثبت عن بقية النسخ » .

امْنُن علينا رسولَ اللهِ فى كرم ... فإنك المرءُ نرجُوُهُ ونَنْتَظِرُ[1]
امْنُن على بيضة قد عاقها قَدرٌ ... مشتت شملها فى دهرها غِيَرُ
أبقت لنا الدهر هَتَّافا على حَزَنٍ ... على قلوبهم الغماء والغِمَرُ
إن لم تداركها[2] نعماء تنشرها ... يا أرجح الناس حلما حين يُختبَرُ
أمنن على نسوة قد كُنْتَ ترضعها ... إذ فوك مملوءة[3] من مخْضِهاالدرر
إذأنت طفل صغير كنت ترضعها ... وإذ يزينك ما تأتى وما تذرُ
لا تَجْعَلَنَّا كمن شالت نعامَتُه ... واستبْقِ منّا فإنّا مَعْشَرٌ زُهرُ
إنّا لنشكر للنعما[4] إذا كُفِرَت ... وعندنَا بعد هذا اليومِ مُدَّخَرُ
فألْبِس العَفْوَ من قد كنت ترضعه ... من أمهاتك إنَّ العفو مُشْتَهِرُ
ياخيرَمَن مَرَحَت كُمْتُ الجيادِبه ... عند الهيَاجِ إذا ما استُوقِدَ الشَرَرُ
إنّا نؤمِّل عفواً منك تُلْبِسه ... هادى البرية إن تعفو وتنتصرُ
فاعف عفا الله عما أنت راهِبهُ ... يوم القيامة إذ يُهْدَى لك الظَّفر

فلمّا سمع رسولُ اللهِ ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ هذا الشِّعر قال : « مَا كَانَ لِى وَلِبَنِى عبْدِ المُطَّلِب فَهُوَ لَكُمْ » وقالت قريش : ما كان لنا فهو لِلهِ ولرسُولِهِ . هذا حديثٌ جيِّد الإسناد عالٍ جدًّا ، رواه الضِّياءُ المقدسى فى صحيحه ورجح الحافظ ابن حجر/ أنه حديثٌ حسن . وبسط الكَلاَمَ عليه فى بُستان الميزان . ٣١٠ب

قال ابنَ إسحاق : فقالَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ « نِسَاوُكُم وَأَبْنَاوُكُم أحب إليكم أَمْ أَمْوَالُكُمْ ؟ »

وفى الصَّحيح عن المسْوَر بن مَخْرَمَة ـ رضى اللهُ عنهما ـ ومروان بن الحكم : فقالَ

---

(١) انظر هذا الشعر فى السيرة الحلبية ٣ : ١٤٤ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٥٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٦٨ ، والمغازى للواقدى ٣ : ٩٥٠ .
(٢) فى ت « إن لم تدار كهمو » .
(٣) فى ت « إذ فوك مملوءة من محضها الدرر » .
(٤) فى المغازى للواقدى ٣ : ٩٥١ « إنا لنشكر آلاء وإن كفرت » .

رسولُ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – « فيمن[1] ترون ؟ وأَحَبُّ الحديث إلَىَّ أَصْدَقُهُ ، فاْختاروا إحدى الطَّائِفَتَين ، إمَّا السَّبْى ، وَإمَّا الْمَال وَقَدْ كُنْتُ إسْتَأنَيْتُ بِكُم » وكان رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – اْنتظرهُم بِضع عَشَرَة ليلة حين قفل من الطَّائف ، فلمَّا تبيَّن لهم أَنَّ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم غير رَادٍّ عليهم إلاَّ إحدى الطَّائفتين قالوا : يا رسول الله خيَّرْتَنَا بين أَحسابنا وأَموالنا ؟ بل أَبناؤنا ونساؤنا أَحبُّ إلينا ، ولا نتكلم فى شاة ولا بعير ، فقالَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم : « أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبنِى عَبْدِ المُطَّلِبفهُو لَكُم ، وإذَا أنَا صَلَّيْتُ بالنَّاسِ فَأَظْهِرُوا إسلامكم ، وقولوا : إنَّا إخوانكم فِى الدِّين ، وَإنَّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – إلَى المُسْلِمِين وَبِالمُسْلِمِينَ إلَى رَسُولِ الله – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – فإنِّى سَأُعْطِيكُم ذَلك ، وَأَسْأَل لَكُم النَّاس » وعلمهم رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم التَّشَهُّدَ ، وكيف يكلِّمون النَّاس . فلمَّا صلَّى رسُولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم بالنَّاس الظُّهْرَ قاموا فاستأذَنُوا رسولَ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – فى الكلام ، فأَذِن لهم ، فتكلَّم خطباؤُهم بما أَمرهُم به رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – فأَصابوا القولَ فأَبلغوا فيه ورَغِبُوا إليهم فى رَدِّ سبيهم ، فقام رسولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلَّم – حين فرغوا ليشفع لهم . وفى الصحيح عن المِسْوَر ومروان : أَنَّ رسولَ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – قام فى المسلمين فَحَمِدَ الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثمَّ قال : « أَمَّا بَعْد فإنَّ إخْوَانَكُم قدْ جاءُونا تائبين ، وإنى قد رأَيت أَن أَرد عليهم سبيهم ، فمن أَحَبَّ أَن يطيب ذلك فليفعل ، ومن أَحب منكم أَن يكون على حَظِه حتى نعطيه إيَّاه من أَول فىء يفَيئُه اللهّ علينا فليفعل » فقال الناس قد طبنا ذلك يا رسول الله ، فقال لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم : « إنا لا ندرى من أَذِنَ منكم ممن لم يَأْذَن ، فارجعوا حتى يَرْفع إلينا عرفاؤكم أَمْرَكُم » فرجع الناس [فكلمهم][2] عرفاؤهم .

---

(١) وفى البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٥ ، من حديث البخارى بسنده المتصل إلى المسور بن مخرمة ومروان ابن الحكم « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوا أن يرد إليهم أموالهم ونساءهم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « معى من ترون ، وأحب الحديث إلى أصدقه ، فاختاروا إحدى الطائفتين – الحديث » . وفى المغازى للواقدى ٣ : ٩٥١ « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أحسن الحديث أصدقه – وعندى من ترون من المسلمين – فأبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ » والمثبت هنا مافى الأصول .

(٢) بياض بالأصول والمثبت عن البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٥٤ .

قال/ ابن إسحاق : وقال رسولُ الله ـ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ـ « أمّا مَا كانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ فَهُوَ لكُم » فقال المهاجرون وما كان لنا فهو للهِ ولرسوله ، وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو للهِ ولِرَسُوله . فقال الأقرعُ بنُ حابس : أمّا أنا/ وبنو تميم فلا . وقال عُيَيْنَةُ بنُ حِصْن : أمَّا أنا وبنو فزَارَة فلا. وقال العبّاس بن مِرْدَاس : أمَّا أنا وبَنُو سُلَيْم فَلاَ . فقالت بَنُو سُلَيْم : ما كان لنا فهو لِرسولِ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، فقال العبّاسُ بن مِرْدَاس : وهَنْتُمُونى ، فقال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ « من كان عنده منهن شيءٌ فطابت نفسه أن يردّه فسبيل ذلك ، ومن أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ستُّ فرائض من أول فيْ يَفيئه الله» فردّ المسلمون إلى الناس نساءهم وأبناءهم ، ولم يتخلف منهم أحدٌ غير عُيَيْنَة بن حِصْن فإنَّه أخذ عجوزاً فأَبى أن يردّها كما سيأْتى .

٥٤١ت ٣١١أ

قال محمد بن عمر ومحمد بن سعد : وكسى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ السبى قُبْطية[١] ، قال ابن عقبة كساهم ثياب المُعَقَّدِ[٢] .

* * *

ذكر دعائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على من ابى أن يرد شيئا من السبى أن يخيس

روى أبو نعيم عن عطية السّعدى ـ رضى الله عنه ـ أنّه كان ممن كلّم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فى سَبْى هَوازِن ، وكلّم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أصحابه ، فردّوا عليهم سبيهم إلاّ رجلاً واحداً ، فقالَ رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : « اللَّهُمَّ أَخِسْ سَهْمَه » فكان يمرُّ بالجارية فيدع ذلك حتّى مرّ بعجوز ، فقال آخذ هذه فإنها أمُّ حى فيفدونها عليه . فكَبَّر عطية[٣] وقال : خذها ،

خذها والله ما فوها ببـــــارد ، ولا ثديهـــــا بناهــــد

ولا زوجهـــا[٤] بواجـــــد ، عجوز يا رسول الله ما لها أحد

(١) القبطية بضم القاف : ثوب أبيض من ثياب مصر منسوب للقبط (الحلبية ٣ : ١٤٦) .

(٢) المعقد : ضرب من برود هجر (النهاية فى الغريب) .

(٣) كذا فى الأصول ، وفى البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٥٥ « فقال له زهير بن صرد : خذها عنك فوالله مافوها ببارد . ولاثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد ، ولادرها بموكد ، وإنك والله ما أخذتها بيضاء غريرة ولا نصفا وثيرة » .

(٤) فى السيرة الحلبية ٣ : ١٤٦ « ولا صاحبها بواجد ؛ أى بحزين » .

فلما رأى أنَّه لا يعرضُ لها أحدٌ تركها .

وذكر ابن إسحاق[1] ومحمد بن عمر واللفظ له : أنَّ عُيَيْنَة بن حِصن حين أبى أن يَرُدَّ حَظَّه[2] من السَّبى خَيَّرُوه فى ذلك ، فنظر إلى عجوزٍ كبيرة ، فقال : هذه أمّ الحيٍّ ، لعلهم أن يُغْلُوا فِدَاءها ، فإنَّه عسى أن يكون لها فى الحيٍّ نسب ، فجاء ابنها إلى عُيَيْنَة فقال : هل لك فى مائة من الإبل ؟ فقال عُيَيْنَة : لا ، فرجع عنه وتركه ساعة.فقالت العجوز : ما أربكَ فِيَّ ،بعد مائة ناقة، اتركه فما أسْرع أن يتركنى بغير فداء ، فلمَّا سمعها عُيَيْنَةُ قال : ما رأيتُ كاليوم خُدعة ، قال : ثم مرَّ عليه ابنُها فقال له عُيَيْنَةُ : هل لك فى العجوز لما دعوتنى إليه ؟ قال ابنها : لا أزيدُك على خمسين . قال عيينة : لا أفعل . قال : فلبث ساعةً ثم مر به أخرى وهو يعرض عنه فقال له عيينة : هل لك فى العجوز بالَّذى بذلْتَ لى ؟ قال الفتى : لا أزيدك على خمسٍ وعشرين فريضةً هذا الَّذى أقوى عليه . قال عيينة : لا أفعل والله ، بعد مائة فريضةٍ خمس وعشرون !! فلمَّا تخوَّف عُيَيْنَةُ أن يتفرَّق الناس ويرتحلوا ، جاءَ عُيَيْنَة فقال : هل لك إلى ما دعوتنى إليه إنْ شئت ؟ فقال الفتى : هل لك فىعشرفرائض أعطيكها ، قال عُيَيْنَة : والله لا أفعل ، قال الفتى : والله ما ثديها بناهد،ولا بطنها بوالد ، ولا فوها ببارد ، ولا صاحبها بواجد ، فأخذتها من بين من ترى ، قال عُيَيْنَة : خذها لا بَارك الله لك فيها ، فقال الفتى : إنَّ رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قد كَسَا السَّبى فأخْطَأها من بينهم بالكسوة ، فهل أنت/ كاسيها ثوباً ؟ فقال : لاوالله ما ذلك لها عندى ، قال : لا وتفعل ، فما فارقه حتَّى أخذ منه سَمل ثوب ، ثم ولَّى الفتى وهو يقولُ : والله إنَّك لغير بصيرٍ بالفُرص .

٥٤٢

وروى البيهقى عن الإمام الشَّافعى ـ رضى الله عنه ـ أنَّه ردَّها بلا شىء .

---

(١) وانظر قصة عينية هذه فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٩٠ .

(٢) كذا فى ط ، ص ، وفى ت ، م « حقه » .

روى ابنُ إسحاق فى رواية يونس عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن رسولَ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - لَمَّا فرغ من ردِّ سبايا هوازن ، ركب بعيره وتبعه الناس يقولون : يا رسولَ الله ، اقسم علينا فيئنا حتَّى اضطرُّوه إلى شجرةٍ فانتزعت رِدَاءه ، فقال : « يا أَيُّهَا النَّاس ، رُدُّوا عَلَيّ رِدَائى ، فوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ كانَ لَكُمْ عِنْدِى عدد شجر تهامة نعَما لقسمته عليكم ثم ما أَلْفَيْتُمُونِى بخيلاً ولا كذَّابا » . ثم قام رسول اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - إلى جنب بعيره ، فأخذ مِنْ سنَامِه وَبَرَةً فجعَلَها بَيْن إصبعيه فقال : « أَيُّهَا النَّاس وَاللهِ مَالِى مِنْ فَيْئِكُم وَلَا هَذِهِ الْوَبَرَةُ إلاَّ الخُمْس ، والْخُمسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُم ، فَأَدُّوا الْخِيَاطَ والمِخِيطَ وَإِيَّاكُم والغلول فإن الغُلول عَارٌ وَشَنارٌ عَلَى أَهْلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَة » فجاء رجلٌ من الأنصار بِكُبَّةِ خَيْطٍ من خيوط شعْر ، فقال : يا رسولَ الله ، أخذتُ هذه الْوَبَرَة لِأَخيطَ بها برذعة بعير لى دَبِر[1]، فقال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم : « أَمَّا حَقِّى مِنْها فَهُوَ لَكَ » فقال الرجل : أمَا إذ بَلَغ الأَمْرُ فيها هذا فلا حاجة لى بها ، فرمى بها من يده .

وروى عبد الرَّزاق / فى جامعه عن زيد بن أسلم عن أبيه : أن عقيل بن أبى طالب ٣١٢أ - رضى الله عنه - دَخَلَ يَوْمَ حُنَيْن عَلَى امرأته فاطمة بنت شيبة وسيفه ملطَّخ دَما ، فقال : دُونَكِ هذه الإبرة تخيطين بها ثيابك فَدَفَعَها إليها ، فسمع منادىَ رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - من أخذ شَيْئا فليردُّه حتى الْخِيَاط والْمَخِيط ، فرجع عُقيل وقال : ما أجد إبْرَتَكِ إلاَّ ذهبت منك ، فأخذها فألقاها فى المغانم .

وعن عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - قال : صلَّى بِنَا رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يوم حُنَيْن إلى جنب بعيرٍ من المغانم فلمّا سَلَّم تناول وبرَة بين أنملتين وفى روايةٍ فجعلها بين إصبعيه ثمَّ قال : « أَيُّهَا النَّاس ، إنَّ هَذِهِ مِنْ مَغَانِمِكُم ، وَلَيْسَ لِى فيها إلاّ نَصِيبِى مَعَكُم ، الخُمْس ، والخُمس مَرْدُودٌ عَلَيْكُم فأدُّوا الْخَيْط والمَخِيط ، وأكثر من ذلك وأصغر ، وَلا تَغلوا فإنه عَارٌ وَنَارٌ وَشَنَار عَلى أَهْلِهِ فى الدُّنْيَا والآخرة » رواه الإمام أحمد وابن ماجه .

---

(١) دبر : دبر البعير إذا أصيب بالدبر وهو الجرح الذى يكون فى ظهر الدابة (اللسان) .

وروى عبد الرَّزاق والْبخَارِى عَنْ جبير بن مطعم - رضىالله عنه - أنَّه بينما هو مع رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم وَمَعَهُ النَّاس مقفلة من حُنَين عَلِقَت الأَعرابُ برسولِ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - يسأَلونه ، حتى اضطرّوه إلى سَمُرةٍ فخطفت رداءه، فوقَفَ رسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - ثم قال : « اعْطُونِى ردائى فَلَوْ كَانَ لِى عدد هذه العِضَاه نَعَما لَقَسَمْتُه عَلَيْكُم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذَّابا ولا جبانا / . ٣١٣ أ

وعن أنس قال : كنت أمشى مع رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - وعليه بُرْدٌ نَجْرَانِىٌّ غليظ الحاشية ، فأَدركه أعرابىٌّ فجذبه جذبةً شديدة ثم قال : مُرْ لى من مال الله الذى عِنْدك ، فالتفت إليه رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - وهو يَضْحك ، ثم أَمَرَ له بعطاءٍ ورداءٍ .

قالوا : وجُمعت الغنائم بين يَدَى رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلم - فجاءه أبو سفيان ابن حرب وقال : يا رسولَ الله أَصبحْتَ أَكثر قريشٍ مالاً ، فتبسَّم رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

* * *

ذكر اعطائه - صلى الله عليه وسلم - المؤلفة قلوبهم قبل غيرهم

قال ابن إسحاق : أعطى رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - المؤلفة قلوبهم ، وكانوا أشرافا من أشراف العرب ، يَتَأَلفهم ويتأَلف بهم قومهم .

قال محمد بن عمر ، وابن سعد : بدأ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بالأَموال فقسمها ، وأَعطى المؤلفةَ قلوبهم أَوَّلَ الناس ، قلت : فمنهم من أعطاه مائة بعير وأَكثر ، ومنهم من أعطاه خمسين ، وجميع ذلك يزيد على الخمسين ، وقد ذكرهم أبو الفرج [ابن الجوزى][1] / فى التَّلْقيح ، وابن طاهر فى مبهماته ، والحافظ فى الفتح ، والبرهان الحلبى فى النور ، وهو أَحسنهم سياقا وأَكثرهم عدداً ، وعند كلٍّ منهم ما ليس عند الآخر ، ولم يتعرض أحدٌ منهم لما أعطى كلَّ واحد ، وقد تعرض محمد بن عمر ، وابن سعد ، وابن إسحاق لبعض ذلك كما سأنبِّه عليه وهم : أُبَىٌّ - بضم الهمزة ، وتشديد ٣١٢ أ

(١) الإضافة عن شرح المواهب ٣ : ٣٦ .

التحتية وهو الأَخْنس – بالخاء المعجمة والنون والسين المهملة ، بن شريق – بالشين المعجمة والقاف .

أُحَيْحَة – بمهملتين مصغر – بن أُميّة .

أَسِيد – بفتح أوله وكسر السين المهملة – بن جارية . بالجيم والتحتية – الثقفىّ ، أعطاه مائة .

الأَقْرَع – بالقاف والراء – بن حابس – بالحاء المهملة وبالموحدة والسين المهملة – التميمِى ، أعطاه مائة .

جُبَيْر – بالجيم والموحّدة مصغر – بن مُطْعِم – بضم الميم وسكون الطاء وكسر العين المهملتين .

الْجِدّ – بكسر الجيم وتشديد الدال المهملة – بن قيس السهمىّ ، كذا أورده التلقيح ، ولم يذكره الحافظ فى الفتح ولا فى الإصابة ، وإنما ذكره فيهما الْجِدّ بن قيس الأَنصارىّ ، ولم يتعرض لكونه من المؤلفة ولم يذكر فى النور أنه سَهْمِىّ[1] أو أَنْصارى ، فإن صَح أنه سهمى فهو وارد على الإصابة .

الحارث بن الحْرث بن كَلَدَة – بفتح الكاف واللام وبالدال المهملة .

الحارث بن هشام بن المُغِيرة المخزومىّ ، أعطاه مائة .

حَاطِب بن عبد العُزى العامرىّ .

حرْمَلة بن هَوْذَة – بفتح الهاء وسكون الواو وبالذال المعجمة بن ربيعة بن عمرو ابن عامر العامرىّ .

حَكيم – بوزن أَمِير – بن حِزام – بكسر الحاء المهملة ، وبالزاى – بن خُوَيْلد ، أعطاه مائة ، ثمّ سأله مائة أُخرى ، فأعطاه إياها .

روى الشيخان وغيرهما ومحمد بن عمر – واللفظ له – عن حكيم بن حِزَام – رضى الله عنه – قال : سأَلْتُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – بحُنَيْن مائة من الإبل فأعطانيها

---

(١) كذا فى ط ، ص ، وفى ت ، م « كونه سهمياً » .

ثم سألته مائة من الإبل فأعطانيها ثم قال رسولُ الله – صلى آلله عليه وسلم – (يا حكيم إنَّ هَذَا الْمَالَ حُلْوَةٌ خَضِرَة ، فمَنْ أَخَذَه بسخاوةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَه فيه ، وَمَنْ أَخَذَه بِإِشْرافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ له فيه ، وَكَانَ كَالّذِى يَأْكُلْ وَلَا يَشْبَع ، والْيَدُ الْعُلْيَا خيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلى ، وَابْدَأْ بِمَنْ تعُول » فقال : والذى بَعَثَكَ بالحق لا أرزأُ أحداً بعدك شيئا ، فكان عُمَرُ بن الخطاب يدعوه إلى عطائه فيَأْبَى، أن يأْخذه، فيَقول عمر : أَيُّهَا الناس أُشْهِدُكُمْ على حَكِيم بن حِزام ؛ أدعوه إلى عطائه فيأْبى أن يأْخذه .

٥٤٤ت قال ابن أبى الزناد : أخذ حكيم المائة الأُولى فقط وترك الباقى/ .

حَكِيم بن طَلِيق – بوزن أمير – بن سُفيان .

حُوَيْطِبْ – بضم المهملة ، وفتح الواو ، وسكون التحتية ، وكسر الطاءِ المهملة وبالموحدة – بن عبد العُزّى الْقُرشى الْعَامِرِّى ، أعطاه مائة .

خالد بن أَسِيد – بوزن أمير – بن أَبِى العيص بن أُميّة .

خالد بن قيس السهمىّ .

٣١٣/١ خالد بن هَوْذَة – بفتح الهاءِ وبالذال المعجمة – بن ربيعة بن عامر العامرى / .

خلف بن هشام ، نقله فى النور عن بعض مشايخه عن الصغانى ، ثم قال فى النور : أنا لا أعرفه فى الصحابة. قلت : لم يذكره الذّهبىّ فى التّجريد ، ولا الحافظ فى الإصابة ، فإن صَحّ فهو وارِدٌ عليه .

وذكر فى العيون : رقيم بن ثابت بن ثعلبة ، وتقدم أنه آستشهد بِحُنين والله أعلم .

زهير بن أَبِى أُميّة بن المغيرة أخو أم المؤمنين أُمّ سَلَمَة .

زيد الخيل بن مهلهل الطائى ، عزاه فى الفتح لتلقيح ابن الجوزى ، ولم أجده فى نسختين .

السّائِب بن أَبِى السائب .

صيفى بن عائِذ – بهمزة بعد الألف فذال معجمة – المخزومى .

سعيد بن يَرْبُوع بن عَنْكَثَة ـ بفتح العين المهملة ـ وسكون النون وفتح الكاف ، والثاء المثلثة ، أعطاه خمسين .

سفْيان ـ بالحركات الثلاث فى سينه وبسكون الفاء وبالتحتية ـ بن عبد الأَسد المخزومىّ .

سَهل بن عَمْرو بن عبد شمس العامرىّ وأخوه سُهيل بن عمرو ، أعطاه مائة .

شَيْبَة بن عثمان القرشى العَبْدَرِىّ .

صخر بن حرب أبو سفيان ، أعطاه مائةً من الإبل وأربعين أُوقية فضة .

صَفْوان بن أُميّة الْجُمحىّ ، أعطاه مائة ، وروى البخارىّ عن صَفْوان قال : ما زال رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ يُعطينى من غنائِم حُنَيْن وهو أَبْغَض الْخَلْقِ إلىّ حتى ما خلق الله ـ تعالى ـ شَيْئا هو أَحبُّ إلىّ منه . وفى صحيح مسلم أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعطاه مائة من الغنم ، ثم مائة ، ثم مائة ، قال محمد بن عمر[1] : يقال إنّ صفوان طاف مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتصفّح الغنائِم إذ مرّ بِشِعْبٍ مملوءٍ إبلا مِمّا أفاءَ الله به على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيه غنم وإبل ورعاؤها مملوء ، فأُعْجِبَ صفوانُ وجعل ينظر إليه ، فقالَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أَعْجَبَكَ هَذَا الشّعب يَا أَبَا وهْب ؟ » قال : نعم . قال : « هو لك بما فيه » فقال صفوان : أشهد أنك رسولُ الله ـ صَلَّى الله عليه وسلم ـ ما طابت بهذا نَفْسُ أَحدٍ قط إلا نبى .

طليق بن سفيان والد حكيم السابق .

العباس بن مِرْداس ـ بكسر الميم وسكون الراء وبالدال المهملة . قال :ابن إسحاق : أعطاه أَباعِرَ ، وقال محمد بن عمر وابن سعد : أربعا من الإبلفسَخِطَها .

وروى الإمام أحمد ، ومسلم ، والبيهقى عن رافع بن خُديج ـ رضى الله عنه ـ أن رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعطى المؤلفة قلوبهم من سَبْىِ حُنيْن كل رجل منهم مائة

---

(١) انظر المغازى للواقدى ٣ : ٩٤٦ » ويلاحظ أن المصنف لايلتزم نصما ذكره محمد بن عمر الواقدى بل إنه يقدم ويؤخر فى بعض الألفاظ مع الالتزام الشديد بالمعنى .

من الإبل ، فذكر الحديث فيه : وأعطى العباس بن مِرْداس دون المائة ، نقص من المائة ولم يبلغ به أولئك ، فأنشأ العباس بن مِرْدَاس يقول :

أَتجْعل نَهْبِى وَنَهْبَ العُبــــ ـــيْدِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ والأَقْرَعِ[1]

فمـــا كان حِصْـــنٌ ولا حابسٌ يَفُوقانِ مِـــرْداسَ فى المَجْمَعِ

وقد كنتُ فى الحرب ذا تُدْرَأ[2] فلم أُعْطَ شيئا ولم أُمْنَـــعِ

وما كنْتُ دونَ امْـــرِىءٍ مِنْهُما ومن تَضَع اليَـــومَ لا يُرفَعِ

٣١٣ب

٥٤٥ت

فأتمَّ له رسُول الله — صلى الله عليه وسلم — المائة ، ورواه البيهقى عن ابن إسحاق رحمه الله بلفظ : فقال العباس بن مِرْداس يعاتبُ رسولَ الله — صلَّى الله عليه وسلْم :

كَانَتْ نِهَابًـــا تلَافَيْتُهَـــا بِكَرِّى عَلَى الْمُهْرِ فِى الأَجْرَعِ[3]

وَإِيقَاظِى الْقَوْمَ أَنْ يَرْقُـــدُوا إذا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ أَهجَعِ

فأَصْبحَ نهْبِى وَنَهْبُ الْعُبَيْـ ـــدِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ

وَقَدْ كُنْتُ فِى الْحَرْبِ ذَاتُدْرإٍ فَلَمْ أُعْطَ شَيْئا وَلَمْ أُمْنَع

وإِلاَّ أَفَـــائِـــل أُعْـــطِيْـــتُـــهَـــا عَدِيدَ قَوائِمِهَـــا الْأَرْبَعِ

وَما كانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَان مِرداس فِى الْمَجْمعِ

وَمَا كُنتُ دُون امْرئٍ مِنْهُمَا وَمَن تَضع اليَوْمَ لَا يُرْفَعِ

فبلغ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فدعاه وقال : أَنْتَ القَائِلُ فأَصبَحَ نَهْبِى ، وَنَهْبُ العُبَيْدِ بَيْنَ الأَقْرَعِ وَعُيَيْنَة ؟ » فقَالَ أبو بكر الصديق : — رضى اللّهُ عَنْهُ — بأَبِى أنت وأُمِّى لم يقل كذلك ، ولا والله ما أنت بشاعر ، وماينبغى لك ، وما أنت براوية . قال : « فَكَيْفَ قالَ » ؟ فأنشده أبو بكر — رضى الله عنه — فقال النبىُّ — صلى الله عليه وسلم « اقْطَعُوا عَنِّى لسَانَه » ففزع منها ناسٌ ، وقالوا : أمر بالْعَبّاس بْنِ مِرْدَاسٍ أَنْ

---

(١) انظر القصيدة فى المغازى للواقدى ٣ : ٩٤٦ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٣ : ٦٨ ، وسيرة النبى لابن هشام ٣ : ١٠٩ ، وشرح المواهب للزرقانى ٣ : ٣٧ .

(٢) ذاتدرأ : أى ذا دفع (هامش الواقدى ٣ : ٩٤٧) .

(٣) الأجرع : (المكان السهل) هامش المغازى للواقدى ٣ : ٤٦ وعبارة الواقدى « بكرى على القوم . . . » .

يمثّل به ، وإنما أراد رسولُ الله ـ صلىّ الله عليه وسلّم ـ بقوله : « اقْطَعُوا عَنّى لسَانه » أى يقطعوه بالعَطِيّةِ من الشاءِ والغنم .

عبد الرحمن بن يربوع الثّقَفى .

عثمان بن وهب المخزومىّ أعطاه خمسين .

عدىّ بن قيس بن حُذافة السّهمىّ أعطاه خمسين .

عِكرمة بنُ عامِرِ الْعَبْدَرِىّ .

عكرمة بن أبى جهل .

عمرو بن هِشَام ، نقله فى النور عن بعض مشايخه عن ابن التين .

علقمة بن عُلاَثة ـ بضمّ العين والتخفيف ، وبالثاءِ المثلثة ـ بن عوف ـ بالفاءِ .

عمرو بن الأَهتم ـ بالفوقية .

عَمْرُو بن بَعْكَك ـ بموحدة ، فعين مهملة ، فكافين ، وزن جَعْفَر ، أبو السَّنَابل ـ جمع سُنبلة

عَمْرو بن مِرْدَاس السُّلَمىّ أخو عباس .

عُمَيْر ـ بضم أوله ، وفتح الميم ، وسكون التحتية ـ بن وَدَقَة ـ بفتح الواو والدّال المهملة .

عُمَير بن وَهْبٍ الْجُمَحِىّ ، أَعْطَاهُ خَمْسِين .

العَلاَء بن جَارِيَة ـ بالجيم والتحتية ـ الثَّقَفِىّ أعطاه خمسين . وقال ابن إسحاق : مائة .

عُيَيْنَة ـ بضم العين المهملة ، وكسرها ، وفتح التحتية الأُولى ـ بن حصْنٍ ـ بكسر الحاءِ ، وبالصّاد المهملتين و بالنون ـ الفَزَارِىّ ، أعطاه مائة .

قَيْس بن عَدِىٍّ السَّهْمىّ / ، أعطاه مائة كذا ذكره ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر . ٣١٤أ
وقال بعضُهم : صوابه عَدِىُّ بنُ قَيْسٍ ـ على العكس ـ وقَالَ الحَافِظُ : هُمَا وَاحِدٌ فانْقَلَب ، أَمْ اثْنَان ؟ قلت : وَهُو الظَّن ؛ لاتّفاقِ ابن إسحاق والوَاقِدِىّ عَلى ذَلك .

قَيْس بنُ مَخْرَمَة – بفتح الميم ، وسُكون الخَاء المُعْجَمَةِ ، وَفَتْحِ الرّاء ، والميمَ – ابن المُطَّلِبَ بن عبد مَنافٍ .

كَعْب بن الأَخْنَسِ ، نقله فى النُّور عَنْ بعض مشايخه ، ثم قَالَ : وَلا أَعْرِفُه أَنَا .
قلت : لاَ ذَكَرْته فِى التَّجرِيدِ ، وَلَا فى الإِصَابَةِ .

لَبِيد – بوزْنِ أَمِيرٍ – بن رَبِيعة العَامِرِىّ .

مَالِك بن عَوْفٍ بالفاء – النّصْرِى بِالنُّونِ ، والصّاد المُهْمَلَة – رأْس هَوَازِنَ ، أَعْطَاهُ مائةً .

مَخْرَمَة – بَفَتْحِ الميم ، وَالرّاء ، وسُكُون الخَاءِ المُعْجَمَةِ بينهما – بن نوفل الزهرىّ ، أعطاه خمسين .

مطيع بن الأَسود القرشىّ العدوىّ .

معاوية بن أَبى سفيان

أبو سفيان صخر بن حرب ، أعطاه مائة من الإبل وأربعين أُوقية فضة .

٥٤٦ المغيرة بن الحارث أبو سفيان / القرشى الهاشمى .

النُّضَير – بالضاد المعجمة والتصغير – بن الحرث بن علقمة ، أعطاه مائة من الإبل .

نوفل بن معاوية الكنانىّ .

هشام بن عمرو القرشىّ العامرىّ أعطاه خمسين .

هشام بن الوليد المخزومىّ .

يزيد بن أَبى سفيان صخر بن حرب ، أعطاه مائة بعير وأربعين أُوقية .

أَبو الجهم بن حُذَيْفة بن غانم القرشىّ العدوىّ .

أَبو السنابل ، اسمه عمرو ، تقدم .

فهؤلاء بضع وخمسون رجلا لعلك لا تجدهم مجموعين محرّرين هكذا فى كتاب غير هذا الكتاب والله الموفّق للصواب .

وروى البخارى عن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - قال : كنت عند رسول الله - صلّى الله عليه وسلم - وهو نازل بالجِعرّانة بين مكة والمدينة[1] - ومعه بلال - فأتى رسولَ الله - صلّى الله عليه وسلم - أعرابىٌّ فقال : ألا تُنْجِزُنِى ما وعدتنى ؟ فقال له : « أَبْشِرْ » فقال : قد أكثرت علىّ من البشر . فأقبل على أبى موسى وبلال كهيئة الغَضْبان فقال : « ردَّ البُشْرَى فاقبلا أنتما ، قالا قبلنا » ثم دعا بقدح فَغَسل يَدَيْه ووجهه ، ومجَّ فيه ، ثم قال : « اشربا منه وأَفْرِغا على وجوهكما ونحوركما ، وأَبْشِرا » فأخذا الْقدح ففعلا ، فنادت أم سلمة من وراء السِّتر : أنْ أَفْضِلا لأُمكما ، فأفضلا منه طائفة .

قالوا : ثم أمر رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - زيد بن ثابت بإحضار الناس والغنائم ، ثم فَضّها[2] على الناس فكانت سهامهم ، لكل رجل أربع من الإبل أو أربعون شاة ، فإن كان فارسا أخذ اثنتى عشرة من الإبل أو عشرين ومائة شاة ، وإن كان معه أكثر من فرس واحد لم يسهم له .

* * *

ذكر بيان الحكمة فى اعطائه - صلى الله عليه وسلم - اقواما من غنائم حنين ومنعه آخـــرين

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمىّ ، أنّ قَائِلاً قال لرسول الله - صلّى الله عليه وسلم - من أصحابه ، قال محمد بن عمر : هو سعد بن أبى وقّاص : يا رسول الله ، أعطيْتَ عُيَيْنَة بنَ حصن ، والأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مائة ، وتركْتَ جُعَيْلَ بْنَ سُراقة الضَّمْرىّ ؟! فقال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - « أَمَا وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَجُعَيْلُ بْنُ سُرَاقَةَ خَيْرٌ مِنْ طِلاَعِ الأَرض كلهم مِثْلُ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ ، وَالأَقْرَعِ بْنِ حَابِس ، وَلَكِنِّى تَأَلَّفتهُمَا لِيُسْلِمَا ، وَوَكَلْتُ جُعَيْلَ بْن سُرَاقَةَ إِلَى إِسْلاَمِهِ » .

وروى البخارىُّ عن سعد بْنِ أبى وقّاص - رضى الله عنه - قال : أعطى رسولُ الله - صلّى الله عليه وسلم - رهْطاً وأنا جالس فترك منهم رجلا هو أعجبهم إلىّ ، فقمتُ

---

(١) كذا فى الأصول ، وسوف يشير المصنف فى شرح الغريب إلى أن الصواب « بين مكة والطائف » .

(٢) ق ت « فرقها » .

فقلتُ : مالك عن فلان والله إنى لأَراه مُؤْمِنا ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أو مُسْلِماً » ذكر ذلك ثلاثا ، وأجابه بمثل ذلك ، ثم قال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - « إنِّى لأُعْطِى الرَّجُلَ وغيره أَحَبُّ إلىّ منه خَشْيَةَ أن يَكُبَّه الله - تعالى - فى النّار على وجهه » .

وروى البخاريّ عن عمرو بن تَغْلِب قال : أعطى رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - قوماً ومنع آخرين فكأنهم عَتِبوا عليه فقال : « إنى أُعْطِى أَقْوَاما أخافُ هَلَعَهُم وَجَزَعَهُم، وَأَكِلُ أَقْوَاماً إِلَى مَا جَعَلَ اللهُ - تعالى - فى قُلُوبهم مِنَ الْخَيْرِ والْغِنَى ، مِنْهُم عَمْرو ابن تَغْلَبِ » .

قال عمرو : فما أَحْببت أَنَّ لى بكلمة رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - حُمْرُ

٥٤٧ت النَّعَم / .

* * *

ذكر عتب جماعة من الانصار على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين اعطى قريشا ولم يعط الانصار شيئا وجمعه اياهم واستعطافه لهم

روى ابن إسحاق ، والإمام أحمد عن أبى سعيد الْخُدْرِى ، والإمام أحمد ، والشيخان من طريق أنس بْنِ مالك ، والشيخان عن عبد الله بن يزيد بن عاصم - رضى الله عنهم - أَنَّ رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلم - أصاب غنائِم حُنَيْن ، وقسم للمتألّفين من قُرَيش وسائِرِ العرب ما قسم ، وفى رواية : طَفِقَ يُعْطى رَجُلاً المائة من الإبل ، ولم يكن فى الأَنْصَارِ منها شَىءٌ قليلٌ ولا كثير ، فوَجَدَ هذا الحىُّ من الأَنصار فى أنفسهم ، حتى كثر

٣١٥أ فيهم الْقَالَة حتّى قال قائلهم : يغفِرُ الله - تعالى - لرسول الله - صلَّى الله عليه وسلم / - إنّ هذا لَهُوَ الْعَجَب يُعْطى قريشًا ، وفى لفظِ الطّلقاء والْمُهَاجِرِين ،ويتركنا وسُيُوفُنَا تقطر من دمائهم ، إذا كانت شديدة فنحن ندعى ويُعْطى الغنيمةَ غيرنا،ودِدْنَا أنّا نعلم ممن كان هذا ، فإن كان مِنْ أمر الله تعالى صَبَرْنا ، وإن كان من رأى رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - استعتبناه .

وفى حديثْ أبى سعيد : فقال رَجُلٌ من الأَنصار لأَصحابه : لقد كنت أَحدثكم أن لو استقامت الأُمور لقد آثر عليكم . فَرَدُّوا عليه ردًّا عنيفا . قال أَنس : فحُدِّثَ رسول

الله – صلى الله عليه وسلم – بمقالتهم ، وقال أبو سعيد : فمشى سَعْدُ بْنَ عبادة إلى رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقال : يارسول الله : إنّ هذا الْحَيَّ قد وَجَدُوا عليك فى أنْفُسِهِم . قال : « فيم » قال : فيما كان من قَسْمِك هذه الغنائم فى قومك وفى سائر العرب ولم يكن فيهم من ذلك شئ ، فقال رسولُ الله – صلّى الله عليه وسلم : « فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْد » ؟ قال : ما أنا إلا امرؤ من قومى ،فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – : « فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة، وفى لفظٍ فى هذه القُبَّة » ، فإذا اجتمعوا فأَعلمنى ، فخرجَ سعدٌ يصرخ فيهم حتّى جَمَعَهم فى تلك الحظيرة .

وقال أنس : فأَرسل إلى الأَنصار فجمعهم فى قُبّة من أدم ولم يَدْعُ غيرهم ، فجاءَ رِجَالٌ مِنَ المهاجرين فأذن لهم فيهم ، فدخلوا ، وجاءَ آخرون فردهم ، حتى إذا لم يبق أَحد من الأَنصار إلاّ اجتمَع له . أتاه[1] فقال يارسول الله : قد اجتمع لك هذا الحيُّ من الأَنصار ، حيث أمرتنى أن أَجْمَعَهُم ، فخرج رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقال : « هَلْ مِنْكُم أَحَدٌ مِنْ غَيْرِكُم » ؟ قالوا : لا يارسول الله إلاابن أُخْتِنَا ، قال : « ابن أختِ القوم منهم » فقام رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم –خطيبا فحمد الله وأَثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « يا مَعْشَر الأَنْصَار أَلَمْ آتِكُمْ ضُلاّلاً فَهَدَاكُم الله – تعالى – وَعَالَةً فَأَغْنَاكُم الله ، وأَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُم ، وفى رواية « مُتَفَرِّقِين فَأَلَّفَكُم الله » ؟ – قالوا : بَلَى يَا رَسُولَ الله ؛ الله ورسوله أَمَنُّ وَأَفْضَل .

وفى روايةٍ قَالَ رَسُولُ الله – صَلَّى آللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – : « أَلاَ تُجِيبُونَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَار ؟» قالوا : وَمَا نَقُولُ يَا رَسُولَ الله ؟ وَمَاذَا نُجِيبُك ؟ الْمَنُّ لِلّهِ – تعالى – وَلِرَسُولِه – صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم – قَالَ : « وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُم فَصَدَقْتُم وصُدِّقْتُم ، جِئْتَنَا طَرِيداً فَآوَيْنَاك ، وعَائِلاً فَآسَيْنَاكَ ، وَخَائِفا فَأَمَّنَّاكَ ، وَمَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ ، وَمُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ » فَقَالُوا : الْمَنُّ لِلّهِ – تعالى / – وَلِرَسُولِه ؛ فقال : وَمَا حَدِيثٌ بَلَغَنِى عَنْكُم ؟ » فَسَكَتُوا ، فَقَالَ : مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِى عَنْكُم » ؟ فَقَالَ فُقَهَاءُ الأَنْصَارِ : أَمّا رُؤَسَاؤُنَا فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئا ، وَأَمّا أُنَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهم قَالُوا يَغْفِرُ الله – تعالى – لِرَسُولِه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

٥٤٨ح
٣١٥ب

---

(١) يعنى سعد بن عبادة رضى الله عنه .

وسلّم - يُعْطِى قُرَيْشا وَيَتْرُكنا ، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِم !! فَقالَ رَسُولُ اللهِ - صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلم - « إِنّى لأُعْطِى رِجَالاً حَدِيثى عَهْدٍ بِكُفْرٍ لأَتَـأَلَّفهم بِذَلِكَ » .

وفى روايةٍ إنّ قُرَيْشاً حَدِيثُو عَهْدٍ بِجَاهِلِيّة وَمُصِيبَةٍ ، وَإِنى أَرَدْتُ أَنْ أَجْبُرَهُمْ وَأَتأَلَّفَهُم ، أَوَجَدْتُم يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِى أَنْفُسِكُم فى لَعَاعَةٍ[1] مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْما أَسْلَمُوا ، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى مَا قَسَمَ اللهُ - تعالى - لَكُمْ مِنَ الإِسْلَامِ ، أَفَلاَ تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ إلى رِحَالِهِم بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللهِ - صلّى الله عليه وسلم - إِلَى رِحَالِكُم تَحُوزُونَه إلى بُيُوتِكُم ، فَوَاللهِ لَمَنْ تنقَلِبُون بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ به ، فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ أَنّ النّاسَ سَلَكُوا شِعْباً وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنصار » .

وفى رِوَايَةٍ لوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيا وَسَلَكتِ الأَنْصَارُ شِعْباً - أَنْتُم الشِّعَارُ والنَّاسُ دِثَار ، الأَنصار كَرِشِى وعَيْبَتِى ، ولولا أَنَّها الْهِجْرَةُ لكنتُ امْرَأً من الأَنصار ، اللهمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ ، وأَبناءَ الأَنصارِ » فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضِينا بالله ورسولِهِ حَظًّا وقسْما .

وذكر محمد بن عمر أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أراد حين إذ دعاهم أن يكتب بالبحرين يكون لهم خاصة بعده دون الناس ، وهى يومئذ أفضل ما فتح عليه من الأَرض ، فقالوا : لا حاجة لنا بالدنيا بعدك ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إنكم سَتَجِدُون بعدى أَثَرَةً شديدةً ، فاصبروا حتى تلقونى على الحَوْضِ » وكان حَسان ابن ثابت - رضى الله عنه - قال قَبْلَ جَمْع النبى - صلى الله عليه وسلم - الأَنصار[2] .

زادَ الْهُمُومَ فَمَاءُ الْعَيْنِ مُنْحَدِرُ ... سَحًّا إِذَا حَفَلَتْهُ عَبْرَةٌ دِرَر

وَجْداً بشَمَّاءَ إذ شَمَّاءُ بَهْكَنَةٌ[3] ... هيفاءُ لاذَنَنٌ[4] فيها ولا خَوَرُ

---

(١) اللعاعة : بقلة خضراء ناعمة شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها (سيرة النبى لابن هشام ٣ : ١١٤) . وسترد فى شرح الغريب .

(٢) وانظر القصيدة فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٩٧ (٣ : ١١٢) . والسيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٣٦١ وشرح المواهب ٣ : ٣٨ : وديوان حسان بن ثابت .

(٣) البهكنة : كثيرة اللحم (سيرة النبى لابن هشام ٣ : ١١٢) .

(٤) الذنن : القذر ، وتروى الدئن بمعنى غثور الصدر وتطامنه ، وتروى ولا دنس (اللسان - ذن ن)

دع عنك شَمّاءَ إذ كانت مودّتها ... نَزْراً وشَرٌّ وِصَالِ الوَاصِلِ النذِرُ
وَأْتِ الرسولَ فقُل يا خيرمؤتمن ... للمؤمنين إذا ماعُـــدِّد البشرُ
علام تُدْعَى سُلَيمٌ وهى نازحةٌ ... قدّام قَوْمٍ هُمُوا آوَوْا وَهُمْ نَصَرُوا
سَمَّاهم الله أنصـــــاراً بنصرهمُ ... دين الهدى وعوانُ الحرب[1] تَسْتَعِرُ
وسارعوا فى سبيل الله واعترضوا ... للنائبات وما خامُوا وما ضجـروا
والناس إلبٌ علينا فيك ليس لنا ... إلا السيوف وأطراف القنا وزر
نجالدُ الناسَ لا نُبْقِى على أحدٍ ... ولا نضَيِّـــعِ ما توحى بــه السور
ولا تَهِرُّ جُناةُ الحـــرب نَادِيَنَا ... ونحن حين تَلَظَّى نارها سُعُر
كمارددنا ببدر – دون ماطلبوا – ... أهل النِّفَاق فَفِينَا يَنْزِلُ الظفر
ونحن جندك يوم النعف من أحدٍ ... إذ حَزّبَت بَطراً أحْزَابَهَا مُضَرُ
فما وَنَيْنَا وما خِمْنَا ومَا خَبَرُوا ... منَّا عِثاراً وكُلُّ الناسِ قَدْ عثَرُوا

* * *

ذكر اعتراض بعض الجهلة من أهل الشقاق والنفاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم – فى القسمة العادلة ، وما وقع فى ذلك من الآيات

روى الشيخان والبيهقى عن ابن مسعود – رضى الله عنه – قال : لما قسم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لنا هوازِن يوم حُنَيْن آثر أُناسا مِن / أشراف العَرَبِ ، قالَ رجلٌ مِن الأَنصار : هذه قِسْمَةٌ ما عُدِلَ فِيهَا ، ومَا أُرِيدَ فيها وَجْهُ اللهِ ، فقلت : والله لأُخْبِرَنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأَخبرته ، فتغيَّرَ وجهُهُ حتى صار كالصِّرف وقال : « فمن يعدل إذا لم يعدل اللهُ ورسولُه ؛ رَحْمَةُ الله على موسى قد أُوذِى بأَكثر من هذا فصبر » . ٥٤٩ت

الرجلُ المُبْهَمُ : قال محمد بن عمر هو مُعَتِّب بن قُشَيْر .

قصة أُخرى : روى ابن إسحاق عن ابن عمر ، والإمام والشيخان عن جابر ، والشيخان والبيهقى عن أَبى سعيد – رضى الله عنهم – أَن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بَيْنَا هُوَ يقسم غنائم هوازن إذ قام إليه رجلٌ – قال ابن عمر وأَبو سعيد : من تميم يقالُ

---

(١) العوان : الحرب التى قوتل فيها المرة بعد المرة (اللسان) .

له ذو الخُوَيْصِرَة ، فوقف عليه وهو يعطى الناسَ فقال : يا محمد قد رأيتُ مَا صَنَعْتَ فى هذا اليوم ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « أَجَل ، فَكَيْفَ رَأَيْت ؟ » قال : لم أركَ عَدَلْتَ ، اعدل . فغضب رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – وقال : « شقِيتُ إن لم أَعْدِل ، ويحكَ إذا لَمْ يَكُن الْعَدْلُ عِنْدِى فَعِنْدَ مَنْ يَكُون ؟ » فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله دَعْنِى أَقْتُل هَذَا الْمُنَافِق ، فَقَالَ رسولُ الله – صلىّ الله عليه سلم – « مَعَاذَ الله أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّى أَقْتُل أَصْحَابِى ، دَعُوه فَإِنَّه سَيَكُون له شِيعَةٌ يَتَعَمَّقُون فِى الدِّين حَتَّى يَخرُجُوا مِنْه كَمَا يَخرجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّة ، يُنْظَرُ فِى النَّصْلِ فَلاَ يُوجَدُ فيه شَىءٌ ، ثُمَّ فى الْقِدْحِ فَلاَ يُوجَدُ فيه شَىءٌ ، ثُمَّ فِى الْفُوقِ فَلاَ يُوجَدُ فيه شىءٌ ، وفى لفظ ثم يُنْظَرُ إلى رِصَافِه فلا يُوجَدُ فِيه شَىْءٌ ثم يُنْظَرُ إلىنصِيبِهِ وهو قِدْحه ، فلا يُوجَدُ فيه شىءٌ ثُمَّ يُنْظَرُ إلى قُذَذِه فلا يُوجَدُ فيه شىءٌ ، قد سبق الْفَرْثَ والدَّم يحقر أحدُكم صَلاَتَه مع صَلاَتِهِم وَصِيَامَه مَعَ صِيَامِهِم » ولفظ رواية جابر :« إنَّ هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يُجاوِزُ حَنَاجرهم يمرقون منه كما يمرقُ السَّهم من الرَّمِيّة ، آيَتُهُم أن فيهم رَجُلاً أَسْوَد ، إحْدَى عَضُدَيْه مِثْل ثَدْى الْمَرْأَةِ ، أَوْ مِثل الْبَضْعَة تَدَرْدَر ، ويخرجون على حين فُرقَة من الناس » وفى رواية « على حين فُرْقَة » . ٣١٦ب

قال أبو سعيد : فأشهد أنى سمعتُ هذا من رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – وأشهدُ أن علىَّ بن أبى طالب قاتلهم وأنا معه ، وأمر بذلك الرجُلَ فالتُمِسَ حتَّى أُتى به ، حتَّى نظرتُ إليه على نَعْتِ رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلم – الَّذِى نعت .

* * *

ذكر قدوم مالك بن عوف على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومن ذكر معه

قالوا[1] : وقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – لوفد هوازن : « مَا فَعَلَ مَالِكُ بْنُ عَوْف » قالوا يا رسول الله : هرب فلحق بحصن الطائف مع ثقيف . فقالَ رسولُ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلم – « أَخْبِرُوه أَنَّه إن أَتَانِى مُسْلِماً رَدَدْتُ عَلَيْهِ أَهْلَه وَمَالَه ، وَأَعْطَيْتُه مائةً مِنَ الْإِبِل » وكان رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – أَمَرَ بِحَبْسِ أَهْلِ مَالك بمكة عند عمتهم أُم عبد الله بنت أَبى أُمية ، فقال الوفد : يا رسول الله – أُولَئِك سادتنا

(١) أى أهل المغازى والسير ، وانظر المغازى للواقدى ٣ : ٩٥٤ . وما هنا موافق له . وكذلك انظر سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٠٧ وعليها الروض الأنف ط الجمالية سنة ١٩١٤ م .

وأحبنا[1] إلينا ، فقال رسولُ الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ « إنّمَا أُرِيدُ بِهِمْ الْخَيْر » فوقف مال مالكٍ فلم يجر فيه السهام ، فلما بلغ مالكاً ما فعل رسولُ الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فى قومه وما وعده رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأن أهله وماله موفور[2] وقد خاف مالك ثقيفاً على نفسه أن يعلموا أن رسولَ الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ قال له/ ما قال ، فيحبسونه ، فأمر براحلته فقُدِّمَت له حتى وضعت لديه بدحْنَا ، وأمر بفرس له فَأُتِىَ به ليلا فخرج من الحصن فجلس على فرسه ليلا ، فركضه حتى أتى دَحْنَا فركب بعيره حتى لحق برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأدركه بالجعرانة ـ أو بمكة ـ فردّ عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أهله وماله ، وأعطاه مائة من الإبل وأسلم فحسن إسلامه ، فقال مالك حين أسلم : ٥٥٠

ما إنْ رَأَيْتُ ولا سَمِعْتُ بِمِثْلِه	فى الناس كُلّهم بمثل محمـدِ
أوْفَى وأعْطى للجزيلِ إذا احْتُذِى	ومتى تَشَأْ يُخْبِرْكَ عَمَّا فى غدِ
وإذا الكتيبة عَرَّدَتْ[3] أنيابُها	بالسَّمْهرِىِّ[4] وضَرْبِ كلِّ مُهَنَّدِ
فَكَأنَّه لَيْثٌ عَلَى أَشْبَـــالِهِ	وسْطَ الهبَاءَةِ[5] خَادِرٌ فى مَرْصَدِ

فاستعمله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على من أسلم من قومه ، ومن تلك[6] القبائل من هوازن وفَهْم وسَلِمَة وثُمَالة . وكان قد ضَوَى إليه قومٌ مسلمون ، واعتقد له لواءً ، فكان يقاتل بهم / من كان على الشّرك ويغير بهم على ثقيف فيقاتلهم بهم ؛ ولا يخرج لثقيف سَرْح إلا أغار عليه ، وقد رجع [حين رجع[7]] ـ وقد سرح الناس مواشيهم وأمنوا ـ فيما يرون[8] ـ حين انصرف رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنهم ، وكان ٢١٧ أ

(١) فى المغازى للواقدى ٣ : ٩٥٥ « وأحبتنا إلينا » .
(٢) فى المرجع السابق « موقوف » .
(٣) عردت : عوجت هامش المرجع السابق .
(٤) فى المرجع السابق « بالمشرفى » .
(٥) الهباءة : الغبرة (هامش المغازى للواقدى ٣ : ٩٥٦) .
(٦) فى المرجع السابق « ومن تلك القبائل حول الطائف » ٣ : ٩٥٥ .
(٧) الإضافة عن المرجع السابق . ٣ : ٩٥٥ .
(٨) فى تاريخ الخميس ٢ : ١١٣ « حتى ضيق عليهم » . ولعل معنى ماهنا أن مالك بن عوف قد رجع عائداً من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الوقت الذى أمنت فيه ثقيف وأخرجت سرحها اطمئناناً لانصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فأخذ مالك فى الإغارة عليهم وعلى أموالهم .

لا يقدر على سَرْح إلا أخذه ، ولا على رَجُل إلاّ قتله ، وكان يَبعثُ إلى رسولِ الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالخُمس مما يغنم ، مرة مائة بعيرٍ ، ومرةً ألفَ شاة ، ولقد أغار على سرح لأهل الطائف فاستاق لهم ألف شاةٍ فى غداةٍ واحدة .

* * *

ذكر مجيء أم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأبيه وأخيه من الرضاعة

روى أبو داود ، وأبو يعلى ، والبيهقى ، عن أبى الطفيل ــ رضى الله عنه ــ قال : كنتُ غلاما أحمل نضو البعير ورأيت رسولَ الله ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ يقيم بالْجِعْرانة وامرأة بدوية ، فلمّا دنت من النبى ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ بسط لها رِدَاءه فجلست عليه ، فقلت : من هذه ؟ فقالوا : أمّه التى أرضعته .

٣١٧ أ

وروى أبو داود فى المراسيل عن عمر بن السائب ــ رحمه الله تعالى ــ قال : كان رسولُ الله ــ صلَّى الله عليه وسلم ــ جالسا يوما ، فجاءَ أبوه من الرَّضَاعة فوضع له بعْضَ ثوبه فَقَعَدَ عليه ، ثمّ أقبلت أمه فوضع لها شِقّ ثوبه من جانبه الآخر [فجلست عليه][1] ثم جاءَ أخوه من الرّضاعة فَقَامَ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأجلسه بين يديه .

* * *

ذكر رجوع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى المدينة

قال محمد بن عمر وابن سعد : انتهى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى الْجِعْرَانة ليلة الخميس لخمسٍ ليالٍ خلون من ذى القعدة ، فأقام بالْجِعْرَانَةِ ثلاث عشرة ليلة ، وأمر ببقايا السبى[2] فحبس بمجنّة بناحية مَرّ الظهران . قال فى « البداية » والظاهر أنه ــ صلّى الله عليه وسلم ــ إنما اسْتبْقَى بعض المغنم ليتألف به من يلقاه من الأعراب فيما بين مكة والمدينة : فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج ليلة الأربعاء لثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ليلا ، فأحرم بعمرة من المسجد الأقصى الذى تحت الوادى بالعدوة القصوى ، ودخل مكة فطاف وسعى ماشيا ، وحلق ورجع إلى الْجِعْرَانة من

---

(١) الإضافة عن البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٦٤ .

(٢) كذا بالأصول وفى البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٦٨ « وامر ببقايا الفىء » وكذلك بتاريخ الخميس ٢ : ١١٧

ليلته ، وكأنه كان بَائِتًا بها ، واستخلف عتَّاب - بالمهملة وتشديد الفوقية وبالموحدة - ابن أَسِيد بالدّال - كأمير - على مكة - وكان عمره حينئذ نيفا وعشرين سنة - وخلف ٥٥١ت معه مُعَاذ بن جبل - زاد محمد بن عمر والحاكم : وأبا موسى الأشعرى - رضى الله عنهم - يُعَلِّمَان الناسَ القرآن والفقه فى الدين ، وذكر عروة بنُ عُقبة أن رسول الله - صلّى ٣٠٧ب الله عليه وسلم - خلف عَتَّابا ومعاذاً بمكة قبل خروجه إلى هَوازن ، ثم خلّفهما حين رجع إلى المدينة .

قال ابن هشام : وبلغنى عن زيد بن أسلم - رحمه الله تعالى - أنه قال : لَمَّا استعمل رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عتَّابا على مكة رَزَقَه كلّ يوم درهما ، فقام فخطب الناس فقال : « أيها الناس ، أجاع الله كبد من جاع على درهم !! فقد رزقنى رسولُ الله - صلّى الله عليه وسلم - درهما كلّ يوم ، فليست لى حاجة إلى أحد » .

قلتُ : ترجمتهُ وبعض محاسنه فى تراجم الأُمراء .

قال محمد بن عمر وابن سعد : فلما فرغ رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - من أمره غدا يوم الخميس راجعا إلى المدينة ، فسلك فى وادى الْجِعْرَانة ، حتى خرج على سَرِف ، ثم أخذ فى الطريق إلى مَرِّ الظَّهْرَان ، ثم إلى المدينة يوم الجمعة لثلاث بقين من ذى القعْدة - فيا زعمه - أبو عمرو المدنى .

قال أبو عمرو : وكانت مدة غيبته - صلَّى الله عليه وسلم - من حين خرج من المدينة إلى مكة فافتتحها ، وواقع هوازن ، وحارب أهل الطائِف إلى أن رجع إلى المدينة شهرين وستة عشر يوما .

* * *

ذكر بعض ما قيل فى هذه الغزوة

قال بُجَيْر[1] بنُ زُهير بن أبِى سُلْمى - بضم أوائل الثلاثة - رضى الله عنه - يذكر حنينا والطائف :

---

(١) هو بجير بن زهير بن أبى سلمى واسم أبى سلمى ربيعة بن رباح بن قرة بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هرمة ابن الأصم بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار - وسلمى بضم السين وليس فى العرب كلمة بضم السين غيره .

(الأغانى ١٠ : ٢٨٨ ، ٣١٤ ط دار الكتب)

كَانَتْ عُلاَلَةُ يَوْمَ بَطْنِ حُنَينٍ وَغَدَاةَ أَوْطَاسٍ وَيَوْمَ الْأَبْرَق[1]

جَمَعَتْ بِإِغْوَاءٍ هَوَازِنُ جَمْعَهَا فَتَبَدَّدُوا كَالطائِرِ الْمُتَمَـزِّقِ

لَمْ يَمْنَعُوا مِنا مَقَاما وَاحِـــداً إِلَّا جِـدَارَهُمْ وَبَطْنَ الْخَنْدَقِ

وَلَقَدْ تَعَرضْنَا لِكَيْمَـا يَخْرُجُوا فَتَحَصنُوا[2] مِنا بِبَابٍ مُغْلقِ

تَرْتَدُّ حَسْرَانَا إِلَى رَجْرَاجَـــةٍ شَهْبَاءَ تَلْمَع بِالْمَنَايَا فَيْلقِ

مَلْمُومَةٍ خَضْرَاءَ لَوْ قَذَفُوا بِهَا حِصْنًا[2] لَظَلَّ كَأَنهُ لَمْ يُخْلقِ

مَشْيَ الضِّرَاءِ عَلَى الْهِرَاسِ كَأَننَا قُدُرٌ تَفَرَّقُ فِى الْقِيَادِ وَتَلْتَقِى

فِى كُلِّ سَابِغَةٍ إِذَا مَا اسْتَحْصَنَتْ كَالنِّهْى هَبَّتْ رِيحُهُ الْمُتَرَقْرِقِ

جُدُلٌ تَمَسُّ فُضُولُهُن نِعَالَنَـــا مِنْ نَسْجِ داوُد وَآلِ مُحَــرِّقِ

وقال كعب بن مالك ــ رضى الله عنه ــ فى مسير رسولِ الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى الطائف :

قضَيْنَا مِنْ تِهَامَةَ كُل رَيْبٍ وَخَيْبَرَ ثُم أجممنا السُّيُوفا

نُخَبِّرُهَا ولو نَطَقَتْ لَقَالَــت قَوَاطِعُهُن دَوْسًا أَوْ ثَقِيفَـــا

فلست بحاضن[3] إنْ لَمْ تَرَوْهَا بساحة دَارِكُم منا أُلُوفَـــا

وَنَنْتزِعُ الْعُرُوش بِبَطْنِ وَجٍّ وتصبح دُورُكُم منكم خلوفــا

ويأْتِيكم لنـــا سَرَعَانُ خيلٍ يُغادِرُ خلفه جَمْعا كثيفـــا

إِذَا نَزَلُوا بِسَاحَتِكُم سَمِعْتُـــم لَهَا مِمَّا أَنَاخَ بِهَا رَجِيفَـــا

بأَيديهم قواضبُ مُرْهَفَـــات يَزِدْن المصْطَلِينَ بِهَـا الْحُتُوفَـا

كَأَمْثَالِ الْعَقَائِقِ أَخْلَفَتْهَـــا قُيُونُ الْهِنْدِ لَمْ تَضْربْ كَتِيفَا

تَخَال جَدِيَّةَ الأَبطـــال فيها غَدَاةَ الزَّحف جاديًّا مَدُوفَـا

أَجِدُّهُمُ أَلَيْسَ لهم نَصِيـــح من الأَقْوَامِ كَانَ بنَا عرِيفَـــا

يُخَبِّرُهم بِأَنَّـــا قَـــدْ جَمَعنَا عِتَاقَ الْخَيْلِ. والنُّجب الطُّرُوفَا

(١) وانظر القصيدة فى البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٥١ ، وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٠٥ .

(٢) كذا فى الأصول وفى شرح الغريب ص ٨٤٤ وفى سيرة النبى لابن كثير ٣ : ٦٦٤ « حصن » .

(٣) وانظر القصيدة فى البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٠٢ ط الجمالية سنة ١٩١٤ م .

وأنا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِزَحْـــفٍ ... يُحيطُ بِسُورِ حِصْنِهِمُ صفوفا

رئيسهُمُ النَّبِيُّ وكان صُلْبــا ... نقِيُّ الْقَلْبِ مُضْطَبراً عَزُوفَــا

رَشِيدَ الأَمْرِ ذا حكم وعــلم ... وحلم لم يكن نَزِقا خَفيفَــا

نطيعُ نبيَّنَا ونطيــع رَبًّــا ... هُوَ الرَّحْمَنَ كان بنا رَءُوفَـــا / ٥٥٢ت

فَإِنْ تُلْقُوا إِلَينَا السلْم نَقْبَـل ... ونجعلكم لنــا عضُداً وريفَــا

وَإِن تأبوا نُجَاهِدكم وَنَصْبِــرْ ... وَلا يَكُ أَمْرُنَا رَعْشا ضعيفَــا

نُجَالِدُ مَا بَقِيْنَا أَو تُنِيبُــوا ... إلى الإِسْلاَمِ إِذْعَاناً مُضِيفَــا

نُجَاهِـدُ لا نُبَالِي مَنْ لَقِيْنَا ... أَأَهْلَكْنَا التِّلاَدَ أَم الطَّرِيفَــا

وكَمْ مِنْ مَعْشَرٍ أَلِبُوا عَلَيْنَــا ... صَمِيم الْجذم منهم والحليفَــا

أَتَوْنَا لا يَرَوْنَ لَهُم كِفَــاءً ... فَجَدَّعْنَا الْمَسَامِعَ وَالأُنُوفَـــا

بِكُلِّ مُهَنَّــدٍ لِيْنٍ صَقيــل ... نَسُوقُهُم بها سَوْقا عنيفَــا

لأَمْـــرِ اللهِ وَالإِسْلاَم حَتَّى ... يقومَ الدِّينُ معتدلاً حنيفَــا

ونُفْنِي الّلات والْعُــزَّى وَوَدًّا ... ونسلبها القلائــد والشُّنُوفَــا

فَأَمسوا قد أَقروا وَاطمأَنــوا ... ومن لا يمتنع يقبل خُسُوفَــا

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : الطائف : بلد كثير الأعناب والنخيل،على ثلاث مراحل من مكة من جهة المشرق، قال فى القاموس : سُمِّى بذلك لأنه طاف بها[1] فى الطوفان ، أو لأن جبريل – صلى الله عليه وسلم – طاف بها على البيت ، أو لأنها كانت بالشام فنقلها الله تعالى إلى الحجاز بدعوة إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – أو لأن رجلا من الصدف[2] أصاب دما بحضرموت

(١) فى شرح المواهب : ٣ : ٢٨ « لأنه طاف على الماء فى الطوفان » .

(٢) الصدف : بطن من كنده ينسبون إلى حضرموت . (القاموس) .

فَفَرَّ إلى وَج ، وحَالف مسعودَ بْنَ مُعَتّب ، وكان معه مال عظيم ، فقال : هل لكم أن أبنى لكم طوفا عليكم يكون لكم رِدْءًا من العرب ؟ فقالوا : نعم . فبناه بماله وهو الحائط المطيف به .

٣١٨ب **الثاني** : اقتضت حكمة الله تعالى - / تأْخير فتح الطائف فى ذلك العام لئلاّ يستأْصلوا أهله قتلا ، لأنه تقدّم فى باب سفره إلى الطائف أنه - صلى الله عليه وسلم - لَمّا خرج إلى الطائف دعاهم إلى الله - تعالى - وأن يؤووه حتى يبلِّغَ رسالة ربه تبارك وتعالى ، وذلك بعد موت عمه أبى طالب فردُّوا عليه ردًّا عنيفا ، وكذّبُوه ورموه بالحجارة حتَّى أدموا رِجْلَيْه ، فرجع رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - مَهْمُوما فلم يستفق من [همومه][1] إلا عند قرن الثعالب[2] فإذا هو بغمامة وإذا فيها جبريل - صلَّى الله عليه وسلم - ومعه مَلَكُ الجبال - صلى الله عليه وسلم - فناداه ملك الْجِبَال ، فقال : يَا مُحَمَّد إنّ الله - تعالى - يُقْرِئُكَ السَّلام ، وقد سَمِعَ قولة قومك وما ردُّوا عليك فإن شِئْتَ أن أُطبق عليهم الأَخشبين فَعَلْت » ، فقالَ رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم - « بل أستأْنى بِهِم لَعَلَّ اللهَ عزّ وجل أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ الله - تعالى - وَحَده لَا يُشْرِك بِه شَيْئا » فناسب قوله : بل أَسْتأْنى بهم أن لا يفتح حصنهم لئلا يقتلوا عن آخرهم ، وأن يُؤَخِّرَ الفتح ليقدموا بعدذلك مسلمين فى رمضان من العام القابل كما سيأْتى فى الوفود .

الثالث : لما منع الله سبحانه وتعالى - الجيشَ غنائم مكة فلم يغنموا منها ذهبا ولا فضة ولا متاعا ولا سَبْيا ولا أَرْضا ، وكانوا قد فتحوها بأَنجاب الخيل والرِّكاب ، وهم عشرة آلاف وفيهم حاجة إلى ما يحتاجه الجيش من أَسباب القوة ، حرّك الله - سبحانه وتعالى - قلوبَ المشركين فى هوازن لحربهم ، وقذف فى قلبِ كبيرِهم مالك ابن عوف إخراج أَموالهم وَنِعَمِهم وشابّهم وشِيْبِهِم معهم نزلا وكرامة وضيافة لحرب ٥٥٣ت الله - تعالى - وجنده ، وَتَمّم تقديره تعالى بأَن أَطمعهم فى الظّفر ، وأَلاح لهم مبادئ/ النصر ليقضى اللهُ أَمراً كَانَ مَفْعُولا . ولو لم يكن يقذفُ الله - تعالى - فى قلب رئيسهم

---

(١) بياض فى الأصول ولعل الصواب ما أثبته . وفى شرح المواهب ١ : ٢٩٨ « فلم استفق مما أنا فيه من الهم » .

(٢) قرن الثعالب : تلقاء مكة على يوم وليلة منها ، ويقال له قرن المنازل ، وأصله الجبل الصغير المستطيل المتقطع عن الجبل الكبير ، وقرن الثعالب ميقات الإحرام بالحج لأهل نجد . (شرح المواهب ١ : ٢٩٩) .

مَالِكِ بْنِ عَوْف أن سَوْقهم معهم هو الصواب لكان الرأى ما أشار به دُرَيد ، فخالفه فكان ذلك سببا لتصييرهم غنيمة للمسلمين ، فلما أنزل الله تعالى نصره على رسوله وأوليائه وُردّت الغنائم لأهلها وجرت فيها سهام الله ـ تعالى ـ ورسوله ، قيل لا حاجة لنا فى دمائكم ولا فى نسائكم وذراريكم ، فأوحى اللهُ ـ تعالى ـ إلى قلوبهم التوبة فجاءُوا مسلمين . فقيل من شكران إسلامكم وإتيانكم أن تُرَدّ عليكم نساؤكم وأبناؤكم وسبيكم و﴿ إنْ يَعْلَمِ اللهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمّا أُخِذَ مِنْكُمْ ويغفر لكم والله غفورٌ رحيم[1] ﴾

الرابع : اقتضت حكمة الله ـ تعالى ـ أن غنائم الكفار لما حصلت قُسِّمَت على من لم يتمكن الإيمان من قلبه من الطبع البشرى من محبة المال ، فَقَسَّمَهُ فيهم لتطْمئن قلوبُهم ، وتجتمع على محبته ، لأنها جُبِلَتْ على حُبٍّ من أَحْسَن إليها ، ومنع أهل الجهاد من كبار المجاهدين ورؤساءِ الأنصار مع ظهور استحقاقهم لجميعها ، لأنه لَوْ قسم ذلك فيهم لكان مقصوراً عليهم بخلاف قسمه على المؤلفة لأن فيه استجلاب قلوب أتباعهم الذين كانوا يرضون إذا رضى رئيسهم ، فلما كان ذلك العطاءُ سببا لدخولهم فى الإسلام ولتقوية قَلْبِ من دخل إليه قبلُ ، تبعهم مَنْ دُونَهُم فى الدخول ، فكان ذلك مصلحةً عظيمة .

الخامس : ما وقع فى قصة الأنصار ، اعتذر رؤساؤهم بأن ذلك من بعض أتباعهم وأحداثهم ، ولَمَّا شرح لهم رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ ما خفى عليهم من الحكمة فيما صنعوا رجعوا مذعنين ، وعلموا أن الغنيمة العظيمة : ما حصل لهم من عَوْدِ رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ إلى بلادهم . فسلوا عن الشاة والبعير والسبايا بما حَازُوه من الفوز العظيم ومجاورة النبي الكريم حيًّا ومَيِّتا ؛ وهذا دأب الحكيم يعطى كُلَّ أحدٍ ما يناسبه .

السادس : رتَّبَ رسولُ الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ ما مَنَّ الله ـ تعالى ـ به على الأنصار على يديه من النِّعَمِ ترتيبا بالغا ، فبدأ بنعمة الإيمان الّتى لا يُوازنها شىء من أُمُورِ الدُّنْيا ، وثَنّى بنعمة الأمان[2] وهى أعظم من نِعْمَةِ المال ، لأن الأموال قد تُبْذَلُ فى تحصيلها

---

(١) سورة الأنفال آية ٧٠ .

(٢) فى الأصول « الإيمان » ولعل الصواب ما أثبتناه .

وقد لا تحصل ، فقد كانت الأنصار فى غاية التّنافُر والتقاطع لما وقع بينهم من حرب بُعَاث وغيرها ، فزال ذلك بالإسلام كما قال تعالى : ﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فى الْأَرْضِ جَمِيعا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِم وَلَكِنّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُم[1] ﴾ .

السابع : قوله – صلّى الله عليه وسلم – « لَوْلا الْهِجْرَةُ لكنتُ امْرأً من الأنصار » . قال الخطابى : أراد بهذا الكلام : تأْليفَ الأَنصار واستطابةَ نفوسهم والثناء عليهم فى دينهم ، حتى رضى أن يكون واحداً منهم لولا مامنعه من الهجرة التى لا يجوز تبديلها ونسبةُ الإنسان تقع على وجوه : الولادة والاعتقادية والبلادية والصناعية ، ولاشك أنه لم يُرِدْ الانتقال عن نسب آبائه لأنه ممتنع قطعا ، وأما الاعتقادى فلا معنى للانتقال عنه فلم يبق إلا القِسْمانِ الأَخيران ، كانت المدينةُ دار الأَنصار والهجرة إليها أَمْراً واجبا ، أى لولا أن النسبة الهجرية لا يسعنى تركها لا نتسبت إلى داركم .

وقال القرطبى : معناه لتسميت باسمكم وانتسبت إليكم لما كانوا يتناسبُون بالْحِلْفِ ، لكن خُصوصية الهجرةِ وترتيبها سبقت فمنعت ما سوى ذلك ، وهى أعلى وأشرف فلا تبدل بغيرها .

الثامن : قوله – صلى الله عليه وسلم – « لَسَلَكْتُ وَادِىَ الأَنصار » أو « شِعْبَ الأَنْصَارِ » أراد رسولُ الله – صلّى الله عليه وسلم – بهذا أو ما بعده التنبيه على جزيل ما حصل للأَنصار من ثواب النُّصْرَة والقناعة بالله ورسوله عن الدنيا ، ومَنْ هذا وَصْفُه فحقُّه أَنْ يُسْلَكَ طَرِيقُه وَيُتَّبَع حالهُ . قال الخطابى : لما كانت العاداتُ أن المرءَ يكونُ فى نزوله وارتحاله مع قَوْمه – وأرض الحجاز كثيرة الأَودية والشِّعَاب – فإذا تفرقت فى السفر الطرقُ سَلَكَ كُلُّ قَوْمٍ منهم وَادِياً وشِعْباً ، فأَراد أنه مع الأَنصار قال : ويحتمل أن يريد بالوادى المذهب ، كما يقال فلان فى وادٍ وأنا فى واد .

التاسع : فى شرح غريب ما سبق :

الفَلّ – بفتح الفاءِ وتشديد اللّام : القَوْمُ المنهزمون .

رمّوا – بتشديد الميم المضمومة .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

عُقيل – بضم العين .

السرْح – بفتح السين المهملة ، وسكون الراءِ : المال السائِم .

خَيَابِر – لغةٌ فى خيبر ، وتقدم ذلك فى غزوتها .

فدَك – بفتح الفاءِ والدال المهملة – مكان ، قال ابن سعد : على ستة أَميال من المدينة .

أوطأ هوازن : دخل أَرضهم قَهْراً .

لم يُعَرِّج عليه : لم يمل .

عُرُش – بضم العين والراءِ والشين المعجمة : جمع عريش .: بيوت مكة سُمِّيت بذلك لأَنها كانت عيدانا تنصب ويُظَّلل عليها .

عارض – بالعين المهملة والضاد المعجمة بينهما راءٌ مكسورة .

هرقت – – بهاءٍ مهملة فراءٍ فقاف مفتوحات .

الهَدَرُ : الباطل الذى لا يُؤخذ بثأْره .

يظعن – بالظاءِ المعجمة المشالة : يرحل .

نخلة – بلفظ واحدة النخل بالخاءِ المعجمة : موضع على ليلة من مكة .

قَرْن – بفتح القاف وسكون الرَّاءِ ، وغلَّطُوا مَنْ فتحها ، وهو قرْنُ الثَّعَالب والمنازل يبعد عن مكة نحو مرحلتين .

المليح – بالحاءِ المهملة والتصغير واد بالطائف .

بحرة بفتح الموحدة وسكون الحاءِ المهملة . وبالراءِ[1] .

الرِّعَاء – براءٍ مكسورة ، فعين مهملة ، فأَلف ممدودة : جمع راع .

لِيَّة : تقدم .

أَقاد من القاتل : قتله بمقتوله .

---

(١) بحرة : هى بحرة الرغاء ؛ موضع فى لية من ديار بنى نصر (معجم ما استعجم للبكرى ١٤٠) .

الضيقة : ضد الواسعة .

نَخِب – بفتح النون وكسر الخاء المعجمة ، وقيل بسكونها ، فموحدة : واد بالطائف قيل بينه وبينه ساعة .

الصادرة – بصاد ودال مهملتين بينهما ألف فراءٌ فتاءٌ موضع .

أبو رِغال – بكسر الراء وبالغين المعجمة واللام .

الغُصْن – بضم الغين المعجمة : واحد الأغصان ، وهى أطراف الشجر ، والمراد به هنا قضيب من ذهب .

* * *

شرح غريب ذكر محاصرته – صلى الله عليه وسلم – الطائف
وذكر بعثه – صلى الله عليه وسلم – مناديا ينادى :
من نزل من العبيد فهو حر
وذكر رميه – صلى الله عليه وسلم – حصن الطائف بالمنجنيق

٣٢٠أ رِجْلُ جراد – بكسر الراء وإسكان الجيم / هو الجراد الكثير ، وتقدم بزيادة فى غريب ألفاظ غزوة حنين .

السَّارية : الأُسطوانة .

النَّقيض – بفتح النون وكسر القاف ، وسكون التحتية وبالضاد المعجمة : الصوت .

عبد ياليل – بتحتيتين وكسر اللام الأُولى .

مُعَتِّب – بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الفوقية المشددة وبالموحدة .

النَّبَّال – بفتح النون وتشديد الموحدة وباللام .

٥٥٥ت البَكْرة – بفتح الموحدة والكاف وتسكن :/ آلة يستقى عليها .

الغيظ – بالظاء المعجمة المشالة : الغضب .

يمونه : يقوم بأمره .

المنجنيق – بفتح الميم وقد تكسر ، يؤنث وهو أكثر ، ويذكر ، فيقال : هى المنجنيق ، وعلى التذكير : هو المنجنيق : ويقال : الْمَنْجَنُوق ومنجليق ، وهو معرب ،

وأول من عمله قبل الإسلام إبليس حين أرادوا رَمْىَ سيدنا إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - وهو أوّل منجنيق رُمى به فى الإسلام ، أما فى الجاهلية فيذكر أن جُذَيْمَةَ - بضم الجيم ، وفتح الذال المعجمة وسكون التحتية ابن مالك المعروف بالأبرش أول من رمى بها ، وهو من ملوك الطوائف .

الثواء - بفتح الثاء المثلثة : الإقامة .

ابن زمْعَةَ - بفتح الزاى والميم وبسكونها ، فعين مهملة .

الدّبابة - بالدال المهملة : فموحدة مشددة ، وبعد الألف موحدة فتاة تأنيث : آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرِّجال فيندَفعونَ بِهَا إلى الأسوار لينقبوها .

جُرَش - بضم الجيم وفتح الراءِ وبالشين المعجمة : من مخاليف اليمن من جهة مكة .

الْحَسَك - بحاءٍ فسين مهملتين فكاف مفتوحات : نبات تَعْلق ثمرته بصوف الغنم وورقه كورق الرجلة وأَدْوَره[1] وعند ورقه شوك ملوزصلب ذو ثلاث شعب .

والشّدَخَةُ - بفتح الشين المعجمة وسكون الدال المهملة ، وفتح الخاءِ المعجمة فتاء تأنيث ، والشدخ : كسر الشئ .

الْحَبَلَات - بحاءٍ مهملة ، فباءٍ فلام مفتوحات فألف فتاء جمع حَبَلَة بفتحات وربما سكنت الباءُ : الأصل أو القضيب من شجر الأعناب .

النّفر : ما دون العشرة من الرجال .

الذريع - بالذال المعجمة : السريع .

الجلابيب - بالجيم [فاللام فألف][1] فموحدة فتحتية فموحدة ، وزن دنانير : الغُرَبَاء .

يدعها الله - بفتح الدال : يتركها .

تبتئس : تحزن .

(١) يريد أنه أكثر استدارة .

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

أَحْبُل – بفتح أوله وسكون الحاء المهملة وضم الموحدة : جمع حَبَلة – بفتح الحاء والموحدة : شجر العنب .

تسوّر حصن الطائف : صعد إلى أعلاه ثم تدلى منه .

ثالث ثلاثة وعشرين بنصب ثالث .

* * *

شرح غريب ذكر اشتداد الامر وما يذكر معه

٣٢٠ب عبسة /-بفتح العين المهملة والموحدة والسين المهملة .

عَدْل – بفتح العين وسكون الدال المهملة – مِثْلُ الأَجر .

المُحَرر : المعتق .

المُخَنَّث – بضم الميم ، وفتح الخاء المعجمة ، والنون المشددة – وكسرها أفصح ، وفتحها أشهر – فمثلثة : وهو مَنْ فيه انخناث أى تَكَسُّر وَتَثَنٍّ كالنساء

غَيلان بن سلمة – بفتح الغين المعجمة ، أسلم بعد فتح الطّائف .

تُقْبِلُ بأربع : أى من العُكَن – بضم العين المهملة : وهى ما انطوى وتثنى من لحم البطن ، سِمَنَا ، والمراد أطراف العُكَن التى فى بطنها .

تدبر بثمان فى جنبيها لم يقل ثمانية ، والأَطراف مذكرة لأَنه لم يذكرها كما يقال هذا الثوب سَبْعٌ فى ثمان أى سبعة أذرع فى ثمانية أشبار ، فلما لم يذكر أشبار أنث لتأْنيث الأَذرع التى قبلها ، قال الدماميني فى المصابيح : أَحسن من هذا أنه جعل كُلاًّ من الأَطراف عكنة تسمية للجزء باسم الكل ، فأَنث بهذا الاعتبار .

من غير أُولِى الإِرْبة : الحاجة إلى النكاح .

جريج – بضم الجيم وفتح الراء وسكون التحتية .

[هيت][1] : بهاء وياء تحتية ففوقية ، وضبطه ابن دَرَستَويْهِ بهاء مكسورة فنون ساكنة فموحدة ، وزعم أن ماسواه تصحيف.

---

(١) سقط فى الأصول والمثبت يستقيم به السياق .

عائِذ – بالهمز والذّال المعجمة .

ماتع – بميم فألف ففوقية فعين مهملة .

أُرى[1]– بضم أوله : أظن .

فلا تفلتن – تُطْلَقَنَّ – بالبناء للمفعول فيهما .

بَادِيَة / بموحدة فألف فدال مهملة مكسورة فتحتية ، وقيل : بالنون بدل التحتية – ٥٥٦ت

أَسْلَمَتْ .

الخَبِيث : خلاف الطَّيِّب .

* * *

شرح غريب ذكر منام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الدال على عدم فتح الطائف وما يذكر معه

أُهْدِيَتْ – بالبناء للمفعول .

الْقَعْبَة : كالقصعة[2] .

هَرَاق – بفتح الهاء .

الدّيلى – بكسر الدال المهملة وسكون التحتية .

الْجُحْر – بضم الجيم وسكون الحاء المهملة .

خولة : بالخاء المعجمة .

حكيم – وزن أمير .

مظعون – بالظاء المعجمة المشالة –

حُلِيّ – بضم الحاء المهملة وكسر اللام .

الْفَارِعَة – بالفاء وكسر الرّاء .

---

(١) الذى فى المتن « يرى » بالياء .

(٢) القعب : القدح الضخم الغليظ الجافى ، وقيل : قدح من خشب مقعر ، وقيل : هو قدح إلى الصغر يشبه به الحافر ، وهو يروى الرجل (اللسان) .

عقيل– بوزن أمير .

زَعَمَتْ – بزاى فعين مهملة فميم فتاء : تحدثت بما لا يوثق به .

أُوذن الناس : أعلمهم بالرحيل .

قافلون : راجعون إلى المدينة .

اغدوا على الْقتال : سيروا أول النهار لأَجل القتال .

سَرَّح الظهر : أرسله .

آيبون : راجعون .

الأَحزاب : أهل الخندق الذين تحزبوا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من قريش وغيرهم ، أو أحزاب الكفر .

جَمَحَ به فرسه : أسرع به نحو عَدُوّه .

* * *

شرح غريب ذكر مسير رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الطائف وما يذكر معه

٣٢١أ / قوله – دَحْنَا – بفتح الدال وسكون الحاءِ المهملتين وبالنون ، وبالقصر والمد : أرض بين الطائف والجعرانة .

الجِعرانة – بكسر الجيم وسكون العين المهملة وقد تكسر وتشدد الراء .

سُرَاقَة – بضم السين المهملة .

جُعْشُم – بضم الجيم وسكون العين المهملة وضم الشين المعجمة .

الْمِقْنَب– بكسر الميم وسكون القاف وفتح النون وبالموحدة ، جماعة الخيل والفرسان ، وقيل : هى دون المائة[1] .

---

(١) المقنب : من الخيل مابين الثلاثين إلى الأربعين ، وقيل زهاء ثلاثمائة ، والمقنب جماعة من الخيل والفرسان ، وقيل هى دون المائة (اللسان) .

إليك إليك – اسم فعل أمر : معناه تنَحَّ وابْعد .

الغَرْز – بفتح الغين المعجمة وسكون الراءِ وبالزاى : ركاب الإبل .

الجُمارة – بضم الجيم : قلْبُ النَّخْلة .

الضالة من الإبل : الضائِعة .

تغشى : تأْتى .

كَبِد حَرّى : بتشديد الراء : تأْنيث حَرّان ، وهما للمبالغة من الحرِّ ، يريد أنها لشدة حرها قد عَطشتْ ويَبِسَتْ من العطش ، والمعنى أن فى سَقْى كُلِّ ذِى كبدٍ حَرّى أجراً .

أبو رهم – بضم الراءِ وسكون الهاءِ « الغفارى » بكسر الغين المعجمة .

الفَرَق – بفتحتين : الخوف .

رَوَّحْت – بفتح الراءِ والواو المشددة والحاءِ المهملة .

الركاب : الإبل .

أترقب : أنتظر .

السبي : ما غنم من النساءِ والأَولاد .

الذرارى : الأَولاد .

استأْنى بهم : انتظر مجيئهم .

زهير – بضم الزاى وفتح الهاءِ وسكون التحتية .

صُرَد – بضم الصاد المهملة وفتح الراءِ وبالدال المهملة ، وهو مَصروفٌ وليس مَعْدُولا .

أَبْو بَرْقَان[1] – بفتح الموحدة وسكون الراءِ وبالقاف والنون ، وهو عمه – صلَّى الله عليه وسلم – من الرضاعة .

---

(١) وفى القاموس المحيط « برقان » بضم الباء وكسرها وفى هامش ت ص ٥٥٦ ويقال أبو مروان ويقال أبو ثروان أوله « مثلثة » بدل الميم كذا فى فتح البارى .

إنا أَصْلٌ وعشيرة – بعين مهملة مفتوحة فشين مكسورة فتحتية فراء : بنو الأب الأدنون أو القبيلة ، والجمع : عشائر .

الحظائِر – بالظاء المعجمة المشالة : جمع حظيرة وهو الزرب الذى يصنع للإبل والغنم ليكنها ، وكان السبى فى حظائر مثلها .

عماتك وخالاتك ؛ أى من الرضاع .

حواضنك : يعنى اللاتى أرضعن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وحضنه من بنى سعد هوازن .

مَلَحْنَا – بفتح الميم واللام وسكون الحاء المهملة : أرضعْنا ، والملح : الرضاع .

الحارث بن أبى شمر : ملك الشام من العرب .

النعمان بن المنذر : ملك العراق من العرب .

٥٥٧ت عَائِدَتهمَا : فضلهما / ونيلهما وشفقتهما .

الأوجاقى[١]

الهبل[٢] : ابن يزيد بالزاى والدال المهملة وزن أمير .

أمينة – بوزن عظيمة .

عفيفة بعين مهملة وفائين وزن عظيمة .

الصيدلانى – بفتح الصاد المهملة وسكون التحتية وبالدال المهملة وبالنون

القِبابى – بكسر القاف وتخفيف الموحدة وبعد الألف موحدة أخرى .

مؤنسة[٣]

رَوح – بفتح الراء .

---

(١) بياض بالأصول – وهو محمد بن محمد بن احمد بن عز الدين ، المحب أبو عبد الله القاهرى الشافعى ، ويعرف بابن الأوجاق ، ولد سنة ٧٧٠ هـ أو التى قبلها ، ومات عصر الثلاثاء ثامن عشرى رجب سنة ٨٤٥ هـ .
(الضوء اللامع للسخاوى ٩ : ٤٩ ، ٥٠) .

(٢) وهو الحسن بن احمد بن هلال بن سعد بن فضل الله الصرخدى ثم الصالحى ، بدر الدين أبو محمد الدقاق ، المعروف بابن الهبل وهو لقب أبيه ، ولد سنة ٦٨٣ هـ ، مات فى صفر سنة ٧٧٩ هـ (الدرر الكامنة لابن حجر) .

(٣) مر فى ص ٥٧٠ أنها المسندة مؤنسة خاتون إبنة الملك العادل أبى بكر بن أيوب .

الفارفانى / – بالفاء وسكون الراء وفاء أُخرى . ٣٢١ب

مَعْمَر – بفتح الميمين بينهما عين مهملة ساكنة .

الفاخر – بالفاء والخاء المعجمة .

الجُوْزدانية – بجيم مضمومة فواو ساكنة فزاى فدال مهملة فألف فنون .

رِيذَة – بكسر الراء وسكون التحتية وفتح الذال المعجمة فتاء تأْنيث .

الضَّبى – بفتح الضاد وبالموحدة المشددة .

رُماحس – بضم الراء وتخفيف الميم وبعد الأَلف حاء فسين مهملتين . قال فى النور : الذى يظهر أنه غير منصرف للعلمية والعجمة وليس فيما يظهر من أَسماء العربية .

الْقَيْسىّ . بالقاف المفتوحة والتحتية الساكنة .

رَمَادَة الرملة – بفتح الراء : قرية بقربها .

زياد بن طارق [بالزاى المكسورة والياء التحتية والأَلف الممدودة[1]] والدال المهملة .

أَبو جَرْوَل – بفتح الجيم وسكون الراء وفتح الواو ولام .

زهير – بالزاى والتصغير .

الجُشَمى – بضم الجيم وفتح الشين المعجمة .

أُمنن – بهمزة مضمومة فميم ساكنة فنون مضمومة وأُخرى ساكنة ؛ أى أَحسن إلينا من غير طلب ثواب ولا جزاء .

المرء – بفتح الميم وبالراء والهمز : الرَّجُل ، وأَل هنا لاستغراق أَفراد الجنس ، أَى أَنت المرءُ الجامع للصفات المحمودة المتفرقة فى الرجال .

البيضة هنا : الأَهل والعشيرة .

---

(١) بياض بالأصول ولعل الصواب ما أثبت .

الغِيَرُ ـ بكسر الغين المعجمة : تغيير الحال وانتقالها عن الصلاح إلى الفساد .

هتّافا ـ بفتح الهاء وبالفوقية وبالفاء : أى ذا هتف ؛ أى صوت .

الغمّاء ـ بفتح الغين المعجمة وتشديد الميم : الحزن ، سمى بذلك لأنه يغطى السرور .

الغمر ـ بغين معجمة مفتوحة وتكسر ، فميم فراء : الحِقْدُ .

يختبرُ بالبناء للمفعول .

ترضعها ـ بضم الفوقية .

إذ : حرف تعليل .

فوك : فمك .

المحض ـ بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وبالضاد المعجمة الساقطة : اللبن الخالص .

الدرر ـ بكسر الدال المهملة وفتح الرّاء الأُولى : جمع درة ؛ وهى كثرة اللبن وسيلانه .

يزينك ـ بتحتية مفتوحة فزاى مكسورة فتحتية فنون .

تذر : تترك .

ولا تجعلنّا ـ بفوقية مفتوحة فجيم ساكنة فعين فلام مفتوحة فنون مشدّدة فألف

شالت نعامته : أى هلكت والنعامة باطن القدم ، وشالت : ارتفعت ، ومن هلك ارتفعت رجلاه وسكن رأسه فظهرت نعامة قدمه .

استبق : بسين مهملة فمثناة فتحتية موحدة فقاف .

زهر ـ بضم الزاى والهاء .

نعماء ـ بنون مفتوحة فعين ساكنة فميم فألف ممدودة : النعمة .

كُفِرت ـ بضم الكاف وكسر الفاء وفتح الراء .

مُدَّخر – بميم مضمومة فدال مشددة فخاء معجمة مفتوحتين ، أصله مذتخر ، فلما أراءوا الإدغام ليخف النطق / قلبوا التاء إلى ما يقاربها من الحروف ، وهى الدال المهملة ٣٢٢أ لأنهما فى مخرج واحد فصارت متخر مدخر ، والأكثر أن تقلب الذال المعجمة دالاً مهملة ثم تدغم فيها فتصير دالاً مشددة .

فَأَلْبِس – بفتح الهمزة وكسر الموحدة .

مُشْتِهر – بميم مضمومة فشين معجمة ساكنة فمثناة فوقية مفتوحة فهاء مكسورة فراء : ظاهر .

مَرَحَت – بفتح الميم والراء والحاء المهملة :نشطت وخَفت .

الكُمْت – بضم الكاف وسكون الميم ومثناة فوقية جمع كميت ، وهو من الخيل . يستوى فيه المذكّر / والمؤنث من الكُمْتَة وهى حُمْرَةٌ خالطتها قنوة ، قال الخليل : إنما ٥٥٨ت صُغِّر لأنه بين السواد والحمرة كأنه لم يخلص له واحدة منهما فأرادوه بالتصغير لأنه منها قريب .

الجياد – تقدم تفسيره .

الهِيَاج – بكسر الهاء وتخفيف التحتية وبالجيم : القتال .

استوقد بالبناء للمفعول .

الشرر – تقدم تفسيره .

نؤمِّل : نرجو

تُلْبِسه – بضم الفوقية وسكون اللام وكسر الموحدة .

راهبة – بالموحدة خائفة .

يُهْدى – بالبناء للمفعول

الظفر : الفوز .

المِسْوَر – بكسر الميم وسكون السين المهملة وفتح الواو .

مَخْرمة – بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الراء .

البِضع – فى العدد بكسر الموحدة ، وبعض العرب يفتحه : من الثلاثة إلى التسعة ، يقال بضع رجال وبضع نسوة ومن ثلاثة عشر إلى تسعة عشر بضعة مع المذكر وبضع مع المؤنث .

قَفَلَ – بفتح القاف والفاء : رجع .

الأَحْسَاب : جمع حَسَب بفتحتين : الشرف . قال الأزهرى : له ولآبائه من الحساب . وهو عد المناقب لأَنهم كانوا إذا تفاخروا عدّ كل واحد مناقِبَه ومناقب آبائه .

العرفاء – جمع عريف وهو مدبر أمر القوم والقائم بأَمر ساستهم .

يُفِئْ اللهُ علينا – بضم التَّحتيّة وكسر الفاء ، وهمز آخره .

سُلَيم – بضم أوله وفتح اللام .

وَهَنْتُمُونى : ضَعَّفْتُمُونى .

فَسَبِيل ذلك – بفتح اللام على أنه مفعول بفعلٍ مُقَدَّرٍ وبضمها على أنه خبر مبتدأ محذوف .

الفرائِض – جمع فريضة ، وهو البعير المأْخوذ فى الزكاة ، سُمِّى فريضة لأَنه فرضٌ على ربِّ المال ، ثُمَّ اتسع فيه حتى سُمِّى البعير فريضة .

المُعَقَّد – بضم الميم وفتح العين وتشديد القاف ، وهو ضَرْبٌ من برود هجر .

* * *

شرح غريب ذكر دعائه – صلى الله عليه وسلم – على من أبى أن يرد شيئا من السبى أن يخيس سهمه

قال فى الصحاح : خاست الجيفة أى أَرْوَحَت ، ومنه قيل خاس البيع والطعام كأَنه كَسَدَ حتى فَسَد .

السهم هنا : النصيب .

قُبْطية – بضم القاف : ثِيابٌ بيضٌ رقاق من كتان وقطن .

هل لك فى كذا [هل تريد كذا][1]

بناهد ـ بنون فألف فهاء فدال : يقال نَهَدَ الثّدْى : كَعَب .

بِوَاجِدٍ ـ من الوجد وهو الحزن : أى لا يحزن زوجها عليها لأنها عجوز كبيرة .

الدر : اللبن .

المالد[2]: القربة هنا .

السَّمَل ـ بفتح السين المهملة والميم وباللام : الخَلِق ـ بفتح الخاء وكسر اللام[3] .

الفُرَص ـ بضم الفاء وفتح الراء وبالصاد المهملة جمع فرصة ؛ وهى اسم من تفارَصَ القَومُ الماءَ القليل لكل منهم نوبة وأطلق على النُّهْزَة ـ بضم النون وسكون الهاء وبالزاى

* * *

شرح غريب ـ ذكر قسمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أموال هوازن

انتزعت رداءه : اقتلعته .

تِهامَة ـ بكسر الفوقية : ما انخفض من الأرض .

النَّعَم ـ بفتح النون والعين : المال الراعى ، وأكثر ما يقع على الإبل .

ألفيتمونى : وجدتمونى .

السَّنام : أعلى ظهر البعير .

الوَبَرَة : واحدة الوَبَر .

الخِياط والْمخيَط : الإبرة .

الشَّنَار ـ بفتح الشين المعجمة وبالنون : أقبح العار .

---

(١) بياض فى الأصل والمثبت يقتضيه السياق .

(٢) لم يرد هذان اللفظان فى سياق القصة وانظر التعليق . ص ٥٧٤ .

(٣) كذا فى الأصول « والخلق » فى القاموس واللسان بفتح الخاء واللام .

الكبة من الشَّعَرِ ونحوه – بضم الكاف وتشديد الموحدة[1] .

عُبادة – بضم العين المهملة وتخفيف الموحدة

الأَنملة – بتثليث الهمزة مع تثليث الميم : العقد من الأَصابع أو رؤوسها

علَقت به الأَعراب : لزموه وجبذوا أثوابه .

اضطروه إلى شجرة : ألجأوه إليها وأحوجوه .

السَّمُرة – بفتح السين وضَمّ الميم من شجر الطلح .

العِضَاه – ككتاب : شجرالشوك كالطلح والعوسج ، والهاء أصلية ، والواحدة عضهة بالهاء وبالتاء ، والأَصل عِضَهة كعِنَبة.

برد نجرانى – منسوب إلى نَجْرَان – بفتح النون وسكون الجيم وبالنون : إقليم معروف .

جَذَبه – بفتح الجيم وبالذال المعجمة : شده إلى نفسه : أى سحبه إليه .

* * *

شرح غريب ذكر اعطائه – صلى الله عليه وسلم – المؤلفة قلوبهم وقول العباس بن مرداس

كانت : أى الإبل والماشية .

النهاب – بكسر النون وبالهاء وبعد الأَلف موحدة جمع نهب – وهو ما ينهب ويغنم

تلافيتها : تركتها .

الكَرّ – بفتح الكاف وتشديد الراء : عَوْد الفارس للقتال .

المُهْر – بضم الميم وسكون الهاء : ولد الخيل .

الأَجْرع – بفتح أوله وسكون الجيم وفتح الراء وبالعين المهملة : المكان السهل .

الإيقاظ : مصدر أيْقَظَه من نومه إذا نبَّهه .

القَوم – بالفتح مفعول .

---

(١) مايلف من الخيوط ونحوها على شكل كرة (المنجد) .

هجع هنا : نام .

العُبَيْد ـ بلفظ تصغير عبد ـ اسم فرسه .

ذو تُدْرأ ـ بضم الفوقية وسكون الدال المهملة وبالراء وبالهمز ، أى ذو دَفْع من قولك درأه إذا دفعه .

الأفائل ـ جمع أفأل ـ بفتح أوله وسكون الفاء / وبالهمز وهى الصغار من الإبل ، ٣٢٣ أ

عديد قوائمها الأربع ـ بعين فدالين مهملات بينهما تحتية كالعدد اسمان للعَدّ . وهو الإحصاء .

وما كان حصن : والد عُيَيْنَة .

ولا حابس : والد الأقرع .

يفوقان ـ بتحتية ففاء فواو فقاف : يعلوان شرفا .

شيخى : يعنى أباه مرداس ، ومن قال شيخىّ تثنية شيخ فيعنى أباه وجدّه ، ويروى يفوقان مرداس[1] .

بين مكة والمدينة كذا فى الصحيح . والصواب بين مكة والطائف ، وبه جزم النووى .

ألا تنجز لى ما وعدتنى من غنيمة حنين ، وكان ذلك وعدا خاصا به .

أبشر ـ بقطع الهمزة أى بقرب القسمة ، أو بالثواب الجزيل على الصبر .

فأقبلا بفتح الموحدة .

مجّ فيه : بميم مفتوحة فجيم مشددة : رمى .

وأفرغا ـ بقطع الهمزة وكسر الراء : صُبَّا .

أفضِلا ـ بقطع الهمزة وكسر الضاد المعجمة .

---

(١) « يفوقان مرداس » هى الرواية التى اختارها المصنف فى سياق القصيدة . والأخرى هى رواية سيرة النبى لابن هشام ٣ : ١٠٩ .

لأمكما : تعنى نفسها .

طائفة : بقية

* * *

شرح غريب ذكر بيان الحكمة فى عطائه ــ صلى الله عليه وسلم ــ اقواما

جُعَيل ـ بالتصغير .

سُرَاقة ـ بضم السين .

طِلاع الأَرض ـ بكسر الطاء : ما ملأها حتى يطلع عنها ويسيل .

الرّهْط ـ بفتح الراء وسكون الهاء وفتحها . مادون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة ، ومنها إلى الأربعين

مَالَك عن فلان : [ما صرفك عنه][1]

تغْلِب ـ بفتح الفوقية وسكون الغين المعجمة وكسر الموحدة لا ينصرف .

الهلع : أشد الجزع .

الجزع كالتعب : ضد الصبر .

حمر النَّعَم[2] ....

* * *

شرح غريب ذكر عتب جماعة من الأنصار على رسول الله صلى الله عليه وسلم

سَائِرُ الناسِ ـ هنا باقيهم ، ويكون بمعنى جميعهم كما ذكره الجوهرى وابن الجواليقى وابن بَرِّىّ ، وغلط مَنْ غَلَّطَ الجوهرى ، واستشهد له قال ابن وَلَّاد : سائر توافق بقية : نحو أخذت من المال وتركت سائره؛لأن المتروك بمنزله البقية؛ وتُفَارِقُها من حيث أن السائر لما كَثُر والبقية لِمَا قل ؛ لهذا نقول :/ أخذت من الكتاب بقيته وتركْتَ سائِره ، ولا نقول تركت بقيته . ٥٦٠ب

---

(١) بياض بالأصول – والمثبت يقتضيه السياق .

(٢) بياض بالأصول ، ولعل المصنف أراد أن يشرحه ثم عدل لسابق شرحه ، ولكنه سها فلم ينبه على ذلك كما يفعل عادة . وحمر النعم : خيارها .

وَجَدُوا ـ بفتح الواو والجيم : حزنوا . وفى رواية وُجُدٌ بضم الواو والجيم جمع واجد ، ووجد عليه فى نفسه : غضب .

القالة : الكلام الردىء .

يغفرالله لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالوه توطئةً وتمهيدا لِمَا يرد بعده من العِتاب لقوله تعالى : ﴿ عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ[1] ﴾ .

الطُّلَقَاء ـ بضم الطاء المهملة وفتح اللام وبالقاف والمد : جَمْع طليق ، فعيل بمعنى مفعول ـ فنقول : وهم مَنْ مَنَّ عليهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم فتح مكة ولم يأسرهم وَلَمْ يقتلهم/. ٣٢٣ب

وسيوفنا تَقْطُر مِنْ دِمائهم : جملةُ فى محَلِّ النَّصْب على الحال مقررة لجهة الإِشكال ، وهو من باب عرضت النَّاقة على الحوض .

إذا كانت شدِيدَة ـ بالرفع والنَّصْبِ .

استعتبناه : طلبنا منه العُتْبى ـ بضم العين وسكون التاء وفتح الباء : طلب الرضى .

فحُدِّث ـ بضم الحاء وكسر الدال مَبْنِيًّا للمفعول ؛ أى أُخْبِرَ بمقالتهم .

أين أنت من ذلك[2] .

الحظيرة ـ بالحاء المهملة والظاء المعجمة المشالة ، يشبه الزرب للماشية والإبل .

فى قُبَّةٍ من أدم ـ بفتح الهمزة المقصورة والدال المهملة : جِلْد بلا دَبْغ[3] .

فجاء رَجُلٌ[4] من المهاجرين[5] .

ضُلاَّلاً بضم الضاد المعجمة وتشديد اللام الأُولى : أى بالشِّرك .

---

(١) سورة التوبة آية ٤٣ .

(٢) كذا فى الأصول ـ بإيراد سؤال النبى صلى الله عليه وسلم لسعد دون جواب سعد : ما أنا إلا من قومى . وفى شرح المواهب ٣ : ٣٨ « قال الحافظ : وهذا يعكر عليه رواية الصحيح ففيها أما رؤساؤنا فلم يقولوا شيئاً ؛ فإن سعداً من رؤسائهم بلا ريب إلا أن يحمل على الأغلب الأكثر ، وأن المخاطب سعد ولم يرد إدخال نفسه فى النفى . أو أنه لم يقل ذلك فى اللفظ وإن رضى بالقول المذكور فقال ما أنا إلا من قومى ، وهذا أوجه » .

(٣) كذا فى الأصول ، وفى شرح المواهب ٣ : ٣٩ « أدم ـ بفتح الهمزة المقصورة والدال : جلد مدبوغ .

(٤) كذا فى الأصول « رجل » وسبق فى سياق الغزوة ص ٥٨٥ « فجاء رجال من المهاجرين » .

(٥) بياض بالأصول ولعل المصنف أراد أن يعرفه ثم سها عن ذلك .

عالة ـ بعين مهملة فلام مخففة : فُقَرَاءُ لا مَالَ لكم .

الله ورسوله أَمَنُّ : من المنة وهى النعمة

الْمَخْذُول : الذى تَرَك قومُه نصرَه .

حَدِيثُو عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّة ومصيبة من نحو قتل أقاربهم وفتح بلادهم .

أَجْبُرُهم ـ بفتح الهمزة وسكون الجيم وضم الموحدة : من الجبر عند الكسر . وفى روَاية أُجِيزُهم ـ بضم الهمْزةِ وكسر الجيم بعدها تحتية ساكنة فزاى : من الجائزة .

اللُّعَاعَة ـ بضم اللام وبعينين مهملتين : بقلة خضراء ناعمة شبَّه بها زهرة الدنيا ونعيمها فى قِلَّةِ بَقَائِها .

القِسْم ـ بكسر القاف : الحَظُّ والنَّصيب .

الرحْلُ هنا : منزل الرَّجل ومسكنه وبيته الذى فيه أثاثه ، ذكَّرَهُم رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما غفلوا عنه مِنْ عظم ما اختَصُّوا به منه بالنسبة إلى ما اُخْتَصَّ به غيرهم مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا الْفَانية .

الشاة والبعير: اسما جِنْس يقع كُلٌّ منهما على الذكر والأُنثى .

يَحُوزُونَه ـ بالحاء المهملة .

الشِّعْبُ ـ بكسر الشين المعجمة وسكون العين : الطريق فى الْجَبَل

الوادى : المكان المنخفض ، وقيل : الذى فيه ماء ، والمراد بلدهم .

لَوْسَلَكَ الأَنْصَارُ وَادِيا أَوْ شعْباً لسلكتُ وادى الأَنْصَار أو شعبهم ، أَشَارَ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك إلى ترجيحهم بحسن الجِوَارِ والوفاء بالعهد لا وجوب متابعته إياهم إذ هو ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ المتبوع المطاع لا التَّابع المطيع ، فَمَا أَكْثَر تَوَاضُعَه ـ صلى الله عليه وسلم

الشِّعَار ـ بكَسْر الشين المعجمة : الثوب الذى يلى الجسد .

الدثار – بكسر الدال المهملة وبالثاء المُثَلّثة المفتوحة : ما يُجْعَلُ فوق الشّعار ؛ أى أن الأنصار بطانته وخاصّتُه وأنهم أحَقُّ به وأقرب إليه من غيرهم ، وهو تشبيه بليغ

أخْضَلُوا لِحَاهُم – بفتح أوله وسكون الخاء وفتح الضاد المعجمتين : بَلُّوهَا بالدموع.

أثَرَة – بفتح الهمزة والثاء المثلثة ، وبضم الهمزة وسكون المثلثة وبفتحتين[1] /، ويجوز كسر أوله مع إسكان ثانيه ، أى يستأثر عليكم بمالكم فيه اشتراك فى الاستحقاق / .

٥٦١ ت
٣٢٤ أ

فَاصْبِرُوا حَتّى تلقونى على الحوض يوم القيامة فيحصل لكم الانتصاف مِمّنْ ظلمكم على[2] الثواب الجزيل على الصبر.

* * *

شرح غريب شعر حسان – رضى الله عنه

السّح – بفتح السين وتشديد الحاء المهملتين : الصّب ، يُقَال : سَحّ المطرُ إذا صَبّ .

حَفَلَتْه – بفتح الحاء المهملة والفاء واللام وسكون الفوقية : أى جمَعَتْه ، ومنه المحفل وهو مجتمع الناس .

العَبْرَة – بفتح العين المهملة وسكون الموحّدة : الدمع .

درَر – بدال مهملة ورائين : سائلة .

الوجد : الحزن .

شَمّاء – بشين معجمة مفتوحة فميم مشددة [فألف][3] فهمز : اسم امرأة .

البَهْكَنَة – بفتح الموحدة وسكون الهاء وفتح الكاف وبالنون : المرأة ذات الشباب غضة ، وقال فى الإملاء كثيرة اللّحم .

---

(١) قوله بفتحتين تكرار لقوله بفتح الهمزة والثاء المثلثة .
(٢) كذا فى الأصول ولعل المراد « فيحصل لكم الانتصاف ممن ظلمكم بالثواب الجزيل على الصبر » .
(٣) إضافة يقتضيها السياق .

هَيْفاء : ضامرة الخاصرة ، ومن روى قوله لا دَنَن بالدال المهملة فمعناه : تطامن الصَّدْر وغوْره ؛ ومن رواه بالمعجمة فمعناه : الْقَذِر بالقاف المفتوحة والذال المعجمة المكسورة ، ومنه الذنين وهو ما يسيل من الأنف ، وَمَنْ رواه لاأَذَنُ فمعناه : [الذى يسيل[1] منخراه جميعا]

الخور ــ بفتح الخاء المعجمة والواو وبالراء : الضعف .

دع : أترك .

النزر : القليل .

علام ــ حذفت ألف ماالاستفهامية لدخول حرف الجر عليها .

نازحة ــ بالنون والزاى والحاء المهملة : بعيدة .

الحرب العوان : هى التى قوتل فيها مَرَّةً بعدمَرَّة .

تستعر : تَلْتَهِبُ وتَشْتَعِل .

اعترضوا : صبروا .

النائبات : ما ينوب الإنسان وما ينزل به من المهمات والحوا دث .

وما خَاموا ــ بالخاء المعجمة : ما جبنوا وما ضجروا ؛ أى ما أصابهم حرج ولا ضيق .

الناس ألب ــ بهمزة مفتوحة فلام ساكنة فموحدة ؛ أى مجتمعون على التدبير للعَدْوِ من حيث لانَعْلم .

الْقَنَا ــ بالقاف والنون : الرماح .

الْوَزَر ــ بفتح الواو والزاى : الملجأ .

نُجَالِد الناس : نقاتلهم .

تُوحى ــ بمثناة فوقيه مضمومة فواو ساكنة فحاء مهملة مفتوحة فتحتية من الْوَحْى

---

(١) بياض بالأصول ، والمثبت عن اللسان والقاموس المحيط ذ ن ن.وفى ت ٥٦١ « لادنس » .

لا تَهِرُّ ـ بفوقية مفتوحة فهاء مكسورة فراء : لا تكْره .

جُنَاة الحرب ـ بجيم مضمومة فنون فألف فتاء تأنيث : جمع جَانٍ .

النَّادِى ـ بالنون : المجلس .

تلظَّى ـ بفوقية فلام فظاء معجمة مفتوحات فتحتية .: تلتهب وتضطرم ؛ وهو من لَظَى من أسماء النار لا ينصرف للعلمية والتأنيث .

نُسْعِر[1] : نُوقِد الحربَ ونُشْعِلُها .

النعف ـ بفتح النون وسكون العين وبالفاء : أسفل الجبل .

حَزَّبَتْ ـ بفتح الحاء المهملة وتشديد الزاى : أجمعت وأعان بعضها بعضا .

ما وَنَيْنا ـ بواو مفتوحة فنون فتحتية ساكنة فنون:ما فترنا

وما خمنًّا : تقدم .

* * *

شرح غريب ذكر اعتراض بعض الجهلة من أهل الشقاق وما يذكر معه

قوله : الشقاق ـ بكسر الشِّين : الخلاف والمعاندة .

الصِّرف ـ بكسر الصاد ، وهو هنا صبغ يصبغ به الأَديم .

مُعَتِّب ـ بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الفوقية المشددة وبالموحدة .

قُشَير ـ بقاف وشين معجمة وبالتّصْغير .

ذو الْخُوَيْصِرَة ـ بالخاء المعجمة تصغير خاصرة .

أَجل : كنعم وزنا ومعنى .

شقيت ـ بشين معجمة مفتوحة فقاف مكسورة فتحتيّة فتاء ، روى ضمّها وفتحها .

معاذ الله : أى أعوذ بالله معاذا ، يقال : مَعَاذَ الله ومعاذة الله وعوذ الله وعياذة الله بمعنى واحد ؛ أى أستجير بالله .

---

(١) كذا فى الأصول واللفظ فى القصيدة « سعر » بضم السين والعين . ومعناه من يوقد الحرب ويشعلها .

شِيعةُ الرَّجُلِ – بشين معجمة مكسورة فمثناة تحتية فعين مهملة : أتباعه .

يتعمقون : يتبعون أقْصَاه ، وَعَمُقَ الشّىءُ بَعُدَ قعره ؛ وهو بعين مهملة .

الرَّمِيَّة – براء مفتوحة فميم مكسورة فتحتية مشددة فتاء تأنيث : الصيْد : الذى ترميه فتصيده وينفذ فيه سَهْمك ، وقيل : هى كل دَابَّةٍ مَرمية .

النَّصْل – حديدة السهم .

القِدْح – بكسر القاف : السهم ، قَبْلَ أن يُراش ويركب نصله .

الفُوق – بضم الفاء يذكر ويؤنث : طرف السهم الذى يباشر الوتر .

الرِّصاف – بكسر الراء وبالصاد المهملة والفاء عَقَب بفتحتين – يُلْوى على مدخل النصْل فى السهم .

النَّضِىّ – بفتح النون وكَسْر الضاد المعجمة الساقطة : نصل السّهم ، وقيل : هو السّهْم قبل أن يُنْحَت إذا كان قِدْحا . قَالَ أبو موسى المدينى وابن الأثير : وهو أولى ، لأنه قد جاء فى الحديث ذكر النّصْل بعد النَّضِىّ ، وقيل : هو من السهم ما بين الريش والنّصْل [قالوا سمى][1] نَضِيًّا لكثرة البرى والنحت ، فكأنه جُعِلَ نضوا أى هزيلا .

القذذ – بفتح القاف وفتح الذال المعجمة وآخره [ذال][2] أخرى : ريش السهم واحدتها قذذة .

الفَرْثُ : ما يوجد فى كرش ذى الكرش .

الْحَنَاجِر – جَمع حَنجرة : الحلقوم .

يَمْرُقُون من الدِّين: يجوزونه ويخرقُونَه ويتعدونه كما يخرق السهم الشّىءَ المرمى به ويخرج منه .

آيتهم : علامتهم .

العضد بتثليث العين كرَجُل – ويسكن وكَبِد وحَمَل ، وبضمتين ويسكن : ما بين المرفق إلى الكتف.

---

(١) بالرجوع إلى مثل العبارة فى النهاية لابن كثير .

(٢) إضافة للتوضيح .

الثدى بمثلثة مفتوحة فدال مهملة ساكنة .

البَضعة – بفتح الموحدة : القطعة .

تَدَرْدَر – بفتح الفوقية والدال المهملة ، وسكون الراء وبالدال المهملة آخره [راء][1] تترجرج . مضارعٌ مرفوع حذفت منه التاء .

يخرجون على حين – بالحاء والنون .

فُرقة – بضم الفاء : أى افتراق من المسلمين ، وروى على خير – بالمعجمة والراء – فرقة بالكسر : وهو على وأصحابه .

* * *

شرح غريب ذكر قدوم مالك بن عوف – رضى الله عنه

الموفور : الكثير .

دُحْنَا – بضم الدال وتفتح وسكون الحاء المهملتين ، بالقصر والمد : أرض بين الطائف والجِعْرَانة .

ركضه : استحثه الجرى .

العطاء الجزيل : العطاء الكثير .

إذا اجْتُدِى – بضم أوله وسكون الجيم وضم الفوقية وكسر الدال المهملة : أى طلبت منه العطية .

الكتيبة – بالفوقية : الطائفة المجتمعة من الجيش .

عردت – بعين مهملة فراء فدال مهملة مفتوحات فتاء : اعْوَجَّت .

أنيابها – جمع ناب : السِّنّ خلف الرباعية ، مؤنث .

السَّمْهَرِى – بفتح السين المهملة وسكون الميم وفتح الهاء وبالراء : الرماح المنسوبة إلى سَمْهَر : قرية بالهند .

المهنّد : السيف المطبوع من حديد الهند .

---

(١) سقط فى الأصول .

الليث : الأسد .

الأشبال : جمع شبل وهو : ولد الأسد .

المباءة : الغبرة ، ويروى المباءة ، بفتح الميم والموحدة والهمز : منزل القوم فى كل موضع .

الخَادِر : الداخل فى خدره ، والخدر هنا غابة الأسد .

المرصد : الموضع الذى يرصد منه ويترقب .

فَهْم – بفتح الفاء وسكون الهاء .

سَلِمة – بكسر اللام .

ثُمَالة – بضم الثاء المثلثة .

قد ضوى : [أى انضم][1]

اعتقد لواء : عقده .

السرح : [المالُ يسام فى المرعى[2] من الأنعام]

* * *

شرح غريب ذكر رجوع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الى المدينة

قوله مَجَنَّة – بفتح الميم والجيم والنون المشدّدة .

مَرّ – بفتح الميم وتشديد الراء مضاف إلى الظَّهْرَان تثنية ظهر الحيوان : موضع على مرحلة من مكة .

سَرِف – بفتح السين المهملة وكسر الراء وبالفاء : موضع .

* * *

شرح غريب شعر بجير

بُجَير – بموحدة مضمومة فجيم مفتوحة فتحتية ساكنة فراء .

زُهير بالتَّصغير ابن أبى سُلْمَى – بضم السين المهملة وسكون اللّام وفتح الميم .

---

(١) بياض بالأصول ، والمثبت يقتضيه السياق .

(٢) بياض بالأصول ، والمثبت عن اللسان .

العُلاَلَة : بضم العين المهملة«من العَلل » ؛ وهو الشُّرْب بعد الشرب ، وأراد به هنا معنى التكرار . وقال فى الإملاء وفى الروضة : العُلالَة جرى بعد جَرْى ؛ أى قتال بعد قتال ؛ يُريد أن هوازن جَمَعَتْ جَمْعَهَا علالة فى ذلك اليوم ، وحَذْف التنوين من علالة ضَرُورَةٌ وأضمر فى كانت اسمها وهو ضمير القصة .

يوم – بالخفض فى عِدَّةِ نسخ صحيحة من السيرة ، وجاز على هذا فى علالة النصب خبر كان ، ويكون اسمها عائداً على شىء تقدم ذكره ، ويجوز الرفع فى علالة مع إضافتها ٣٢٥ب إلى اليوم على أن تكون كان تامَّة مكتفيةً باسم واحد ، ويجوز أن تجعل اَسْماً على المصدر مثل بَرَّة[1] وفجار ، وبنصْب يَوْماً على الظرف .

أوطَاس : اسم موضع يـأْتى ذِكْره فى السَّرايا .

الأَبْرَق : موضع ، وأصله الجبل الذى فيه أَلوان من الحجارة والرمل .

الإغواء – بالغين المعجمة : من الغى الذى هو خلاف الرُّشَد .

حَسْرَانا : يعنى الذين أعيوا منا من الحسير وقد يجوز أن يكون الحَسْرَى هنا الذين لا درع لهم .

الرجْرَاجَة – بفتح الراء وسكون الجيم الأُولى : الكتيبة التى يَمُوجُ بَعْضُها فى بعض

المنايا – جمع مَنِيَّة : وهى الموت .

الفَيْلق – بفتح الفاء وسكون التحتية وفتح اللام وبالقاف : الجيش الكثير الشديد .

ملمومة : مجتمعة .

خضراء : يعنى من لون السلاح .

حضْن – بفتح الحاء المهملة والضَّاد المعجمة وبالنون : اسم جبل[2] .

الضِّرَاء – بكسر الضاد المعجمة الساقطة وبالراء : الأُسود الضارية .

الهَراس – بفتح الهاء والراء والسين المهملة : نَبَات به شوك .

---

(١) برة : اسم علم بمعنى البر ، وفجار : اسم علم بمعنى الفجور ، وكذلك يرى أن العلالة اسم على التعلة ، وهو ما يتعلل به.

(٢) حضن : جبل فى أعالى نجد (اللسان)

قُدُر – بضم أوله والدال المهملة وتسكن وبالراء ، فمن رواه بالقاف على خيلا تجعَلُ أرجلها فى موضع أيديها إذا مشت ،ومن رواه بالفاء على الوعول ، واحدها فادر .

القياد – بقاف مكسورة فتحتية فألف فدال مهملة .

السابغة بالغين المعجمة : الدرع الكاملة .

استحصنت : [احتمت بالحصن][1] .

النِّهْى – بكسر النون وسكون الهاء : الغدير من الماء .

المترقرق : المتحرك .

جُدُل – بضم الجيم والدال المهملة وباللام : جمع جدلاء : وهى : الدرع الجيدة النسج .

فضولهن : ما انجرّ منهن .

مُحَرِّق : لقب عمرو بن هند ملك الحيرة .

* * *

٣٢٥ب

شرح غريب شعر كعب بن مالك – رضى الله عنه

تِهامة : ما انخفض من أرض الحجاز .

الريب : الشك .

أجممنا : بالجيم : أرحنا .

الحاضن : المرأة التى تحضن ولدها .

ساحة الدار : وسطها ، ويقال فناؤها .

العروش–بالشين المعجمة : وهى هنا سقف بيوت مكة .

وَجّ – بفتح الواو وتشديد الجيم : اسم موضع .

---

(١) بياض بالأصول ، والمثبت عن سياق الغزوة .

الخُلُوف – بضم الخاء المعجمة واللام وبالفاء : الغائبون ، وفى غير هذا الموضع بمعنى الحاضرين ، وهو من الأضداد .

السَّرَعَان – بفتح السين والراء وبالعين المهملات : المتقدمون .

الكثيف – بالثاء المثلثة : الملتف ؛ ومن رواه كشيفاً بالشين المعجمة . فمعناه [مكشوف[1] ، أو منكشف ، والكشف : رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه[1]] .

الرَّجيف – براء مفتوحة فجيم مكسورة فتحتية ففاء : الصوت الشديد مع زلزال مأخوذ من الرجفة ، ومن رواه : وجيفاً بالواو والباقى كما تقدم : عنى سريعاً يسمع صوت سرعته . ٥٦٤ت

قَوَاضِب – بالقاف والضاد المعجمة والموحدة : السيوف القاطعة . ٣٢٦أ

المرهفات – جمع مرهف وهو السيف المرقق الحواشى القاطع .

المصطلون : المبشرون لها .

العقائق – جمع عقيقة : وهى شعاع البرق هنا .

الْقُيُون – بالقاف : جمع قَيْن ؛ وهو الحداد .

الكتيف – بالفوقية – جمع كتيفة : وهى صفائح الحديد تضرب للأبواب وغيرها .

تخال – بالخاء المعجمة : تظن .

الجَدِيَّة – بفتح الجيم وكسر الدال وتشديد التحتية : الطريقة من الدم .

الجَادِيّ – بالجيم والدال المهملة المكسورة : الزعفران .

مَدُوفا – بالدال المهملة وتُعْجم : مختلطا .

أَجدهم – بفتح الهمزة وفتح وكسر[2] الجيم وتشديد الدال المهملة المفتوحة ؛ أى[3] :

(١ – ١) مابين الرقين إضافة عن اللسان .

(٢) كذا فى ط ، ص ، م وفى ت بياض – وفى القاموس « الجد » بفتح الجيم الحظ والنصيب كالجد بكسر الجيم .

(٣) بياض بالأصول ، وفى اللسان : قال ثعلب : ما أتاك فى الشعر من قولك أجدك فهو بالكسر وقال أبو عمرو : أجدك بفتح الجم وكسرها معناه : مالك أجداً منك . وقال سيبويه : أجدك مصدر كأنه قال : أجداً منك ، وقال الأصمعى : أجدك معناه : أبجد هذا منك ؟

العريف هنا - بمعنى عارف .

النُّجُب : جمع نجيب ؛ وهو العتيق الكريم من الخيل .

الطُّروف - بضم الطاء المهملة : جمع طِرْف . وهو الكريم من الخيل أيْضاً .

الرَّوْع : الفزع .

الزَّحْف : دُنُوّ الناس بعضهم من بعض .

العَزُوف - بالعين المهملة والزاى وبالفاء : الصابر .

النَّزِق - بفتح النون وكسر الزاى : الخفيف الطائش .

الرِّيْف - بكسر الراء وبالفاء : الموضع الخصب الذى على الماء .

الرَّعِش : المتقلب غير الثابت .

الإِذْعَان - بكسر أوله وبالذال المعجمة : الانقياد .

المُضِيف - بضم الميم وكسر الضاد المعجمة وبالفاء وهو هنا : المشفق الخائف ، يُقال أَضاف من الأَمر إذا أَشفق منه وخاف .

التَّالِد - بالفوقية وكسر اللام وبالدال المهملة : المال القديم

الطريف - بفتح الطاء المهملة وبالفاء : المال المحدث .

باءَ[1] : رجع .

أَلَّبوا - بتشديد[2] اللام ، وبالموحدة جمعوا .

الصميم - مفعُول أَلبوا : وهو خلاصة الشىء .

الجَذْم - بجيم[3] مفتوحة وذال معجمة ساكنة : الأَصل .

---

(١) كذا بالأصول ، ولعلها « أناب » من تنيبوا فى البيت الذى أوله « تجالد مابقينا أو تنيبوا .

(٢) كذا بالأصول ، وقوله بتشديد اللام ينكسر معه الوزن .

(٣) وكذا : بكسر الجيم ايضاً

الجَذع - بالجيم والذال المعجمتين[1] : القطع ، وأكثر ما يُستَعْمل فى الأُنُوف ، ويقال فى المسامع صلمتا ، فلما جمعهما ، أعمل فيهما فعلا واحدا .

لَيْن : مخفف لَيِّن بتشديد التحتية .

عنيف - بفتح العين وكسر النون وسكون التحتية وبالفاء : ليس برقيق .

الشُّنوف بضم الشين المعجمة والنون جمع شَنْف : وهو القرط الذى يكون فى الأُذن .

الخُسُوف : الذّل .

(١) قوله بالمعجمتين خطأ ، لأن الجدع بالدال المهملة هو القطع (اللسان) .

الباب الثلاثون

فى غزوة تَبُوك[1]

ويُقَال إنها غَزْوَة العُسْرة والفاضحة : اختُلِفَ فى سَبَبِها ؛ فقيل إنّ جماعةً من الأَنباط الذين يَقْدَمون بالزيت من الشام إلى المدينة ذكروا للمسلمين أن الرُّومَ جمعوا جُمُوعاً كثيرة [بالشام][2] ، وأن هِرَقل قد رزق أصحابه لسنة ، وأَجْلَبَت[3] معهم لخمٌ وجُذَام وعَامِلَة وغَسَّان وغيرهم من متنصّرة العرب ، وجاءت مقدّمتهم إلى البَلْقاء ٣٢٦ب ولم يكن لذلك حقيقة ، ولَمَّا بلغ رسـول الله – صلى الله عليه وسلم – ذلك ندَب الناس إلى الخروج – نقله محمد بن عمر ومحمد بن سعد .

وروى الطبرانى بسند ضعيف عن عمران بن حُصَيْن – رضى الله عنهما قال : كانت ٥٦٥ت نصارى العرب كتبت إلى هرقل / : إن هذا الرجل الذى قد خرج يَدّعى النُّبُوة هلك وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم . فإن كنت تريد أن تلحق دينك فالآن ، فبعث رَجُلاً من عظمائهم[4] وَجَهّز معه أربعين ألفا فبلغ ذلك رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – فأمر بالجهاد .

. وقيل : إنَّ اليهود قالوا لرسولِ الله – صلى الله عليه وسلم – يا أبا القاسم إنْ كنْتَ صَادِقاً فالحق بالشام فإنّها أَرض الأنبياء ، فغزا تبوك لا يريدُ إلاَّ الشام . فَلَمْا بَلَغ ، تبوكَ أنزل الله تعالى الأيات من سورة بنى إسر ائيل : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِن الأَرضِ ليخرِجُوكَ مِنْها وإذًا لاَ يَلْبَثُونَ خِلاَفَكَ إلاَّ قَلِيلاً ﴾[5] رواه ابن أبى حاتم ، وأبو سعد النَّيْسَابورى ، والبيهقى بإسنادٍ حسن .

---

(١) وانظر هذه الغزوة فى المغازى للواقدى ٣ : ٩٨٩ ، وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣١٦ ط الجمالية سنة ١٩١٤ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٥ : ٢ وشرح المواهب للزرقانى ٣ : ٦٢ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١٢٢ .

(٢) إضافة عن المغازى للواقدى ٣ : ٩٩٠ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١٢٢ .

(٣) فى «ت» ، « أجلب » .

(٤) فى شرح المواهب ٣ : ٦٤ « يقال له قباذ » .

(٥) سورة الإسراء آية ٧٦ .

وقيل : إن الله سبحانه وتعالى لما منع المشركين من قربان المسجد الحرام فى الحج وغيره قالت قريش : لتُقْطَعَنّ عنا المتاجر والأسواق،وليَذْهَبَنّ ما كُنّا نصيبُ مِنْها ، فعوّضهم الله تعالى عن ذلك بالأمر بقتال أهل الكتاب حتّى يسلموا أو يُعْطُوا الجزية عن يَدٍ وهم صاغرون كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُم اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إن شَاءَ إِنَّ الله عَلِيمٌ حكيم ٭قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الذين أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجزْيَةَ عن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرون ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا الذين آمنوا قَاتِلُوا الَّذين يَلُونَكم من الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُم غِلْظَةً واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ المتّقين[2] ﴾ وعزم رسولُ الله – صلّى الله عليه وسلم – على قتال الروم ، لأنّهم أقرب الناس إليه ، وأولى الناس بالدّعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام،رواه ابن مردويه عن ابن عباس،وابن أبي شيبة وابن المنذر عن مجاهد ، وابن جرير عن سعيد بن جُبير .

***

ذكر عزمه – صلى الله عليه وسلم – على قتال الروم وبيان ذلك للناس

لَمّا عزم رسولُ الله – صلّى الله عليه وسلم – على قتال الروم عَامَ تبوك/، وكان ذلك ٣١٧ أ فى زَمَانِ عُسْرَةٍ مِنَ الناس وشدّةٍ من الحرِّ وجدب من البلاد ، وحين طابت الثّمار ، والناس ، يُحِبُّون الْمُقَام فى ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص على تلك الحال من الزمان الذى هم عليه ، وبيّن – صلى الله عليه وسلم – للناس مَقْصِده ، وكان – صلى الله عليه وسلم – قلّ[3] أن يخرج فى غزوة إلا كنّى عنها وَوَرّى بغيرها إلاّ ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بَيَّنَها للناس لبعد الشُّقّةِ وشِدّة الزمان وكثرة العدو الذى يَصْمُدُ له ، ليتأهّبَ الناس لذلك أُهْبَتَه ، فأَمَرَ النَّاسَ بالْجِهَاز ، وَدَعَا مَنْ حوله من أحياءِ العرب للخروج معه ، فأَوْعَبَ مَعَه بشر كثير ، وبَعَثَ إلى مكة[4] ، وتخلّف آخرون ، فعاتب الله – تعالى – من تخلّف

---

(١) سورة التوبة الآيتان ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) سورة التوبة آية ١٢٣ .

(٣) فى ت « قلما يخرج » .

(٤) فى المغازى للواقدى ٣ : ٩٩٠ « وبعث إلى مكة يستنفرهم » .

منهم لِغَيْر عذر من المنافقين والمقصرين ، ووبَّخهم وبيَّن أمرهم ، فقال سبحانه وتعالى :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِين آمنوا مَا لَكُم إِذَا قِيلَ لَكُم انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا من الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فى الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ * إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبكُم عَذَاباً أليماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ولا تَضُرُّوهُ شَيْئاً واللهُ عَلَى كُلِّ / ٥٦٦ت شَيْءٍ قَدِير[1] ﴾ ثم قال : ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وثِقَالاً وجَاهِدُوا بِأَمْوالكم وأَنْفُسِكُمْ فى سَبيل اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُون * لَوْ كَانَ عَرَضًا قريباً وسَفَراً قَاصِدًا لاَتَّبَعُوكَ ولَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِم الشُّقَّةُ وسَيَحْلِفُون بِالله لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُم وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لكاذبون ﴾[2] إلى آخر الآيات .

وروى ابنُ أَبِي شيبة ، والبخارى ، وابن سعد عن كعب بن مالك – رضى الله عنه – قال : كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قلَّما يريد غزوة يغزوها إلا وَرَّى بغيرها ، حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى قيظ شديد ، واستقبل سفراً بعيدا ، وغُزَّى وعددا كثيراً فجلَّى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم ، وأخبرهم بوجهه الذى يريده .

* * *

ذكر حثه – صلى الله عليه وسلم – على النفقة والحملان فى سبيل الله تبارك وتعالى

فى حديث عمران بن حُصَيْن – رضى الله عنهما – عند الطَّبرانى أن النَّبى – صلَّى الله عليه وسلم – كان يجلس كُلَّ يوم على المنبر فيدعو فيقول : « اللَّهُمَّ إن تَهْلِكْ هذه الْعِصَابة لَنْ تُعْبَدَ فِي الْأَرْض . فلم يكن للناس قوة » .

قال محمد بن عمر – رحمه الله تعالى – حَضَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على الصَّدَقَات فجاءُوا بصدقات كثيرة ، فكان أول من جاء أبو بكر الصديق – رضى/ ٣٢٧ب الله عنه – جاء بماله كله أربعة آلاف درهم، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « هل أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ شيئاً ؟ » فقال : أَبقيتُ لهم[3] اللهَ ورسولَه . وجاء عمر بن الخطاب – رضى

---

(١) سورة التوبة الآيتان ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) سورة التوبة الآيتان ٤١ ، ٤٢ وما بعدهما .

(٣) رواية الواقدى ٣ : ٩٩١ « قال الله ورسوله أعلم » .

الله عنه - بِنِصْفِ مَالِهِ ، فَقَالَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : « هل أَبْقَيْتَ لأهلك شيئا ؟ » قال : نعم مثل ما جئت به[1] ، وحمل العباس ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد ابن عبادة - رضى الله عنهم - وحمل عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - مائتى أوقية إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتصدّق عاصم بن عدى - رضى الله عنه - بسبعين وَسْقاً من تمر ، وجهَّزَ عثمان بن عفان - رضى الله عنه - ثلث ذلك الجيش حتى إنه كان يقال : ما بقيت لهم حاجة حتى كفاهم شُنُق أَسْقِيَتهم .

قلت : كان ذلك الجيش زيادةً على ثلاثين ألفا ، فيكون - رضى الله عنه - جهز عشرة آلاف .

وذكر أبو عمرو فى الدرر ، وتبعه فى الإشارة : أن عثمان حمل على تسعمائة بعير ومائة فرس بجهازها ، وقال ابن إسحاق - رحمه الله تعالى - أنفق عثمانُ فى ذلك الجيش نفقة عظيمة لم يُنْفِق أحدٌ مِثْلَهَا .

ونقل ابن هشام عَنْ مَنْ يثق به : أن عثمان - رضى الله عنه - أنفق فى جيش العسْرة ألف دينار قُلْتُ غير الإبل والزاد وما يتعلق بذلك . قال : فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « اللهم ارضَ عن عثمان فإنى عنه راض » . وروى الإمام أحمد ، والترمذى وحَسَّنه ، والبيهقى عن عبد الرحمن بن سَمُرة - رضى الله عنه - قال : جاء عثمان إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بألف دينار فى كُمِّه حين جهّز رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - جَيْشَ العُسْرة ، فصَبَّها فى حِجْرِ النبى صَلَّى الله عليه وسلم - فجعل النبىُّ - صلى الله عليه وسلم - يُقَلِّبها بيده ويقول : « ما ضَرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم » يرددها مرارا .

وروى عبد الله بن الإمام أحمد فى زوائِد المسند ، والترمذى ، والبيهقى عن عبد الرحمن / ٥٦٧ت ابن خُبَاب[2] - بالمعجمة وموحدتين - رضى الله عنه - قال : خطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فحثّ عَلَى جيش العُسْرة ، فقال عثمان - رضى الله عنه - عَلَيَّ مائةُ بعير

(١) به سقط فى ت ، م .

(٢) وكذا فى شرح المواهب ٣ : ٦٥ بمعجمة وموحدتين الأولى ثقيلة وفى فتح البارى ٩ : ١٧٤ « حباب » .

بِأَحْلَاسِهَا[1] وَأَقْتَابِها[2] ، ثُمَّ نزل مِرْقاة أُخرى من المنبر[3] فَحَثَّ فَقال عثمان – رضى الله عنه – : عَلَيَّ مائة أخرى بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا ثم نزل مرقاة أُخرى فحث فقال عثمان – رضى الله عنه – : عليّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها . ، فرَأَيْتُ رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – يقول بيده – هكذا – يحركها كالمتعجب « ما على عثمان ما عمل بعد هذا اليوم » أو قال : – بعدها »

وروى الطيالسيّ ، والإمام أحمد ، والنسائيّ عن الأَحنف بن قيس – رحمه الله تعالى – قال / : سمعتُ عثمان – رضى الله عنه – يقول لسعد بن أَبى وَقاص وعلىّ والزُّبَير وطلحة : أَنْشُدُكُم الله ، هل تعلمون أنَّ رسول الله – صَلَّى الله عليه وسلم – قال : « مَنْ جهّز جَيْشَ العُسْرة غفر الله له » فجهزتهم حَتى مَا يَفْقِدُون خِطَاما وَلا عِقالا ؟ قالوا : اللهم نعم .

ويأْتى فى تَرْجمةِ عثمان – رضى الله عنه – أحاديث كثيرة فى ذلك .

قال محمد بن عمر – رحمه الله : وحمل رجالٌ ، وقَوَّى ناسٌ دون هؤلاء مَنْ هم أَضعف منهم ، حتى إن الرَّجُلَ ليأْتى بالبعير إلى الرجل والرجلين فيقول : هذا البعير بَيْنَنَا نعتقبه ، ويأْتى الرجل بالنفقة فيعطيها بعض من يخرج حتى أن كان النساء يَبْعَثْنَ[4] بما يَقْدِرنَ[5] عليه ، وحمل كعبُ بن عجرة واثلةَ بنَ الأَسقع ، وروى أَبو داود ، ومحمد بن عمر عن واثلة بن الأَسقع ، – رضى الله عنه – قال : نادى منادى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى غزوة تبوك ، فخرجت إلى أهلى – وقد خرج أَوّل أَصْحَابه – فطفت فى المدينة أُنادى : أَلا من يحمل رَجُلاً وله سهمه ؟ فإذا شيخٌ من الأَنصار – سمّاه محمد بن عمر : كعب بن عجرة – فقال : سهمه على أن تَحْمِلَهُ عقبة وطعامه معنا ؟ فقلت : نعم ، فقال : سِرْ على بركة الله تعالى ، فخرجتُ مع خير صاحب حتى أفاءَ الله علينا .

٣٢٨ ا

---

(١) الأحلاس : جمع حلس كل ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج أو الرحل (القاموس) .

(٢) الأقتاب : جمع قتب وهو الرحل .

(٣) إضافة عن شرح المواهب ٣ : ٦٥ .

(٤) فى المغازى للواقدى ٣ : ٩٩١ « ليعن »

(٥) فى ت « قدرن عليه » .

قال محمد بن عمر : بعثه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مع خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِر[1] دُومَة[2] . قال : فأصابنى قلائص — قال محمد بن عمر : ستة — فسقتهن حتى أتيته بهن ، فخرج فقعد على حقيبة من حقائب إبله ثم قال : سقهن مقبلات . فسقتهن ، ثم قال : سقهن مدبرات ، فقال : ما أرى قلائصك إلا كراما ، فقلتُ : إنما هى غنيمتك التى شرطتُ لك ، قَالَ : خُذْ قلائصك يا بن أخى ، فغير سهمك أردنا .

* * *

ذكر بعض ما دار بين رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وبين بعض المنافقين وتثبيطهم الناس عن الخروج معه

روى ابن المنذر ، والطبرانى ، وابن مردويه ، وأبو نُعَيْم فى المعرفة عن ابن عباس وابن أبى حاتم ، وابن مردويه عن جابر بن عبد الله — رضى الله عنهم — وابن عقبة ، ومحمد بن إسحاق ، ومحمد بن عمر — رحمهم الله تعالى — عن شيوخهم ، زاد ابن عقبة : أن الجَدّ بن قيس أتى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو فى المسجد معه نَفَرٌ ، فقال : يا رسول الله ائذن لى فى الْقُعُود ، فإنى ذو ضَبْعَة[3] وعِلَّة فيها عذر لى ، فقالَ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « تجهز فَإِنَّكَ مُوسِر — ثم اتفقوا — فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — تجهز تجهز فإنك موسر ، لَعَلَّكَ تُحْقِبُ من بنات بنى الأصفر ؟ » قال الجَدُّ : أو تأْذن لى وَلَا تَفْتِنِّى ، فوالله لقد عرف قومى ما أحد أشد عُجْبا بالنساء منىّ ، وإنى أخشى إنْ رأيت نساء بنى الأصفر ألاَّ أصبر عنهن ، فأعرض عنه رسول الله — صلى الله عليه وسلم وقال : « قد أَذِنَّا لك » زاد محمد بن عمر — رحمه الله تعالى — فجاءه ابنُه عبدُ الله بن الجَدِّ — وكان بَدْرِيًّا — وهو أخو معاذ بن جبل لأُمه ، فقال لأبيه : لِم تردّ على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مقالته فوالله ما فى بنى سَلَمة أحد أكثر مالا منك ؛ فلا تخرج ولا تحمل ؟! فقال : يا بنىّ ما لى وللخروج فى الريح

٣٢٨ب

٥٦٨ت

(١) هو أكيدر بن عبد الملك بن عبد الجن النصرانى المختلف فى إسلامه والأكثر على أنه قتل كافراً ، وقد ذكره ابن منده وأبو نعيم فى الصحابة ، ورده ابن الأثير بأنه خطأ ظاهر فإنه إنما أهدى للنبى وصالحه ولم يسلم باتفاق أهل السير ، ثم أسره خالد فى زمن أبى بكر فقتله كافراً — وانظر بقية الحديث عنه فى شرح المواهب ٣ : ٧٧ .

(٢) هى دومة الجندل وهى حصن وقرى من طرف الشام بينها وبين دمشق خمس ليال ، يقال عرفت بدومة ابن اسماعيل (المرجع السابق) .

(٣) الضبعة : شدة شهوة الفحل للناقة . (اللسان) .

والحرّ الشديد والعُسرة إلى بنى الأصفر ، فوالله ما آمن - خوفا - من بنى الأصفر وأنا فى منزلى ، أفأذهب إليهم أغزوهم ؟ ! إنى والله يا بنى عالم بالدوائر ، فأَغْلَظ له ابنه وقال : لا والله ولكنّه النفاق ، والله لينزلن على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيك قرآن يُقْرأ به ، فرفع نعله فضرب به وَجْهَ ولدِه ، فانصرف ابنُهُ ولم يكلمه ، وأنزل الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّى ألاَ فِى الفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالكَافِرِين ﴾[1] أى إن كان إنما خشى الفتنة من نساء بنى الأصفر ، وليس ذلك به ، فما سقط فيه من الفتنة أكبر بتخلفه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والرغبة بنفسه عن نفسه ، يقول : وإن جهنم لَمِنْ ورائه .

وجعل الجَدُّ وغيره من المنافقين يُثَبِّطُون المسلمين عن الخروج ؛ قال الجَدُّ لِجبَّار ابن صخر ومن معه من بنى سَلِمة : لا تنفروا فى الحر ؛ زَهَادَة فى الجهاد ، وشكًّا فى الحق ، وإرجَافا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله سبحانه وتعالى فيهم ﴿ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[2] .

وروى ابن هشام - رحمه الله تعالى - عن عبد الله بن حارثة - رضى الله تعالى عنه - قال : بلغ رَسُولَ الله - صلى الله عليه وسلم - أنَّ نَاسا من المنافقين يَجْتَمِعُونَ فى بيت سُوَيْلم اليهودى يثبِّطون الناس عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى غزوة تَبُوك ، فبعث إليهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - طلحةَ بْنَ عُبَيْد الله - رضى الله عنه - فى نفرٍ من أصحابه ، وأمره أن يحرق عليهم بيت سُوَيْلم اليهودى ففعل طلحةُ ، واقتحم الضَّحَّاكُ بْنُ خَلِيفَة من ظَهْرِ البيت فَانكَسَرَتْ رجلُه واقتحم أصحابُه فَأَفْلَتُوا .

وجاء أهل مسجد الضِّرار إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يتجهّز إلى تبوك فقالوا : يا رسول الله قد بنينا مسجدا / لذى الْعِلَّةِ والحاجة والليلة المطيرة ، ونُحِبُّ أن تأتينا فَتُصَلِّىَ فيه ، فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إنّا فى شغل السَّفَر ، وإذا انصرفت سيكون » .

٣٢٩ أ

(١) سورة التوبة آية ٤٩ .

(٢) سورة التوبة الآيتان ٨١ ، ٨٢ .

ذكر خبر المخلفين والمعذرين ، والبكائين

قال ابن عقبة – رحمه الله تعالى – : وتخلّف المنافقون ، وحَدّثوا أنفسهم أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا يرجع إليهم أبدا ، فاعتذروا . وتخلّف رجالٌ من المسلمين بأمرٍ كان لهم فيه عذرٌ ، منهم السقيم والمعسر .

قال محمد بن عمر : وجاء ناس من المنافقين إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليستأْذنوه فى القعود من غير علة ، فأذن لهم / – وكانوا بضعة وثمانين رجلا . ٥٦٩ت

وروى ابن مردويه عن جابر بن عبد الله – رضى الله عنهما – استدار برسول الله – صلى الله عليه وسلم – رِجالٌ من المنافقين حين أَذِنَ للجَدّ بن قيس يستأْذنون يقولون : يا رسول الله ائذن لنا فإنا لا نستطيع أن نغزو[1] فى الحرّ ، فأذن لهم ، وأعرض عنهم .

وجاء المعذِّرون من الأَعراب فاعتذروا إليه فلم يَعْذِرهم الله ، قال ابن إسحاق : وهم نفر من بنى غفار ، قال محمد بن عمر ، كانوا اثنين وثمانين رجلا ، منهم ؛ خُفاف ابن أيماء .

وروى ابن جرير ، وابن مردويه عن ابن عباس – رضى الله عنه – وابن جرير عن محمد بن كعب القرظى وابنُ إسحاق ، وابنُ المنذر ، وأبو الشيخ عن الزهرى ، ويزيد ابن رومان ، وعبد الله بن أبى بكر ، وعاصم بن محمد بن عمر بن قتادة وغيرهم : أن عصابة من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – جاءُوه يستحملونه ، وكلهم مُعْسِر ذو حاجة لا يحب التخلف عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم « لا أَجدُ ما أَحمِلُكُم عليه تَولّوا وأَعينهم تفيض من الدمع حَزَناً أَلاّ يجدوا ما ينفقون » ، وهم سبعة ، واختلفوا فى أسمائهم ، فالذى اتفقوا عليه سالم بن عمير من بنى عمرو بن عوف الأَوسى، وعُلْبَة – بضم العين المهملة وسكون اللام وبالموحدة – بن زيد ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب ، وهَرَمى – ويقال بإسقاط التحتية – ابن عبد الله – وهو بها – والذى اتفق عليه القرظى ، وابن إسحاق ، وتبعهم ابن سعد ،

---

(١) فى ت ٢ : ٥٦٩ « أن ننفر » والمثبت عن بقية النسخ .

وابن حزم ، وأبو عمرو ، والسهيلى ولم يذكر الأخير ، والواقدى : عِرْباض - بكسر العين المهملة وسكون الراء وبالضاد المعجمة - بن سارية بالمهملة وبالتحتية ، وجزم بذلك ابن حزم ، وأبو عمرو ، ورواه أبو نعيم عن ابن عباس ، والذى اتفق عليه / القرطى وابن عقبة وابن إسحاق : عبد الله بن مُغَفَّل - بميم مضمومة فغين معجمة ففاء مشددة مفتوحتين - المزنى ، وفى حديث ابن عباس : عبد الله بن مغفل فيهم ، وروى ابن سعد ويعقوب بن سفيان وابن أبى حاتم عن ابن مُغَفَّل قال : إنى لأحدُ الرهط الذين ذكر الله تعالى : ﴿ وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾[1] الآية . والذين اتفق عليهم القرطى وابن عمر : سلمة بن صخر ، ولفظ القرطى سلمان ، والذى اتفق عليه القرطى وابن عقبة : عمرو بن عَنَمة - بفتح العين المهملة والنون - ابن عدى ، وعبد الله بن عمرو المزنى . حكاه ابن إسحاق قولا بدلا عن ابن مُغَفَّل ، وانفرد القرطى بذِكر عبد الرحمن بن زيد أبى عبلة من بنى حارثة ، وبذكر هرمى بن عمرو من بنى مازن .

قال محمد بن عمر : ويقال إن عمرو بن عوف منهم .

قال ابن سعد : وفى بعض الروايات من يقول فيهم : معقل - بالعين المهملة والقاف ابن يسار ، وذكر فيهم الحاكم حرمى بن مبارك بن النجار ، كذا فى المورد ، ولم أر له ذكرا فى كتب الصحابة التى وقفت عليها .

وذَكر ابن عائذ فيهم : مهدىٌّ بن عبد الرحمن ، كذا فى العيون ، ولم أر له ذكراً فيما وقفت عليه من كتب الصحابة ، وذكر فيهم محمدُ بن كعب / : سَالم بنَ عمرو الواقفى ، قال ابن سعد : وبعضهم يقول : البكاءُون بنو مُقرِّن السبعة ، وهم من مزينة انتهى ، وهم : النعمان ، وسُوَيد ، ومَعْقِل ، وعَقِيل ، وسنان [وعبد الرحمن][2] والسابع لم يسم ، قيل اسمه عبد الله ، وقيل النعمان ، وقيل ضرار ، وقيل[3] .... وحكى ابن فتحون - قولا - أن بنى مُقَرِّن عشرة فيتعين ذكر السبعة منهم .

---

(١) سورة التوبة آية ٩٢ .

(٢) الإضافة عن شرح المواهب ٣ : ٦٧ .

(٣) بياض بالأصول بمقدار كلمة .

وذكر ابن إسحاق فى رواية يونس وابن عمر : أن عبلة ابن زيد لما فقد ما يحمله ولم يجد عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما يحمله خَرَجَ من الليل فصلّى من ليلته ما شاء الله تعالى ، ثم بكى وقال : اللهم إنكْ أمرتنا بالجهاد ورَغَّبْتَ فيه ، وإنى أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابنى بها فى مال أو جسد أو عرض ، ثم أصبح مع الناس ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « أين المتصدق هذه الليلة » فلم يقم أحد ، ثم قال : « أين المتصدق فليقم » فقام إليه فأخبره ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « أبشر ، فوالذى نفسى بيده لقد كُتِبتْ فى الزكاة المتقبلة » .

قال ابن إسحاق ومحمد بن عمر : لما خرج البكاءون من عنْد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقد أعلمهم أنه لا يجد ما يحملهم عليه لَقِى يامينُ بنُ عمرو النضرىُّ أبا ليلى وعبد الله بن مُغَفَّل وهما يبكيان ، فقال / : ما يُبْكِيكُمَا ؟ ، قالا : جئنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ليحملنا ، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج ، ونحن نكره أن تفوتنا غزوة مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأعطاهما ناضحا له ، وزوّد كلًّ واحد منهما صاعين من تمر ، زاد محمد بن عمر : وحمل العباس بن عبد المطلب منهم رجلين ، وحمل عثمان بن عفان منهم ثلاثة نفر بعد الذى جهّز من الجيش .

٣٣٠ أ

* * *

ذكر حديث أبى موسى فى حلف رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه لا يحملهم ثم حملهم

روى الشيخان عن أبى موسى الأشعرى — رضى الله عنه — قال : أتيت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى نَفَرٍ من الأشعريين ليحملنا ، وفى رواية : أرسلنى أصحابى إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أسأله لهم الحُمْلان ، فقلت : يارسول الله إن أصحابى أرسلونى لتحملهم ، فقال : « والله لا أحملكم على شىء ، وما عندى ما أحملكم عليه » ووافقته وهو غضبان ولا أشعر ، فرجعت حزينا من منع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومن مخافة أن يكون رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وجد فى نفسه ، فرجعت إلى أصحابى فأخبرتهم بالذى قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثم جىء رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بنَهْب إبلٍ فلم ألبث إلاَّ سُوَيعة إذ سمعتُ بلالا ينادى : أين عبد الله

ابن قيس[1] ؟ فأجبته ، فقال : أجب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يَدعوك ، فلما أتيت رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « خذ هذين القرينين وهذين القرينين وهذين القرينين » لستة أبعرة آبتاعهن حينئذ من سعد[2] ، وفى رواية : فأمر لنا بخمس ذَوْد غُرّ الذُّرى ، فقال « انطلق بهن إلى أصحابك فَقُلْ إن الله – أو قال : إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يحملكم على هؤلاء فاركبوا » قال أبو موسى فانطلقت

٥٧١ت إلى أصحابى فقلت / : إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يحملكم على هؤلاء ، ولكن والله لا أدعكم حتى ينطلق معى بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين سألته لكم ومنعه فى أوّل مرّة ، ثم إعطائه إياى بعد ذلك ؛ لا تظنوا أنى حدثتكم شيئا لم يقله . فقالوا لى: والله إنك عندنا لَمُصَدَّق ولنفعلن ما أحببتَ. فانطلَقَ أبو موسى بنفرٍ منهم حتى أتوا الذين سمعوا مقالة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مِنْ مَنْعِهِ إيَّاهم ثم إعطائه بعد ذلك؛ فحدثوهم بمثل ما حدثهم به أبو موسى ، قال أبو موسى : ثم قلنا : تغفلنا[3] رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يمينَه ، والله لا يبارك

٣٣٠ب لنا ، فرجعنا فقلنا له / ، فقال « ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم » قال : « إنى والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت التى هى خير وتحللتها » فقال : « كفَّرتُ عن يمينى » .

* * *

ذكر مجىء المعذرين من الأعراب الى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليؤذن لهم فلم يعذرهم

قال محمد بن عمر ، وابن سعد : وهما اثنان وثمانون رجلا من بنى غِفار ، وأنزل الله – تبارك وتعالى – فى ذلك كله ﴿ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ القَاعِدِينَ * رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِم فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ * لكِنِ الرَّسُولُ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِم وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ

---

(١) هو أبو موسى الأشعرى .

(٢) قيل هو سعد بن عبادة . (شرح المواهب ٣ : ٦٨)

(٣) « تغفلنا » اى تحينا غفلته حين سألناه وقت شغله . (اللسان) وفى السيرة الحلبية ٣ : ١٤٩ « أغلقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أى حملناه على يمين الفلق » .

تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

* * *

ذكر من تخلف عن رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وهو صحيح الايمان غير شاك

قال ابن إسحاق ومحمد بن عمر رحمه الله تعالى : وكان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى تخلفوا عنه من غير شك ولا ارتياب منهم كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، وأبو خيثمة ، وأبو ذر الغفارى . وكانوا نفر صدق لا يتهمون فى إسلامهم ـ انتهى ـ وسيأتى أن أبا خيثمة ، وأبا ذر لحقا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وستأتى قصة الثلاثة .

* * *

ذكر من استخلفه رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ على اهله ، ومن استخلفه على المدينة

قال ابن إسحاق : وخلَّف رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ علىَّ بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ، فأرجف به المنافقون وقالوا : ما خلفه إلا استثقالا له ، وتخفُّفا منه ، فلما قالوا ذلك أخذ علىٌّ سلاحه وخرج حتى/ لحق برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو نازل بالجُرْف ، فأخبره بما قالوا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « كذبوا ، ولكنى خلَّفتك لما تَرَكْتُ ورائى ، فارجع فاخْلُفْنى فى أهلى وأهلك ، أفلا ترضى يا على أن تكون منِّى بمنزلة هارون من موسى ؟ إلَّا أنه لا نبىَّ

٢٧٢ت
٣٣١أ

---

(١) سورة التوبة الآيات من ٨٦ ـ ٩٣ .

بعدى » فرجع على إلى المدينة – وهذا الحديث رواه الشيخان ، وله طرق تأتى فى ترجمة سيدنا على – رضى الله عنه .

واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم – على المدينة محمد بن مسلمة الأنصارى – رضى الله عنه – قال : وذكر الدَّرَاوَرْدِىّ : أنه استخلف عام تَبُوك سِبَاعَ بن عُرْفُطَة ، زاد محمد بن عمر – بعد حكاية ما تقدم – ويقال ابن أم مكتوم ، وقال : والثابت عندنا محمد بن مسلمة ، ولم يتخلف عنه فى غزوة غيرها ، وقيل : على بن أبى طالب ، قال أبو عمرو وتبعه ابن دحية : وهو الأثبت ، قلت : ورواه عبد الرزاق فى المصنف بسند صحيح عن سعد بن أبى وقاص – رضى الله عنه – ولفظه : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما خرج إلى تَبُوك استخلف على المدينة علىَّ بن أبى طالب ، وذكر الحديث .

وأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كلَّ بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواء وراية ، وأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – جيشه من الاستكثار من النعال ، وقال « إن الرجل لا يزال راكبا مادام مُنْتَعِلاً » وأمر أبا بكر – رضى الله عنه – أن يصلى بمن تقدمه – صلى الله عليه وسلم –

* * *

ذكر خروج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأين عسكر ؟ وخروج عبد الله ابن أبى معه مكرا ومكيدة ، ورجوعه أخزاه الله تعالى

قالوا : خرج رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فى رجب سنة تسع فعسكر – صلى الله عليه وسلم – فى ثَنِية الوَداع ومعه زيادة على ثلاثين ألفا ، قال ابن إسحاق ، ومحمد ابن عمر ، وابن سعد ، ورواه محمد بن عمر ونقله ابن الأمين عن زيد بن ثابت ، وروى الحاكم فى الإكليل عن معاذ ابن جبل قال : خرجنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفا ، ونقل الحاكم فى الإكليل عن أبى زرعة قال : كانوا بتبوك سبعين ألفا ، وجمع بين الكلامين بأن من قال : ثلاثين ألفا لم يَعُدّ التابع . ومن قال سبعين ألفا عدَّ التابع والمتبوع . وكانت الخيل عشرة آلاف فرس ، وقيل بزيادة ألفين .

وروى عبد الرزاق وابن سعد عن كعب بن مالك - رضى الله عنه - قال : خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى تبوك يوم الخميس ، وكانت آخر غزوة غزاها ، / ٣٣١ب وكان يستحب أن يخرج يوم الخميس ، وعسكرَ عبدُ الله بنُ أُبىّ معه على حِدَة ، عسكره أسفل منه نحو ذُباب ، قال ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وابن سعد : وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين . قال ابن حزم : وهذا باطل ، لم يتخلف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا ما بين السبعين إلى الثمانين فقط ، فأقام ابن أُبىّ ما أقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما سار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نحو تبوك تخلف ابن أُبىّ راجعا إلى المدينة فيمن تخلف من المنافقين ، وقال : يغزو محمد بنى الأصفر مع جهد الحال والحرّ والبلد / البعيد إلى ما لا طاقة له به ، يحسب محمدٌ ٥٧٣ت أن قتال بنى الأصفر معه اللعب ، والله لكأنى أنظر إلى أصحابه مقرنين فى الحبال ؛ إرْجَافا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبأصحابه .

قال عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب : خرج المسلمون فى غزوة تبوك الرجلان والثلاثة على بعير واحد . رواه البيهقى ، وخرج مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ناس من المنافقين لم يخرجوا إلا رجاء الغنيمة .

ولما رحل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ثنية الوداع عقد الألوية والرايات ، فدفع لواءه الأعظم إلى أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - ورايته العظمى إلى الزُّبَيْر ابن العوام ، ودفع راية الأوْس إلى أُسَيْد بن الحُضَيْر ، وراية الخزرج إلى أبى دُجَانة ، ويقال إلى الحُباب بن المنذر ، وأمر كل بطن من الأنصار أن يتخذ لواءً ، ورأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - برأس الثنية عبداً متسلحا ، فقال العبدُ : أُقاتل معك يا رسول الله فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ارجع إلى سيدك[1] لا تُقْتَلْ معى فتدخل النار ، ونادى منادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يخرج معنا إلا مُقْوٍ . فخرج رجــل على بَكْرٍ صَعْبٍ فَصَرَعه بالسُّوَيْدَاء ، فقال الناس : الشهيد الشهيد. فبعث رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - مناديا : لا يدخل الجنة عاصٍ .

---

(١) فى شرح المواهب ٣ : ٧٢ « ارجع إلى سيرتك » .

وكان دليله – صلى الله عليه وسلم – إلى تَبُوك علقمة بن الفَغْوَاء الخزاعى – رضى الله عنه .

* * *

ذكر تخلف أبى ذر الغفارى – رضى الله عنه – لما عجز بعيره ، وما وقع فى ذلك من الآيات

وروى ابن إسحاق عن ابن مسعود – رضى الله عنه – قال : لما سار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى تبوك جعل يتخلف عنه الرجل ، فيقولون : يارسول الله ، تخلَّف فلان ، فيقول « دعوه فإن يك فيه خيرٌ فَسيُلْحِقُهُ الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله تعالى منه » حتى قيل : يارسول الله ، تخلف أبو ذَرٍّ وأبطأ به بعيره ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « فإن يك فيه / خَيرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللهُ بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله تعالى منه » وتلَوَّمَ أبو ذر على بعيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره ، ثم خرج يتبع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ماشيا ، قال محمد بن عمر : قالوا : وكان أبو ذَرّ الغفارى يقول : أَبْطَأْتُ على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى غزوة تَبُوك من أجل بعيرى . [٣٣٢ أ]

وكان نِضْواً أعجف ، فقلت أعلفه أيّاما ثم ألحق برسول الله – صلى الله عليه وسلم – فعلفته أياما ، ثم خرجت فلما كنت بذى المروة أذمّ بى فَتَلَوَّمتُ عليه يوما فلم أر به حركة ، فأخذت متاعى فحملته . قال ابن مسعود : وأدرك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى بعض منازله ، قال محمد بن عمر : قال أبو ذَر : فطلعت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نصف النهار وقد أخذ[1] مِنِّىَ العطش ، فنظر ناظر من المسلمين فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم « كُنْ أَبَا ذَرٍّ » فلما تأمله القوم قالوا : يارسول الله ؛ هو والله أبو ذرٍّ ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : « رحم اللهُ أبا ذرٍّ ، يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده » فكان كذلك كما سيأتى فى المعجزات فى أبواب إخباره – صلى الله عليه وسلم – بأحوال رجال ، فلما قدم أبو ذرّ[2] على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أخبره خَبَرَه ، فقال

---

(١) فى ت ٢ : ٥٧٣ « وقد أخذنى العطش » .

(٢) واسمه مالك بن قيس بن ثعلبة بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن الخزرج – أبو خيثمة الانصارى . مشهور بكنيته (الإصابة لابن حجر ٣ : ٣٣٣) .

« قد غفر الله لك يا أبا ذَرّ بكل خطوة ذنبا إلى أن بلغتنى » ووضع متاعه عن ظهره ، ثم استقى فأتى بإناء من ماء فشربه .

* * *

قصة أبى خيثمة ـــ رضى الله عنه

روى الطبرانى عن أبى خيثمة ـ رضى الله عنه ـ وابن إسحاق ، ومحمد بن عمر عن شيوخهما قالوا : لما سار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيَّاما دخل أبو خيثمة على أهله فى يوم حار ، فوجد امرأتين له فى عريشين لهما فى حائطه ، وقد رشت كل منهما عريشها وبَرَّدَت له فيه ماء ، وهيأت له فيه طعاما ، فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له فقال : سبحان الله ! رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فى الضِّحِّ والريح والحر يحمل سلاحه على عنقه وأبو خيثمة فى ظل بارد وطعام مهيأ ، وامرأة حسنة ، فى ماله مقيم ؟!! ماهذا بالنَّصَف ! ثم قال : والله لا أدخُلُ عريشَ واحدةٍ منكما حتى ألحق برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَهَيِّئا لى زاداً ، فَفَعَلَتَا ، ثم قَدَّم نَاضِحَه فَارْتحَلَه ، ثم خرج فى طلب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ / حتى أدركه حين نزل تَبُوك ، وقد كان أدرك أبا خيثمة عُمَيْرُ بن وهب الجُمَحى فى الطَّريق يَطْلُبُ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتَرَافَقَا حتَّى إذا دَنَوا من تَبُوك قال أبو خَيْثَمَة لعُمَيْر بن وَهْب : إنَّ لى ذنبا فلا عليك أن تَخَلَّفَ عنى حتى آتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ففعل ، حتى إذا دنا من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال النَّاسُ : هذا راكب [على الطريق][1] مُقْبِلٌ ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « كُنْ أبَا خَيْثَمة » فقال رجلٌ : هو والله يا رسول الله أبو خَيْثمة ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أَوْلَى لَكَ يا أبا خَيْثَمَة » ثم أخبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الخبر ، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : خيرا ، ودعا له بخير ، قال ابن هشام : وقال أبو خيثمة فى ذلك :

٣٣٢ب

لمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فى الدين نَافَقُـــــوا ... أَتَيْتُ التى كَانَتْ أَعَفَّ وَأَكْرَمَـا[2]

وبَايَعْتُ باليُمْنَى يَـــدِى لمحمـــدٍ ... فَلَمْ أَكْتَسِب إثْما وَلَمْ أَغْشَ مَحْـرَمَا

---

(١) إضافة عن البداية والنهاية لابن كثير ٥ : ٨ .

(٢) وانظر القصيدة فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣١٨ ط الجمالية سنة ١٩١٤ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٥ : ٨ .

تركتُ خَضِيبا فى العريش وصِرمَةً ... صَفًا يَا كِرَامًا بُسْرُهَا قد تَحَمّما
وكنتُ إِذَا شَكَّ المنافقُ أسْمَحَتْ ... إلى الدّين نَفْسِي شَطْرَهُ حيثُ يَمّمَا

* * *

ذكر اخباره – صلى الله عليه وسلم – بما قاله جماعة من المنافقين الذين خرجوا معه

قال محمد بن إسحاق ، ومحمد بن عمر – رحمهم الله تعالى – كان رهط من المنافقين يسيرون مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم يخرجوا إلا رجاءَ الغنيمة : وَدِيعَة بن ثابت أخو بنى عمرو بن عوف .

والجُلاس بن سويد بن الصامت .

ومُخَشّنُ[1] بالنون – قال أبو عمرو وابن هشام مَخْشِي بالتحتية[2] – ابن حُمَيِّر من أشجع ، حليف لبنى سلمة ، زاد محمد بن عمر : وثعلبة بن حاطب .

فقال بعضهم لبعض ، عند محمد بن عمر : فقال ثعلبة بن حاطب : أتحسبون جلاد بنى الأصفر كجلاد العرب بعضهم بعضا ، لكأنى بكم غدا مقرنين فى الحبال ؛ إرْجافا برسول الله – صلى الله عليه وسلم – وإرهابا[3] للمؤمنين .

وقال الجُلاس بن عمرو ، وكان زوج أم عُمَيْر ، وكان ابنها عُمَيرٌ يتيما فى حِجْره : والله لئن كان محمد صادقا لنحن شَرٌّ من الحمير ، فقال عُمَيْر : فأنت شرٌّ من الحمير ، ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – صادق وأنت الكاذب ، فقال مُخَشّنُ بن حُمَيِّر : والله لَوِدِدْتُ أن أُقَاضِيَ على أن يُضْرَب كُلُّ رجل مِنّا مائة جلدة ، وإننا نَنْفَلِت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه !!

فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لعمّار بن ياسر « أدرك القوم فإنهم قد احترقوا ، فاسألهم عما قالوا ، فإن أنكروا فقل بَلَى قلتم كذا / وكذا » فانطلق عمّار ٣٣٣ أ

(١) مخشن : بالنون كذا هنا . وسيرد فى شرح الغريب ص ٦٩٨ « بفتح الميم وسكون الخاء وكسر الشين المعجمة بعدها ياء كياء النسب » وفى المغازى للواقدى ٣ : ١٠٠٣ « مخشن بن حمير من أشجع حليف لبنى سلمة » .

(٢) فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣١٩ ط الجمالية « ومنهم رجل حليف لبنى سلمة يقال له مخشن بن حمير – قال ابن هشام : ويقال مخشى » .

(٣) كذا فى ت ، وفى بقية النسخ « ترهيباً » وتوافقها السيرة الحلبية ٣ : ١٤٩ وسيرة النبى لابن هشام ٣ : ١٣٨ والمغازى للواقدى ٣ : ١٠٠٣ .

إليهم فقال لهم ذلك ، فأتوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعتذرون إليه ، فقال وديعة ابن ثابت ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – على ناقته وقد أخذ وديعة بن ثابت بِحَقَبِهَا ورجلاه تسفيان الحجارة وهو يقول : يارسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُون * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ...إلخ ﴾[1] وحلف الجُلاَس ما قال من ذلك شيئا ، فأنزل الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَحْلِفُون بِاللهِ ما قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لم يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إلا أَنْ أَغْنَاهُمُ الله وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾[2]

وقال مُخَشِّنٌ : يارسول الله ، قعد بى اسمى واسم أبى ، فَسَمَّاه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عبد الرحمن أو عبد الله ، وكان الذى عُفِىَ عنه فى هذه الآية ، وسأل الله تعالى أن يُقْتَل شَهيداً ولاَ يُعلم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة ، ولم يعرف[3] له أثر .

* * *

ذكر نزوله – صلى الله عليه وسلم – بذى المروة ، وما وقع فى ذلك من الآيات

روى الطبرانى عن عبد الله بن سلام – رضى الله عنه – : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما مرّ بالخليجة[4] فى سفره إلى تبوك قال له أصحابه : المبرك يارسول الله الظل والماء – وكان فيها دَوْمٌ وماء ، فقال « إنها أَرض زَرْع نَفرٍ ، دعوها فإنها مأمورةٌ – يعنى ناقته – فأَقبلت حتى بركت تحت الدومة التى كانت فى مسجد ذى المروة .

---

(١) سورة التوبة الآيتان ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) سورة التوبة آية ٧٤ .

(٣) فى ت ٢ : ٥٧٥ « فلم يوجد له أثر » وكذلك فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣١٩ ط الجمالية . والمغازى للواقدى ٣ : ١٠٠٥ .

(٤) الخليجة : كذا فى الأصول ووردت كذلك فى شرح الغريب ولكن المصنف لم يعرف بها . ولم أعثر عليها بهذا الرسم فى المراجع الميسرة . وفى وفاء الوفا ٤ : ١٢٠٤ «الخليقة منزل على اثنى عشر ميلا من المدينة بينها وبين ديار سليم » وفى ٣ : ١٠٢٩ فى مساجد تبوك تحدث السمهودى عن مسجد ذى الخليقة وقال لم أرمن جمعه إلا المجد وقال إنه بكسر الخاء المعجمة وقيل بفتحها وقيل بجيم مكسورة وقيل بحاء مهملة مفتوحة واقتصر فى أسماء البقاع على كسر الجيم . وقال فى ٣ : ١٠٣١ عن مسجد ذى المروة « قال المطرى وهو على ثمانية برد من المدينة : وكان بها عيون ومزارع وبساتين » وقال فى نفس الصفحة « مسجد ذى خشب على مرحلة من المدينة ، ولفظ رواية ابن زبالة : أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى تحت الدومة التى فى حائط عبد الله بن مروان بذى خشب وفى سنن أبى داود أن النبى صلى الله عليه وسلم نزل فى موضع المسجد تحت دومة فأقام ثلاثا ثم خرج إلى تبوك » .

ذكر مروره – صلى الله عليه وسلم – بوادى القرى

قال أبو حميد الساعدى – رضى الله عنه –:خرجنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عام تبوك حتى جئنا وادى القُرَى ، فإذا امرأة فى حديقة لها ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه « اخْرُصُوا » فَخَرَصَ القَوْمُ وخَرَص رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عشرة أَوْسُق ، وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للمرأة « احْفظى ما يخرج منها حتى أرجع إليك إن شاء الله تعالى » ولما أقبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من غزوة تبوك إلى وادى القُرَى قال للمرأة « كم جاءت حديقتك ؟ » قالت : عشرة أَوْسُق » خَرْص رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رواه ابن أبى شيبة ، والإمام أحمد ، ومسلم .

قال محمد بن عمر : ولما نزل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وادى القرى أهدى له بنو عَريض اليهودى هَرِيسةً[1] فأكلها وأطعمهم أربعين / وَسْقا ، فهى جارية عليهم ٣٣٣ب إلى يوم القيامة / قال محمد بن عمر : فهى جارية عليهم إلى الساعة . ٥٧٦ت

* * *

ذكر نزوله – صلى الله عليه وسلم – بالحجر ، وما وقع فى ذلك من الآيات

روى الإمام مالك ، وأحمد ، والشيخان عن عبد الله بن عمر ، والإمام أحمد عن جابر ابن عبد الله ، والإمام أحمد بسند حسن عن أبى كبشة الأنمارى ، وابن إسحاق عن رواية ابن يونس عن الزهرى ، والإمام أحمد عن أبى حميد الساعدى رضى الله عنهم : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما مرّ بالحِجْر تقنع بردائه وهو على الرحل ، فاتضع راحلته حتى خَلَّف أبيات ثمود ، ولما نزل هناك سارع النَّاس إلى أهل الحِجْر يدخلون عليهم ، واستقى الناس من الآبار التى كانت تشرب منها ثمود ، فعجنوا ونصبوا القُدُور باللحم ، فبلغ ذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فنودى فى الناس : الصلاة جامعة ، فلما اجتمعوا قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم ، ولا تشربوا من مائها ولا تتوضئوا منه للصلاة ، واعلفوا العجين الإبل » ثم ارتحل بهم حتى نزل على العين التى كانت تشرب

---

(١) الهريسة : سميت بذلك لأن البر الذى هى منه يدق ثم يطبخ (اللسان) وفى المنجد : الهريسة طعام يعمل من الحب المدقوق واللحم .

منها الناقة ، وقال : « لا تسألوا الآيات . فقد سألها قومُ صالح ؛ سألوا نبيّهم أن تبْعث آية ، فبعث الله تبارك وتعالى لهم الناقة ، فكانت تَرِدُ هذا الفجّ وتصدر من هذا الفج ، فَعَتَوْا عن أمر ربهم فعقروها ، وكانت تشرب مياههم يوما ، ويشربون لبنها يوما ، فعقروها فأخذتهم صيحة أهْمَدَ الله تعالى مَنْ تحت أديم السماء منهم إلا رجلا واحداً كان فى حرم الله تعالى ، قيل : مَنْ هُوَ يا رسول الله ؟ قال « أبو رِغال » فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه ، ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم » فناداه رجل منهم : تعجب منهم ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « ألا أنبئكم بأعجب من ذلك ؟ رجل من أنفسكم فينبئكم بما كان قبلكم وما هو كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا ؛ فإن الله تعالى لا يعبأ بعذابكم شيئا ، وسيأتى الله بقوم لا يدفعون عن أنفسهم بشىء ، وإنها ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقومن أحد ، ومن كان له بعير فليوثق عقاله ، ولا يخرجن أحد منكم إلا ومعه صاحب له ؛ [(1) ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا رجلين من بنى ساعدة ، خرج أحدهما لحاجته والآخر فى طلب بعيره ، فأما الذى خرج لحاجته فإنه خنق على مذهبه – أى موضعه – وأما الذى خرج فى طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلى طيِّء اللذين يقال لأحدهما أجا ويقال للآخر سلمى ، فأخبر بذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : ألم أنهكم عن أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه](1) ثم دعا للذى أُصيب على مذهبه فشفى ، وأما الآخر فإن طيئا أهدته لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين رجع إلى المدينة .

* * *

ذكر استسقائه – صلى الله عليه وسلم – ربه حين شكوا اليه العطش ، وما وقع فى ذلك من الآيات

روى البيهقى عن عبد الله بن محمد بن عَقِيل بن أبى طالب / رحمه الله تعالى – ٣٣٤ أ قال : خرج المسلمون إلى تَبُوك فى حر شديد فأصابهم يوم عطش حتى جعلوا ينحرون إبلهم ليعصروا أكراشها ويشربوا ماءها ، فكان ذلك عُسْرة فى الماء ، وعُسْرة فى النفقة ، وعُسْرة فى الظهر ، وروى الإمام أحمد وابن خزيمة ، وابن حبان ، والحاكم عن عمر

(١ – ١) ما بين الرقين سقط فى الأصول ، والمثبت عن شرح المواهب للزرقانى ٣ : ٧٣ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٥ : ١١ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١٢٦ .

ابن الخطاب رضى الله عنه ، وابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال عمر : خرجنا إلى تبوك فى يوم قيظ شديد ، فنزلنا منزلا وأصابَنا فيه عطش حتّى ظننا أن رقابنا ٥٧٧ت ستنقطع حتّى أن كان الرجل يذهب يلتمس الرجل فلايرجع / حتى يظن أن رقبته ستقطع حتّى أن كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فَرْثَه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، إن الله عزّ وجل قد عوّدك فى الدعاء خيرا ، فادع الله تعالى لنا ، قال « أتحب ذلك ؟ » قال نعم فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأظلت ثم سكبت ، فملئوا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر ، وروى ابن أبى حاتم عن أبن حَزْرَة – رحمه الله تعالى – قال : نزلت هذه الآية فى رجل من الأنصار فى غزوة تبوك .

ونزلوا الحجر فأمرهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم : أن لا يحملوا من مائها شيئا ثم ارتحل ، ثم نزل منزلا آخر وليس معهم ماء ، فشكوا ذلك إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقام فصلى ركعتين ، ثم دعا فأرسل الله سبحانه وتعالى سحابةً فأمطرت عليهم حتى استقوا منها ، فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه يُتَّهَم بالنفاق : ويحك قد ترى مادعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأمطر الله علينا السماء ، فقال : إنما أمطرنا بنوء كذا وكذا ، فأنزل الله تعالى : (وتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُون)[1] ذكر ابن إسحاق أن هذه القصة كانت بالحِجْر ، وروى عن محمود بن لبيد عن رجال من قومه قال : كان رجل من المنافقين[2] معروفٌ نفاقه يسير مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حيثما سار ، فلما كان من أمر الحِجْر ما كان ، ودعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين دعا فأرسل الله تعالى السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس ، قالوا أقبلنا عليه نقول ويحك ، هل بعد هذا شيء ؟ قال : سحابة مارة .

* * *

ذكر إضلال ناقة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وما وقع فى ذلك من الآيات

٣٣٤ب /قال محمد بن إسحاق ، ومحمد بن عمر – رحمهم الله تعالى : ثم إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سار حتى إذا كان ببعض الطريق متوجها إلى تبوك فأصبح فى منزل

(١) سورة الواقعة آية ٨٢ .

(٢) فى المغازى للواقدى ٣ : ١٠٠٩ « هو أوس بن قيظى ، ويقال زيد بن اللصيت » .

فضَلّت ناقةُ رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم – قال محمد بن عمر : هى القصواء – فخرج أصحابه فى طلبها وعند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عمارة بن حزم ، وكان عقبيا بدريا ، قتل يوم اليمامة شهيدا ، وكان فى رحله زيد بن اللُّصَيْت ، أحد بنى قينقاع ، كان يهوديا فأسلم فنافق، وكان فيه خبث اليهود وغشهم ، وكان مظاهراً لأهل النفاق ، فقال زيد وهو فى رحل عُمَارة بن حزم ، وعُمارة عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم : محمد يزعم أنه نبى وهو يخبركم عن خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته !! فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم وعمارة عنده : «إن منافقا قال: هذا محمد يزعم أنه نبى ويخبركم بأمر السماء ولا يدرى أين ناقته ، وإنى والله لا أعلم إلا ما علمنى الله تعالى ، وقد دلنى الله عز وجل عليها ، وهى فى الوادى فى شعب كذا وكذا – لشعب أشار لهم إليه – حبستها شجرة بزِمَامِها ، فَانْطَلِقُوا حتى تأتونى بها » فذهبوا فجاءُوا بها . قال محمد بن عمر – رحمه الله تعالى – الذى جاء بها الحارث بن خزيمة الأشهلى[1]، فرجع عُمَارة إلى رحله فقال : والله، العجب لِشَىْءٍ حَدَّثَنَاه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – آنفا عن مقالة قائل أخبره الله/ تعالى عنه ، قال كذا وكذا للذى قال زيد ، فقال رجل ممن كان فى ٥٧٨ رحل عمارة – قال محمد بن عمر : وهو عمرو بن حزم أخو عمارة – ولم يحضر رسول الله – صلى الله عليه وسلم : زيدٌ – والله – قائل هذه المقالة ، قبل أنْ تطلع علينا . فأقبل عُمَارة على زيد يجأ فى عنقه ، ويقول : يا عباد الله ، إن فى رحلى لَدَاهِيَةً وما أشعر ، أخرج يا عدو الله من رحلى فلا تصحبنى . قال ابن إسحاق : زعم بعض الناس أن زيداً تاب بعد ذلك ، وقال بعض الناس : لم يزل متهما بشرٍّ حتى هلك .

* * *

ذكر اقتدائه – صلى الله عليه وسلم – بعبد الرحمن بن عوف فى صلاة الصبح

روى ابن سعد بسند صحيح عن المغيرة بن شعبة – رضى الله عنه – قال : لما كنا فيما بين الحِجْر وتبوك ذهب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لحاجته وكان إذا ذهب أبعد ، وتبعته بماء بعد الفجر » وفى رواية قبل الفجر » فأسفر الناس بصلاتهم ، وهى صلاة الفجر حتى خافوا الشمس ، فقدموا عبد الرحمن بن عوف – رضى الله عنه – فصلى بهم فحملت مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إداوة فيها ماء ، وعليه جبة رومية/ ٣٣٥أ

(١) فى المغازى للواقدى ٣ : ١٠١٠ « الحارث بن خزمة الأشهلى » .

من صوف ، فلما فرغ صببت عليه فغسل وجهه ، ثم أراد أن يغسل ذراعيه فضاق كم الجبة فأخرج يديه من تحت الجبة فغسلهما ، فأهويت لأنزع خفيه ، فقال : « دعهما فإنى أدخلتهما طاهرتين » فمسح عليهما ، فانتهينا إلى عبد الرحمن بن عوف ، وقد ركع ركعة ، فسبّح الناس لعبد الرحمن بن عوف حين رأوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى كادوا يُفْتَنُون ، فجعل عبد الرحمن يريد أن ينكص وراءه ، فأشار إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن اثْبتْ ، فصلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خلف عبد الرحمن بن عوف ركعة ، فلما سلم عبد الرحمن تواثب الناس ، وقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقضى الركعة [الباقية][1] ثم سلم بعد فراغه منها ، ثم قال : « أحسنتم ، أو – قد أصبتم – فغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها – إنه لم يُتَوَفَّ نبيٌّ حتى يؤمَّه رجل صالح من أمته » ورواه مسلم بنحوه .

* * *

ذكر حكومته – صلى الله عليه وسلم – فى رجل غض آخر فانتزع ثنيته

عن يَعْلى بن أميّة – رضى الله عنه – أُتِىَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بأجير له نازَعَ رجلا من العسكر فعضه ذلك الرجل فانتزع الأجير يده من فم العاضّ فانتزع ثنيته . فلزمه العاضُّ فبلغ به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقمت مع أجيرى لأنظر ما يصنع ، فأتى بهما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال أيعمد أحدكم فَيَعَضُّ أخاه كما يَعَضُّ الفحل » فأبطل رسول الله – صلى الله عليه وسلم –ما أصاب من ثنيته ، وقال « أَفَيَدَعُ يَدَه فى فيك تقضمها كأنها فى فم فحل يقضمها ؟)» رواه البخارى وغيره .

* * *

ذكر اردافه – صلى الله عليه وسلم – سهيل بن بيضاء

عن سهيل بن بيضاء – رضى الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أردفه على رَحْله فى غزوة تبوك ، قال سهيل ورفع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صوته « ياسهيل » كل ذلك يقول سهيل : يا لبيك يارسول الله – ثلاث مرات – حتى عرف الناس أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يريدهم فانثنى عليه مَن أمامه ولحقه مَنْ خَلْفَه مِنَ / النّاس ، ٥٧٩ت فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « من يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حرمّه الله على النار » رواه الإمام أحمد والطبرانى ومحمد بن عمر .

---

(١) الإضافة عن المغازى للواقدى ٣ : ١٠١٢ .

ما ذكر ان حية عظيمة عارضت الناس فى مسيرهم ان صح الخبر

ذكر محمد بن عمر ، وأقرّه أبو نعيم فى الدلائل ، وابن كثير فى البداية ، وشيخنا فى الخصائص الكبرى قال : عارض الناس فى مسيرهم حَيّةٌ - ذُكِر مِنْ عظمها وخَلْقِها / ٣٣٥ب فانصاع الناس عنها ، فأقبلت حتى واقفت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو على راحلته طويلا والناس ينظرون إليها ، ثم التوت حتى اعتذلت الطريق ، فقامت قائمة [فأقبل الناس][1] حتى لحقوا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال : « هل تَدْرُون مَنْ هذا ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال هذا أحد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا إلى يستمِعون القرآن ، فرأى عليه من الحق - حين ألَمّ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يسلم عليه ، وها هو يقرئكم السلام ، فَسَلِّمُوا عليه » فقال الناس جميعاً : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته .

* * *

ذكر نزوله - صلى الله عليه وسلم - بتبوك وما وقع فى ذلك من الآيات

روى الإمام مالك ، وابن إسحاق ، ومسلم عن مُعَاذ بن جبل والإمام أحمد برجال الصحيح عن حذيفة - رضى الله عنهما - قال معاذ : إنه خرج مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عام تبوك قال : فكان يجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء ، قال : فأخر الصلاة يوما ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعا ، ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعا ، ثم قال : « انكم ستأتون غدا إن شاء الله تعالى - عين تَبُوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتى » وفى حديث حذيفة « بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن فى الماء قِلَّة ، فأمر مناديا ينادى فى الناس أن لا يسبقنى إلى الماء أحد » ، قال فجئناها وقد سبق إليها رجلان،والعين مثل الشراك تَبِضّ بشىء من مائها ، فسألهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « هل مَسَسْتُمَا من مائها شيئا » قالا : نعم. فسبّهما وقال لهما « ما شاء الله أن يقول ، ثم غرفوا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع فى شَنٍّ ، ثم غسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيه وجهه ويديه ومضمض ثم أعاده فيها ، فجرت العين بماء كثير . ولفظ ابن إسحاق

---

(١) الإضافة عن المغازى للواقدى ٣ : ١٠١٥ .

فانخرق الماء حتى كان يقول من سمعه : إنّ له حِسًّا كحس الصواعق.وذلك الماء فوارة تبوك. انتهى ، فاستسقى الناس ، ثم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : « يا معاذ يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا مُلِئَ جنانا » .

وروى البيهقى وأبو نعيم عن عروة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – حين نزل تبوك – وكان فى زمان قلّ ماؤها فيه، فاغترف غرفة بيده من ماء فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها، ففارت عينها حتى امتلأت . فهى كذلك حتى الساعة .

وروى الخطيب فى كتاب الرواة عن الإمام مالك عن جابر – رضى الله عنه – قال : ٣٣٦ أ انتهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى تبوك وعينها تبضّ / بماء يسير مثل الشراك فشكونا العطش ، فأمرهم فجعلوا فيها مادفعها إليهم فجاشت بالماء ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لِمُعَاذ : « يُوشِكُ يَا مُعَاذ إنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أن تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِىءَ جنانا » .

* * *

ذكر نومه – صلى الله عليه وسلم – حتى طلعت الشمس قبل وصوله الى تبوك

روى البيهقى عن عقبة بن عامر – رضى الله عنه – قال : خرجت مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى غزوة تبوك ، فلما كان منها على ليلة استرقد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رُمْح « قال ألَم أَقُلْ لك يَا بِلالُ اكْلأْ لَنا الْفَجْرَ » فقال : يارسول الله ذهب بى النومُ ، وذهب بى مثل الذى ذهب بك ، قال : فانتقل رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – من منزله غير بعيد ، ثم صلى ، وسار مسرعا بقية يومه وليلته فأصبح بِتَبُوك .

* * *

ذكر نزوله – صلى الله عليه وسلم – تبوك واتخاذه مسجدا

قال شيوخ محمد بن عمر : لما انتهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى تبوك وضع حجرا قبلة مسجد تبوك وأومأ بيده إلى الحجر وما يليه ثم صلى بالناس الظهر ، ثم أقبل عليهم فقال : « ما هاهنا شام ، وما هاهنا يمن » .

وروى الإمام أحمد : خطب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عام تبوك وهو مسند ظهره إلى نخلة فقال :

« ألا أُخبركم بخير الناس وشر الناس ، إن من خير الناس رجلا يحمل فى سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت . وإن من شر الناس رجلا فاجراً [جريئا][1] يقرأ كتاب الله لا يرعوى إلى شىء منه » .

وروى البيهقى عن عقبة بن عامر – رضى الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم لما أصبح بتبوك حمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « أيها الناس أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العُرَى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة إبراهيم ، وخير السنن سنة محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص[2] القرآن ، هذا وخير الأُمور عوازمها ، وشر الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدى هدى الأَنبياء ، وأشرف الموت[3] قتل الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة / بعد الهدى ، وخير الأَعمال ما نفع[4] ٣٣٦ب وشر العمى عمى القلب ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قلّ وكفى خير مما كثُر وأَلْهَى ، وشرُّ المعذرة حين يَحْضُر الموت ، وشر النَّدامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتى الجمعة إلا دُبرا ، ومنهم من لا يذكر الله إلا هُجْراً ، ومن أَعظم الخطايا اللسان الكذاب ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل ، وخير ما وَقرَ فى القلوب اليقين ، والارتياب من الكفر ، والنِّياحة من أعمال الجاهلية ، والغلول من جُثَى[5] جهنم ، والسُّكْرُ كَيّة من النار ، والشعر من إبليس ، والخمر جماع الإثم ، والنِّساء حِبَالة الشيطان ، والشَّباب شُعْبَة من الجنون ، وشرّ المكاسب كَسْبُ الرِّبا ، وشر المأْكل مال اليتيم ، والسعيد من وُعِظَ بغيره ، والشقى من شَقِىَ فى بَطْن أمه ، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع ، والأَمر إلى الآخرة ، وملاك العمل خواتمه ، وشر الرؤيا رؤيا الكذب ، وكل ما هو آت قريب ، وسباب المؤمن فسوق ، وقتال المؤمن كفر ، وأكل لحمه من معصية الله عز وجل ، وحرمة ماله كحرمة دَمِه ، ومن يَتَأَلَّ

---

(١) الإضافة عن البداية والنهاية ٥ : ١٣ .

(٢) فى المرجع السابق « وأحسن القصص هذا القرآن » .

(٣) فى المغازى للواقدى ٣ : ١٠١٦ « وأشرف القتل قتل الشهداء » وماهنا يوافق رواية ابن كثير فى البداية والنهاية ٥ : ١٣ .

(٤) فى المرجعين السابقين « وخير الأعمال مانفع ، وخير الهدى ما اتبع » .

(٥) كذا هنا وفى شرح الغريب ص ٧٠٣ – وفى المغازى للواقدى ٣ : ١٠١٦ « والغلول من جمر جهنم » وفى البداية والنهاية ٥ : ١٣ « والغلول من حثاء جهنم »

على الله يكَذِّبه ، ومن يَغْفِرْ يُغْفَرْ له ، ومن يَعْفُ يُعْفَ عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجره الله ، ومن يصبر على الرَّزيّة يعوضه الله ، ومن يبتغ السُّمعة يُسمِّع الله به ، ومن يصبر يضعِّف الله له ، ومن يعص الله يعذبه الله . اللهم اغفر لى ولأُمّتى – قالها ثلاثا – استغفر الله لى ولكم »[1] .

وذكر ابن عائذ – رحمه الله تعالى – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نزل تبوك فى زمان قلّ ماؤها فيه ، فاغترف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – غرفة بيده من مائها فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت حتى امتلأت ، فهى كذلك حتى الساعة .

* * *

ذكر من استعمله – صلى الله عليه وسلم – على الحرس بتبوك

قال شيوخ محمد بن عمر : استعمل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على حرسه بتبوك من يوم قدم إلى أن رحل منها عَبّاد – بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة – بن بشر – بكسر الموحدة – رضى الله عنه – فكان عَبّاد يطوف فى أصحابه على العسكر ، فغدا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوما فقال : يارسول الله ، ما زلنا نسمع صوت تكبيرٍ من ورائنا حتى أصبحنا ، أفولَّيْتَ أحَدَنا يطوف على الحرس ؟ قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « ما فَعَلتُ ، ولكن عسى أن يكون بعض المسلمين انتدب » فقال سِلْكَان – بكسر السين المهملة وسكون اللام – بن / سلامة : يارسول الله ، خرجتُ فى عشرة من المسلمين على خيلنا فكنا نحرس الحرس . فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم « رحم الله حرس الحرس فى سبيل الله ، ولكم قيراط من الأجر على كل من حرستم من الناس جميعا أو دابة » .

٣٣٧ أ

* * *

ذكر أكله – صلى الله عليه وسلم – من جبن أهداه له أهل الكتاب بتبوك

عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : أتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بجبنة فى تبوك فدعا بالسكين[2] فسمّى وقطع ، رواه أبو داود .

---

(١) قال ابن كثير فى البداية والنهاية ٥ : ١٤ « وهذا حديث غريب وفيه نكارة وفى إسناده ضعف . والله أعلم بالصواب .

(٢) والذى فى المغازى للواقدى ٣ : ١٠١٩ « وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبنة بتبوك فقالوا يارسول الله : إن هذا طعام تصنعه فارس ، وإنا نخشى أن يكون فيه ميتة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضعوا فيه السكين واذكروا اسم الله » وهذا الحديث ، والذى معنا لايدلان على أكله صلى الله عليه وسلم من الجبن كما جاء فى العنوان .

ذكر دعائه – صلى الله عليه وسلم – على غلام مر بينه وبين القبلة وهو في الصــلاة

روى الإمام أحمد ، وأبو داود عن يزيد بن نِمْرَان – بكسر النون – وسكون الميم – قال : رأيت رجلا بتبوك مقعداً ، فقال : مررت بين يدى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأنا على حمار ، وهو يصلى فقال « اللهم اقطع أثره » فما مشيت عليها بعده[1] .

وروى أيضا عن سعيد بن غزوان – بفتح المعجمة وسكون الزاى عن أبيه – أنه نزل بتبوك وهو حاج فإذا رجل مقعد قال : فسألته عن أمره فقال : سأحدثك حديثا فلا تحدث به ما سمعت أنى حى ، إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نزل بتبوك إلى نخلة فقال : هذه قبلتنا ، ثم صلى إليها ، فأقبلت وأنا غلام أسعى حتى مررت بينه وبينها ، فقال : « قطع صلاتنا قطع الله أثره » فما قمت عليها إلى يومى هذا .

* * *

ذكر الآية فى التمر والأقط الذى جاء بهما بلال بتبوك

روى محمد بن عمر عن شيوخه قالوا : قال رجل من بنى سعد[2] هُذَيْم : جئت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو جالس بتَبُوك فى نفرٍ فقال « يا بلال أطعمنا » . فبسط بلالُ نِطْعا ثم جعل يخرج من حميت له فأخرج خرجات بيده من تمر معجون بسمن / وأقط ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: « كلوا » فأكلنا حتى شبعنا ، ٥٨٢ت فقلت : يارسول الله ، إن كنتُ لآكل هذا وحدى ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « الكافر يأكل فى سبعة أمعاء والمؤمن يأكل فى معاء واحد » ، ثم جئت فى الغد متحينا لغدائه لأزداد فى الإسلام يقينا ، فإذا عشرة نفرٍ حوله فقال : « هات أطعمنا يا بلال » فجعل يُخْرِج مِن جراب تمراً بكفه قبضةً قبضة فقال : « أَخْرِج ولا تَخْش من ذى العرش / إقلالا[3] » فجاءَ بالجراب ونشره . فقال : فحزرته مُدَّيْنِ ، فوضع رسول ٢٣٧ب الله – صلى الله عليه وسلم – يده على التَّمْر وقال : « كلوا باسم الله » فأكل القوم وأكلت معهم ، وأكلت حتى ما أجد له مسلكا . قال : وبقى على النطع مثل الذى جاءَ به بلال كأنا لم نأكل منه تمرة واحدة . قال : ثم غَدَوْتُ من الغدوعاد نَفَرٌ فكانوا عشرة

---

(١) فى الأصول « فما مشيت عليه » والمثبت عن البداية والنهاية ٥ : ١٤ .

(٢) فى المغازى للواقدى ٣ : ١٠١٧ « قال رجل من بنى سعد بن هذيم » بإضافة ابن من المحقق إلى الأصول .

(٣) فى ت ، م « ولا تخشين من ذى العرش إقتاراً » والمثبت من ط و ص .

أو يزيدون رَجُلاً أَوْ رَجُلين . فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « يا بلال أطعمنا » فجاء بلال بذلك الجراب بعينه ؛ أعرفه ، فنثره ، ووضع رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – يده عليه وقال : « كلوا باسم الله » فأكلنا حتى نهلنا ثم رجع مثل الذى صُبَّ ففعل ذلك ثلاثة أيام .

قصة أخرى : روى محمد بن عمر ، وأبو نعيم ، وابن عساكر عن عِرْبَاض بن سَارِية – رضى الله عنه – قال : كنت ألزم بَابَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى الحضر والسفر ، فرأيتنا ليلة ونحن بتبوك وذهبنا لحاجة فرجعنا إلى منزل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقد تعشى ومن مَعَه من أضيافه ، ورسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – يريد أن يدخل قبته – ومعه زوجته أم سلمة – فلما طلعتُ عليه قال : أين كنت منذ الليلة ؟ فأخبرته ، فطلع جِعَال بن سُرَاقة وعبد الله بن مُغَفَّل المُزَنِىّ فكُنَّا ثلاثة كلنا جائع إنما نغشى[1] بَاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فدخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم [البيت][2] فطلب شيئا نأكله فلم يجده ، فخرج إلينا فنادى : « يا بلال هل من عشاء لهؤلاء النفر » فقال : والذى بعثك بالحق لقد نفضنا جُرُبَنا وحُمُتنا ، قال : « انظر عسى أن تجد شيئا » ، فأخذ الْجُرُبَ ينفضها جِرَابا جِرَابا ، فتقع التمرة والتمرتان حتى رأيت فى يده سبع تمرات ، ثم دعا بصحفة فوضع التمر فيها ، ثم وضع يده على التَّمرات ، وسمّى الله – تعالى – فقال : « كُلُوا بِاسْمِ اللهِ » فأكلنا ، فحصيت أربعا وخمسين تَمْرة ، أَعُدُّهَا عَدًّا ونواها فى يدى الأُخرى ، وصاحباى يَصْنَعَان مثل ما أصنع ، وشبعنا ، فأكل كل واحد منَّا خمسين تمرة ، ورفعنا أيدينا فإذا التمرات السبع كما هى . فقال : « يَا بِلاَل ارْفَعْهَا فإنَّه لا يَأْكُلُ منها أحدٌ إلاَّ نهل شبعا » فلما أصبح رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – صلى صلاة الصبح ثم انصرف إلى فناء قُبّته فجلس وجلسنا حوله ، فقرأ من « المؤمنون » عشرا فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « هَلْ لَكُم فِى الغَدَاء ؟ » قال عِرْبَاض : فجعلت أقول فى نفسى أى غداء ، فدعا بلالا بالتمرات ، فوضع يده عليهن فى الصحفة ، ثم قال : « كلوا بسم الله » فأكلنا – فوالذى

(١) فى المغازى للواقدى ٣ : ١٠٣٦ « إنما نعيش بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
(٢) الإضافة عن المرجع السابق .

بعثه بالحق – حتى شبعنا وإنا لعشرة ، ثم رفعوا أيديهم منها شبعا وإذا التمرات كما هى ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم « لولا أنى أستحى من ربى لأكلنا من هذا التمر حتى نردَ المدينة عن آخرنا ، وطلع عليهم غلام من أهل البدو فأخذ رسول الله – صلى الله عليه وسلم التّمْرات بيده فدفعها اليه فَولى الغلام يلوكهن .

* * *

ذكر طوافه – صلى الله عليه وسلم – على الناس بتبوك

قال شيوخ محمد بن عمر : كان رجلٌ من بنى عذرة يقال له عَدِى يقول : جئت رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – بتبوك فرأيته على ناقة حمراء يطوف على الناس ، يقول « يا أيها الناس ، يد الله فوق يد المعطى ويد المُعْطِى الوسطى ، ويد المُعْطىَ السُّفْلَى ، أيها الناس فتغنوا[1] ولو بِحَزْم الحطب،اللهم هل بلغت » ثلاثا فقلت : يارسول الله إن امرأتىَّ اقتتلتا ، فرميتُ إحداهما فرمِى فى رميتى – يريد أنها ماتت – فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « تعقلها ولا ترثها » فجلس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى موضع مسجده بتَبُوك فنظر نحو اليمين ، ورفع يده يشير إلى أهل اليمن فقال [الإيمان يمانٍ » ونظر نحو الشرق فأشار بيده « إن الجفاء وغلظ القلوب فى الفدادين[2] أهلِ الوبر من نحو المشرق حيث يُطْلِع الشيطانُ قرنيه .

* * *

ذكر اخباره – صلى الله عليه وسلم – بموت عظيم من المنافقين لما هبت ريح شديدة

قال محمد بن عمر رحمه الله تعالى : وهاجت ريح شديدة بتبوك فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « هذا لموت منافق عظيم النفاق » فقدموا المدينة فوجدوا منافقا عظيم النفاق قد مات

وروى محمد بن عمر عن شيوخه ، قالوا : « قدم على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نفرٌ من سعد هُذَيم فقالوا : يارسول الله ، إنا قدِمنا إليك وتركنا أهلنا على بئر لنا قليل ماؤها ، وهذا القيظ ، ونحن نخاف إن تفرقنا أن نُقْتَطع ؛ لأن الإسلام لم يَفْشُ حولنا

---

(١) كذا فى الأصول ، وفى المغازى للواقدى ٣ : ١٠١٧ « اقنعوا ولو بحزم الحطب » .

(٢) الفدا دون : الذين تعلوا أصواتهم فى حروثهم ومواشيهم ، واحدهم فداد (النهاية فى الغريب ٣ : ١٨٧) .

بعْدُ ، فادع الله تعالى لنا فى مائها ؛ فإنا إنْ رَوينا به فلا قوم أعز منّا،لا يَعْبُر بنا أحد مخالف لديننا . فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إبغُوا لى[1] حصيات.فتناول بعضهم ثلاث حصيات فدفعهن إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ففركهن بيده ثم قال : « اذهبوا بهذه الحصيات إلى بئركم فاطرحوها واحدة واحدةً وسموا الله تعالى » فانصرف القوم من عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ففعلوا ذلك ، فجاشت بئرهم بالرواءِ ، ونَفَوْا مَن قاربهم من أهل الشرك ووطِئوهم فما انصرف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى المدينة حتى أوطئوا من حولهم غلبة ودانوا عليه بالإسلام .

* * *

ذكر قوله – صلى الله عليه وسلم – بتبوك أُعطيت خمسا ما أعطيهن أحد قبلى

روى محمد بن عمر عن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – قال : كنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بتَبُوك ، فقام من الليل يصلى ، وهو كثير التهجد من الليل ولا يقوم إلا استاك – فقام ليلةً فلما فرغ أقبل على من كان عنده فقال : « أُعطيت الليلة خمسا ما أُعْطِيهُنَّ أحَدٌ قبلى : بُعِثْتُ إلى الناسِ كافة – وكان النبىُّ يُبْعَثُ إلى قومِهِ – وجُعِلَت لِىَ الأَرضُ مَسْجداً وطَهُوراً ، أينما أدركتنى الصلاة تيمَّمْتُ وصلَّيْتُ ، وكان من قبلى لم يُعْطوا ذلك ، وكانوا لا يصلُّون إلا فى الكنائس والبيَع،وأُحِلَّت لِىَ الغنائِم آكلها ، وكان من قبلى يحرمونها ، والخامسة هى ما هى ، هى ما هى ، هى ما هى » ثلاثا – قالوا : يا رسول الله ، وما هى ؟ قال : « قيل لى سَلْ فكُلٌّ نبى قد سأل ، فهى لكم ولمن شهِد أنْ لا إلٰه إلا الله . / ٥٨٤ت

* * *

ذكر صلاته – صلى الله عليه وسلم – على معاوية بن معاوية المزنى[2] فى اليوم الذى مات فيه بالمدينة

روى الطبرانى – فى الكبير والأوسط – من طريق نوح بن عمر الطبرانى فى الكبير – من طريق صدقة بن أبى سهيل عن معاوية بن أبى سفيان ، وابن سعد والبيهقى من طريق العلاء أبى محمد الثقفى ، وابن سعد وابن أبى يعلى والبيهقى عن طريق عطاء بن أبى

(١) فى ت ٢ : ٥٨٣ « ابغونى » وفى المغازى للواقدى ٣ : ١٠٣٤ « أبلغونى » والمثبت عن بقية نسخ الكتاب .

(٢) فى الأصول « الليثى » والمثبت عن الإصابة لابن حجر ٣ : ٤١٦ . وفى البداية والنهاية لابن كثير ٥ : ١٤ ذكره مرة بالليثى ، ومرة بالمزنى .

ميمونة كلاهما عن أنس - رضى الله عنهم - قالوا كنّا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم بتبوك ، قال أنس : فطلعت الشمس بضياءٍ وشعاع ونور لم أرها طلعت بمثلهم فيما مضى فأتى جبريل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يا جبريل مالى أرى الشمس اليوم طلعت بضياءٍ وشعاع ونور لم أرها طلعت بمثلهم فيما مضى ؟ قال : « ذلك معاوية بن معاوية المزنى مات بالمدينة اليوم ، فبعث الله تعالى سبعين ألف ملك يصلون عليه ، فهل لك فى الصلاة عليه ؟ قال : « نعم » ، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمشى ، فقال جبريل بيده هكذا يفرج له عن الجبال والآكام ، ومع جبريل سبعون ألف ملك ، فصلىّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصفّ الملائكة خلفه صفّين ، فلما فرغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لجبريل « بِمَ بلغ هذه المنزلة » قال : «بحبه (قل هو الله أحد) يقرؤها قائما أو قاعدا ، أو راكباً أو ماشياً وعلى كل حال »

قال الحافظ فى لسان الميزان فى ترجمة محبوب بن هلال : هذا الحديث علم من أعلام النبوة ، وله طرق يقوى بعضها ببعض ، وقال فى فتح البارى ، فى باب الصفوف على الجنازة : إنه خبر قوى بالنظر إلى مجموع طرقه ، وقال فى اللسان فى ترجمة نوح بن عمر طريقه أقوى طرق الحديث - انتهى . وأورد الحديث النووى فى الأذكار فى باب « الذكر فى الطريق » فعلم من ذلك ردّ قول من يقول ، : إن الحديث موضوع لا أصل له[1] .

٩٣٣٩أ

* * *

ذكر ارساله - صلى الله عليه وسلم - دحية الى هرقل يدعوه الى الاسلام وقدوم [رسول] هرقل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما وقع فى ذلك من الآيات

لما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم - تبوك كان هرقل بحمص ، ولم يكن يهم بالذى بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنه من جمعه ، ولا حدثته نفسه بذلك .

وروى الحارث بن أُسامة عن بكر بن عبد الله المزنى - رحمه الله تعالى - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « من يذهب بهذا الكتاب إلى قيصر وله الجنة » ؟ فقال رجل : وإن لم يقبل ؟ قال : « وإن لم يقبل » فانطلق الرجل فأتاه بالكتاب ، فقرأه فقال : اذهب إلى نبيكم فأخبره أنى متّبِعُه ، ولكن لا أريد أن أدع ملكى ، وبعث معه

---

(١) يقول ابن كثير فى البداية والنهاية ٤ : ١٤ « وهذا الحديث فيه غرابة شديدة ونكارة » .

بدنانير إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فرجع فأخبره ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « كذب » وقسم الدنانير .

وروى الإمام أحمد . وأبو يعلى بسند حسن لا بأس به عن سعيد بن أبى راشد قال : لقيت التَّنُوخِى رسول هِرَقْل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بحمص، وكان جارا لى شَيْخاً كبيرا قد بلغ[1] ..... أو قَرُبَ ، فقلت : ألا تحدثنى[2] عن رسالة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى هِرَقْل ؟ فقال : بلى ، قدم رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – تَبُوكَ ، فبعث دِحْيَة الكلبى إلى هِرَقل ، فلما أن جاء كتاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دعا قِسِّيسِى الروم وبَطَارِقتها ، ثم أغلق عليه وعليهم الدار فقال : قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم ، وقد أرسل يدعونى إلى ثلاث خصال : أن أتبعه على دينه ، أو أن أعطيه مَالَنَا على أرضنا والأرض أرضنا ، أو نلقى إليه الحرب . والله لقد عرفتم فيما تقرأون من الكتب ليأْخذن [أرضنا][3] فهلم فلنتبعه على دينه ، أو نعطه مالنا[4] على أرضنا ، فنَخَرُوا نَخْرَة رجلٍ واحد حتى خرجوا من بَرَانِسِهم وقالوا : تدعونا أن نذر النصرانية أَوْ نكون عبيداً لأعرابى جاء من الحجاز ؟ فلما ظن أنهم إذا خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم رَقَّاهم[5] ولم يكد وقال : إنما قلت ذلك لأعلم صلابتكم على أمركم ، ثم دعا رجلا من عرب تَجِيب -كان على نصارى العرب- قال : ادع لى رجلا حافظاً للحديث عربىّ اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه ، فجاءنى فدفع إلىّ هِرَقل كتاباً ، فقال : اذهب بكتابى هذا إلى هذا الرجل ، فما سمعته من حديثه فاحفظ لى منه ثلاث خصال : هل يذكر صحيفته التى كتب بشئ ؟ وانظر إذا قرأ كتابى هذا هل يذكر الليل ؟ وانظر فى ظهره هل فيه شئ يَرِيبُكَ ؟ قال : فانطلقت بكتابه حتى جئت تبوكا فإذا هو جالس بين ظهرى أصحابه مُحْتَبِياً على الماء ، فقلت : أين صاحبكم ؟ قيل: ها هو ذا .

---

(١) بياض بالأصول بمقدار كلمة ، ولعلها « المائة » .

(٢) فى ت ٢ : ٥٨٥ « ألا تخبرنى » .

(٣) بياض فى الأصول بمقدار كلمة . والمثبت عن شرح المواهب ٣ : ٧٩ .

(٤) كذا فى الأصول ، وفى المرجع السابق « أونعطه مالا » وفى البداية والنهاية لابن كثير ٥ : ١٥ مطابق لما هنا.

(٥) كذا فى الأصول وفى شرح الغريب ص ٧٠٤ وقال من الرق وهو الصعود . وفى البداية والنهاية لابن كثير ٥ : ١٥ « رقأهم » من رقأ الدمع سكن – أو رفاه – بالفاء – التأم وقرب .

فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه فناولته كتابي، فوضعه فى حجره ثم قال : « ممن أنت ؟ » فقلت : أنا أخو تَنُوخ ، فقال : « هل لك فى الإسلام . الحنيفية ملة أبيك إبراهيم ؟ » فقلت : إنى رسول قوم وعلى دين قوم [لا أرجع عنه][1] حتى أرجع إليهم . فضحك وقال ﴿ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾[2] يا أخا تَنُوخ ، إنى كتبت بكتاب إلى كِسْرى فمزقه ، والله مُمَزِّقه ومُمَزِّقُ ملكه ، وكتبت إلى النجاشى بصحيفة فمزقها ، والله مُمَزِّقه ومُمَزِّقُ ملكه . وكتبت إلى صاحبك بصحيفة فأمسكها فلن يزال الناس يجدون منه بأْسا مادام فى العيش خير » قلت : هذه إحدى الثلاث التى أوصانى بها صاحبي ، فأخذت سهماً من جعبتى فكتبتها فى جفن سيفى ، ثم ناول الصحيفة رجلا عن يساره ، قلت : من صاحب كتابكم الذى يقرأُ لكم ؟ قالوا : معاوية . فإذا فى كتاب صاحبي : تدعونى إلى جنة عرضها السموات والأرض أُعدت للمتقين ، فأين النار ؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « سبحان الله أين النهار إذا جاءَ الليل »[3] قال : فأخذت سهماً من جُعْبتى فكتبته فى جفن سيفى ، فلما فرغ من قراءة كتابى قال : « إن لك حقا ، وإنك لرسول ، فلو وجدتُ عندنا جائزة جوزناك بها ، إنا سَفْرٌ مرملون » قال قتادة فناداه رجل من طائفة الناس قال : أنا أُجوزه ففتح رحله فإذا هو بحلة صفورية فوضعها فى حجرى ، قُلت من صاحب الجائزة ؟ قيل لى : عثمان ، ثم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « أيكم يُنْزِلُ هذا / الرجل ؟ فقال فتًى من الأنصار : أنا ، فقام الأنصارى وقمت معه حتى إذا خرجت من طائفة المجلس نادانى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : « تعال يا أخا تَنُوخ » فأقبلت أهوى حتى كنت قائماً فى مجلسى الذى كنت بين يديه ، فحل حبوته[4] وقال : « ها هنا امضِ لما أُمِرتَ له ، فَجُلْتُ فى ظهره فإذا أنا بخاتم النبوة فى موضع غضروف الكتف / مثل المحجمة الضخمة[5] .

١٥٨٦ ا

٣٤٠ ب

---

(١) سقط فى الأصول ، والإثبات عن البداية والنهاية لابن كثير ٥ : ١٥ .

(٢) سورة القصص آية ٥٦ .

(٣) فى المرجع السابق ٤ : ١٦ « سبحان الله أين الليل إذا جاء النهار » .

(٤) كذا فى الأصول ، وفى البداية والنهاية لابن كثير ٥ : ١٦ « فحل حبوته » والحبوة الاشتمال بالثوب (اللسان) أما الجوبة فمن الجوب وهو كل مقور من درع ونحوه (اللسان) ولم يرد لها ذكر فى شرح الغريب . فى الأصول جوبته تصحيف والمثبت من البداية والنهاية لابن كثير ٥ : ١٦ والحبوة الاشتمال بالثوب (اللسان) .

(٥) قال ابن كثير فى البداية والنهاية ٥ : ١٦ « هذا حديث غريب ، وإسناده لابأس به ، تفرد به الإمام أحمد » .

قال محمد بن عمر : فانصرف الرجل إلى هِرَقل فذكر ذلك له . فدعا قومه إلى التصديق بالنبي – صلى الله عليه وسلم – فأَبوا حتى خافهم على ملكه ، وهو فى موضعه بحمص لم يتحرك ولم يزحف ، وكان الذى خبر النبي صلى الله عليه وسلم – من تعبئة أَصحابه، ودنوه إلى وادى الشام لم يرد ذلك ولا همّ به .

وذكر السهيلى : أن هرقل أهدى لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – هدية – فقبِلَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – هديته وفرقها على المسلمين .

ثم إن هرقل أمر منادياً ينادى : ألا إن هِرَقْل قد آمن بمحمد واتبعه ، فدخلت الأَجناد فى سلاحها وطافت بقصره تريد قتله ، فأَرسل إليهم : إنى أَردت أَن أَختبر صلابتكم فى دينكم ، فقد رضيت عنكم ، فرضوا عنه . ثم كتب إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كتاباً مع دحية يقول فيه : إنى مَعَكم[1] ولكنى مغلوب على أَمرى ، فلما قرأَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كتابه قال : « كذب عدو الله ، وليس بمسلم بل هو على نصرانيته » .

* * *

ذكر صلاته – صلى الله عليه وسلم – على ذى البجادين رضى الله عنه

روى ابن إسحاق ، وابن مندة عن ابن مسعود – رضى الله عنه – ومحمد بن عمر عن شيوخه قالوا : كان عبد الله ذو البجادين من مُزَيْنة ، مات أَبوه وهو صغير فلم يورّثه شيئا ، وكان عمه مَيِّلاً فأَخذه فكفله حتى كان قد أَيْسَرَ ، وكانت له إبل وغنم ورقيق ، فلما قدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المدينة جعلت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا يقدر عليه من عَمِّه ، حتى مضت السنون والمشاهد كلُّها ، فانصرف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من فتح مكة راجعاً إلى المدينة ، فقال عبد الله ذو البجادين لعمه : يا عم قد انتظرتُ إسلامك فلا أَراك تريد محمداً ، فائذن لى فى الإسلام ، فقال : والله لئن اتبعتَ محمدا لا تركتُ بيدك شيئا كنتُ أَعطيتكه إلا انتزعته منك حتى ثوبيك ، فقال : وأَنا والله متبعٌ محمدا ومسلمٌ وتاركٌ عبادة الحجر والوثن ، وهذا ما بيدى فخذه ، فأَخذ كلَّ ما أَعطاه حتى جرَّده من إزاره ، فجاءَ أُمَّه فقطعت بجاداً لها باثنين

---

(١) فى شرح المواهب ٣ : ٧٨ « إنى مسلم ولكنى مغلوب » .

فائتزر بواحد وارتدى بالآخر ، ثم أقبل إلى المدينة فاضطجع فى المسجد ، ثم صلَّى مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الصبح ، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يتصفح الناس إذا انصرف من الصبح ، فنظر إليه فأنكره ، فقال « من أنت ؟ » فانتسب له ، فقال : « أنت عبد الله ذو البجادين » ثم قال : « انزل منى قريبا » فكان يكون فى أضيافه ويعلمه / القرآن ، حتى قرأ قرآنا كثيرا ، وكان رجلا صيِّتاً فكان يقوم فى المسجد ٣٤٠ب فيرفع صوته فى القراءة ، فقال عمر : يا رسول الله ألا تسمع هذا الأعرابى يرفع صوته بالقرآن حتى قد منع الناس القراءة ؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « دعه يا عمر : فإنه قد خرج مهاجراً إلى الله تعالى وإلى رسوله » فلما خرج رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – إلى تبوك قال : يارسول الله . ادع الله تعالى لى بالشهادة ، فقال / : أبلغنى بلحاء سَمُرة ٥٨٧ت فأبلغه بلحاء سمرة ، فربطها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على عضده ، وقال : « اللهم إنى أحرم دَمَه على الكُفَّار » فقال : يارسول الله ، ليس هذا أردتُ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « إنك إذا خرجتَ غازياً فى سبيل الله فأخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد . وإذا وقصتك دابَّتُكَ فأنتَ شهيد لا تبالى بأية كان » فلما نزلوا تبوكَ أقاموا بها أياماً ، ثم توفى عبدُ الله ذو البجادين ، فكان بلال بن الحارث المزنى يقول : حضرتُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومع بلال [المؤذن][1] شعلة من نار عند القبر واقفا بها ، وإذا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى القبر ، وإذا أبو بكر وعمر يدليانه إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو يقول : « أدنيا لى أخاكما » فلما هيأه لشِقّه فى اللحد قال : « اللهم إنى قد أمْسَيْتُ عنه راضيا فارْضَ عنه » فقال ابن مسعود : ياليتنى كنت صاحِبَ اللحد .

وروى الطبرانى برجال وُثِّقُوا ، وأبو نُعيم عن محمد بن حمزة بن عمر الأسلمى عن أبيه عن جده – رضى الله عنه – قال : خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى غزوة تبوك ، وكنت على خدمته[2] ذلك فنظرت إلى نِحْى السمن قد قل ما فيه ، وهيأْت للنبى – صلى الله عليه وسلم – طعاما فوضعت النحى فى الشمس ، ونمت فانتبهت بخرير

(١) إضافة عن المغازى للواقدى ٣ : ١٠١٤ .

(٢) كذا فى الأصول ، ولعل العبارة « فكنت على خدمته [فى] ذلك » أى الخروج أو السفر .

النحى ، فقمتُ فأخذت رأسه بيدى . فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ورآنى « لو تركته لسال الوادى سمنا » .

* * *

ذكر مصالحته – صلى الله عليه وسلم – ملك أيلة(١) وأهل جربا وأذرح وهو مقيم بتبوك قبل رجوعه

لما بعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خالد بن الوليد إلى أكيدر بدومة – كما سيأتى بيان ذلك فى السرايا – أشفق ملك أيلة يُحَنَّة بن رُؤْبَة أن يبعث إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما بعث إلى أُكَيْدر ، فقدم على النبى – صلى الله عليه وسلم – وقدم معه أهل جَرْبَا وأَذْرُح ومقنا وأهدى لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – بغلة .

قال أبو حميد الساعدى – رضى الله عنه – قدم على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأهدى إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بغلة بيضاء / ، وكساه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بُرْداً ، وكتب له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ببحرهم . رواه ابن أبى شيبة والبخارى . ٣٤١ أ

روى محمد بن عمر عن جابر – رضى الله عنه – قال : رأيت يُحَنَّة بن رُؤْبَة يوم أُتِى به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعليه صليب من ذهب ، وهو معقود الناصية فلما رأى رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – كفّرَ(٢) وأومأ برأسه فأومأ إليه رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – بيده أنِ ارْفَع رأسَكَ ، وصالحه يومئذ ، وكساه بُرْداً يمنية فاشتراه بعد ذلك أبو العباس(٣) عبد الله بن محمد بثلاثمائة دينار وأمر له بمنزل عند بلال انتهى .

قالوا : وقطع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الجزية جزيَة معلومة ثلاثمائة دينار كل سنة ، وكانوا ثلاثمائة رجل ، وكتب لهم بذلك كتاباً فيه :

---

(١) فى الأصول ماعدآ ت « إيلية » والمثبت هو الصواب ويوافقه المغازى للواقدى ٣ : ١٠٣ وشرح المواهب ٣ : ٥٦ وما سيرد فى شرح الغريب ص ٧٠٦ .

(٢) كفر : التكفير لأهل الكتاب أن يطأطىء أحدهم رأسه لصاحبه كالتسليم عندنا ، والتكفير أيضاً أن يضع يده أو يديه على صدره (اللسان) وفى شرح المواهب ٣ : ٧٦ « كنى وأومأ » .

(٣) قال فى شرح المواهب ٣ : ٧٦ « هو أبو العباس عبد الله بن محمد السفاح » .

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب أَمَنَةٌ من الله تعالى ومحمد النبي رسول الله ليُحَنَّة ابن رُؤْبَة وأهل أَيلة لسُفُنهم وسائرهم السارح فى البر والبحر ، لهم ذمة الله وذمة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ولمن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر ، ومن أحدث حدثا فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وإنه طيِّبٌ لمن أخذه / من الناس ، وإنه لا يَحِلُّ أن يُمْنَعُوا ماءً يردُونه ولا طريقاً يردونه من بر أو بحر . هذا كتاب جُهيْم بن الصَّلْت وشُرَحْبِيل بن حَسَنَة بإذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم . ٥١٨ت

وكتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأهل أَذْرح كتاباً قال محمد بن عمر : نسخت كتابهم فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب محمد النبي - صلى الله عليه وسلم - لأهل أَذْرُح وجَرْبا ، إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم مائة دينار فى كل رجب وافية طيبة ، والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان إلى المسلمين ، ومن لجأ [إليهم][1] من المسلمين من المخافة والتعزير إذا خشوا على المسلمين فهم آمنون ، حتى يحدث إليهم محمد - صلى الله عليه وسلم - قبل خروجه[2] » قالوا : وأتى أهل جَرْبَا وأَذْرُح بجزيتهم بتبوك فأخذها .

وصالح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أهل مَقْنَا على ربع ثمارهم وربع غُزولهم .

وروى ابن أبي شيبة ، والإمام أحمد ، ومسلم عن أبي حميد الساعدى - رضى الله عنه - قال : جاء ابن العلماء[3] وصاحب أيلة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بكتاب، وأهدى له بغلة بيضاء ، فكتب له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأهدى له بُرْداً .

* * *

ذكر مشاورته - صلى الله عليه وسلم - أصحابه فى مجاوزة تبوك الى نحو دمشق

٣٤١ت

قال محمد بن عمر - رحمه الله تعالى : شاوَرَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصحابه فى التقدم ، فقال عمر بن الخَّطاب : يارسول الله ، إن كنت أُمِرْت بالمسير فسِرْ ، فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم : « لو أُمِرْتُ بالمسير لما استشرتكم فيه » فقال : يارسول

---

(١) الإضافة من المغازى للواقدى ٣ : ١٠٣٢ .

(٢) فى الأصول « من قبل خروج » والمثبت عن المرجع السابق .

(٣) فى هامش ت ٢ : ٥٨٨ « العلماء بفتح العين وسكون اللام والمد - عن جامع الأصول » .

الله إن للروم جموعاً كثيرة ، وليس بها أحد من أهل الإسلام ، وقد دَنَوْنَا منهم ، وقد أفزعهم دنُوُّك ، فلو رجعنا هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله لك أمرا .

وروى البيهقي وغيرُه بسند جيد عن عبد الرحمن بن غنم : أن اليهود أتوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوماً فقالوا : يا أبا القاسم ، إن كنت صادقاً أنك نبيٌّ فالحَقْ بالشام ؛ فإن الشام أَرض المحشر وأَرض الأَنبياء ، فصدَّق ما قالوا ، فغزا غزوة تبُوك لا يريد إلا الشام ، فلما بلغ تبوك أنزل الله تعالى آيات من سورة بنى إسرائيل بعدما ختمت السورة ﴿ وَإِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلاً سُنَّةَ مَنْ قدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تجِدُ لِسُنَّتِنا تحْوِيلاً ﴾ [1] فأَمره الله تعالى بالرجوع إلى المدينة وقال : فيها مَحْيَاكَ ومَمَاتُك ومنها تبعث . فرجع رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فأَمره جبريلُ فقال : اسأَل ربَّك عزَّ وجلَّ ؛ فإن لكل نبيٍّ مسأَلة – وكان جبريل له ناصحاً ، وكان رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – له مطيعاً ، قال : « فما تأْمرنى أن أسأَل » قال : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِى مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً ﴾ [2] فهؤلاءِ الآيات أُنزلت عليه فى مرجعه من تبوك .

وفى هذه الغزوة قال – صلى الله عليه وسلم – ما رواه عكرمة عن أَبيه أَو عن عمه عن جده – رضى الله عنه – : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال فى غزوة تبوك : « إذا وَقَعَ الطَّاعُونُ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا ، وَإِذَا كُنْتُم بِغَيْرِهَا فَلا تقدموا عليها » رواه أَحمد والطبرانى من طرق قال فى بذل الطاعون: يشبه – والله أعلم – أَن يكون السبب ٥٨٩ت فى ذلك أَن الشام كانت / من قديم الزمان ولم تزل معروفة بكثرة الطواعين ، فلما قدم النبي – صلى الله عليه وسلم – تبُوك غازياً الشامَ لعله بلغه أَن الطَّاعُونَ فى الجهة التى كان يَقْصِدُهَا ، فكان ذلك من أَسباب رجوعه من غير قتال – والله أَعلم . انتهى .

قلت : قد ذكر جماعة أَن طاعون شيرويه أَحد ملوك الفرس ، كان فى أَيام النبي – صلى الله عليه وسلم – وأَنه كان بالمدائن .

---

(١) سورة الإسراء الآيتان ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) سورة الإسراء آية ٨٠ .

ذكر ارادة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الانصراف من تبوك الى المدينة ، وما وقع فى ذلك من الآيات ، وقدر اقامته صلى الله عليه وسلم ـ بتبوك

روى مسلم عن أبي هريرة . وإسحاق بن راهويه ، وأبو يعلى ، وأبو نعيم ، وابن عساكر عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما[1] ـ ومحمد بن عمر عن شيوخه،قال شيوخ ابن عمر: ولما أجمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ السير من تبوك أَرْمَل النَّاسُ إرمَالاً ، فشخص على ذلك من الحال . انتهى .

قال أبو هريرة : فقالوا : يارسول الله لو أذنت لنا فننحر نواضحنا فأكلنا وادَّهنَّا[2] ؟ قال شيوخ محمد بن عمر : فلقيهم عمر بن الخطاب وهم على نحرها فأمرهم أن يمسكوا عن نحرها ، ثم دخل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى خيمة له،ثم اتفقوا،فقال يارسول الله أأذنت للناس فى نحر حَمُولتهم يأْكلونها ؟ قال شيوخ محمد : فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « شكَوْا إلىَّ ما بلغ منهم الجوع فأذنت لهم ينحرُ الرُّفْقَةُ البعيرَ والبعيرين ويتعاقبون فيما فضل منهم [فإنهم][3] قافلون إلى أهليهم ـ انتهى . فقال عمر : يارسول الله لا تفعل ، فإن يك فى الناس فضل من الظَّهْر يكن خَيْرا ، فالظهر اليوم رقاقٌ[4] انتهى . ولكن يا رسول الله ادع بفضل أَزْوَادِهِمْ ، ثم اجمعها ، وادع الله تعالى فيها بالبركة لَعَلَّ الله تعالى أن يجعل فيها البركة . زاد شيوخ محمد: كما فَعَلْتَ فى منصرفنا من الحديبية حين أرملنا ؛ فإن الله تعالى مستجيب لك انتهى . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « نعم » فدعا بنطع فَبُسِط ـ قال شيوخ محمد : بالأنطاع فبسطت ـ ونادى منادى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : من كان عنده فضلٌ من زاد فليأْت به ـ انتهى. فجعل الرجل يأْتى بكف ذرة ؛ ويجئ الآخر بكفّ تمر ؛ ويجئ الآخر بكسرة . وقال شيوخ محمد : وجعل[5] الرجل يأْتى بالدقيق أو التمر أو القبضة من الدقيق والسويق والتمر ثلاثة أفراق حزرا ـ والفرق ثلاثة آصع ـ قال : فجزأْنا

---

(١) عنهما ـ الضمير يعود على أبي هريرة وعمر بن الخطاب .

(٢) أضاف الواقدى فى المغازى ٣ : ١٠٣٧ « فأذن لهم » .

(٣) سقط فى الأصول والمثبت يقتضيه السياق .

(٤) الرقاق : جمع رقيق بمعنى ضعيف « اللسان » وستر د فى الغريب .

(٥) فى المغازى للواقدى ٣ : ١٠٣٨ « فجعل الرجل يأتى بالمد الدقيق . . . » .

ما جاءُوا بـه فوجدوه سبعة وعشرين صاعاً . قال شيوخ محمد : ثم قام رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـ فتوضأ وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى أن يبارك فيه . قال عمر : فجلس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى جنبه فدعا فيه بالبركة ، ثم قال : أيها الناس خذوا ولا تنتهبوا » فأخذوه فى الجُرُب والغرائر ، حتى جعل الرجل يعقد قميصه فيأْخذ فيه ، قال أبو هريرة ـ رضى الله عنه: وما تركوا فى العسكر وعاءً إلا ملئوه ، وأكلوا حتى شبعوا ، وفضلت فضلة . قال شيوخ محمد بن عمر : قال بعض من الصحابة : لقد طرحتُ كسرة يومئذ من خبز وقبضة من تمر، ولقد رأيت الأنطاع تفيض، وجئت بجرابين فملأْت أحدهما / سويقاً والآخر خبزا ، وأخذت فى ثوبى دقيقاً كفانى إلى المدينة ـ قال : فأخذوا حتى صدروا . وإنه نحو ما كانوا يحرزون ـ قالوا كلهم : فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: « أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، لا يأْتى بها عبد غير شاك

٥٩٠ت

فيحجب عن الجنة » وفى لفظ « لايأتى بها عبد محق إلا وقاهُ الله حر النار » ، وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما كما رواه ابن سعد : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك عشرين ليلة يقصر الصلاة وعلى ذلك جرى محمد بن عمر وابن حزم وغيرهم ، وقال ابن عقبة ، وابن إسحاق : بضع عشرة ليلة .

* * *

ذكر بعض آيات وقعت فى رجوع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم من تبوك الى المدينة

روى محمد بن عمر ، وأبو نعيم عن أبى قتادة ـ رضى الله عنه ـ قال : بينا نحن نسير مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الجيش ليلاً وهو قافِل وأنا معه إذ خفق خفقة ـ وهو على راحلته فمال على شقه فدنوتُ منه فدَعَمْته فَانْتَبَه ، فقال : « من هذا ؟ » فقلت : أبو قتادة يارسول الله ، خِفتُ أن تسقط فدَعَمْتُك ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « حفظك الله كما حفظت رسوله » ثم سار غير كثير ثم فعل مثل هذا فدعمته فانتبه. فقال : « يا أبا قتادة ، هل لك فى التعريس ؟ » فقلت : ما شئت يا رسول الله ، فقال : « انظر من خلفك » فنظرت فإذا رجلان أو ثلاثة ، فقال « ادعهم » فقلت : أجيبوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجاءُوا فعرسنا ـ ونحن خمسة ـ برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعى إداوةٌ فيها ماء وركوة أشرب فيها ، فنمنا فما انتبهنا إلا بحرٍّ

الشمس ، فقلنا : إنَّا لله فاتنا الصبحُ ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : «لنَغِيْظن الشَّيْطَان كَمَا غَاظَنَا » فتوضأَ من ماءِ الإداوة ففضل فضلة فقال : « يا أَبا قَتَادَة احْتَفِظ بِمَا فِى الإِدَاوَةِ والرَّكْوة ؛ فإن لهما شأْنا » وصلى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنا الفجرَ بعد طلوع الشمس ، فقرأَ بالمائدة ، فلما انصرف من الصلاة قال : « أَمَا إِنَّهُم لو أَطاعوا أَبا بكر وعمر لرَشَدوا » وذلك أن أَبا بكر وعمر أَرادا أَن ينزلا بالجيش على الماءِ فأَبوا ذلك عليهما ، فنزلوا على غير ماء بفلاةٍ من الأَرض ، فركب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلحق الجيش عند زوال الشمس ونحن معه . وقد كادت أَعناق الخيل والرجال والركاب تَقَطَّع عَطَشاً ، فدعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالرَّكوة فأَفرغ ما فى الإداوَة فيها . ووضع أَصابعه عليها فنبع الماء من بين أَصابعه ، وأَقبل الناس فاستَقَوْا وفاض الماءُ حتى رووا ، ورووا خيلهم ، وركابهم ، وكان فى العسكر اثنا عشر أَلف بعير ، والناس ثلاثون أَلفا ، والخيل اثنا عشر أَلف فرس ، فذلك قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « احتفظ بالرَّكْوة والإداوة » .

قال ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر : قالوا : وأَقبل رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قافلا حتى إذا كان بين تَبُوك ووادٍ يقال له : وادى الناقة ـ وقال ابن إسحاق : يقال له وادى المُشَقق ـ وكان فيه وشل يخرج منه فى أَسفله قَدْر ما يَرْوِى الراكبين أَو الثلاثة ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من سبقنا إلى ذلك الوَشَل فلا يستقين منه شيئا حتى نأْتيه » فسبقه إليه أَربعة من المنافقين : مُعَتِّب بن قُشَير ، والحارث بن يزيد الطائىّ حليفٌ فى بنى عمرو بن عوف ، ووَدِيعة بن ثابت ، وزيد بن اللُّصَيْت ، فلما أَتاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقف عليه فلم ير فيه شيئا . فقال « من سبقنا إلى هذا الماء ؟ فقيل يارسول الله فلان وفلان ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « أَلم أَنهكم ؟ » فلعنهم ودعا عليهم ، ثم نزل ووضع يده تحت الوَشَل ، ثم مسحه بإصبعيه حتى اجتمع منه فى كفه ماءٌ قليلٌ ، ثم نضحه به ، ثم مسحه بيده ، ثم دعا بما شاءَ الله أَن يدعو ، فانخرق منه الماء ـ قال مُعاذُ بنُ جبل : والذى نفسى بيده لقد سمعتُ له من شدّة انخراقه مثل الصواعق ـ فشرب الناس ما شاءُوا ، واستقوا ماشاءُوا ، ثم قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للناس « لئن بقيتم . أَو من بقى منكم ـ لتسْمَعُن بهذا الوادى وهو أَخصب

مما بين يديه ومما خلفه » قال سلمة بن [سلامة بن][1] وَقْش : قلت لوديعة بن ثابت : ويلك أبَعد ما ترى شئ ؟ أمَا نَعْتَبر ؟ قال : قد كان يُفْعَل بهذا مثل هذا قبل هذا ، ثم سار رسول الله – صلى الله عليه وسلم .

وروى محمد بن عمر ، وأبو نعيم عن جماعة من أهل المغازى قال : بينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم يسير – منحدراً إلى المدينة ، وهو فى قيظ شديد ، عَطِشَ العسكر بعد المرتين الأَولييَن عطشاً شديداً حتى لا يوجد للشَّفةِ ماء قليل ولا كثير ، فَشكَوْا ذلك لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأرسل أُسَيْد بن الحُضيْر فى يوم صائِف ، وهو متلثم ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « عسى أن تجد لنا ماءً » فخرج أُسَيد وهو فيما بين تبوك والحجر فى كل وجهٍ فيجد رَاوِيةً من ماءٍ مع امرأة من بَلِيّ ، فكلَّمها أُسَيد ، وأخبرها خبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالت : فهذا الماء ، فانطلِقْ به/ إلى رسول الله – صلى ٣٤٣ت الله عليه وسلم – وقد وَصَفَت له الماءَ ، وبينه وبين الطريق هُنَيْهَة ، فلما جاءَ أُسَيد بالماءِ دعا فيه رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – ودعا فيه بالبركة ، ثم قال : « هلم أَسْقيتكم » فلم يبق معهم سقاء إلا ملئوه ، ثم دعا بركابهم وخيولهم ، فسقوها حتى نهلت ، ويقال إنه – صلى الله عليه وسلم – أمر بما جاءَ به أُسَيد فصبه فى قعب عظيم من عِسَاسِ أهل البادية فأدخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيه يده ، وغسل وجهه ويديه ورجليه ، ثم صلى ركعتين ، ثم رفع يديه مَدا ، ثم انصرف وإن القعب ليفور ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للناس « رِدوا » فاتسع الماءُ وانبسط الناس حتى يُصَفّ عليه المائة والمائتان فارتووا ، وإن القَعْبَ ليَجيشُ بالرِّوَاءِ ، ثم راح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مبردا مترويا .

وروى الطبرانى بسند صححه الشيخ وحسنه الحافظ – خلافاً لمن ضعَّفه – عن فَضالة ابن عبيد – رضى الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – غزا غزوة تَبُوك فجهد الظهر جهدا شديدا فَشكَوْا ذلك إليه ، ورآهم يزجون ظهرهم ، فوقف فى مضيق والناس يمرون فيه ، فنفخ فيها وقال : « اللهم احمل عليها فى سبيلك فإنك تحمل على القوى والضعيف والرطب واليابس فى البر والبحر » فاستمرت فما دخلنا المدينة إلا وهى تنازعنا أزمتها

(١) الإضافة عن المغازى للواقدى ٣ : ١٠٣٩ .

ذكر ارادة بعض المنافقين الفتك برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليلة العقبة التى بين تبوك والمدينة واطلاع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ــ على ذلك

روى الإمام أحمد عن أبي الطُّفيل ، والبيهقى عن حُذيفة ، وابن سعد عن جبير بن مطعم ــ رضى الله عنهم ــ وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الضحاك،والبيهقى عن عروة ، والبيهقى عن ابن إسحاق . ومحمد بن عمر عن شيوخه ــ رحمهم الله تعالى ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما كان ببعض الطريق مكر به ناسٌ من المنافقين،وائتمروا بينهُم أن يطرحوه من عَقَبَةٍ فى الطريق.وفى رواية:كانوا قد أجمعوا أن يقتلوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فجعلوا يلتمسون غِرته ، فلما أراد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يسلك العقبة أرادوا أن يسلكوها معه ، وقالوا : إذا أخذ فى العقبة دفعناه عن راحلته فى الوادى ، فأخبر الله تعالى رسوله بمكرهم ، فلما بلغ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ تلك العقبة نادى مناديه للناس : إن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أخذ العقبة فلا يأْخذها أحد ، واسلكوا بطن الوادى ، فإنه أسهل لكم وأوسع ، فسلك الناس بطن الوادى إلا النفر الذين مكروا برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما سمعوا ذلك استعدوا وتلثموا ، وسلك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ العقبة ، وأمر عَمَّار بْنَ ياسر أن يأْخذ بزمام الناقة ويقودها [وأمر][1] حذيفة بن اليمان أن يسوق من خلفه ، فبينا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يسير من العقبة إذ سمع حسَّ القوم قد غَشوْه ، فنفَّروا ناقة رسولِ الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى سقط بعض [متاعه][2] وكان حمزة بن عمرو الأَسلمى لحق برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالعقبة ، وكانت ليلة مظلمة ، قال حمزة : فَنُوِّرَ لى فى أصابعى الخمس ، فأَضاءَت حتى جمعتُ ما سقط من السوط والحبل وأَشباههما ، فغضب رسولُ الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأمر حذيفة أن يردهم ، فرجع حذيفة إليهم ، وقد رأى غضبَ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومعه محجن فجعل يضربُ وجوه رواحلهم وقال : إليكم إليكم يا أعداءَ الله تعالى ، فعَلِمَ القومُ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد اطَّلع على مكرهم ، فانحطوا من العقبة مُسرعين حتى خالطوا الناس ، وأقبل حذيفة حتى أتى رسول

---

(١) إضافة عن المغازى للواقدى ٣ : ١٠٤٢ .

(٢) سقط فى الأصول و المثبت يقتضيه السياق .

الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : اضرب الراحلة يا حذيفة ، وامش أنت يا عمار ، فأسرعوا حتى استوى بأعلاها ، وخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من العقبة ينتظر الناس وقال لحذيفة : هل عرفت أحداً مِنَ الركب ، الذين رددْتهم » ؟ قال : يا رسول الله قد عَرفْت رواحلهم ، وكان القوم متلثمين فلم أُبصرهم من أجل ظلمة الليل . قال : « هل عَلِمْتم مَا كان من شأْنهم وما أرادوا » ؟ قالوا : لا والله يا رسول الله . قال : « فَإِنهُمْ مَكرُوا لِيسيرُوا مَعِى فإذا طلعْتُ الْعَقَبَةَ زَحَمُونِى فَطَرَحُونى منها – إن شاءَ الله تعالى – قدْ أَخْبرنى بأَسمائهم وأَسماء آبائهم وسأخبركم بهم إن شاءَ الله تعالى » قالوا : أفلاَ تأْمر بهم يا رسول الله إذا جاءَ الناس أن تُضْرَب أعناقهم ؟ قال : أَكره أن يتحدث الناس ويقولوا : إن محمدا قد وضع يده فى أصحابه » فسماهم لهما[1] ثم قال : « اكتماهم » فانْطلقْ إذا

٥٩٣ت أصبحت فاجمعهم لى ، فلما أَصبح رسولُ الله – صلى / الله عليه وسلم – قال له أُسَيد بن الْحُضير : يا رسول الله ، ما منعك البارحة من سلوك الوادى ؟ فقد كان أَسهل من العقبة ؟ فقال : « يَا أَبَا يَحْيى أَتدْرِى مَا أَرَادَ بى الْمُنافِقُون وَمَا هَمُّوا بِهِ ؟ قالوا : نتبعه من العقبة ، فإذا أَظْلَمَ عَلَيهِ الليلُ قطعوا أنساع راحِلتِى ونخَسُوهَا حتى يطرحونى عن راحلتى » فقال أُسَيد : يا رسول الله ، قد اجتمع الناس ونزلوا ، فمُرْ كُلَّ بطن أن يقتل الرَّجُلَ الذى همَّ بهذا ، فيكون الرجل من عشيرته هو الذى يقتله ، وإن أَحْبَبْتَ – والذى بعثك بالحق – فنبئنى بأَسمائهم فلا أَبرح حتى آتيك بِرءُوسِهم[2] . قال « يَا أُسَيْدُ إِنِّى أَكْرَه أَنْ يَقُولَ النَّاسُ إِنَّ مُحَمَّداً قَاتَلَ بقَوْمٍ حَتَّى إذا أَظهره الله تعالى بهم أَقبل عليهم يَقْتُلُهم » .

وفى رواية « إِنِّى أَكْرَه أَنْ يقُولَ النَّاسُ إِنَّ مُحَمَّداً لما انقضت الحربُ بينه وبين المشركين وضع يده فى قتل أَصحابه » فقال : يا رسول الله ، فهؤلاء ليسوا بأَصحاب ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : « أَليس يظهرون شهادة أَن لا إِله إِلا الله ؟ » قال : بلى [ولا شهادة لهم][3] قال : أَليس يظهرون أَنى رسول الله ؟ » قال : بلى . ولا شهادة لهم ، قال : « فقد نُهيتُ عن قتل أُولئك » .

---

(١) الضمير هنا يعود على عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان رضى الله عنهما .

(٢) أضاف الواقدى فى المغازى ٣ : ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ بعد ذلك « وإن كانوا فى النبيت فكفيتكهم وأمرت سيد الخزرج فكفاك من ناحيته ، فإن مثل هؤلاء يتركون يارسول الله ؟ حتى متى تداهنهم وقد صاروا اليوم فى القلة والذلة ، وضرب الإسلام بجرانه فما يستبقى من هؤلاء ؟ » .

(٣) الإضافة عن المغازى للواقدى ٣ : ١٠٤٤

وقال ابن إسحاق فى رواية يونس ابن بكير : فلما أصبح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال لحذيفة : « ادعُ عبد الله » قال البيهقى : أظن ابن سعد بن أبى سرح ، وفى الأصل : عبد الله بن أبى سعد بن أبى سرح ، لم يعرف له إسلام كما نبه إليه فى زاد المعاد ، قال ابن إسحاق : وأبا حاضر الأعرابى ، وعامرا وأبا عامر ، والجُلاس بن سُوَيد بن الصامت وهو الذى قال : لا ننتهى حتى نَرْمِىَ محمداً من العقبة ، ولئن كان محمد وأصحابه خيراً منا إنا إذًا لَغَنَم وهو الراعى ، ولا عقْل لنا وهو العاقل . وأمره أن يدعو مُجَمع بن جارية ، وفلَيْح التيمى، وهو الذى سرق طيب الكعبة وارتد عن الإسلام ، وانطلق هارباً فى الأرض فلا يُدْرَى أين ذهب ، وأمره أن يدعوَ حُصَين بن نُمَيْر الذى أغار على تمر الصدقة فسرقه ، فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « ويحك ، ما حملك على هذا ؟ » قال : حملنى عليه أنى ظننت أن الله تعالى لم يطلعك عليه أما إذ أطلعك عليه فإنى أشهد اليوم أنك لرسول الله ، فإنى لم أومن بك قط قبل الساعة ، فأقاله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعفا عنه بقوله الذى قاله ، وأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حُذَيفة أن يأتيه بطعمة بن أبيرق ، وعبد الله بن عُيَيْنة ، وهو الذى قال لأصحابه : اشهدوا هذه الليلة تسلموا الدهر كله ، فوالله ما لكم أمرٌ دون أن تقتلوا هذا الرجل . فدعاه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : « ويحك ما كان ينفعك من قتلى لو أنى قتلت يا عدو الله؟ فقال عدو الله : يا نبى الله ، والله ما تزال بخير ما أعطاك الله تعالى النصر على عدوك ، فإنما نحن بالله وبك فتركه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقال لحذيفة / « ادع مُرَّة بن الربيع » وهو الذى ضرب بيده على عاتق عبد الله بن أُبَىّ ثم قال : تمطى ، أو قال : تمططى والنعيم كائن لنا بعده ، نقتل الواحد المفرد فيكون الناس عامة بقتله مطمئنين . فدعاه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : « ويحك ، ما حملك على أن تقول الذى قلت ؟ » فقال : يا رسول الله إن كنت قلت شيئاً من ذلك فإنك العالم به ، وما قلت شيئاً من ذلك .

٣٤٥ أ

وهم اثنا عشر رجلا الذين حاربوا الله تعالى ورسوله ، وأرادوا قتله ، فأخبرهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بقولهم ومنطقهم وسرهم وعلانيتهم ، وأطلع الله نبيه – صلى

الله عليه وسلم – على ذلك يعلمه ، وذلك قوله عز وجل : ﴿ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾[1] ومات الاثنا عشر منافقين محاربين الله تعالى ورسوله .

قال حُذَيفة – كما رواه البيهقى : ودعا عليهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : « اللهم ارمهم بالدُّبَيْلَة » قلنا : يا رسول الله . وما الدُّبَيْلة ؟ قال : « شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك » .

وروى مسلم عنه[2] : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « فى أصحابى اثنا عشر رجلا منافقاً لا يدخلون الجنة حتى يَلِجَ الجَمَلُ فى سَمِّ الخياط ، ثمانية يكفيهم[3] الدُّبَيْلَة ، سراج من نار يظهر بين أكتافهم حتى ينجم من صدورهم » .

قال البيهقى : وروينا عن حُذيفة – رضى الله عنه – أنهم كانوا أربعة عشر – أو خمسة عشر[4] .

* * *

ذكر قوله – صلى الله عليه وسلم – ان بالمدينة أقواما ما سرتم سيرا الا كانوا معكم

روى البخارى وابن سعد عن أنس ، وابن سعد عن جابر رضى الله عنهما: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال : « إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قَطَعْتُم وادياً إلاَّ كانوا معكم » فقالوا : يا رسول الله ، وهم فى المدينة ؟ قال : « وهم بالمدينة حبسهم العذر » .

* * *

ذكر قوله – صلى الله عليه وسلم – لما أشرف على المدينة « هذه طابة »

روى الإمام أحمد والشيخان عن أبى حميد الساعدى ، وعبد الرزاق وابن أبى شيبة فى مصنفيهما ، والإمام أحمد والبخارى عن أنس والإمام أحمد ومسلم عن جابر ، وابن

---

(١) سورة التوبة ٧٤ .

(٢) أى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه . وفى السيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٢٠ « وفى رواية من وجه آخر عن قتادة . » وساق الحديث الذى هنا مع اختلاف يسير فى بعض ألفاظه .

(٣) كذا فى الأصول ، وفى المرجع السابق « يكفيكهم » .

(٤) وبقية الحديث – وأشهد بالله أن اثنى عشر منهم حرب لله ولرسوله فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، (السيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٢٠) .

أبى شيبة فى مسنده عن أبى قتادة - رضى الله عنهم - قالوا : أقبلنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من غزوة تبوك حتى أشرفنا على المدينة قال : « هذه طابة - وزاد ابن أبى شيبة : أسكننيها ربى - تنفى خبث أهلها كما ينفى الكيرخبث الحديد » انتهى . فلما رأى أحدا قال « هذا أحد جبل يُحبُّنَا ونحبه ، ألا أُخبرُكم بخير دور الأنصار » قلنا بلى يا رسول الله ، قال « خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم دار بنى عبد الأشهل ، ثم دار بنى ساعدة » فقال أبو أسيد : ألم تر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خيرٌ دور الأنصار فَجَعَلنا آخرها داراً ؟ فأدرك سعد رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يارسول الله خيرّت دور الأنصار فجعلتنا آخرها داراً . فقال : « أو ليس بحسبكم أن تكونوا من الخيار ؟ » .

* * *

ذكر ملاقاة النساء والصبيان رسول الله - صلى الله عليه وسلم

روى البخارى وأبو داود والترمذى عن السائب بن يزيد - رضى الله عنه - قال : أذكر أنى خرجت مع الصبيان نتلقى رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى ثنية الوداع مقدمه من تبوك .

وروى البيهقى عن ابن عائشة - رحمه الله تعالى - قال : لما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقلن[1] :

طلع البـــدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينـــا مادعـــا لله داع

٥٩٥ وروى الطبرانى ، والبيهقى عن خريم بن أوس بن حارثة بن لأم / رضى الله عنه - قال : هاجرت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منصرفه من تبوك فسمعت العباس

---

(١) يقلن : جاء فى شرح المواهب ٣ : ٨٣ « غلب النساء والولائد على ذكور الصبيان لكثرتهن ولأن الغناء عادتهن بخلاف الصبيان » .

ابن عبد المطلب يقول : يارسول الله إنى أريد أن أمتدحك ؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « قل لا يفضض الله فاك » فقال[1] :

ولما قدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المدينة بدأ بالمسجد بركعتين ، ثم جلس للناس كما فى حديث كعب بن مالك . قال ابن مسعود : ولما قدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم المدينة قال : « الحمد لله الذى رزقنا فى سفرنا هذا أجراً وحسنة » وكان قدومه – صلى الله عليه وسلم – المدينة فى رمضان وكان المنافقون الذين تخلفوا عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يخبِّرون عنه أخبار السوء ، ويقولون : إن محمدا وأصحابه قد جهدوا فى سفرهم وهلكوا . فبلغهم تكذيب حديثهم وعافية رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه ،فساءهم ذلك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُم ﴾[2]

* * *

ذكر بيع المسلمين أسلحتهم وقولهم : قد انقطع الجهاد

٣٤٦ أ قال ابن سعد : وجعل المسلمون يبيعون أسلحتهم ويقولون : قد انقطع الجهاد./ فبلغ ذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فنهاهم وقال : « لا تزال عصابة من أمتى يجاهدون على الحق حتى يخرج الدَّجَّال » .

* * *

ذكر أمر مسجد الضرار عند رجوع رسول الله – صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك

روى ابن إسحاق عن أبى رُهْم كُلْثُوم بن الحصين الغِفَارِى ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وابن مردويه من طريق آخر . والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس – رضى

---

(١) بياض فى الأصول . ولم يذكر قصيدة العباس رضى الله عنه – وهى كما فى السيرة النبوية لابن كثير ٥ : ٢٧ ، ٢٨ وشرح المواهب ٣ : ٨٤ .

من قبلهـا طبت فى الظـلال وفى	مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطـت البـلاد لا بشـر	أنت ولا نطفـة ولا علق
بل نطفـة تركب السفين وقد	ألجـم نسرا وأهـله الغرق
تنقـل من صـالب إلى رحـم	إذا مضى عـالم بـدا طبـق
وردت نار الخليـل مكتتـما	فى صلبه أنت كيف يحـترق
حتى احتوى بيتـك المهيمن من	خندق عليـاء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأر	ض فضاءت بنـورك الأفق
فنحن فى ذلك الضـياء وفى النـور	وسـبل الرشـاد نخـترق

(٢) سورة التـوبة آية ٥٠ .

الله عنهم ـ وابن أبي حاتم وابن مردويه عن طريق آخر عن ابن عباس ، وابن المنذر عن سعيد بن جبير ومحمد بن عمر عن يزيد بن رومان ـ رحمهم الله تعالى ـ أن بنى عمرو بن عوف بنوا مسجداً فبعثوا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأتيهم فيصلى فيه ، فلما رأى ذلك ناسٌ من بنى غَنْم بن عوف فقالوا : نبنى نحن أيضاً مسجدا كما بنوا ، فقال لهم أبو عامر الفاسق قبل خروجه إلى الشام : ابنو مسجدكم واستمدوا فيه بما استطعتم من قوة وسلاح فإنى ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتِى بجيش من الروم فأُخرِج محمَّداً وأَصْحَابَه . فكانوا يرصدون قدوم أبى عامر الفاسق ، وكان خرج من المدينة محارباً لله تعالى ولرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما فرغوا من مسجدهم أرادوا أن يُصَلِّى فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليروج لهم ما أرادوه من الفساد والكفر والعناد ، فعصم الله تبارك وتعالى رسولَه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الصلاة فيه ، فأَتى جماعة منهم لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يتوجه إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله إنا بَنَيْنَا مسجداً لذى العِلَّة والحاجة والليلة المطيرة ، وإنا نحب أن تأْتينا فتصلى لنا فيه قال : « إنى على جَنَاح سَفرٍ وحال شغل ، وإذا قدمنا إن شاءَ الله صَلَّينا لكم فيه » فلما رجع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من غزوة تبوك ونزل بذى أَوان ـ مكان بينه وبين المدينة ساعة ـ أنزل الله سبحانه وتعالى : ﴿ والَّذِين اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وكُفْراً ﴾[1] الآية

روى البيهقى فى الدلائل عن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ فى قوله تعالى : (والَّذِين اتخذوا مَسْجِداً ضِرَاراً) / هم أُناس من الأنصار ، ابتنوا مسجدا ، فقال لهم أبو عامر : ٥٩٦ت ابنوا مسجدكم واستمدوا ما استطعتم من قوة ومن سلاح فإنى ذاهب إلى قيصر ملك الروم ، فآتِى بجند من الروم فأُخرج محمدا وأَصحابه . فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا : فرغنا من بناء مسجدنا [ونحن نحب][2] أن تصلى فيه وتدعو لنا بالبركة ، فأَنزل الله عز وجل : (لَا تَقُمْ فِيه أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّل يَوْم) ـ يعنى مسجد قباء ـ (أَحقُّ أَن تقُومَ فيه فيه رِجَالٌ) إلى قوله : ﴿ إِلَى جُرُف هار فانْهار بِهِ فِى نارِ جَهَنَّم واللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْم الظَّالِمِين ﴾[3] قال الحافظ بن حجر : ٣٤٦ب

(١) سورة التوبة آية ١٠٧ .
(٢) سقط فى الأصل ، والمثبت عن شرح المواهب ٣ : ٨١ .
(٣) سورة التوبة آية ١٠٩ .

والجمهور على[1] أن المسجد المراد به المسجد الذى أسس على التقوى مسجد قباء ، وقيل : هو مسجد المدينة . قال : والحق أن كلا منهما أُسس على التقوى .

وقوله تعالى – فى بقية الآية (فيه رجَالٌ يُحبُّون أن يتطهروا) يؤكد أن المسجد مسجدُ قباء .

قال الداودى وغيره : ليس هذا اختلاف ، فإن كلا منهما أُسس على التقوى ، وكذا قال السهيلى وزاد أن قوله : (مِنْ أَوَّلِ يَوْم) يقتضى مسجد قباء ، لأن تأْسيسه كان مِنْ أول يوم وصل النبي – صلى الله عليه وسلم – بدار الهجرة .

وروى ابن أبى شيبة ، وابن هشام عن عروة عن أبيه قال : كان موضع مسجد قباء لامرأة يقال لها ليَّه كانت تربط حماراً لها فيه ، فابْتنى سعد بن خيثمة مسجداً ، فقال أهل مسجد الضرار : نحن نصلى فى مربط حمار لَيَّه ؟ لا لعمر الله ، لكنا نبنى مسجدا فنصلى فيه ، وكان أبو عامر برئ من الله ورسوله ، ولحق بعد ذلك بالشام فتنصر فمات بها ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً[2] ﴾ قال ابن النجار : هذا المسجد بناه المنافقون مضاهياً لمسجد قُبَاء ، وكانوا مجتمعين فيه يعيبون النبي–صلى الله عليه وسلم – ويستهزئون به ، وقال ابن عطية : روى عن ابن عمر أنه قال : المراد بالمسجد الذى أُسس على التقوى هو مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والمراد بقوله ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ[2] ﴾ هو مسجد قُباء ، وأن البنيان الذى أُسس على شفا جرف هار فهو مسجد الضِّرَار بالإجماع .

قال ابن إسحاق ، وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا : خِذَامُ بن خالد من بنى عبيد ابن زيد ، ومُعتِّبُ بن قشَيْر من بنى ضبيعة بن زيد ، وأبو حبيبة بن الأَزعر من بنى ضبيعة بن زيد ، وعَبَّادُ بن حُنَيْف أخو سهل بن حنيف من بنى عمرو بن عوف ، وجَارية بن عامر ، وابناه مُجَمِّع بن جارية وزيد بن جارية ، ونُفَيْل بن الحرث من بنى ضبيعة ، وبَحْزَج بن عثمان من بنى ضبيعة ، ووديعة بن ثابت من بنى أُمية بن عبد المنذر[3].

---

(١) فى ت « والجمهور على أن المراد بالمسجد الذى أسس على التقوى » .

(٢) سورة التوبة آية ١٠٩ .

(٣) وفى سيرة النبى لابن هشام ٣ : ١٤٣ « ووديعة بن ثابت وهو من بنى أمية بن زيد رهط أبى لبابة بن عبد المنذر » .

وقال بعضهم : إن رجالا من بنى عمرو بن عوف وكان أبو عامر المعروف بالراهب - وسماه النبي صلى الله عليه وسلم - بالفاسق - منهم ، فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم مالك بن الدُّخْشُم أخا بنى سالم بن عوف ، ومعن بن عَدِىّ وأخاه / عاصم بن عَدِى - ٣٤٧ أ زاد البغوى : وعامر بن السكن ووحشى قاتل حمزة ، زاد الذهبي فى التجريد : سويد ابن عباس الأنصارى - فقال : « انطلقوا إلى / هذا المسجد الظالم أهله فَهدِّمُوه وحرِّقُوه » ٥٩٧ ت فخرجوا مسرعين حتى أتوا بنى سالم بن عوف ، فقال مالك لرفيقيه : أَنظِرانى حتى أخرج إليكما ، فدخل إلى أهله وأخذ سعفاً من النخيل فأَشْعَلَ فيه ناراً ، ثم خرجوا يشتدون حتى أتوا المسجد بين المغرب والعشاء ، وفيه أهله وحرقوه وهدموه حتى وضعوه بالأرض وتفرق عنه أصحابه ، فلما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة عرض على عاصم ابن عدى المسجد يتخذه دَاراً ، فقال عاصم يا رسول الله : ما كنت لأتخذ مسجداً - قد أنزل الله فيه ما أنزل - داراً ، ولكن أعطه ثابت بن أَقْرَم فإنه لا منزل له ، فأعطاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثابت بن أقرم . فلم يولد فى ذلك البيت مولود قط[1] . ولم ينعق فيه حمام قط، ولم تحضن فيه دجاجة قط .

وروى ابن المنذر عن سعيد بن جبير ، وابن المنذر وابن أبى حاتم ، وأبو الشيخ عن قتادة ، وابن المنذر عن ابن جريج - رحمهم الله تعالى - قالوا : ذكر لنا أنه حُفِرَ فى مسجد الضِّرار بقعة فأبصروا الدخان يخرج منها .

* * *

ذكر ملاقاة الذين تخلفوا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم

قال ابن عقبة : لما دنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المدينة تلقاه عامة الذين تخلفوا عنه ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : لأصحابه « لا تكلموا رجُلاً منهم ولا تجالسوهم حتى آذن لكم » فأعرض عنهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنون حتى إن الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه ، وحتى إن المرأة لتعرض عن زوجها ، فمكثوا كذلك

(١) أضاف الواقدى فى المغازى ٣ : ١٠٤٧ بعد هذا « وكان أبو لبابة بن عبد المنذر قد أعانهم فيه بخشب ، وكان غير مغموص عليه فى النفاق . ولكنه كان يفعل أموراً تكرهه له ، فلما هدم المسجد أخذ أبو لبابة خشبه ذلك فبنى به منزلا ، وكان بيته الذى بناه إلى جنبه قال : فلم يولد له فى ذلك البيت مولود قط » .

أياماً حتى ركب[1] الذين تخلفوا ، وجعلوا يعتذرون إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالجهد والأسقام ، ويحلفون له، فرحمهم وبايعهم واستغفر لهم .

* * *

ذكر حديث كعب بن مالك وأصحابه – رضى الله عنهم[2]

روى ابن إسحاق ، وعبد الرزاق ، وابن أبي شيبة ، والإمام أحمد ، والشيخان عن كعب ابن مالك – رضى الله عنه – قال : لم أتخلف عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى غزوة غزاها إلا فى غزوة تبوك ؛ غير أنى كنت تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب الله أحداً تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، / ولقد شهدت مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليلة العقبة ٣٤٧ب حين تواثقْنَا على الإسلام ، وما أُحِبُّ أنَّ لى بها مَشْهَدَ بدر ، وإن كانت بدر أذكر – وفى رواية : وإن كانت بدر أكثر ذكراً فى الناس منها . كان من خبرى أنِّى لم أكن قَطُّ أقوى ولا أيسر منِّى حين تخلَّفْتُ عنه فى تلك الغزوة ، والله ما اجتمعت عندى قبله راحلتان قط حتى جمعتهما فى تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يريد غزوة إلا وَرَّى بغيرها ، وكان يقول : « الحرب خدعة » حتى كانت تلك الغزوة ؛ غزاها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى حَرٍّ شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً[3] وعدداً كثيراً ، فجلَّى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أُهْبَةَ غزوهم – وفى لفظ أُهْبَةَ عدوهم – فأخبرهم بوجهه الذى يريد ، والمسلمون مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كثيرون – وعند مسلم يزيدون على عشرة آلاف .

٥٩٨ت وروى الحاكم فى الإكليل عن معاذ – رضى الله عنه / قال : خرجنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفا ، وقال أبو زُرْعَة الرازى : لا يجمعهم كتابٌ حافظ – قال الزهرى : يريد الديوان ، قال كعب : فما رجل يريد أن يتغيب إلاَّ ظن أنْ[4] سيخفى له ما لم ينزل فيه وحى الله تعالى .

---

(١) كذا فى الأصول . وفى شرح المواهب ٣ : ٨٥ « كرب الذين تخلفوا » .

(٢) انظر حديث كعب فى البداية والنهاية ٥ : ٢٣ ، والمغازى للواقدى ٣ : ٩٩٧ ، وشرح المواهب ٣ : ٦٣ ، ٨٥ .

(٣) كذا فى الأصول . وشرحها المصنف فى الغريب فقال : المفازة الفلاة . وفى شرح المواهب ٣ : ٦٣ « وغزا عدداً كثيراً » وكذا فى ت ٥٩٧ . وفى المغازى للواقدى ٣ : ٩٩٠ « وغزا وعدداً كثيراً » وفى البداية والنهاية ٥ : ٢٣ « واستقبل سفراً بعيداً وعدواً وعداداً كثيراً » .

(٤) كذا فى النسخ ماعداً ت ٥٩٨ ففيها « إنه سيخفى » وفى البداية والنهاية ٥ : ٢٣ « أنه يستخفى » .

وغزا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تلك الغزوة حين طابت الثمار والغلال فى قيظ شديد ، فى حال الخريف والناس خارفون فى نخيلهم ، وتجهَّزَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتَجهَّزَ المسلمون معه ، فخرج فى يوم الخميس وكان يُحِبُّ إذا خرج فى سفر جهاد أو غيره أن يخرج يوم الخميس ، فطفِقت أغدو لكى أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئا ، فأقول فى نفسى : أنا قادر عليه ، وفى رواية : وأنا أقدر شيئا فى نفسى على الجهاد وخفة الجهاد ، وأنا فى ذلك أصبو إلى الظلال والثمار ، ولم يزل يتمادى بى الحاذ[1] حتى اشتد بالناس الجِدُّ ، فأصبح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – غاديا والمسلمون معه يوم الخميس ، ولم أقض من جهازى شيئا ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألحقهم ، فغدوتُ بعد أن فَصَلُوا لأتجهز فرجعت ولم أَقْض شيئاً . فلم يزل ذلك يُتمَادى بى حتى أمعن القوم وأسرعوا وتفارط الغزو ، وهممت أنْ أرتحل فأدركهم – وليتنى فعلت – !! فلم يُقْدَر لى ذلك ، فكنت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فطفت فيهم أحزننى أنى لا أرى إلاَّ رجُلاً مغموصاً عليه بالنفاق ، أو رجُلاً مِمَّن عذَّر اللهُ – تعالى – من الضعفاء – وعند عبد الرزاق : وكان جميع من تخلَّف عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بضعة وثمانين رجُلاً – ولم يذكُرْنى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى بلغ تبوك . فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : « مَا فَعَلَ كعْبُ بْنُ مَالِك ؟ » فقال رجُلٌ من بنى سَلِمة ، وفى رواية من قومى – قال محمد بن عمر : هو عبد الله بن أنيس السَّلَمى – بفتح اللام – لا الجهنى : يارسول الله حبسه بُرْدَاه ونَظَرُه فى عِطْفَيه . فقال معاذ بن جبل – قال محمد بن عمر : وهو أثبت ، ويقال : أبو قتادة : بئس ما قلت ! والله يا رسول الله ما علمتُ عليه إلا خيرا . فسكت رسول الله – صلى الله عليه وسلم .

قال كعب بن مالك : فلما بلغنى أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – توجه قافلا حضرنى همى ، وطفقت أعد عُذْراً لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأهيئ الكلام ، وأقول : بماذا أخرج من سخطه – صلى الله عليه وسلم – غدا ، واستعنت على ذلك بكل ذى رأْى من أهلى ، فلما قيل إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد أظلَّ قادماً زاح عنى الباطل ،

(١) كذا فى النسخ ماعداً ت ٥٩٨ ، ففيها « الحال » وفى شرح الغريب قال « الحاذ هى الحال وزنا ومعنى » .

وعرفت أنى لم أخرج منه أبداً بشئ فيه كذب ، فأجمعت صدقه ، وعرفت أنه لا ينجينى منه إلا الصدق ، وأصبح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قادماً ، قال ابن سعد : فى رمضان ، قال كعب : وكان إذا قدم من سفر لا يقدم إلا فى الضحى فيبدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم يدخل على فاطمة ثم على أزواجه ، فبدأ بالمسجد فركعهما ، ثم جلس للناس.

فلما فعل ذلك جاءه المُخلَّفُون فطفقوا يعتذرون إليه ، ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين / رجلا ، فقبل منهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى ، فجئته ، فلما سلمت عليه ، تبسم تبسُّم المُغْضَب ، فقال : « تعال » فجئت أمشى حتى جلست بين يديه – وعند ابن عائذ : فأعرض عنه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : يا نبى الله ، لم تعرض عنى ؟ فوالله ما نافقت ، ولا ارتبت ، ولا بدَّلت – قال كعب : فقال لى : « ما خلَّفَك ؟ » ألم تكن قد ٱبْتَعْتَ ظَهْرَك ؟ » فقلت : بلى إنى والله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأُخرج من سخطِه بعُذر ، ولقد أُعْطِيتُ جَدَلاً ، ولكنى – والله – لقد علمت لئن حدَّثْتُكَ اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله تعالى أن يُسْخِطَكَ على ، ولئن حَدَّثْتُك اليوم حديث صِدْقٍ تجِدُ علىَّ فيه ، إنى لأرجو فيه عَفْوَ الله عنى ، لا والله ما كان لى من عُذْر ، والله ما كنت أقْوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك . فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : « أمَّا هذا فقد صَدَق ، فقم حتى يَقْضِى اللهُ تعالى فيك ما يشاء » فَقُمت ، فمضيت وثار رجال من بنى سَلمة فاتبعونى ، فقالوا : ما علمناك / كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزْت أن لا تكون اعتذرت إلى رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم – بما اعتذر به إليه المخلَّفون ، وقد كان كافيك ذَنْبَكَ استغفارُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لك . فوالله مازالوا يُؤَنِّبُونَنى ، حتى أردت أن أرجع فأُكَذِّبَ نفسى ، فقلت : ما كنت لأجمع أمرين : أتخلف عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأكذبه ، ثم قلت لهم : هل لقى هذا معى أحد ؟ قالوا : نعم رجلان قالا مثل ما قلت ، فقيل لهما مثل ما قيل لك ، فقلت : من هُمَا ؟ قالوا : مُرَارةُ بنُ الربيع العَمْرى ، وهلال بن أُميَّة الواقفى.

٥٥٩ت

٣٤٨ب

وعند ابن أبى حاتم من مرسل الحسن : أن سبب تخلف الأول أنه كان له حائط حين زها ، فقال فى نفسه : قد غزوت قبلها فلو أقمت عامى هذا ؟! فلما تذكر ذنبه

قال : اللهم إنى أُشهدك أنى قد تصدقت به فى سبيلك . وأن الثانى كان له أهل تفرقوا ثم اجتمعوا فقال : لو أقمت هذا العام عندهم . فلما تذكر قال : اللهم لك على أن لاأرجع إلى أهلى ولا مالى .

قال كعب : فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدراً فيهما أُسْوَة ، فمضيت حين ذكروهما لى . ونهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فَاجْتَنَبَنَا الناسُ وتغيروا لنا – وعند ابن أبى شيبة . فطفقنا نغدو فى الناس لا يكلمنا أحد ، ولا يسلم علينا أحد ، ولا يرد علينا سلاما . وعند عبد الرزاق : وتنكر لنا الناس حتى ماهم بالذى نعرف، وتنكرت لنا الحيطان حتى ما هى بالتى نعرف انتهى . ما من شئٌ أهم إلى مِنْ أن أموت فلا يصلى علىَّ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – أو يموت فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمنى أحد ولا يصلى علىَّ – حتى تنكرت فى نَفسِى الأَرضُ حتى ما هى التى أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاستكانا ، وقعدا فى بيتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأَجْلَدَهم ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف الأسواق فلا يكلمنى أحد ، ولا يرد عَلَىَّ سَلاماً، وآتِى رسُولَ الله – صلى الله عليه وسلم – وهو فى مجلسه / بعد الصَّلاَة [فأُسلم عليه][1] وأقول فى نفسى : هل حرَّكَ شفتيه برد السلام علىَّ أم لا ؟ ثم أُصلى قريباً منه فأُسارقه النظر ، فإذا أقبلتُ على صلاتى أقبل علىَّ ، فإذا التفت نحوه أعرض عنى . حتى إذا طال علىَّ ذلك من جفوة الناس مشيتُ حتى تسوَّرْتُ جدار حائط أبى قتادة ، وهو ابن عمى : أى أنه من بنى سلمة وليس هو ابن عمه أخو أبيه الأقرب ، قال كعب : وهو أحب الناس إلى ، فسلمت عليه فوالله ما رد علىَّ ، فقلت له : يا أبا قتادة ، أنشُدُك بالله ، هل / تَعْلَمُنِى أُحبُّ الله ورسوله ؟ فسكت ، فعُدْتُ له فَنَشَدْتُه [فسكت ، فعدت له فنشدته] فلم يكلمنى ، حتى إذا كان فى الثالثة أو الرابعة قال : الله ورسوله أعلم . ففاضت عَيْنَاى ، وتوليت حتى تسورت الجدارَ ، قال فبينا أنا أمشى فى سوق المدينة إذا بنبَطِى من أنباط الشام ممن قدِم بالطعام يبيعُه بالمدينة يقول : مَنْ يَدُلُّ على كعب بن مالك ؟فَطَفِق الناسُ يُشيرون له ، حتى إذا جاءنى دفع إلى كتاباً من مَلكِ غَسَّان[2] ، وعند ابن أبى شيبة : مِن بعض

٦٠٠ت

٣١٩/أ

(١) إضافة عن المغازى للواقدى ٣ : ١٠٥١ .

(٢) وفى المرجع السابق ٣ : ١٠٥١ ، ١٠٥٢ « فدفع إلى كتاباً من الحارث بن أبى شمر ملك غسان ، أو قال من جبلة ابن الأيهم فى سرقة من حرير فإذا فى كتابه ... » .

من بالشام كتب إلى كتاباً فى سرقة حرير فإذا فيه : أما بعد فإنه قد بَلَغنى أن صاحبك قد جفاك فأقصاك ولم يجعلْكَ الله بدارِ هوان ولا مَضْيَعَة ، فإن تكُ متحولا فالحق بنا نواسيك . فقلت ، لما قرأتها : وهذا أيضاً من البلاء ، قد طمع فى أهل الكفر ، فتيممتُ بها التَّنُّور فسجرته بها .

وعند ابن عائِذ : أنه شكا قدره إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقال : ما زال إعراضك عنى حتى رَغِبَ فىَّ أهلُ الشرك ، قال كعب : حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم – يأْتينى . قال محمد بن عمر : وهو خزيمة بن ثابت ، وهو الرسولُ إلى مُرَارة وهلال بذلك . قال كعب : فقال : إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يأْمرك أن تعتزل امرأتك : أى عمرة بنت حمير بن صخر ابن أمية الأنصارية أو خيرة – بفتح الخاء المعجمة فالتحتانية – فقلت : أُطَلِّقها أو ماذا أفعل ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تَقْرَبْهَا ، وأَرسَلَ إلى صاحبى مثل ذلك . فقلت لامرأتى الْحَقِى بأَهْلك ، فتكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأَمر . قال كعب : وَجَاءَتْ امرأة هلال بن أمية ؛ أى خولة بنت عاصم لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالت : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخٌ ضائعٌ ليس له خادم – وعند ابن أبى شيبة : إنه شيخ قد ضَعُفَ بصره – انتهى .. فهل تكره أن أَخْدُمَه ؟ قال : « لا ، ولكنْ لَا يَقْربكِ » قالت : إنه والله ما به حركةٌ إلى شئ ! ! والله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . قال كعب : فقال لى بَعْضُ أَهْلى : لو استأْذنت رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – فى امرأتك كما أذن لهلال بن أمية أن تخدمه ، فقلت : والله لا أَستأْذن فيها رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – وما يُدْرِينى ما يقولُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا استأْذنته فيها ، وأنا رجل شاب ، فلبثتُ بعد ذلك عشر ليال حتى كَمَلَتْ لنا خمسون ليلةً من حين نهى رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – عن كلامنا .

وعند عبد الرزاق : وكانت تَوْبَتُنَا نَزَلَتْ على النبى – صلى الله عليه وسلم – ثلث الليل – فقالت أم سلمة : يا نبى الله ألا نُبَشِّر كعب بن مالك ؟ قال : إذاً يحْطمكم الناس

٦٠١ت
٣٤٩ب

ويمنعونكم النوم سائر / الليلة. قال : وكانت أم سلمة تجيئه فى ثانى عشره بأمرى[١]. فَلَمَّا صلَّيْتُ الفجْرَ صُبْحَ خمْسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينا أنا جالس على الحال الذى ذكره[٢] الله تعالى قد ضاقت عليَّ نفسى وضاقت عَلَيَّ الأَرضُ بما رحبت ، سمعتُ صوتاً صارخاً أوفى على جبل سَلْع يقول بأعلى صوته : يا كَعْب بنَ مالك ، أَبْشِرْ - وعند محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - أن الذى أوفى على سَلْع أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - فصاح : قد تاب الله - تعالى - على كَعْب ، يا كعب : أبشر . وعند ابن عقبة أن رجلين سَعَيَا يريدان كعْباً يبشرانه ، فسبق أحدهما ، فارتقى المسبوقُ على سَلْع فصاح يا كعب ، أَبْشِر بتوبة الله - تعالى - وقد أنزل الله - تعالى - عز وجل فيكم القرآن ، وزعموا أن اللذين سعيا أبو بكر وعمر ، قال كعب : فخررت ساجداً أبكى فرحاً بالتوبة ، وعرفت أن قد جاء فرج ، وآذن رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بتوبة الله - تعالى - علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهبَ الناسُ يبشروننا ، وذهب قِبَلَ صاحبيَّ مبشرون ، وَرَكَضَ إليَّ رجلٌ على فرس - وعند محمد بن عمر : هو الزبير بن العوام - رضى الله عنه - قال كعب : وسعى ساعٍ من أَسْلَم [حتى أوفى على الجبل][٣] وعند محمد بن عمر : أنه حمزة بن عمرو الأَسلميّ : قال كعب : وكان الصوتُ أسرع من الفرس ، فلما جاءنى الذى سمعتُ صوته ، وهو حمزة الأَسلمى يبشرنى ، نزعت له ثوبيَّ فكسوته إياهما ببشراه ، والله ما أَملكُ غيرهما يومئذ . واستعرت ثوبين من أَبى قتادة - كما عند محمد ابن عمر - فلبستهما . قال : وكان الذى بَشَّر هلال بن أمية بتوبته سعيد بن زيد[٤] ، فما ظننت أنه يرفع رأسه حتى تخرج نفسه ، أى من الجهد ، فقدْ كان أمتنع عن الطعام حتى كان يواصل الأَيام صِيَاماً لا يَفْتُرُ عن البكاء ، وكان الذى بشر مرارة بن الربيع بتوبته سِلكان بن سلامة[٥] أو سلامة بن وقش .

قال كعب : وأنطلقت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتلقانى الناسُ فوْجاً

---

(١) كذا الرسم فى الأصول دون إعجام ، ولم يظهر لى المعنى . ولعلها « بأمرى» .

(٢) يشير إلى الآية ١١٨ من سورة التوبة .

(٣) الإضافة عن سيرة النبى لابن هشام ٣ : ١٤٨ .

(٤) هو أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل (المغازى للواقدى ٣ : ١٠٥٣) .

(٥) وفى المرجع السابق « سلكان بن سلامة أبو نائلة وسلامة بن سلامة بن وقش » .

فوجاً يهنئونى بالتوبة ، يقولون : لِتَهْنِكَ توْبَةُ الله – تعالى – عليك . قال كعب : حتى دَخلتُ المسجد ، فإذا برسول الله – صلى الله عليه وسلم – جالس حوله الناس ، فقام إلىَّ طلحةُ بنُ عُبَيْدالله يُهَرْوِلُ حتى صافحنى وهنأنى . والله ما قام إلى رجلٌ من المهاجرين غيرُه ولا أنساها لطلحة . قال كعب : فلمَّا سَلَّمْتُ على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو يَبْرُق وجهه من السرور « أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ / مرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ » فقلت : يارسول الله ، أَمِنْ عندك أم من عند الله ؟ قال : « لا بل من عند الله ، إنكم صدقتم الله فصدقكم الله » وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا سُرَّ استَنَار وَجْهُه كأنه قطعة قمَر ، وكنا نعرف ذلك منه ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يديه قُلْتُ : يارسول الله ، إنَّ مِنْ تَوْبَتِى أن أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِى كُلِّه صَدَقَةً إلى الله – تعالى – وإلى رسوله – صَلَّى الله عليه وسلم – قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فهو خيرٌ لَكَ » قلت : نصفه ؟ قال « لا » قلت : ثلثه ؟ قال : « نعم » قلت : فإنى أمسك سهمى الذى بخيبر ، وقلت : يارسول الله إنما نَجَّانِى الله – تعالى – بالصدق وإنَّ مِنْ توبتى ألا أُحدث إلاَّ صِدْقاً ما بقيت ، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أَبْلاَه الله – تعالى – فى صدق الحديث / منذ ذكرت ذلك لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – أحسن مما أبلانى ، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى يومى هذا كذبا ، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله – تعالى – فيما بقيت ، فأنزل الله – تبارك وتعالى – على رسوله – صلى الله عليه وسلم : (لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِىِّ وَالْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ) إلى قوله : ﴿ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[1] فوالله ما أنعم الله علىَّ من نعمةٍ – بعد أنْ هَدَانى للإسلام – أعظم فى نفسى من صدق لِرسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن لا[2] أكون كذبته فَأَهْلِكَ كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله تعالى قال فى الذين كذبوا حين أنزل الوحى شرَّ ما قال لأحد ، فقال تبارك وتعالى : (سَيَحْلِفونَ بِاللهِ لَكُمْ إذا انْقَلَبْتُمْ إلَيْهِمْ) إلى قوله : ﴿ فإنَّ اللهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الفاسِقِينَ ﴾[3] .

١٣٥٠ أ

٦٠٢ ت

---

(١) سورة التوبة الآيات ١١٧ – ١١٩ .

(٢) عبارة الأصول « إلا أن » وفى البداية والنهاية ٥ : ٢٦ « أن لا أكون » والمثبت هنا يوافق ماسيرد فى شرح الغريب ص ٧١٧ وما فى المغازى للواقدى ٣ : ١٠٥٥ .

(٣) سورة التوبة الآيتان ٩٥ ، ٩٦ .

قال كعب : وكنا قد تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أُولئك الذين قبل منهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين حلَفُوا له فبايعهم وٱستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أَمْرَنَا حتى قضى الله سبحانه وتعالى فيه بذلك قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾[1] وليس الذى ذكر الله مما خُلِّفْنَا عن الْغَزْو وإنما تخليفه إيَّانَا وَإِرْجَاؤُه أمرنا عمن حلَف له واعتذر إليه ، فقبل منه .

وروى ابن عساكر عن كعب بن مالك – رضى الله عنه – قال : لما نزلت توبتى قبّلتُ يدَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم .

* * *

ذكر أقوام تخلفوا من غير عذر

روى ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أَبى حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنهما . والبيهقى عن سعيد بن المسيب / رحمه الله – فى قوله ٣٥٠ب تعالى : ﴿ وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بذنُوبهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً ﴾[2] قال ابن عباس : كانوا عشرة رهط تخلفوا عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى غزوة تبوك منهم : أبو لُبَابة ، وسمى قتادة منهم : جَد بن قيس وجذام بن أوس[3] . رواه ابن أَبى حاتم .

فلما قفل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أوثق سبعةٌ منهم أنفسهم بسوارى المسجد ؛ وكان ممرّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا رجع من المسجد عليهم ، فلما رآهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « من هؤلاء الموثقون أنفسهم » قالوا : هذا أبو لُبَابة وأصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله ، فعاهدوا الله ألا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم فترضى عنهم وتعذرهم ، وقد اعترفوا بذنوبهم ،فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « وأنا أُقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله تعالى هو الذى يطلقهم ؛

---

(١) سورة التوبة آية ١١٨ .

(٢) سورة التوبة آية ١٠٢ .

(٣) وفى شرح المواهب ٣ : ٨٧ « من حديث ابن عباس فى قوله تعالى (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحاً . .) قال : كانوا عشرة رهط تخلفوا عن النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فلما رجع صلى الله عليه وسلم أوثق سبعة منهم أنفسهم بسوارى المسجد . وثلاثة لم يوثقوا ، وهم كعب ومرارة وهلال ، والذين أوثقوا : أبو لبابة وأوس ابن جذام وثعلبة بن وديعة – رواه ابن منده وأبو الشيخ عن جابر باسناد قوى . وجد بن قيس وجذام بن أوس ، ومرداس – رواه عبد بن حميد وابن أبى حاتم من مرسل قتادة . والسابع وداعة بن حرام الانصارى – رواه المستغفرى عن ابن عباس » .

رغبوا عنى وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين » فلما بلغهم ذلك قالوا : ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله تبارك وتعالى هو الذى يطلقنا ، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ﴾[1] وعسى من الله واجب ؛ ﴿ إنه هو التواب الرحيم﴾[2] فلما نزلت أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليهم فأطلقهم وعذرهم . قال ابن المسيب : فأرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أبى لبابة ليطلقه ، فأبى أن يطلقه أحدٌ إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاءه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأطلقه بيده ، فجاءوا بأموالهم فقالوا : يا رسول الله هذه أموالنا / فتصدق بها عنا واستغفر لنا ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « مَا أُمِرْتُ أَنْ آخُذَ أَمْوَالَكُمْ » فأنزل الله تعالى : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ يقول : استغفر لهم ﴿ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾[3] يقول : رحمة. فأخذ منهم الصدقة ، واستغفر لهم، وكان ثلاثة نفر منهم لم يوثقوا أنفسهم بالسوارى فأُرْجِئُوا سَنَةً لا يدرون يعذبون أو يتاب عليهم، فأنزل الله تعالى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾[4] إلى آخر الآية . وقوله : (وعلى الثلاثة الَّذِينَ خُلِّفُوا) إلى قوله : ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[5] يعنى استقاموا فأنزل الله تبارك - وتعالى - فى شأن هذه الغزوة كثيراً من سورة براءة تقدم كثير من ذلك / فى محالِّه .

٦٠٣ ٥٣١ أ

قال البيهقى : وزعم ابن إسحاق أن ارتباط أبى لبابة كان فى وقعة بنى قريظة ، وقد روينا عن ابن عباس وسعيد بن المسيب ما دلَّ على أن ارتباطه كان بتخلفه فى غزوة تبوك .

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٢ .
(٢) سورة البقرة من الآية ٣٧ ، ومن الآية ٥٤ .
(٣) سورة التوبة آية ١٠٣ .
(٤) سورة التوبة آية ١١٧ .
(٥) سورة التوبة آية ١١٨ .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : تَبُوك ـ بفتح الفوقية وضم الموحدة وهى أقصى أثر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهى فى طرف الشام من جهة القبلة ، وبينها وبين المدينة المشرفة اثنتا عشرة مرحلة . قال فى النور : وكذا قالوا ، وقد سرناها مع الحجيج فى اثنتى عشرة مرحلة ، وبينها وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة . والمشهور ترك صرفها للعلمية والتأنيث . وفى حديث كعب السابق : ولم يذكرنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى بلغ تبوكاً كذا فى جميع النسخ فى صحيح البخارى وأكثر نسخ صحيح مسلم تغليباً للموضع ، وكذا قال النووى والحافظ وجَمعٌ . قال فى التقريب : وهو سَهْوٌ لأن علَّة منعه كونه على مثال الفعل « تَقُول » فالمذكر والمؤنث فى ذلك سواءٌ .

قال فى الروض تبعاً لابن قتيبة : سُمِّيت الغزوة بعين تبوك ، وهى العين التى أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألا يمسوا من مائِها شيئا فسبق إليها رجلان ، وهى تبض بشئٍ من ماء فجعلا يدخلان فيها سهمين ليكثر ماؤها ، فسبهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما زلتما تَبُوكانها منذ اليوم ، فلذلك سُمِّيت العين تبوك . البوكُ كالنَّقْشِ والْحَفْرِ فى الشئ ، ويقال : منه باك الحمارُ الأَتَانَ يَبُوكها إذا نزا عَليهَا . قال الحافظ : وقعت تسْمِيتها بذلك فى الأَحاديث الصحيحة « إنكم ستأْتون غدا عين تبوك » . رواه مالك ومسلم . قلت : صريح الحديث دالٌ على أن تبوك اسم على ذلك الموضع الذى فيه العين المذكورة . والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال هذا القول قَبْلَ أن يَصل تَبُوك بيوم . وذكرها فى المحكم فى الثلاثى الصحيح ، وذكرها ابن قتيبة والجوهرى وابن الأثير وغيرهم فى الْمُعتَل فى بوك .

الثانى : وقع فى الصحيح ذكرها بعد حجة الوَداع . قال الحافظ : وهو خطأٌ ، ولا خلاف أنه قبلها ولا أظن ذلك إلا من النُّسَّاخ ، فإن غزوة تَبُوك كانت فى رجب سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف . وعند ابن عائِذ من حديث ابن عباس : أنها كانت بعد الطائف بستَّةِ

٦٠٤ت أشهر ، وليس مخالفاً لِقَوْل من قال إنها فى رجب إذا حذفنا الكسور / لأنه ـ صلى الله عليه
٣٥١ب وسلم ـ / قد دخل المدينة من رجوعه إلى الطَّائِف فى ذى الحجة .

الثالث : قول أبي موسى : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « خُذْ هَذَيْنِ القَرِينيْنِ وَهَذَيْن القرينَين ، أى الجملين المشْدُودَيْنِ أحدهما إلى الآخر » لستة أبعرة ، لعله قال : هذين القرينين ثلاثا ، فذكر الرواة[1] مرتين اختصاراً . ولأبى ذرٍّ عن الحموى والمُسْتملى : وهاتين القرينتين وهاتين القرينتين ، أى الناقتين . وفى رواية فى بَابِ قدوم الأشعريين وأهل اليمن فى الصحيح[2] : فأمر لنا بخمس ذَوْد . وفى باب الاستثناء فى الأيمان بثلاثة ذوْد . والرواية الأُولى تجمع بين الروايات ، فلعل رواية الثلاثة باعتبار ثلاثة أزواج ، ورواية الخمس باعتبار أن أحد الأزواج كان قرينه تبَعاً فاعتدٌ به تارةً ولم يعتد به أُخرى ، ويمكن أن يجمع بينهما بأنه أمر لهم بثلاثة ذَوْد أَوَّلا ثم زادهم اثنين ؛ فإن لفظ زهدم أحد رواة الحديث : ثم أُتِيَ بنهب ذَوْد غُر الذُّرَى فَأَعْطانا خمس ذَوْد ؛ فوقعت فى رواية زهدم جملةُ ما أعطاهم ، و رواية غيلان : مبدأ ما أمر لهم به ولم يذكر الزيادة ، وأمَّا رواية : خذ هذين القرينين ثلاث مرار ، وفى رواية : ستة أبعرة ، فعلى ما تقدم أن تكون السادسة كانت تبعا فلم تكن ذودتها موصوفة بذلك ، قال الحافظ فى رواية : ستة أبعرة إما أن يحمله على تعدد القصة أو زادهم على الخمس واحدا .

الرابع : فى رواية أبي موسى قال : أُتِيَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنَهْب إبل فأمر لنا بخمس ذود . وفى رواية بعد قوله « خذ هذين القرينين » ابتاعهن من سعد ولم ينبه الحافظ على الجمع بين الروايتين فيحتمل ـ والله أعلم ـ أن يكون ما جاء من النهب أعطاه لسعد ثم اشتراه منه لأجل الأشعريين ، ويحتمل على التعدد .

---

(١) فى ت ٦٠٤ « الراوى » .
(٢) أى صحيح البخارى (شرح المواهب ٣ : ٦٨) .

الخامس : قال الحافظ : إنما غلظ الأمر على كعب وصاحبيه وهوجروا ؛ لأنهم تركوا الواجب عليهم من غير عذر؛ لأن الإمام إذا استنفر الجيش عموماً لزمهم النفير ولحق اللوم بكل فرد ؛ أى لو تخلف. قال ابن بطال : إنما اشتد الغضب على من تخلف وإن كان الجهاد فرض كفاية لكنه فى حق الأنصار خاصة فرض عين؛ لأنهم بايعوا على ذلك ، ومصداق ذلك قولهم وهم يحفرون الخندق:

نحن الذين بايعوا محمـــدا   على الجهاد ما بقينا أبـــدا

وكأن تخلفهم عن هذه الغزوة كبيرة لأنها كالنُّكث لبيعتهم / قاله ابن بطال : قال السهيلى : ولا أعرف له وجها غير الذى قاله ابن بطال . قال الحافظ : قد ذكرت وجهاً غير الذى ذكره / ، ولعله أقْعَد ويؤيده قوله سبحانه وتعالى : (مَا كان لِأَهْلِ الْمَدِينةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتخَلَّفُوا عَن رسُولِ اللهِ) الآية . وعند الشافعية : أن الجهاد كان فرض عين فى زمنه – صلى الله عليه وسلم – فعلى هذا فيتوجه العتاب على كل من تخلف مطلقا

٣٥٢ أ

السادس : قول أبى قتادة لما سأله كعبٌ : الله ورسوله أعلم . قال القاضى : لعل أبا قتادة لم يقصد بهذا تكليمه ؛ لأنه منهى عن كلامه . وإنما قال ذلك لنفسه لمَّا ناشده ، فقال أبو قتادة مظهراً لاعتقاده / لا ليُسْمِعُه .

٦٠٥ ت

السابع : قول كعب : قال لى بعض أهلى . قال فى النور : الظن أن القائل له من بعض أهله امرأة ، وذلك أن النساء لم يدخلن فى النهى ؛ لأن فى الحديث « ونهى المسلمين عن خطابنا » وهذا الخطاب لايدخل فيه النساءُ ، وأيضاً امرأته ليست داخلة فى النهى ، فدل على أن المراد الرجال ، وقال الحافظ : لعل القائل بعض ولده أو من النساء ، ولم يقع النهى عن كلام الثلاثة للنساء اللائى فى بيوتهن ؛ أو أن الذى كلمه كان منافقاً أو الذى يخدمه . ولم يدخل فى النهى .

الثامن : قال فى النور : لعل الحكمة فى هجران كعب وصاحبيه خمسين ليلة أنها كانت مدة غيبته – صلى الله عليه وسلم – لأنه خرج فى رجب على ما قاله ابن إسحاق ، وقدم فى

رمضان ، وقال بعضهم : فى شعبان ، وتقدم أنه أقام فى تَبُوك بضعة عشر يوما ، ويقال عشرين ، هذا ما ظهر لى،وأنت من ورائها للبحث والتنقيب[1] .

التاسع : دَلَّ صنْعُ كَعْبٍ بكتابِ ملك غسَّان على قوة إيمانه ومحبتهِ لله — تبارك وتعالى— ورسوله — صلى الله عليه وسلم — وإلا فمن صار فى مثل حاله من الهجر والإعراض قد يَضْعُف عن احتمال ذلك ، وتحمله الرغبةُ فى الجاه والمال على هجران مَنْ هجره ، ولاسيما مع أنه مِنَ المَلِكِ الذى استدعاه إليه ؛ لأنه لا يكرهه على فراق دينه لكن لما احتمل عنده أنه لا يأْمن من الافتتان حسم المادة وأحرق الكتاب ومنع الجواب ، هذا مع كونه من البشر الذى طُبِعَت نفوسهم على الرغبة ولاسيما مع[2] الاستدعاء والحثّ على الوصول إلى المقصود من الجاه والمال ، ولاسيما والذى استدعاه قريبه ، ومع ذلك فغلب عليه دينه ، وقوى عنده يقينه ، ورجح ما فيه من النّكْرِ[3] والتعذيب على ما دُعِيَ إليه من الراحة والتنعيم،حُبًّا فى الله تعالى ورسوله — صلى الله عليه وسلم — كما قال — صلى الله عليه وسلم —«وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » .

العاشر : قال بعضهم : سبب قيام طلحة لكعب رضى الله عنهما — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان آخى بينهما لما آخى بين المهاجرين والأنصار ، والذى ذكره أهل المغازى : أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان أخا الزبير لكن كان / الزبير أخا طلحة فى أخوة المهاجرين فهو أخو أخيه . ٣٥٢ب

الحادى عشر : استشكل إطلاق قوله — صلى اللهعليه وسلم — « أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أُمك » بيوم إسلامه ، فإنه مرّ عليه بعد أن ولدته أُمه ، وهو خير ما مر فقيل هو مستثنى تقديرا ، وإن لم ينطق به لعدم خفائه ، قال الحافظ : « الأَحسن فى الجواب أن يوم توبته يُكَمّل يومإسلامه فيوم إسلامه بداية سعادته ويوم توبته مكمل لها ، فهو خير من جميع أيامه ، وإن كان يوم إسلامه خيرها فيوم توبته المضاف إلى إسلامه خير يوم من يوم إسلامه المجرد عنها » .

---

(١) كذا فى الأصول . ولعلها دعوة للقارىء والباحث إلى الاجتهاد والاستقصاء فى المراجع بغية الوصول إلى معرفة حقيقة الفترة التى قضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تبوك .

(٢) فى ت ٦٠٥ « بعد الاستدعاء » . (٣) فى ت « النكد » .

الثانى عشر : فى بيان غريب ما سبق :

العُسْرة ـ بمهملتين الأُولى مضمومة والثانية ساكنة ، مأْخوذ من قوله تعالى : (ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلعُسرةِ[1]) أى الشدة والضيق .

الأَنباط : نسبة إلى استنباط الماء واستخراجه ، وهؤلاء كانوا فى ذلك الوقت أَهل الفلاحة ، ويقال : إن النبط ينسبون إلى نبيط بن هانب بن أُميم بن لاوذ بن سام بن نوح .

الروم ـ جيل من الناس معروف كالعرب والفرس ، وهم الذين يسميهم أهل بلادنا الفرنج ، من ولد روم بن عيص بن إسحاق ، غلب عليهم اسم أَبيهم فصار كالاسم للقبيلة ، وإن شئت قلت : هو جمع رومى منسوباً إلى الروم بن عيص .

هِرَقل ـ بكسر الهاء وفتح الراء وبالقاف هذا هو المشهور ، ويقال بكسر الهاء والقاف وسكون الراء ، وهو اسم علم له ، ولقبه قيصر ، وهو أعجمى تكلمت به العرب .

أُجْلِيَت ـ بالجيم ، والبناء للمفعول .

لَخْم:نائب الفاعل بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة .

جُدام ـ بضم الجيم وبالدال المهملة .

البلقاء ـ بفتح الموحدة وسكون اللام وبالقاف والمدّ .

حُصَيْن ـ والد عمران ـ بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين وسكون التحتية وبالنون .

السنون جمع سَنة ـ بفتح السين المهملة . وهو الجَدْب ضد الخِصْب .

يستفزونك : يزعجونك ويقتلونك . والأَرض هنا أَرض المدينة .

قُرْبَان المسجد ـ بضم القاف وكسرها فراء ساكنة فأَلف فنون : الدنو منه .

لتقطعن : بضم الفوقية . والمتاجر نائب الفاعل .

---

(١) سورة التــوبة آية ١٢٠ .

عن يد : قهر وإذلال .

صاغرون : ذليلون مهانون .

زمان عسرة : شدة .

الجَدْب ـ بفتح الجيم وسكون الدال المهملة وبالموحدة : القحط .

المُقَام ـ بضم الميم وفتحها : الإقامة وعدم السفر .

الشُّخُوص ـ بضم الشين والخاء المعجمتين : الذهاب ، يقال شخص من بلد إلى بلد شخوصا إذا ذهب .

الشُّقة ـ بضم الشين المعجمة وتشديد القاف : وهو هنا السّفر البعيد .

الجِهَاز ـ بكسر الجيم وفتحها ما يحتاجه المسافر فى قطع المسافة .

٣٥٣أ

أوْعَب معه : خرجوا / بأجمعهم .

انْفِرُوا : أسرعوا .

اثَّاقلْتُمْ إلى الأرض : اضطجعتم واطمأننتم ، وأصله اتْثاقَلْتُم .

متاع الحياة الدنيا : المتاع كل شئ ينتفع به ثم يفنى ، وأضيف إلى الحياة الدنيا إشارة إلى عدم بقائه .

خِفَافاً : جمع خفيف .

وثِقَالاً : جمع ثقيل ، أى شبانا وشيوخا ، أو ركبانا ومشاة وأغنياء وفقراء ، وقيل غير ذلك .

عَرَضاً قريباً ـ بفتح العين والراء : ناحية قريبة .

وَسفَراً قاصدا : قريباً أو غير شاق .

الشُّقة ـ بضم الشين المعجمة المشددة هى فى الأصل السّفر البعيد ، والمراد هنا الناحية التى ندبوا إليها .

وَرّى بغيرها : سترها ، وكنى عنها وأوهم أنه يريد غيرها ، وأصله من الورى ، أى ألقى البيان وراءَ ظهره[1] .

* * *

شرح غريب حثه ــ صلى الله عليه وسلم ــ على النفقة والحملان

الحُمْلاَن ـ بضم الحاء المهملة وسكون الميم : أى الشئ الذى يركبون عليه ويحملهم .

العِصَابة ـ بكسر العين المهملة ـ هنا : الجماعة من الناس .

الأَحلاس : جمع حِلْس ـ بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وبالسين المهملة : كساء يكون تحت البرذعة .

المِرْقاة والمرقى والمرتقى : موضع الرُّقى ـ بفتح الميم وكسرها .

يقول بيده هكذا : تقدم فى شرح غريب غَزْوة الفتح .

الطَّيَالسى ـ بفتح الطاء المهملة وكسر اللام .

الخِطام ـ بكسر الخاء المعجمة : كل ما يقاد به البعير .

العِقال ـ بكسر العين المهملة / وبالقاف وبالألف واللام ، يقال عقلت البعير أعقِلة ـ ٦٠٧ت بالكسر : ثنيت ضبعه أى خُفَّه مع ذراعه فشددتهما معاً فى وسط الذراع بحبل .

الاحْتساب : ادّخار أجر العمل وأن يحسبه العامل فى حسناته .

* * *

شرح غريب بعض ما دار بين رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم وبين بعض المنافقين

الجَد بن قيس ـ بفتح الجيم وتشديد الدال المهملة .

النَّفر ـ بفتح النون والفاء : جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة أو إلى سبعة .

الضَّبْعَة[2] ـ بفتح الضاد المعجمة وسكون التحتية : واحدة الضّباع .

---

(١) وفى شرح المواهب ٣ : ٦٣ « وأصله من ورى الإنسان كأنه ألقى البيان وراء ظهره » .

(٢) الضبعة هنا يراد بها شدة شهوة الفحل ـ وهذا مايقتضيه الحوار بين الرسول صلوات الله وسلامه عليه وبين الجد ابن قيس .

تُحْقِبُ : تُرْدِف خلفك .

بنات بنى الأصفر : يعنى الروم ، قال فى الإملاء ، يقال إنهم من أولاد عيص بن إسحاق ، وكان فيما يقال مصفر اللون ، وأما الروم القديمة فهم بزنان .

لِجِلَاد – بكسر اللام وبكسر الجيم : الضراب بالسيوف .

الدوائر : جمع دائرة ، وهى النائبة التى تنزل بالإنسان فتهلكه .

محيطة بالكافرين : مُهْلِكَتُهم وجامعتهم .

ثبَّطه عن أمره : عوقه عنه .

جَبَّار – بفتح الجيم وتشديد الموحدة .

صخر – بفتح الصاد المهملة وبالخاء المعجمة وبالراء .

٣٥٣ب الإرجاف : الخوض فى الأخبار الكاذبة / فى الفتنة[1] ليضطرب الناس .

عبد الله بن حرثة ـ بالحاء المهملة وبالثاء المثلثة .

سُوَيْلم – بسين مهملة مضمومة فواو فتحتية ساكنة فلام مكسورة فميم .

اقتحم : ألقى نفسه .

مسجد الضِرار – بكسر الضاد المعجمة ، وفى الأصل فِعَال من الضَّر – بفتح المعجمة : أى مجازى من أضره بمثل فعله .

على جناح سفر : أى نريده .

* * *

شرح غريب خبر المخلفين والمعذرين والبكائين

المعَذِّرُون – جمع معذر بتشديد الذال المعجمة ، وقد يكون صادقا ، وقد يكون كاذبا . فالصادق أصله المعتذر ولكن التاء قلبت ذالا فأدغمت فى الذال ، والكاذب معذر على أصله وهو المعرض المقصر الذى يتعلل بغير عذر صحيح .

---

(١) فى ت ٦٠٧ « فى الأخبار الكاذبة والفتن » .

القُرَظى بضم القاف وفتح الراء وبالظاء المعجمة المشالة .

هَرِمى – بفتح الهاء وكسر الراء ويقال هَرِم .

عُلْبة – بضم العين المهملة وسكون اللام وبالموحدة وتاء تأْنيث .

عِربَاض – بكسر العين المهملة وسكون الراء وبالموحدة وبالضاد المعجمة .

سارِية – بالسين المهملة وكسر الراء وبالتحتية .

حُمام – والد عمرو – بضم الحاء المهملة والتخفيف .

الجَمُوح – بفتح الجيم وضم الميم وبالحاء المهملة .

عَنَمَة : والد عمر بفتح العين المهملة والنون والميم .

مُغَفَّل : والد عبد الله – بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الفاء المفتوحة وباللام .

مَعْقِلُ بن يسَار – بفتح الميم وسكون المهملة وكسر القاف ، وأبوه بالتحتية والمهملة

بنو مُقرِّن – بضم الميم وفتح القاف وتشديد الراء المكسورة .

ابن يامين – كذا فى نسخة من السيرة الهشامية ، والعيون « ابن يامين » وصوابه « يامين » بإسقاط ابن .

النَّضْرى – بفتح النون وسكون الضاد المعجمة .

الناضح – بنون وبعد الأَلف ضاد معجمة فحاء مهملة ، وهو من الإبل الذى يستقى عليه الماء

* * *

شرح غريب حديث أبى موسى الأشعرى – رضى الله عنه – وما بعده

لا أَشعر : لا أَعلم .

وجد عليه : حزن .

جىءَ – بالبناء للمفعول : أُتِىَ بضم الهمزة .

نَهْب إبل : بتنوين الموحدة واللام .

ألبث : أمكث .

سُوَيعة : تصغير ساعة من الزمان .

القرينين : الجملين المشدودين أحدهما إلى الآخر ، وقيل النظيرين المتساويين ، وفى رواية : هاتين / القرينتين : أى الناقتين . ٦٠٨ب

بخمس ذود ــ بفتح الذال المعجمة وسكون الواو وبالدال المهملة : ما بين الستة إلى التسعة من الإبل ، وهى مؤنثة .

غُرّ ــ بضم الغين والراء .

الذُّرى ــ بضم الذال المعجمة وفتح الراء : جمع ذروة ، وهى أعلى كل شىء : أى بيض الأسنمة

الجُرُف ــ بضم الجيم والراء وبالفاء على ثلاثة أميال من المدينة إلى جهة الشام .

/ سِبَاع ــ بكسر المهملة وتخفيف الموحدة . ٣٥٤أ

عُرْفُطة ــ بضم العين المهملة وسكون الراء وضم الفاء وبالطاء المهملة .

* * *

شرح غريب ذكر خروج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم

قوله : عسكر ــ بعين فسين مهملة فكاف فراء : جمع

ثنية الوداع ــ تقدم الكلام عليها مبسوطاً فى أبواب دخوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ المدينة .

على حِدَة ــ بكسر الحاء وفتح الدال المهملتين : أى منفردا وحده بعسكره لم يختلط بعسكر النبي ــ صلى الله عليه وسلم .

ذُباب ــ بذال معجمة وزن كتاب وغراب ــ لغتان : جبل بقرب المدينة .

مقرنين : مجعولين قرنا باليدين .

السويداء ــ تصغير سوداء : موضع على ليلتين من المدينة .

الفغواء ــ بفتح الفاء وسكون الغين المعجمة وبالواو .

الخُزاعى ــ بضم الخاء المعجمة ــ وبالزاى .

أُسَيْد – بضم أوله وفتح ثانيه وسكون ثالثه وبالدال المهملة .

وحُضير – بالحاء المهملة والضاد المعجمة كذلك .

دُجَانة – بضم الدال المهملة وتخفيف الجيم وبالنون .

* * *

شرح غريب قصة تخلف ابى ذر وابى خيثمة – رضى الله عنهما واخباره صلى الله عليه وسلم – بما قاله جماعة من المنافقين

نِضْو – بنون مكسورة فضاد معجمة فواو : الدابة التى اهتزلتها الأسفار ، وأذهبت لحمها .

أعجف : ضعيف .

أذمّ بى – بفتح أوله والذال المعجمة وتشديد الميم : حَبَسَنِى .

التَّلَوُّم – بفتح الفوقية واللام وتشديد الواو وبالميم : الانتظار والمكث .

أبطأ – بهمز أوله وآخره .

يتّبع – بالتخفيف والتشديد .

أَثَر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بفتح الهمزة والثاء المثلثة ، وبكسر الهمزة وسكون الثاء ، وحكى بتثليث الهمزة .

يمشى وحده ، وكذا الباقى : أى منفرداً .

كن أبا ذر – بلفظ الأمر ، ومعناه الدعاء ، كما تقول اسلَمْ ؛ أى سلمك [الله][1]

العريش – بفتح العين وكسر الراء : كل ما استظل به[2]

الحائط : البستان من النخيل إذا كان عليه حائط .

الضِّحّ - بكسر الضاد المعجمة وتشديد الحاء المهملة - قال فى الإملاء : الشمس ، وفى النهاية هو ضوء الشمس إذا استمكن من الأرض وهو كالقمر ، وهذا أصل الحديث ومعناه ، وهو أشبه مما فسره به الهروى فقال : أراد كثرة الخيل والجيش ، يقال : حافلان بالضح والريح ، أى لما طلعت عليه الشمس وهبّت عليه الريح يعنون المال الكثير .

---

(١) إضافة عن شرح المواهب ٣ : ٧١ .

(٢) العريش : ويقال شبيه بالخيمة يظلل فيكون أبرد الأخبية والبيوت (سيرة النبى لابن هشام ٣ : ١٣٣) .

النَّصَف – بفتح النون والصاد المهملة وبالفاء .

أن تَخَلَّف عنى – بحذف إحدى التاءين وتشديد اللام المفتوحة .

٣٥٤ب أولى لك / – قال فى الإملاء : كلمة فيها معنى التهديد ، وهى اسم سمى به الفعل ، ومعناها فيما قاله المفسرون:دين من الهلكة .

الرهط : مادون العشرة من الرجال .

وَدِيعَة – بفتح الواو وكسر الدال وبالعين المهملة .

ثابت – بالثاء المثلثة وبالموحدة والفوقية .

الجُلاَس – بضم الجيم والتخفيف وآخره سين مهملة .

مَخْشِى – بفتح الميم وسكون الخاء وكسر الشين المعجمتين بعدها ياء كياء النسبة .

٦٠٥ت ابن حُمَير / : بضم الحاء المهملة وفتح الميم المخففة وتشديد التحتية .

(١فليأت – بهمزة مفتوحة قبل تاء التأنيث الساكنة .

أُقَاضَى – بضم الهمزة وفتح الضاد المعجمة بالبناء للمفعول .

حقب الناقة : عجزها(٢) .

فتسفان التراب : ترفعانه .

عُفِىَ عنه : بالبناء للمفعول .

ولا يُعْلَم مكانه : كذلك .

اليمامة – بفتح التحتية : بلد باليمن .

* * *

شرح غريبذكر نزوله – صلىالله عليه وسلم – بالمروة ونزوله بوادىالقرى

ذى المروة بلفظ أخت الصفا من أعمال المدينة على ثمانية بُرُد منها الخليجة(٣) .

الدوم – بفتح الدال المهملة : جمع دومة كذلك وهى ضخام الشجر ، وقيل هو شجر المُقل .

(١ – ١) لم ترد هذه العبارة فى سياق غزوة تبوك .

(٢) الحقب : حبل يشد على بطن البعير سوى الحزام الذى يشد فيه الرحل (سيرة النبى لابن هشام ٣ : ١٣٨) .

(٣) بياض بمقدار كلمتين . وانظر ماسبق من التعليقهامش ٤ ص ٦٤٣ .

وادى القُرى - بضم القاف وفتح الراء : جمع قرية .

الحديقة : كل ما أحاط به البناء من البساتين ، ويقال للقطعة من النخل حديقة وإن لم تكن محاطاً بها .

الخَرْص - بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وبالصاد المهملة ، وهو هنا الحزر الذى حزر ما على النخل من الرطب تمرا .

الوَسْق - بفتح الواو وكسرها : ستون صاعا .

بنو العريض - بفتح العين المهملة وكسر الراء وبالضاد المعجمة .

* * *

شرح غريب ذكر نزوله - صلى الله عليه وسلم - بالحجر

[الحِجْرُ] بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم وبالراء : اسم ديار ثمود ، بين المدينة والشام .

أبو كبشة - بفتح الكاف وسكون الموحدة وبالشين المعجمة.

الأَنمارى - بفتح أوله وبالنون .

أبو حُمَيد - بضم الحاء المهملة وسكون التحتية وبالدال المهملة .

تَقَنَّعَ برادئه - بفتحات والنون مشددة : أى ستر رأسه .

أوضع راحلته - بالضاد المعجمة والعين المهملة : أسرع بها

ثمود - إن أُريد به اسم القبيلة لم ينصرف للعلمية والتأنيث المعنوى ، وإن أُريد به اسم الأَب انصرف .

أن يصيبكم - بفتح الهمزة مفعول له ، أى كراهة الإصابة .

أهريقوها : صبوا ما فيها .

الفَجّ - بفتح الفاء وتشديد الجيم : الطريق الواسع ، والجمع فجاج بكسر الفاء .

تصدر : ترجع / بعد ورود مياههم . ٣٥٥ أ

« عَتَوْا عن أمر ربهم » : جاوزوا الحد فى التكبر والتجبر وركوب البهتان.

أَهْمدهُ الله تعالى : أهلكه .

أبو رِغَال ــ بكسر الراء وبالغين المعجمة واللام .

من أنفسكم : منكم .

لا يعبأ بعذابكم : ما يصنع به ، أو ما يبالى به .

خُنِقَ ــ بضم الخاء المعجمة وبالنون والبناء للمفعول .

مَذْهَبه ــ بفتح الميم والهاء وسكون الذال المعجمة بينهما : وهو الموضع الذى يتغوط فيه .

جبلى طيئ : هما أَجَأ ــ بفتح الهمزة والجيم وهمز آخره ، وبالقصر ، وسلمى ــ بفتح السين المهملة وسكون اللام وبالقصر .

* * *

شرح غريب استسقائه ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين شكوا اليه العطش واخباره باضلال ناقته ، وما بعد ذلك

قوله : القَيْظ ــ بفتح القاف وسكون التحتية وبالظاء المعجمة المشالة : شدة الحر .

الفَرْث ــ بفتح الفاء وسكون الراء وبالثاء المثلثة : السِرجين[1] فى الكرش .

أبو حرزة الأنصارى ــ بفتح الحاء المهملة وسكون الراء بعدها زاى فتاء تأنيث .

النَّوء ــ بفتح النون وبالهمز : مصدر نـأى النجم ينوء نوءا ، والمراد سقوط نجم من المنازل فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق ، وكانوا يعتقدون أنه لابد عند ذلك من مطر أو ريح فمنهم من يجعله للطالع . لأَنه ناء ومنهم من ينسبه للمُغارب ، فنفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ذلك ، ونهى عنه ، وكفر من اعتقد أن النجم فاعل ذلك ، ومن جعله دليلا فهو جاهل / بمعنى الدلالة ، قال فى النهاية : ومن أسند ذلك للعادة التى يجوز آنخرامها فقد كرهه قوم وجوّزه قوم . ٦١٠ت

القصواء : كحمراء .

عقبيا : شهد بيعة العقبة .

---

(١) السرجين : كلمة فارسية معناها الزبل . (مختار الصحاح) .

اللُّصَيْت : والد زيد ، تصغيرا لصْت بتثليث اللام وسكون الصاد وبالفوقية : وهو اللص فى لغة طيئ .

قينقاع : تقدم فى غزوتها .

الشعب – بكسر الشين وسكون العين المهملة : ما انفرج بين الجبلين .

الزِمام – بكسر الزاى : المقود الذى تقاد به الدابة.

آنِفا – بفتح أوله وكسر النون وبالفاء « والمد والقصر » : قريبا .

يجأ فى عنقه : يطعن .

الإِدَاوة – بكسر أوله : المطهرة .

نكص على عقبيه نكوصا ، أى من باب قعد : رجع ، قال ابن فارس : والنكوص الإحجام عن الشيء.

تواثب الناس : قاموا .

الغبطة : أن تحب أن يكون لك مثل ما أعجبك من أمر أخيك دون أن يُسْلَبه .

الفحل : الذكر من الحيوان ، والمراد هنا ذكر الإبل.

فى فى [1] فحل – فى الأُولى حرف جر ، والثانية اسم للفم .

يقضمها – بفتح الضاد المعجمة / وضمها : أى يعضها ، والقضم فى الأصل الأكل بأطراف الأسنان ، فاستعير هنا للعَضِّ . ٣٥٥ب

انصاع الناس عنها – بكسر أوله وسكون النون وبالصاد والعين المهملتين : تفرقوا مسرعين .

* * *

شرح غريب ذكر نزوله – صلى الله عليه وسلم – بقرب تبوك وغريب نزوله بتبوك ، وما بعد ذلك

قوله الشراك : للنعل – بكسر الشين المعجمة : سيرها الذى على ظهر القدم .

تَبِض – بفتح الفوقية وكسر الموحدة وبالضاد المعجمة وتهمل : تسيل .

---

(١) ورواية الحديث فى سياق الغزوة « فى فم فحل » .

الشَّن بفتح الشين : القربة الخلق .

الجنان – بكسر الجيم جمع جَنة بفتحها ، سميت بذلك لجنها أى سترها الأرض بالشجر .

جاش الماء : ارتفع وجرى .

استرقد : رقد ، أى نام .

قِيدَ رُمح – بكسر القاف وبالدال المهملة : قَدْره .

اكْلأْ لَنَا : احفظنا وارصد لنا الصبح .

أوثق : أحكم .

العُرَى – بضم العين المهملة : وفتح الراء : جمع عروة وهذا مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ فقَدْ اسْتَمْسَكَ بالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾[1] تأنيث الأوثق أى المحكمة ، قال الزجاج : معناه فقد عقد لنفسه عقدا وثيقا .

كلمة التقوى : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

المِلل – بكسر الميم : جمع مِلَّة .

السُّنَن : جمع سُنّة ، وهى الطريقة.

خير الأُمور عوازمها : فرائضها التى عزم الله تعالى عليك بفعلها . والمعنى ذوات عزمها التى فيها عزم ، وقيل : هى ما وكدت رأيك وعزمك عليه ووفيت بعهد الله فيه ، والعزم : الجد والصبر .

لا يأتى الجمعة إلا ذَبْرا – بفتح الذال المعجمة[2] وضمها وسكون الموحدة وضمها منصوب على الظرف : أى بعد ما يفوت وقتها .

إلا هجرا – بفتح الهاء وسكون الجيم : يريد الترك له والإعراض عنه .

وقر الشيء : تمكن وثبت .

الارتياب : الشك .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦ .

(٢) كذا فى الأصول ولعلها بالدال المهملة ويوافقه الشرح .

جثى جهنم – بضم الجيم وفتح الثاء المثلثة : جمع جثوة بتثليث الجيم وسكون الثاء المثلثة ، وهى الشىء المجموع .

السُّكُرْكَةُ–بضم السين المهملة والكاف الأُولى .

حِبالة الشيطان – بكسر الحاء المهملة والجمع حبائل – بفتح الحاء : أى مصيدته التى يصيد بها .

الشباب شعبة من الجنون : الشُّعبة – بضم الشين وسكون العين المهملة : الطائفة . من الشىء والقطعة منه ، وإنما جعل الشباب شعبة منه لأن الشباب يزيل العقل وكذلك الشباب قد يسرع إلى قلة العقل لما فيه / من كثرة الميل إلى الشهوات والإقدام على المضار . ٦١١ت

من يَتَألَّ على الله يكذبه – بفتح أوله . وبعد الفوقية همزة فلام مشددة : أى من حكم عليه ويحلف ؛ كقولك : فلان فى الجنة وفلان فى النار[1]

لايرعوِى / بشىء منه : لا ينفك لا ينزجر ، من رعا يرعو إذا كف عن الأُمور ، وقد ٣٥٦أ ارعوى عن القبيح يرعوِى ارعواءً .

سعد هُذَيْم – بإضافة سعد إلى هُذَيْم – بضم الهاء – وفتح الذال المعجمة وسكون التحتية وبالميم .

النطع : المتخذ من الأديم معروف ، وفيه أربع لغات : فتح النون وكسرها ومع كل واحد فتح الطاء وسكونها ، والجمع أنطاع ونطوع .

الحميت – بفتح الحاء المهملة وكسر الميم وسكون التحتية وبالفوقية : زق السمن .

الأَقِط ككتف – ويسكن ، مثلث الهمزة : شىء يتخذ من اللبن المحض ، قال ابن الأعرابى : من ألبان الغنم خاصة .

الأَمعاء : جمع مِعًا بالقصر مثل عنب وأعناب ، وبالمد جمعه أمعية مثل حمار وأحمرة : وهو المصران ، قوله : يأكل فى معاء واحد : مثل ضُرِب لزهد المؤمن وحرص الكافر ، وهو خاص فى رجل بعينه كان يأكل كثيرا ، فأسلم كما فى هذه القصة .

---

(١) كقولك فلان فى الجنة وفلان فى النار تمثيل للتألى على الله بالحكم والحلف .

تحينًا لغدائه : طلبنا حينه وهو وقته.

الجِرَاب – بالكسر : وعاء من جلد ، وقد يفتح ، ومنعه ابن السكيت، وعزاه الجوهرى للعامة ، والجمع جُرُب مثل كتاب وكُتُب وأجربة .

نشره نشرا – من بابى قتل وضرب : رمى به متفرقا .

تهجّد : قام ، وصلى ، والأخير المراد هنا .

بعثت إلى الناس كافة : تقدم الكلام عليه فى الأسماء الشريفة فى حرف الكاف .

هل لك : [أى هل تريد][1] .

الآكام : جمع أكم مثل جبل وجبال ، وهو وأَكَمَات جمع أكمة ، مثل قصبة وقصبات وجمع آكام أُكُم ككتب وجمعه آكام كأعناق : تل، وقيل شرفة كالرابية ، وهو ما اجتمع من الحجارة فى مكان واحد وربما غلظ وربما لم يغلظ .

* * *

شرح غريب ذكر ارساله – صلى الله عليه وسلم – دحيه الى هرقل

دِحية – بكسر الدال المهملة وفتحها .

التَّنُوخى – بفتح الفوقية وضم النون المخففة وبالخاء المعجمة .

قِسيسى الروم بكسر القاف : جمع قسيس كذلك حذفت النون للإضافة ، وهو عالم النصارى ، ويجمع بالواو والنون تغليباً لجانب الاسمية ، والقَس – بالفتح لغة فيه وجمعه قسوس مثل فلس وفلوس.

البَطَارِقة – بفتح الموحدة وكسر الراء : جمع بِطريق – بكسر الموحدة ، وهو كالقائد من العرب .

نَخَرُوا – بالخاء المعجمة : تكلموا وكأنه كلام مع غضب ونفور ، ونَخَرَ الحمارُ وغيره – ينخرُ بالضم – بخياشيمه .

رقاهم : من الرُّقى – بضم الراء وهو الصعود[2] .

---

(١) بياض فى الأصول بمقدار كلمتين ، والمثبت يقتضيه السياق .

(٢) وانظر التعليق ٥ ص٦٥٨ .

لم يكد : لم يقرب .

تَجيب ـ بفتح الفوقية وهو أكثر ، وبضمها : قبيلة من كندة .

يَريبك ـ بفتح التحتية وتضم : ما تشك فيه .

كِسْرى ـ بفتح الكاف/ وكسرها : وهو أفصح ، وهو لقب من يملك من ملوك الفرس . ٣٥٦ب

مَزقَ الكتابَ يمزِقه ـ بالكسر ـ شقه ، ومزَّقه مشددا ، ومَزَّقَهم اللهُ كلَّ مُمَزَّق : أهلكهم .

خرقت الثوب : قطعته ، وخرَّقته بالتشديد تخريقا مبالغة .

البأْس : القوة .

الجَعْبة للنشاب ـ بفتح الجيم والجمع جِعاب مثل كَلبة وكِلاب ، وجَعْبات مثل سَجْدات .

سَفْرٌ ـ بفتح السين المهملة وسكون الفاء : جمع مسافر كراكب ورَكْب .

مرملون : بالراء : فرغ زادنا .

الحُلة ـ بضم الحاء المهملة : برد من برود اليمن لايكون إلا ثوبين من جنس واحد .

صفورية ـ بصاد مهملة مضمومة/ ففاء فراء فمثناة تحتية مشددة : جنس من النبات ٦٥٢ فكأن الحُلَّة صبغت به .

أهوى : أقصد.

الغُضروف ـ بضم الغين ـ وسكون الضاد الساقطة المعجمتين : رأس لوح الكتف .

المِحْجَمَة والمحجم ـ بالكسر : قارورة الحجام .

الضخمة : العظيمة .

* * *

شرح غريب ذكر صلاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ذى البجادين رضى الله عنه ـ وما بعده

مَيِّلاً : بميم فتحتية مشددة فلام مفتوحات فألف : ذا مال .

لتتوق نفسه إلى كذا ـ بمثناتين فوقيتين فواو فقاف : تشتاق .

البجَاد – بكسر الموحدة فالجيم والدال المهملة ؛: الكساء الغليظ الجافى .

يتصفخ الناس : ينظر فى صفحات وجوههم وهى جلدة بشرتها .

لِحَاءُ شجر – بكسر اللام وبالحاء المهملة والمدوالقصر : ما على العود من قشر ، ولَحَوْت العودَ لَحواً من باب قال ، ولحيته لحيا من باب باع : قشرته .

سمُرة – بفتح السين المهملة وضم الميم ، ويجوز إسكانها .

وَقَصَتْه دابته وقصا من باب وعد : رمت به فدقت عنقه ، فالعنق موقوصة .

النِّحى – بكسر النون وسكون الحاء المهملة والتحتية : سقاء السمن ، والجمع أنحاء . مثل حِمْلٍ وأَحْمَالٍ ، ونِحاء أيضا مثل بئر وبئار .

الخرير – بالخاء المعجمة : صوت الماء ، واستعير هنا للسمن.

* * *

شرح غريب ذكر مصالحته – صلى الله عليه وسلم – ملك أيلة وغريب ما بعده

قوله : أُكَيْدر – تصغير أكدر .

دومة بضم الدال المهملة وفتحها وسكون الواو فيهما .

أَشفق – بفتح أوله وسكون الشين المعجمة وفتح الفاء وبالقاف : خاف .

أَيلة – بفتح الهمزة وإسكان التحتية : مدينة بالشام على النصف ما بين مصر ومكة على ساحل البحر .

يُحَنَّة – بضم التحتية وفتح الحاء المهملة والنون المشددة وتاء تأنيث ، ويقال : يُحَنَّا بالألف بدل التاء ، ولم أعلم له إسلاماً ، وكأنه مات على شركه .

رُؤبة – بضم الراء وسكون الهمزة وبالموحدة .

جَرْبا – بجيم مفتوحة فراء ساكنة فموحدة ، تقصر وتمد : بلد بالشام تلقاء السراة .

أَذْرُح – بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة وضم الراء وبالحاء المهملة : مدينة بالشام ، ٣٠٧ا قيل / هى فلسطين ، قال فى القاموس : بجنب جَرْبا ، وغلطه من قال بينهما ثلاثة أيام .

مقنا : قرية قرب أيلة .

البحر – هنا بلدهم وأرضهم .

الأَمَنَة – بفتح الهمزة والميم والنون فتاء تأْنيث : الأَمان لسفنهم[1] سائرهم[2] .

يُمْنعوا – بالبناء للمفعول .

جُهَيْم – بضم الجيم وفتح الهاء وسكون التحتية .

الصَّلْت – بفتح الصادالمهملة وسكون اللام وبالفوقية .

شُرَحْبِيل – بضم الشين المعجمة وفتح الراء وسكون الحاء المهملة وكسر الموحدة .

حسنة : ضد سيئة .

وافية : كاملة تامة .

شَخص : رجع .

النواضح – بفتح النون وكسر الضاد المعجمة : جمع ناضح ، وهو البعير الذى يستقى عليه الماء ، ثم استعمل فى كل بعير .

الحَمولة – بفتح الحاء المهملة : الإبل التى تحمل .

رقاق : ضعاف .

الحديبية : تقدم فى غزوتها .

أَرْمَلنا – بالراء : أَنْفِد زادُنا ، وأَصله من الرمل كأَنهم لصقوا بالرمل .

أَفراق – بالفاء والقاف : جمع فَرْق بفتح الفاء والراء وتسكن : مكيال يسع ستة عشر رطلا ، وهى اثنا عشر مُدًّا وثلاثة آصع .

آصُع – بفتح أوله وضم الصاد المهملة جمع صاع : مكيال ، وهو أربع أمداد ، وهى خمسة أرطال وثلث بالبغدادى .

صدروا : رجعوا ، والصدر الانصراف عن الورد / وكل شئ . ٦١٣ت

(١ – ٢) بياض فى الأصول بمقدار كلمتين فى كل ، ولعل المراد من يركب البحر ومن يسير على السير .

شرح غريب ذكر بعض آيات وقعت فى رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم – من تبوك

قوله : قَافِل – بالقاف والفاء المكسورة : راجع .

خَفَق – بفتح الخاء المعجمة والفاء والقاف : أخذته سِنَة من النّعاس، فمال برأسه دون سائر جسده .

دَعَمْتُه – بفتح الدال والعين المهملتين وسكون الميم : أسندته لئلا يميل .

التعريس : النزول ليلا .

الفلاة : البرية التى لا ماءَ بها .

المُشَقَّق – بضم الميم وفتح الشين المعجمة فقافين الأُولى مفتوحة : اسم ماء أو واد .

الوشل : بفتح الواو والشين المعجمة وباللام : الماء القليل ، ووشل الماء وشلا إذا قَطَّر وفى الإملاء : الوشل حجارة جبل يقطر منه الماء قليلا ، والوشل أيضا القليل من الماء.

سبَقَنا – بفتح الموحدة .

مُعَتب – بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الفوقية وبالموحدة .

قشير – بالقاف والشين المعجمة .

نَضَحَه – بالضاد المعجمة وبالحاء المهملة : رشه.

امرأة من بَلِيّ بموحدة وكسر اللام وتشديد التحتية .

هُنَيْهَة – بضم الهاء وفتح النون وسكون التحتية وفتح الهاء وبتاء تأْنيث : أى قليل من الزمان .

نهلت : رويت .

القعب – بفتح القاف وسكون العين المهملة وبالموحدة : قدح من خشب .

العِسَاس – بعين فسين فألف فسين مهملات وزن سهام ، والأَعساس وزن أقفال : جمع عُس – بضم العين وتشديد السين : وهو القدح الكبير .

يجيش : يفور .

الرِوَاء- ككتاب ، جمعه رَيَّان وريًا .
فَضالة- بفتح الفاءِ- وبالضاد المعجمة المخففة .

يزجون ظهرهم - بالزاى والجيم : يعوقون .

/ فاستمرت : قويت وسارت . ٣٥٧ب

* * *

شرح غريب ذكر ارادة بعض المنافقين الفتك برسول الله - صلى الله عليه وسلم

قوله : الفتك : القتل غفلة .

يلتمسون : يطلبون .

غِرته - بكسر الغين المعجمة : غفلته .

إليكم إليكم : اسما فِعل بمعنى تنحُّوا .

سرح : بفتح السين المهملة وسكون الراء وبالحاء المهملة .

أبو حاضر : ضد غائب .

الجُلاس - بضم الجيم وبالسين المهملة والتخفيف .

مُجَمِّع - بالجيم بلفظ اسم الفاعل .

جَارِية : والد مُجَمِّع - بالجيم والتحتية .

مُلَيح : تصغير ملح .

حُصَين - بضم الحاء وفتح الصاد المهملة .

نُمَيْر - بوزنه .

أقاله عثرته : جبر زلته، وسميت الذلة عثرة لأنها سقوط فى الإثم .

طُعْمَة - بضم الطاء المهملة وسكون العين المهملة .

أبيرق[1] تصغير أبرق .

عُيَيْنَة - والد عبد الله بلفظ تصغير عَيْن .

---

(١) فى الأصول : « أبريق » والمثبت فى سياق النص ص ٦٧١ .

مُرَّة بن الربيع – بلفظ ضد حلوة .

الدُّبَيْلَة – بضم الدال المهملة وفتح الموحدة وسكون التحتية : خراج أو دُمَّلٌ كبير يظهر فى الجوف تقتل صاحبها غالبا .

نِيَاط القَلب – بكسر النون : عرق علق به القلب من الوتين إذا قطع مات صاحبه .

* * *

شرح غريب أمر مسجد الضرار

قوله : أبو رُهْم – بضم الراء وسكون الهاء .

كُلْثُوم – بضم الكاف – وبالثاء المثلثة .

الحُصَين – بلفظ تصغير حصن .

الغِفَارى – بكسر الغين المعجمة .

ابن عوف – بالفاء .

بنى غنم – بفتح الغين المعجمة وسكون النون .

يرصدون قدومه : ينتظرونه .

العلة : المرض .

جناح سفر : أى مفارقة الأوطان .

ذو أوان – بفتح الهمزة وتخفيف الواو وبالنون : موضع قريب من المدينة[1]

الدُّخْشُم – بضم الدال المهملة وسكون الخاء وضم الشين المعجمتين وبالميم ، ويقال بالنون بدلها ، ويقال كذلك بالتصغير .

أَنْظرنى – بفتح الهمزة وسكون النون وكسر الظاء المعجمة المُشالة : أى أَخِّرْنى ولا تعجلنى ، هكذا الرواية ، ويصح أن يقرأ / بضم الهمزة أن انتظرنى . ٦١٤ت

السُّعُف – بضم السين والعين المهملتين وبالفاء : أَغصَان النخل ما دامت بالخوص ، فإن زال الخوص عنها قيل جريدة ، الواحدة سعفة .

---

(١) وفى وفاء الوفا ٤ : ١١٣٣ « ذو أوان بلفظ الحين موضع على ساعة من المدينة » .

لم يعاتِب ـ بكسر الفوقية ، ولم يُعَاتب اللهُ تعالى أحدا ، وفى رواية لم يعاتب بفتح الفوقية .

العِيرُ ـ بكسر العين ، الإبل التى تحمل الميرة .

حين تواثقنا ـ بفوقية وثاءٍ مثلثة فقاف : تعاهدنا وتعاقدنا .

/وإن كانت بَدْرٌ أذكر : أعظم ذكرا . ٣٥٨ أ

وَرَّى بغيرها ـ بفتح الواو والراءِ المشددة : أى أوهم غيرها ، والتورية ، أن يذكر لفظا يحتمل معنيين أحدهما أقرب من الآخر فيوهم إرادة القريب وهو يريد البعيد .

المفازة ـ بفتح الميم والفاءِ وبالزاى : الفلاة التى لا ماءَ فيها .

فَجَلّىٰ ـ بالجيم واللام المشددة ، ويجوز تخفيفها : أوْضَحَ .

الأُهُبة ـ بضم الهمزة والهاءِ : ما يحتاج إليه فى السّفر والحرب .

كتابٌ ـ بالتنوين ـ حافظ ؛: كذلك ، وفى مسلم بالإضافة .

الديوان[1] : بكسر الدال المهملة وتُفْتح .

يتغيب : يستخفى .

خارفون ـ بالخاءِ المعجمة : يقيمون فى الحيطان وقت اختراف الثمار ، وهو الخريف هنا .

طفِقَت ـ بكسر الفاءِ أفصح من فتحها : أخذت وشرعت .

أغدو ـ بالغين المعجمة .

يَتَمادى ـ بتحتية ففوقية فميم مفتوحات فألف فدال مهملة .

الحاذ ـ بحاءٍ مهملة وبعد الألف ذال معجمة : الحال وزنا ومعنى .

الجدُّ ـ بكسر الجيم والرفع فاعل وهو الجهدُ فى الشئ والمبالغة فيه ، وفى رواية : حتى اشتدَّ الناسُ الجدَّ وضبطوا الناس بالرفع على أنه فاعل ، والجد بالنصب على نزع الخافض

---

(١) الديوان : الكتاب يكتب فيه أهل الجندية أى يسجل فيه أسماء المحاربين ـ و اللفظ فارس معرب ـ المنجد .

أو نعت لمصدر محذوف أى اشتد الناس الاشتداد الجدّ .

أصبوا : بصادمهملة فباءٍ موحدة[1] .: أميل .

جَهازى – بفتح الجيم و كسرها .

غدوت – بالغين المعجمة .

فصَلوا – بصاد مهملة : خرجوا .[2]

تفارط – بالفاءِ فالراءِ والطاءِ المهملتين : فات وسبق .

يُقْدَر – بالبناء للمفعول .

أنى لا أرى – بفتح همزة إن ، وهى وصلتها فاعل أحزننى خلافا لمن قال للتعليل .

مغموصاً – بفتح الميم وسكون الغين المعجمة بعدها ميم أُخرى مضمومة فواو فصاد مهملة : متهما أى يظن به النفاق .

بنى سَلِمة – بكسر اللام .

السَّلَمى بفتحتين .

بُرْدَاه : تثنية برد .

عِطْفَيْه – بكسر العين المهملة تثنية عطف : أى جانبه ، كناية عن كونه معجبا فى نفسه ذا زهو وتكبر ، أو يكنى به عن مسيرته لتعجبه ، والقريب الرداء [وسُمِّى[3]] عطفا لوقوعه على عطف الرجل .

قافلا : راجعا .

قد أظل – بالظاءِ المشالة المعجمة : دنا .

زاح – بالزاى والحاء المهملة : زال .

أجمعت صدقه : جزمت به وعقدت عليه قصدى .

---

(١) فى الأصول « أصغو بصاد فغين معجمة » والوارد فى سياق الغزوة « أصبو » وهو يتفق مع الشرح بأميل .

(٢) بياض فى الأصول بمقدار كلمة – والمثبت يقتضيه السياق . فإنه يقال فصلوا من البلد أى خرجوا منها . (القاموس) .

(٣) فى الأصول« الرداء بضمة وثمانين عطفا » . والمثبت يقتضيه السياق .

بضعة ـ بكسر الموحدة وسكون الضاد المعجمة : ما بين الثلاث إلى التسع على المشهور .

بدأ ـ بفتح الهمزة .

المخلفون : الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم عن غزوة تبوك .

وَوَكَل ـ بفتحات مع التخفيف .

المغضَب ـ بفتح الضاد المعجمة .

خلَّفَك بتشديد اللام المفتوحة

أبتعت ظهرك : شريته .

أن ـ بفتح الهمزة مخففة من الثقيلة .

سأُخرج ـ بالضم[1]

جَدَلا ـ بفتح الجيم والدال المهملة : فصاحة / وقوة كلام بحيث أخرج من عُهْدَةِ ٣٥٨ب ما نسب إلى مما يُقْبَل ولا يُرَد .

يُوشِكَن ـ بضم التحتية وكسر الشين المعجمة : يسرعنْ / . ٦١٥ت

تجِد ـ بكسر الجيم : تغضب .

أمَّا هذا ـ بفتح الهمزة وتشديد الميم .

ثار رجال : وثبوا .

سَلِمة ـ بكسر اللام .

عَجَزْتَ ـ بفتح الجيم أفصح من كسرها .

كافيك : خبر كان .

ذَنْبَك : مفعول كافيك .

استغفار : اسم كان ، وذكر بعضهم أن ذنبك منصوب بنزع الخافض ، أى من ذنبك .

يُؤَنِّبُونَنى بهمزة مفتوحة فنون مشددة فموحدة مضمومة ونونين : يلومونى لوما عنيفا .

---

(١) كذا فى الأصول ولعله يريد بضم همزة « سأخرج من سخطه » ، انظر ص ٦٨٠ .

مُرَارَةُ – بضم الميم وتخفيف الراءين .

الرَّبيع – بفتح الراء .

العَمْرِى – بفتح العين المهملة وسكون الميم ، نسبة إلى بنى عمرو بن عوف .

الواقفى ، بتقديم القاف على الفاء نسبة إلى بنى واقف بن امرئ القيس بن مالك ابن أوس .

إِسوَة – بكسر الهمزة وضمها .

أيها الثلاثة – بالرفع ، ومحله النصب على الاختصاص ، أى خصوصا ، الثلاثة ، كقولهم : اللهم اغفر لنا أيتها العصابة ، وقال أبو سعيد السيرافى : إنه مفعول فعل محذوف أى أريد الثلاثة أى أخص الثلاثة ، وخالفه الجمهور وقالوا : إنه منادى ، والثلاثة صفة له ، وإنما أوجبوا ذلك لأنه فى الأصل كان كذلك فنقل إلى الاختصاص ، وكل ما نقل من باب إلى باب فإعرابه بحسب أصله كأفعال التعجب .

اَجْتَنَبَنَا [بهمزة وصل وجيم ساكنة وفوقية مفتوحة ونون وباء ونون مفتوحات : بعد عنا][1]

الناس : فاعل اجتنب .

استكان : رجع .

أَجْلَدهم : أقواهم .

أطوف : أدور .

أسارقه – بالسين المهملة والقاف – النظر : أنظر إليه فى خفية .

جفوة الناس – بفتح الجيم وسكون الفاء : إعراضهم .

تَسَوَّرْتُ : علوت .

أَنْشُدك – بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة : أسألك .

فنشدته – بفتح المعجمة : سألته به .

---

(١) فى الأصول « بفتح الهمزة » والمثبت هنا يقتضيه السياق على طريقة المصنف .

نبطِي – بفتح النون والموحدة وكسر الطاء : فلاح ، وكان نصرانيا ، ولم يُسَم .

من أنْبَاط الشام – بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الموحدة .

يُشِيرُون – بضم أوله .

غَسَّان – بفتح الغين وتشديد السين المهملة .

جَبَلَة بن الأيهم ، وهو الحٰرث بن أبي شمر .

السَرَقَة – بسين مهملة فراء فقاف مفتوحات فهاء تأنيث : الأبيض من الحرير ، أو الحرير عامة(١) .

دار هوان : [ذلة ومهانة](٢)

مَضْيعة – بفتح الميم وسكون الضاد المعجمة ، وفتح التحتية وبكسر الضاد وسكون التحتية : أى حيث يضيع حقك .

متحوَّلا – بالحاء المهملة وفتح الواو: مكان تتحول فيه. بفتح الحاء المهملة .

نُواسيك – بضم النون وكسر السين المهملة من المواساة .

تيمّمت : قصدت .

التَّنُّور – بفتح الفوقية : الذى يخبز فيه .

سَجَرْتُه – بسين مهملة مفتوحة : أو قدته .

وأَرسَلَ إلىَّ صَاحِبَىَّ – بتشديد التحتية .

اْلحَقِى بأَهلِكِ – بفتح الحاء.

حتى كمَلت – بفتح الميم(٣) .

ضَاقتْ عَلَىَّ نفسى [ضد اتسعت ، كناية عن ما يعانيه من الشدة والحزن وضيق الصدر](٤)

---

(١) السرقة الشقة من الحرير ، وقال بعضهم السرق أحسن الحرير وأجوده (هامش المغازى للواقدى ٣ : ١٠٥١) .

(٢) بياض بالأصول بمقدار كلمتين والمثبت يقتضيه السياق .

(٣) كذا فى الأصول ، وفى اللسان « كل بفتح الميم و كسرها وضمها » .

(٤) بياض فى الأصول – و المثبت يقتضيه السياق على طريقة المصنف .

ضَاقت عَلَىَّ الأَرْضُ بما رَحُبَتْ : أى بما هى عَلَيْه من السّعة .

صَارِخٌ – بالخاء المعجمة .

١٣٥٩ أ أوفى – بالفاء مقصورا : صعد .

سلْع[١] – بفتح السين المهملة وسكون اللام .

يا كعبَ بْنَ مالك – بفتح كعب وابن ، وضم كعب وفتح ابن وضمها .

أَبْشِرْ – بهمزة .

قد جاءَ فرج – بالجيم .

آذن بالمد : أَعْلَم .

وَذَهَب قِبَلَ – بكسر القاف وفتح الموحدة : جهة .

صاحبىّ : مُرَارَةُ وهلال .

رَكَضَ إلىَّ – بتشديد التحتيَة : استَحَثَّ .

ثوْبَىَّ : تشنية ثوب .

فَوْجاً فَوْجاً : جماعة جماعة .

لتهْنِكَ : بكسر النون .

تَوْبَةُ الله – بالرفع .

فقام إلىَّ – بتشديد التحتية .

يُهَرْول : يسير بين المشى والعَدْو .

ولا أنساها لطلحة : أى هذه الخصلة ، وهى بشارته إياى بالتوبة ، أى لا أزال أذكر إحسانه إلى بذلك وكنت رهين مسرته .

يَبْرُق – بفتح أوله .

إذا سُرَّ – بضم السين وتشديد الراء ، مبنيا للمفعول .

٦١٦ت / كأنه قطعة قَمر : تقدم الكلام عليه فى الصفات النبوية .

---

(١) سلع : جبل معروف بالمدينة . وقيل جبيل بسوقها . (وفاء الوفا ٤ : ١٢٣٥) .

أنْ أنْخلِعَ : أُخرج من مالى صَدَقة . قال الزركشى والحافظ والبرماوى هى مصدر ، فيجوز انتصابه بأَنْخَلِع ؛ لأن معنى انخلع أتصدق ، ويجوز أن يكون مصدرا فى موضع الحال ، وتعقب ذلك الشيخ بدر الدين الدمامينى : بأَنا لا نسلم أن الصدقة مصدر وإنما هى اسم لما يتصدق به على الفقراء ، فعلى هذا نصبها على الحال من مالى .

ما بقيت – بكسر القاف .

أبْلاه الله – بالموحدة الساكنه : أَنعم الله عليه .

أحسن مما أَبْلاَنى : أنعم علىَّ ، وفيه نفى الأَفضلية لا نفى المساواة ، لأَنه شاركه فى ذلك هلال بن أُمية .

أن لا أكون كَذَبْته – بتخفيف الذال وسكون الموحدة ، ولا زائدة كقوله تعالى : ﴿ مَامَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ ﴾[1] أى حدَّثته حديث كذب .

فأَهْلِكَ–بكسر اللام وفتح الكاف .

شَرّ ما قال لأَحد : أى قال قولا شرا – ما قال بالإِضافة ، أى شر القول الكائن لأَحد من الناس .

أَرْجَأَ أَمْرَنَا – بالجيم والهمزة : أَخَّرَ .

مما خُلِّفْنا – بضم الخاءِ المعجمة وكسر اللام المشددة – وسكون الفاء .

إرجاؤه : تأْخيره وتركه .

* * *

شرح غريب ذكر أقوام تخلفوا من غير عذر

أبو لُبَابَة – بضم اللام وتخفيف الموحدة الأُولى .

جَدّ بن قَيْس – بفتح الجيم وتشديد الدال المهملة .

جذام بن أَوْس[2] ...

قَفل – بفتح القاف والفاءِ واللام : رَجَعَ .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٢ .

(٢) بياض فى الأصول بمقدار كلمتين وانظر التعليق ص ٦٨٥ .

نجز الجزءُ الثانى من كتاب سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد يتلوه الجزءُ الثالث[1] « جماع أبواب سراياه » أحسن الله تعالى عاقبتنا آمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين آمين ، والحمد لله رب العالمين — على يد الفقير الراجى عفو الله على بن إبراهيم الباجى غفر اللهله ولوالديه ولمشايخه آمين .

* * *

انتهى الجزء الخامس من الكتاب
ويليه بإذن الله الجزء السادس
وأوله « جماع أبواب سراياه » صلى الله عليه وسلم

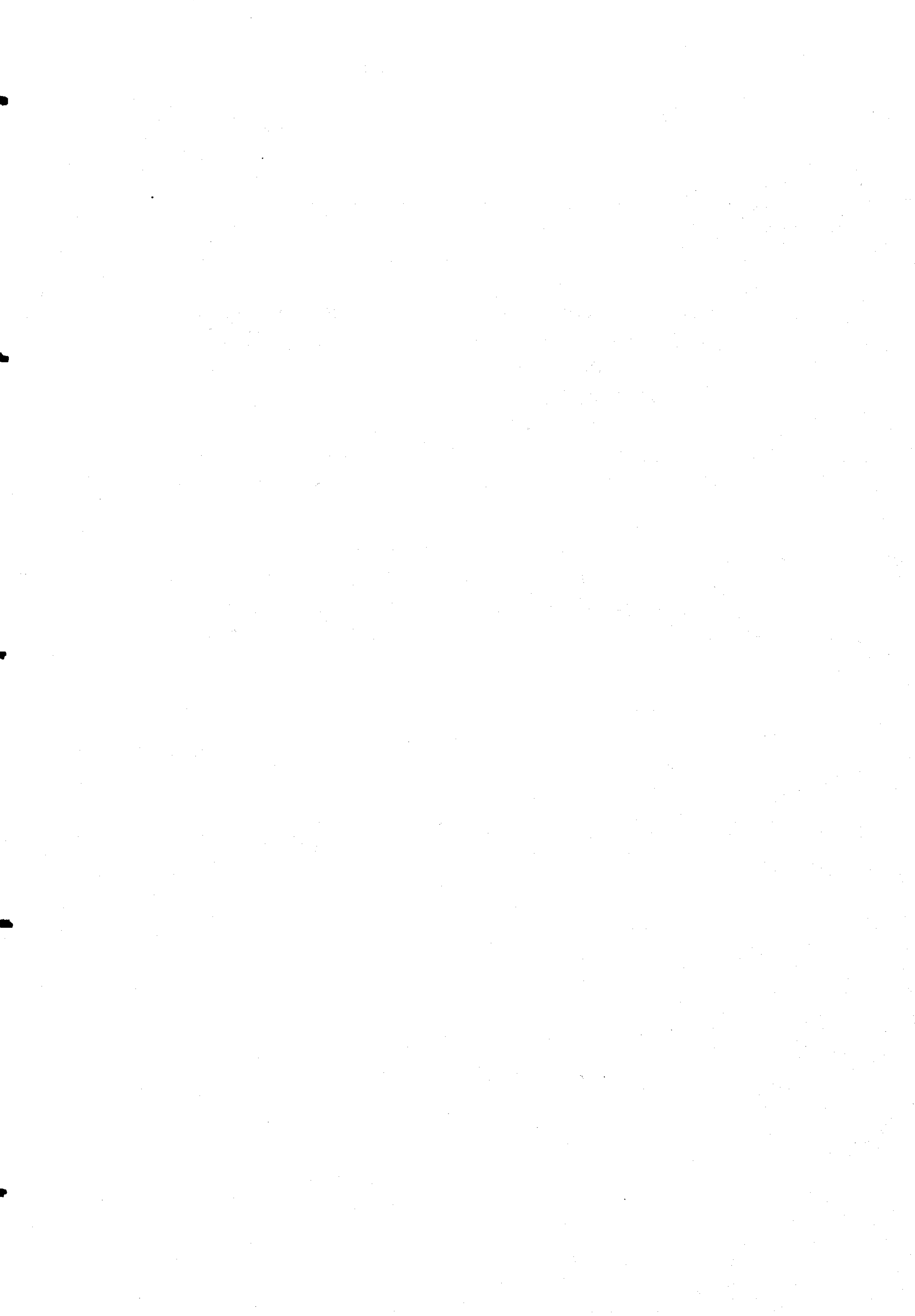
(١) هذا نص المؤلف بخط الناسخ .

ذكرى وعرفان

احد محققى هذا الجزء هو المرحوم الأستاذ الدكتور جودة عبد الرحمن هلال . تلقى تعليمه فى الأزهر الشريف وتخرج فى كلية اصول الدين سنة ١٩٥٠م ثم ارســـل فى بعثة الى مدريد بأسبانيا ، وعاد بعد حصوله على درجة الدكتوراه ، والتحق بالعمل فى ادارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم ، ثم تقلب فى عدة وظائف فى خدمة الثقـــافة والنشر ، وشــــارك فى تحقيق مجموعة من كتب التراث وقد توفى الى رحمـــة الله تعالى فى اكتوبر سنة ١٩٧٣م .

ولجنة احياء التراث الاسلامى بالمجلس الأعلى للشـــئون الاسلامية اذ تقدم هذا الجزء الى العالم العربى والاسلامى ، لتذكر بالعرفان جهد هذا العالم الكبير فى تحقيق التراث وتطلب له من الله المثوبة والأجر والرحمة والغفران .

رئيس لجنة احياء التراث
عبد المنعم محمد عمر



فهرس موضوعات الجزء الخامس من سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد للصالحى

الصفحة

الباب العشرون

الباب الحادى والعشرون

الباب الثانى والعشرون

الباب الثالث والعشرون

الباب الرابع والعشرون

الباب الخامس والعشرون

صفحة

الباب السادس والعشرون

الباب السابع والعشرون

الصفحة

الباب الثامن والعشرون

الصفحة

الباب الثلاثون

الصفحة

اســـــتدراك

فيما يلى بعض العناوين التى سقطت من الفهرس وتم استدراكها :

رقم الايداع ١٦٠٩ / ١٩٨٤

الترقيم الدولى ٤—١٤—٠٠٣—٠٠٣—٩٧٧ ISBN

مطابع الأهرام بكورنيش النيل